أقطاب العلمانية

في

العالم العربي و الإسلامي

(1)

طارق منينه

إبن الشاطئ





أقطاب العلمانية

في العالم العربي والإسلامي



الطبعة الثانية
١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م

رقم الإيداع القانوني
١٥١٣٨ / ٢٠٠٨م

الترقيم الدولي : 977-253-264-7

دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع
٢ شارع منشا - محرم بك - الأسكندرية
تليفون : ٣٩٠١٩١٤ - فاكس : ٥٩٠١٦٩٥



أقطاب العلمانية

في العالم العربي والإسلامي

(الجزء الأول)

د. فؤاد زكريا
د. نصر حامد أبوزيد
د. حسن حنفي
د. محمد أركون
أ. أدونيس

المؤلف :

طارق عبد الباقي منينة
(ابن الشاطيء)




بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى

الأزهر الشريف

و

الدكتور / سفر الحوالي .

الدكتور / محمد قطب .

الشيخ / محمد العريفي .

الدكتور / مصطفى حلمي .

ابن الشاطئ

مقدمة الطبعة الثانية

هذه هي الطبعة الثانية لهذا الكتاب مع إضافات وزيادات ..

ولقد شعرت بفرح شديد لما علمته من الإقبال الشديد على الكتاب ، ولقد استفادت منه الدراسات والبحوث الجديدة في الجامعات الإسلامية ، فلله الحمد والمنة ، أسأل الله عز وجل أن يغفر ذنبي ويسدد قلمي وينصر هذه الأمة على جيوش الإلحاد والضلال ، والعلمانية المتسللة الجزئية والشاملة .

والله من وراء القصد

طارق عبدالباقي منينه

١١ / ٦ / ٢٠٠٨

لاهاي / هولندا

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

« العلمانية » هي الترجمة العربية لكلمة « Secularism . Secularite » في اللغات الأوروبية ، وهي ترجمة مضللة لأنها توحي بأن لها صلة بالعلم ، بينما هي في لغاتها الأصلية لا صلة لها بالعلم . بل المقصود بها في تلك اللغات هو إقامة الحياة بعيدا عن الدين أو الفصل الكامل بين الدين والحياة (١) .

تقول دائرة المعارف البريطانية في تعريف كلمة «Secularism» (هي حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس عن الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بالحياة الدنيا وحدها . ذلك أنه كان لدى الناس في العصور الوسطى رغبة شديدة في العزوف عن الدنيا والتأمل في الله واليوم الآخر .. ومن أجل مقاومة هذه الرغبة طفقت الـ «Secularism» تعرض نفسها من خلال تنمية النزعة الإنسانية ، حيث بدأ الناس في عصر النهضة يظهرون تعلقهم الشديد بالإنجازات الثقافية البشرية ، وبإمكانية تحقيق طموحاتهم في هذه الحياة القريبة ، وظل الاتجاه إلى «Secularism » يتطور باستمرار خلال التاريخ الحديث كله باعتبارها حركة مضادة للدين ومضادة للمسيحية)(٢) .

فما يسمى «Secularism » والمترجمة في العربية بالعلمانية هي حركة مضادة للدين . وليس للمسيحية فقط ، هذه الحركة سيطرت في الغرب على الحياة كلها فتم عزل الدين عن الحياة كلها وصبغت علومها بصبغتها . فصارت علوم الإنسان والاجتماع والنفس ، والاقتصاد والسياسة والفن مضادة للدين ومناقضة لمبادئه .

هذا حدث في الغرب ... هيمنت الفلسفة العلمانية على الحياة كلها .

أما في العالم العربي والإسلامي ، فالعلمانيون يتبنون « العلمانية » .لكن هل هي العلمانية التي يتبناها الغرب أم هي شيء آخر وضع له هذا المصطلح ..؟! نترك للعلمانيين العرب الإجابة !!

---

(١) مذاهب فكرية معاصرة أ. محمد قطب ص ٤٤٥

(٢) Encyc. Britanica V.IXp.19

الأمر الذي نريد التأكيد عليه هنا هو أننا لن نستدعي من أقوال المفكرين والعلماء المسلمين في هذا الشأن إلا بعد أن يكون «العلمانيون» قد استعرضوا أقوالهم، وحكم بعضهم على بعض، وفسر بعضهم مذاهب بعض، ووضع بعضهم بعضا موضع النقض.

بيد أننا فضّلنا أن نضع في هذه المقدمة مجموعة مهمة من الأسئلة «المثارة» التي تخص موضوع كتابنا، بحيث يجد القاريء الإجابة عليها بين دفتي هذا الكتاب، وبالإنتهاء من قراءة هذا الكتاب يكون القاريء الكريم قد تعرّف على موقف «العلمانيين العرب» من «الدين» و«الوحي» و«النبوة» و«المرجعية الإسلامية» و«التراث» و«الشريعة».

وهذه هي الأسئلة التي تخص «العلمانية» التي يتبناها «العلمانيون العرب»

١ ـ هل مقاصد الإسلام الكلية هي مقاصد العلمانية الكلية؟

٢ ـ هل تُناقض المرجعية العلمانية ـ أو تنقضُ! ـ المرجعية الإسلامية؟

٣ ـ هل تريد العلمانية إقامة مجتمع مدني داخل الأطر والثوابت الإسلامية أم أنها تستعير أطر وأيديولوجيات مغايرة ومناقضة وهادمة لهذه الأُطر والثوابت؟

٤ ـ هل العلمانية هي إنتهاج النهج العلمي بدون رفض العقيدة الإسلامية، وبدون نبذ الدين والوحي؟

٥ ـ هل ممثلوا الاتجاه العلماني لا يستبعدون الدين ولا يعادونه وأنهم فقط يحرصون على الفهم فهم التراث والدين معا، كما في كتاب التفكير في زمن التكفير لنصر حامد أبو زيد ص٢٢؟

٦ ـ ماهو الغرض الرئيسي والحقيقي، والهدف الأعلى المنشود للحضور

العلماني في العالم العربي والإسلامي ؟

٧ ـ وهل قال العلمانيون شيئا في هذا الشأن ؟

٨ ـ وهل هم صرحاء في مواقفهم من الإسلام والعقيدة ؟

٩ ـ وهل احتلوا مواقع في عالم الفكر والتوجيه والتأثير في عالمنا العربي والإسلامي ؟

١٠ ـ هل يجب أن يتعامل المسلمون مع العلمانية على أنها ضد الدين وضد «الشريعة» وضد «المبادئ الإسلامية» ؟

١١ ـ هل في «العلمانيين» «فقهاء مسلمون» و«علماء مجتهدون» أو «مفكرون مسلمون» ؟

١٢ ـ هل يطرح بعض العلمانيين أيديولوجياتهم من خلال الإسلام بغية السيطرة عليه من «الداخل» وتغيير معالمه ببطئ ؟

١٣ ـ هل هناك خطر حقيقي على الإسلام والمسلمين من العلمانية ؟

١٤ ـ هل الدعوة إلى «المرجعية الإسلامية» والحفاظ على «الهوية الإسلامية» هدف «غربي» لتكريس التخلف والجمود في العالم العربي والإسلامي ؟!!

١٥ ـ هل هناك أهداف مشتركة بين الفصائل العلمانية تجاه الإسلام وعملية الإحياء الإسلامي ؟

١٦ ـ هل تسعى العلمانية ـ فعلا ـ لفصل الدين عن الحياة في العالم العربي والإسلامي أم أنها علمانية تكتفي بفصله عن السياسة ؟ وبمعنى آخر هل العلمانية التي يدعون إليها في عالمنا هي علمانية شمولية تقيم الحياة بعيدا عن الدين أم أنها «علمانية جزئية» تفصله عن السياسة فقط ؟

١٧ ـ هل مفاهيم « العقل » و« الحرية » و« الإبداع » في العلمانية، هي نفسها مفاهيم «العقل» و«الحرية» و«الإبداع» في الإسلام ؟؟

١٨ ـ هل العلمانية هي «الدنيوية القائمة على ساق الشريعة » أم أنها « دنيوية تنبذ الدين وتطرد الشريعة » وإذا كانت الأولى فهل شوه الإسلاميون صورتها لغرض استقطاب الجماهير ؟ وإذا كانت الثانية فهل يجب إعلان الحرب عليها ؟

١٩ ـ هل خلق سيد قطب التباس ما بشأن العلمانية ، مثل القول بأنها معادية للأديان أم أن هناك نصوص ثابتة عن علمانيين تؤكد ما قال سيد قطب وترفع عنه تهمة خلق الالتباس ؟

٢٠ ـ هل يقوم الإسلاميون بعملية خلق دلالي للعلمانية عن طريق الانتقال من مسألة «فصل الدين عن الدولة » إلى « فصل الدين عن المجتمع » بينما العلمانية بريئة من الفصل الأخير ؟!

٢١ ـ هل تعاطف الإسلاميون مع كنيسة العصور الوسطى المظلمة التي حاربت العلم والعلماء أم أنهم وقفوا في وجه العلمانية ويدينون ماقامت به الكنيسة في عصورها «المظلمة» ؟

٢٢ ـ هل علوم الإنسان والمجتمع وغيرها من العلوم الاجتماعية والدينية والنفسية والفنية الغربية الحديثة جدا تلغي الدين وترفض الوحي ؟

٢٣ ـ هل الحضارة الإسلامية مضادة للإنسان كما قال المستشرق « فون غروبناوم» في كتابه « الإسلام الحديث » ص ٤ ، أم أنها حضارة الإنسان وكرامة الإنسان ؟

٢٤ ـ هل بدأ العلم والتقدم والاكتشاف والتجريب فى منهج متكامل وعلى قواعد آمنة مع الحضارة الإسلامية أم بدأ مع النهضة الأوروبية ؟

٢٥ ـ هل الاتهامات التي توجه للعلمانيين تضعهم في موضع الدفاع عن النفس بلا جريرة ولا ذنب وأنها على سبيل الافتراء؟ وهل الدافع المحرك للاتهام هو الظن بالكاتب قبل الكتابة، والاسترابة في نوايا الفاعل قبل مقاربة الفعل، وأنه قائم على نوايا مظنونة وليس حكما على نصوص الكتابة نفسها كما يقول الكاتب العلماني / جابر عصفور؟[٥]

٢٦ ـ هل هناك سبب قوي ـ مثل حضور الصحوة الجماهيرية الإسلامية مثلا ـ يجعل العلماني في كتاباته اللاحقة ـ لو صح وجود هذا العلماني في عالمنا العربي !! ـ أن يتراجع عن بعض أقواله التي صوبها تجاه الإسلام مثل إنكار وجود العقل في الإسلام أو إنكار وجود علاقة الحب بين العبد وربه أو إنكار وجود مفهوم للعلم أو المساواة أو الحرية أو العدل في الإسلام أو إنكاره لبعض الثوابت القرآنية ؟!

هذه مجموعة أسئلة تلح على المثقف العربي والمسلم، وتحتاج لإجابة شافية كافية عنها، ونأمل بهذا الكتاب أن نكون قد قمنا بذلك وعرفنا القارئ العربي والمسلم بنشاط العلمانية وفكرها وأيديولوجياتها وخططها في العالم العربي والإسلامي.

طارق عبد الباقي منينة

لاهاي ـ هولندا : ٢٩ ربيع الآخر ١٤٢١
٣١ يوليه ٢٠٠٠

---

(٥) قال ذلك في جريدة الحياة مقالة تحت عنوان سجن كاتبتين ـ الأربعاء ١٦ فبراير ٢٠٠٠ . وذكر فيمن ذكر سيد القمني ، حسن حنفي ، نصر حامد أبو زيد ، الكاتبة ليلى العثمان ، عالية شعيب

الفصل الأول

يقول أوجست كونت :-

« إن الاعتقاد في ذوات عاقلة وإرادات عليا، لم يكن إلا تصورا نخفي وراءه جهلنا بالأسباب الطبيعية .. أما الآن وكل المتعلمين من أبناء المدينة الحديثة يعتقدون بأن كل الحوادث العالمية والظواهر الطبيعية لابد لها من أن تعود إلى سبب طبيعي .. وأنه من المستطاع تعليلها تعليلاً علمياً يتبناه العلم الطبيعي .. فلم يبق فراغ يسده الاعتقاد بوجود الله، ولم يبق سبب يدفعنا إلى الإيمان به »

من كتاب «ملقى السبيل» لإسماعيل مظهر ص ٧٠

يقول د. صادق جلال العظم [إن الدين كما يدخل في صميم حياتنا، وكما يؤثر في تكويننا الفكري والنفسي، يتعارض مع العلم ومع المعرفة العلمية قلباً وقالباً، نصاً وروحاً]

من كتاب نقد الفكر الديني ص١٥.

لقد قام المجتمع الإسلامي على مشروعية إسلامية. وقامت حضارة المسلمين على ثوابت الإسلام ومباديء القرآن. وعلى هدى السنة النبوية التي أرساها رسول الله ﷺ.

انطلق المسلمون يقيمون مجتمعاتهم. ويبنون حضارتهم ويطورونها داخل هذه الأطر، غير مخالفين للشريعة الإلهية القرآنية والقائمة على العدل والتوازن، والهادفة إلى تحقيق سعادة الإنسان في الدارين.

فكانوا إذا مدوا أبصارهم إلى السماء أو أيديهم إلى باطن الأرض ومشوا في مناكبها، ينظرون ويكتشفون، ويبحثون ويجربون، ويصنعون ويبدعون. كانوا يمشون على هدى الدعوة الربانية للنظر والتعقل، التدبر والتفكر. ولقد كانت تعاليم القرآن وإشاراته إلهاما على سلوك هذا السبيل لإقامة العمران البشري على جناحي المعرفة الحقة: معرفة إله هذا الكون البديع، ومعرفة طريقة الحياة على الأرض بما يحفظ على الإنسان حياته وأمنه، ويمنحه السكينة والاطمئنان فيما هو يثور الأرض ويطور الحياة عليها!

وكانت فتوحاتهم هائلة في عالم الأرواح وتذكية النفوس، وعالم الأبدان وصحة الأجساد، في علوم الدنيا وعلوم الدين.

لقد حوى القرآن منهجا كاملا للحياة، يشمل جزئيات الحياة جميعا، بما فيها العلم. ولقد وضع كل جزئية في مكانها الصحيح، وهذا الأمر بالذات هو أهم ما قدمته الحركة العلمية الإسلامية التي لم يكن نشاطها في ظل الوحي الإلهي مضادا ولا معاكسا لبقية احتياجات الفطرة وبقية الحاجات النفسية والحيوية[1].

---

(١) انظر واقعنا المعاصر للاستاذ محمد قطب ص ٨٤

ولقد تطور المسلمون إنطلاقا من هذا «الوحي الرباني» الذي حثهم على النظر في الكون، وأوجب عليهم تدبر آيات الله والتعرف عليها في عبودية تامة من الإنسان الخليفة والمكرم تكريم إلهي: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ البقرة: الآية ١٦٤

وهو هنا، لا يتكلم سبحانه عن عالم السحر والخرافة، ثم يدعو القلب للتعامل معه!، وإنما يدعو قوما عقلاء إلى تدبر الآيات، آيات السماوات والأرض ﴿ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ !!!

كان الله قد أودع الفطرة البشرية «طاقة المعرفة»: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ البقرة: ٣١

فلم تكن «المعرفة» بكل أبعادها غريبة عن هذه الفطرة ولا غير متلائمة مع طبيعتها، وطبيعة هذا الكون، وإنما كانت «الفطرة الإنسانية» جزءا من هذا الكون، مهيئة للتعرف عليه مستعدة للاحتكاك به، وتطوير ما وصلت إليه منه على هدى السنن الربانية إن أرادت الأمان والسلام معه، وابتغت الرحمة والسكينة والرشاد.

فلم يكن العلم عدوا للعقيدة ولا العقيدة عدوة للعلم، فالعقيدة الإسلامية حررت العقل من التقليد، ونقلته نقلة عجيبة من الصحراء إلى الآفاق ومن الأرض إلى السماء، ولهذا أقبل المسلم بالرغبة في المعرفة والرغبة في التفاعل مع الكون المادي بلا صراع أو عداء بين «الإنسان» وبين «الله» بل حب وإقبال ورغبة من العبد في المعرفة والاستفادة من ثمارها المتكاملة مع بقية المنهج القرآني الشامل للحياة كلها. وفي مجال علوم العمران البشري نجد القرآن قد حرض المسلمين على النظر

في الكون وتدبر آياته وتفحص أجزائه .

كما أمر بالمشي في الأرض المشي الباحث الراصد المستكشف المستفيد . الآخذ العبر والدروس والقائم على التجربة والمحاولة ، وذلك باستعمال العقل واستخدام التفكير « هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولاً فَٱمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ » الملك الآية : ١٥ « وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ » الجاثية الآية : ١٣ وكل ما في السماوات وما في الأرض من آيات إنما هي ليتدبرها عقل الإنسان « .. لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ » ومادام الكل من الله سبحانه وتعالى ، الخلق والتسخير ، الوجوب والتوجيه ، فما على الإنسان إلا أن يمضي في هذا السبيل على « علم » وفي حالة « تواضع لا غرور فيه » غير مخالفا للسنن ولا متكبرا على ربه وخالقه ومبدعه ورازقه !

« ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » العلق الآيات ١-٥ .

انطلق المسلمون في المسار الذي رسمه الله لهم وانطلقت حضارتهم بهذه التوجيهات والإرشادات ، والتعليمات والتشريعات ، في عبودية تامة لله عز وجل . فاحتكوا بالكون المادي واستنبطوا طاقته بحسب ما فتح الله عليهم في أزمانهم في الطب والحساب والفلك والهندسة والتاريخ والاجتماع[1] ، وغير ذلك

---

(١) أكدت السيدة الألمانية « وهي كاتبة وأستاذة » : « زيجريد هونكة » أن المسلمين أبدعوا في علوم الفيزياء والكيمياء القائمة على التجربة . وعلم حساب المثلثات . وعلم الاجتماع . وفضلا عما لا يحصى عدده من المكتشفات والمبتكرات الثمينة في مجال العلوم التجريبية . فإن أثمن هدية قدمها المسلمون للغرب هي منهجهم في البحث العلمي . كذلك عرض الأستاذ محمد كرد علي في الجزء الأول من كتاب « الإسلام والحضارة العربية ما حققه المسلمون بالتفصيل في مختلف العلوم الكيمياء والطب والصيدليات والدواء والفلك . وللأستاذ عمر فروخ والدكتور عبدالحليم منتصر كتابات أخرى في الموضوع نفسه وتحفل المكتبة العربية بدراسات تفوق الحصر حول العلم العربي والإسلامي . بل إن جامعة كمبردج بدأت منذ عام ٩١ في إصدار دورية متخصصة كل ستة أشهر تحت عنوان « العلوم والفلسفة عند العرب » . وهناك موسوعة من ثلاثة أجزاء حول العلوم عند العرب صدرت في لندن ونيويورك لاثنين من العلماء ، هما رشدي راشد وريجيس مورلون . نقلا عن مقالة للأستاذ فهمي هويدي في جريدة الأهرام ٢٥ أغسطس ١٩٩٨ ، السنة ١٢٣ - العدد ٤٠٨٠٤ . بعنوان : « الذين يكرهون أمتهم وتاريخهم » . وقد نقلت منها هنا بتصرف .

مما فتح الله به عليهم في مجالات الحياة الإنسانية والروحية والمادية .

وخطا إنسان هذه الحضارة أشواطا بعيدة في طريق البحث العلمي وعالم الاكتشاف والتجريب ، وكانت فتوحاتها هي منطلق العلوم وقواعدها في أوربا كما اعترف بذلك كثير من العلماء الغربيين .

بيد أن حضارة المسلمين لم تعمر «الآلة» على حساب «البيئة»(*) ولا «الإنسان» على حساب «الطبيعة» ولا «المادة» على حساب «الروح» ولكنها انطلقت تعمر على سنة التوازن ومادة الاتفاق والاتساق، فعمرت الأرض والإنسان والمجتمع - بحسب ما وصلت إليه من علوم - وحافظت على النفس والروح والجسد ولم تمزق شيء من ذلك لحساب استقلال مزعوم للإنسان أو لصالح كيان على كيان !

.. فلم تخرب الإنسان لصالح الإنتاج أوالتقدم !، ولم تفسد الفرد لصالح المجتمع، أو تغلب مصالح الفرد على مصالح المجتمع والتطور. لم تنطلق في عالم الروح مهملة الجسد ، ولا بنوازع الجسد ممزقة للروح البشرية التي هي جوهر الطبيعة الإنسانية، إنما أخذت بيد الإنسان ، كل الإنسان ، عقله وحسه ، روحه وفكره ، مشاعره وخياله ، أخذت به إلى الأمان. وتعرف فيها على حقيقته وطبيعته وحدوده ومكانته في الكون ومدى تكريم الله له كإنسان وكسيد الأرض وخليفة .

وهكذا قامت حضارة « المسلم » في الأندلس والشرق الإسلامي، غير منفصلة عن السماء، ولا متكبرة على «الله» ولا مستقلة عن شريعته وتعاليمه التي أبدعت فكرا رائعا على مساحة واسعة لعدة قرون، فكرا رائعا في علوم القرآن وعلوم الحديث والفقه والأصول وعلوم اللغة والفيزياء والفلك والجغرافيا وغيرها غيرها كثير) والحقيقة أن

(*) الرئيس بوش الثاني أعلن في شهر إبريل ٢٠٠١ أن اقتصاد أمريكا مقدم على الحفاظ على البيئة وأن الآلة الصناعية الرأسمالية أولى من البيئة الأمريكية ''

أوروبا لم تشعر بما في مفاهيمها الدينية من خلل إلا حين احتكت بالإسلام والمسلمين عن طريق المعابر الثلاثة الكبرى التي عبر عنها التأثير الإسلامي إلى أوروبا ، وهي الحروب الصليبية والعلاقات التجارية التي أنشأتها (جنوة) و(البندقية) مع العالم الإسلامي والعلاقات العلمية والثقافية التي انتشرت من الأندلس وصقلية الإسلامية.(١)

كانت الحياة في أوروبا في العصور الوسطى المظلمة كئيبة يمخر فيها الجهل وتعشش فيها الخرافة، ويتحالف في عالمها الإقطاع المذل مع انحراف الكنيسة العقدي والعلمي !

بينما كانت « الأندلس » ـ في أسبانيا والبرتغال ـ منارة في قلب أوروبا فيها « التوحيد » . وفيها الحرية والعلم ، فيها المدنية والنظافة ، فيها الإسلام صاحب التعاليم الراقية والتطوير النافع !(*)

ما أن سمع الشباب الأوروبي بعالم الأندلس حتى توافدوا عليه ينهلون من علومه، ولم يمنع المسلمون أحداً من هذا العلم الذي توصلوا إليه بفضل الله ومفاتيح قرآنه الكريم ، وهم لم يقبلوا على هذه العلوم والمعارف والبحوث والتطبيقات لصالح المسلمين فقط ، وإنما لصالح « الإنسان » ككل .

---

(١) قضية التنوير في العالم الإسلامي لمحمد قطب ص٣٨ .

(*) ـ في بحث حول الفلك والرياضيات عند المسلمين لأحد كبار مستشرقي المعهد الكاثوليكي الفرنسي في باريس . البارون « كارادي فو » (نشر في كتاب تراث الإسلام الذي أشرف عليه السيد توماس أرنولد) قرر مؤلفه بوضوح « إن العرب ارتقوا بالحياة العقلية والدراسة العلمية إلى المقام الأسمى . في الوقت الذي كان العالم المسيحي يناضل نضال المستميت للانعتاق من أحابيل البربرية وأغلالها . ووصل الأمر إلى ذروة ازدهارهم العلمي في القرنين التاسع والعاشر (الميلاديين) . واستمر ذلك الازدهار إلى القرن الخامس عشر . ومن القرن الثاني عشر فصاعداً كانت حواضر العرب محط أنظار كل غربي يميل إلى العلم ويتذوقه » انظر مقالة الأستاذ فهمي هويدي في جريدة الأهرام العدد (٤٠٨٠٤) وهي بعنوان « الذين يكرهون أمتهم ويحاربونهم

تعلم ابناء أوروبا علوم المسلمين. وبداوا محاولة التعيير وبعي الجسود الطاغي.

فثارت عليهم الكنيسة المنحرفة عن الدين الصحيح. فاحرق من أحرق. وقتل من قتل. حتى انطلقت أوروبا بفضل ثورة المسلمين المعرفية والتجريبية. فثاروا على المسيحية وظلمات عصورهم المتخلفة المظلمة .. ومع التقدم البطيء والصراع المستمر بين الكنيسة المنحرفة والذين ثاروا عليها، بدأ الدين يخبو في النفوس وبدأت الفلسفة **بخيرها وشرها** تحل مكان الكنيسة .. والدين!

« ولقد كان النموذج الإسلامي قائما حول أوروبا من الشرق والغرب والجنوب» بل إن أوروبا لم تعرف العلم الحقيقي إلا حين أرسلت أبناءها يتعلمون في مدارس المسلمين في الأندلس والشمال الإفريقي وصقلية الإسلامية؛ فلئن كانت الكنيسة قد ارتكبت حماقاتها بمعاداة العلم والعلماء، فلقد كان الحل هو نبذ دين الكنيسة الفاسد لا نبذ الدين كله، وقد رأوا نموذجا مفلحا ومثمرا منه في العالم الإسلامي.. ولئن كانت «المكايدة» قد أصبحت هي العملة المتبادلة بين الكنيسة من جهة والعلماء من جهة، فلقد كان المقتضى السليم لذلك هو أن يرد العلماء للكنيسة إلهها المزيف الذي تعذب العلماء باسمه وتطاردهم. ويفروا إلى الله الحق الذي وجدوه معبودا عند أولئك العلماء الأفذاذ الذين تتلمذوا عليهم وتعلموا العلم على أيديهم، **والذي وجدوا العبادة الصحيحة له تخرج مثل هؤلاء الأفذاذ، وتتيح لهم حرية البحث العلمي بلا قيود** »(١) . لكن مجرى الأحداث والتارخ، صار بسيناريو مختلف تماما.

أما الانقلابات الكبرى ،والتبدلات الضخمة فقد بدأت مع بداية القرن التاسع

---

(١) مذاهب فكرية معاصرة أ. محمد قطب ص٤٨٠

عشر... وجاء «دارون»(*) فكتب كتابه «أصل الأنواع» سنة ١٨٥٩م. ثم في سنة ١٨٧١م نشر كتابه في «أصل الإنسان» وادعى أن أصله حيوان!

وهكذا بدل أن ترتفع الحضارة الغربية إلى مستوى الحضارة الإسلامية والكرامة الإنسانية التي حرصت عليها، نزلت إلى مستوى «الحيوان»(**).

في البداية وقفت الجماهير في جانب الكنيسة ضد نظرية دارون: عزّ عليها بطبيعة الحال أن يصمها دارون بالحيوانية، وينزع عنها «قداستها» وتميزها ورفعتها، حين ينزع عنها كرامة الإنسان ويردها إلى أصل حيوان.

ولكنها رويداً رويداً في المعركة الحادة التي قامت بين دارون وبين الكنيسة غيّرت موقفها! فقد وجدت أن هذه فرصة سانحة للإجهاز على ذلك الغول البشع الذي يضطهد الناس بسلطان الدين.

ونسيت الجماهير بعد فترة كرامتها الإنسانية، المرموزة، وفرحت بالانطلاق والتحرير.. ولو في إهاب الحيوان!!(١).

حتى جاء «فرويد»(***) فاستخدم نظرية «دارون» في أصل الإنسان، وقال بأن الإنسان هو ذو نفسية جنسية تسيطر على كل تصرفاته، حتى الدين فهو

(*) تشارلز روبرت دارون، العالم البريطاني الطبيعي الشهير. ولد في ١٢ شباط ١٨٠٩ وتوفي في ١٩ نيسان عام ١٨٨٢م. تزوج عام ١٨٣٩م. كان من سكان لندن إلا أنه عام ١٨٤٢م انتقل إلى «داون» وبقي بها حتى [illegible] نال وسام الاستحقاق الروسي سنة ١٨٧١ وفي عام ١٨٧٨ صار عضواً في الأكاديمية الفرنسية. وقد عمل [illegible] بالجمعية الجيولوجية من سنة ١٨٣٨ إلى ١٨٤١ بتصرف) من (الإسلام ونظرية دارون) لمحمد أحمد [illegible] ص١٩، ٢٠.

(**) في نهاية شهر أغسطس ١٩٩٨م أعلنت نشرات الأخبار الهولندية أنهم اكتشفوا بعض فصائل [illegible] يمارس الذكور منها الجنس مع الذكور فقالوا بأن هذا دليل على أن هذه الممارسة في عالم الإنسان [illegible] أنه من أصل حيوان - ممارسة مشروعة بدليل وجودها في عالم الحيوان"

(١) التطور والثبات في حياة البشرية ص١٩، ٢٠.

(***) هو عالم نفس، يهودي نمساوي، ولد عام ١٨٥٦ وعمر طويلا حتى مات في عام ١٩٣٨ ألف نحو [illegible] كتابا في الدراسات النفسية

نتيجة لعملية كبت جنسي قديم تجاه «الأم»! التي قام الأولاد من أجل الحصول عليها بقتل أباهم.. ثم أظهروا الندم فعبدوا «الوالد» ثم «الطوطم»(*) ثم ظهرت الأديان تباعا نتيجة هذه العقدة المرضية التي حدثت للأولاد من كبت الجنس وقتل الأب!

ويطالب «فرويد» بإطلاق الغرائز والتحرر عن الدين للخروج من الكبت الموروث!(**)

يقول «يونج» أحد تلاميذ فرويد المقربين (والآخر هو أدلر **Adler**) في كتاب ذكرياتي عن فرويد **Memorials of frued** صدر في الستينيات «لقد قال لي فرويد إننا ينبغي أن نحطم كل العقائد الدينية» وقال لي: ينبغي أن نجعل من الجنس عقيدة!!!»[1].

ثم جاء «دوركايم»(***) فجعل الإنسان مميع الشخصية فلا شيء ثابت في حياته لا القيم ولا الفطرة ولا الدين ولا شيء فكلها تخضع للتطوير والتبديل «فهو يريد أن يلغي شخصية الفرد إلغاء تاما ويلغي إرادته»[2] ليخضع لقهر خارجي.

وقال كغيره من فلاسفة أوروبا بأن الدين والأسرة والزواج أشياء ليست فطرية، فهي ظواهر اجتماعية تخضع لتطور المجتمعات! والآن.. يوجد تطور.. فلتكن الهمجية.. وأهلا بالجريمة فهي ليست ظاهرة اجتماعية معتلة! وإنما هي

(*) الطوطم هو حيوان أونبات (أو أي ظاهرة طبيعية) أوأي شيئ آخر مقدس لدى جماعة أو قبيلة أوجنس من الشعوب الوثنية ويرمز للجماعة ويحميها وأول طوطم عند فرويد هو السلف المتحد وبعد ذلك يمثل الإله الحيوان أو أنه يحمل صفات الحيوان (انظر النبي موسى والتوحيد لفرويد ص١٠٥).

(**) وسيأتي تفصيل ذلك في موضعه من هذا الفصل.

لكننا نذكر هنا أنه في كتابه الطواطم والمحرمات **ToTem&Taboo** قال ان الكبت هو طابع الحياة البشرية بسبب وجود الدين والأخلاق. المجتمع وسلطة الأب. انظر مذاهب فكرية معاصرة ص١١١.

(١ - ٢) انظر مذاهب فكرية معاصرة ص١٢، ١١٥.

(***) عالم اجتماع يهودي هو «إميل دوركايم أو دورك هايم أودوركحايم». يهودي فرنسي ولد عام ١٨٥٨ ومات عام ١٩١٧ له كتب من أشهرها «مقدمة في علم الاجتماع» انظر مذاهب فكرية معاصرة ص ١١٤.

ظاهرة اجتماعية طبيعية ومفيدة للجميع !! كتاب قواعد المنهج في علم الاجتماع (ص١١٨ من الترجمة العربية) : «ومن ثم تكون الجريمة الظاهرة الوحيدة التي تنطوي بصفة لا تقبل الشك على جميع أعراض الظاهرة السلبية»ص١١٩ : «ولكن معنى ذلك أيضا أننا نؤكد من جهة أخرى أن الجريمة عامل لابدمنه لسلامة المجتمع، وأنها جزء لا يتجزء من كل مجتمع سليم» !![1].

ثم بدأت المذاهب المنحرفة الأخرى في الظهور، كانت تظهر بسرعة التطور حتى ظهرت أعراض الخلل في النفس البشرية في هذه الحضارة التي أخذت من المسلمين نصف حضارتهم وتركت النصف الأهم وهو عقيدة الإسلام الشاملة أو شريعة الإسلام الكاملة .

أعلنت المذاهب الجديدة «الغربية» إنفصالها عن السماء، أعلن نيتشة ـ مثلا ـ «أن الله قد مات» !، وأعلنت استغنائها عن الله سبحانه، تعالى عما يقولون، وبالتالي عن الشريعة والدين والأخلاق والأسرة .

.. وبدأ الانهيار مع التطور المادي للحضارة الغربية وسيطرة الفلسفة العلمانية عليها ! تطوَّرت لكنها أفسدت، تقدَّمت لكنها حطمت إنسانية الإنسان «يكفي أنها جعلته حيوانيا وفسرته جنسيا وسلمت زمامه للمجتمع المتطور المُنحلّ»، تحررت من الكنيسة والإقطاع البغيض لكنها لم تقبل دينا بديلا كانت قد احتكّت به في الأندلس والحروب الصليبية، فأخذت علومه وأقبلت تحاربه على منوال حروب الكنيسة !

ولم تعط الفضل لأهل الفضل ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ [الرحمن: ٦٠] بل أقبلت تحاربه بالاستعمار العسكري تارة، وبالاستعمار

(١) نقلا عن التطور والثبات في حياة البشرية للأستاذ محمد قطب ص٢٢٤ .

السياسي والاقتصادي تارة أخرى .. كلنا يعرف تاريخ الاستعمار !

محاولة نقل «العلمانية» إلى العالم الإسلامي :

أثناء ذلك، كانت السيطرة على بلاد المسلمين قائمة على قدم وساق فغيرت تشريعاتها واستوردت قوانين أوروبا لحكم بلاد المسلمين وانطلقت البعثات إلى بلاد أوروبا في القرن الثامن عشر للتعلم في جامعاتها .. حمل معظم العائدين، فوق العلوم النافعة، مذاهب الفلسفة الغربية التي تعلن استقلال الإنسان عن الله والوحي الإلهي !

ودافع بعضهم عن نظرية «دارون» باعتبارها نظرية راقية ! ودافع الآخرون عن النظريات الأخرى، والتي يهشم بعضها بعضا .

وأراد بعضهم تحرير المرأة المسلمة من واقعها الذي تعيشه في ظل الأنظمة ذات الصبغة «الغير إسلامية»، بل أراد تحريرها من الإسلام وكأن الإسلام يستعبدها ويقهرها - كما زعموا - حتى ظهر في القرن العشرين من يدعوها إلى التحرر من الأسرة والزواج و«الرجل» إلى غير الأسرة وغير الزواج وغير «الرجل» ! (يمثل هذا الفكر الدكتورة نوال السعداوي) .

علمتهم «أوربا» كيف يمكنهم أن يتحرروا من الأسرة والعلاقات الثابتة بين الجنسين، وأن يلفظوا مبادئهم في تربية الإنسان وصنع المجتمعات ، وأن يدفعوا بالمرأة في طريق شائك مهلك للجسد وممزق للروح ومؤدي إلى عدم الاستقرار والأمن والسكينة علموهم ذلك كله. حتى ظهر منهم أخيرا من نادى بانتهاك كل محرم ، وأن القيام بذلك هو «الفضيلة الكبرى»

(ادونيس ، سوري / لبناني)[1] .

وحتى عينوا ـ حديثا ـ آخر في جامعة السوربون / فرنسا . ليقول للمسلمين يجب أن تنتهك كل المحرمات الدينية والفكرية » د. محمد أركون / جزائري «[2].

وحتى اخترع أحدهم ما يسمى باليسار الإسلامي ، واعتبر «أن الإنسان هو القادر على كل شيء »[3] وأنه قادر قدرة مطلقة[4] وأن الإنسان خضع في حال العجز لله ! (د. حسن حنفي / مصري)[5] .

وحتى نادى د. نصر حامد أبوزيد / مصري [6] ، بإخضاع القرآن لنظرية

---

(١) سيأتي هذا النص من كلامه في الفصل الذي خصصناه عنه في هذا الكتاب . أدونيس ، هو ، علي أحمد سعيد ، شاعر عربي مشهور ، غارق في الإلحاد والإباحية ويحسب كتاب الثقافة العربية في المهجر فإن ، أدونيس ، هو ممثل جامعة الدول العربية لدى اليونسكو ، بالإنابة ، . له ديوان باسمه . وله ، الأعمال الشعرية الكاملة ، وله كتاب ، الثابت والمتحول ، بحث في الاتباع والإبداع عند العرب ، . صدر له عن دار الأدب ، بيروت ، النص القرآني وآفاق الكتابة ، طبعة ١٩٩٣م . كما في ، أبجدية ثانية ، ص٤٠٣ .

(٢) وهو مدير معهد الدراسات العربية والإسلامية في جامعة السوربون . له كتب وبحوث ، أكثرها منشور بالفرنسية له بالعربية ، تاريخية الفكر الإسلامي ، و، الفكر الإسلامي ، قراءة علمية ، وغير ذلك مما ترجم حديثا وسيأتي في الفصل الذي خصصناه عنه ذكر كلامه فيما ذكرناه عنه .

(٣) من العقيدة إلى الثورة جـ٣ ص١٨٠ .

(٤) انظر من العقيدة إلى الثورة لحسن حنفي جـ٤ص٥٨ وانظر كتاب ، لسنح في تربية الجنس البشري ص١٤٩ ، نقلا عن المثقفون العرب والتراث بجورج طرابيشي ص١٤٣، ١٤٨ .

(٥) د. حسن حنفي أستاذ في آداب القاهرة .

(٦) من مواليد ١ / ٧ / ١٩٤٣ م . طنطا ـ محافظة الغربية . حاصل على دكتوراه من قسم اللغة العربية وآدابها . كلية الآداب . جامعة القاهرة . في الدراسات الإسلامية ١٩٧٢ . عين سنة ١٩٩٥ أستاذ بقسم اللغة العربية وآدابها بنفس الكلية .

تلقى في سنة ١٩٧٥ ـ ١٩٧٧ منحة من مؤسسة فورد للدراسة في الجامعة الأمريكية بالقاهرة وفي سنة ١٩٧٨ ـ ١٩٧٩ منحة من مركز دراسات الشرق الأوسط . جامعة بنسلفانيا بالولايات المتحدة الأمريكية ومن سنة ١٩٨٥ ـ ١٩٨٩ عين في اليابان . جامعة أوساكا للغات الأجنبية كأستاذ زائر . أما في سنة ١٩٩٥ وحتى هذه الساعة فيعمل كأستاذ زائر (أستاذ دكتور) في جامعة ليدن بهولندا .. وفي المدينة التي لاتبعد عنها بالقطار إلا عشرة دقائق فقط (مدينة لاهاي) كتب هذا الكتاب . المؤلف .

غربية / مادية تنكر الخالق وتؤول الوحي الإلهي على أنه إفراز بينوي اسطوري . ناتج عن المعرفي التاريخي الغارق في الأسطورة (و الآن يعمل في جامعة ليدن / هولندا !!!)[1] .

وحتى صنعوا طائفة « العلمانيين» العرب ، وغيرهم من أبناء الأقطار الإسلامية من غير العرب ليدعوا بكافة الطرق ، المباشرة والملتوية . إلى نبذ الدين وطرد الشريعة وتحقير الأسرة وتمجيد النمط الغربي في الحياة . وبحجة « الحداثة »دعوا إلى القطيعة مع ثوابت الإسلام وشريعة الإسلام ومبادئ الإسلام ، وقال أساطينهم أنه لا سبيل لتحديث البلاد العربية والإسلامية إلا بتخليها عن الإسلام !

ألبعض قال هذا تصريحا والبعض الآخر قاله تلميحا !

---

(١) إسم هذه النظرية «الهرمنيوطيقا» . و«مصطلح الهرمنيوطيقا» مصطلح قديم بدأ استعماله في دوائر الدراسات اللاهوتية ليشير إلى مجموعة القواعد والمعايير التي يجب أن يتبعها المفسر لفهم النص الديني «الكتاب المقدس» .. يشير المصطلح إلى « نظرية التفسير » ويعود قدم المصطلح للدلالة على هذا المعنى إلى عام ١٦٥٤م ومازال مستمرا حتى اليوم خاصة في الأوساط البروتستانتية . وقد اتسع مفهوم المصطلح - يقول نصر أبو زيد - في تطبيقاته الحديثة . وانتقل من مجال علم اللاهوت إلى دوائر أكثر اتساعا تشمل كافة العلوم الإنسانية كالتاريخ وعلم الاجتماع والأنثروبولوجي وفلسفة الجمال والنقد الأدبي والفلكلور «القضية الأساسية التي تتناولها «الهرمنيوطيقا» بالدرس هي معضلة تفسير النص بشكل عام. سواء كان هذا النص نصا تاريخيا ، أم نصا دينيا » من علماء «الهرمنيوطيقا» المفكر الألماني شلير ماخر (١٨٤٣م) و« ويلهلم ديلثي» (١٨٣٣م - ١٩١١) و«مارتن هيدجر» و«جادامر» يقول نصر أبو زيد «وتعد الهرمنيوطيقا الجدلية عند جادامر بعد تعديلها من خلال منظور جدلي مادي . نقطة بدء أصيلة للنظر الى علاقة المفسر بالنص لا في النصوص الأدبية ونظرية الأدب . فحسب . بل في إعادة النظر في تراثنا الديني حول تفسير القرآن منذ أقدم عصوره وحتى الآن» إشكاليات القراءة وآليات التأويل لنصر حامد أبو زيد ص٤٩ . وما قبلها .

يقول أحد كبرائهم ـ د. محمد أركون ـ أن الخط التحديثي الواجب إحتذاؤه هو خط العلمانية والعقلانية في مواجهة «الشريعة»[1].

وهو: «خط الغرب العقلاني والعلماني والليبرالي»[2].

لذلك فإنه يدعو إلى هذه «الحداثة العقلية والفكرية»[3] مقلدا للفكر الفلسفي الغربي!

هذه «الحداثة» التي دمرت في الغرب، ومزقت «بلفظ محمد أركون» بسط «الثابت» و«النهائي» ولذلك فهي لاتستمد مشروعيتها إلا من الفلسفة الإلحادية والعقل المستقل عن «الوحي» ولذلك فإن العلمانيين العرب يرفضون «المشروعية الإسلامية» و«المرجعية الدينية» تقليدا للفكر والحداثة الغربيين وسيرا على خط الحداثة في مواجهة الوحي والشرعية تأصيلا للمشروعية العلمانية في مواجهة «المرجعية الإسلامية» يقول د. علي حرب [علماني][4]: «هناك معيار يمكن استخدامه للفصل بين العلماني وغير العلماني، هو أصل المشروعية التي يرتكز إليها مجتمعٌ ما في تصوره لهويته، وفي إرساء نظامه وإدارة وحدته وتسيير شئونه، ففي المجتمع الديني، تستمد المشروعية، بل المعنى والنظام والوحدة، من خارج المجتمع، من مصدر فوقي، علوي... هذا في حين أن المشروعية، في المجتمع العلماني، هي على الضد من ذلك. تنبع من داخله لا من خارجه (!)... فلا

---

(١) ـ (٢) تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص٢٢٧. ٢٣٢.

(٣) الفكر الإسلامي. قراءة علمية ص ١٨١

(٤) أستاذ فلسفة. كاتب وباحث. له العديد من المقالات والدراسات المنشورة في المجلات الفكرية والعربية من كتبه «التأويل والحقيقة» دار التنوير ـ ١٩٨٥م. مداخلات «دار الحداثة ـ ١٩٨٥م». لعبة المعنى (المركز الثقافي العربي ـ ١٩٩١. الحب والفناء «دار المناهل ـ ١٩٩٠» ونقد النص ونقد الحقيقة وهما الكتابان اللذان سنستخدمهما في بحثنا هذا

مصدر إذن . لشرعيته غيره (!) » [١] .

فالمرجعية في العلمانية هي الإنسان المستقل عن الله . وعن الوحي . وعن الشريعة . وقول د . علي حرب هنا لا يخالف مفهوم العلمانية الغربي . إنه هو هو ! لا مكان للدين كمرجعية في العلمانية ، ولا شرعية للشريعة . ولا سلطان للوحي .

والمنهجان بناءا على ذلك مختلفين . إنهما كما يقول الدكتور العلماني محمد أركون : « طريقتين مختلفتين في الإدراك والوعي والتفكير والعمل والخلق والمعرفة » [٢] .

- إذن ليست العلمانية هي فصل الدين عن السياسة فقط !!!

لذلك ينتصر العلمانيون لا للإسلام كوعي ومعرفة وإدراك وتفكير وعمل وخلق وإنما للعلمانية كمصدر وحيد للمشروعية ، كمرجعية شاملة للحياة كلها وكما يقول د . أركون : « بصفتها فكرا وطريقة محددة لتشكيل مفهوم جديد عن السيادة والمشروعية » [٣] .

فالسيادة والمشروعية العليا . في العلمانية ليست للقرآن ومنهجه في الحياة يقول أركون « إن القرآن يؤسس وعيا خاصا بالعلم والتاريخ والدولة » [٤] . وهو ينادي ، ويطالب بالاقتداء بتاريخانية القرن التاسع عشر (العلمانية) : « التي توصلت إلى تهميش العامل الديني والروحي المتعالي وحتى طردته نهائيا من المجتمع » [٥] .

إنه يطالب - كالعلمانيين سواء - بتعبئة كل الجهود للقيام بعملية طرد للإسلام وسيادة ومشروعية القرآن من المجتمع !

---

(١) نقد الحقيقة ص ٥٧ .
(٢) الفكر الاسلامي . قراءة علمية ص ١٨١ .
(٣) المرجع السابق ص ١٨٢
(٤) المرجع السابق ص ٧٢
(٥) المرجع السابق ص ٦٨

«إن الدور الذي يلعبه «الإسلام» الأسطوري والجوهراني، والماهياتي الثابت والثبوتي في الخطاب الإسلامي المعاصر هو من القوة والهيمنة بحيث يلزم لمجابهته أن يعبئ كل الباحثين جهودهم»[1].

مجابهة العودة للإسلام كمرجعية ومشروعية عليا للحياة كلها، العودة التي يسميها جورج طرابيشي (علماني) «عملية سلخ جلد»[2] «وعي مدمر» و«اللاوعي»[3]. ويقول إنها: «جائحة أيديولوجية ووباء نفسي.. يتهددنا جميعا.. فالوباء لابد أن يوقف عند حده، وعدواه عن الانتشار.. وهذا ما يجب أن يكون أمر اليوم على مدى السنوات القادمة في لائحة مهمات كل مثقف عربي حريص على أن تُكتب له النجاة»[4].

وهكذا فكل مثقف عربي ينتمي للعلمانية يجب أن يواجه الإسلام كدين وثقافة وكرؤية للوجود وللقوة والهيمنة.. هذه هي دعوة عموم العلمانيين المنحرفين.

وليس الأمر، هو الصراع مع الخطاب الإسلامي المعاصر على المشروعية لمن هي؟ أهي للإسلام الذي يتبناه الخطاب الإسلامي أم للعلمانية التي يتبناها أهلها، إنما الأمر هو كيفية إخراج المجتمعات الإسلامية وليس الخطاب الإسلامي المعاصر وحده ـ من الإسلام إلى العلمانية الشاملة.

يقول د. هشام صالح [مترجم كتب د. أركون وصديقه الحميم !] في تعريف المجتمع الإسلامي الذي يريد (هو وأركون) تغيير وجهته من الإسلام إلى العلمانية، إنه «كل مجتمع يسيطر عليه الإسلام كدين وثقافة وكرؤيا للوجود:

(١) المرجع السابق ص١٦٥ — (٢) مذبحة التراث ص٢٤.

(٣) المثقفون العرب والتراث ص١٩ — (٤) المرجع السابق ص١١، ١٢.

أي كل مجتمع لم يدخل بعد ساحة العلمنة الحقيقية »[1]

ويجب عند د. أركون وغيره من العلمانيين المنحرفين أن تعبيء الجهود لإدخال المجتمعات الإسلامية في ساحة العلمنة الحقيقية الشاملة وليست الجزئية كما هي عليه اليوم في معظم البلاد .

لذلك تستهدف العلمانية نبذ الإسلام ونقد معالمه ، وتهديم معالم المجتمعات الإسلامية وطرد هويته الحضارية .

ولقد دخلت تركيا هذه « الساحة العلمانية » بسقوط الخلافة وتولي أتاتورك زمام الأمور وحكم الجمهورية الجديدة ، يقول د. أركون : « راح كمال أتاتورك ينجز ثورة علمانية حقيقية في بلد كان ولايزال متشددا إسلاميا ... خلق جمهورية تركية على غرار النموذج الغربي وألغى التقويم الإسلامي الهجري ، ثم ألغى الحروف العربية في الكتابة .. ثم حل وزارة الشئون الدينية ... »[2] .وألغى الجذور الإسلامية كلها ...

فالثورة الكمالية - يقول الشيخ يوسف القرضاوي - لـ كمال أتاتورك « كانت قد جعلت من العلمانية أساس الدولة وأساس التحديث فيها مما كان يعني أن الإسلام يجب أن يخرج من الحياة العامة »[3] .

ولقد كان ما فعله أتاتورك كما قال المستشرق فمباري (VEMBARI) هو نتيجة للتأثير والضغط الغربيين[4] .

---

(١) تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص٣٦

(٢) المرجع السابق ص٢٧٧

(٣) الإسلام والعلمانية وجها لوجه ص٦١ .

(٤) انظر الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين ص٤٥

تغيير معالم تركيا المسلمة وتحويلها من الإسلام إلى العلمانية وذلك بعد إسقاط الخلافة وإثارة النعرات القومية !

ولقد فرح « الغرب » بما آلت إليه تركيا المسلمة التي قادت العالم الإسلامي قرونا عديدة.

ورد في النصوص الاستعمارية السرية التي نشرت أخيرا ، وفي تقرير وزير المستعمرات البريطانية « أورمسي غو » لرئيس حكومته في ٩ / ١ / ١٩٣٨

« .. ومن أسباب سعادتنا أن كمال أتاتورك لم يضع تركيا في مسار قومي علماني فقط ، بل أدخل « إصلاحات » بعيدة الأثر (!) أدت إلى نقد المعالم الإسلامية لتركيا »(١).

الدكتور سمير أمين / علماني / كان يتمنى لو أن أتاتورك وحزبه قاموا بثورة ثقافية داخل الدين تكون أشد أثرا وأبعده مما قام به من نسخ أوروبا بشكل سطحي .. كان يتمنى لو أن الأمر كان نسخ العلمانية بشكل عميق وليس سطحي !

« لم يفكروا لحظة واحدة - يقصد أتاتورك وجماعته - أن ثورة ثقافية داخل الدين(!) هي إحدى نقاط البدء للحداثة الأوروبية ، وأن ثورة مشابهة في الإسلام كانت ممكنة وضرورية . لقد اكتفوا بـ « نسخ أوروبا بشكل سطحي »(٢).

وعلى ذلك فإن العلمانية تستهدف كما يقول الشيخ أنور الجندي رائد فضح وكشف الاستشراق الغربي والتغريب :

---

(١) نقلا عن هموم داعية ص ٩٢ . ٩٣

(٢) مقدمة الثقافة والأيديولوجيه في العالم العربي ص ٢٨

أولاً : عزل الدين عزلاً تاماً عن المجتمع وإتاحة الفرصة لقيام تربية لا دينية . وقيام نظام سياسي لا يستهدي بالشريعة وتأسيس الاقتصاد على أساس الربا .

ثانياً : إبعاد قطاع أصيل من الفكر الإنساني ، وهو جانب الروح والوحي وعالم الغيب وكل ما يتصل بالدين من أخلاق وعقائد وإيمان بالله ، وعزله عزلاً تاماً عن الفكر والحياة (*).

ثالثاً : إعلاء كلمة العقل والمادية ، والإلحاد ، وإقامة مجتمع علماني يقيس المسائل المختلفة ، سواء ما يتصل بالإنسان والمجتمع والحياة بمقاييس الحس والعقل والتجربة وحدها»(١) .

والعلمانية في الحقيقة لا صلة لها بالعلم ، إنما هي تمتطي العلم بغية طمس حقائقه واستخدامها لصالحها ! وتحريف أدلته وعزل نتائجه الكلية التي تثبت دقة نظام الكون ووجود حكمة بالغة من وراءه ، وأن هناك إلهاً لهذا الكون العظيم الباهر .

لكن كما قلنا فإن الغرب قد حرف «الحضارة» وأخذ نصفها المادي وترك الجزء الذي صنع به المسلمون انطلاقتهم الحضارية الباهرة . وأضاف الفلسفة العقلانية على النصف المادي حتى دخلت الحضارة في عالم الإلحاد وأشقت البشرية من جرّاء ذلك ما أدى إلى الفوضى الجنسية ، وتفكك روابط الأسرة ، وحربان كافرتان

(*) للأستاذ أنور الجندي بحسب شبهات التغريب ص٩٩ تصنيف لمذاهب الفكر فالفكر البشرى هو : حصيلة ذلك التراث الوثنى القديم المتضارب الذي اصطرع مع الأديان السماوية وحاول أن يثنى البشرية عن طبيعتها ونظرتها . أما الفكر الإنساني ، فهو عصارة الأديان والنبوات ، والكتب الكمنزلة ، ويقوم في أصفى مقوماته على «التوحيد» الخالص ، ومنه يستمد كل القيم والمقومات ، ولقد احتفظت الأمم التي نزلت فيها الأديان بذلك التراث القيم واصطنعته أسلوباً للحياة .

(١) سقوط العلمانية ص٢٠ . ٢١ .

في ربع قرن وتمزق الروح البشري وانحطاط العقل وضياع الأمان . النتائج المباشرة للبعد عن عبادة الله الشاملة . عبادته في العمل كما في المسجد ، عبادته في عالم الاقتصاد وذلك باتباع شريعته . كما في عالم الاجتماع والسياسة وعالم الفن والأدب ، عالم الإنسان(*) .

لكن العلمانية بسلوكها طريق الاستقلال عن الله والوحي الذي أنزله على رسله في هذه العوالم المترابطة المتشابكة التي تشكل عالم الإنسان ككل ، جرت البشرية إلى الشقاء وفقدان الأمان . بعد أن صورتها في صورة الحيوان وألبستها إهاب الحيوان وأباحت لها فعل الحيوان وأطلقت الدوافع الجنسية بدون ضوابط فطرية أو شرعية ، ما جعل عقل الإنسان عقل حيواني لا يؤمن إلا بالمحسوس من الطعام والشراب والجنس والمادة ، وروح حيواني لا يحس إلا قبضة الطين وبروز الحيوان ، ما جعل «العلم» مطموسا مغيرا للمفاهيم الحقيقية لغاية وجود الإنسان وعلاقته بالكون والحياة والإنسان !

ذلك لأنه انساق وراء الفلسفة التي ادعت العلمية والكونية والعالمية ، الفلسفة التي تخفت وراء العلم . ولبست إزاره ، وتكلمت باسمه حتى اختلط على الناس الفرق الضخم بين الفلسفة والعلم الحقيقي !

(*) يقول الأستاذ محمد قطب في هذا السياق أن أوروبا : أقامت السياسة والاقتصاد بمعزل عن القيم الروحية . وأقامت شئون الجنس بمعزل عن الأخلاق . وشئون الدنيا بمعزل عن الآخرة . وشئون الحياة بمعزل عن الدين وكانت النتيجة تصادم هذه القيم المقطوعة من جذورها المشتركة . والصراع المدمر العنيف . والشد والجذب في داخل النفس بصورة تتلف المشاعر وتمرض الأعصاب . فوصلت حوادث الجنون والانتحار وضغط الدم والأمراض العصبية والنفسية إلى درجة لا مثيل لها في التاريخ ، دراسات في النفس الإنسانية ص٦٣ .

أدوار العلمانية :

قلنا إن العلمانية التي جلبها بعض المثقفين العرب إلى بلاد المسلمين غير مسلمة المضمون والهوية، الاتجاه والخط، المشروعية والمصدر، الإدراك والتصور، العمل والمعرفة ولم نقل هذا من أنفسنا بل إنها تعريفات أقطاب العلمانية!

يصف لنا الدكتور فؤاد زكريا موقف الفصائل العلمانية في عالمنا العربي والإسلامي من «المشروع الإسلامي» : « فالعلمانية اليوم تضم القومي واليساري والليبرالي والمثقف غير المسيس وبقدر ما يختلف هؤلاء في تعريف مفهوم التقدم أوالإصلاح والنهضة، وفي تحديد نوع المسار الذي يسعون إلى توجيه المجتمع نحوه، فإنهم متفقون جميعا على رفض الأهداف التي يدعوا إليها التيار الإسلامي»[١] .

إن الدكتور فؤاد زكريا هو بحق شيخ العلمانية في عالمنا العربي والإسلامي، وهو هنا يؤكد أن الأهداف التي يدعو إليها المسلمون مرفوضة علمانيا، وكما تقدم من كلام د.أركون فإن ذلك مفهوم، فالذي يختار العلمانية لابد أن يواجه الإسلام في مفاهيمه الكلية أو على أقل تقدير في بعض مفاهيمه الضرورية، كالمفهوم الإسلامي للدين والدولة والعلاقة بينه وبين سياسة الخلق والرعية .

إن الدكتور فؤاد زكريا تبنى بدلا من الإسلام مفاهيم غربية مستوردة، وأقامها في مواجهة الحركة الإسلامية والأزهر الشريف، تبني الماركسية التي زعمت أن الدين والأخلاق والفطرة الثابتة من اختراع وسائل إنتاج المجتمعات الزراعية

---

(١) الصحوة الإسلامية في ميزان العقل .

القديمة! وتبنى «الفلسفة الوضعية» لـ «اوجست كونت»(•) التي دعت إلى رفض الدين وتجاوزه باعتباره لا يصلح إلا لتنظيم الشعوب البدائية . وأنه ليس سوى خطوة من خطوات الإنسانية نحو المبدأ العلمي الحديث(١)!

حاول بهاتان الفلسفتان ـ مع خليط من فلسفات أخرى! ـ أن ينسب «تخلف المسلمين» العصري إلى المرجعية الإسلامية! فعالج الحقائق الإسلامية والتراث الإسلامي بهذه الفلسفات التي واجه بها الحركة الإسلامية المعاصرة، وقف يتحدى «الوحي» بالعقل والفلسفة معطيا الهيمنة لا للإسلام ولكن للفلسفة التي آمن بها!

وذهب ليتحدى «التراث» اقتداءا بالنهضة الأوروبية التي رفضت الوحي ونادت باستقلال الإنسان والعقل مما أدى إلى الإلحاد الحديث، دعا إلى ذلك على «أساس الرفض الحاسم للتراث»(٢) وهو يرجح أن يقصره على الفترة الأولى من حياة المسلمين بحيث لا يتجاوز هذه الفترة، لا التراث ولا الدين ولا شريعة هذا الدين يحق لها أن تبقى كما كانت بل يجب في نظره أن يتجاوز كل ذلك!

وهو لا يخجل من إعلان ذلك ـ يقول: «الأوروبيون لم يخجلوا من إعلان رفضهم القاطع لتراث كامل ينتمي إلى صميم ثقافتهم وتمتد إليه جذورها .. ولم

(•) هو مؤسس المدرسة الوضعية التقليدية (١٧٩٨-١٨٥٧) وهي المدرسة التي تؤمن بأن ماعدا قضايا العلم الواقعي المحسوس فإنه لا يعدو أن يكون خيالا أو كلاما في كلام ويعبر عن ذلك فيلسوف الماني تأثر بـ كونت، وهو «لودفيج فورباخ» (١٨٠٤ - ١٨٧٢) فيقول «الله كان فكرتي الأولى .. والعقل كان فكرتي الثانية .. والإنسان بمحيطه الواقعي ـ هو فكرتي الثالثة والأخيرة» الفكر الإسلامي الحديث للدكتور محمد البهي ص٢٨١ الطبعة الثانية نقلا عن بينات الحل الإسلامي وشبهات العلمانية ص٢٩ .

(١) انظر سقوط العلمانية للجندي في تعريف الوضعية ص٢١

(٢) الصحوة الإسلامية ص٣٩

يكن موقف الرفض القاطع هذا ما يعيبهم(!) بل لقد أصبح هذا الموقف هو أساس مجدهم .. ولم يمنع ذلك . بطبيعة الحال من أن يتخذ الأوروبيون فيما بعد موقفا متوازنا (!) من التراث القديم حيث وضعوه في إطاره التاريخي (!) .. ولم يعد هناك ما يُخجل في الاعتراف بقيمة التراث الكلاسيكي وفي تمجيده بوصفه قوة كانت لها قيمتها التاريخية الكبرى في عصرها ، وإن تكن التطورات التالية قد تجاوزتها إلى حد لا متناه .. فهو يمجد لأنه كان شيئا رفيعا في عصره ، على حين أن تخلفه يظهر واضحا إذا ما قورن بالأوضاع التي تجاوزته في العصر الحالي »[١] .

فهو يعلن أن «المشروعية الإسلامية» يجب أن تتوارى مع التاريخ ، كما توارى تراث أوروبا المسيحي / الكلاسيكي ، أي الدين المسيحي ، والتراث الذي خلفه بما فيه من انحرافات كان المسلمون في الحقيقة قد أدانوه وأظهروا عيبه وخرافاته لكن يظهر أن الدكتور زكريا ماهر في طمس حقائق التاريخ وعلى هذا الأساس ينادينا بأن نتجاوز تراثنا مع أن هذا التراث بما فيه الوحي والسنة [*] هو الذي حرّض أوروبا على تجاوز تراثها الكنسي المنحرف وعلمها مبادئ العلم وطريق البحث العلمي والتجريب ، فكيف نتجاوز الإسلام وهو الذي حرّك نهضة أوروبا في بدايتها على التحرر من الدين المسيحي المنحرف والكنيسة التي تحالفت مع الإقطاع وأذلت الشعوب وفرضت على الناس الإتاوات كما فرضت عليهم أعمال السخرة فيما تملك من الأرض (كانت الكنيسة تملك ثلث أراضي إنجلترا كما قال

---

(١) الصحوة الإسلامية ص ٣٩

(*) يضع العلمانيون القرآن والسنة في التراث حتى يهدموهما مع التراث الإسلامي ! ونحن لا نقبل أن نضع القرآن الكريم في خانة التراث لأن التراث فيه الحق والباطل . ثم هو كلام الله ووحيا إلى البشر وليس جزءا من التراث صنعوه !

فشر في تاريخ أوروبا ص٢٦٢ هذا غير حياتها الخليعة كما ذكر ول ديورانت ويقول بأنها كانت أكبر السادة الإقطاعيين في أوروبا وأكبر ملاك الأرض (قصة الحضارة جـ١٤ ص٤٢٥)"[1].

تعلم الأوروبيون من الحضارة الإسلامية في الأندلس العلوم التجريبية التي انطلقت من التعاليم الإسلامية. كما تعلموا أن أفكار الكنيسة الدينية، والعلمية مخالفة للعلم الذي كان يعلمه المسلمون انطلاقا من القرآن والتجربة المعملية والنظر والخبرة على السواء.

فما الذي يدعونا إليه د. فؤاد زكريا ؟ أن نترك القرآن وشريعته ونحن الذين علمنا أوروبا الانفتاح على القوانين الطبيعية التي خلقها الله وتحكم الكون بأمره. علمناهم مناهج بحث وطرائق تفكير منفتحة على الكون تلتمس أسبابه وتنفع الإنسانية كلها.

علمناهم أن الحركة العلمية المواره لا تنطلق أبدا إذا كان هناك استسلام للخرافة وترك الأسباب لتعمل لوحدها بقدر الله، وإنما قدر الله الحقيقي هو الأخذ بأسباب الكون والتفكير وتعقل السنن الإلهية وتدبرها. السنن التي يجري بها الله قدره في الكون المادي وفي حياة البشر"[2].

علمنا أوروبا النظافة - كما يقول الشيخ محمد الغزالي - وإنشاء المدن المضاءة والشوارع الممهدة"[3].

فكيف نتجاوز هذا الواقع الفريد. وهذا النموذج الإنساني المتوازن المُصلح

(١) انظر مذاهب فكرية معاصرة ص٤٢، ٥٤، ٥٥ والتطور والثبات ص٢٦٧.

(٢) انظر كيف نكتب التاريخ الإسلامي ص٦٢

(٣) انظر علل وأدوية ص٩٩

للعالم. نظام حياة . وواقع جديد. رفيع كريم . نام متجدد للحياة البشرية غير منفصل عن الوحي ولا عن احترام العقل .

.. نظام ينشىء آثارا شعورية وخلقية وحركية في ضمير الفرد وفي سلوك الجماعة، وفي نظام الحياة تقف أمامه النظم الأرضية المختلفة عند مفرق الطرق[1].

لقد قامت الحركة العلمية في الأندلس وصقلية والشرق الإسلامي في ظل العقيدة وبدافع منها ، ومن قاعدة طلب العلم « فريضة » يتقرب بها الإنسان إلى الله ، وقيامها على هذا المنهج - يقول الأستاذ محمد قطب - : « قد صان هذه الحركة عن أن تُستخدم في إفساد العقيدة أو إفساد الأخلاق كما تستخدم الحركة العلمية القائمة اليوم في الغرب سواء في تقديم نظريات «علمية!» تنفي صدور الخلق عن الخالق .. أو فلسفات «علمية!» تسخر من الدين والأخلاق»[2] .

العلمانيون العرب يريدوننا أن نتجاوز الإسلام بزعم أنه حلقة متخلفة مضى عليها الزمن وعفى عليها الأثر وأكل عليها الدهر وشرب !

ومع أن معطيات الواقع التاريخي المحسوس الحقيقي تؤكد أن الإسلام صنع حضارة علمية تجريبية معملية باهرة ، وأنه حث على العلم، ونشط العقل على طريق البحث والاستكشاف ، اكتشاف سنن باهرة موجودة أصلا في الكون وما على الإنسان إلا البحث عنها واستخدامها لصالح إقامة عمران بشري آمن ومتوازن . مع ذلك فإننا نجد العلمانيين يحرفون حقائق القرآن والتاريخ .. ثم يطالبون بفضح المغالطات التاريخية «زعموا !!» ونقد تاريخي للقرآن والإسلام والحضارة الإسلامية وهذا أحدهم ، د.محمد أركون يطالب بـ« القيام بنقد تاريخي

---

(١) مقومات التصور الإسلامي ص٤٤

(٢) كيف نكتب التاريخ الإسلامي ص١٥٦، ١٥٧ .

تحديد أنواع الخلط والحذف والإضافة والمغالطات التاريخية التي أحدثتها الروايات القرآنية بالقياس إلى معطيات التاريخ الواقعي المحسوس»[1] !

طالب بذلك في محاضرة له. ألقاها في باريس عام ١٩٧٤ ضمن المؤتمر العلمي الذي عقدته «منظمة الدراسات الإسلامية»[2] (مؤتمر غربي مغرض!)

ويعتبر القرآن «عجيب مدهش ديني مرتبط بالفكر الأسطوري»[3] قاله في نفس المحاضرة وبما أنه وضعي كفؤاد زكريا ولا مؤمن فإنه يقول: فيما يخص اللا مؤمن أو الروح الوضعية وكما نقول اليوم فإننا نجد على العكس أن العجيب المدهش ليس إلا تنازلا مؤقتا يقدمه العقل للإثارة والظواهر الخيالية»[4].

فالقرآن ـ بحسب مزاعمه ـ: «القرآن يُنجز أو يبلور (بنفس طريقة الفكر الأسطوري الذي يشتغل على أساطير قديمة متبعثرة)[*] شكلا ومعنى جديد أي عملا متكاملا مجهزا بطريقة استخدام وإسلوبية خاصة في اللغة العربية» ومازال الكلام له في نفس المحاضرة الباريسية!

يقول في نفس المحاضرة ـ التي وضعها كفصل في كتابه الفكر الإسلامي ـ أن هدفه ـ زيادة على ـ ما قاله آنفا ـ هو: «القيام برد فعل ضد تراث طويل جدا من تفسير القرآن وقراءته»[6] قال في نفس المحاضرة أيضا أن عليه مهمة في هذا الشأن و«أن حجم المهمة كبير جدا»[7] ويذكرهم بالدكتور محمد أحمد خلف الله

---

(١) الفكر الإسلامي قراءة علمية ص٢٠٣

(٢) كما ذكر كتاب الفكر الإسلامي قراءة علمية ص١٨٧

(٣) المرجع السابق ص١٨٩ . (٤) المرجع السابق ص١٩٧ .

(*) ما بين القوسين من كلامه .

(٦ ٧) المرجع السابق ص٢٠٣

الذي كان قد اعتبر القصص القرآني قصص غير تاريخي. ليس حقائق تاريخية! الدكتور الذي كان يؤمن بالاشتراكية. يذكرهم أن هذا الدكتور ما كان يملك الأدوات التي تفيد في المهمة الكبرى! ولذلك لم يقم «خلف الله» بها كاملة. ويؤكد لهم أنه يستطيع القيام بالمهمة مع تجاوز ما وقع فيه خلف الله من: «حرصه على مراعاة الموقف الإسلامي الإيماني ونقص معلوماته فيما يخص البحوث الجارية اليوم في مجال التحليل الأدبي»(١)(*). فهل هذا هو «الفكر الحر» الذي يطالبون بفتح بلادنا الإسلامية للترحيب به بدلا من عزله؟ هل يمكن أن يصبح هذا الفكر

---

(١) المرجع السابق ص٢٠٢

(*) الدكتور خلف الله هو من مواليد ١٩١٦، الشرقية، مصر. حصل على ليسانس الآداب لغة عربية سنة ١٩٤٠، عمل عضو الأمانة العامة لحزب التجمع. أمين عام مساعد حزب التجمع ١٩٨٦م، عمل بوزارة الثقافة قال إن الإسلام دين العرب فقط مخالفا بذلك مفهوم الإسلام ذاته بأنه دين عالمي. للعالمين نذيرا وبشيرا يقول الدكتور عبدالرحمن بدوي بعد توبته العظيمة المهيبة: أن محمدا ﷺ كانت رسالته عالمية لكل أمم العالم ولو كان نبيا مرسلا فقط إلى الأمة العربية لما فكر في إرسال هذه الرسائل الأربع إلى حكام العالم المعروفين في ذلك الوقت يدعوهم إلى اعتناق الإسلام هم وشعوبهم.. يؤكد القرآن بوضوح أن النبي محمد ﷺ مرسل إلى الجنس البشري كله، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ الآية: ٢٨].. إذن ليس ثمة ريب في أن النبي محمدا ﷺ رسول من الله عز وجل إلى كل البشر دون تفرقة بسبب الجنس أو القومية أو الحدود أو اللغة أو اللون.. إن عالمية الرسالة المحمدية حقيقة ثابتة لا مراء فيها. دفاع عن القرآن ضد منتقديه ص٢٤ لكن د. محمد أحمد خلف الله كغيره من العلمانيين يردد أقوال المستشرقين يقول الأستاذ فهمي هويدي: (الرأي السائد عند عديد من المستشرقين البارزين. الرواد مثل كيتاني وفلهاوزن وميور والمحدثون مثل الإنجليزي مونتجمري وات والألماني رودي بارت. هو أن النبي لم يوجه دعوته منذ بعث إلى أن مات إلا للعرب وحدهم. وهو نص عبارة السير وليم موير) المفترون ص١٨٥ قال أيضا خلف الله: «الله معبود عربي، وأول بيت له بني بأرض العرب، من قبل أن يكون الإسلام.. وهكذا نستطيع أن نذهب إلى عروبة المرسل للرسالة (!). التي تعرف باسم الإسلام (!)» ص٢٤٢ من كتاب الندوة، والمرسل للرسالة المدعى عروبته ـ يقول الأستاذ فهمي هويدي ـ ليس سوى الله سبحانه وتعالى، فالمقولة خطيرة وتفتح الباب لتجريح الاعتقاد، المفترون ص١٨٦

تنوعا خلاقا ؟! هل كان هذا هو الفكر الحر الذي علم أوروبا كيف تتحرر من خرافاتها وتنطلق بأدوات الحضارة الإسلامية إلى التطور والتقدم ؟

من يعاني من من ، ألفكر المقلد للغرب يعاني كفكر حر - مزعوم ! - في العالم الإسلامي أم أن العلماء المسلمين والمفكرين المسلمين هم الذين يعانون من الدكتاتورية العلمانية والإرهاب الفلسفي ؟ إن الدكتور فؤاد زكريا ، شيخ العلمانية في العالم العربي والإسلامي ، والمؤمن بالماركسية والفلسفة الوضعية والمغرم بالوجودية وما شابه الوجودية يعاني كفكر حر في الوطن العربي والإسلامي !!! يقول : إن الوطن العربي يعاني في الوقت الراهن من قيود على إعادة الفكر الحر لم يعرف لها مثيلا منذ زمن بعيد »(١) .

يقول ذلك ، وهو الذي يحرض الدولة المصرية على التقليل من الحصة التي رصدتها للدين ومنحتها له في البرامج الإعلامية !

إنه يرفض أن : « تسخر أجهزتها الإعلامية لنشر برامج دينية تزداد مساحتها أوساعات إرسالها بإطراد »(٢) يرفض « اهتمام الدولة بنشر الموضوعات الدينية وإذاعتها على نطاق واسع »(٣) !

إن الدين عنده كما عبر عن ذلك يمثل مرحلة تاريخية غابرة فحسب ، وعصر العلم يتجاوزها ! يقول شارحا ومعلقا على فلسفة « أوجست كونت » التي يؤمن بها إيمانا أعمى أنها : « نظرت إلى المرحلة الدينية بأسرها على أنها مرحلة أولية من

---

(١) خطاب إلى العقل العربي ص ٤٤ .

(٢-٣) الصحوة الإسلامية ص ٥١ وفي هذا السياق تقول منى مكرم عبيد « نصرانية وعضوة في مجلس الشعب المصري وأستاذه في الجامعة المصرية » : (إن أخطر قرار أصدره عبدالناصر ، في مجرى صراعه مع الإخوان . كان تدريس الدين في مختلف مراحل التعليم » من مقالة لها في جريدة الحياة اللندنية) ١١ يوليو ١٩٩٧م العدد ١٢٥٥١

مراحل الفكر البشري (!) . ومن ثم فلابد من تجاوزها ، وبالفعل فإن عصر العلم يتجاوز هذه المرحلة بحيث لا تعود لنا من الأهمية إلا من حيث أنها تمثل مرحلة تاريخية غابرة فحسب »[1] .

قارن هذا التعليق مع ما ذكره آنفا عن موقف أوروبا من تراثها حيث تجاوزته التطورات إلى حد لا متناه ، وأن تخلفه يظهر واضحا إذا ما قورن بالأوضاع التي تجاوزته في العصر الحديث ، تجد أنه يعامل الإسلام كما تعاملت أوروبا مع المسيحية مع أن هناك فرق بين المسيحية المحرفة التي حرمت العلم وحرفت الدين ، في وقت كان النور يشع من الحضارة الإسلامية في الأندلس والشرق الإسلامي الموحد النور المنبثق من مشكاة القرآن وتعاليمه الحاثة على النظر في الكون والسعي في الأرض واستخدام سنة التسخير للسماوات والأرض ، لكن الدكتور زكريا يطمس حقائق التاريخ كما طمس حقائق الوحي في كتاباته ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [الصف الآية : ٨] فالعلم في الإسلام لم يتجاوز الإسلام وإنما توافقا وتلازما وتناسقا معا وصنعا حضارة زاهية زاهرة عظيمة أفاد منها العالم ومايزال !

فهي التي اخترعت منهجية العلم التجريبي ومشت فيه خطوات واسعة وطورت أساليب البحث العلمي وتعبدت لله في المعامل والمساجد والمدارس لكن عباد الغرب لا يفقهون ذلك ولا يعقلون .

بيد أننا لا نلتفت لأفكارهم المتهافتة وتحريفاتها وطمسهم للحقائق فالكون يشهد بأن « الإسلام » لا غيره ، هو الذي دفع العالم إلى التطوير والتثوير ، البحث والكشف ، إلى هذه الانطلاقة العلمية التي كان هو مصدرها وملهمها .

---

(١) الصحوة الإسلامية ص ١٥٦

فقد دعا إلى وجوب التعلم. واوجب تدبر آيات الله في الكون والتعرف عليها. بعد أن أخبر سبحانه أن السموات والأرض - بما تحويان من موجودات وطاقات مسخرة للإنسان بأمر الله: «**وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ**» [الجاثية: ١٣] فعليه إذن أن يحقق هذا التسخير بالفعل: [المشي في مناكب الأرض والأكل من رزقه]».

من تلك النقطة.. من هذا التوجيه انطلق العقل المسلم يرتاد الكون ويكفي أن يكون هو الذي أنشأ المذهب التجريبي الذي تقوم عليه كل فتوحات العلم الحديث»[١]

ويكفي أن نثبت هنا ما قاله «بريفولت» في الحضارة الإسلامية، التي قامت أساسا على أصول الإسلام ومبادىء القرآن.

يقول في كتابه «بناء الإنسانية - Making of Humanty»: «لقد كان العلم أهم ما جادت به الحضارة العربية[*] على العالم الحديث، ولكن ثماره كانت بطيئة النضج.. إن العبقرية التي ولدتها ثقافة العرب في أسبانيا، لم تنهض في عنفوانها إلا بعد وقت طويل على اختفاء تلك الحضارة، وراء سحب الظلام. ولم يكن العلم وحده هو الذي أعاد إلى أوروبا الحياة، بل إن مؤثرات أخرى كثيرة من مؤامرات الحضارة الإسلامية بعثت باكورة أشعتها إلى الحياة الأوروبية. فإنه على الرغم من أنه ليست ثمة ناحية من نواحي الازدهار الأوروبي إلا ويمكن إرجاع أصلها إلى مؤثرات

(١) التطور والثبات في الحياة البشرية ص ٢٣٥. ٢٣٦

(*) يقصد الحضارة الإسلامية كما قال فيما بعد ذلك أن التاريخ لم يعرف للعرب حضارة متميزة إلا بالإسلام. كما أن الحضارة الإسلامية لم تكن قط حضارة للعرب كجنس. إنما كانت نتاج الإسلام ذاته من جميع العناصر المسلمة التي دخلت في الإسلام. وهي تحمل طابع الإسلام لا طابع العرب. والعرب عنصر واحد من العناصر الكثيرة التي صنعت هذه الحضارة» من التطور والثبات أ. محمد قطب ص ٢٣٦.

الثقافة الإسلامية بصورة قاطعة ، فإن هذه المؤثرات توجد أوضح ما يكون ، في نشأة تلك الطاقة التي تكون ما للعالم الحديث من قوة متمايزة ثابتة ، وفي المصدر القوي لازدهاره : أي في العلوم الطبيعية . وروح البحث العلمي » .

ويستطرد فيقول : « وإن ما يدين به علمنا لعلم العرب ليس فيما قدموه إلينا من كشوف مدهشة لنظريات مبتكرة ، بل يدين هذا إلى الثقافة العربية [يقصد الإسلامية] بأكثر من هذا إنه يدين لها بوجوده نفسه » !

إن الحضارة الإسلامية ، والإسلام بطبيعة الحال . . بناء على هذه الحقائق ، ليست مرحلة غابرة كما زعم العلمانيون ومنهم د . فؤاد زكريا ، وأنه يجب تجاوز وجود هذه المرحلة ، كما دعا وطلب ، وذلك لسبب بسيط ، وهو أن وجود الحضارة مدين للمصدر الذي أمدها بروح البحث والتجريب ؛ وروح البحث العلمي ، الروح المنطلق من الدعوة القرآنية للنظر والتعقل والمشي في مناكب الأرض وآيات الكون .

يقول « بريفولت : « أما ما ندعوه « العلم » فقد ظهر في أوروبا نتيجة لروح من البحث جديدة ، ولطرق من الاستقصاء مستحدثة ، من طرق التجربة والملاحظة والقياسات ولتطور الرياضيات إلى صورة يعرفها اليونان .. وهذه الروح وتلك المناهج العلمية ، أدخلها العرب إلى العالم الأوروبي » (١) .

بيد أن أوروبا رفضت « الإسلام » الذي كان قد خلق هذه الروح في عالم المسلمين ! « رفضت أن تأخذ الإسلام ذاته عقيدة ومنهج حياة ، وعادت إلى الجاهلية

---

(١) عن كتاب « تجديد الفكر الديني » تأليف محمد إقبال ! ترجمة عباس محمود ص ٢٥٠ من الترجمة العربية نقلا عن مذاهب فكرية معاصرة ص ٥١٥ .

الإغريقية والرومانية تستمد منها بدلا من الدين الكنسي الذي لفظته. والدين الصحيح الذي رفضت بدافع العصبية ان تدخل فيه. ومن ثم عادت - كما قلنا - إلى العقلانية اليونانية بزيادة انحراف جديد هو النفور من الدين، والسعي إلى إخراجه من مجالات الفكر والحياة.

لقد كانت الجاهلية الإغريقية جاهلية وثنية خالصة في واقع حياتها، ولكن «المفكرين» و«الفلاسفة» فكروا في الله سبحانه وتعالى، وحاولوا تصوره على قدر ما اجتهدت عقولهم، فاهتدوا إلى وحدانيته وكماله وجلاله، ولكن تشعبت بهم الظنون في متاهات لا قرار لها.. أما جاهلية عصر الإحياء وعصر النهضة فقد سخرت «عقلها» في كيفية الاستغناء عن الله، وإخراج موضوع «الألوهية» من ميادين الفكر والحياة واحدا إثر الآخر»[1].

إن رفض الإسلام الذي أمد هذه الحضارة بالروح العلمية التي تكلم عنها «بريفولت» يعني رفض «الحياة» التي أمدت أوروبا بالطاقة وقام عليها البناء العلمي الذي اعترف علماء الغرب أنه مأخوذ من مصدر الثقافة الإسلامية! نعم. على هذا البناء ومن هذا المصدر قامت الحضارة الغربية، التي لولا سيطرة الفلسفة - ورفض الإسلام - عليها بعد ذلك لقدمت للبشرية الخير والبر والإحسان والأمان بدلا من الشقاء، والانتحار والجنون، والشذوذ والجريمة، والفوضى والسعار الجنسي، والضغط العصبي والنفسي وتمزق الروح البشري والانحراف عن الفطرة وعن دين الله والعبودية الحقة.

.. بيد أنه فوق هذه الجرائم التي يرتكبها العلمانيون العرب بحق الإسلام فإن

---

(١) مذاهب فكرية معاصرة ص٥١٦.

لهم جريمة كبرى ارتكبوها وهم يقومون بدور العبد للفكر الفلسفي الغربي ، هذه الجريمة هي أنه بدلا من إعلام أوروبا بالحقائق الإسلامية التي تختلف جذريا عن خرافات الكنيسة المنحرفة ومقدساتها الكتابية المزورة . بدلا من إعلامها بأن الإسلام ليس دينا ينبغي تجاوزه وأنه ليس اختراع الناس البدائيين وأنه دين الله ، ودين الفطرة البشرية ، دين حث على العلم ، واحترام العقل ، ودعا إلى التقدم والتطور واستخدام السنن الكونية وأن ذلك لا يتعارض مع مفهوم القدر في الإسلام ولا مفهوم العبودية الإنسانية لله ، ولا حقيقة الألوهية ، بدلا من إثبات هذه الحقائق وتوصيلها رسالة إلى أوروبا مع الحقائق التي قدمناها عن الإسلام وحضارته . قاموا بدور المستشرق الخبيث الذي كان يحارب الإسلام وشريعته زمن الحروب الصليبية وأزماننا المعاصرة سواء ، والذي يمدحونه فيما يقدحون في صحابة رسول الله ﷺ وعلماء الإسلام القدامى والمعاصرين سواء . قاموا بدور الزنادقة الذين خرجوا قديما على حضارة الإسلام يريدون شدها إلى زندقة الحضارات البالية وفسادها الأخلاقي وتخلفها الروحي ، قاموا بدور الصاد عن دين الله ما أدى إلى تشويه رسالة الإسلام عند الغربيين ، خصوصا والإعلام الغربي يستغل هؤلاء العلمانيين فيصنع معهم لقاءات تليفزيونية مغرضة - وآخرها كان لقاء قناة تليفزيونية ألمانية مع د. نصر حامد أبوزيد - ليصبوا في النهاية في بحر الغرب المظلم الغريق ، ويُضل بهم جماهير غربية غفيرة ، وقد كان يمكنهم بدلا من ذلك أن يستخدموا مناصبهم ومواقعهم وشخصياتهم في توصيل الحقائق التي دعا إليها الإسلام وأقام بها حضارة إسلامية زاهية ، لكنهم نكسوا على رؤوسهم وقلدوا تقليد القرود وغيروا جلودهم كما يغير الثعبان جلده !

لقد صنعهم « الغرب » ليكونوا « عقلية جديدة تعتمد على تصورات الفكر

العربي ومقاييسه. ثم تحاكم الفكر الإسلامي والمجتمع الإسلامي من خلالها بهدف سيادة الحضارة الغربية»[1] عقلية تريد: «إزالة عناصر التميز والذاتية. وخصائص النفس والعقل والمزاج المستمد من الإسلام، وقتل هذه الذاتية واحتواؤها»[2].

إنهم يقومون بدور الخديعة للأمة الإسلامية فيقدحون في الوحي الذي أنزل من عند الله وأمنت به، ويدعون إلى هوية أخرى غير هوية هذه الأمة وثوابت غير ثوابتها ومع ذلك يقولون نحن لا نفعل ذلك، ونحن قوم أمناء على هذه الأمة! وكمثال على ذلك، فإن أركون الذي زعم منذ قليل أن التاريخ يُظهر مغالطات قرآنية تشكيكاً للأمة في قرآنها، هذا «الأركون» الذي ينصف د. علي حرب قدحه وبحثه بالقول في سياق الدفاع عنه: «ولعل البحث لا يتقدم إلا بخلخلة الاعتقادات وزحزحة القناعات وتبديل زاوية النظر إلى الأمور والأشياء»[3] ويقول «كمال عبداللطيف» [كاتب علماني] مؤيداً لأركون في سياق دفاعه أيضاً عن أن الدراسات الشارحة للتراث لا تفيد لأنها: «تظل دون عتبة البحث المنهجي، الرامي إلى خلخلة الأصول ومساءلة الثوابت وإعادة المعطيات في ضوء الأسئلة الجديدة، والمفاهيم المستجدة»[4] وهي المفاهيم التي استعارها د. أركون من المذاهب الفلسفية الحديثة والتي تُحقر «الوحي الإلهي» وتنقد المفاهيم الدينية ويطبق أركون خرافاتها على القرآن فيقدح في هوية القرآن وهوية الأمة ويمدحه على ذلك «علي حرب» و«كمال عبداللطيف» هذا الدكتور السوربوني ليس له هم

---

(١) شبهات التغريب للجندي ص١٣ (٢) سقوط العلمانية للجندي ص٢٣

(٣) نقد النص ص٧٢

(٤) جريدة الحياة. الجمعة ١٦ مايو ١٩٩٧ العدد (١٢٤٩٥)

إلا طمس هوية هذه الأمة ليضع في رقبتها أغلال الغرب التي اشقتها . ومع علم د علي حرب بذلك وقد قدمنا قوله في خلخلة الاعتقادات وتأييده لأركون في ذلك - وسيأتي من هذه الأقوال الكثير ! - فإنه يدافع عن أركون قصد التلبيس على القراء وزيادة في التشويش والخلخلة وإمعانا في «الخداع» والمكر يقول « وإذا كان البعض يعترض على قراءة أركون التفكيكية بالقول أنها تؤدي إلى تفكيك الهوية وضياع المعنى ومن ثم يتهم صاحبها بالتهم المعروفة كالتخريب الثقافي ، ويصنفه بين الخارجين والمنشقين ، أو بين المستشرقين والمستغربين ، فما هي إلا أشكال للتصنيفات القديمة إياها .. فالنموذج العقائدي ، بما هو عقل مغلق (!) ، يرى إلى الاختلاف والمغايرة بوصفها ابتداعا وانحرافا ينبغي فضحهما وإداتنهما ، وقديما كُفِّر الفلاسفة على آرائهم واجتهاداتهم .. الإقرار بالاختلاف هو السبيل إلى التوحيد (!) وليس العكس كما يظن ويعتقد . على أننا لا ننظر إلى الاختلاف بوصفه ضلالا أو انحرافا ، بل بوصفه طريقا آخر (!) أو مذهبا آخر أو اجتهادا آخر (!) » [1] .

يقول ذلك في نفس الصفحة التي ذكر فيها أن عمل أركون هو خلخلة الاعتقادات وزحزحة القناعات !

ويعتبر ذلك فكرا واجتهادا آخر يجب إعطائه مساحة للنقد !

ومع أنه غارق في بحر الفلسفة المظلم إلا أنه ينفيها في حديثه عن مهمة الفكر وأنها تحرر من الشريعة ! : «فمهمة الفكر أن يفكر بالتحرر من كل وصاية ومن أية جهة أتت وسواء أكانت وصاية الفلسفة وأهلها أم وصاية الشريعة وأنمتها» [2] !

---

(١) نقد النص ص ٧٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٤ .

وهو يتهم عقيدة الإسلام بأنها « عقل مغلق » كما فعل اركون تبعا لمفكرين غربيين كما سيأتي في الفصل الذي صنعناه عن د. محمد اركون.

فإذا كانت الشريعة هي الإسلام وقوانينه ومبادئه وتشريعاته فإن التحرر منها يعني التحرر من الهوية الإسلامية وإذا كانت السلطة في الإسلام هي للشريعة الإلهية فإن التحرر من هذه السلطة تحرر من السلطة الإلهية.

إن د. حسن حنفي (*) يصب أيضا في هذا الاتجاه، يقول: « مهمة التراث والتجديد التحرر من السلطة بكل أنواعها سلطة الماضي وسلطة الموروث، فلا سلطان إلا للعقل ولا سلطة إلا لضرورة الواقع ... »(١)!

وسيأتي أيضا في الفصل الذي خصصناه لفكر د. حنفي قوله في عدم لزومية الوحي فالسلطان للعقل فقط!

فهل تحرر هؤلاء فعلا أم صاروا عبيدا لحفلات السيرك الغربي يغير لهم جلودهم كلما رأى ذلك مصلحة له ومسليا للنظارة الغربيين!

لننظر إلى قول المتحرر د. علي حرب التالي: « الفكر الغربي هو الذي أيقظنا من سباتنا الحضاري وفتح لنا أبواب النقد ... بحيث نغير جلدنا تماما كما يغير الثعبان جلده »(٢)!!! فأين التحرر من الفلسفة وأهلها هنا؟! وقد غيرت له جلده تماما كما يغير الثعبان جلده!!! لم يصل « الاجتهاد العلماني! » إلى هذا الحد، بل لقد طالب الأستاذ « كرم الحلو » من خلال مقالاته في جريدة الحياة التي تصدر من لندن بالغزو الثقافي ورياح الغرب المدمرة قال: « فليكن الغزو الثقافي الغربي

(*) رئيس قسم الفلسفة (الإسلامية) - آداب القاهرة.

(١) التراث والتجديد ص ٤٥ نقلا عن المثقفون العرب والتراث ص ٢١٧.

(٢) نقد النص ص ٤٣

الصدمة الكهربائية المنقذة من نهايتنا المحتومة ولتهب علينا رياح الغرب من كل الجهات لتغزونا ثقافة ولتستفزنا قيمه فربما كان من ذلك خلاصنا ويقظتنا من سبات طال وطال حتى كأنه الموت »[1] يقول ذلك ولا يسأل - يقول الأستاذ منير شفيق[*] - إن كانت بعض تلك الرياح صهيونية وبعضها متصهينة وبعضها جاء ليهب بأبشع ما جاء به الاستعمار القديم وبعضها جاء ليتحكم بالدولة والتعليم والحياة اليومية بأشد مما كان عليه الحال أيام الاستعمار المباشر، وبعضها يحمل كل ما يمكن أن توردده الثقافة المنحطة التي تشجع على.. تهديم العائلة. وتروج للعنف والجريمة وأنواع الانحراف »[2].

إن كرم الحلو يطالب بتذويب الهوية الإسلامية لصالح العولمة الغربية يقول: «فلنكف عن استحضار التاريخ واللوذ إلى رموزه صونا لهوية لم يعد ممكنا تأكيدها إلا بالانخراط أكثر فأكثر في ثورة العولمة والحداثة حيث الواقع العلمي الراهن يتجه نحو هوية (معولمة) من خلال التشكيل المستمر التي تخضع لها الهويات القومية»[3].

---

(١) جريدة الحياة بتاريخ ٥ / ١ / ١٩٩٨م

(*) الأستاذ منير شفيق. مفكر إسلامي فلسطيني. من مواليد القدس ١٩٣٦. عمل قبل انتقاله من أرض العلمانية إلى أرض الإسلام في إطار الحزب الشيوعي الأردني حتى عام١٩٦٥ له كتابات قديمة ماركسية مثل «الماركسية اللينينية والثورة المسلحة»، «الماركسية اللينينة ونظرية الحرب الثوري»، «في علم الحرب» وبعد إيمانه بالإسلام وتركه للماركسية ألف «الإسلام في معركة الحضارة»، «الإسلام وتحديات الانحطاط المعاصر»، «ردود على الطروحات علمانية».

(٢) جريدة الحياة بتاريخ ٢٨ / ١ / ١٩٩٨ العدد (١٢٧٥٠).

(٣) جريدة الحياة بتاريخ ٦ مارس ٢٠٠٠ العدد ١٣٥٠٩

إن جوهر ثقافة « العرب » اليوم هي إعطاء السيادة للإنسان المنحرف بديلا عن الله خالق الإنسان ، وكل العلمانيين يعلمون ذلك ، يقول أحدهم، د. محمد أركون عن « الغرب » : « نجد أن مركز السيادة قد انتقل من السماء إلى الأرض ومن الله إلى البشر »[١] .

فالدعوة إلى العلمانية « الغزو الفكري الإلحادي » تعنى إعطاء السيادة للإنسان وإبعاده عن الله ، نقلها من سيادة الشريعة الإلهية إلى سيادة عقل الإنسان .

وفي الحقيقة ، فإن انتقالها في « الغرب » كان إلى عقل إنسان الفلسفة الإغريقية اليونانية والرومانية الإباحية !

وقد جاء الإسلام لحرب هذه الفلسفات العقلانية المنحطة التي يريد العلمانيون العرب في العصر الحديث أن تنتصر ـ في أحدث صورها ! ـ على الإسلام !

الإسلام الذي قال عنه د. أركون بعد ملاحظة دقيقة : « نلاحظ في كل المجتمعات الإسلامية أن الإسلام بصوره المختلفة ... يشهد اليوم انتشارا وذيوعا لم يعرفها في ماضيه السابق كله »[٢] « الخطاب الإسلامي ذائع أكثر من أي وقت مضى »[٣] .

إذن، ستكون ضراوة المعركة بين الإسلام والكفر شديدة. أكثر من أي وقت مضى !

---

(١) تاريخية الفكر العربي الإسلامية ص١٨١

(٢) تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص١١٥

(٣) المرجع السابق ص١١٨

وقد أعطى الغرب أسلحته للعلمانيين العرب وغيرهم من أبناء البلاد الإسلامية الأخرى ليقوموا بالحرب المباشرة وغير المباشرة ضد هذا الدين وضد هوية هذه الأمة الإسلامية الحضارية . وضد خصائصها ومقوماتها بلا هوادة ولا ضمير !

إمتطى بعضهم « حصان طروادة » ودخل تخوم الإسلام والمسلمين ليهدم البناء من الداخل كما فعل أعلب العلمانيين !

فادعى د. حسن حنفي أنه مجدد الدين في القرن العشرين .. ثم نقد الوحي وعقائد الإسلام الثابتة. حتى قال عنه د. علي حرب - وهو أخ له في العلمانية !-: « حسن حنفي لا يستطيع نقد العقائد والمذاهب إلا باسم الدين نفسه »(١) !

ويوضح لنا إلى ماذا يسعى حنفي : « يسعى إلى قلب كل المفهومات »(٢) .

ويقول چورچ طرابيشي (علماني) عن حقيقة د. محمد عابد الجابري أنه يأتي العقل العربي - وفي الحقيقة الإسلامي (- متصديا له - في شبه حصان طروادة جديد - من داخل الأسوار »(٣) . !

سنتعرف بعد قليل على هذه النماذج الفريدة بشكل أكثر وضوحا !

إن د. فؤاد زكريا يُعري إخوانه الذين اختاروا أن يهدموا الإسلام من الداخل ، من داخل نصوصه الإسلامية ، ويصفهم بالخوف والخداع ! : « يمكن القول إن دخول الفكر الفلسفي العربي المعاصر في « لعبة النصوص » - وهو أمر أصبح عظيم الشيوع في هذه الأيام - هو ذاته أوضح مظاهر الخوف في الفكر الفلسفي »(٤) .

(١ ، ٢) نقد النص ص ٣٠ . (٣) مذبحة التراث ص ١١٨

(٤) الصحوة الإسلامية في ميزان العقل ص ١٥٦

لكنه يبرر خداعهم في التلاعب بالنصوص الإسلامية واستخدامها بأنه تلاعب بالنصوص تقتضيه الظروف ، إذ أنه قد يكون هو الوسيلة الوحيدة في ظروفنا الراهنة لوجود ألف قيد وقيد !

كان د. زكريا يود لو أنهم أعلنوا الهيمنة المباشرة للفلسفة على الوحي وانطلقوا منها لمواجهة هذا الوحي بدلا من دخول معركة يستخدم فيها أدوات الخصم وتنتهي بالهزيمة وانتصار الخصم !

إذ باتخاذ طريقة «لعبة النصوص» من قبل أغلب العلمانيين كما قال : «يظل جهده - يقصد هذا النوع من العلمانيين - في هذا الميدان محدودا ، وتظل مناقشاته ملتوية غير مباشرة .. مغلول بألف قيد وقيد ، بل قد يرغمه على اللجوء إلى الخداع»[1] .

والعلماني الذي يتخذ هذه الوسيلة لمحاربة الإسلام والفكر الإسلامي ينتهي - في رأي د. زكريا - إلى الهزيمة : «لأنه يكون في موقف المهزوم الذي سلم مقدما بأنه خسر أهم أرض يرتكز عليها فهو حين يفترض أن النص لا يقبل المناقشة (!) وحين يدعم موقفه الخاص من خلال النص يواجه بها تلك النصوص الأخرى التي يلجأ إليها الآخر . يكون قد سلم مقدما بأن النص هو المرجع غير القابل للمناقشة العقلية[2] .

فالنص عند شيخ العلمانيين ليس هو المرجع . إنما المرجع الفلسفة (الغربية ، طبعا) يقول « فالفلسفة تناقش كافة المسلمات »[3] . وترفض التسليم مقدما بأن النص «بحسب مصطلح العلمانيين ! » أو « القرآن الكريم » أو « الوحي

---

(١) المرجع السابق ص ١٥٧ (٢) المرجع السابق ص ١٥٥

(٣) المرجع السابق ص ١٥٣

الإلهي، هو المرجع الغير قابل للرد والتشكيك والمراجعة النقدية التي يقومون بها تقليدا للغرب الملحد .أنه يريد إنقاذ «الفكر الفلسفي» من الخضوع للنص الإسلامي ولو خداعا وتلاعبا لحين القضاء المباشر على الإسلام والفكر الإسلامي!

لأن ذلك تترفع عنه فلسفة الدكتور زكريا !، ويضعها في مأزق حرج ! مأزق أن يلجأ العلماني مرغما إلى ممارسة فاعليته بشروط الطرف الآخر وعلى أرض الطرف الآخر، وهو ما يترفع عنه ـ نظريا !ـ الدكتور زكريا !

فعندما يواجه العلماني مفكرا إسلاميا مخضرما فإن الارتباك المؤدي إلى التلاعب والخداع من قبل العلماني يصيبه بالذعر ما يجعله يهرب إلى نص إسلامي ليجد فيه مخرجا قد ينقذه من الموقف الحرج هذا .

يقول الدكتور زكريا : « فما الذي يفعله المفكر لكي يتخلص من موقف كهذا ؟ إنه يتحايل على هذا الموقف (!) بأن يلجأ هو بدوره إلى الاستشهاد بالنصوص لتأييد وجهة نظره الخاصة .. والمهم في الأمر أن الفكر الفلسفي، حين يجد نفسه مضطرا إلى التخلي عن طريقته الخاصة في البحث، وأعني بها طريقة مناقشة المسلمات مهما كانت أساسية، يلجأ إلى ممارسة فاعليته بشروط الطرف الآخر وعلى أرض الطرف الآخر. فلا يعود مرتكزا على المنطق الداخلي لحججه العقلية (!) وإنما يجادل في المسائل الدينية من داخل النصوص ذاتها مع تأويلها عقليا »[1] .

فاللجوء إلى أي نص، يستطيع « العلماني » ملئه بما يشاء من حججه المدعوه «عقلية» لمعارضة الحجة القاهرة هو الوسيلة الأكثر بروزا وانتشارا في عالم العلمانية المتسترة بالتفكير الإسلامي والاجتهاد الإسلامي وادعاء الإيمان بثوابت الإسلام !!!!

---

(١) المرجع السابق ص١١٥ .

وإذا أعوزهم الدليل وعلبتهم الحجة الإسلامية فإنهم غالبا ما يلجأون إلى الطعن واللعن.. والتهديد والوشاية .. والأكاذيب وخداع أكبر !

إن حضور الإسلام في المجتمعات الإسلامية، ويقظة مفكريه وعلمائه ، وتنامي الفكر والشعور الإسلامي لهو عائق في عملية الهدم المباشر ما أدى إلى سلوك أغلب العلمانين كما أشار د. فؤاد زكريا طريق التخفي داخل الفكر الإسلامي والتستر داخل حصونه لإعمال الهدم وتمزيق الإسلام من داخل الأسوار !

إن علاقة الفلسفة بالمسيحية المزيفة في الغرب أدت إلى تطاحنهما مما أدى إلى انهيار هذه المسيحية .. الشيء الذي جر هذه الفلسفة الغربية إلى إعلانات حاقدة مثل قول نيتشه «اللوطي !» «إن الله قد مات»[ء] ونيتشه كما يقول د . فؤاد زكريا «انه يبرر الشذوذ .. تبريرا يجعل منه ظاهرة سليمة»[١]

يقول د .فؤاد زكريا : « نجد تطورات هائلة تطرء على المفاهيم الدينية الرئيسية في ضوء النظريات العلمية الهامة كنظرية التطور والتحليل النفسي والنسبية . وسوف نجد مراجعة مستمرة لمفاهيم الألوهية والخلود والبعث (!) ، إلخ ، في ضوء التغيرات التي يجلبها التطور العلمي والفلسفي (!) »[٢] .

أصبحت هذه النظريات هي المبادئ الفلسفية التي قادت بعد ذلك البحث العلمي إلى الهاوية !، فلم يصر البحث العلمي مجردا من الهوى والفلسفة وإنما خضع لهما تماما ، حتى إن أوروبا الآن تزعم أن اللوطية حلال وذلك بالخداع الذي أضفته على « البحث العلمي » وكذلك زعم بعض علمانها وأقطابها ان « البحث

(ء-١) نيتشه للدكتور فؤاد زكريا ص ١٢٥ . ٤٦ . ١٣٣ . ١٣٤

(٢) المرجع السابق ص١٥٧

العلمي » لم يثبت وجود الله !

هذا هو التطور البطيء والساخن للحرب التي قامت مع الكنيسة المنحرفة قبل ثلاثة قرون من الزمان .

وكما اقتنعت الجماهير العربية اليوم بما تدعي الفلسفة أنه نتائج البحث العلمي الدؤوب من الإلحاد.واعتبار الأسرة شيء بدائي لا يجوز أن يثبت وغير ذلك من مزعومات تنسب للبحث العلمي وهو بريء منها . فقد اقتنعت الجماهير المسيحية بنتائج نظرية دارون التي قالت بأن أصل الإنسان حيوان ، وذلك بعد أن وقفت في بادئ الأمر في جانب الكنيسة ضد نظرية دارون لكنها ما لبثت أن غيرت موقفها غضبا من الكنيسة الطاغية .. وفرحت بالانطلاق والتحرر .. ولو في إهاب الحيوان !

وأصبح « التطور » الداروني الذي لبس مسحة العلم هو بداية تغيير كل شيء تحت مسمى « العلم » فأخذ التحليل النفسي لفرويد « حيوانية الإنسان » من دارون وأضاف أن هذا الإنسان الحيوان الغارق في الحيوانية دوافعه كلها جنسية فقال بأن الطعام جنس والشراب جنس والنوم جنس والصحو جنس والتبول والتبرز جنس والرضاعة جنس ومص الإبهام جنس والنشاط الفكري والنفسي كله نابع من هذه الفورة الجنسية .

فجعل الحياة كلها تنبعث في هذا « الجنس » حتى الدين والأخلاق !

استقذر « الدين والأخلاق » وادعى أن التسامي نوع من الشذوذ ! كما في كتابه « Three Contributions to the Sexuel theory » ص ٨٢

وفي كتابه « The ego & the id » ص ٨٠ يقول : « إن الأخلاق تتسم بطابع

القسوة حتى في درجاتها الطبيعية العادية !!"[1] ولم يستقذر بقية الجنس.

إن أحدا لم يلوث الإنسان بمقدار ما لوثه فرويد ، حين أصر على تفسير كل نشاطه بالتفسير الجنسي .. المغرق في الحيوانية ..

أسطورته الكبرى التي جعلها المحور الرئيسي لكل نظرياته .. أسطورة العشق الجنسي للأم .. أخذها ـ باعترافه [في كتاب Totem & Toboo] من مثال أورده دارون من عالم البقر ! ففي عالم البقر تهيج الثيران في موسم الإخصاب ، فتقتل أباها الشيخ ثم تقتتل فيما بينها على الأم ، كل يريد أن يفوز بها لنفسه ، فتموت الثيران الضعيفة أو تخور قواها مما تنزف من الدم . ويبقى الثور الأقوى . يفوز وحده بالأم ، ويلبي معها داعي الجنس !

وفرويد .. في بساطة .. بلا تحرج ولا تأثم .. ولا تأنيب ضمير .. ينقل هذه الظاهرة الحيوانية إلى عالم الإنسان ! .. وينسبها إلى البشرية الأولى ، كأنما قد شهد مولدها وعاين تحركاتها (*) وسجل ما جرى لها من الأحداث !

ويغفل ..في بساطة .. بلا تحرج ولا تأثم ولا تأنيب ضمير .. أن بعض الحيوانات ذاتها يأبى الولد منها أن يطأ أمه ولو دفع إلى ذلك دفعا وعوقب على الامتناع بالضرب الأليم .. ثم لا يكتفي بأن تكون تلك اللوثة المجنونة قد أصابت البشرية الأولى مرة .. بل يصر على تلويث الأجيال البشرية كلها ، فيزعم ـ على هدى الأسطورة ذاتها التي لا دليل عليها ! ـ أن كل ولد ذكر في التاريخ يعشق الجنس ، وكل بنت تعشق أباها بنفس العشق !

---

(١) انظر التطور والثبات ص١٩ ـ ٢٠ ودراسات في النفس الإنسانية ص١٧٤ ـ ٢٠٠ ـ ٣٦١ .

(*) قال تعالى ﴿ ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا ﴾ .
وتنطبق على شياطين الإنس والجن .

... أما «القيم» .. فهي الكبت لذلك «خسـ ! هي الوقوف في طريق «النمو الحر للطاقة الجنسية» (*) ! ـ التي يحددها فرويد ـ المتسمة «بطابع القسوة حتى في صورتها الطبيعية العادية» (**) هي التي ينشأ عنها القلق والاضطراب والعقد النفسية والانحراف والشذوذ» (١) .

إذن . فليتحرر الناس من القيم التي تحيل حياة الناس إلى جحيم ولينطلقوا بفلسفة فرويد كما انطلقوا في الغرب ! ـ إلى السعار الجنسي . ولتكن العلاقات الشاذة هي الأصل . وليكن التمتع بالمحارم والبنات والأخوات والأمهات كما يحدث في الغرب في ظل المجتمع المتعدد العلاقات والثقافات ، ولتزول البشرية التقليدية ولتكون بشرية التهجين العلمانية !

هذا النداء هو نداء المذاهب المادية المغموسة في حمأة الحيوانية ومستنقع البهيمية ونحن نرى اليوم، ونحن نعيش في الغرب . أن الحيوانيه هي الأصل والإنسانية كما نعرفها في عالم الدين هي في فرع النسيان !

إن مذهب «السببية الذي غيّر من مفاهيم الألوهية والوحي في الغرب هو مذهب عقلي يتجه إلى إزالة الله وما فوق الطبيعة من الكون كما يقول «جون برنتون» ويقول أيضا : إن السببية تهدم كل ما بنته الخرافات والإلهامات والمعتقدات الخاطئة في هذا العالم» (يقصد المعتقدات الدينية) ثم يقول «الإله

(*) يقول في كتاب Three Contributions ص ٨٥ إن الحضارة تتعارض مع النمو الحر للطاقة الجنسية !

(**) وفي كتاب The ego & the id ص ٨٠ أن الأخلاق تتسم بطابع القسوة حتى في درجتها الطبيعية العادية انظر التطور والثبات في حياة البشرية ص ٥١

(١) دراسات في النفس الإنسانيه ص ٣٦٠ . ٣٦١

في عرف نيوتن أشبه بصانع الساعة . ولكن صانع هذه الساعة الكونية ـ ونعني بها الكون ـ لم يلبث أن شد على رباطها إلى الأبد .. وإنه ليبدو أنه ليس ثمة داع أو فائدة من الصلاة إلى إله صانع هذه الساعة الكونية ، الذي لا يستطيع ـ إذا ما أراد ـ التدخل في شئون عمله »[1][٥] .

هذا هو التعديل الذي طرأ على مفاهيم الألوهية والوحي والبعث في عالم الغرب فأفسده وأورده موردا مهلكا ، وهو التعديل الذي يطالب به د. فؤاد زكريا لولا استحالته في المجتمعات الإسلامية ، للظروف ، للألف قيد وقيد !

يقول : « هذا النوع من التعديل في المفاهيم الرئيسية يستحيل تصوره في مجتمعنا ، بل إن محاولة كهذه تدان بشدة وتعرض صاحبها ـ ونحن في الربع الأخير من القرن العشرين ـ لأخطار معنوية ومادية شديدة »[٢] .

ولذلك فهو وإن كان قد سلك ـ نظريا فقط ! ـ طريق الفلسفة معرضا عن لعبة النصوص ، التي ستورطه في هيمنتها وهو ما يستكبر عنه ويأنف منه ! فإنه يعذر العلمانيون الذين اتخذوا طريق « التلاعب بالنصوص الإسلامية » واختراق

---

(١) جون برنتون . منشأ الفكر الحديث ، ترجمة عبدالرحمن مراد ص٢٧ نقلا عن حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية ص٥٧، ٥٨ .

(٥) لقد درس المسلمون ما امتدت إليه عقولهم من الكون وتعرفوا على بعض أسراره في حضارتهم واكتشفوا « أن هناك سببا لكل شيء يحدث في الكون المادي من نور وظلام وكسوف وخسوف . ورياح ومطر ، وجدب وخصب وزيادة ونقص .. إلخ إلخ . ولكن اكتشاف « السبب الظاهر » لم يكن فتنة لهم كما كان بالنسبة لنيوتن ومن بعده من العلماء ! فلم يجعلوه بديلا عن السبب الحقيقي وهو الله سبحانه وتعالى . فلم يستغنوا به عن الله ولم يتصوروا أن له حتمية تقيد مشيئة الله الطليقة بحيث يعجز سبحانه عن التصرف في الكون بما يشاء . كما توهم نيوتن وغيره » مذاهب فكرية معاصرة ص٥٢١ .

(٢) الصحوة الإسلامية في ميزان العقل ص١٥٧

الأسوار والهدم من الداخل لوجود ألف قد وقيد. أشياء لم توجد بهذه الصورة الصلبة في ظروف أسياده الغربيون !

لقد قام البعض وتجرأ وقدح في الوحي القرآني وقام بعملية نقد استعار أدواتها من المستشرقين وفلاسفة المذاهب الحديثة. لكن هذا البعض قليل إذا ما قارناه بالذين يستبعدون « الوحي والنبوة » من النقد الذي يسمونه « النقد اللاهوتي » يستعبدون هذا النوع من النقد لعدم توفر ظروفه !!

لنعرض الآن عن الذين قدحوا في الوحي مباشرة كالدكتور محمد أركون مثلا - فسنخصص له فصلا - ولنثبت مخطط رجال العلمانية الآخرون الذين اتخذوا طريق الهدم الغير مباشر وسيلة لتغيير معالم هذا الدين .

وندع أحد العلمانيين. يستدعي لنا أحدهم، يقول د. علي حرب عن د. محمد عابد الجابري : « أما الجابري فإنه يستبعد خطاب الوحي والنبوة من مجال النقد اللاهوتي ، لأنه يرى أن النقد اللاهوتي لم يحن أوانه بعد في العالم العربي . ولهذا فهو يقتصر في نقده على الخطابات التي نشأت وانتظمت حول نص الوحي والحدث القرآني »[(١)] .

ذهبنا نطرق أبواب فكر الجابري نفسه لنتعرف على مخططه ، ومن كتاباته ؛ فوجدناه يشرح ذلك ويقول : « لا الوضعية الثقافية والبنية الفكرية العامة المهيمنة(!) ولا درجة النضوج لدى المثقفين أنفسهم. يسمح بهذا النوع من

(١) نقد النص ص١١٦

الممارسة الفولتيرية للنقد اللاهوتي . ولا السياسه تسمح وبطبيعة الحال فالإنسان يجب أن يعيش داحل واقعه لا خارجه حتى يستطيع تغييره »[1] وفي كتاب آخر يقول :« الحاضر لا يسمح بقول كل شيء عن الماضي »[2] .

ويسمى « الفكر الإسلامي » المعتمد على « المرجعية الإسلامية » : القرآن والسنة فكر « لا عقلاني » ومهاجمته والقيام بعملية نقد للوحي والرسالة ستنتهي بالهزيمة للفلسفة التي سماها « العقلانية » يقول : « هناك من يرى أن من الواجب مهاجمة اللاعقلانية في عقر دارها . وهذا خطأ في رأيي ، لأن مهاجمة الفكر العقلاني في مسبقاته ، في فروضه ، في عقر داره (!) ، يسفر في غالب الأحيان عن إيقاظ ، عن عملية تنبيه ، عن حفزه على رد الفعل ، وبالتالي عن تعميم الحوار مابين العقل واللاعقل . والسيادة في النهاية ستكون حتماً للاعقل ، لأن الأرضية أرضيته ، والميدان ميدانه .. المسألة مسألة تخطيط . وليست خاضعة للصدفة ولا لمجرد الرغبة (!) ، وهي مسألة وعي (!) ، وعي بالمخاطب ، بالخصم (!) ، بميدانه وقوته ومدى قوة ردود أفعاله »[3] ويخاطب مجموعة العلمانيين الذين كانوا يحتفلون به ، ووضع هذه المحاضرة في كتابه « التراث والحداثة » ـ ويطالبهم بعدم اليأس : « طبعاً يجب أن لا نيأس ولا نقنط ، لأن

---

(٥) لكنه يدعو إلى ممارسة النقد اللاهوتي لا من ممارسته ولكن من خلال الفلاسفة والزنادقة القدماء : « يجب أن ننقد مفاهيمنا الموروثة .. يمكن أن نمارس النقد اللاهوتي من خلال القدماء (!) ، يعني أن نستطيع بشكل أو بآخر ـ الحوار الذي دار في تاريخنا الثقافي مابين المتكلمين ، بعضهم مع بعض ، وما بينهم وبين الفلاسفة . ونوظف هذا الحوار .. لنا حرمات يجب أن نحترمها حتى تطور الأمور ... المسألة تطور » التراث والحداثة ص ٢٦٠

(١) التراث والحداثة ص ٢٦٠ (٢) المغرب المعاصر ص ٨١

(٣) التراث والحداثة ص ٢٥٩

المرحلة مرحلة قرن أو قرنين(!) وهما لا شيء بالنسبة لتحقيق نهضة (') على المستوى الذي نطمح إليه »[1].

إلا أنه يذكرهم أنه لابد من التحرر من هذه الهيمنة التي تحافظ على ثوابت القرآن ومبادئ الإسلام وصحة الرسالة الإلهية - التي لم يحن وقت نقدها من طرفه ! - : « إن مهمة الفكر . مهمتنا جميعا ، هي التحرر من هذه الهيمنة . وهذا هو الذي يُبرر من قبل ضرورة الفلسفة ، ومن ضرورة العقلانية »[2] !

إن وقع مصطلح « العقلانية » على الإنسان العربي ليس سيئاً ! ، مع أن العقلانية في عالم الغرب - في صورتها الأخيرة ! - تعني سيادة العقل واستقلاله عن الوحي والشريعة الإلهيين لكنه لم يتضح بالقدر الكافي في عالمنا العربي والإسلامي ، وكذلك مصطلح « الفلسفة » خصوصا « الفلسفة » الغربية التي ذكر د . فؤاد زكريا أنها غيرت المفاهيم الدينية وحقيقة الألوهية وقدحت في الوحي والرسالة وألغت النبوة والدين ، فإنها أيضاً تجد قبولاً كمصطلح لا غبار عليه في المفاهيم التقليدية . وكذلك « الديموقراطية » !

أما مصطلح العلمانية فقد صار بعد فضحه ، مصطلح سيء السمعة ، ولذلك فإن الجابري الذي أتى متصديا للعقل المسلم في شبه حصان طروادة جديد - من داخل الأسوار كما أكد طرابيشي - يقول : « من الواجب استبعاد شعار العلمانية من قاموس الفكر العربي وتعويضه بشعاري الديموقراطية والعقلانية ، فيما اللذان يعبران تعبيرا مطابقا عن حاجات العربي »[3] !

(١ - ٢) المرجع السابق ص ٢٥٢

(٣) مجلة اليوم السابع . السنة ٥ . العدد ٢٥٦ ، ٣ نيسان أبريل ١٩٨٩ ، نقلا عن المثقفون العرب والتراث ص ٢١

ومعلوم أن شعار «الديموقراطية» في معناه الأصلي والعربي يعني أن الحكم للشعب وللإنسان لا للشريعة والوحي الإلهيين وإذا تعارضا فإن الحكم يكون للشعب !

إن حدود الديموقراطية الغربية تصل إلى هذا الحد ولا تقف عند حدود وضوابط الإسلام وكذلك العلمانية والعقلانية والاشتراكية والرأسمالية !!

صحيح أن في الديموقراطية جوانب حق (إذا أنكرناها أنكرنا حقا جاء به الإسلام نفسه !!) وإلا لما لقت رواجا مثل حق الإنسان في الكرامة والحرية وغير ذلك من إيجابياتها لكن تبقى الديموقراطية كما هي مطبقة بالفعل في الغرب تلغي الوحي والشريعة ولا تقبلهما مصدر القيم والقانون !..

وتبقى الديموقراطية كما هي عند العلمانيين الذين يجاهرون بالعداء للدين ورفض العقيدة وهم يسعون إلى هدم أساس المجتمع الإسلامي، تبقى هي هي ديموقراطية الغرب بلا أدنى اختلاف إلا في التطبيق ! فتطبيقاتها من قبل هؤلاء العلمانيين يقلبها إلى «دكتاتورية» وليس «ديموقراطية» !!

وعلى كل حال، فإن مطالبة «الجابري» باستبعاد «مصطلح العلمانية» واستبداله بمصطلح «الديموقراطية» لا يدل إلا على خداع الأمة والتلاعب بعقولها !

إنه هو هو نفسه يعترف ويجادل غيره(*) بالتالي : «وإشكالية الديموقراطية نفسها ألا يمكن البرهنة على أنها هي الأخرى - إذا انطلقنا من نفس المنطق

(*) كان الجابري يجادل «برهان غليون» الذي كان قد طالب بإشكالية الديموقراطية بديلا عن الإشكالية المصطنعة والمنقولة عن الغرب «إشكالية فصل الدين عن الدولة» كما في كتابه «المسألة الطائفية ومشكلة الأقليات». أنظر المثقفون العرب ص ٧٠

وسلكنا السبيل - «إشكالية مصطنعة ومنقوله عن الغرب"» ويقول «الديمقراطية» لغة وإشكالية. منقولةإلينا هي الأخرى عن الغرب بنفس الدرجة التي هي منقولة إلينا، من نفس المصدر. «العلمانية» مصطلحا وإشكالية»[1].

الذي نريد أن نؤكده ونبرزه هنا. هو أن «الجابري» يحاول إحلال مصطلح «الديموقراطية» محل «العلمانية» لأن الأخيرة ستفضح العلمانيين!

أما «الديموقراطية» فكل من هب ودب يستخدمها وهي «حلوةالمذاق» في فم الجميع. لذلك استخدامها يكون الأفضل والأمثل في معركة العلمانية مع ثوابت الإسلام وعلماء العالم الإسلامي ومفكريه، فإن بعضهم قد يقبل التعامل مع المصطلح - مع أخذ الحذر من مضمون الجادل! - ولا يقبل مصطلح «العلمانية» لأنه فضح فضحا تاما!.. وقد يكون ذلك لما في الديموقراطية من مبادئ تتفق مع الإسلام!!

ولذلك وجب سحبه من «حلبة» اللعب وتغييره بوجه مقبول نوعا ما!

الأمر الأكثر دهشة وإثارة، هو أن الجابري في عملية التلاعب بالمصطلحات التي يقوم بها بغرض التعمية على الأمة واللعب على نظيف!، يذكرنا بما فعله المستشرقون مع مصطلح «مستشرق» و«الاستشراق»، فلأن هذا المصطلح فضح بجدارة في العالم الإسلامي بأنه الذراع الفكري للتبشير والاستعمار وأنه يحكمه الحقد على الإسلام وتشويه مجتمعاته. لأن المصطلح صار سيء السمعة وكشفه علماء الإسلام، فإن المستشرقين اجتمعوا في صيف ١٩٧٣ في «باريس» ليغيروا «المصطلح» عسى أن يخرجوا من «مأزق» الفضيحة الاستشراقية!

---

(١) الخطاب العربي المعاصر ص ٩١ . ٩٢ نقلا عن المثقفون العرب والتراث ص ٧٠ . ٩٠ .

يقول المستشرف « برنارد لويس » عن ذلك   لقد اصبحت كلمة « مستشرف منذ الآن فصاعدا ملوثة هي الأخرى ايضا . وليس هناك اي امل في الخلاص (') حتى أولئك الدين كانت تدل عليهم تخلوا عنها (!) . وقدتجلى هذا التخلي رسميا في المؤتمر الدولي التاسع والعشرين للمستشرقين الذي عقد في باريس صيف ١٩٧٣ »(١).

فالشعارات المفضوحة كالعلمانية والاشتراكية والاستشراق والتي تحمل مضامين غير إسلامية فوق أنها تحمل الحقد على الإسلام وتسعى لهدمه !، هذه الشعارات لا يجرؤ أهلها أن يتبنوها شعارات أيدلوجية معلنة، على الرغم من أنهم قد يقومون بتطبيق مضمون هذه الشعارات والمصطلحات في بلاد المسلمين بدرجات متفاوتة ، قد تكون شديدة الوضوح والبروز كما في تركيا وتونس اليوم، وقد تكون التطبيقات بطيئة الحركة يعمل على تغطيتها بالشعارات الإسلامية التي أحلوا مضمونات العلمانية مكانها (بدون شعارات العلمانية !) وتفريغها من مضمونها الإسلامي فإسلام بلا مضمون وعلمانية بلا شعار أمور تقوم بها الحكومة العلمانية في عالمناالعربي والإسلامي !

وكمثال ندع الجابري نفسه يخبرنا عن الحالة في المغرب المعاصريقول : « .. وأكثر من هذا يمكن للدولة فيه أن تكون «علمانية» المضمون، كما هو الحال اليوم، ولكنها لا يمكن أن تتبنى العلمانية شعارا أيديولوجيا . بل لابد أن تعلن باستمرار ـ على مستوى الخطاب الرسمي على الأقل ـ عن تمسكها بالدين والعمل على نصرته »(٢).

---

(١) الاستشراق بين دعاته ومعارضيه . تحت عنوان « مقالة الاستشراق » لبرنارد لويس .

(٢) المغرب المعاصر ص٧٣

الدكتور العلماني محمد أركون يخبرنا عن حالات أخرى !. «في الواقع إنه على الرغم من توجيهها العلماني فإن الناصرية كانت تهتم بنفس الموضوعات الأساسية والمحورية المشتركة لدى الحركات الإسلامية كافة(!) وتعطيها الأولوية والامتياز ... ونحن نجد الظاهرة نفسها لدى الجزائر الاشتراكية والنظام الملكي للحسن الثاني معا، كما نلاحظ أيضا أن .. صدام حسين الذي يقدم نفسه بمثابة المثل الكبير للبعث العلماني على تحبيذ انتشار النزعة الإسلامية»[١].

إن الدكاترة العلمانيون هؤلاء يفعلون نفس الشيء على مستوى الفكر والنظر، ففيما يقومون بتمرير وإدخال نظريات ملحدة إلى الفكر الإسلامي والدراسات القرآنية والتاريخية فإنهم لا يملون من تكرار الدعوى بأنهم مفكرون مسلمون ومجتهدون معاصرون! المضمون علماني والشعار إسلامي !!!

والجابري ومحمد أركون وغيرهما يقومون بفضح هذه النظم العلمانية الفاشلة ـ فيما يقوم غيرهم من العلمانيين بتأييدها! ـ كما رأينا من مقالة أركون الآنفة الذكر، ولا ينظرون إلى أنهم ـ أو بعضهم ـ غالبا ما يكونون هم المنظرين الفكريين لهذه الحكومات العلمانية، وحتى إن كان بعضهم يهاجم هذه المضامين العلمانية وإن تم تطبيقها من جهة الحكومات بطرق تختلف عن مواقعها الغربية الأصلية![*]

خديعة أخرى، على هذا الجانب، وهذا المستوى العلماني، يقوم بها د. نصر حامد أبوزيد، الذي ادعى أن المعركة بين الإخوان المسلمون وبين عبدالناصر لم

---

(١) الفكر الإسلامي ص٣٨

(*) بتهم مخترق الأسوار. د. الجابري أصحاب الدعوة إلى الشريعة الإسلامية بأن أيديهم غير نظيفة!! انظر التراث والحداثة ص١٠ . وعملاء لجهات أجنبية !!

تكن صراعا بين الإسلام والعلمانية لأن عبدالناصر ـ بزعمه ـ لم يكون ـ بحسب لفظه ـ علمانيا ! والسبب ـ يقول ـ لأن تبرير الاشتراكية ـ الناصرية كان إسلاميا !" (*) .

في هذه الجملة مجموعة من المغالطات، وللأسف الشديد تظهر من أستاذ جامعي وأكاديمي ! وذلك أن الصراع (في الحقيقة) بين الإخوان وعبدالناصر كان على تحكيم الإسلام ومضمونه أو الاشتراكية وتطبيقاتها في صورتها العربية ـ ولم يكن صراعا يدور حول السياسة والحكم.

إن السبب الذي دعى عبدالناصر إلى تبرير اشتراكيته إسلاميا هو قوة الحضور الإسلامي في وعي الأمة الذي كانت الحركه الإسلامية تسعى لتمكينه وتقويته .

ومن المعلوم أن الذين يبررون سلطاتهم بشعارات إسلامية فيما هم يتبنون المضامين العلمانية لا يغيرون الحقيقة التي يحاولون حجبها .

من المغالطات أيضا نفي صفة العلمانية عن عبدالناصر وهو المؤمن بالإشتراكية وهي مذهب علماني وليس ديني، والعجيب من رجل يدعي المنهجية والعلمية أن يقول أن عبدالناصر لم يكن علمانيا .

إن الطريقة التي يقوم بها نصر أبو زيد هنا لا تخدم الحقيقة إنما تخدم العلمانية باطلاق، العلمانية الدكتاتورية الحاكمة والعلمانية الفكرية المخادعة تلك التي تؤيد هذه الحكومة أوتعلن فشلها !ـ ومع ذلك فهو يتهم غيره بالتلفيق والتلوين ! !ـ فالأمر في النهاية هو الجدل بين هذه الأطراف العلمانية حول الطريقة المثلى للقضاء التام ـ سريعا أو بطيئا ـ على المضمون الإسلامي والحقيقة

(*) قال ذلك في حديث صحفي مع مراسل صحيفة، عربية، تصدر من هولاندا .

الإسلامية لتحل محلها المضامين العلمانية التي تؤدي في النهاية إلى عزل الدين وضياع الهوية . والتمكين للتغلغل الغربي العلماني بمضامينه الخادعة وفلسفاته المنحطة وهو الذي لا يهمه المظاهر السطحية بقدر ما يهمه التمكين للمضامين !

يقول المستشرق «هـ ، أ ، ر ، جب» في كتاب [إلى أين يتجه الإسلام] ! : «إذا أردنا أن نعرف المقياس الصحيح للنفوذ الغربي ، ولمدى تغلغل الثقافة الغربية في الإسلام، كان علينا أن ننظر إلى ما وراء المظاهر السطحية .. علينا أن نبحث عن الآراء الجديدة والحركات المستحدثة التي ابتكرت بدافع من التأثر بالأساليب الغربية ، بعد أن تهضم وتصبح جزءا من كيان الدولة الإسلامية (!) فتتخذ شكلا يلائم ظروفها»[1] .

إن الهدف الذي يهدف إليه هذا المستشرق « هاملتون .. جب » بحسب قوله في كتابه الذي ألفه مع مجموعة من المستشرقين «وجهة الإسلام» ، هو : «إلى أي حد وصلت حركة تغريب الشرق ، وما العوامل التي تحول دون تحقيق هذا التغريب» ظهر الكتاب سنة ١٩٣٠م .

حاول «جب» وجماعته أن يوحوا بأن الإسلام كان عظيما ونافعا وتقدميا أيام زمان ! ، أما اليوم فهو عقبة في سبيل التقدم ، ولا مجال لهذا التقدم إلا بالأخذ بوسائل الغرب في كل شيء، فوضعوا من خلال المديح والتمجيد ما يشاؤون من التشويه والتشكيك والإلغاء الذكي[2] .

إنها نفس فكرة شيخ العلمانية د.فؤاد زكريا !

---

(١) الترجمة مأخوذة من كتاب « الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر » . Withe . Islam p.328.329 نقلا عن الفكرة الإسلامية والفكرة العربية للندوي ص١٠٣ .

(٢) انظر التطور والثبات ص٢٦٥ .

نعم، لقد احتجب المبشرون عن العمل المباشر . بعد أن اطمأنوا إلى قيام تلاميذهم «المسلمين» بالدعوة بدلا منهم . واطمأنوا إلى سياسة الدولة التعليمية التي أوحوا بوضعها عن طريق الاستعمار الذي كان بيده مقاليد الحكم والتوجيه .. واطمأنوا أخيرا إلى تكبير تلاميذهم وتضخيمهم حتى يصبحوا هم قادة الفكر والتوجيه[1] القادة في الفكر والتوجيه الذي نقلوه تقليدا وعكسوه كما هو كما اعترف أخيراً الدكتور . زكي نجيب محمود ـ بعد توبته ! ـ قال : «وقد تحولنا بقدرة قادر إلى مرايا، لكل مرآة منها ما تعكسه على سطحها من تلك المذاهب المتنازعة، ولم تقنع مرايانا الفكرية بأن تعكس أضواء سوانا، بل أخذت بدورها تعترك ليهشم بعضها بعضا وهكذا أخلصت كل مرآة لما عكست»[2] .

وهكذا .. فهناك محاولات ضخمة واختراقات مفضوحة تقوم بها العلمانية المطلقة على محاور شتى (وتقاومها بعض الحكومات في العالم الإسلامي) لتغريب المجتمع المسلم في هذا الشأن يقول الأستاذ / فهمي هويدي أن التغريب «يشكل منعطفا في مسيرة الإنسان العربي المسلم ويدفعه إلى الانسلاخ على نحو تدريجي من نموذجه الحضاري الخاص والتعلق بالنموذج الغربي»[3] .

إن الدسائس التي تقوم بها الفئة المستترة من العلمانيين تجاه الإسلام تصب في اتجاه الغرب ولمصالحه الأيديولوجية مهما أنكر العلمانيون ذلك فالدكتور حسن حنفي الذي يدعي أنه فقيه إسلامي كبير !(وهو علماني خطير) يدعو للإجهاز على هذا الدين الإسلامي العظيم ويقول في ذلك : «أن نقد التراث الديني هو

---

(١) المرجع السابق بتصرف ص ٢٦٤ . ٢٦٥ (٢) حصاد السنين ص ١٦٩ .

(٣) مجلة المجلة ١٣ / ١٩ شهر فبراير ٢٠٠٠ العدد ١٠٤٠١ .

الشرط الضروري لنقد المجتمع. وأن نقد الدين هو المقدمة لتحريك الواقع وثورته»[1].

إن الظروف فقط هي التي جعلته لم يبدع لتغيير عقائد المسلمين الأساسية من الإيمان بالله وأنه خلق وأبدع هذا العالم، يقول: «إنني حتى الآن لن أبدع ديكارت ولا كانط ولا ماركس، لأن الواقع عندنا مازال مغطى: أي أن الله موجود والعالم مخلوق والنفس باقية ... والتحدي الأعظم هل هو نحن قادرون على التنظير المباشر للواقع»[2]!

فالواقع الإسلامي دائماً عائق أمام الضرب الساخن والإسراع بالهدم المطلوب!

د. حسن حنفي يعاتب الفئة من دعاة «الاكتفاء الذاتي للجديد» بأن غلطة هذه «الفئة من الناس» التي -بحسب كلامه!- «تسبق الغالبية العظمى بمراحل وتنتهي إلى العزلة» هو تجاهلها أن «التراث»: «أحد مكونات الواقع» و«جزء من المخزون النفسي للمعاصرين».

إنه يريد تحدي هذا الواقع كما هذه الفئة تماما، لكنه يرى العوائق ظاهرة والحواجز بارزة، والمخزون العقلي والإيماني والنفسي ضخم، لذلك يعتب على هذه الفئة طبيعة عملها التي تتمثل في إعمال البناء فيما البناء القديم مازال قائما يقول: «فبي على حق من حيث المبدأ (!) وعلى خطأ من حيث الواقع فتسرع بإعادة البناء والقديم مازال قائما، تبني فوق بنيان متهدم قائم دون أن تكمل الهدم لتعيد البناء من جديد»[3]!

(١) الجذور التاريخية لأزمة ... الحرية والديموقراطية في وجداننا المعاصر. في الديموقراطية وحقوق الإنسان في الوطن العربي ص١٧٨. ١٧٩ وانظر المثقفون العرب والتراث ص٢٤٤.

(٢) مجلة الثقافة الجديدة ص١٤. ١٥ نقلا عن المثقفون العرب والتراث ص٢٤٤

(٣) التراث والتجديد ص٢٤. ٢٥ نقلا عن المثقفون العرب ص٢١٧. ٢٣٣

إن مشروع الهدم الذي قام به د. حنفي استغرق عشر سنوات كاملة - وهو مشروع واحد من مشاريع له كثيرة ! - وهو موسوعة من « العقيدة إلى الثورة » أي (الثورة على العقيدة) كان هدما شديدا للوحي والرسالة والنبوة والدين والقيم والمباديء الإسلامية « هدم » للتاريخ الإيماني العريق وللفكر الإسلامي المبني على الوحي القرآني في مقابل إنصافه للدهرية والزندقة وبصورة ظاهرة جدا .

فهو لم يكتف بالتجديد ، وإنما أعاد صياغة القديم(*) بحيث ينطق بالجديد ، مع هدم القديم ونقد الدين ! وإنكاره المتقدم على دعاة الاكتفاء الذاتي بالجديد ، هو فقط لأنهم لم يستخدموا ما أسماه القديم في المعركة الشديدة الأوار لصالح الجديد نفسه !

كذلك الدكتور العلماني « محمد النويهي » في كتابه الذي يحمل اسم - البرامج : نحو ثورة في الفكر الديني !! [لاحظ أن د.حنفي كتب من العقيدة إلى الثورة والنويهي يدعو لنفس الثورة على العقيدة !!] كتب يقول معاتبا نفس هذا الفريق : « أول الخطأين أنهم لم يقدروا تقديرا تاما مدى سيطرة الدين على عقول المؤمنين به ، وهم كثرة الناس ، وأن هذه الكثرة الغالبة إلى الآن ليست مستعدة للتنازل عن معتقداتها الدينية مهما يقم لها الدليل والبرهان على أن هذا التنازل يكون في مصلحتها (!) مصلحتها الفكرية والمادية معا »(!) قال « وثاني الخطأين أنهم لم ينتبهوا إلى أن العيب ربما (!) لا يكون في الدين نفسه بل قد يكون في إساءة فهمه وإساءة استعماله » !!

ويقول : « الحملة على الدين نفسه ليست إذن سوى محاولة كيخوتية(**)

(*) يقصدون بالقديم الإسلام وتراثه وبالجديد المذاهب الغربية القديمة والحديثة !

(**) نسبة إلى دون كيخوت .

مبددة للجهود (!) . هذه هي الحقيقة التي ندركها جميعا . مهما يكن رأينا الخاص من صحة الدين أو خطئه (!) » والعلاج عنده ـ طريقته في الهدم ! ـ : « فلنوجه جهودنا إلى محاولة أرشد وأنفع ، كيف نقنع الناس بألا يتخذوا من الدين حجر عثرة يقومون أمام كل رأي جديد (!) وكيف في تحقيق هذا الهدف نتجاوز الإصلاح الجزئي المبعثر الذي انحصرت فيه جهودنا حتى الآن . كيف نروج بينهم تلك النظرة العلمانية التي ذكرناها »[1] .

وما هو الرأي الجديد الذي أتى هو به ـ كمحاولة أرشد وأنفع ـ لتفادي التبديد للجهود وكبديل عن مهاجمة الدين والحملة المباشرة عليه ؟ !

يقول : « هذا هو رأينا الذي نصرح به : إن كل ما في القرآن وما في السنة ـ دعك من مذاهب الفقهاء ـ من تشريعات لا تتناول العقيدة وما يتعلق بها من شعائر العبادة ، بل تتناول أمور الدنيا ومعاملاتها وتنظيمها وعلاقاتها ، كل هذه التشريعات جميعا بلا استثناء واحد ليست الآن ملزمة (!) لنا في كل الأحوال ، حتى ما كان منها زمان الرسول من بابي الفرض والتحريم ، لم يعد الآن بالضرورة كذلك (!) ، بل لنا الحق (!) في أن ننقله إلى بابي الندب والكراهة ، إن لم ننقله إلى باب المباح »[2] .

فكل التشريعات التي وردت في القرآن والسنة والتي تخص الأسرة والزواج والجنس والحجاب ، والميراث والربا وتحريم الزنا والاتجار بالنساء (الدعارة) وغير ذلك من التشريعات في الاجتماع والاقتصاد . والسياسة والأدب . وتشريعات الأخلاق كلها مطلوب تغييرها ليصير المحرم محلل والمحلل محرم ، والممنوع

---

(١) نحو ثورة في الفكر الديني ص٩٨ ـ ٩٩ ط . أولى . دار الأدب . بيروت ١٩٨٣ نقلا عن الإسلام والقومية العلمانية للشيخ عبدالسلام ياسين ص١٢٣ .

(١) المرجع السابق ص١٤٨ نقلا عن الإسلام والقومية العلمانية ص ١٤٨ .

مباح والواجب غير واجب والفرض يلغى ويصير غير فرض أي تلغى الشريعة إلغاء تاما وتحذف وتقصى ويقصى أمر الله ليحل محله أمر العلمانيين !

هذه هي محاولة أغلب العلمانيين : إقصاء الشريعة الإلهية وإعلان الإنسان كبديل وإعلان استقلال العقل عن الوحي والأرض عن السماء كما فعل الغرب تماما !

.. أما العقيدة فهي عقبة دينية يجب أن يتأخر نقدها وإلغاء ها لسيطرة الدين على المؤمنين به لأنهم في الوقت الحالي - بحسب كلام د. محمدالنويهي ! - ليسوا مستعدين للتنازل عنها مهما يقم لهم الدليل والبرهان على أن هذا التنازل يكون في مصلحتهم !

إذن يشترك العلمانيون لا في رفض الأهداف التي يدعو إليها التيار الإسلامي المعاصر ! ولكن يشتركون في اعتقاد أن الدين عثرة في سبيل التقدم وأن الإسلام لابد أن يزاح من الطريق (يقول نيتشه أن «فكرة الله ! عقبة ينبغي إزالتها) [نيتشه :ص٤٦] !

لكنهم اختلفوا على الطريقة التي بها يتم المطلوب والكيفيه التي ينبغي أن يزاح بها الإسلام من الطريق !

..وبعضهم يحدد قرن أو قرنين في إتمام المهمة ، والبعض الآخر يرميهم بالهزيمة النفسية أمام النص والمشاعر الدينية والتباطى القاتل !

والنويهي وإن كان قد اختار القدح في الشريعة وتخفيف ينابيعها وتأخير عمل ذلك مع «العقيدة» إلا أنها في مقدمة أولوياته بعد القضاء على الشريعة ! يقول :

«إذا كنا جادين في سعينا نحو «ثورة ثقافية شاملة» وجب علينا أن نبدأ بمواجهة هذه الحقيقة : إن العقبة الأولى في هذا السبيل هي العقبة الدينية . وإننا لن نصل

إذن إلى الثورة المنشودة إلا إذا ذللنا هذه العقبة وأزحناها عن طريقنا»[1] .

الدكتور نصر حامد أبو زيد يرى أن الاجتهاد والتطوير لابد أن يلحق بالعقيدة لا الشريعة فقط وكأن العقيدة الإسلامية اختراع البشر وليس حقيقة خارجية ثابتة ، فإذا قلت له ذلك ، يقول لك يا أخي لا تضيقوا دلالة الكتاب ! ، ويتهمنا بتجاهل أن العقائد مرتهنة بمستوى الوعي ، فإذا كان وعيك ماركسي فيجب أن تطور العقيدة حتى تصير ماركسية وإذا كنت شيئا آخر فلتكن العقيدة هذا الشيء الآخر وكفاكم تشبث بالثوابت والمعتقدات !

يقول : «لا اجتهاد في مجال العقيدة» هذا ما يعلنه الخطاب الديني متجاهلا أن العقائد مرتهنة بمستوى الوعي (!) وبتطور مستوى المعرفة في كل عصر (!) ولا شك أن النصوص الدينية اعتمدت ، شأنها شأن غيرها من النصوص على جدلية المعرفي والأيديولوجي في صياغة عقائدها ، المعرفي التاريخي يحيل بالضرورة إلى كثير من التصورات الأسطورية في وعي الجماعة التي توجهت لها النصوص بالخطاب»[2](*) .

ويتهم الصحابة باعتقاد الأسطورة ، ويدعو إلى تجاوز هذه الأساطير التي طرحتها بزعمه النصوص الدينية القرآنية والتي ادعى أن الواقع والثقافة والمعرفة

---

(١) المصدر السابق نقلا عن الإسلام والقومية العلمانية ص ١٢٩ .

(٢) النص ، السلطة الحقيقية ص ١٣٤ ، ١٣٥ .

(*) هنا يتهم القرآن بأنه يحمل التصورات الأسطورية واعتمدت عليها نصوصه وفي النص التالي يتهم القرآن بأنه كان ينطلق من التطورات الثقافية ذات الطابع الأسطوري . إذن هو يتهم هنا القرآن والرسول والصحابة بأنهم آمنوا ودعوا إلى اعتقاد الأساطير . ومع ذلك فنحن نجده يقول في أماكن أخرى بأنه لم يهاجم الإسلام مرة واحدة في حياته ، وإنما هاجم العلماء الذين كتبوا الكتب وأضافوا ! وهنا كما نرى لا وجود لعلماء ولا أهل كلام وإنما مواجهة مباشرة مع القرآن باتهامه مباشرة بحمل صور أسطورية !! . وكذلك اتهام الرسول والصحابة بحمل الأساطير والإيمان بها !

تجاوزت هذه التصورات ذات الطابع الأسطوري القرآني !

لقد استخدم في سبيل التقول على القرآن بأنه يحمل الأساطير نظرية تفسيرية (نظرية الهرمنيوطيقا) وهي تنطلق من المادية الجدلية التي تنكر وجود الخالق وتؤمن بأن الدين ما هو إلا أساطير الأولين .

قال في نص محكم لا يحتاج للتلاعبات التي يقوم بها في الأحاديث الصحفية وأمام الكاميرات التليفزيونية !: .. ولعل المعاصرين لمرحلة تكوين النصوص - تنزيلها - كانوا يفهمون هذه النصوص فهما حرفيا، ولعل الصور التي تطرحها النصوص كانت تنطلق من التصورات الثقافية للجماعة في تلك المرحلة . ومن الطبيعي أن يكون الأمر كذلك (!) لكن من غير الطبيعي أن يُصر الخطاب الديني في بعض اتجاهاته على تثبيت المعنى الديني عند العصر الأول (!) رغم تجاوز الواقع والثقافة في حركتها لتلك التصورات ذات الطابع الأسطوري »[1] .

فالمعنى الديني للعصر الأول، عصر الرسول وصحابة الرسول ﷺ - الذين عاصروا التنزيل هو ذو تصورات ذات طابع أسطوري بزعم نصر حامد أبو زيد .

ويزيدها د. حسن حنفي قدحا فيدعي أن هذه العقائد « ضد العقل : فوق العقل .. بل إنها على نقيض العقل ، بل ربما أيضا على نقيض الأخلاق وضد الطبيعة ولهذا يؤمن بها الناس »[2] .

لذلك لا يؤمن هؤلاء العلمانيون بالعقيدة الإسلامية التي نزل بها القرآن وآمن بها الرسول والعصر الأول !، إنهم لا يؤمنون بثوابت الإسلام ومن ادعى منهم أنه

---

(١) نقد الخطاب الديني ص ٢٠٧

(٢) من العقيدة إلى الثورة المجلد الأول ص ٧١ نقلا عن المثقفون العرب ص ٢٦٥ .

يؤمن بها فإنهم لا يؤمنون بها إلا ليطوروها بعد ذلك لأن العقائد عندهم مرتهنة بالتطور الذي يأتي به الناس (التطور الفلسفي) ! والناس في الحقيقة هنا هم «الغرب» فقط !

وهم لا يؤمنون «بحقيقة مطلقة» كحقائق الإسلام وشرائعه وأحكامه، فعند د. [فؤاد زكريا] إن الفلسفة هي كل شيء وهي المهيمنة على الإسلام وحقائقه وتشريعاته وكذلك الأمر عند [أدونيس] فالحقيقة ليست شيء معطاة بشكل مسبق، فليس عنده حقيقة مطلقة ولا نهائية[1] ونفس هذا الكلام يوجد لحسن حنفي أيضاً ! و[أركون] يؤمن بنسبية الحقيقة كما في كتابه «الفكر الإسلامي قراءة علمية» ويؤكد ذلك د. [علي حرب] الذي هو بدوره علماني لا يؤمن بالحقيقة المطلقة[2]، [نصر حامد أبوزيد] لا يؤمن كذلك بالحقيقة المطلقة التي تتمثل في عقائد الإسلام والشريعة الإلهية الحقة ولا يؤمن بأن حكم الله فوق حكم الفلسفة وما يؤمن به من مذاهب حديثة «مناهج التحليل اللغوي وأدواته» التي يجعل أفقها هو مغزى القرآن، حتى أنه يعمل على تفريغ القرآن من مضمونه الحقيقي (في عقله فقط !) وملئه بمضامين الوعي الماركسي والمادي الجدلي الذي يعطي له الهيمنة والاحترام كل الاحترام !

كذلك راكب حصان طروادة، الدكتور [الجابري] الذي يؤمن بالماركسية كمضمون معدّل ومطعم بالمذاهب الحديثة كالبنيوية وغيرها[3] لا كشعار يمكنه

---

(٢) انظر كتابه كلام البدايات ص٢٠٥

(١) انظر نقد النص ص١٠٧

(٣) دعا «الجابري» في كتابه التراث والحداثة . ص٢٥٠ إلى تبني روح الماركسية وتحويلها بعد استيرادها بصورة لا تهر الواقع حاليا في سننه وفي أيديولوجيته !!!

رفعه بكل جرأة امام الجماهير المسلمة . إن إيمانه بالمضمون إيمان غير ظاهر لهذه الجماهير . وفقط هو باحث أكاديمي جامعي في الفكر والتاريخ الإسلاميين !!! ولا يؤمن بالحقيقة المطلقة التي جاء بها الإسلام !

الشاعر الماجن « أدونيس » لا يحد الحقيقة كما قال إلا بين « الفخذين » فالحقيقة عنده ليست بين اللحيين وإنما بين « الفخذين » - وسيأتي ذلك من كلامه !-

يقول اللورد « كرومر » عن أمثال هؤلاء : « إن المجتمع المصري في مرحلة الانتقال والتطور السريع ، وكانت نتيجته أن وجدت جماعة من أفرادهم « مسلمون » ولكنهم متجردون من العقيدة الإسلامية والخصائص الإسلامية ، وإن كانوا « غربيين » فإنهم لا يحملون القوة المعنوية ، والثقة بأنفسهم . وإن المصري الذي خضع للتأثير الغربي . فإنه وإن كان يحمل الاسم الإسلامي لكنه في الحقيقة ملحد وارتيابي ، والفجوة بينه وبين عالم أزهري لا تقل عن الفجوة بين عالم أزهري وبين أوروبي »[1] .

وهكذا صنعهم الغرب ، ثم أخبر أنهم بضاعة مغشوشة لا تماثل البضاعة الأصلية في الجودة والثقة بالنفس !!

ومع ذلك فإن حالهم هو حالة العبودية الحقيقية التي يعيشون فيها بأفكارهم وأرواحهم فهم « تابعون » للملأ في كل تصرفاتهم كما سيقولون عن أنفسهم يوم القيامة : ﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ... ﴾ [إبراهيم الآية : ٢١][2] .

---

(١) The Earl of Cromer : Modern Egypt (1908) vol .II PP.228.9 نقلا عن الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ص ٩٨

(٢) انظر كيف نكتب التاريخ الإسلامي ص ٨٠ والتطور والثبات في حياة البشرية ص ٨٠٧

إن أحد الذين استكبروا في الأرض وهو « لورنس » يؤكد حقيقة لطالما أقلقتهم : «إن الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام وفي قدرته على التوسع والإخضاع وفي حيويته ؛ إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الغربي » .

وماذا فعلت هذه القوة المتكبرة في الأرض لإزاحة هذا الجدار الوحيد من أمام الاستعمار البغيض !

يقول الأستاذ « سيد قطب » إنها صنعت عملاء للقيام بهذه المهمة المشتركة ! : « إن لهذه القوى اليوم في أنحاء العالم الإسلامي جيشاً جراراً من العلماء في صورة أساتذة وفلاسفة ودكاترة وباحثين - وأحيانا كتّاب وشعراء وفنانين وصحفيين - يحملون أسماء المسلمين ، لأنهم انحدروا من سلالة مسلمة ! وبعضهم من علماء المسلمين (قلت : كالشيخ علي عبدالرازق صاحب كتاب : « الإسلام وأصول الحكم ») هذا الجيش الجرار من العلماء موجه لخلخلة العقيدة في النفوس بشتى الأساليب في صورة بحث وعلم وأدب وفن وصحافة وتوهين قواعدها من الأساس والتوهين من شأن العقيدة والشريعة سواء ، وتأويلها وتحميلها مالا تطيق والدق المتصل على « رجعيتها » ! والدعوة للتفلت منها وإبعادها عن مجال الحياة إشفاقا عليها من الحياة وإشفاقا على الحياة منها ! وابتداع تصورات ومثل وقواعد للشعر والسلوك تناقض وتحطم تصورات العقيدة ومثلها ، وتزيين تلك التصُورات المبتدعة بقدر تشويه التصورات والمثل الإيمانية وإطلاق الشهوات من عقالها وسحق القاعدة الخلقية التي تستوي عليها العقيدة النظيفة لتخر في الوحل الذي ينثرونه في الأرض نثرا ويشوهون التاريخ كله ويحرفونه كما يحرفون النصوص »[١] ..

---

(١) في ظلال القرآن ، المجلد الأول ص ٦١٤ .

إننا بهذا الكتاب لا نبالغ في تقدير قوة الأعداء . وإنما نكشف خداعهم، وندمر «مكرهم» ونحبط مسعاهم ، ونستصغرهم ونستصغر أسيادهم ، ونظهرهم عراة أمام جماهير المسلمين. تتملاهم كما هم خبثاء ماكرون، أغبياء لا يفهمون ، فهم في الحقيقة شوائب من الكلام، وضجيج من الخصام، ورعاع من اللئام ، واتباع للشيطان والله يصغر من شأنهم وينبه على عدم الخوف منهم إن كنا أولياءَ لله فعلا !

يقول تعالى : ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران الآية : ١٧٥] : « إن الشيطان هو الذي يضخم من شأن أوليائه ، ويلبسهم القوة والقدرة ، ويوقع في القلوب أنهم ذوو حول وطول، وإنهم يملكون النفع والضر وذلك ليقضي بهم لباناته وأغراضه ، وليحقق بهم الشر في الأرض والفساد، وليخضع لهم الرقاب ويطوع لهم القلوب، فلا يرتفع في وجوههم صوت بالإنكار، ولا يفكر أحد في الانتقاض عليهم ، ودفعهم عن الشر والفساد.

والشيطان صاحب مصلحة في أن ينتفش الباطل، وأن يتضخم الشر ، وأن يتبدى قويا قادرا قاهرا بطاشا جبارا ، لا تقف في وجهه معارضة، ولا يصمد له مدافع، ولا يغلبه من المعارضين غالب، إن الشيطان صاحب مصلحة في أن يبدو الأمر هكذا ، فتحت شعار الخوف والرهبة، وفي ظل الإرهاب والبطش : يفعل أولياؤه في الأرض ما يقر عينه!، يقلبون المعروف منكرا والمنكر معروفا، وينشرون الفساد والباطل والضلال، ويخفتون صوت الحق والعدل ، ويُقيمون أنفسهم آلهة في الأرض تحمي الشر وتقتل الخير، دون أن يجرؤ أحد على مناهضتهم والوقوف في وجههم ، ومطاردتهم وطردهم من مقام القيادة .. بل دون أن يجرؤ أحد على تزييف الباطل الذي يرجون له ، وجلاء الحق الذي يطمسونه .

والشيطان ماكر خادع غادر، يختفي وراء أوليائه. وينشر الخوف منهم في صدور الذين لا يحتاطون لوسوسته، ومن هنا يكشفه الله، ويوقفه عاريا لا يستره ثوب من كيده ومكره. ويعرف المؤمنين الحقيقة: حقيقة مكره ووسوسته. ليكونوا منها على حذر، فلا يرهبوا أولياء الشيطان. ولا يخافوهم، فهو وهم أضعف من أن يخافهم مؤمن يركن إلى ربه ويستند إلى قوته، وإن القوة الوحيدة التي تُخشى وتُخاف هي القوة التي تملك النفع والضر، وهي قوة الله. وهي القوة التي يخشاها المؤمنون بالله، وهم حين يخشونها وحدها: أقوى الأقوياء، فلا تقف لهم قوة في الأرض، ولا قوة الشيطان ولا قوة أولياء الشيطان[1].

(١) في ظلال القرآن ٤ . ١٤٩ نقلا عن المسار للأستاذ محمد أحمد الراشد ص١٩٢ . ١٩٣.

الفصل الثاني

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [الزمر : ٤٦]

يقول الدكتور / نصر حامد أبو زيد : « .... شئنا أم أبينا، لا نستطيع التحرر تماما من تأثير تحيزاتنا ومواقفنا ومرجعياتنا المحملة بالأيديولوجيا . لكن وعي الباحث بهذه الحقيقة يساعده على مراقبة تحيزاته ومواقفه والتحكم في تدخلها في بحثه »

مجلة النهج شتاء ٢٠٠٠ ص٢٥٠ .

د. نصر حامد أبو زيد ومهمة كبرى !

إن سيطرة الفلسفة وهيمنتها في الغرب على الدين والعلم بات أمرا معروفا لا يحتاج لنقاش ولا مراء، يؤكد ذلك الدكتور فؤاد زكريا ـ :« ما رأيناه في الفكر الأوروبي الحديث، الذي يكون فيهالموقف الفلسفي هو المتحكم في تشكيل كثير من المفاهيم الدينية وتحديد طبيعتها»(١) .

فتم إلغاء مفهوم «الوحي» وطرح مفهوم مادي بديل يجعل الوحي خيالاً أو تهيئاً نفسيا مزيفا أو إفراز بيئوي أو نتاج اجتماعي أو كبتا أو تطورا تاريخيا استلزمته الظروف المختلفة أو كبتا ـ أو شيء من هذا القبيل !ـ بشريا خرج على العالم على هيئة «أساطير» وكذلك « النبوة » و«الرسالة» وعلى ذلك تم القضاء على «الدين» في «الغرب» وولدت أجيال كاملة لا تؤمن بالله ولا بالقيم والمبادئ الدينية .

هذه التطورات والتغيرات التي جلبها التطور الفلسفي المهيمن في الغرب يحاول د. نصر حامدأبو زيد وغيره نقلها إلى العالم الإسلامي كما يعمل على اقتفاء أثر أوروبا في نقد العقائد والتراث الإسلاميين واقتفاء أثر أوروبا هو ـ بحسب لفظه ـ :« فيما أحدثه الفكر التنويري (*) هناك من نقد للتراث والعقائد»(٢) !

يحكي الدكتور حسن حنفي لنا كيف بدأ وانتهى إليه هذا الفكر التنويري

---

(١) الصحوة الإسلامية في ميزان العقل ص١٥٧

(*) عصر «التنوير» في تاريخ الفلسفة الأوروبية كان النصف الثاني من القرن الثامن عشر والتنوير لا يقصد به ـ كما يقول الدكتور محمد البهي ـ إلا إبعاد الدين عن مجال التوجيه . وإحلال العقل فيه محله، من كتابه «الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي نقلا عن خصائص التصور الإسلامي ص٦١ .

(٢) النص . السلطة الحقيقة ص٤٤ .

الذي يدعونا «أبوزيد» لاقتفاء أثره :« بدأ الفكر الأوروبي يرفض كل معطى سابق بعدأن اكتشف زيف مثل هذه المعطيات وآثر جعل طريق معرفته الوحيد : التجربة ، رفض كل منهج قبلي وآثر المنهج البعدي القابل للتحقيق ، رفض كل معرفة إلهية وآمن بالمعرفة الإنسانية وحدها»[١].

د .«أدونيس» يشرح لنا ذلك بصراحة :« بدءا من القرن الخامس عشر أخذ الإيمان ينفصل عن العقل وعن الطبيعة ، وذلك بقوة النقد ثم فصل هذا النقد الطبيعة عن الله ... وهكذا تمت في أوروبا الثورات الفكرية والدينية ... والاجتماعية والأدبية»[٢] .

لقد حاول الدكتور «نصر أبوزيد» أن يقدم نقد من هذا النوع و لكي يخترق حدود الإسلام استعار نظرية تفسير ماركسية وقال أنه باستعمال هذه النظرية في التفسير القرآني فإن معاني جديدة ستظهر على السطح !، وكان الجديد الذي بشرنا به هو تحويل الغيب إلى مجازات وخيالات ، واعتبار الوحي «ظاهرة بشرية» ! و«منتج معرفي أسطوري بشرى» نابع من الثقافة المعرفية العربية القديمة الأسطورية ! .

لقد طالب بالتحرر من سلطة «النصوص» وأولها «القرآن الكريم»[*] الذي قال عنه : «القرآن هو النص الأول والمركزي في الثقافة»[٣] .

---

(١) في فكرنا المعاصر ص٧٥ نقلا عن المثقفون العرب والتراث ص١٥٧.١٦٣

(٢) كلام البدايات لأدونيس ص١٩٧ .

(*) تسمية القرآن «نصا» لم يكن فعل المسلمين . وإنما هو فعل العلمانيين المعاصرين يقول «أبوزيد» :« كما نفعل في اللغة المعاصرة» .نقد الخطاب الديني ص٨٧ ،٨٨ نقلا عن التفسير الماركسي للإسلام ص١٠٧ .

(٣) النص . السلطة . الحقيقة ص١٩

«لقد صار القرآن هو «نص» بألف ولام العهد» [١] «هو النص المهيمن والمسيطر في الثقافة» [٢] «فالنص نفسه ـ القرآن ـ يؤسس ذاته دينا وتراثا في الوقت نفسه» [٣].

قال مطالبا بالتحرر من هيمنة القرآن والسنة، والتراث الفكري الإسلامي: «وقد آن أوان المراجعة والانتقال إلى مرحلة التحرر لا من سلطة النصوص وحدها، بل من كل سلطة تعوق مسيرة الإنسان في عالمنا، علينا أن نقوم بهذا الآن وفورا قبل أن يجرفنا الطوفان» [٤]!

وهو نفسه ما فعلته أوروبا مع «الوحي» و«الدين» باعتبارهما إنتاج مجتمعات قديمة وبيئات ثقافية متخلفة وينقل «نصر أبوزيد» المعركة مع «الوحي» إلى ساحة العالم الإسلامي فيقول: «بأن النص في حقيقته وجوهره مُنتج ثقافي» [٥]!

ويقول «إن القول بأن النص منتج ثقافي يكون في هذه الحالة قضية بديهية لا تحتاج إلى إثبات» [٦]!

سوف لا نستدعي هنا أي قول لأي من الأساتذة المسلمين الذين ردوا عليه في هذا الشأن!، أو فسروا كلامه والهدف من فلسفته! (أفضل من ردوا عليه د. محمد عمارة)

لكننا سوف نستدعي دكتور علماني يشترك مع د. نصر في «الإلحاد المشترك» هو د. علي حرب، وفقط سندعه يعلق على موقف د. نصر في هذه المرحلة الحرجة من تاريخ «العلمانية» في عالمنا العربي والإسلامي، سندعه يوضح لنا هدف

(١ - ٢) مفهوم النص ص٢٧. (٣) النص. السلطة. الحقيقة ص١٦

(٤) الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية ص١٤٦

(٥) مفهوم النص ص٢٤

(٦) المرجع السابق ويقول «الأوضاع والظروف التي أنتجت النص» نقد الخطاب الديني ص١٤٥.

د. نصر حامد أبوزيد يقول: « يستهدف أبوزيد، بالنقد والتحليل، خطاب الوحي. بجعله مادة لمعرفة نقدية عقلانية. شأنه بذلك شأن أي خطاب بشري وأي إنتاج معرفي .. مستلهما موقف طه حسين الذي اعتبره أبوزيد الفدائي الأول في مقاومته للنظرة التقديسية إلى النصوص الدينية»[1].

ويعلّق على كتابه «مفهوم النص» بالقول: « كان أولى به أن يسمي هذا الكتاب «نقد النص» إذ هو يتناول فيه القرآن وعلومه تناولا تحليليا نقديا .. أجل إنها لجرأة بالغة أن يتعامل باحثنا مع النص القرآني بوصفه «منتجا ثقافيا»، أنتجه واقع بشري تاريخي»[2]!!

إن د. علي حرب نفسه كان قد طالب بالتحرر - أيضا - من النصوص الدينية ومن وصاية الشريعة! - قدمنا كلامه في ذلك في الفصل الأول - وهو يحب هذه الجرأة! وهو نفسه يمدح هذه الطائفة العلمانية الجريئة في نقد الوحي القرآني من أمثال أركون وأبوزيد وأدونيس وغيرهم ويعتبرهم كما ذكر في الكتاب نفسه الذي علّق فيه على كلام «نصر أبوزيد» المتقدم: نقاد الوحي والشريعة «أهل التذكرة» وأنهم « ذوي البصيرة. أي ذوي الألباب »[3] وها هي بعض أسماء «أصحاب مشاريع التجديد والتحديث (!) على اختلاف مرجعياتهم المعرفية ورهاناتهم الفكرية»[4].

يقول: « أخص منهم بالذكر بحسب اطلاعي وتقديري، محمد أركون وأدونيس ونصر حامد أبو زيد»[5].

---

(١) نقد النص لعلي حرب ص٢٠١

(٢) نقد النص ص٢٠٠.

(٣) المرجع السابق ص٢٤

(٤) المرجع السابق ص٣٣

(٥) المرجع السابق ص٢٥

ويقول صديق «محمد أركون» ومترجم كتبه د.هاشم صالح عن فكر أركون في هذا السياق أنه يهدف :« إلى تحرير القارئ المسلم من هيمنة النصوص المقدسة»[1] فمثله مثل «نصر أبوزيد» .

وقد قدمنا قول حسن حنفي :«مهمة التراث والتجديد التحرر من السلطة بكل أنواعها، سلطة الماضي وسلطة الموروث، فلا سلطان إلا للعقل »

ويقول :«الشك في العقائد الموروثة خير من استعمال العقل لتبريرها»[2] .

وسيأتي أنه لا يشك فقط بل يقدح ويسخر من الوحي القرآني والتاريخ الإيماني إذن فأصحاب مشاريع التجديد والتحديث المقلدون للغرب والمقتفون أثر فلسفة التنوير الإلحادية الغربية يطالبون المسلمين بالتحرر من النصوص القرآنية، والسنة .

يقول د. نصر أبو زيد :« إن الدعوة للتحرر من سلطة النصوص، ومن مرجعيتها الشاملة(!) ليس إلا دعوة لإطلاق العقل الإنساني حراً(!) يتجادل مع الطبيعة ويتجادل مع الواقع الاجتماعي والإنساني في مجال العلوم الإنسانية والفنون والآداب(!)[3] إن هذه الدعوة لا تقوم على إلغاء الدين ولا تقوم على إلغاء نصوصه، لكنها تقوم على أساس فهم النصوص الدينية فهما علميا»[4] .

إن الجملة الأخيرة مخادعة ومغطاه ، فالفهم العلمي للنصوص الدينية عنده يعني إخضاع القرآن للأيديولوجية الماركسية(العلمية !) التي يتبناها هي والمادية

---

(١) الفكر العربي ، قراءة علمية ص٩٤ .
(٢) في الفكر الغربي المعاصر ص٢٥ .
(٣) سيأتي أنه لايريد أن يكون للإسلام سلطة وموقف من الكتابات الإلحادية والإباحية أياكانت درجة إسفافها وزندقتها'
(٤) التفكير في زمن التكفير ص١٤٦

الجدلية. بحيث يستنطق القرآن بهذه الأيديولوجية التي تخرجه عن مضمونه الحقيقي وتضع له مفاهيم مادية تنفي عنه مصدره السماوي وتجعله منتج بشري !

بهذه الخدعة الماركسية يستطيع أن يتحرر من المرجعية القرآنية وهيمنة القرآن ويجعل الهيمنة لفلسفة «الهرمنيوطيقا الحديثة» يقول احد أعمدتها الأوائل «شليرماخر»: «مهمة الهرمنيوطيقا هي فهم النص كما فهمه مؤلفه، بل هي أحسن مما فهمه مبدعه»[1] !!!

إن د. نصر الذي يؤمن بأن: «القضية الأساسية التي تتناولها «الهرمنيوطيقا» بالدرس هي معضلة تفسير النص بشكل عام، سواء كان النص تاريخيا أم نصا دينيا»[2] يعتبر القرآن منهج ثقافي معرفي أسطوري تبعا للمادية الجدلية، وهو ما ينفي عنه صفة أنه تنزيل سماوي مقدس له سلطان على الناس وعلى حركة الحياة وواقع الأرض وطرائق الفكر، ولذلك فإنه يأتينا من الباب الخلفي بهذه النظرية التحليلية التي تصرف كل حقيقة قرآنية إلى مجازات وخيالات ماركس ونيتشه وفرويد وريكور وفلاسفة الهرمنيوطيقا، يأتينا من الباب الخلفي ليخبرنا بالبشارة التي ستخرجنا من الظلمات إلى النور، وهي أن ما يقوم به إنما هو قوة دافعة نحو التقدم والعدل والحرية.

وإذا علمت أنه يعطي الاحترام للمنهجيات الحديثة التي استخدمها في رمي القرآن بحمل الأساطير وتطويرها فستعلم لماذا يقول مع شلير ماخر أن فهم النص أحسن من النص نفسه، والنص عنده ذات طابع أسطوري كما تقدم من كلامه» !

---

(١) إشكاليات القراءة وآليات التأويل ص٢٢.

(٢) المرجع السابق ص١٣.

وإذا علمت أن النص القرآني - ونستعمل هنا مصطلحاتهم للإلزام فقط ! - ليس عندهم - وعند نصر أبو زيد على وجه الخصوص - إلا للاستخدام فقط وللمؤوِّلين يشاؤون مع عدم اعتبار مضمونه الأصلي شيئا !. إذا علمت ذلك ، علمت لماذا يعتبر «أبو زيد» أن السلطة المعرفية لأيديولوجيته تلغي وتتجاوز الصور التي طرحتها النصوص القرآنية التي يزعم أنها ذات طابع أسطوري .

إن أدونيس اتخذ الحرب المباشرة وسيلة لهدم الإسلام ، لكنه لم يقم بمحاولة «كاملة» كالتي يقوم بها «نصر أبوزيد» لم يحاول أن يجعل القرآن ، أو أي شيء آخر ، ينطق بأيديولوجية مسبقة مبيتة مما دفع «أبوزيد» نفسه يعاتبه على تركه هذه الحيلة وهذه الفرصة الكبيرة !

يقول أن أدونيس : « يرفض حل وضع البضاعة الجديدة» في «إناء قديم» أو «المضمون الجديد» في «شكل قديم» (!) تغيمه الجماهير وتستوعبه»[1] !.

بيد أن «أدونيس» وبرغم رفضه أن يقوم بمحاولة وضع «البضاعةالجديدة» في القرآن فتح الطريق لهذه المحاولات - على الرغم من إنكاره لها وهو من تناقضاته ! - بقوله بأنه يجب :«أن يبقى النص القرآني كما هو بدئيا ، نصا مفتوحا على الواقع والعالم والإنسان»[2] فهو لم يتبنى نظرية غربية وفرضها على القرآن بحيث ينتج عن ذلك أن يحمل القرآن مضمون هذه النظرية ، وإنما طالب هنا بفتح القرآن على فلسفات الواقع الغربي والعالم الغربي والإنسان الغربي الذي لا يؤمن بما فوق الواقع وفوق العالم وفوق الإنسان !

وهو ما يعني استنطاق القرآن بما يناقضه من أيديولوجيات مبيتة ، مسبقة

---

(١) إشكاليات القراءة ٢٣٥ تحت عنوان «الثابت والمتحول في رؤيا أدونيس للتراث»

(٢) كلام البدايات ص١٨٨

بصرف النظر عن مفهوم القرآن ، وحقيقة ما يثبته القرآن . فالمهم هوقابليته للتوظيف !!!

إن مشروع «نصر أبوزيد» هو وضع التصورات الماركسية والمضامين المادية الجدلية وتفسيراتها للحياة والكون والإنسان والوحي والنبوة والغيب والعقيدة في المعنى القرآني فيغير بذلك المفاهيم الرئيسية للقرآن ، ويلغي المعاني الحقيقية للسور والآيات، ويطمس الحقائق الدينية التي رسخها القرآن وبينتها السنة . وذلك بوضع المبضع الماركسي لتشريحها وتحليلها واعتبارها نتاج وإفراز أوضاع مادية ومعرفية تتسم بالبدائية والأسطورية .

وهو لا يفعل في معركته مع الإسلام وتاريخه وعلمائه المحدثين والقدامى إلا ما يفعله الماركسيون العرب إحياءا للموقف اللينيني الذي وظف التراث في الصراع الأيديولوجي، فلينين - كما يقول جورج طرابيشي - هو أول من دعا إلى التعاطي مع التراث بمنهج البضع والبتر من خلال مناقشاته في مطلع القرن مع الشيوعيون الروس ... فلينين .. لم يكن يهمه من التراث حقيقته التاريخية، بل قابليته للتوظيف في الصراع الأيديولوجي »[(١)] .

---

(١) مذبحة التراث ص ١١ لينين كان شديد الإنكار على اختصار الطريق بالقفز مباشرة إلى الهدف ' وقد رفض «نظرية الهجوم» التي وضعها الزعماء الشيوعيون الألمان الذين نسوا في انهيار أكبر وأقوى الأحزاب الشيوعية في العالم أجمع وقتذاك - ٢٤ أزار ١٩٢١ كانت بداية النهاية ! - ومن الأحزاب الشيوعية العربية من حدا حدوهم فانهاروا كالحزب الشيوعي العراقي الذي كان له تواجد قديم في الساحة السياسية ونفوذ في أوساط الشباب جعله أقوى الأحزاب لسنوات طويلة . إلا أنه استعجل بعض الاستعجال في أعقاب ثورة ١٩٥٨ ، وباشر التصفيات الدموية ضد أعدائه فسقط . وكرهه الناس، وأصبح حزبا ثانويا ، ودفع الثمن غاليا ، كذلك الحزب الشيوعي السوداني كان قويا ، فورطه هشام العطا سنة ١٩٧١ ، ورفع الرايات الحمراء فجأة ، فدفع ثمنا باهظا أيضا ، وأطبح برؤوسه ، انظر المسار لمحمد أحمد الراشد ص ٢٣١ ٢٣٣ .

إنه منهج الإسقاط الأيديولوجي. الذي يحدم القرآن للأيديولوجية المسبقة!

يقول طرابيشي العلماني!: «منهج الإسقاط الأيديولوجي يتنطع أكثر من الفهم أو عدم الفهم، فهو ينصب نفسه جراحا يريد إخضاع التراث لعملية جراحية ليتأصل منه ما يعتقد أنه أورامه الخبيثة، وتراءى لنا، من وجهة نظر تاريخية. أن قصب السبق في مداورة المنهج المبضعي أو البتري يعود إلى المثقفين والباحثين الملتزمين بالرؤية الماركسية للعالم»[1].

هذه «خبرة» طرابيشي من داخل الماركسية يقول عن نفسه: «فلقد كان لكاتب هذه السطور، هو أيضا طور ماركسي في تطوره الفكري»[2]!

وهو الذي كشف الجابري وضبطه يخترق الأسوار وهو ماركسي مُعدَّل متطوِّر لا يهمه أي الجابري! الحقيقة القرآنية وإنما استخدام القرآن والتراث للتوظيف الأيديولوجي لصالح الماركسية المتطورة!!

ولا يعني ضبط طرابيشي هؤلاء الماركسيين متلبسين بالتلاعب بالتراث أنه معنا داخل الأسوار فهو أولاً نصراني ثم ماركسي ثم أخيرا فرويدي فاحش ـ كما لا يعني اعتراض الدكتور فؤاد زكريا على المتلاعبين بالنصوص من العلمانيين أنه معنا داخل الأسوار بل هو يريد هدم أسوارنا من الخارج وليس من الداخل كما يفعل أغلب العلمانيون في هذا الزمان فإيمان د. زكريا يلخصه في قوله: «الاشتراكية هي وحدها المرحلة التي تتحقق فيها للإنسان حريته الحقيقية»[3] مع تجاوز الدين باعتباره تخلف قديم كما تقدم من كلامه.

إن «القرآن» عند المستترين بالإسلام من المتلاعبين بالنصوص من فئة العلمانيين

(١ ، ٢) مذبحة التراث ص ١١ (٣) آفاق الفلسفة ص ٦٩

الذين اتخذت طريق الهدم من الداخل وسيلة لتهديم المجتمع الإسلامي ومقدساته الإسلامية إن «القرآن» عندهم «قالب وإناء» «فارغ»، ينطق لا بما أنزل به من عند الله على محمد ﷺ رسول الله وخاتم النبيين وإنما ينطق بنتائج أيديولوچياتهم المسبقة. فهم يحاولون أن يجعلوه بحسب هذه الأيديولوجيات الحديثة ناطق رسمي لهم وحسب! يقول ما يقولونه ويتكلم بما يتكلمون به وهو عندهم كما قال «أبوزيد» و«علي حرب» ينطق بكل المذاهب والفلسفات أي أنه ليس له معنى ثابت، فمن شاء أن يجعله وجوديا فلا حرج، وماركسيا لا مانع، صهيونيا ما المشكلة، وجوديا ما الاعتراض، عبثيا ما الخلل؟

قال أيضا «نصر أبو زيد» في حديث صحفي لمراسل لجريدة عربية في هولاندا أن القرآن: يكاد ينطق بكل المذاهب، يكاد ينطق بكل الأقوال!. ونحن لا نعول كثيرا على هذا النص لأنه قد ينكره والأفضل أن نحاكمه إلى كتاباته التي نشرها هو!

هذا هو إعجازه عندهم، يقول د.علي حرب في وقاحة متناهية: «ليس إعجازه إذا مجرد كونه ينطوي على تشريع أو تسنين، وإنما كونه ينفتح على كل معنى بحيث يمكن أن تتمرأى فيه كل الذوات(!) وأن تقرأ فيه مختلف العقائد والشرائع»[1]!!

هو قالب لا مضمون له بحسب قطب الإلحاد د. حسن حنفي، والمتخفي داخل الأسوار!

يقول: «النص بطبيعته مجرد صورة عامة تحتاج إلى مضمون يملؤها(!) وهذا

---

(١) نقد النص ص٨٧

المضمون بطبيعته قالب فارغ يمكن ملؤه من حاجات العصر ومقتضياته .. النص قالب دون مضمون... وأولوية النص على الواقع تعطي الأولوية للتقليد على التجديد، وللماضي على الحاضر وللتاريخ على العصر، يرجع التاريخ إلى الوراء لأنه يعتمد على سلطة الوحي وأمر الكلمة»[1] .

نصا مفتوحا ليملؤه العلماني، الذي يتبنى فلسفات وضعية أو واقعية أو مثالية أو عبثية أو آلية بما يشاء من ذلك، ويحلله ويفككه ـ بحسب تعابير بعضهم ـ بما يشاء من ذلك !!

الدكتور حنفي يُعلل لنا هذه الفلسفة بإنها إذ تفعل ذلك مع الكتاب فإنها إنما تفعله لأن الكتاب ليس حجة وليست له سلطة !!

يقول: «النص يعتمد على سلطة الكتاب، وليس على سلطة العقل، وحجة السلطة ليست حجة لأن هناك كتبا مقدسة كثيرة في حين أنه يوجد واقع واحد وعقل واحد»[2].

وفي الحقيقة، فهذا خداع آخر، لأنه يساوي القرآن بالكتب المزورة ومن ذلك ينزع عنه السلطة والهيمنة والحاكمية !

.. ثم إنه يدعي أنه يوجد واقع واحد وعقل واحد وهو أيضا من أشنع الكذب، لأنه نفسه يعلم أنه يوجد واقع رأسمالي يناهض ويناقض واقع آخر اشتراكي وماركسي ويوجد واقع إسلامي يعتمد على المرجعية الإسلامية ويوجد واقع روحي صرف كما في الهند، وهكذا .. كذلك لا يوجد عقل واحد، فهناك عقل مثالي وعقل حسي، عقل رأسمالي وعقل اشتراكي، عقل القرن السادس عشر

---

(١) من العقيدة إلى الثورة جـ١ ص٣٩٩ (٢) في اليسار الإسلامي ص٣٠

المسيحي المنحرف وعقل القرن الثامن عشر المدعو تنويري ثم يوجد عقل يوناني إغريقي وعقل ديكارتي وعقل استشراقي ثم عقول كثيرة متناقضة في عالم الأفكار والفلسفات الغربية .

وإذا كان هناك عقل واضح فلماذا يهدم اللاحق من العقول الفلسفية العربية عقل السابق منها !

ثم قوله :«النص لا يثبت شيئا ، بل هو في حاجة إلى إثبات »[1] وإنه بلا مضمون قول عبثي لا يحتاج في بيان عبثيته إلى كشف وتبيان !

ويبدو أن الرجل من كثرة شرب الخمر التي قدمها له المستشرقون في كل مراحل حياته حتى يوم الناس هذا قد عطلت عقله عن قولة حق لا يناقضه في موقف لاحق.. ثم يدعي أن عقله واحد .. يا سبحان الله .

إذن النقد الذي يمارسه من سماهم د. علي حرب بـ«أولي الألباب» هو نقدا للوحي والكتاب والقرآن يقول هو نفسه عن ذلك :« لامراء أن النقد كما يمارسه أركون والآخرون، يؤدي إلى نزع هالة القداسة عن الوحي »[2] .

فليس الأمر عندهم شرح النصوص ولكن نقد النصوص. النصوص الإسلامية! نصوص القرآن والسنة !

و«نصر أبوزيد» يمشي على خط النقد الغربي الذي انتهى بالغاء الدين والوحي وإعلان استقلال الإنسان، ويأخذ بالأدوات المخربة والموازين الفاسدة لهذا النقد فيقدح في القرآن بأنه يحمل عقائد أسطورية غيبية ويدّعي أنه لا يريد أن يختزل نفسه في هذه العقيدة القرآنية الأسطورية (!)

---

(١) من العقيدة إلى الثورة جـ١ ص٣٩٥

(٢) نقد النص ص٢٠٣

يقول: «وحين يتخلى المفكر التنويري عن «النقد» وإذا كانت الأنا قد تم اختزالها في العقيدة. وما يرتبط بها من «تراث» فقد كان من الطبيعي أن يختزل الآخر - أوروبا - في «العلم» وما يرتبط به من تكنولوجيا، ويصبح السؤال: كيف حققت أوربا تلك النقلة الهائلة من ظلام عصورها الوسطى إلى نور التقدم؟ سؤالا مضمرا مكبوتا هو الآخر ذلك أن الإجابة الحقيقية والمتمثلة فيما أحدثه الفكر التنويري هناك من نقد للتراث والعقائد تكشف لخطابنا التنويري عن مكان العجز والقصور في بنيته...

ويظل السؤال عن سر الأزمة سؤالاً مكبوتاً ويظل الحديث عن تأويل العقائد أو نقد التراث - وهو ما حققته أوروبا في سعيها لتجاور عصورها الوسطى حديثا محرما»[1]

في هذا النص مغالطات شنيعة، وتحريفات ضخمة.

فأولاً: ليس عند المسلمين أي سؤال مكبوت مُحبط فما يخص الإسلام والحضارة، فمن نصوص القرآن والسنة خرجت الحضارة وانبعثت وازدهرت، والأزمة التي يشير إليها د. نصر إنما هي أزمة التخلف عن الإسلام وحضارته وليست أزمة ناشئة عن المرجعية الإسلامية كما زعم!

أما نقلة أوروبا من عصورها المظلمة إلى العالم والحضارة فهذا شيء لا ينكره مسلم لكن السؤال الذي يجب أن يُسأل هنا: من نقل أوروبا من الظلمة إلى نور العلم والتقدم؟ أهي الفلسفة الإلحادية أم علوم المسلمين ومفاهيم الإسلام؟

والإجابة المكتومة في صدور العلمانيين هي الإسلام!

---

(١) النص. السلطة. الحياة ص ٤٤

لكنهم يخفونها خشية أن يؤدي إظهارها إلى انتهاء الأزمة وانتهاء المشكلة الفكرية الحضارية فلقد صنع الإسلام حضارة ضخمة بفضل تعاليمه الثمينة، التعاليم التي حركت العقل الإسلامي وحثته على البحث والاكتشاف، الاختراع والإبداع ، والمشي في مناكب الأرض ورصد ظواهر الكون وسننه والاستفادة من ذلك لخدمة الإنسانية ، مما جعل عالم العلم ،والفكر ، البحث والملاحظة والرصد، التسخير والتجريب ضخم وواسع ومرن !

ولقد اعترف كثير من العلماء الغربيين بفضل الحضارة الإسلامية لكنهم أو بعضهم على الأقل أخفوا حقيقة ذهبية واحدة - لكنها ضخمة وثمينة - أضمروها ولم يظهروها، طمسوها ولم يبرزوها، هذه الحقيقة هي : الإسلام وتعاليمه الراقية هي التي صنعت حضارة المسلمين ومدت الغرب بنور التقدم !

إن الخوف من إظهار هذه الحقيقة أدى بالبشرية إلى أن تسلم زمامها للفلسفات الهزيلة، هذه الفلسفات التي استولت على الكراسي العلمية والأكاديمية التي حرفت حقائق العلم والاجتماع وتصورات الإنسان عن الكون والحياة والإنسان .

وفيما كانت النقلة العلمية - التي حدثت بفضل الإسلام والمسلمين - في إطراد كانت الفلسفة تمسك بزمام الأمور، حتى ظن من ظن أن هذا الفكر الفلسفي الذي قدح في الدين وألغى الوحي وطمس حقائق الإسلام ! هو صاحب الفضل في الاكتشافات وانطلاقة العقل، والصانع عالم البحث العلمي وتكنولوجيا الحياة !

ونحن لا ننكر أن الفكر التنويري عمل على إزاحة سلطان الكنيسة الشيء الذي أدى إلى أن الجماهير الغربية لم تجد طوق نجاة فكري إلا في هذا الفكر الذي كان يحوي الحق والباطل .

فهو كان يدعو للتفكير وتعقل المسائل العلمية ورفض الخرافة المسيحية ووقف للإقطاع المتحالف مع الكنيسة وقفة عظيمة !

لكن السؤال الذي لا يسأله العلمانيون لأنفسهم. من الذي أطلق جن التفكير من قمقم أوروبا المظلم ؟ من الذي علمهم الثورة على الظلم والخرافات ؟! من الذي علم الفلسفة التي ثارت على الكنيسة هذا الأمر ؟ والإجابة التي لا يريدون لها انتشارا هي : الإسلام هو الذي حرضهم على التفكير ودعاهم إلى نبذ الخرافة والثورة على انحرافات الكنيسة والإقطاع وبناء أمة لها حكومات وإدارات بدلا من الإقطاعيات والدكتاتوريات !

لكن لسبب أن الإنسان الغربي، والمفكر الغربي لم يكن عنده «الميزان» الصحيح في الفكر والتوجيه، فرق أنه كان في أشد مراحل غضبه على الكنيسة، فقد قادته الفلسفة الغربية إلى انحرافات فكرية واجتماعية ضخمة فحطمت الأسرة وألغي الدين !

نعم، تجاوزت أوروبا ظلام عصورها الوسطى نتيجة الدفعة الإسلامية الفكرية والعلمية والمنهجية والتجريبية وليس لشيء آخر ولا دفعة أخرى !

أما النقد الذي قاموا به ضد العقائد والتراث فكان بعضه حق وبعضه باطل. الحق الذي قاموا به كان هو الحق الذي تعلموه في الأندلس وأثناء الصراع الحضاري مع المسلمين والذي ثوّر لهم واقعهم فرأوه مُرًا فنبذوه !

كانت عقائدهم منحرفة عن العقائد الإلهية الصحيحة وكان تراثهم يضرب بجذوره في الخرافة بينما كان المسلمون بفضل تعاليم الإسلام والحرية التي أعطاها للعقل يحاربون الخرافة في تأليه البشر وتقديس القديسين وتعطيل العقل

عن القيام بدوره ويطلقون العقل في البحث والتفكير والملاحظة ويقيمون التجارب المعملية فيما كانوا يقيمون الصلوات الخمس في المساجد والمدارس والمعامل ودار القضاء[1] !

لقد دعا الإسلام إلى العبادة والعلم والعمل في حين أن الكنيسة كانت تدعو للعبادة فقط ويا ليتها كانت عبادة لله إنما كانت لخرافة كنسية هي عبادة إله مقتول على صليب ![*].

لقد حث القرآن على رفض هذه العبادة ، وعلى رفض ما يقوله الأحبار والرهبان من آفات عقلية وخرافات كهنوتية وحث البشرية كلها على استعمال العقل ونبذ التقليد ؛ ففي سياق تبيان القرآن لانحرافات الكنيسة دعا العقل إلى التفكير والتذكر والنظر ﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ** ﴾[آل عمران الآية :٦٥] . وفي سياق ذكر الله والعبادة ذكر التفكير في خلق السماوات والأرض :﴿ **الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾[آل عمران الآية : ١٩١] مما جعل علماء الإسلام بل كل مسلم لا يرى تعارض بين العبادة والعلم ﴿ **أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ** ﴾[الروم الآية :٨] فلم يتفكروا ثم يعلنوا الاستقلال عن الله ! ولم يقيموا حضارة الإيمان والعلم على

---

(١) ذكر مونتجومري وات في كتابه . فضل الإسلام على الحضارة العربية ص ٥٤ أن المسلمون كانوا يقدمون في مجال الطب فأسسوا اعتبارا من القرن التاسع مستشفيات في المدن الرئيسية بالأمصار ، وكان هناك بالإضافة إلى الجراحين والأطباء ـ وبعضهم من المتخصصين ـ ممرضون وممرضات ، وجهاز إداري كبير وصيدلية ومخازن وموحد ومكتبة ، وقاعة للمحاضرات بكل مستلزماتها وإن كانت المستشفيات على هذه الدرجة من التقدم ، فليس لنا أن نعجب إذ نسمع عن مؤلفات كتبت في ذلك الوقت في فن إدارة المستشفيات .

(*) للمؤلف كتابان في الرد على هذه الخرافات وفي فضح الخداع التنصيري . إصدار دار الدعوة .

انقطاع الوحي، بل كانوا «عباد مكرمون» ما يفتح الله به عليهم فإنما هو من عند الله لصالح الإنسان: ﴿ ويُعلّمكُمُ الْكتاب والْحكْمة ويُعلّمُكُم مّا لمْ تكُونُوا تعْلمُون ﴾[البقرة: ١٥١] ﴿ قُل انظُرُوا ماذا في السّمواتِ والأرْضِ وما تُغْني الآياتُ والنُّذُرُ عن قوْمٍ لاّ يُؤْمنُون ﴾[يونس: ١٠١] كانوا يتذكرون دائما أن ما ذرأه الله في الأرض هو لعمرانها ولعمرانهم ﴿ وما ذرأ لكُمْ في الأرْضِ مُخْتلفًا ألْوانُهُ إنّ في ذلك لآيةً لّقوْمٍ يذّكّرُون ﴾[النحل: ١٣] والنجوم التي تركزوا للعالم بحوث ضخمة بهية عنها وعن طول باعهم في النظر إليها وتتبعها ورصدها وملاحظتها واكتشاف بعضها ﴿ وهُو الّذي جعل لكُمُ النُّجُوم لتهْتدُوا بها في ظُلُماتِ الْبرّ والْبحْرِ قدْ فصّلْنا الآياتِ لقوْمٍ يعْلمُون ﴾[الأنعام: ٩٧] النظر إلى فوق إلى السماء لا في الصلاة فهذا ما منعه الإسلام وإنما في أي وقت يشاء المسلم أو العالم ﴿ أفلمْ ينظُرُوا إلى السّماءِ فوْقهُمْ كيْف بنيْناها وزيّنّاها وما لها من فُرُوجٍ ﴾[ق: ٦] ويمكن لمن يشاء في الصلاة أن يتدبر ذلك ببصيرته وكذلك ﴿ أولمْ يروْا أنّا نسُوقُ الْماء إلى الأرْضِ الْجُرُزِ فنُخْرجُ به زرْعًا تأْكُلُ منْهُ أنْعامُهُمْ وأنفُسُهُمْ أفلا يُبْصرُون ﴾[السجدة الآية: ٢٧] والنظر في كل شيء بتدبر وتفكر ﴿ أولمْ ينظُرُوا في ملكُوتِ السّمواتِ والأرْضِ وما خلق اللّهُ من شيْءٍ ﴾ [الأعراف: ١٨٥]

فمن خصائص العقل الإدراك والتأمل والرشد، والله حث القوم الذين يعقلون [كما في سورة البقرة الآية ١٦٤] على تدبر الآيات من إختلاف الليل والنهار وقيام السموات والأرض بتوازن خلاب [كما في سورة الروم الأية: ٢٥] حتى صار التفكير فريضة إسلامية ـ لعباس محمود العقاد كتاب بهذا الاسم ـ والمعرفة واجب على كل مسلم ومسلمة.

أما دعوة الإسلام إلى عبودية الله وحده ونبذ عبادة الأشياء والأشخاص والنبلاء

والطبقات والحكام والأمراء والأباطرة والقديسين والأحبار والرهبان. فقد عملت على إطلاق العقل الإنساني من هذه العبوديات الشائنة والمنحطة. ليتمكن من التفكير النظيف وليتعقل آيات الله في الكون في حرية وأمان، ولقد ربط الله سبحانه وتعالى بين التأفف من عبادة غير الله والعقل، وذكر ذلك من قول المؤمنين العقلاء ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء الآية: ٦٧] فربطوا بين العقل والتحرر من عبادات المشركين ولم يكونوا عقلاء فقط وإنما كانوا محبون لله أيضا: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة الآية: ١٦٥] والله هو الذي أخبر عنهم هنا، أنهم أشدّ حبا(*) لله من المشركين لأصنامهم ولما يعبدونه من دون الله من الطواغيت البشرية أو الطواغيت التي يتخيلونها ويحبونها.

لقد عاش الدكتور عبدالرحمن بدوي في عالم الفلسفة اليونانية والفكر الوجودي واليوم انتقل بشجاعة فائقة إلى طائفة المدافعين عن الإسلام ومن داخل فرانسا(**).

هناك كثيرون أيضا من الذين آمنوا وصاروا أشد حبا لله من المشركين لأربابهم والأيديولوجيين لطواغيطهم. وقفوا مدافعين عن الإسلام بقوة وشجاعة وعزم وإصرار مثل سيد قطب ومنير شفيق ومحمد عمارة وغيرهم، مما أثار سخط الطائفة العلمانية التي سخرت منهم ورفعت الأقلام للحنق عليهم وتشويه سمعتهم.

(*) العبادة - كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية وكما يؤمن علماء ودعاة الأزهر ورجال الحركة الإسلامية والخطاب الإسلامي المعاصر والقديم - هي اسم جامع لكل مايحبه الله ويرضاه.

(**) لا يعني ما نقوله هنا عن الدكتور بدوي ولا أي شخص ممن تراجعوا أخيرا عن مذاهبهم وانتماءاتهم كالدكتور ذكي نجيب محمود مثلا أننا نوافقهم في كل ما يكتبونه عن الاسلام أو القرآن أو الحضارة الإسلامية لأنه معلوم أن بعض المؤثرات القديمة تؤثر في الكتابات الجديدة (الاسلامية)

ما نريد أن نؤكده هنا في هذا السياق أن هذا الخط العلماني هو امتداد للمنهجية الاستشراقية في التشكيك في نزاهة الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين الكبار كالشافعي وابن قتيبة والشاطبي وابن تيمية وغيرهم وهم الذين قدحوا في علماء النهضة الإسلامية الحديثة كالأستاذ أنور الجندي والقرضاوي والغزالي والبوطي وغيرهم[٥]. إنه التردي الناتج عن الجهل وسوء النية يقول الدكتور عبدالرحمن بدوي في كتابه «دفاع عن القرآن ضد منتقديه» أن سبب التردي الذي وقع فيه هؤلاء المستشرقين هو الجهل وضحالة الفهم ونقص المعلومات وسوء النية والتشويه المتعمد وسيطرة الحقد عليهم وتسببه في عماء بصيرتهم ونقلهم الأكاذيب بعضهم عن بعض وتأكيدهم لها غير المشابهات الخاطئة والالتزام التبشيري شديد التعصب ثم قال: لكننا في نفس الوقت نؤكد أن القرآن يخرج دائماً منتصراً على منتقديه[١] !! أخبرني الدكتور مصطفى حلمي أن د. بدوي يصلي الآن الصلوات الخمس!!

ونحن نقول في فلاسفة المنهجيات الغربية الحديثة نفس الشيء فهم امتداد للاستشراق. ورثوا أحقاده وحملوا غلوائه وليس لهم عندنا أي احترام لكن يبدو أن الأمر يختلف عن د. نصر أبوزيد الذي يعطيهم الاحترام كل الاحترام في حين يقدح في علماء الإسلام ويطالب المسلمين بأن يقرأوا التراث - وقد تقدم أن القرآن عنده هو النص المركزي في ثقافة التراث - بعيون هذه المنهجيات الغربية لأنها عنده هي الاحترام الحقيقي!

---

(٥) أنظر التفكير في زمن التكفير للدكتور نصر أبوزيد ص ٢٥٢ وتاريخية الفكر العربي الإسلامي ص٨٩ - ١٢٩.

(١) دفاع عن القرآن ضد منتقديه ص١٥ . ١٦.

يقول : «إن قراءة التراث من منظور المنهجيات الحديثة هي الاحترام الحقيقي»[1] !

يدعي أن نقده للعقائد الإسلامية وما وصف به القرآن من أنه منتج ثقافي يحمل الأساطير هو الاحترام الأكبر لهذا التراث !

يقول :«أينا أكثر احتراما للتراث وتوقيرا له : أولئك الذين يكررونه بآليات الاختصار والتلخيص اعتمادا على الشروح دون الأصول . أم أولئك الذين يتصدون للأصول فهما وتحليلا ونقدا »[2] !

وكأن قراءة القرآن من خلال أيديولوجية مسبقة ومغايرة له بحيث لا يتكلم القرآن بقيمه ومبادئه وأدواته وأسلوبه وإنما يتكلم بما يناقضه . بالأيديولوجية التي تحاول أن تستنطقه ـ لو صح التعبير ! ـ بعقائدها وأفكارها بعد أن تقوم بتحليله وصرف معانيه إلى مجازات ورموز فارغة . كأن هذا هو العلم الحقيقي الذي يجب أن يُحترم .. كأن ذلك هو الاحترام للقرآن وللعقل الذي يقرأ القرآن ! إن التأويل في القرآن لا يبدأ من فهمه كما هو !، وإنما الأمر عند السيد المحترم «نصر أبوزيد» يبدأ من الأيديولوجية التي ينطلق منها الإنسان !، فإذا كانت للماركسية تأويلات مادية للعالم والإنسان والحياة والغيب ورب الغيب كله فإن القرآن لايبدأ من مفاهيمه هو وإنما يبدأ من هذه التأويلات المادية التي تقلب معانيه رأسا على عقب ، بحيث لا يبقى للإنسان من القرآن إلا اللفظ والصوت واللغة أما المعنى والمغزى فللماركسية وللمادية الجدلية وكأن منزل القرآن هو ماركس اليهودي وكأن الذي خلق الإنسان وأخبر عن نفسيته في القرآن هو المحلل النفساني اليهودي «فرويد» وكأن القرآن نطق نُطْق فلاسفة «الهرمنيوطيقا» [نظرية تفسير ملحدة] ينطق كما «جادامر» ويقول «شلير ماخر» و«هيدجر» .

(١) التفكير في زمن التكفير ص١٢٧ (٢) المرجع السابق ص١٢٦

يقول د. علي حرب: « فالنص يتسع للكل :لكل الأوجه والمستويات والمجالات. وبإمكان كل من يستنطقه(!) أن يقرأ ذاته فيه »[1] !!!

إن الدكتور نصر أبو زيد لا يبدأ من القرآن ليفهمه ولا من سنة رسول الله ﷺ ليقرأه ولا من مفاهيم الصحابة أو السلف الصالح وإنما يلغي هذا كله بجرة قلم، بعد أن ادّعي أن النص حمل أساطير المعاصرين لتنزيله وانطلق منها، ويطالب بعدم تثبيت المعاني الدينية عند العصر الأول، لأن الواقع والثقافة (!) تجاوزت تلك التصورات - زعم ! - ذات الطابع الأسطوري !

إنه لايبدأ من القرآن بل يبدأ من ثقافته وأفقه هو، ثقافته الماركسية، فما تقوله هذا الثقافة فيحمّله القرآن، وما تقوم به من تأويل للعالم فعلى القرآن أن يلبس صورة هذا التأويل !

يقول بأن التأويل المنتج :« لايبدأ من المعطى اللغوي للنص، أي لايبدأ من المنطوق(!) بل يبدأ - قبل ذلك - من الإطار الثقافي الذي يمثل أفق القارئ الذي يتوجه لقراءة النص »[2] ! وهذا يعني أنه لا يعطي لمفهوم القرآن أي أهمية وإنما يتشكل مفهوم القرآن عنده من خلفيته هو الفكرية. أيا كانت خلفيته، المهم أن ينطق بما يريدون له أن ينطق به، فحقائقه مجازات فارغة، والأسماء والصفات رموز لا معنى لها !

أليست هذه دكتاتورية فكرية ماركسية مخادعة ترغم الأشياء أن تنطق بغير ما هي عليه؟ أين هو الاحترام المزعوم في المنهجيات الحديثة ؟!!!

ولو فعل إنسان بالماركسية الملحدة نفس الشيء وجعل منها - ومن رموزها

---

(١) نقد الحقيقة ص ٤٥ (٢) مفهوم النص ص ١٨٢

وعلاماتها - إيمانية مغرقة في الإيمان لأصحك منه العالم ! ولاتهم بأنه يخوض ويلعب[*] !!!

.. إنهم يفعلون نفس الشيء مع القرآن. يجعلونه يقول ما يشاؤون من أهواء أسيادهم الغربيون الذين ادعوا أنهم يحملون مناهج علمية وهي في الحقيقة مناهج طمس الحقائق وتحريف المعاني وتخريب العلمية !

أليست مقولة المتلاعبين بالنصوص القرآنية التي تقول: «فالنص يتسع إذن لجميع كل المقالات ويندر أن لا يجد إنسان في النص مقالته أيا كان مذهبه ومشربه وأيا كان صنفه ونموذجه»[1] أليست هذه مقولة عبثية لا تحترم القرآن ولا تحترم حتى العقل والإنسان والأشياء على ما هي عليه !؟

يفتحون الدلالات لكل أحد. فمن عنده دلالة فليتمحك في القرآن ثم ليعلن بعد ذلك أنها مقولة القرآن ودلالة النص في حين أنها أفق المتمحك أسقطه على القرآن ثم خرج علينا يقول هذا هو التأويل المنتج !

يقول نصر أبو زيد: « الدلالات مفتوحة وقابلة للتجدد مع تغيير آفاق القراءة المرتهن بتطور الواقع اللغوي والثقافي »[2] !

فالعقائد عنده مرتهنة لا بإعلانها الإلهي ولكن: « بمستوى الوعي وبتطور مستوى المعرفة في كل عصر (!)»[3] !

(*) لقد هاجم فيورباخ هيجل لأنه جعل من الرموز المسيحية رموزا فلسفية هيجلية ! إقرأ في ذلك الفصل الخاص بفيورباخ من كتاب نقد فلسفة هيجل للعلمانية - فريال حسن خليفه - دار قباء - مصر .

(1) نقد الحقيقة لعلي حرب ص٤٧ .

(2) نقل الخطاب الديني ص٢٠٤ (3) النص . السلطة . الحقيقة ص١٣٤

وعصر «نصر أبوزيد» وعالمه الخاص الذي يعيشه في كيانه. وأفق هذا العصر الذي يعيشه داخل الفكر الماركسي ويتخايل أمامه في عقله هو الذي عليه أن يُغير عقائد المسلمين ومفاهيم الوحي الإلهي ليناسب مستوى هذا الوعي الماركسي ولا يعيقه عن الانتشار والانشطار!

وأي مذهب آخر يطوره [عصر الإلحاد] فإن على القرآن أن يقبل تطويره وإلا..! فمستويات القراءة - يقول أبوزيد -: «تتعدد أولاً بتعدد أحوال القارئ الواحد وتتعدد ثانيا بتعدد القراء، بسبب خلفياتهم الفكرية والأيديولوجية... وتزداد درجات التعدد والتعقيد بالانتقال من مرحلة حضارية إلى مرحلة حضارية أخرى»[1].

بيد أننا كمسلمين عندما نريد أن نقرأ القرآن قراءة قرآنية نبوية وعلى هدينا وداخل الإطار الإيماني المتكامل فإن المحترم «نصر أبوزيد» يحرمنا دون بقية البشر - من ماركسيين يهود وفرويديين يهود وغير يهود وأصحاب المذاهب الحديثة - من أن نقرأ القرآن يقول: «والحقيقة أن ثمة فروقا جوهرية حاسمة بين سياق القراءة المنتجة(!) بالمعنى الذي أسيبنا في شرحه وتحليله وبين التأويل الأيديولوجي المسيطر في الخطاب الديني(!). سياق القراءة المنتج يتم من داخل إدراج مستويات السياق الأخرى(!)، بينما يتجاهل الأيديولوجي ذلك»[2].

نفس الشيء يقوله الدكتور محمد أركون الذي غرق غرقا في بحر المذاهب الغربية الحديثة وأخذ منها غثائها بلا أدب ولا وعي. يقول عن فهم المسلم والعلماء المسلمين للقرآن: «تُخلق القراءات المؤمنة بواسطة عمليات الانتخاب

---

(١) المرجع السابق ص ١١.   (٢) النص. السلطة. الحقيقة ص ١٣٢.

ونزع النصوص من سياقها (!)[1] و القراءات المؤمنة تقوم بزعم «ابوزيد» بـ«احتراق النص»[2] . وهو ما يحذرنا منه ـ كثر خيرك ـ كما يحذرنا من «إهدار السياق»[3] ! ومن عدم مراعاة سياق النص وإهدار معانيه فهو يقوم بـ«التحذير من عدم مراعاة سياقه الواضح»[4] .

لننظر إلى قراءة محمد أركون للقرآن الذي يخالف القراءات المؤمنة للوحي يقول: «على عكس ما تظن المسلّمة التقليدية التي تفترض (!) وجود إله حي متعال وثابت لا يتغير فإن مفهوم الله لا ينجو من ضغط التاريخية وتأثيرها، أقصد أنه خاضع للتحول والتغير بتغير العصور والأزمان»[5] إن كل حقيقة عند أركون تتطور مع التاريخ !!![6] إذن قراءة أركون للقرآن هي التي تهدر سياقه وتخترقه وتجعله أسطورة تخضع للتطوير التاريخي !. ولذلك هو لا يعجبه أن يُقبل المؤمن على قراءة القرآن باعتباره وحيا من عندالله، فإن فعل ذلك فإنه يكون ـ عند المفكر أركون ! ـ قد نزع النصوص من سياقها، أي والله !، ولا يعجبه أن يؤمن المؤمن بالله عز وجل، إنه ينادي بتطوير العقيدة !!!

أما «نصر أبوزيد» فإثبات حقائق القرآن، والغيب الذي عرّفنا به القرآن، ودعانا إلى الإيمان به فهو عنده تأويل غامض بعيد عن مراعاة سياق القرآن الواضح !

أما إذا اخترق هو النص ! بحسب وصفهم للقرآن، ونأسف لاستعمالنا هذا

---

(١) الفكر الإسلامي ص ٣٣ . (٢) النص، السلطة، الحقيقة ص ١١٤ .
(٣) المرجع السابق ص ١٢٦ . (٤) مفهوم النص ص ٣٤ .
(٥) مفهوم النص ص ٢٠ .
(٦) المرجع السابق ص ١٣٩ وهاكم ما دعاها «أركون» رموزا . الآيات الرموز . الله (٢٦٩٧) مرة رب (٩٦٩) ، الصفات (صفات الله) آيات (٣٨٣) وحي (٧٨) . المرجع السابق ص ١٩٧

المصطلح ! ! وأهدر سياقه ومعانيه، وحذف مضمونه لصالح الماركسية والمادية الجدلية وفلاسفة « الهرمنيوطيقا » فلا حرج !. لأنه يقوم بمهمة محترمة في العالم الحديث، مهمة قراءة القرآن بعيون عربية ! ! ! قراءة منتجة حقا وليفرح أهل المنهجيات الحديثة ! ! !

ليفرح لها الاستشراق ويهلك لها رفاقه وأساتذته من الماركسيين !

إنه يدّعي وهو يقوم بما يقوم به أن هذا الفهم هو : «فهم موضوعي للإسلام»[1].

بعيداً عن ما زعمه أنه «التأويل المفروض من خارج . بل هو في الحقيقة «التلوين» الأيديولوجي النفعي البرجماتي، وهو في رأينا التأويل المستكره»[2] أي تأويل المسلمين !

.. ففهمك أيها المسلم للقرآن هو تأويل مفروض من خارج، تأويل مستكره ! إنه «تلوين» نفعي براجماتي !

هكذا يقول السيد المحترم نصر أبو زيد المقلد للمنهجيات الغربية الحديثة وصاحب الاحترام والتقدير العظيم لها ! ولماذا يتهمك بكل ذلك ؟

ذلك أن قراءة القرآن قراءة إيمانية - يقول - : « يُعدَّ بمثابة نفي للتطور (!) وتثبيت صورة الواقع الذي تجاوزه التاريخ»[3] ! أيّ واقع تجاوزه التاريخ ؟

يُجيب : واقع الأساطير التي آمن بها الصحابة وعلّمها لهم القرآن وقرأها لهم الرسول !

والنص يذكر ذلك. يقول فيه : « ولعل المعاصرين لمرحلة تكوين النصوص -

---

(١) مفهوم النص ص ٢٠ (٢) نقد الخطاب الديني ص٢١٣

(٣) المرجع السابق ص٢٠٧

تنزيلها - كانوا يفهمون هذه النصوص فهما حرفيا. ولعل الصور التي تطرحها النصوص كانت تنطلق من التصورات الثقافية للجماعة في تلك المرحلة. ومن الطبيعي أن يكون الأمر كذلك (!) لكن من غير الطبيعي أن يصر الخطاب الديني في بعض اتجاهاته على تثبيت المعنى الديني عند العصر الأول رغم تجاوز الواقع والثقافة في حركتها لتلك التصورات ذات الطابع الأسطوري»[1].

فالعقائد - المعنى الديني الثابت - عنده كما قال -: «مرتهنة بمستوى الوعي، وبتطور مستوى المعرفة في كل عصر، ولا شك أن النصوص الدينية اعتمدت شأنها شأن غيرها من النصوص على جدلية المعرفي والأيديولوجي في صياغة عقائدها (!) المعرفي التاريخي يحيل بالضرورة إلى كثير من التصورات الأسطورية في وعي الجماعة التي توجهت لها النصوص بالخطاب»[2].

إذن عقائد الجماعة المسلمة في العصر الأول - وطبعا في كل العصور! - في زعم «نصر أبوزيد» التي دعت إلى الإيمان بها النصوص القرآنية إنما كانت قد اعتمدت في صياغتها على التصورات الأسطورية الموجودة أصلا عند هذه الجماعة!

إذن هو يتهم الوحي بأنه ليس له مصدر سماوي مقدس وينفي عنه صفة الفوقية - إن صح التعبير - لأنه عنده خرج من الواقع ورجع إلى الواقع وليس هناك إلا الواقع! وهو ينص على ذلك في قوله: «فالواقع أولاً والواقع ثانياً، والواقع أخيرا»[3]!! الواقع فقط!!

وهو يظن أنه بهذه الاتهامات يستطيع أن ينزع صفة الوحي الإلهي عن القرآن، ويظن أنه قد حطم بذلك الأسطورة الدينية وكشف عن حقيقة رموزها - الرموز

---

(١) المرجع السابق ص٢٠٧

(٢) النص. السلطة. الحقيقة ص١٣٤. ١٣٥.

(٣) نقد الخطاب الديني ص١٣٠

يزعم الماركسية هي الله . الملائكة . الجن . الوحي . الغيب . اليوم الآخر . وما إلى ذلك - إن النص التالي له كشف لنا عن الأدوات التي يمكنه هو وغيره استخدامها بجانب فلسفة الهرمنيوطيقا في تحليل القرآن . يقول : « يركز «بول ريكور» اهتمامه على تفسير الرموز ، وهو يفرق بين طريقتين للتعامل مع الرموز ، الأولى هي التعامل مع الرمز باعتباره نافذة نطل منها على عالم من المعنى ، والرمز في هذه الحالة وسيط شفاف عما وراءه(!) هذه الطريقة يمثلها «بولتمان» Boltman في تحطيمه للأسطورة الدينية في العهد القديم والكشف عن المعاني العقلية التي تكشف عنها هذه الأساطير . وهذه الطريقة يطلق عليها «ريكور» «Dymythologizing» والطريقة الثانية فيمثلها كل من «فرويد» و«ماركس» و«نيتشه» وهي التعامل مع الرمز باعتباره حقيقة زائفة لا يجب الوثوق به ، بل يجب إزالتها وصولا إلى المعنى المختبئ وراءها Dymystification إن الرمز في هذه الحالة لا يشف عن المعنى ، بل يخفيه ويطرح بدلا منه معنى زائفا ، ومهمة التفسير هي إزالة المعنى الزائف السطحي وصولاً إلى المعنى الصحيح لقد شككنا فرويد في الوعي باعتباره مستوى سطحيا يخفي وراءه اللاوعي ، وفسر كل من ماركس ونيتشه (*) الحقيقة الظاهرة باعتبارها زائفة ووضعا نسقا من الفكر يقضي عليها ويكشف زيفها ، وإذا كان تفسير الرموز عند بولتمان أو فرويد أو نيتشه أو ماركس ينصب على الرموز بمعناها العام اللغوي والاجتماعي فإن تعريف ريكور للرمز معبرا عنه باللغة ، ومن ثم ينصب التفسير عنده على تفسير الرموز في النصوص اللغوية ، وهذه هي غاية الهرمنيوطيقا»(١) !!

(*) عن نيتشه يقول د . فؤاد زكريا ، ففي رأيه بين الله والإنسان في الخلق تعارضا . ولابد لكي يتسع الطريق أمام قوة الإنسان ان تزاح كل العقبات من طريقه » نيتشه ص٤٦ وانظر ص١٣٣ ويقول « فلم يكن نقد نيتشه لفكرة الألوهية لايدع مجالا للشك في أنه تخلى تماما عن هذه الفكرة » ص١٣٣

(١) إشكاليات القراءة وآليات التأويل ص ٤٤ ، ٤٥ .

غاية الهرمنيوطيقا التي هي نظرية في التفسير غربية المبنى والمعنى . غايتها هي تحطيم الأسطورة الدينية والرمز لا يعني شيئا قط ، وإنما هو وسيط شفاف ـ أو حقيقة زائفة ـ ينم عما وراءه من موروثات لغوية بيئية معرفية تاريخية أسطورية !

ينقل «نصر أبوزيد» هذه النظرية ، ليقوم بنفس الغاية التي توصل إليها هؤلاء الملاحدة مع الكتب اليهودية والمسيحية . وبدل أن يكتفوا بإظهار أساطير القوم ، الأساطير التي أظهرها الإسلام من قبلهم ! ، أقبل نيتشه مثلا وأعلن «أن الله قد مات» ! وقال ماركس بأن الحياة مادة ولا إله ! وغير ذلك من خرافات وترهات الماديين الماركسيين وبهذه الأدوات حاول «أبوزيد» أن يتعامل مع «القرآن» وبهذه العيون الغربية التي كلما وجدت ـ أو قرأت أو سمعت ! ـ اسم الله اشمئزت منه ، اشمئزت منه قلوب الذين كفروا ، واعتبرته رمزا لا يقول شيئا ولا يعني شيئا إنما هو حقيقة زائفة أو نافذة نُطلّ منها على معاني مناقضة لحقيقتها تماما !

بهذه الموازين المادية التي تنفي وجود الله وتلغي عالم الغيب لصالح عالم الحس انتهج «نصرأبوزيد» طريقا في تحليل القرآن وتفسيره أي بأفق الماركسية والمادية الجدلية والهرمنيوطيقا الجدلية بهذه الموازين نظر إلى القرآن وآياته وإلى التفسير والمعاني المستنبطة منه ويؤكد على ذلك بقوله : «وتعد الهرمنيوطيقا الجدلية عند جادامر بعد تعديلها من خلال منظور جدلي مادي ، نقطة بدأ أصلية للنظر إلى علاقة المفسر بالنص لا في النصوص الأدبية ، ونظرية الأدب فحسب ، بل في إعادة النظر في تراثنا الديني حول تفسير القرآن منذ أقدم عصوره وحتى الآن لنرى كيف اختلفت الرؤى (!) ، ومدى تأثير كل عصر ـ من خلال ظروفه ـ للنص القرآني »(١) .

---

(١) إشكاليات القراءة ص ٤٩

إنه يجعل هذه الأدوات الإلحادية هي نقطة الانطلاق لتأويلاتها فينزع عن القرآن مضمونه باعتبار أن مضمون القرآن اسطوري غيبي . ويعطيه دلالات ومضامين أخرى يزعم أنها الوعي بالتاريخ والعالم والنصوص !

يقول عن وعيه الجديد أنه : «وعي ينقل الثقافة . كما نقل المواطن من حالة إلى حالة ، ومن مرحلة «الوعي الديني الغيبي الأسطوري» إلى مرحلة «الوعي العلمي»[١] .

وهو هنا يعطي للنظرية المادية التي تنكر الله سبحانه وتعالى وترفض الوحي ، يعطيها صفة «العلمية» يعطي لها «الهيمنة» على القرآن ! ويريد أن ينقل الثقافة الإسلامية والحقائق الإسلامية إلى حالة أخرى مغايرة لها تماما ، حالة الوعي الماركسي والفرويدي اللعين ، والذي أدى في عالم الغرب إلى فصل الإنسان عن ربه وخالقه ومبدعه في نفس الوقت الذي أنزله إلى مرتبة الحيوان [دارون] وحلل نفسيته بأنها حيوان أشد ولوغا في الجنس من الحيوان .

إن هذا الوعي العلمي المتطرف في حكمه على الدين أدى إلى خلل كبير : « إن التصور الغربي للإنسان يشتمل على خللين أساسيين : الخلل الأول هو أعتبار أن الإنسان هو ذلك الحيوان الدارويني المتطور ، الذي قدمته نظرية دارون في القرن الماضي ، وماتزال تغذيه في كثير من مجالات الدراسة ، والدراسات الإجتماعية بصفة خاصة ، والخلل الثاني هو دراسة الإنسان بمعزل عن خالقه الذي أنشأه وأخرجه إلى الوجود »[٢] .

---

(١) النص ، السلطة ، الحقيقة ١ ؛ قبل ذلك قليلا قال ، أن خطاب التنوير فشل في إحداث التنوير ، وذلك أنه لم يحدث وعي علمي - على نمط وعي أبوزيد - بالتراث ! !

(٢) حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية ص ٥١

وكان قد ادعى ماركس وفرويد ونيتشه وريكور وجادامر وشليرماخر وبولتمان وغيرهم غيرهم كثير أن ليس للإنسان في ظل التطورات الفكرية والفلسفية الغربية الحديثة، ليس له مرجعية خارج حدود نفسه. أي إقامة الإنسان نفسه مرجعا بدلا من الله وراحوا ينظرون إلى الوحي الإلهي على أنه أسطورة. ونقلها نصر حامد أبوزيد معركة ضارية مع القرآن عازلا عنه مضمونه الحقيقي ومضيفا إليه مضمون مادي بحت، ماركسي في غايته، مادي في نظرته. مدعيا أن ذلك هو التأويل الحقيقي المحترم للقرآن !! وأنه يؤمن بثوابت الإسلام !!

تقول بروتوكولات حكماء صهيون : لاحظوا أن نجاح داروين وماركس ونيتشه قد رتبناه من قبل وأن الأثر الأخلاقي لاتجاهات هذه العلوم في الفكر الأممي (غير اليهودي) سيكون واضحا لنا بكل تأكيد !

وليس هناك أوضح من ذلك التأثير الغير أخلاقي الذي جعل نصر أبوزيد يجلب تلك النظريات المادية ومضامينها الإلحادية ليغير بها معاني القرآن وحقائق القرآن وثوابت القرآن : ﴿ **يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ** ﴾ [التوبة الآية: ٣١]

تطبيقات الهرمنيوطيقا:

نأتي هنا إلى تطبيقاته لهذه الفلسفة على القرآن وإعطاؤه مضامينها المجازية التي تنكر وجود الله وتنفي ما أثبته القرآن من حقائق .

فالهدف من الهرمنيوطيقا هو ـ حسب قوله :«أن يعاد فهم النصوص وتأويلها بنفي المفاهيم التاريخية الاجتماعية الأصلية (!) وإحلال المفاهيم المعاصرة الأكثر إنسانية وتقدما (!) ، مع ثبات مضمون النص (!) . إن الألفاظ القديمة لاتزال حية

مستعملة لكنها اكتسبت دلالات مجازية »(١). فكيف يكون ثبات مضمون النص مع تغيير مضمون النص؟!

وهو ما يؤكد دعوته للتحرر من سلطة القرآن «العقائدية والتشريعية».

في النص التالي يقدح في مضمون ما سماه النص ويقدح - ويسخر! - كذلك في إيمان العالم الإسلامي المتمسك - يقول: « بصورة الإله الملك بعرشه وكرسيه وصولجانه (!) ومملكته وجنوده الملائكة ومازال يتمسك بالدرجة نفسها من الحرفية بالشياطين والجن والسجلات التي تدون فيها الأعمال والأخطر من ذلك تمسكه بحرفية صور العقاب والثواب (*) وعذاب القبر ونعيمه ومشاهد القيامة والسير على الصراط... إلى آخر ذلك كله من تصورات أسطورية »(٢)!!

فهو يحذف وينفي هذا المضمون القرآني وهذه الحقائق القرآنية ويجعلها أسطورية وطبعا لأنه لا يستسيغ ما سماه «ظاهرة الوحي» «ظاهرة النص» وفوقيته وثوابته التي نبذها منذ هنيهة، فقد أنكر وجود هذه «الحقائق» واعتبرها «مزيفة».

الأدهى من ذلك. هو أنه ادعى أن أساس «الوحي» ليس هو التنزيل السماوي، وأنه ليس تبليغ رسول الله ﷺ إلى الناس «وحيا من الله» وإنما أساسه هو ما كان يعتقده العربي من إمكانية الاتصال بين البشر والجن - وقد قال بأن هذه الإمكانية أسطورية كما سيأتي بعد قليل بالإضافة إلى حضور وبروز ظاهرتي الشعر والكهانة في المعرفي / التاريخي عند العرب وارتباطهما بالجن: « لقد كان ارتباط ظاهرتي (الشعر والكهانة) بالجن في العقل العربي وما ارتبط بهما من اعتقاد

---

(١) نقد الخطاب الديني ص١٣٣

(*) ومع ذلك زعم انه مسلم يؤمن باليوم الآخر! الاهرام ١٩ / ٦ / ١٩٩٥. والمصور ٢٣ / ٦ / ١٩٩٥ انظر التفسير الماركسي للاسلام ص٥٣.

(٢) النص. السلطة. الحقيقة ص١٣٥

العربي بإمكانية الاتصال بين البشر والجن هو الأساس الثقافي لظاهرة الوحي الديني ذاتها »[1] .

وكل ذلك عند أبو زيد ظواهر اجتماعية ، أفرزها الواقع وطورتها الكهانة والشعر والوحي، واخترعتها مخيلة الأساطير !

الوحي عنده هو «ظاهرة» في «الثقافة» والثقافة عنده إفراز ونتائج التطورات المادية والبنى الاقتصادية والاجتماعية !

فـ «ظاهرة النص»[2] و«ظاهرة الوحي»[3] و«ظاهرة النبوة»[4] و«الظاهرة الدينية»[5] ـ وهي أوصاف نصر أبو زيد ـ نتاج البيئة ، والنبوة عنده ليست ظاهر فوقية مفارقة[6] وإنما هي فاعلية خلاقة لم تتجاوز الآفاق المعرفية للجماعة التاريخية وهي آفاق تحكمها طبيعة البنى الاقتصادية والاجتماعية لهذه الجماعة »[7] .

فظاهرة الوحي ـ بحسب وصفه للوحي وزعمه عنه ـ لم تكن غريبة عن الرسول فهو : « كان يعاني دون شك إحساسا طاغيا بالإهمال والضياع »[8] ولأنه ـ بحسب زعم نصر أبوزيد ـ لم يكن يعزل نفسه عن الواقع ولا عن استخدام إمكانياته وتطويرها لصالحه وما يدعو إليه فقد كرر هو ـ يزعم أبوزيد ـ في النص القرآني الذي يبدأ بـ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** ﴾ الفعل « **خَلَقَ** » ليعوض عن إحساسه بالإهمال الذي لقيه من المجتمع وليختلق له ربا !

---

(١) مفهوم النص ص٢ .

(٢ ٣ ٤ ٥) مفهوم النص ص٢٤ ، ٣٨ ، ٥١ ، ٢٣ .(على الترتيب) .

(٦) المرجع السابق ص ٥٢ (٧) المرجع السابق ص٦٣ .

(٨) المرجع السابق ص٦٧

يقول : « ولا شك أن إحساس محمد الذي تتوجه إليه هذه الرسالة ـ بأن ربه هو الذي خلق ، يتصاعد بذاته وبقيمته وأهميته . ويداوي إحساس اليتم والفقر في أعماقه . ولأن محمدا لا يعزل نفسه عن الواقع وعن إنسان مجتمعه فإن النص يكرر الفعل «خَلَقَ» كاشفا لمحمد عن تساؤلاته عن الإنسان »[١] « إن المتحدث إلى محمد بالوحي ليس غريبا عنه »[٢] !.

فهو هنا يجعل النص من إنتاج محمد ﷺ الذي لا يعزل نفسه عن الواقع ولذلك ، ولسبب إحساسه بالفقر واليتم ، كرر الفعل «خَلَقَ» في هذه السورة مرات ليشعر بأن له كفيلا وعائلا ووكيلا .

وليس المتحدث بالوحي إلى محمد ﷺ في فلسفة «نصر أبوزيد» المادية إلا محمد نفسه ﷺ فالوحي ليس غريبا عنه من هذا الوجه !

وبدلاً من معالجة هذه العزلة وهذا الإحساس باليتم والفقر بالدخول في عالم الكهانة والاتصال بالجن ، فإن محمد ﷺ اتخذ وسيلة أخرى للتعبير عن نفسه فيما سمي «الوحي» هكذا يفكر نصر أبوزيد تقليدا للملاحدة من الغربيين !

وقد طوّر هذا الوحي الواقع وأعاد صياغته من جديد بما يتلائم مع ظروف النبي ﷺ ! «إن النصوص وإن تشكلت من خلال الواقع والثقافة تستطيع بآلياتها أن تعيد بناء الواقع ولا تكتفي بمجرد تسجيله أو عكسه عكسا آليا مرآويا بسيطا »[٣] .

كل ذلك يتماشى مع فلسفة المادية الجدلية التي تدعي أن الواقع هو منشئ الوعي والدين والأخلاق وليس العكس ؛ وأن الوحي ما هو إلا من خيال الأنبياء ناتج عن ظروف الفقر واليتم والاضطهاد !

(١ ، ٢) المرجع السابق ص٦٧ . (٣) المرجع السابق ص٦٩ .

وهكذا تسيطر على نصر أبو زيد الفلسفة المادية . فهو عندما يتكلم عن الجن مثلا - لا يجوز أن يقترب بصورة ظاهرة مماثلة من « الله » بنفس الدرجة وإلا كشف نفسه تماما !(*) - فإنه يدعي بأن الجن - أو الملائكة - مفردات ذهنية ليس لها حقيقة أو وجود خارج الذهن ! : « السحر والحسد والجن والشياطين مفردات في بنية ذهنية ترتبط بمرحلة (!) محددة في تطور الوعي الإنساني (!) وقد حول النص (!) الشياطين إلى قوى معوقة . وجعل السحر أحد أدواتها للاستلاب .. وإذا كنا ننطلق هنا من حقيقة أن النصوص الدينية نصوص إنسانية بشرية لغة وثقافة (!) . فإن إنسانية النبى بكل نتائجها من الانتماء إلى عصر وإلى ثقافة وإلى واقع لا يحتاج لإثبات (!) وما ينطبق على السحر ينطبق على « الحسد » ... وليس ورود كلمة « الحسد » في النص الديني دليلاً على وجودها الفعلي الحقيقي ! ، بل هو دليل على وجودها في الثقافة مفهوما ذهنيا (!) ... يرى علم اللغة الحديث أن المفردات اللغوية لا تشير إلى الموجودات الخارجية ولا تستحضرها ولكنها تشير إلى المفاهيم الذهنية »(1) .

وهو هنا واضح في قوله أن الأشياء التي أثبتها القرآن ليس لها وجود فعلي حقيقي خارجي ، إنما لها وجود في الثقافة ، في المعرفة الأسطورية ، كمفهوم ذهني ليس له في الخارج أي أثر !

فوق ذلك ، يتهم القرآن بأنه فعل محمد الذي لم يعزل نفسه عن الواقع وهو ما أدى به - يزعم نصر أبوزيد - إلى تطوير معارفه الأسطورية وإعطاءها في الوحي الجديد طعم آخر ولون آخر حتى صارت نصا تاريخيا ممتازا !!

(*) اللهم إلا ما تقدم عن كلامه عن الله الملك بعرشه ... وهو من كتابه النص ، السلطة ، الحقيقة ص ١٣٥ .

(١) نقد الخطاب الديني ص٢١٣ ويشير هناك إلى مرجع للفيلسوف (العالم) « دي سوسير » .

وهدف هذه النصوص هو تطوير الأساطير لمصلحة الدين الجديد'

.. فما دامت الصورة التي جاء بها الوحي هي تطوير الواقع ونقله من الكهانة إلى الوحي - بحسب مزاعم د. نصر أبو زيد - كنص ممتاز فلا مانع من تطوير الوحي وإخضاعه لنظريات وإيديولوجيات مادية مسبقة تدعي أنها يمكن أن تكون أفضل من النص نفسه!!

ومادام الخيال والخداع والمصلحة هي المسيطرة على التطوير القرآني - بحسب تهامات كتابات نصر أبوزيد!! - فلماذا لا يُخدم نصر أبوزريد التطوير القرآني لصالح التطوير المادي الجدلي (الماركسي!): «فإذا عرفنا أن سورة «الناس» سابقة في ترتيب النزول على سورة «الجن» أمكننا أن نميز بين هاتين الصورتين: صورة الجن الخناس الموسوس الذي يستعاذ بالله منه وصورة الجن الذي يشبه البشر في انقسامه إلى مؤمنين وكافرين. ولا شك أن الصورة الثانية تُعدَ نوعاً من التطوير القرآني النابع من التوافق مع معطيات الثقافة من جهة (!) والهادف إلى تطويرها لمصلحة الإسلام من جهة أخرى»[1].

وقوله هذا يعني إتهام القرآن بالخداع، واستغلال الأساطير والعمل على تطويرها لمصلحة الإسلام!

ويدعي أنه كشف ذلك بتحليل مستويات السياق اللغوي !الذي يمتد - بزعمه - إلى ما وراء ذلك - لاحظ فلسفة ريكور وبولتمان المذكورة منذ قليل وكذلك فلسفة ماركس وفرويد ونيتشه! - : «يمتد وراء ذلك لاكتشاف الدلالة «المسكوت عنها» في بنية الخطاب»[2]. ويعطي على ذلك مثال: «نكتفي هنا بالإحالة مثلا إلى السياق

---

(١) مفهوم النص ص ٣٦ (٢) النص. السلطة. الحقيقة ص ١٠٩ - ١١٠.

اللغوي لسورة «الجن» في القرآن. حيث يبدو من ظاهر السياق أن النص يتحدث عن ظاهرة «الجن» بوصفها ظاهرة لا يحتاج وجودها لإثبات، لكن وجودها في النص يمثل المعرفي الثقافي الذي تحدثنا عنه في الفقرة الأولى من هذا القسم(*). من هذه الزاوية يبدو النص متجاوبا مع المعرفي الثقافي بدلالة المنطوق (!) - أو الملفوظ - لكنه على مستوى المسكوت عنه (!) - الذي يبدأ من أنسنة الجن (!) بتقسيمهم إلى مؤمنين وكافرين نتيجة استماعهم للقرآن (لاحظ كيف يحيل النص إلى ذاته في أحداث التقسيم)(**) يؤسس مغايرته - أو اختلافه - مع هذا المعرفي الثقافي (!)، وتحليل السياق اللغوي إلى مستوى آخر من مستويات المسكوت عنه (!).. إذا أضفنا إلى ذلك قرار مصادرة الجن، أمكننا القول أن النص يلغي وجود الجن بدلالة المسكوت عنه المستخرجة من تحليل السياق اللغوي (!).. ولا شك أن تحليل مستويات السياق اللغوي في بنية النصوص الدينية بإدخال مستوى المسكوت عنه - ناهيك بمستويات هذا المسكوت عنه المتعددة بتعدد مستويات القراءة يمكن أن تساعد إلى حد كبير في فهم أعمق - وأكثر علمية للنصوص والأهم من ذلك أن هذا العمق في الفهم يقربنا من حدود إنتاج وعي علمي (!) بدلالة النصوص الدينية»(1)!!

فالوعي العلمي عند أبوزيد بدلالة النصوص يلغي دلالة النصوص ذاتها!. كما قال بأن سورة الجن - النص - يلغي وجود الجن! إنه التحرر العلماني من النصوص القرآنية ذاتيا وسلطتها المعرفية والعقائدية ومع ذلك ينكر أنه يطالب بالتحرر من النصوص ذاتها!

(*) لقد قال بأن هذا المعرفي الثقافي هو أسطوري كما قدمنا من كلامه.

(**) ما بين القوسين من كلامه.

(1) النص، السلطة، الحقيقة ص ١٠٩، ١١٠.

إن فعله هنا هو كذب على القرآن نفسه . فالأمم البشرية كلها كانت تؤمن بالجن وفيهم المؤمن وفيهم المتمرد ولم يأنس القرآن الجن ولكن منهم المؤمنون على الحقيقة ومنهم الكافرون والكتب السماوية التي أنزلت على رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كانت تثبت وجود الجن وأصنافهم فلم يضيف القرآن ولم يطور شيئا وإنما قال حقيقة قالها الوحي لكل الرسل لكن أبو زيد - وتحليلاته وأدواته لا تنظر إلا تحت قدميها !

ولا تنظر إلى الوحي إلا بأيديولوچية مسبقة تنطلق من عملية إخضاع قهرية قسرية للقرآن بحيث تستخرج منه ما وضعته فيه !، مغرضة خبيثة ، لا ما هو موجود فيه بالفعل .. ومع ذلك يدّعون أن هذه النية المبيتة وهذه المضامين الدخيلة موجودة في القرآن أصلا وأنه التحليل العلمي لا أكثر ولا أقل !!

ولذلك بالقيام بعملية إلغاء حقائق القرآن يحاول أن يُخضع القرآن للتطوير الغربي ويحرك دلالة النصوص القرآنية إلى نقيضها التام - فسورة الجن تنفي وجود الجن ! زعم !-

يقول :« وليس معنى القول بتاريخية الدلالة(!) تثبيت المعنى عند مرحلة تشكل النصوص - كما سبقت الإشارة - ذلك أن اللغة - الإطار المرجعي للتفسير والتأويل - ليست ساكنة ثابتة ، بل تتحرك وتتطور مع الثقافة والواقع (!) وإذا كانت النصوص - كما سبقت الإشارة تساهم في تطوير اللغة والثقافة من جانب إنها تمثل « الكلام » في النموذج السوسيري[*] ، فإن تطور اللغة يعود ليحرك دلالة النصوص وينقلها في الغالب من الحقيقة إلى المجاز (!) وتتضح هذه الحقيقة بشكل أعمق بتحليل بعض أمثلة من النص الديني الأساسي وهو القرآن »[1] .

(*) يقصد نموذج العالم « دي سوسير » وهو ملحد مات منتحرا !

(١) نقد الخطاب الديني ص٢٠٧

ولذلك فهو لا يجد حرج - في موقف احرج - ان يعلن انه يؤمن بالله والغيب واليوم الآخر وبالملائكة وبالقدر خيره وشره .. ولكن يؤمن بها مجازات لا حقائق، ومفردات ذهنية لا أكثر ولا أقل !!

وما يضره هذا الإعلان وهو لم يعمل إلا على إلغاء حقيقته، أبقى على اللفظ والرمز، اللغة والمنطوق، لكن دلالاتها حرفت إلى مجازات الماركسية وما يشف عنه المعنى عند ريكور وبولتمان وما يكشفه ماركس - اليهودي الكذاب - وفرويد وفلاسفة الهرمنيوطيقا !! ولا من شاف ولا من درى !!

هذه خصائص المتسترين بالنصوص من فريق «الهدم من الداخل» من العلمانيين !

بعد «القرآن» عقبة «الظلال» !

إن فلسفة «نصر أبوزيد» تنهج نهج الفكر الغربي في تطوير كل شيء، حتى عقيدة المسلمين، وعنده أن «تغيير العالم» لا يتم حتى ينال التطوير عقائد المسلمين التي نزل بها الروح الأمين «جبريل» - عليه السلام - وحيا قرآنيا .

لقد طال بالنقد الوحي نفسه كما قدمنا وزعم أنه انطلق من تصورات معرفية أسطورية للبيئة التي تظهر فيها .

وفي طريقه لإدخال «نظرية الهرمنيوطيقا التفسيرية» التي تنطلق من إلغاء الوحي و«استقلال الإنسان» كنقطة بدء أصلية لتغيير معالم «القرآن» وتفسيره، الذي طالب بإعادة النظر فيه[1] وجد تفسير ظلال القرآن لسيد قطب عقبة شديدة أمام تمرير هذه النظرية الغربية واختراق المعنى القرآني وتفسيره بها !

---

(١) انظر إشكاليات القراءة ص٤٩ وقد قدمناه قبل قليل

كان « سيد قطب » قد دافع عن العقيدة الإسلامية دفاعا قويامجيدا . وأبرز الصلة بين العبد وربه وقال بأنها صلة تتمثل في كمال الحب والذل من العبد لربه . الخوف والرجاء . الأنس وعدم استيحاش العبد من ربه يقول تعليقا على قوله تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ [المائدة الآية : ٥٤] فالحب والرضى المتبادل هو الصلة بينهم وبين ربهم .. الحب .. هذا الروح الساري اللطيف الرفراف المشرق الرائق البشوش .. هو الذي يربط القوم بربهم .

وحب الله لعبد من عبيده ، أمر لايقدر على إدراك قيمته إلا من يعرف الله ـ سبحانه ـ بصفاته كما وصف نفسه . وإلا من وجد إيقاع الصفات في حسه ونفسه وشعوره وكينونته كلها ... وحب العبد لربه نعمة لهذا العبد لا يدركها كذلك إلا من ذاقها .. وإذا كان حب الله لعبد من عبيده أمرا هائلا عظيما ، وفضلا غامرا جزيلا ، فإن إنعام الله على العبد بهدايته لحبه وتعريفه هذا المذاق الجميل الفريد ، الذي لا نظير له في مذاقات الحب كلها ولا شبيه .. هو إنعام هائل عظيم .. وفضل غامر جزيل(١) كذلك قال في تفسير قوله تعالى ﴿ ... وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ [البقرة الآية : ١٦٥] أن « الصلة بين المؤمن الحق وبين الله هي صلة الحب ، صلة الوشيجة القلبية ، والتجاذب الروحي ، صلة المودة والقربى . صلة الوجدان المشدود بعاطفة الحب المشرق الودود »(٢) .

رغم وجود هذه الصلة في الإسلام ، ورغم تأكيد « الخطاب الإسلامي المعاصر » لهذه الصلة في كل الكتابات التي يصدرها ـ إقرأ مثلا كتب الشيخ القرضاوي والشيخ محمد الغزالي ـ ورغم ظهور وبروز هذا المعنى في كل كتابات الأستاذ سيد قطب ، خصوصا في تفسيره « الظلال » إلا أن د . نصر أبوزيد ينفي هذا الوجود ! .

---

(١) ظلال القرآن . المجلد الثاني ص ٧٧٣ (٢) المرجع السابق . المجلد الأول ص ٢١٧ .

ويقول: «من الجدير بالملاحظة (!) أن الخطاب الديني يلجأ إلى التأويل المجازي (!) للنصوص لنفي علاقة الحب والولاية والقرب بين الله والإنسان »[1] (ينفي العلمانيون الحقائق ثم يتهمونك بأنك أنت الذي تنفيها) إن الجدير بالملاحظة هنا هو أن الأستاذ الجامعي د. نصر (للأسف أنه أستاذ جامعي !) يزيد على الكذب الافتراء والعجب أنه من قال « لا فارق كبير بين الكذب والتزييف على كل حال »[2] .

ويقول بأن ما فعله هو التفكير - كمفكر حر ! - في زمن التكفير ، والكلام أعلاه من النقد الحر !

يحاول أن يلصق بالإسلام ، وبتصور الخطاب الإسلامي لحقيقة العبودية . مفاهيم قبلية لهذه العبودية ! ويدعي أن صورة الحب داخل هذه العلاقة ليس لها وجود ! إنها فقط علاقة أقوى / أضعف على أساس قبلي ، الناتج عن الصراع القبلي ! : « ومن الطبيعي في ظل علاقات الصراع أن تلجأ القبائل الضعيفة لالتماس الحماية من القبائل القوية التي تتأثر بالمواد المتاحة ومن هنا نشأت علاقات الولاء بين القبائل ... لأنها علاقة أقوى / أضعف ... »[3] .

وعنده أن : « ثنائية الألوهية / العبودية » : « تختزل علاقة الإنسان بربه في هذا البعد وحده »[4] .

ويدعي أنه قد كشف عن « البعد التاريخي للنصوص » في هذه القضية وذلك بالاحتكام إلى العقل : « نريد الاحتكام إلى العقل الذي يردنا إلى البعد التاريخي للنصوص وهو البعد الذي يهدره الخطاب الديني في أحكامه كلها »[5] .

---

(١) نقد الخطاب الديني ص١٣٣
(٢) التفكير في زمن التكفير ص٨٤
(٣ ، ٤ ، ٥) نقد الخطاب الديني ص١٣٢

ـم ذهب يستدعي لنا مسألة القبلية والعبودية القائمة على الصراع فيها ليعكسها على ما دعاه بـ «ثنائية الألوهية / العبودية» التي ذكرتها النصوص !

مع أن عقيدة الألوهية وطبيعة العبودية تختلف في أصلها عن جميع أنواع العبوديات التي جاء الإسلام لتحطيمها فإنما جاء الإسلام ليخرج العباد من عبادة العباد للعباد إلى عبادة رب العباد كما قال ربعي بن عامر لرستم قائد الفرس، سواء أكانت هذه العبادة هي عبادة القبيلة أو العرق أو الوطن أو القومية أو الرؤساء في القبيلة أو في الكهانة الدينية كما ذكر الله عن الأحبار والرهبان، أو عبادة شرائع البشر وفلسفتهم والتي يؤمن د. نصر بواحدة منها، بل بأكثر من واحدة !.

وجوهر العبادة في الإسلام وشكلها يختلف عن هذه العبوديات المنحطة جميعا. إنها عبودية لله العزيز الكريم قائمة على حقيقة تكريم الله للإنسان ﴿ولَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء الآية: ٧٠].

عبودية كريمة .. وإنسانية كريمة .. وصلة ود وقرب وحب.

فالإنسان - بجنسه - كريم على الله كما قال الشيخ سيد قطب - رحمه الله -: وأن كرامته ذاتية أصيلة، لا تتبع جنسه ولا لونه، ولا بلده ولا قومه ولا عشيرته، ولا بيته، ولا عرضا من الأعراض الذاتية الرخيصة، وإنما تتبع كونه إنسانا من هذا الجنس الذي أفاض عليه ربه التكريم[1].

فأين هي صورة المجتمع القبلي هنا، الصورة التي يلصق د. نصر تاريخها

---

(١) هذا الدين ص ٨٣

ويلحقها بالنصوص الإسلامية وتصور الخطاب الإسلامي المعاصر لها. وخصوصا تصور الشيخ سيد قطب وهم منها براء!.

ولكنها الماركسية التي مخمخت في عقل الأستاذ الدكتور؛ وأفهمته أن كل علاقة في الكون فإنما هي علاقة مادية ناتجة عن أساليب الإنتاج والتطور المادي للمجتمعات والقبائل !! وصراع الطبقات !! صراع الأعلى / الأدنى.

أما علاقة الود والحب، والعلاقة الحقيقية بين العبد وربه، فهي ما قالت عنها الماركسية، المادية الجدلية أنها ليس لها أصلا وجود لعدم إيمانها بالإله أصلا !!!

ويأتي د. نصر متسللا داخل الأسوار حاملا معه قنابل الماركسية الإنشطارية ليفجرها في وجه العلماء المسلمين والجماهير المسلمة. متسترا بقناع الفكر الحر، أو الفكر الإسلامي محركا دلالات النصوص الإسلامية من النقيض إلى النقيض، محاولا تحطيم العقيدة الإسلامية، معلنا أنه يقدر وهو لا يقدر، وإنه سوف لا ينهزم ومع ذلك فقد انهزم، فهي سنة الله في أعدائه ﴿ **سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ** ﴾ [القمر: ٤٥] !

﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ۝ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦] فربما يتذكر الدكتور هذه الصورة التاريخية لمن انسلخوا ويتفكر فيها لعله يتذكر أو يخشى !وهو ما نرجوه !!

هل «الحاكمية» هي «قداسة رجال الدين»؟

كذلك يدعي «نصر أبوزيد» أن مفهوم «الحاكمية» يعني قدسية رجال الدين وجعلهم سلطة كهنوتية تستبد بالأمور مع ادعاء الصله المباشرة بالله في كل ما تقوم به من أعمال وأفعال.

يدعي د. نصر أن هذا هو مفهوم «الحاكمية» عند الأستاذ المودودي والأستاذ سيد قطب، بل يدعي - كذبا وزورا - أن الخطاب الإسلامي المعاصر يدعي العصمة والقدسية، وهي اتهامات يعلم العلمانيون قبل الإسلاميين أنها محض افتراءات! لكن يظهر أن المعركة تحتاج، بالإضافة إلى المداورة والخداع، إلى الافتراء والكذب، وهو ما جر «نصر أبوزيد» إلى الإكثار من كل ذلك لعله يكسب المعركة!

الدكتور يوسف القرضاوي تولى الرد على هذا الادعاء بقوله: «الحاكمية» التي قال بها المودودي وقطب وجعلاها لله وحده، لا تعني أن الله تعالى هو الذي يولي العلماء / والأمراء، يحكمون باسمه. بل المقصود بها الحاكمية التشريعية فحسب، أما سند السلطة السياسية فمرجعه إلى الأمة، هي التي تختار حكامها، وهي التي تحاسبهم وتراقبهم، بل تعزلهم، والتفريق بين الأمرين مهم والخلط بينهما موهم ومضلل، كما أشار إلى ذلك الدكتور أحمد كمال أبو المجد بحق، فليس معنى الحاكمية الدعوة إلى دولة ثيروقراطية، بل هذا ما نفاه كل من سيد قطب والمودودي رحمهما الله.

أما سيد قطب فقال في «معالمه»: «ومملكة الله في الأرض لا تقوم بأن يتولى الحاكمية في الأرض رجال بأعينهم - هم رجال الدين - كما كان الأمر في سلطان الكنيسة، ولا رجال ينطقون باسم الآلهة. كما كان الحال فيما عرف باسم

«الثيوقراطية» أو الحكم الإلهي المقدس ولكنها تقوم بأن تكون شريعة الله هي الحاكمة . وأن يكون مرد الأمر إلى الله وفق ما قرره من شريعة مبينة ، أما المودودي فقد أخذ بعض الناس جزءا من كلامه وفهموه على غير ما يريد ، ورتبوا عليه أحكاما ونتائج لم يقل بها . ولا تتفق مع سائر أفكاره ومفاهيم دعوته . التي فصلها في عشرات الكتب والرسائل والمقالات والمحاضرات .

وذكر كلام المودودي من أن نظام الحكم في الإسلام : خول فيه للمسلمين حاكمية شعبية مقيدة ، وذلك تحت سلطة الله القاهرة وحكمه الذي لا يُغلب ؛ ولا تتألف السلطة التنفيذية إلا بآراء المسلمين ، وبيدهم يكون عزلها من منصبها . كذلك جميع الشئون التي يوجد عنها في الشريعة حكم صريح لا يقطع فيها بشيء إلا بإجماع المسلمين .

وكلما مست الحاجة إلى إيضاح قانون أو شرح نص من نصوص الشرع ، لا يقوم ببيانه طبقة أو أسرة مخصوصة فحسب ، بل يتولى شرحه وبيانه كل من بلغ درجة الاجتهاد من عامة المسلمين»

ثم يضيف الدكتور يوسف القرضاوي أنه ليس معنى «الحاكمية» «العليا» و«المطلقة» لله أنها تنفي أن يكون للبشر قدر من التشريع بل هي : لا تنفي أن يكون للبشر قدر من التشريع أذن به الله لهم . إنما هي تمنع أن يكون لهم استقلال بالتشريع غير مأذون به من الله وذلك مثل التشريع الديني المحض ، كالتشريع في أمور العبادات . . ومثل التشريع في الحلال والحرام . كأن يحلوا ما حرم الله ، أو يُحرموا ما أحل الله . . وكذلك التشريع فيما يصادم النصوص الصحيحة الصريحة كالقوانين التي تقر المنكرات ، أو تشيع الفاحشة ما ظهر منها وما بطن ، أو تعطل الفرائض المحتمة ، أو تلغي العقوبات اللازمة . أو تتعدى حدود الله

معلومة .. يستطيع المسلمون ان يشرعوا لانفسهم باذن من دينهم في مناطق واسعة من حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية غير مقيدين إلا بمقاصد الشريعة الكلية ، وقواعدها العامة . وكلها ترعى جلب المصالح ، ودرء المفاسد ، ورعاية حاجات الناس أفرادا وجماعات .»[1] .

إذن الحاكمية هي تحكيم شريعة الله لا تقديس الحكام ، بل يمكن عزل الحكام إذا خالفوا هذه الشريعة مخالفة تجب عندها العزل ، كأن يخرجوا عليها أو يستبدلوا بها غيرها أو ما إلى ذلك مما ذكر العلماء أنها من أسباب عزل الحكام إن توفرت أسبابه !

إن «الحاكمية» أيضا تعني «منهج الله» والاحتكام إليه في كل شئون الحياة ، فالمنهج الإلهي هو القاعدة التي تقوم عليها الحياة كلها وهو مخالف لمنهج العلمانية التي جعلت المنهج البشري هو الأصل والأساس ، يقول نصر أبوزيد «وإذا كان الفكر الديني يجعل قائل النصوص ـ الله ـ محور اهتمامه ونقطة انطلاقه فإننا نجعل المتلقي ـ الإنسان ـ بكل ما يحيط به من واقع اجتماعي تاريخي ـ هو نقطة البدء والمعاد»[2] .

وهو كلام لا يختلف كثيرا عن كلام د . حسن حنفي :« لا سلطان إلا للعقل ولا سلطة إلا لضرورة الواقع »[3] فالهيمنة في ظل العلمانية للمادة وللعقل أو لما إلى ذلك من أصول مادية أما في ظل الإسلام فإنها لمنهج الله عز وجل ، خالق الإنسان والعقل والحس والمادة .

---

(١) بينات الحل الاسلامي وشبهات العلمانيين والمتغربين ص ١٦٤ ١٦٧

(٢) نقد الخطاب الديني ص ٢٠٠ (٣) التراث والتجديد ص ٤٥ .

إن منهج الله كما قال الأستاذ سيد قطب : « إنما يجعل الدين بوتقة الحياة كلها .. تصهر فيه . ثم تشكل في جميع صورها وألوانها . كما يجعله هو الإطار الذي تزاول الحياة كل نشاطها في داخله . وهو المحور الذي تشد الحياة كلها إليه . والعقل والعلم والصناعة والاقتصاد والسياسة والصلاة والدعاء والاتصال بالملأ الأعلى ، ظواهر لهذا النشاط حول هذا المحور وداخل هذا الإطار .. إن منهجنا يفهم الدين على أنه منهج الحياة الإنسانية بكل مقوماتها .. المنهج الذي وضعه الله . وارتضى أن تسير وفقه الحياة .. منهجنا يبدأ من نقطة تصحيح مركز الإنسان في هذا الوجود . وتعيين مكانه ودوره ، ووظيفته وحقوقه وواجباته .. إنه ليس إلها ينازع « الآلهة »(*) وتنازعه . وليس كذلك حيوانا جاءت سيادته على الأرض مصادفة ، وقد يقوم مقامه في هذه السيادة غدا قط أو فأر !

وليس آله تحسب قيمته بقوة « الأحصنة » التي يساويها في قوة التحريك والإدارة وليس عبدا للمادة ، ولا هو لوحة تطبع فيها المادة « أو الطبيعة » ما تريد وليس عبدا للآله ، تصرف حياته وأفكاره وأوضاعه كما تتصرف هي وتتقلب .. وليس « نمرة » ولا مجموعة « نمر » تتحرك داخل القطيع بلا شخصية مميزة ولا كيان « فردي خاص » .

وليست المرأة أحبولة الشيطان ، وليس اتصال الجنسين رجسا من عمل الشيطان .. كلا إنما الإنسان .. « إنسان » وليس إلها ـ هو سيد هذه الأرض وهو عبد الله في آن .. وهو مسلط على الأرض ، ومسخر له كل ما فيها ، وعليه أن يخلف الله ـ سبحانه ـ فيها ، ويغير فيها ويبدل . وينمي فيها ويرقى ، وهو معان بما في نواميس هذا الكون من عون للإنسان في هذا المجال .. وفي الوقت ذاته هو

(*) انظر أيضا حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية ص ٢٥ ، ٢٦ .

من نفسه فيحرم مقدس . حرم من حرمات الله . لا يمسه إلا بإذن الله . ولا يعمل فيه إلا بمنهج الله . ولم يوهب معرفة أسرار هذا الحرم - إلا بقدر - ولم يسمح له أن يضع له من تلقاء نفسه المناهج والخطط والشرائع والأوضاع ، ولم يؤذن له أن يتخذ إلهه هواه .. وهو «إنسان» - وليس حيوانا - هو مخلوق فذ في هذا الكون . مخلوق قصدا ، ولخلقته حكمة . ومزود بطبيعة خاصة - فوق طبائع الحيوان - وبخصائص معينة - فوق خصائص الحيوان - لأداء وظيفة معينة في الأرض لا يؤديها الحيوان ، وله - من ثم - مقام كريم ، يعادل وظيفته الكريمة .. كان كذلك يوم نشأ ، وهو كذلك اليوم ، وسيكون كذلك غدا .. والذين خالفوا عن هذه الحقيقة يعودون إليها مرغمين الآن .. وهو «إنسان» - وليس «ثمرة» ولا فردا من القطيع - هو إنسان يتميز أفراده بعضهم عن بعض ، ويتمتع كل أفراده بذاتية مستقلة لا نظير لها ، ووحدانية حقيقية - رغم اشتراكهم جميعا في خصائص إنسانية عامة - ولكل فرد منهم «خصائصه الذاتية» إلى جانب «الخصائص الإنسانية» .. ومن ثم ينبغي أن يكون النظام الاجتماعي ، والنظام الاقتصادي ، والنظام السياسي والطريقة الفنية للعمل في المصانع وغيرها (التكنولوجيا) مبنية على أساس ملاحظة «الخصائص الإنسانية» العامة أولا ، و «الخصائص الفردية الذاتية» ثانيا ، فلا يحشر الجميع في نظام للعمل كالقطيع ، ولا يكون عمل الفرد في المصنع أو في أي مكان ، بديلا عن عمل الآلة .

وهو «إنسان» من ذكر وأنثى .. من نفس واحدة ، نعم .. ولكنهما جنسان ومنهجنا يعرف هذه الحقيقة بشطريها ، ويكفل لشطري النفس الواحدة حقوقا واحدة - فيما يتعلق بالأصل الإنساني العام - ولكنه في الوقت ذاته يفرض على كل منهما واجبات مختلفة ، وفق الوظيفة العامة في العمران ، ووفق طاقة كل

منهما ومجموعة تكاليفه ..»[1]

هذا هو الإطار الحاكم لما أسماه الأستاذ سيد قطب «الحاكمية»، وليس في هذا الإطار ما يُكبِل الإنسان أو يحط من قيمته. وفقط هو يربطه بالذي خلقه وسواه وعدله «الله» عز وجل.

وشمولية النصوص القرآنية تدور في هذا المحور وداخل هذا الإطار، وإذا كانت -كما يقول نصر أبو زيد: «الحاكمية هي الصياغة الحديثة لمبدأ شمولية النصوص»[2] فإن الحاكمية الإسلامية وشمولية نصوصه للحياة كلها ليس فيها ضرر على الحياة التي شملها الله برعايته وليس فيها ما زعم (أبوزيد) أن لها أو لمبدأ شمولية النصوص في الإسلام: «له امتداداته الضارة جدا في بنية الوعي على جميع المستويات: الاجتماعية والسياسية والفكرية على حد سواء»[3] وليس في الاعتماد على هذه المرجعية الإسلامية لحل المشكلات مازعمه أنه تعقيد أكثر للمشاكل: «إن حل مشكلات الواقع إذا ظل يعتمد على مرجعية النصوص الإسلامية يؤدي إلى تعقيد المشاكل»[4] !!

فـ يقول ـ: «خطر الحاكمية ليس مقصورا على مستوى الدلالة السياسية، بل يمتد عميقا في بنية الوعي الاجتماعي بدءا من الأسرة .. فتحول المؤسسة الدينية ـ الأزهر ـ إلى حكم في شئون الفكر والإبداع والعقلي والفني. وإن وجود جهاز للرقابة على الكتاب والمصنفات الفنية والأدبية كارثة في حد ذاته»[5] !!!

---

(١) الإسلام ومشكلات الحضارة ص ١٧٤-١٧٦.

(٢ ٣ ٤) النص . السلطة . الحقيقة ص ١٤٣ بتهم الإمام الشافعي أنه ... التعصب لسلطة النصوص ولشموليتها لكل مجالات الحياة . من كتابه . الإمام الشافعي . ص١٣٧ وكان الإيمان بالوحي مهيمنا على الإنسان في جميع أحواله تهمة وعيبا!

(٥) المرجع السابق ص١٤٤

وقد قدمنا كلامه في بداية هذا الفصل بأنه يطالب لا بالتحرر من الأزهر وإنما من «سلطة النصوص»[1] وسيأتي الرد على دعوته بتحرير الأعمال الأدبية والإبداعية من الالتزام القيمي والأخلاقي الذي دعت إليه نصوص الإسلام وأوجب الالتزام به، فالحرية هي الأصل !!

لكن علينا هنا أن نقول له في عجالة بأن الحضارة الإسلامية التي اعتمدت على المباديء الإسلامية والقيم الإسلامية واتخذت الوحي مرجعا أساسيا ونهائيا في حركتها ونموها وتقدمها، تقدمت وقدمت للعالم نموذجا حضاريا عظيما بهر الشرق والغرب سواء، وحل المشكلات الكبرى للعالم وقدم للغرب هدية البحث العلمي الذي حركه. وثورة الإسلام وابتدعته المرجعية الإسلامية وأعاد لأوروبا الحياة التي امتطتها الفلسفة الإلحادية بعد ذلك وصنعت المشاكل المعقدة في الحياة الاجتماعية والإنسانية وغيرها من الحيوات، يعترف بذلك بريفولت في كتاب «بناء الإنسانية»: «ولم يكن العلم وحده هو الذي أعاد إلى أوروبا الحياة، بل إن مؤثرات أخرى كثيرة من مؤثرات الحضارة الإسلامية بعثت باكورة أشعتها إلى الحياة الأوروبية»[2].

لقد أثرت «المرجعية الإسلامية» على الشباب الأوروبي الذي تعلم في الأندلس ومن المراجع الإسلامية، وحلت مشاكل عويصة في حياتهم المظلمة بمجرد تأثرهم بإشعاعاتها ورجعوا متأثرين بقوة حضورها في الحضارة الإسلامية في الأندلس وصقلية وغيرهما من بلاد المسلمين فحاربوا خرافات الكنيسة ونظرتها إلى

---

(١) والنص في كتابه الإمام الشافعي. وتأسيس الأيديولوجية الوسطية ص١٤٦ .

(٢) عن كتاب «تجديد الفكر الإسلامي» لمحمد إقبال ص١٤٩ نقلا عن حول التأصيل والإسلام للعلوم الاجتماعية ص٢٢

الإنسان «الرجل والمرأة» وإلى العالم وإلى الثورة والسلطة وغير ذلك من أمور كانت لا تعرف إلى الحل طريقا !

ومفهوم الحاكمية عند سيد قطب أو المرجعية الإسلامية لكل مناحي الحياة لا يعني إهمال العقل أو التفكير أو النظر أو التحليل والقياس أو الرصد والاكتشاف وإماتة الإبداع والحرية كما زعم «أبوزيد» وإنما على العكس من ذلك فإنه كما تقدم من كلام سيد قطب نفسه فإن العقل والعلم ونشاط الحياة كلها لا يجب إهماله وإنما يجب القيام بالنشاط العقلي والعلمي في هذه المجالات داخل إطار الثوابت الإسلامية.. انطلق وتحرك واكتشف وابدع غير مستقل عن دين الله وقيمه ومبادئه، جرِّب واصنع وبع واشتري داخل إطار القيم والمبادئ الإلهية، تخيَّل وفكر وتفنن في كل مجالات الفن، لكن التزم حدود الأدب الرباني والفطرة الإنسانية والشرع الإلهي والأخلاق الإسلامية انظر إلى المادة ولكن لا تطمس بها شفافية الروح، إدرس عالم الإنسان لكن لا تبدأ من منطلق أنه حيوان متطور، فسِّر التاريخ البشري ولكن لا تُجزِّء الإنسان، فلا تجعله مادياً وتخرج علينا بنظرية قاصرة تقول بأن المادة هي الأصل والمشاعر والفطرة طارءتين على التاريخ والحياة !

حلِّل الإنسان ولكن لا على أنه حيوان غارق في الحيوانية وتهمل روحه وفطرته وتجعل ميوله لأمه جنسية ولأبيه عدوانيه وأنه من هذه الميول والدوافع حدث الكبت وظهرت القيم وانبثق الدين !

تَمَلَّ في «الفرد» لكن لا تلغي خصائصه وتزعم أن السلطان له على نفسه - أو أن السلطان كله له ! وأنه ليس له فطرة ثابتة وأنه ليس كائنا أخلاقيا في ذاته، وإنما الأخلاق والأسرة والقيم الأخلاقية طارئة على كيانه ! لا تنظر وتفحص

وتتبع وترصد وتنتهي إلى ما انتهى إليه ماركس ونيتشه وفرويد وداروين ودوركايم !(*) . (في كتابه نيتشه ص٤٦ يقول د. فؤاد زكريا : «فلم يكن نيتشه يهدف من فكرة «موت الإله» إلا إفساح الطرق أمام الإنسان ») !!!!

لكن انظر إلى العالم بشمولية ، عالم الغيب وعالم الحس . والإنسان بجدية . عالم الجسد وعالم الروح . ولا تفصل الحياة عن الله ، ولا الإنسان عن الوحي ، ولا مناحي الحياة عن مباديء وقيم وتشريعات وإرشادات الدين .

لأي سبب يهاجم نصر أبو زيد محمد عبده والطهطاوي؟!

نعم ، إن شمولية المبادئ الإسلامية والتشريعات الإلهية للحياة كلها أمر ثابت في دين الله ، الشيء الذي يعيق تقدم الماركسيين والنفعيين من أمثال «نصر أبوزيد» وهو لا يهاجم علماء الإسلام إلا بسبب أنهم حافظوا على عقيدة الإسلام ضد ما دعاه العلمانيون : التغيير للمفاهيم الدينية ! وللعقيدة الإلهية ! فهو يهاجم الإمام «محمد عبده»[1] و«الشيخ رفاعة الطهطاوي» لسبب أنهما أكدا على الهوية الإسلامية باعتبار أنها هوية الأمة المسلمة . وأكدا أن «المرجعية الإسلامية» هي مرجعية الأمة لا الفلسفات والأهواء الغربية ومبادىء الاستعمار الغربي

(*) لقد انتهوا إلى القول بحيوانية الإنسان وأنه حسي في تصرفاته كلها حتى في الدين وأن الأسرة والفطرة والعلاقة بين الجنسين ليست أشياء أصيلة في كيانه ولذلك يجب تدمير ذلك كله أو تركه يلقى جزاؤه في التطور النافع !

(١) كتب الشيخ محمد عبده كتاب « الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية » الذي رد به على النصراني اللبناني فرح أنطون . كذلك كتب كتاب « الإسلام والعلم» الذي رد به على وزير خارجية فرنسا . وقد ألف الكتاب في ليلة واحدة لشدة غضبه من الهجوم الفرنسي ، وملأه بالوثائق التي تشرف الحق وتخزي الباطل . وللشيخ بعض المؤلفات التي سأل الله أن يغفرها له . لكنه - رحمه الله - وقف يدافع عن الإسلام وألف تفسيره الجيد لإحياء الأمة من موات . ثم من من عباقرة الأرض رزق العصمة كما ذكر الشيخ القرضاوي انظر كتاب «الشيخ الغزالي كما عرفته» للدكتور يوسف القرضاوي ص١٥٩-٢٦٠

والاستشراق المغرض، وأثبتا أن الانحطاط الذي لحق بهذه الأمة هو لسبب بعدها عن الإسلام وليس لسبب إلتزامها الإسلام مرجعية لها .

وأقاما بالأدلة المادية أن الحضارة الإسلامية انطلقت بمبادئ العلم والعقل الصحيح داخل إطار الثوابت الإسلامية والقيم والمفاهيم الإسلامية وهو ما أدى إلى ازدهارها وتقدمها وشهرتها في العالم بالعظمة والعلم والسماحة والاتزان .

لتلك الأسباب كلها هاجم د. نصر أبو زيد هاذان العالمان أيضا ـ لأن من جبتهما كما ذكر ـ خرج الخطاب الإسلامي المعاصر ! يقول رافضا الهوية الإسلامية والمرجعية الإسلامية :«لقد تم إرجاع سر التخلف والانحطاط إلى البعد عن الإسلام، من هنا لم يكن الطهطاوي يجد في باريس ما يتناقض مع قيم الإسلام الصحيحة، بل حاول أن يرد التقدم إلى مفاهيم وقيم إسلامية، واعتبر أن مفاهيم « الحقوق الطبيعية » و«النواميس الفطرية» و«الحرية والمساواة» كلها مفاهيم موجودة في علم « أصول الفقه الإسلامي » .. واشتهرت إلى حد بعيد عبارة الإمام محمد عبده :« وجدت هناك إسلاما بلا مسلمين ، بينما يحيا هنا مسلمين بلا إسلام» . ومعنى ذلك أن العقل العربي تقبل الصورة التي طرحها الأوروبي عليه (!) وأن الإسلام هويته (!) ، لكنه لم يتقبل بقية الصور التي تربط التخلف والانحطاط بالإسلام (!) وقام بدلا من ذلك (!) بطرح تفسيره الخاص للتخلف والانحطاط بالابتعاد عن قيم الإسلام الأصيلة، والتي صنعت تقدم الغرب ومدنيته رغم أنها لا تحمل لافتة الإسلام . وهكذا في حين تم الفصل بين «الإسلام» و«المسلمين» تم إعادة تفسير الإسلام لينطق بقيم التمدن والحضارة الوافدين(!) ، بصرف النظر عن اختلاف السياق، وبدلا من إدراك أسباب التقدم

والتطور والنهوض يردها إلى عملية تحرير الإنسان وتحرير عقله(*) يصر الإمام محمد عبده على التعبير عن دهشته لما حققته أوروبا من تقدم رغم كونها مسيحية ، وبعبارة أخرى يصر على جعل الدين إطار التفسير الوحيد . ولذلك يجعل من غياب القيم نفسها تفسيرا لتخلف العرب وانحطاط العالم الإسلامي . . إن الفارق بين الطهطاوي وعبده فارق كمي ولا كيفي ، ذلك أن عبده يخوض سجلا ضد الاستشراق الذي يهاجم الإسلام ويحمله مسئولية كل مظاهر الانحطاط والتخلف (**) في حين أن الطهطاوي يمرر قيم الحضارة الحديثة باسم الإسلام ، لكن الإثنين معا ينتهيان إلى مرجعية الإسلام (!) ويتقبلان الصورة التي صاغها الآخر (!) وصدرها للأنا . صورة الإسلام الهوية والإطار المرجعي»(١) . .

يكذب د . نصر هنا فيقول بأن صورة الإسلام الهوية والإطار المرجعي ، هي غزو فكري انطلى على الشيخان وعلي المسلمين ، في حين أن الغزو الفكري الحقيقي هو المرجعيات الغربية والتي يتبنى الدكتور نصر بعضها وحاول أن يجعل القرآن ينطق بمضامينها ! ولكن حيلة التستر بالإسلام التي يقوم د . نصر بدور كبير فيها تجعل هؤلاء العلمانيين يجعلون الدفاع عن الإسلام عمالة والعمالة دفاع عن الإسلام والأمة والتراب !

(*) من الذي حرر عقل الأوروبي لينطلق باحثا ومجربا ومكتشفا وراصدا ومتتبعا ومتعلما ؟ إنه فعلا الإسلام كما قدمنا من كلام «بريفوليت» لكن لعدم تقبل أوروبا الإسلام نفسه تركت الفلسفة تمسك بزمام الأمور حتى أفسدت المجتمعات وحطمت الأخلاق ونبذت الدنيا مع استمرار عمليات الاكتشاف والرصد والتجريب التي بدأت فعلا بالإسلام ! لكن د . نصر أبو زيد يرفض هذه الحقيقة ويحاول تزييفها وطمس أنوارها . تحرر العقل الأوروبي اليوم فكفر بالله ! !

(**) هذا كذب على الشيخ . فقد أشار كثيرا إلى أن التخلف هو بسبب مرض الأمة وظهور البدع فيها وتخلفها عن الإسلام نفسه ثم دور الاستشراق كان كبيرا فهو ذراع الاستعمار الفكري وعينه اليمنى !

(١) النص . السلطة . الحقيقة ص ٢٣-٢٥

إن مستر «هانوتو» هو (جابرييل هانوتو ١٨٥٣ - ١٩٤٤م) وزير خارجية فرنسا، والذى كشف الشيخ محمد عبده كذبه وأضاليله وأهدافه الاستعمارية والاستشراقية طالب باستئصال : «جرثومة الإسلام» [*] وكان يفرح كلما رأى الخطة لاستئصال بلدا إسلاميا تأتي بنتائجها المرجوة !

قال عن «تونس» : «إذن يوجد الآن بلد من بلاد الإسلام قد ارتخى بل انفصم الحبل بينه وبين البلاد الإسلامية الأخرى الشديدة الاتصال بعضها ببعض»[١]. «وتسربت الأفكار الأوروبية بين السكانيدون أن يتألم الدين المحمدي»[٢]. «إذن توجد أرض تنفلت شيئا فشيئا عن مكة وعن الماضي الأسيوي»[٣]. «لقد تم هذا الانقلاب بسرعة ولين»[٤]!!!

إذن أرادت أوروبا لا المرجعية الإسلامية والهوية الإسلامية أن تعود، وتعود تونس إلى مكة !، ولكن أن تمسخ الهوية الإسلامية وتطمس حقائق الإسلام بسرعة ولين أو ببطئ ولين كما يقوم د. نصر أبو زيد لها بالمهمة على خير وجه !

إن الرجل له اليوم مكانة مرموقة في جامعة ليدن / هولندا، ليشرف على الرسائل الخاصة بالموضوعات الإسلامية وأخيرا منحته الجامعة أفضل جوائزها العلمية جائزة (كرسي الحرية) إنه كرسي استشراقي عظيم ! حذر منه الإمام محمد عبده والعلماء!.

يقول الشيخ أنور الجندي عن تفسير محمد عبده أنه قام : «محررا مختلف القضايا والمعضلات التي كانت تواجه المسلمين في هده المرحلة إزاء التحديات الي فرضها الاستعمار والنفوز الأجنبي، وحملات المبشرين والمستشرقين وكتاب

(*) الإسلام بين العلم والمدنية للإمام محمد عبده ص١٨ . ٢٢

(١-٢-٣-٤) الإسلام بين العلم والمدنية للإمام محمد عبده ص٣٠

الغرب على الإسلام واللغة العربية . وتراث المسلمين والعرب وتاريخهم « والسيد المحترم أبوزيد يقوم على النقيض من ذلك بتدمير قيم الإسلام وعقائده وخلخلة المجتمع المسلم وإحداث فتن .

وفتنته التالية تصب في نفس المصب والزعم بأن المرجعية الإسلامية تهدر حقوق غير المسلمين .

الحاكمية وحقوق غير المسلمين :

يدعي الدكتور نصر أبوزيد أن :« اعتماد حل المشكلات على مرجعية النصوص الإسلامية من شأنه أن يؤدي إلى إهدار حق المواطن بالنسبة لغير المسلمين »[1] .

ولقد قدمنا قوله أن مفهوم « الحاكمية » ينبع من شمولية هذه المرجعية ، وذلك يعني أن هذه المرجعية ، في زعمه . تسبب المشاكل مادامت مرجعية للمسلمين !

وهو نفسه يؤكد أن مفهوم الحاكمية ـ المرجعية الشاملة ـ هو مفهوم طرحته النصوص ذاتها وهي نفسها تهدر حقوق غير المسلمين !

ندع هنا الأستاذ سيد قطب ليظهر لنا إذا ما كان هذا المفهوم ، وهذه المرجعية ـ المتهمة !ـ تسبب المشاكل أم الأمر عكس ذلك تماما ، يقول في كتابه ـ لاحظ اسم الكتاب ـ « السلام العالمي والإسلام » : « الذميون » ـ أي الذين أعطاهم الإسلام ذمته وعهده لحمايتهم ورعايتهم ـ وهؤلاء لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين بنص الإسلام الصريح فأما ما يؤخذ منهم من الجزية ، فهو ما يؤدي المسلمون من الزكاة .. فإذا شاؤوا هم برضاهم واختيارهم أن يؤدوا ضريبة الزكاة كالمسلمين بدل الجزية كان لهم ذلك عن رضا واختيار .

---

(١) النص . السلطة . الحقيقة ص١٤٣ . وانظر ايضا التفكير في زمن التكفير ص١٥٣ .

وقد اختارت قبيلة بني تغلب على عهد عمر أن تؤدي الزكاة لا الجزية. فأدتها على هذا الأساس(*)، لذلك لا يكون هناك أعجب ولا أخبث من إثارة الشكوك والمخاوف حول الأقليات المسيحية وغير المسيحية في الأمة الإسلامية إذا حكم الإسلام. إنها دعاية مغرضة خبيثة آثمة يتولاها أحياناً جماعة من حمقى هذه الأقليات.. ويتولاها أحيانا أفراد يحملون أسماء مسلمة، وهم فتات أدمي مهلهل يحاول أن يستند إلى أوكار الدعاية الخبيثة»[1].

إن الحكم الإسلامي لا يرغم المسيحيين على أمر يخالف دينهم كما قال القرضاوي - حفظه الله -[2] فحتى الزكاة التي قاتل أبو بكر الممتنعين عنها من المسلمين غير مطلوبة من النصارى إلا إذا رجحوا دفعها بدلا من الجزية والجهاد في سبيل الله أيضا غير موكلين به، يقوم به عنهم المسلمون.

حتى قال ابن حزم الأندلسي أنه إذا هاجم العدو أهل الذمة والعهد من اليهود والنصارى وهم تحت إمرة المسلمين وذمتهم وجب على المسلمين دفع هذا العدو بالجهاد إنقاذا لأهل العهد - أو مواطنيهم أي النصارى أو اليهود (على كل حال كل من له ذمة المسلمين) ومن قُتل من المسلمين في المعركة فهو شهيد لأنه يدافع عن حق الإنسان وذمة الله ورسوله والمسلمين !! في الغرب يعطى للأجانب كل فترة اسم جديد !!!!]

(*) انظر في هذا الأمر كتاب الدعوة إلى الإسلام تأليف توماس.و.آرنولد، ترجمة حسن إبراهيم حسن وزميليه ص٤٩ وانظر في مسألة اختيار قبيلة بني تغلب للزكاة على الجزية المغني لابن قدامة ٩/ ٣٣٥، ٣٣٦. طبعة مطبعة العاصمة ش الفلكي بالقاهرة نقلا عن بيانات الحل الاسلامي وشبهات العلمانيين ص٢٢١ بتصرف.

(١) السلام العالمي والإسلام ص١٧٥، ١٧٦.

(٢) انظر الفصل الجيد «الأقليات الدينية والحل الاسلامي» من كتاب بينات الحل الإسلامي وشبهات الحضارة الإسلامية لآدم متز ترجمة الدكتور أبي ريده ١/ ٨٥-٨٧ نقلا عن المرجع السابق للقرضاوي ص٢٢٣

ولقد رحب العقلاء الواسعو الأفق من المسيحيين بالنظام الإسلامي مادام للمسيحيين فيما يخص أمور دينهم محاكم خاصة بهم وهي التي كانت بالفعل لهم في ظل الحضارة الإسلامية .

يقول « آدم متز » في كتابه عن « الحضارة الإسلامية في القرن الرابع عشر » عن هذه المحاكم : « والذي نعلمه من أمر هذه المحاكم أنها كانت محاكم كنسية وكان رؤساء المحاكم الروحيون يقومون فيها مقام كبار القضاة أيضا . وقد كتبوا كتبا كثيرة من كتب القانون . ولم تقتصر أحكامهم على مسائل الزواج بل كانت تشمل - إلى جانب ذلك - مسائل الميراث وأكثر المنازعات التي تخص المسيحيين وحدهم مما لا شأن للدولة به »[1] .

« على أنه كان يجوز للذمي أن يلجأ إلى المحاكم الإسلامية »

فالإسلام لم يجبرهم على ترك أمر يرونه في دينهم واجبا ، ولا على فعل أمر يرونه عندهم حراما ولا على اعتناق أمر ديني لا يرون اعتقاده بمحض اختيارهم[2] على ألا يشربوا الخمور في الشوارع وكذلك الأمر مع لحم الخنزير وليفعلوا في بيوتهم ما يشاؤن ماداموا يحترمون هذه القيم الإسلامية في العلن .

.. ثم يا « نصر أبوزيد » أنت تجعل خضوع الأقليات الدينية للحكم الإسلامي مشكلة كبيرة ولا تجعل خضوع المسلمين لما يخالف دينهم في الشريعة والحياة للحكم العلماني مشكلة كبيرة ! تبخل بها على الأكثرية المسلمة في حكم العلمانية مع أن المسلمين كثرة والعلمانيون قلة !

تطالب المسلمين بالتخلي عن شريعتهم وتبذل جهدك في نقد عقائد دينهم

---

(١) العلمانية ص ٢١٧ وما بعدها

(٢) من كلام القرضاوي . بتصرف ص ٢٢٣ المرجع السابق

وتجعلها أساطير ! وترفض أن يحكموا أنفسهم بالشريعة الربانية وتدافع بالمكر والخداع والأغراض الخبيثة عن الأقليات الدينية التي ما وجدت في التاريخ الإسلامي صدرا أرحب لها من الإسلام وأهله . والمفروض أن يكون الدفاع عن الأقليات هو أن يكون بطلب توفير الأمان والحرية اللذان يكفلهما النظام الإسلامي نفسه لهم - وشواهد التاريخ موجودة !!

إن حاكمية الله لا تكره أحدا من الناس على ترك دينه أو تحرمه من الحقوق التي تعطيها للمسلمين والدليل من التاريخ - نذكر دليلا واحدا عن حكم عمرو بن العاص في مصر ، نأخذه من قول المؤرخ «لودفيج» في كتابه «النيل - حياة نهر» يقول لودفيج : « إنه ماعدا فرض الجزية على المسيحي فإن عمرا لم يُفرِّق في المعاملة بين المسلمين والمسيحيين بل إنه أعلن حمايته لحرية الأديان جميعا . ولإقامة شعائرها وكفل المساواة المطلقة بين المسلمين والمسيحيين على السواء . مساواة شملت كل حق لهم وكل واجب عليهم، بما في ذلك وظائف الدولة بصرف النظر عن الجنس أو الدين»[1].

لقد جاء الإسلام لتحرير العالم كله من الشرك والظلم والاستبداد والطغيان المادي والروحي والفكري والطغيان السياسي والاقتصادي ، والفردي والاجتماعي .

.. دين لم يُكره الأقليات على اعتناقه . بل ترك لهم حريتهم كاملة في أن يؤمنوا أو لا يؤمنوا .. وأن يستظلوا بمظلة الإسلام الآمنة .. دينا أعطى السوط لمسيحي مصري فقير أن يضرب إبن حاكم مصر عمرو بن العاص لأنه لطمه على

---

(١) العرب والشرق من الحروب الصليبية إلى حرب السويس - المرحلة الأولى - للأستاذ علي الغتيت ص ٧٤-٧٥ نقلا عن المرجع السابق ص ٢٣١

وجيه ، ذلك فوق قولة عمر خليفة المسلمين لعمرو حاكم مصر المسلم في هذا الشأن : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟! ثم قال للنصراني : اضرب بن الأكرمين !

يقول سيد قطب رحمه الله : « إنني أحسب مجرد التخوف من حكم الإسلام على الأقليات القومية في بلاده نوعا من التجني الذي لا يليق فما من دين في العالم وما من حكم في الدنيا ، ضمن لهذه الأقليات حرياتها وكرامتها وحقوقها القومية ، كما صنع الإسلام في تاريخه الطويل بل ما من حكم دلل الأقليات فيه كما دلل الإسلام من تقليهم أرضه من الأقليات ، لا الأقليات القومية التي تشارك شعوبه في الجنس واللغة والوطن ، بل الأقليات الأجنبية عنه وعن قومه ... قال « سير / ت . و . أرنولد » في كتابه « الدعوة إلى الإسلام » ..."[*] : « إن المعاملة التي أظيرها الأباطرة العثمانيون للرعايا المسيحيين - على الأقل بعد أن غزوا بلاد اليونان بقرنين لتدل على تسامح لم يكن مثله حتى ذلك الوقت معروفا في سائر أوروبا »[1] !

فكيف يقال إن المشاكل وإهدار حق المواطنة للأقليات تأتي نتيجة الاعتماد على مرجعية النصوص الدينية وشموليتها التي هي الحاكمية التي ينادي بها سيد قطب - رحمه الله - !!؟

كيف يقال بأن الحاكمية التي ينادي بها سيد قطب والخطاب الإسلامي المعاصر تدعوا لتقديس الحكام والعلماء وتظلم غير المسلمين والأقليات !!!؟

... ولكن ماذا نفعل والمنافقون يسرفون في الكذب ويرتابون في الحق

(*) كان هنا ترجمة حسن ابراهيم حسن . وعبدالمجيد عابدين . وإسماعيل النحراوي ص١٣٨ ١٣٩

(١) معركة الإسلام والرأسمالية ص٨٩ .

﴿ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ۝ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ [غافر الآية : ٣٤-٣٥] .

﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٩] .

وما في صدور الذين كفروا إلا كبر : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [غافر : ٥٦] .

نعم إنهم يجادلون في أكبر آيات الله وهي تفرد الله بالهيمنة والسلطان . يريدون أن يجعلونها للناس كما فعلت أوروبا بحجة « إفساح الطريق أمام الإنسان » ! ! .

لذلك فإننا نجد الدكتور نصر حامد أبوزيد يعيب على الشيخ سيد قطب أنه لم يعمل على أن يطول الاجتهاد العقائد ! ، والهيمنة الإلهية ! ![*] .

يقول : « إن الاجتهاد عند « قطب » لا يلتزم بالمجالات التي سكتت عنها النصوص (!) ، بل يجب أن يتبع آليات الاجتهاد التقليدية لا يخرج عنها »[1] .

وطبعا ، المجالات التي سكتت عنها النصوص بزعم أبوزيد هي المجالات التي

(*) كنا قد قدمنا النصوص التي قال فيها ذلك وأعدناها في أكثر من موضوع ولا حاجة بنا هنا لسردها مرة أخرى .

(١) نقد الخطاب الديني ص١٢١ يقول سيد قطب وما دام النص محكما ، فالمدلول الصريح للنص من غير تأويل هو الحكم . وعلى العقل أن يتلقى مقرراته هو من مدلول هذا النص الصريح ويقيم منهجه على أساسه « خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ص١٩

يلعب فيها الماركسيون ويجعلونها تنطق بكل المذاهب العدمية والفوضاوية العبثية والماركسية. المادية الجدلية والهرمنيوطيقا !

المهم أن يخضع القرآن للأيديولوجية المسبقة !

وعلى الآليات التقليدية أن تترك المسرح للتأويل المنتج !.. الماركسي !

وعلى سيد قطب والخطاب الديني أن ينزويا هما وحاكمية الله !

ليترك المجال لحاكمية ماركس ولينين، وداروين وفرويد، ونيتشه وريكور وأحبار ورهبان المادية الجدلية وكبراء فلسفة «أبوزيد» !

فيا أيها المسلمين، سلموا عقائدكم، لأولاد القردة والخنازير - ماركس وفرويد ودوركايم وهم يهود !- ليطوروها لكم ولا تدعوها تضمر !

يقول الملحد حسن حنفي : « توقف الاجتهاد في العقيدة وحصره في الشريعة وحدها واعتبار أن العقائد لها أسس واحدة ثابتة لا تتغير ما أدى إلى ضمورها.»[1]. !

افتحوا باب الاجتهاد في دينكم للماركسيين فالماركسية - يقول لكم د.نصر حامد أبوزيد : «فكر يهدف إلى تغيير العالم (!) ، لا مجرد تفسيره، بتغيير وعي الإنسان (!) بوصفه أداة التغيير و«الفاعل» في التاريخ والواقع»[2] إفساح المجال !!!

ومحاولة منه في خداعنا يزعم «أبوزيد» أن قول ماركس «الدين أفيون الشعوب» إنما كان « موجه إلى الفكر الديني والتأويل الرجعي للدين لا إلى الدين ذاته »[3]. !

---

(١) من العقيدة إلى الثورة ص٦٦ المجلد الأول . قال أبو زيد مثله في نقد الخطاب الديني ص ١١٩

(٢) نقد الخطاب الدين ص ٨٤ (٣) المرجع السابق ص٣٩

وتقول الدكتورة الماركسية فريال حسن خليفه - كما عبرت عن نفسها ص١٥٥. ١٦٦ والتي كتب حسن حنفي مقدمة لكتابها نقلنا عنه هنا « وإن كان ماركس قد استفاد كثيرا من نقد الهيجليين للشباب في نقد الدين. كمرتكز أو أساس نظري لأيديولوجية النظام القائم، إلا أنه اتخذ موقفا مختلفا على نحو ما ذكرنا من قبل إذ يبدأ بنقد الواقع الاجتماعي والسياسي مباشرة، ويقول ماركس « بالنسبة لألمانيا قد اكتمل نقد الدين، ونقد الدين هو مقدمة لكل نقد، إن نقد الدين يحطم أوهام الإنسان، ومتى تحطمت أصبح الإنسان قادرا على التفكير (!) والعمل وتطوير واقعه كإنسان » ص٢٣ وتنقل قوله الذي يقول فيه :

« إن نقد الدين قد اكتمل فيجب أن يتحول نقد السماء إلى الأرض ونقد الدين إلى نقد القانون » ص١٤٦ نقد فلسفة هيجل

أما عن المصطلح المذكور أعلاه فتقول « إن ماركس كما يرى دافيد ماكليلان مستخدم كثيرا من تعبيرات باور «ملت باور من أتباع هيجل» وهو يرفض الوحي كما في كتابها المذكور في الفصل الخاص به -. كقول ماركس الوارد في مقدمة نقد فلسفة الحق « الدين أفيون الشعوب » هو مأخوذ أساسا عن باور. أن باور قد استعاره بدوره من وصف هيجل للديانة الهندية » ص١٤٧ نقد فلسفة هيجل .

وتنقل أيضا قول ماركس « كما أن الدين لا يخلف الإنسان، بل الإنسان هو خالف الدين، ليس الدستور هو خالف الشعب بل الشعب هو خالف الدستور » ص١٤٩ نقد فلسفة هيجل .

تقول فضلا عن أن فلسفة ماركس هي في نقد الدين والأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وليس نقد الكنيسة فقط فضلا عن ذلك فإننا لو ذهبنا للسياف الذي وردت فيه كلمات ماركس « الدين أفيون الشعوب » فسوف لا نجد

ي وجود للفكر الديني المسيحي وإنما هو ينقد الدين باعتبار ـ والكلام التالي من كلامه قبل أن يقول المقولة المتقدمة « أن الإنسان صابغ الدين . وليس العكس . . . الإنسان عو العالم الإنساني ، هو الدولة ، هو المجتمع ، والدين هو نتاج هذه الدولة ، وهذا المجتمع . . . . الدين هو تأوه أو تحسر المخلوق المقهور . . إن أفيون الشعوب . . . ودحض الدين باعتباره سعادة وهمية للناس مطلب لسعادتهم الحقيقية . . نقد السماء إلى نقد الأرض ونقد الدين إلى نقد القانون» Karl Marx, GCHPRI, P.P.53.54 والنص كاملا في كتاب الماركسية للدكتورة / فريال حسن خليفة نقد فلسفة هيجل ص١٥٨ .

بل لقد قال ماركس « إن الإنسان هو خالق الدين » Karl Marx, GCHPR, P.29 نقلا عن نقد مذهب هيجل ص ٢٧٠ .

مع أن أخاه في العلمانية المستشار محمد سعيد عشماوي ـ والذي يؤمن بالاشتراكية في أبهى صورها ـ قال عن الماركسية أنها :« تقوم هي الأخرى ـ حتى الآن ـ على إنكار الدين»[١] لكن د . نصر يوجه الاتهام للمسلمين لأنهم صنفوا الشيوعية في المذاهب الإلحادية يقول إن هذا الفهم : « فهم عامي مبتذل ، بحكم أيديولوجية التشويه»[٢] !!

نترك هنا « كوستي بندلي » يذكر لنا من كتابه « إله الإلحاد المعاصر » قول ماركس الذي هو : « إن الإلحاد هو إنكارالله وبهذا الإنكار نؤكد وجود الإنسان»[٣] !!!!

---

(١) حصاد العقل ص١٧٩ .

(٢) التفكير في زمن التكفير ص١٣١ نقلا عن التفسير الماركسي للإسلام للدكتور محمد عمارة ص٤٠

(٣) نقلا عن الإسلام والدعوات الهدامة ص ٣٥ . ٣٦ .

ويقول ماركس أيضا في كتابه «الأيديولوجية الألمانية» [الترجمة العربية ـ ١ ص ٣٠] .

« إن نتاج الأفكار والتصورات والوعي مختلط باديء الأمر ـ بصورة مباشرة ووثيقة ـ بالنشاط المادي والتعامل المادي بين البشر . فهو لغة الحياة الواقعية . إن التصورات والفكر والتعامل الذهني بين البشر تبدو هنا على اعتبارها إصرارا مباشرا لسلوكهم المادي . ينطبق الأمر نفسه على الإنتاج الفكرى كما يمثل في لغة السياسة ولغة القوانين والأخلاق والدين والميتافيزيا .. إلخ عند شعب بأكمله . فالبشر هم منتجوا تصوراتهم وأفكارهم .. فالبشر إذ يطورون إنتاجهم المادي وعلاقاتهم المادية ، هم الذين يحولون فكرهم ومنتجات فكرهم على السواء مع الواقع الذي هو خاصتهم ، فليس الوعي هو الذي يعين الحياة . بل الحياة هي التي تعين الوعي »[1] .

فالعلاقات المادية والإنتاج المادي هما اللذان ينتجان التصورات والأفكار «الوعي !» وهذا الإنتاج الفكري بما فيه الدين والأخلاق والميتا فيزيا إنما هو إنتاج الواقع المادي والحياة المادية التي تصبغ ذلك كله بصبغتها ! «الواقع أولا ... والواقع ثانيا » !

هذه هي فلسفة ماركس التي هي طبق الأصل نصر أبو زيد ! ، هي هي لا تتطور ! ، وهو هو لا يتغير !!

.. وهي ليست قائمة ضد تأويل ما للدين ولكن ضد الدين الذي اعتبرته نتاج الإنتاج المادي وكأنه سلعة تباع وتشترى وتتطور !

---

(١) انظر مذاهب فكرية معاصرة ص ٢٧٧ .

فإذا كان شيء ما هاهنا مبتذل، فليس هو فهمنا لحقيقة الشيوعية والماركسية والاشتراكية والمادية الجدلية وإنما المبتذل هو هذه المذاهب مجتمعة !

إن « العزة الإلهية » هي التي صنعت هذا الكون البديع الرائق وخلقت الإنسان على أحسن صورة ، باطنه وظاهره . لكن « ماركس » ينفي كل شيء !

يقول في كتابه « بؤس الفلسفة »(*) (ترجمة أندرية يازجي، طبعة دار اليقظة العربية بسوريا ومكتبة الحياة بلبنان ص١٢٣ـ١٢٤ من الترجمة العربية) :« إن العزة الإلهية والهدف الإلهي هي الكلمة الكبيرة المستعملة اليوم لتشرح حركة التاريخ . والواقع أن هذه الكلمة لا تشرح شيئا »!!!

ويقول إنجلز وهو أحد كبراء الماركسية [« ... أما الكائنات العلوية التي ولدت في تخيلاتنا الدينية فليست سوى انعكاس خيال لوجودنا نحن »(١) . !

ويتهم الدين عموما بالغباء يقول «إنجلز» : أما المجالات الأيديولوجية التي تحوم أعلى في الفضاء كالدين والفلسفة .. إلخ، فإنها مؤلفة من بقية ـ تعود إلى ما قبل التاريخ وقد وجدها العهد التاريخي أمامه فالتقطها ـ لما نسميه اليوم غباء .. »(٢) .

وكما يذكر الدكتور عبدالرحمن بدوي سنة ـ ١٩٤٢ـ فإن المذهب المادي هو المذهب القائل بأن الأشياء كلها مرجعها المادة، يقول : بأن المظاهر الروحية كلها

(*) حقا إنها فعلا بؤس !

(١) من كتابه لودفيج فورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الألمانية ص ١٩ من الترجمة العربية (إصدار دار التقدم بموسكو) نقلا عن مذاهب فكرية معاصرة ص٢٧٢ . ويغزوها كمال جمبلاط إلى ماركس . انظر مقالته « في ما بعدى الماركسية » مجلة الآداب إبريل ١٩٦٧ .

(٢) كتاب « نصوص مختارة » فردريك انجلز (جمع جان كانابا ترجمة وصف النبي ص١٧٧ـ١٧٨ . من الترجمة العربية نقلا عن مذاهب فكرية معاصرة ص ٢٩٤ .

« بحسب هذا المذهب » ترجع إلى مظاهر مادية يقول : وفي علم الاجتماع يطلق هذا المذهب على ما هو معروف باسم المادية التاريخية ... وهو مذهب كارل ماركس »[1] .

فهل يضحك نصر أبوزيد علينا أم يضحك على نفسه؟! وهل يحاول إضلالنا أم يضل نفسه؟

كذلك يفعل مع « العلمانية » ما فعله مع « الماركسية والاشتراكية » يحاول أن يظهر لقراءه أننا نختزل العلمانية وأننا لم نقرأ شيء من هذه المذاهب! يقول : « يتم اختصار العلمانية في « فصل الدين عن الدولة » كما يتم اختصارها في « الإلحاد » . الأمر نفسه بالنسبة للماركسية والداروينية والفرويدية ويعجب المرء حين يتشدق الطلاب بمثل تلك الأقاويل بوصفها حقائق لا تقبل النقاش أو حتى التأمل (!) . برامج وخطب ومواعظ ، لم يقرأ منتجوها كلمة واحدة (!) من أي من تلك الإتجاهات والمذاهب لكنهم قادرون على الحكم عليها »[2] .

العلمانية باعتراف أهلها هي فصل الدين لا عن الدولة فقط ولكن عن الحياة أيضا! وقد قدمنا في الفصل الأول اعتراف العلمانيين العرب أنها كذلك!

فمن يختزل ماذا؟!!

أما الفرويدية فقراءة كتاب واحد لمؤسس النظرية نعرف كيف اختزل الدين ودمره إنه كتاب النبي موسى ورسالة التوحيد » ادعى فيه أن الدين « مرض عصابي »[3] .

---

(١) حريف الفكر اليوناني ص١٧٠ .   (٢) نقد الخطاب الديني ص٣٩ .

(٣) ص١٠٧، ١٠١، ١٤٧، ٧٧. (على الترتيب) من النبي موسى ورسالة التوحيد .

وأنه « على راس الأعراض الرئيسية للعصاب »[١] . واعتبر «الدين» شيئا للإنسان البدائي [٢] وأن البشر هم الذين اخترعوا الأخلاق ومنها تحريم الزنا [٣] لذلك فالدين عنده « في مستوي مرض العصاب النفسي الذي يصيب الإنسانية »[٤] ! وقال في نفس الكتاب عن رسولنا محمد ﷺ : « محمد كان يزمع في الأصل اعتناق اليهودية هو وكل شعبه (!) ، وأثمرت لدى العرب العودة إلى الإيمان بالأب الواحد البداني الكبير تقدما غير عادى ... »[٥] .

ما هو هذا الأب الواحد البدائي الذي يدعي فرويد هنا أننا نعبده ؟ إنه يدعي أنه حل لغز الإنسان وأنه توصل إلى كيفية نشوء الدين ؟!!

وخلاصة ما توصل إليه هو التالي : أن الأبناء ـ في مطلع البشرية ـ اتجهوا نحو أمهم بدافع الجنس ، ثم وجدوا أباهم عائقا في الطريق فقتلوه ثم أحسوا بالندم على قتل أبيهم فأقسموا ليقدسن ذكره ، فعبدوه ، ومن ذلك نشأت عبادة الأب . ثم تحولت إلى عبادة الطوطم لأنه في النفس البشرية هكذا يرتبط الأب برمز الحيوان ! [لماذا ؟!] وفي الوقت ذاته وجد الأبناء أنهم سيتقاتلون بينهم على الأم ، وهذا أمر لا يجوز ! [لماذا ؟!] فقرروا تحريمها على أنفسهم ، فنشأ بذلك أول تحريم [جنسي] وانصب على الأم . كما قرروا التعاون فيما بينهم بدل الخصام والعراك [لماذا ؟!] فنشأت « القيم » وهذه القصة التي « رآها ! » فرويد تحدث في

---

(١) ص١٠٧ ، ١٠١ ، ١٤٧ ، ٧٧ (على الترتيب) من النبي موسى ورسالة التوحيد .

(٭) يعرف جورج طرابيشي العصاب « إنه افتقاد القدرة على التكيف مع الواقع إيجابا أو سلبا قبولا أو رفضا . تكريسا أو تغييرا . من كتابه أنثى ضد الأنوثة ص٣٤ .

(٢-٣-٤) ص١٠٧ ، ١٠١ ، ١٤٧ ، ٧٧ (على الترتيب) من النبي موسى ورسالة التوحيد .

(٥) النبي موسى ورسالة التوحيد ص١١٥ .

البشرية الأولى ليست حادثة تاريخية مفردة ، فقد تركت طابعها في الحياة البشرية كلها منذ ذلك الحين . فكل طفل يعشق أمه بدافع الجنس وكل طفل يكبت ذلك العشق . ثم ينمو الدين والأخلاق والتقاليد .. والقيم العليا والحضارة ، من ذلك الكبت الجنسي (عشق الأم ، ومع ذلك فالكبت لم ينتهي ، وإنما هو يتحول إلى قلق نفسي دائم لا يترك الناس في راحة ! وكل الديانات التي جاءت بعد ذلك هي محاولات لحل المشكلة ذاتها (إحساس الأبناء بالجريمة) وهي تختلف بحسب مستوى الحضارة التي ظهرت فيها . والوسائل التي تطبقها . ولكنها جميعا تهدف إلى شيئا واحد وهي رد فعل لنفس الحدث العظيم (قتل الأب) الذي نشأت عنه الحضارة ، والذي لم يدع الإنسانية منذ حدوثه لحظة واحدة للراحة » ! فرويد ـ كتاب ToTem and Todoo ص ١٤٥ |[1] .

إذن الدين ـ زعموا ـ هو رد فعل لقتل الأب .. ثم هو عبادة الأب الواحد البدائي الذي رمانا / فرويد بعبادته ، وقال بأن ذلك موجود عندنا في اللا وعي !

أتى نصر أبو حامد زيد ، وادعى أن المجتمعات البشرية حملت أساطير الدين في كتاباتها المقدسة ـ ومنها القرآن ـ وأنه يجب الكشف عن رموز هذه الأساطير ومستويات السياقات التى وردت فيها وذلك تبعا لأساتذة هذا الفن ـ و الغاية التى يسعون إليها ـ مثل ريكور وهديجر وجادمر وشليرماخر وماركس ونيتشه وفرويد ، و بهذه الطريقة تسول له نفسه أنه يستطيع القضاء على بديهيات القرآن ومسلمات الإسلام .

ثم .. وهو ينكر ما هو معلوم من الدين بالضرورة يقول بأنه لم يتهجم على

---

(١) التطور والثبات في حياة البشرية ص٤٨ ، ٤٩ .

الإسلام ولو مرة واحدة . وأنه ليس عند الخصم دليل مادي واحد على ذلك ! وأنه يؤمن بثوابت الإسلام !!

وفي نفس الوقت يتهمنا بأننا لم نقرأ « فرويد ودارون وماركس .. » لم نقرأ كلمة واحدة من كتاباتهم وكلماتهم !

إن اتهاماته لنا ، وشتائمه التي تمتلئ بها كتبه هي جزء من خطته لإرهاب المسلمين حتى لا يكتشفوا عورات فكره ويظهروها على الناس [مثل كتابه التفكير في زمن التكفير] .

إنها طريقة متيسرة للعلمانيين يستخدمونها عندما تعوزهم الحجة ، ويلجمهم الحق ، ويفلت من بين أيديهم الدليل .

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة الآية : ١٠٥] .

❊ ❊ ❊

الفصل الثالث

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣]

يقول أدونيس « إن الخطوة الأولى في تحرير الإنسان هي في تحريره من الدين » من كتابه الثابت والمتحول جـ٢ ص٨٦

أدونيس وانتهاك كل محرّم وممنوع في عالم «الثقافة الكونية»!

«أودنيس» شاعر - سوري - معروف في الأوساط الفكرية والشعرية في عالم الشرق والغرب. وهو امتداد لشعراء العرب الإباحيين كعمر بن أبي ربيعة وبشار بن برد وامريء القيس وغيرهم. كذلك فهو امتداد للمنظومة الفلسفية الغربية التي تستمد معاييرها الفكرية من سلطة البشر واستقلالية الإنسان، والتي ألغت الدين ورفضت معاييره وأن تكون له المرجعية في أي جانب من جوانب الحياة الإنسانية.

دعا أخيرا بإيعاز من الفكر الغربي الذى خرج على الدنيا بتقرير فلسفي أصدرته هيئة اليونسكو إلى «رؤية كونية شاملة»[1] أملاها هذا الفكر بغرض الهيمنة الغربية الفكرية والعلمية على «العالم بأسره».

هذه «الرؤية الكونية» لا تعتمد على المرجعية الدينية والعقائدية الإيمانية، فهي رؤية علمانية حديثة تطالب بـ«سياسة ثقافية كونية»[2] منزوعة الصلة بالوحي الإلهي أو المبادىء الدينية ولها أغراض إستعمارية اقتصادية وسياسية وأجتماعية.

هدفها «تهجين الأفكار والتقاليد»[3] كما قال أدونيس نفسه، مع عزل الدين عن أن يكون له أي سلطة في هذه «العالمية» و«الكونية». والسبب بسيط هو أن هذه الهوية الكونية مرجعها الإنسان وليس الوحي والقرآن، القيم العلمانية وليس القيم الإسلامية!

النتيجة المرجوة من عملية «التهجين» هي صناعة إنسان «العقل المستقل» وليس

---

(١) جريدة الحياة، من مقالة لادونيس بعنوان «عنف النظر وعنف العمل» الخميس ٥ فبراير ١٩٩٨ لعدد (١٢٧٥٧).

(٢) (٣) مقالة اخرى لادونيس بعنوان «الأرض. هذه الجنة الضائعة» جريدة الحياة الثلاثاء ٨ يناير ١٩٩٨ العدد (١٢٧٣٠)

إنسان «الوحي» الإنسان الرباني. الهدف: إنسان لا يرى «الآخر» إلا «نفسه» حتى لو كان زنديقا إباحيا أو محاربا للدين بكل وسائل الحرب المعلنة والسرية. السياسية والإعلامية، الاقتصادية والفنية.

إن «الهوية الجديدة» تريد خلق إنسان لا يرى الآخر غيره. بحيث تصير «الأنا» هي «الآخر» و«الآخر» هو «الأنا» بلا عوائق دينية أو حواجز أيمانية!

يشرح «أدونيس» هذا الموقف فيقول: «بحيث يشعر كل إنسان أنه نفسه وغيره في آن، أو يشعر أنه لن يكون نفسه حقا إلا إذا كان غيره حقا. وفي هذا يكمن أمل كبير بنشوء إنسانية جديدة وفهم آخر لمعنى الإنسان»[1]!! غير الفهم الذي رسخه الإسلام وأوضح أنه «الإنسان. خليفة الله في الأرض، والذي هو مطالب بإقامة العمران البشري بحسب مبادئ الشريعة الإلهية والأخلاق الربانية.

وبدلا من هذه الشريعة الإلهية فإن الطبيعة هي صاحبة السيادة على الدين والإنسان! . والإنسان هو صاحب السيادة على الوحي والإيمان.

يقول «أدونيس»: «لا تفرد ولا هيمنة. بل مشاركة وتعددية في عالم تكون فيه الطبيعة سيدة على التقنية»[2] (يدعو «أدونيس» كما سيأتي بعد قليل إلى انتهاك الحرم في انطلاقة الطبيعة!!) إن سيادة الطبيعة في عالم أدونيس ليست سيادة على التقنية الغامضة التي يذكرها وإنما أيضا على الدين والثوابت الإسلامية وفي الحقيقة أن عالم الطبيعة عند أدونيس وعالم الملاحدة من الغربيين. إن عالم بهذه الصورة لن تكون فيه مشاركة حقيقية وتعددية ولكن هيمنة شاملة على الأفكار والمعتقدات.. ومن ثم التلاعب بها وطمس حقائقها حتى تتلاشى مع الوقت

(١-٢) جريدة الحياة، المرجع السابق. نفس المقالة السابقة

لتثبيت «الهوية الكونية المنشودة» وطبعا التي هي امتداد لهيمنة الإنسان واستقلاله عن الدين والأخلاق في عالم سادة الطبيعة !

وسيأتي من كلام «أدونيس» بعد قليل أن الفضيلة الكبرى هي انتهاك المحرمات وطرد الدين !

فأين التنوع الخلاق الذي يحاول أن يغرينا به ـ بالنيابة عن الغرب ـ ويقول بأنه يحافظ على الهويات ويكرس التعددية والمشاركة !

إن الإسلام دعا إلى التعارف والتعاون ـ على البر والتقوى والعدل والخير ـ بين الشعوب والأمم المختلفة ولم يمنع تبادل الخبرات بين الناس ، في كافة المجالات التى تفيد الإنسانية حسب المبادئ الإسلامية ولم يمنع التعددية في دولته بل كان «الآخر» يحظى بالكرامة والحرية فيها .

يقول أدونيس في طرحه لفلسفة «التنوع الخلاق» ـ وهي آخر موضة غربية في عالم الهيمنة !ـ : « أجدني قريبا إلى المفهوم الذي ورد في تقرير «اللجنة العالمية للثقافة والنمو» ! الصادر عن منشورات اليونسكو(*) بعنوان «تعددنا الخلاق» سنة

(*) اسست اليونيسكو على «الإلحاد» وعهدت إلى المستشرقين بالكتابة عن الاسلام بدلا من أن تعهد بذلك إلى ذوي الاختصاص من المسلمين . تولى رئاسة اللجنة التحضيرية للمؤتمر التأسيسي الأول . قطب من أقطاب «الداروينية الحديثة» البريطاني الخبيث وهو «جوليان هكسلي» داروينى ملحد (والذي وضع في كتابه «اليونسكو وأهدافها وفلسفتها» نظرية سماها (الانسانية الارتقائية لتحل محل الأديان والفلسفة الخلقية) وذلك بحجة تذويب الفوارق الثقافية بين الشعوب لتجنب الصراعات الدولية ! وما الدعوة إلى «هوية كونية ثقافية» إلا امتداد لهذا الفكر مهما ادعى الحفاظ على الهويات المختلفة للأمم فما ذلك إلا لتنويم الأمم وخداعها فقط ! (انظر د / محمود حمدي زقزوق «الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري» كتاب الأمة طبع قطر ط١ / ١٤٠٤هـ ـ ص١١٥) نقلا عن نظرات في حركة الاستشراق للدكتور / عبدالحميد مدكور ص٧) وانظر كذلك كتاب المؤامرة على التعليم (٣) تحت عنوان «اليونسكو ودورها المشبوه» .

١٩٩٦ يشير إلى المفهوم كولان ميرسير (Colin Mercer) الأستاذ في جامعة «غريفين» (Griffin) باستراليا. وقد جاء في الإعلان الثقافي للحكومة الاسترالية، الذي صدر سنة ١٩٩٤. بعنوان «أمة خلاقة» يؤكد هذا المفهوم أن الثقافة «تشمل طريقة حياتنا كلها. وأخلاقنا. ومؤسساتنا. وأساليب عيشنا. وتقاليدنا: فهي لا تتحد في تفسير عالمنا، وإنما تعطيه شكلا» (ص٢٥٤) غير أني أضيف أن هذا المفهوم الخاص بالذات، يجب أن يتسع لكي يشمل العلاقة بالآخر المختلف»[١] لننظر كيف؟!

مايجب أن تصير إليه «الأنا» عند «أدونيس»

إن «أدونيس» صنع تصور «للأنا» وأراد أن يجر الأمة المسلمة إليه، وتصوره للأنا هو تصور إلحادي إباحي كما سيأتي من فلسفته الهجينة، والتي انبنت على انفجار الطبيعة والنزعة الشهوانية المقموعة في انتهاك كل محرم وكل مقدس لأن ذلك بحسب تعبيره هو «الفضيلة الكبرى» وسيأتي ذلك في نص كلامه!

وهو يفعل مثل امريء القيس ويقتدي به كما قال، في اختراق الأطر الاجتماعية / الدينية وانتهاك حرماتها يقول: «يمكن وصف شخصية امريء القيس بأنها طاقة تخرق الأطر الاجتماعية التي كانت سائدة، وترفض قيمها وعاداتها»[٢].

«إن قصيدة إمريء القيس جسد لغوي، والجملة الشعرية عضو في الجسد أو جزء منه، فالقصيدة لذة ـ لذة ممارسة الشهوة»[٣]، كلامه يتفجر حرا، بلا تحفظ

---

(١) المرجع السابق. نفس المقالة.

(٢) كلام البدايات ص٧٠

(٣) المرجع السابق ص٤٨.

كما تبجس المتعة في ممارسة الشهوة»[1] ويقول بأن إمرء القيس يجعلنا: «نستمتع بقراءة شهواتنا المكبوتة دون رقابة أو حجل .. شعره هنا يكون بمثابة إرواء متخيل وآني - مباشر لشهواتنا»[2] لكن هذا الاحتراق لبعض الإباحيين العرب للأطر الاجتماعية ، ليس شيء يذكر في مقابل الثورات الفكرية والاجتماعية والأدبية التي حدثت في الغرب والتي يعيشها أدونيس فكرا وحسا ومعنى ؛ :« بدءا من القرن الخامس عشر أخذ الإيمان ينفصل عن العقل وعن الطبيعة ، وذلك بقوة النقد . ثم فصل هذا النقد الطبيعة عن الله وعن الإنسان . وفصل الإنسان عن الله . هكذا انفصلت الفلسفة عن اللاهوت وانفصل العلم عن الفلسفة وانفصل السياسي عن الديني ... وهكذا تمت في أوروبا الثورات الفكرية ...»[3] .

وفي نفس الكتاب يدعو إلى نقد القرآن« النص الديني الأول » الذي أسس الذاكرة العربية !![4] .

وهكذا في كتاب واحد يجمع بين الإباحية (إمريء القيس) ونقد أوروبا للدين «في ثوراتها الفكرية» وبين نقد القرآن ، إن الإلحاد والإباحية لم يتحققا بعد كما قال في عالمنا العربي والإسلامي :« شعر أبي نواس ، بالنسبة إلي، هو بمثابة الخيالي الذي لم يتحقق بعد (!) ، لكن الذي يمكن أن يتحقق . إنه الرغبة التي تجعل المنظومات الأيديولوجية عارية من سلاحها ومن فاعليتها » كذلك فإنه يجد أنه من العبث أن نترك القرآن ، النص الأول للثقافة العربية والإسلامية والهوية المرجعية الدينية للأمة بلا نقد !

---

(١) المرجع السابق ص٤٨ .
(٢) المرجع السابق ص٥١ .
(٣) المرجع السابق ص١٥٧ .
(٤) المرجع السابق ص ١٧٧

إذن يحمل تقرير اليونسكو « أخلاق عالمية » جديدة لإنسانية جديدة تحمس لها «أدونيس» لأنها تلبي رغبته وترضي فلسفته وتضغط على المجتمع الذي يريد تغييره ليسير في اتجاهه، بقوة كلماتها مثل «الهوية الكونية الثقافية» «أبعادها الإنسانية» وليس «أدونيس» وحده هو الذي وجد أنشودته في هذا التقرير الصادر عن اليونسكو لكن هناك آخرون إنبروا ينافحون عن هذه الأفكار التي تخفي وراءها الكيد للإسلام والأخلاق!

يقول جابر عصفور(*) تحت عنوان «تنوعنا الخلاق»!: «يحمل التقرير الذي أصدرته اللجنة العالمية للثقافة والتنمية سنة ١٩٩٥ عن الأمم المتحدة عنوان «تنوعنا الخلاق» وهو عنوان يكشف عن منزع جديد في فهم الثقافة الإنسانية من منظور النزعة الكوكبية الوليدة التي كانت بمثابة الإطار المرجعي للتوجه الغالب على أبواب التقرير الذي اتخذ شكل الكتاب... لذلك تحمست لترجمة المشروع... إدراكا لأهمية بعض التجليات الإيجابية لهذه النزعة إلى القارئ العربي الذي لم تتضح له أبعادها الإنسانية المتعددة واستجاب إلى حماس الأصدقاء الذين قاموا بترجمة أبواب الكتاب إلى اللغة العربية.. والواقع أن التنوع البشري الخلاق هو مبدأ الفعل الابتكاري في الثقافة التي تتوثب بعافية الحرية.. ولا تنفر من إعادة النظر في تقاليدها(!)»(١) فالخدعة الجديدة في إعادة النظر في التقاليد لابد أن تغطى بألفاظ معسولة مثل ألفاظ «أدونيس» الآنفة الذكر، ومثل ألفاظ «النزعة الكوكبية الوليدة!» «أبعادها الإنسانية المتعددة!» «الأخلاق العالمية!» وهي الألفاظ التي نقلها الدكتور «جابر عصفور» (علماني) عن فلاسفة هذه النزعة ـ فلاسفة الغزو الفكري الجديد! ـ في

(*) د. جابر عصفور. هو المسئول الأول في المجلس الأعلى للثقافة في مصر. وهو المشرف على أهم الندوات العلمية والنقدية والفكرية التي تعقد في العالم العربي اليوم قاطبة. آخر إصدار له كتاب بعنوان «نظريات معاصرة».

(١) جريدة الحياة ٢٦ يناير. ٢٨ رمضان ١٤١٨هـ ١٩٩٨م العدد ١٢٧٤٨ مقالة بعنوان «تنوعنا الخلاق».

محاولة لتسريرها إلى القارئ العربي على انها لا تلغي هويتنا وتقاليدنا وأخلاقنا ![1]
إنما تعيد النظر فيها باعتبار معتقدات سائدة في مجتمعات تقليدية !! إن د/ جابر عصفور لا تتعدى محاولاته الفكرية وقدراته الإبداعية نطاق الفكر الغربي الذي تأثر به وترس داخل حدوده واستقى خصوصيته المضادة لأصول الإسلام من فلسفاته وأصوله وهو يدافع عن الفكر العلماني ورواده من بعض المثقفين العرب، الذين يقدحون في الوحي والشريعة والعقيدة والقيم والمبادئ الإسلامية.

هذه النزعة الكونية التي تعذل عقيدة القرآن وشريعته عن الحياة كما يدعو إليها السيد ياسين ـ في صورة مغايرة قليلا لتقرير اليونسكو ـ «مستشار مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية» هذه الكونية تنزع إلى طريق ثالث بين الرأسمالية والاشتراكية ـ ويسمى **"الطريق الثالث"** :الاشتراكية الديموقراطية ـ تقليدا ممن آمن بهذه النزعة من العرب لرواد هذا الطريق من المفكرين الغربيين وهي «نزعة خلاقة !» تؤمن بنسبية القيم والحقيقة وهي بطبيعة الحال مخالفة لحقيقة الإسلام الكاملة وقيمه الشاملة (انظر كتاب العالمية والعولمة دار نهضة مصر لسنة ٢٠٠٠ ص١٨ ـ ٢٤، ٣٠، ٩٤، ٩٥، ١٣٨، ٢٣٦) وهي لا تختلف كثيراً عن فكرة اليونسكو.

إن مؤسسة اليونسكو التي صنعت هذا التقرير ـ تقرير «اللجنة العالمية الثقافية والنمو» والذي هو بعنوان «تعددنا الخلاق» يشرف على إدارتها ملاحدة غربيون، ينتمون إلى فلسفات مادية وإباحية وإلحادية لا تؤمن بالوحي ولا تقدر قيمته في حياة الناس، وأسلموه إلى فلسفات مادية لم تر من الإنسان إلا حيوانيته، ولم تر منه إلا حاجاته المادية، أما الروح الإنساني فقد أفقدته صلته بالوحي الإلهي وقيمه ومبادئه

---

(١) انظر مقالة «جابر عصفور» تحت عنوان تنوعنا الخلاق! . جريدة الحياة الإثنين ٢٦ يناير ـ ٢٨ رمضان ١٩٩٨ ـ العدد (١٢٧٤٨).

وخطابه وحقيقته. وقد ذكرنا قبل قليل أن الذي تولى رئاسة اللجنة التحضيرية للمؤتمر التأسيسي الأول لليونسكو هو «جوليان هكسلي» ـ شغل وظيفة المدير العام لمنظمة اليونسكو ـ وهو ملحد من علماء الدروينية الحديثة (Neo Darwin-ism)[1] لا ينسب إلى الله شيئا من عملية الخلق[2] مع قوله بتفرد الإنسان كإنسان حيواني! متفرد!

تفرد الإنسان .. ثم عزله عن الله!.. ثم بناء مجتمع خلاق لا يمت له بصلة!!![5].

فأي تنوع في الثقافة الكونية التي يرى فيها الإنسان «الآخر» وكأنه «الأنا»، والأنا وكأنها الآخر؟! الآخر الملحد هو الأنا المؤمن؟ والأنا الخاضع للتطوير هو الآخر المتطور؟! إنها وحدة وجود علمانية!

.. والآخر كما ترى غير مفهوم «الألوهية» ومفهوم «وحدة الإنسانية» ومفهوم «وحدة الجنسين» ومفهوم «المجتمع البشري» ومفاهيم «القيم والأخلاق والثقافة والفن» فألغى حقيقة الألوهية وحقيقة الإنسان وحقيقة الحياة والعلاقة بينهما، ونسب الإنسانية إلى الحيوانية وعالم القرود وفسَّر نفسيتها بأنها جنسية خالصة وتخضع لحتميات جنسية واقتصادية واجتماعية ونفسية مادية محضة وكأنها هي المشيئة الإلهية (كل مذهب عندهم يصنع حتمياته!)

(١) (٢) انظر التطور والثبات في حياة البشرية ص٣٧، ١٠١.

(٥) إنه هو نفسه يقول في كتابه «الإنسان في العالم الحديث. وبعد نظرية داروين لم يعد الإنسان مستطيعا تجنب اعتبار نفسه حيوانا ....» انظر مذاهب فكرية معاصرة ص٣١٩ . وقال في كتاب (الدين في العالم الحديث» (١٩٤٨) «إن تقدم العلم الطبيعي والمنطق وعلم النفس أفضى بنا إلى مرحلة لم يعد فيها من المفيد أن نفترض وجود الله. فالعلم الطبيعي أزاح الله وأقصاه إلى مكان ناء وبعيد ...» انظر كتاب ملحدون محدثون ومعاصرون للدكتور رمسيس عوض ص٦٨ سينا للنشر طبعة ١٩٩٨ .

.. وألغى مفهوم العلاقة بين الجنسين وقضى على الأسرة. وصنع بدائل لا تمت للأسرة ولا للمجتمع البشري ولا للفطرة البشرية بصلة - وعرضها على المجتمعات التي لم تتبناها بعد في «مؤتمر السكان»! - مما أدى إلى تفكك روابط الأسرة وشيوع الفوضى الجنسية والشقاء الفردي والجماعي في تنوّع فريد من الشقاء الخلاق!

إن القائمين على صناعة هذه التقارير القاصرة التي أشقوا بأمثالها مجتمعاتهم لا يخدعون إلا أنفسهم. والمروجين لهم بضاعتهم لا يستحقون إلا الاسم الذي أطلقه عليهم الشيخ يوسف القرضاوي: عبيد الفكر الغربي.

إنهم أنبياؤه الوثنيون وأدونيس نفسه قال عن نفسه بأنه «نبي وثني»[(١)]! والذي أخبرنا بهذه المقولة عن أدونيس هو الدكتور العلماني «علي حرب» الذي قال هو بدوره عن نفسه، :«... بين ذوباني في الأمة وبين فرديتي أو أحديتي المعادلة لألوهيتي (!)...»[(٢)]. وقال :« والقول بناسوتية الإنسان وعلمانيته هو الذي جعل القول بلاهوتيته أمرا ممكنا. وعليه فالناسوت هو الذي يؤسس اللاهوت»[(٣)] فشعوره باستقلاله عن الله تعالى هو الذي جعله يقول بلاهوتيته (واللاهوت بحسب مصطلحات الآخر هو: الطبيعة الإلهية!، والناسوت هو الطبيعة البشرية!) كما جعل «أدونيس» يقول بأنه نبي وثني، وليس وصف الشيخ القرضاوي لهم بأنهم عبيد الفكر الغربي ببعيد عن إحساسهم به فعلي حرب نفسه وقد شعر بلاهوتيته - المزعومة - يؤكد لنا المصدر الذي استقى منه

---

(١) قال أدونيس هذه الكلمة في الحوار الذي أجرته معه الناقدة يمنى العيد. مجلة الطريق. العدد الخامس. تشرين الأول ١٩٩٠. ص٩٧ نقلا عن نقد النص لعلي حرب ص٢٠٨.

(٢) نقد النص ص٢٦٤.
(٣) نقد الحقيقة ص٩٧.

هذا الشعور : « الفكر العربي هو الذي أيقظنا من سباتنا الحضاري وفتح لنا أبواب النقد ... بحيث نغير جلدنا تماما كما يغير الثعبان جلده »[1] !!

فالذي أيقظه وأعطاه الإحساس بالألوهية المزيفة. كما أعطى « أدونيس » الشعور بأنه « نبي وثني » لم يكن إلا الغرب الذي فصل الإنسان عن الله. ولم يكتفي بذلك بل أعلن أن الإنسان هو السيد وليس آخر!

فأين هو التنوع الخلاق ؟!!

وأين رؤية الآخر لنفسه إنه الأنا ؟ (اللهم إلا رؤية إنسانيهم لنفسه أنه الإله !!) إن الذي حدث هو العكس، فقد صرها نحن « الآخر » ولم يصر « الأنا »، ضحك علينا .. وألغى ثوابتنا .. وسرق ثرواتنا - السرقة الآن على طريقة « الحداثة » ! ، راقية جدا !! - واحتل عقولنا بحجة التنوع والحداثة والثقافة الكونية والحوار الكوني وحوار الحضارات !

إن د. علي حرب يتعامل مع الهوية الثقافية الإسلامية بوصفها « مؤسسة لإنتاج المعنى، تقوم على حجب ما تتأسس عليه من اللامعنى »[2] « ومعنى إنتهاكه على سبيل الصرف والتحويل »[3] ويقول « فإن ارتفع أو قل ما تفعله العولمة .. هو فسح الحجاب لتفكيك تلك الهويات المتحجرة، وعلى نحو يسهم في كسر الترجية الثقافية ... ووحدانية العقيدة « فالعقائد اليقينية لا تنتج سوى الأوهام ولذلك فالتغيير يجب أن « يطال علاقتنا بكل شيء : بالثقافة والهواية »[4] .

أعلن د. رب هذه الحرب على العقيدة في بذره في المجلس الأعلى للثقافة في القاهرة نيسان ١٩٩٨ !!! وبذلك - يقول « سيبقى المجال مفتوحا أمام ... التنوع

---

(١) نقد النص ص ٤٣ .
(٢) حديث النهايات ص ٥٠
(٣) حديث النهايات ص ٥٠ .
(٤) المرجع السابق ص ٥١

إلى الارتباط بالثقافة التي علمته كيف يكون ملحدا بجدارة . إباحيا بلا غصة ! يدعو ويتحالف مع نظراءه العلمانيين إلى أن نكون «الآخر» بتغيير ثوابتنا .

إن رؤية هؤلاء «المبدعون!» لنا هي أنه يجب تحديثنا لنكون شيئاً آخر غيرنا ولنكون الآخر وليكون الآخر «الأنا»!

تحالف أقطاب !

في الملتقى الأول للمثقفين العرب في المهجر . باريس ١٩٨٦ ، والذي أشرفت عليه ونظمته «الجامعة العربية» اجتمع التحديثيون (!) المبدعون(!) ليتناقشوا في قضية «الأنا» و«الآخر» وكان من أبرزهم «أدونيس» وكان رئيس الملتقى د. محمد أركون ، وكان على كل واحد أن يدلي بدلوه في تحديد مصيرنا !

قال د. هشام شرابي (جامعة جورجتان) في هذا الشأن : « فما ندعوه الثقافة الغربية اليوم أصبح ثقافة عالمية لا يمكن العيش خارجها دون السقوط خارج التاريخ»[1] !!

هكذا بكل بساطة يتحلى بها المبدع ! (في كتاباته يدعو إلى القطيعه مع الإسلام !)

وقال الدكتور سميح فرسون (أستاذ علم الاجتماع بالجامعة الأمريكية بواشنطن !) : «الثقافة الغربية ثقافة كونية عالمية»[2] !!

علق الدكتور محمد أركون (رئيس الملتقى !) على كلام د. فرسون بقوله : « . . . وهذه الفكرة تربطنا بما أشار إليه الأستاذ فرسون من أن الغرب كثقافة

---

(١) «الثقافة العربية في المهجر» ص٢٥ وهو كتاب يحوي مجموعة المقالات والمناقشات التي دارت في الملتقى .

(٢) المرجع السابق ص ٤١ .

أو كإنجاز حضاري لم يعد «الآخر» في المجتمع العربي وإنما أصبح جزءا منه تقريبا»[١].. وإلا خرجنا من التاريخ!

قال «أدونيس» يجب أن تكون: «رؤية الذات خارج الأهواء وخاصة الأيديولوجية»[٢]. ويقصد: الإسلام وغيره مما يسمونه الأيديولوجيات!

فالمسلمون خارج هذه الأهواء عليهم - بحسب كلام كمال بلاطة (فنان تشكيلي الولايات المتحدة) في نفس الملتقى -: «إعادة تأسيس تراثهم الحضاري فوق حطام القيم الموروثة»[٣]! إعادة النظر في التقاليد!!

يخرجون من الأهواء ويجعلونها حطام.. ثم يعيدون تأسيس تراثهم الحضاري من جديد!

لم يُصدق د. سميح فرسون نفسه وهو يسمع - ويقول! - هذا الكلام تحت إشراف الجامعة العربية فعبر عن ذلك بقوله: «مثل هذا الكلام يقال في إطار الجامعة، هذا حدث تاريخي»[٤]!!

كان د. برهان غليون أيضا مشاركا في الندوة ومن المعروف أن كتاباته ترفض الإسلام، وقيمه، وتعطي زمام قيادة الحياة للإنسان الرافض للدين، والعقل المنعزل عن الوحي يقول: «فليس لاختتام النبوة من معنى آخر إلا تسليم القيادة الروحية بعد النبي للعقل الذي يشارك فيه كل بني الإنسانية»[٥]، ويرفض إقامة السياسة

---

(١) المرجع السابق ص٤٩.　　(٢) المرجع السابق ص ١٥.

(٣) المرجع السابق ص ٨٠.　　(٤) المرجع السابق ص ٤٥.

(٥) نقد السياسة.. الدين والدولة ص٥٠ للدكتور حسن حنفي نفس المفهوم. يمكن القول بأن النبوة كانت ضرورية قبل آخر مرحلة فيها قبل أن يكتمل الوعي الإنساني (!) ويستقل عقلا وإرادة ثم أصبحت ممكنة لحظة اكتمال الوحي. وهي الآن مستحيلة بعد اكتمال الوحي واستقلال الإنسان، من العقيدة إلى الثورة جـ٤ ص٥٧ وكذلك ٥٨

في بلاد الإسلام أو غيرها على مبادئ الدين وقواعده !: «خطأ الاعتقاد بإقامة النظام السياسي على مبادئ الدين وقواعده»[١] إذن فلتكن مبادئ «الآخر»!. وسياسة «الآخر»! وهو يشارك د. هشام شرابي في رؤيته التي ذكرناها منذ هنيهة. يقول: فمن لاينجح في تغيير حياته بما يتفق مع معايير العصر، يهمش ويتداعى ثم يخرج من التاريخ»[٢]، إذن فلنعش في ثقافة الخارج وإلا الموت وليكن الغزو الثقافي كما قال كرم الحلو في الفصل الأول، ولنغير جلودنا كما يغيِّر الثعبان جلده، كما ذكر د.علي حرب، ومع ذلك فلتكن لنا هويتنا!... الهوية التي يحاولون إلباسنا إياها!! أما رئيس المؤتمر د. محمد أركون فهو يدعو في كل كتبه إلى إشاعة عالمية كونية تجعل السيادة العليا للإنسان بدلا من الوحي، وللعقل بدلا من الله. إذا تحقق ذلك في عالمنا العربي والإسلامي فإنه يمكننا -يقول-: «المشاركة في التعاون الدولي اليوم من أجل تأسيس نظام ثقافي وسياسي واجتماعي جديد مرتكز على نظرية جديدة للمشروعية (للسيادة العليا) وعلى ممارسة جديدة لها»[٣] مشروعية السيادة العليا التي للآخر الغربي!!!

الأمين العام السابق للجامعة العربية الدكتور «الشاذلي القليبي» [و هو علماني تونسي من رجال بورقيبة!] قدم لكتاب الملتقى بمقدمة لم يكن يحلم بها أي علماني. فهي ترفع من شأنهم وتقدر إبداعهم (!) ومن من؟ من رئيس الجامعة العربية (سابقا!)

---

(١) كان يثبت في هذه الفقرة ما حاول الشيخ علي عبدالرازق إثباته. وطبعا الدكتور العلماني مع علي عبدالرازق بل يتجاوزه إلى القول بخطأ بناء الحياة الإنسانية كلها على الدين! والفقرة أعلاه من المرجع السابق ص٦

(٢) مقالة له بجريدة الحياة سنة ١٩٩٧ لا أعرف الشهر ولا العدد تحديدا.. ضاع ذلك مني!

(٣) الفكر الإسلامي. قراءة علمية ص١٨٣

يقول عن فاعلياتهم ! في مقدمة الكتاب ـ « .. هذه الفعالية تتعزز باستمرار فإن في ذلك دلالة على ما يكتنزه المجتمع العربي من طاقات مبدعة (!) تشارك أو يمكن أن تشارك في بناء العالم الحديث(*)، كلما أتيحت له الوسائل والمجالات (!)، وفي ذلك دلالة أيضا على أن مجتمعنا لازال من حيث رؤاه وخططه ومؤسساته. مقصرا جدا (!) في استيعاب هذه الطاقات والإفادة من معارفها وخبراتها في تحقيق تقدمه الخاص وتطوير هياكله، ومواجهة المشاكل المعقدة الضخمة المطروحة عليه في نهاية هذا القرن.. تمتين الروابط بين هذه القوى المبدعة وبين مجتمعها الأصلي على الأقل (!) في مجال الثقافة (!) وتطلعات الإنسان العربي، وهو ما تسهر عليه جامعة الدول العربية مباشرة (!)... وفي هذا الكتاب إشارات إلى بعض الجوانب الملحة لهذا الاهتمام، فيما يتصل بالهوية الثقافية (!) وبالحوار المتكافيء (!) بين الثقافة العربية والثقافات الأخرى، وهو عمل نرجوا أن تتلوه أعمال أخرى في نفس الإطار »[1] !

وبدلا من أن يقول « الشاذلي القليبي » أن هؤلاء العلمانيين إنما وقعوا ضحايا ـ مثله ! ـ لأحط العبوديات عندما استنكفوا أن يتعبدوا لله. وقعوا في عبودية العبيد من أمثالهم : يصرفون حياتهم وفق أهواءهم، ووفق ما يبدو لهم من نظريات واتجاهات قصيرة النظر، مشوبة بحب الاستعلاء، كما هي مشوبة بالجهل

(*) قال أبوزيد لمراسل صحيفة عربية تصدر من هولندا أنه ينتظر ولادة هذا المولود في عالمنا. تحقق « الوعد » وقال بأن العالم العربي اليوم يعيش مرحلة المخاض ".

(١) كتاب الملتقى ص٧ ذكر البيان الختامي للملتقى أنه لابد من حركة نقدية على جميع المستويات. لابد من التوكيد على أن تحديد الهوية يخرج عن الإطار الأيديولوجي. لابد من مواجهة ما دعوه باللا مفكر فيه من منظور نقدي. واللا مفكر فيه هو الدين والغيب والشريعة وغير ذلك مما زعموا أنه لا مفكر فيه '

والنقص والهوى!(١). بدلا من ذلك ذهب يذمهم ويقدم لهم في كتاب ملتقاهم وينادي علينا أن نستفيد من معارفهم. وعلى الأقل في مجال الثقافة!!

إذن يريدوننا أن نكون «الآخر» وأن نصبح عضوا منه كما قال أركون منذ هنيهة! فأين هي مفاهيم «التنوع والتعدد» التي يضربون على وترها، وأين في هذا الجو صورة (الهوية الإسلامية) وتواجد (المرجعية الإسلامية)!؟

المرجعية التي يسميها «أدونيس» في مقالته «ماذا يقدر القش أن يقدم لحقول المستقبل؟(٢)»: «جراح ثقافية»!. «مستودعا للأوهام والأباطيل»!

ولو كانت كما زعم: «ما بقيت قرنا واحداً بعد وفاة الرسول ﷺ، ولا إزدهرت بعد ذلك لتكون قاعدة حضارية إسلامية ممتدة من الصين إلى الأندلس.

إنما بقيت هذه الثقافة وتطورت لأنها استطاعت حتى في أوقات الضعف أن تبقى موصولة بأهم ما في نصوصها التأسيسية، أي القرآن الكريم والسنة النبوية. تخاطب أسمى ما في الإنسان وتساعده على معالجة أخطائه ونواقصه: فهي تعلمه أن الله واحد وكل الناس خلقه لافرق بينهم إلا بالعمل الصالح، وأن الرجل والمرأة بعضهم أولياء بعض، وأن الإكراه باطل حتى في العقيدة، وأن العائلة أساس المجتمع، وأن مكارم الأخلاق جماع الدين. وأن أهل الكتاب شركاء في المواطنة لهم ذمة الله ورسوله فلا يجوز تصفيتهم بالملايين كما في المانيا أو غيرها، وأن الظلم ظلمات وأن العدل اسم الله وعنوان شريعته(٣).

---

(١) ظلال القرآن عند تفسير سورة الأنفال المجلد الثالث ص ١٥٢٠.

(٢) جريدة الحياة، «مدارات أدونيس» ١٩ فبراير ١٩٩٨.

(٣) من كلام الأستاذ «محمد الهاشمي الحامدي» (كاتب تونسي. رئيس تحرير جريدة «المستقلة» ومجلة «الديبلوماسي» في لندن) انظر مقالته في جريدة اتحاد الاتحاد ٩ مارس ١٩٩٨ العدد (١٢٧٨٩).

إنه ليس بمستغرب أن يحكم أدونيس على المرجعية الإسلامية نفس الحكم الذي أطلقته المذاهب العربية عليها. والتي تعتبر الإسلام مستودع الأباطيل والخرافات.

«أدونيس ونقد الوحي أولا»

إن أدونيس يعتبر «التراث» ويدخل فيه القرآن والسنةالنبوية، نتاج تاريخي. فرض نفسه عن الأمة، ويجب التخلص منه والثورة ضده «فما قيل وعمل في الماضي، في مجال الثقافة. ليس شيئا مطلقا يجب تكراره والعمل به، وإنما هو نتاج تاريخي، أي نتاج يتجاوزه التاريخ من حيث أنه تعبير عن تجربة محددة لا تتكرر. في مرحلة لا تتكرر، هكذا يتضح أن طرح الارتباط بالتراث إنما تقوم به الفئات الوارثة المسيطرة»[1].

لقد صار «الوحي» مصدر المعرفة والتراث في الأخذ منه والاهتداء به: «صار الوحي الديني مصدر المعرفة، ومعيار التعبير وصحة العبارة، صار المرجعية في التطور والفهم والتقويم. في جميع الميادين»[2] إن نقد هذا الوحي. وهذه «المرجعية» يجب في فلسفة أدونيس أن يبدأ «أولا» قبل نقد أي شيء آخر وإلا فإن انطلاقة في المستقبل بدون هذا العمل يصبح - عنده - عبثا.

يقول: «وعبثا نحاول أن «ننقد الكتابة العربية، «بقديمها» و«حديثها» وأن نفهمها، إذ لم ننطلق بدئيا، من النص الديني الأول الذي أسسها وصار ذاكرة لها، ومن القيم والعلاقات التي أرساها هذا التأسيس»[3].

فلا يمكن أن تؤسس الحداثة والذاكرة الجديدة والقيم والعلاقات الجديدة،

---

(١) صدمة الحداثة ص٢٢٨. ٢٢٩ كما في إشكاليات القراءة ص٢٣٣.

(٢) ملام البدايات لأدونيس ص٢٠.

(٣) المرجع السابق ص١٧٧.

والنقد الجديد. إلا بنقد هذا «النص!». بنقد «البنية الفكرية الدينية!»: «ولا يمكن نبدأ بتأسيس فكر إذا عربي جديد ونقد جديد إلا إذا بدأنا بنقد البنية الفكرية الدينية»[1].

إذا النقد والهدم ـ المباشرين عند «أدونيس» هما أساس عالمه الجديد! يقول في رسالة الدكتوراه التي أشرفت عليها الجامعة الإمريكية والأب «بولس نويا اليسوعي» وشارك في مناقشتها «أنطون غطاس كرم»!: «إن هدم الأصل يجب أن يمارس بالأصل ذاته»[2]!!

إن الكتابة العربية الإسلامية التي انطلقت من الإسلام وخرجت منه، القديمة والحديثة ليس لنقدها قيمة إلا إذا أخضع مؤسسها ومقيمها ومحركها والذي كان الأصل والأساس، والمرجع .والعماد لها، للنقد والهدم!

فهذا هو العدو الأكبر لكل انطلاقة علمانية لا تنظر إلى الدين على أنه شيء ولا إلى الأخلاق على أنها شيء ولا إلى العلاقة بين الجنسين التي أسسها الدين وحافظ عليها الإسلام على أنها شيء يُذكر!

إن أدونيس يدعو لفهم القرآن لا للانطلاق منه إلى عالم أفضل ولكن للانطلاق إلى عالم بلا «قرآن» وبلا «تراث»، يدعو إلى هدم هذا «التراث»، وبتعبير د. نصر أبوزيد في دراسته عن فكر «أدونيس» قال: إنه يفهمه لكي يهدمه»[3].

---

(١) المرجع السابق ص١٩١.

(٢) الثابت والمتحول.. بحث في الاتباع والإبداع عند العرب، وهو صادر عن دار العودة بيروت في ثلاثة أجزاء او كتب (الكتاب الأول «العودة إلى الأصول» (١٩٧٤م) والجملة أعلاه منه ص٣٣. والكتاب الثاني (تأصيل الأصول) ١٩٧٧. والكتاب الثالث (صدمة الحداثة) ١٩٧٩

(٣) إشكاليات القراءة ص٣٢. تحت عنوان «الثابت والمتحول في رؤية أدونيس للتراث».

وعلى عكس «أبوزيد» فإن «أدونيس» لا يستخدم القرآن أو التراث الذي يريد هدمه ليملئه بمضامينه المبيتة التي يؤمن بها!. مع انه يدعو لإبتكار مفاهيم جديدة للقرآن!

وعلى عكس ما قال «نصر ابو زيد» عن «ادونيس» من انه «يرفض حل وضع «البضاعة الجديدة» في «إناء قديم» أو «المضمون الجديد» في «شكل قديم» تفهمه الجماهير وتستوعبه» [1]. فإن أدونيس نفسه يخبرنا أخيرا أنه لامانع عنده من أن يستخدم إخوانه من العلمانيين النص القرآني باعتباره «إناء قديم» أو «شكل قديم» ليملئونه بتفسيراتهم الملتويه وبضاعاتهم الجديدة لأن المعنى (عنده) «ليس ماهية ثابتة وإنما هو «سيرورة» و«صيرورة» في «حركة دائمة التحول» [2] وهكذا - يقرر أدونيس - : «يظل النص مفتوحا.. يظل النص حراً لا «يملكه» أى تفسير.. ويظل «كثيرا» و«متعددا» » [3]

إذن «النص» يجب أن يكون سلاحا يُستخدم ليملئ بمضامين مادية ويُنزع عنه «جوهره» وتهدم «حقيقته». وإذا كان ذلك كذلك فكيف يزعم نصر ابو زيد أن «أدونيس» يحرم نفسه من سلاح إستخدام التراث ليهدمه أوان علاقته بالتراث علاقة إنفصال كامل» يقول: «إن رغبة أدونيس في الإنفلات من الماضي وهدمه تنبع أساسا من رغبته في هدم الثقافة السائدة - يحرم نفسه من ذات السلاح ويؤمن على النقيض أن علاقته بالتراث علاقة إنفصال كامل» [4]

وفي الحقيقة قد يتغير المزاج الأدونيسي المتقلب غير أن هناك حقيقة قالها عنه

---

(١) إشكاليات القراءة ص ٢٣٥.

(٢) جريدة الحياة ٢ ديسمبر ١٩٩٩ العدد ١٣٤١٧.

(٣) جريدة الحياة ٤ نوفمبر ١٩٩٩

(٤) إشكاليات القراءة ص ٢٣٣.

نصر أبو زيد وهي أن «الرؤية التي يتبناها أدونيس للتراث تقوم على الهدم»[١].

غير أن أدونيس يحاول أن يرمي غيره بالتقليد للآخر في حين انه هو نفسه غارق في عبودية هذا «الآخر» فهو يرميهم بأنهم «يُعربوا فكر الآخر، بنوع من التبني»[٢] «نوعا من إسقاط الآخرين على الذات، أى أنه تبنيا لذات أخرى مكْسو باللغة العربية»[٣] ويحاول «أدونيس» بهذه «المراوغة» وهذا «الخداع» أن يهرب من محاولة أدانته بتعريب فكر الآخر وإعتناقه .

.. وإلا فالمدهش أنه من أفضل المقلدين وأدهى المتعبدين في محراب الفكر الغربي المتهافت .. وهو ينقل فكر «الآخر» باعتباره أنه فكره هو، ليس هذا فقط، ولكن كمُبدع كبير ومجتهد خبير .

إن هذا الشاعر الكبير يلخص عقيدته في كلمات شعرية عبثية يقول: طاعة الموت تستلزم فوضى الحياة! وليست الحقيقة بين الأذنين، بل بين الفخذين»[٤] !! فأين العقل هنا من الحقيقة ؟! وأين المسئولية !!

قد نجده في مقالة أو كتاب يتكلم عن العقل، لكن ما هو هذا العقل؟ إنه العقل المتحرر الشهواني كما سيأتي من كلامه !

فهو مرة بهذا العقل، ومرة بلا عقل على الإطلاق . وهو يُعبر عن هذه الشخصية بقوله :«أنا أكثر من شخص» «لا أعرف من كنت ولا من سأكون !!؟» «أنا مفترق»[٥] وهذا كلام مجنون !

---

(١) المرجع السابق. نفس الصفحة (٢) كلام البدايات ص١٩٣ .

(٣) الثقافة العربية في المهجر ص١٦ .

(٤) أبجدية ثانية ص ٢٥ ولذلك عينته مؤسسة . اليونسكو . المشوهة مسئولا كبيرا فيها !

(٥) راجع مجلة مواقف. العدد ٤٥ . شتاء ١٩٨٢ ص٢٦ نقلا عن نقد الحقيقة ص٤٢

يقـول أدونيـس عن هذا الجنون: عـالـم بلا جنون. لا يمكن أن يكون عـالما عقليا!!![1]. فأين المبادئ والقيم في هذا العالم .. لا يريدونها !! وماذا في هذا العالم المجنون؟

ندخل إليه ـ يقول: «حيث نرى للرغبة جسدا يولد في الجسد حيث نقدر وراء كل حجاب أن نحيي امرؤ القيس ونستشفع عمر بن أبي ربيعة. وحيث نسمع الحجر والماء يتحدثان دائما عن يوسف وامرأة العزيز (!) ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ (!)

تطاول الليل علينا دمون

دمون إنا معشر يمانون

وإننا لأهلنا محبون (!)»[2].

حقاً إن الأمر كما قال الشيخ محمد الغزالي ـ رحمه الله ـ: «إن البعد عن الله لن يثمر إلا علقماً، ومواهب الذكاء والقوة والجمال والمعرفة تتحول إلى نقم ومصائب عندما تعرى عن توفيق الله وتحرم من بركته»[3].

«أدونيس» ومحاولة استخدام «القرآن»؟

لقد حاول «أدونيس» إقناعنا حتى الآن أنه لن يستخدم النصوص القرآنية (السلاح الذي استخدمه نصر أبوزيد وغيره تحت دعوى تطوير الفكر الإسلامي!) للتدليل على أفكاره المبينة لهدم التراث وتغيير مضمون القرآن كما

---

(١) جريدة الحياة، مدارات يكتبها أدونيس، مقالة بعنوان لا تفتح يا سمسم، لا أريد أن أدخل!، بتاريخ الخميس ٩ يوليو ١٩٩٨ العدد (١٢٩١٠).

(٢) شهوة تتقدم في خرائط المادة (شعر) ص٦٨.

(٣) الجانب العاطفي في الإسلام ص١٨٦.

فعل الفريق العلماني الآخر. لكننا الآن وفي هذا السياق نجده يحاول أن يُغير مفهوم القرآن والسنة في الموقف من الشعر المخالف للقيم والمبادئ الإنسانية.

فتعليقا - أو تفسيرا! - على آيات سورة الحاقة [٤٠ - ٤٣] ﴿وما هو بقول شاعرٍ قليلاً ما تؤمنون ۝ ولا بقول كاهنٍ قليلاً ما تذكّرون ۝ تنزيلٌ من ربّ العالمين﴾ والتي تنفي أن يكون القرآن قول شاعر أو كاهن - وهو ما يعني أنها لا تتكلم عن الموقف من الشعر والشعراء! - يعلق «أدونيس» على هذه الآيات بقوله «... نرى أن تأويل هذه الآيات بحيث يستفاد منها منع الشعر أو تحريمه أو استقباحه. إنما هو تأويل يفرط في الشطط، لأنه يُفرط في الخروج على حدود التأويل وأصوله وتدعم ما تذهب إليه السنة النبوية نفسها التي دعت إلى قول الشعر وشجعت الشعراء وكان لنا قولنا الشعري في حربنا على المشركين أو الذين يقاتلون في سبيل الإسلام والمسلمين»[1].

ولغرض في نفس «أدونيس» ترك الآيات الواضحات في سورة الشعراء التي تتكلم عن صنفين من الشعراء، يقول تعالى: ﴿والشُّعراءُ يتّبعُهم الغاوون ۝ ألم تر أنّهم في كلّ وادٍ يهيمون ۝ وأنّهم يقولون ما لا يفعلون ۝ إلاّ الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظُلموا وسيعلمُ الّذين ظلموا أيّ مُنقلبٍ ينقلبون﴾ [الآيات: ٢٢٤-٢٢٧]. وهنا تظهر المواصفات التي تنطبق تماما على شاعرنا!، فهو هائم في شعره على وجهه آخذ في كل اتجاه وليس في شعره ذكر الله تعالى بل إنه ينشد بموت إله. فأين الآيات التي شجعت شعره وإباحيته وجرأته على الله عز وجل؟ واستدلاله على أن القرآن لم يحرم الشعر أو يمنعه أو يستقبحه بالآيات التي احتج بها استدلال مُغرض ومغلوط لأن الآيات الأخرى (وهي آيات سورة

---

(١) كلام البدايات ص١٨٦.

الشعراء) في ذكرها للشعراء تقسمهم إلى فرقتين . فريق له هدف إنساني نبيل وإسلامي جليل في قول الشعر . والفريق الآخر إنما هدفه «الغواية» و «الانحراف» و «التحلل» والسنة النبوية تؤكد هذا التقسيم فالشعر حلاله حلال وحرامه حرام كما أخبر الرسول ﷺ عائشة رضي الله عنها وقد استخدم الرسول ﷺ الشعراء ليقوموا بدور إعلامي هادف ومضاد لشعراء اليهود والمشركين (كان من شعراء اليهود مثلاً «كعب بن الأشرف» وكان يتغزل بنساء المسلمين ويقف مع قريش ضد الإسلام !) .

ولم يفرط أحد من علماء المسلمين في التأويل بمنع الشعر أو تحريمه أو استقباحه ، وإنما استقبحوا ما استقبحه الله واستحسنوا ما استحسنه الله منه .

لكن «أدونيس» يحاول أن يجد له سنداً لقول الشعر (سند ديني !) من القرآن بينما يرفض أساسيات وعقائد ومبادئ القرآن نفسه ! بل إنه يفتخر بانتهاكه كل محرم جاء به القرآن !

ثم هو يتكلم هنا عن انتصار الشعراء المسلمين للإسلام في حين نجده لا ينتصر انتصارهم وإنما ينتصر للأعداء من المسلمين ، وها هي السلطات الثقافية الغربية «والإعلامية» تصنع له المؤتمرات والمنتديات في أنحاء أوروبا كلها وفي أحيانها المختلفة وتدعو له العرب والمسلمين لسماع الشعر ![*] .

وطبعاً ، فلولا أنهم يريدون فتنة المسلمين بإباحيته الشعرية وجرأته على

(*) في هولندا يدعى الشعراء والمفكرين العلمانيين لإلقاء المحاضرات في المكتبات المنتشرة في كل مكان في أنحاء البلاد - والقراءة فيها مجانا والاستعارة باشتراك سنوي مناسب جدا - ومنهم من يهاجم الإسلام مباشرة ومنهم من يتلاعب بالكلام ويتهم الحركات الإسلامية والفكر الإسلامي القديم أو الحديث ومنهم من يتبرأ من العرب لأنهم احتلوا أرضه كبعض العلمانيين من «البربر» من المغرب .. وهكذا .. ونادرا ما يدعى مفكر إسلامي حقيقي .

المبادئ الإسلامية لولا ذلك لكان لهم في شعره موقف آخر ! .

ولولا أنه يصب في اتجاه تنوعهم الخلاق المبنى على انتهاك القيم ورفض الدين كمنهج حياة وتهميشه. وبناء إنسانية كونية عارية القيمة. منفصلة عن الله عز وجل، لنبذوه ورفضوه وأهملوه! لكنهم عرفوه بعد أن صنعوه. وحركوه بعد أن سكنوه. وأطلقوه بعد أن حبسوه في قفص أفكارهم وسجن كونيتهم!

والآن يطالب بنفس الإنسانية المزلة للإنسان وأبعادها المحقرة لأبعاد الإنسان، وأخلاقها العالمية الناقدة لأخلاق وقيم الإنسان. وهويتها الفلسفية المغيرة لهوية الإنسان وفطرته الإنسانية. وتنوعها المزيف الذى يهدف في النهاية إلى القضاء التام على تنوعها وتعارفها الذى دعا إليه الإسلام .

لا مانع عند أدونيس من التنوع الذى ينطلق من النزعة الشهوانية العربية المتمثلة في زنادقة العرب القدماء، «الأنا المتنور!» مع النزعة الكونية الإلحادية الإباحية الغارقة في نشوة استقلال الإنسان «الآخر العربى المستنير!!» .

إذا تم هذا «التهجين» وقام الدمج والتنوع على هذا «اليقين» فإن «الأنا» تصير هى «الآخر» وتتحقق «الهوية الكونية»!

وبدل أن يستدعى «أدونيس» الصور المشرقة من التاريخ الإسلامى ليدعو«الآخر» إلى الاحتذاء بها فيكونها الغرب ويرضى بها «أخلاقا عالمية» و«هوية إنسانية كونية» نراه يقدم «للأنا» و«للآخر» صورا مخزية تتمثل في الإباحيين العرب والزنادقة الذين قدحوا في النبوة ليكونوها. لتتواصل بها «الأنا» مع «الآخر» ويرضى عنها«الآخر» ويدخلنا في «الهوية الكونية الشاملة» التى رضى بها «نزعة»! .

فعمر بن أبي ربيعة الذى أسس ما يمكن تسميته «بالنزعة الشهوانية» أو «الإباحية» في الشعر العربي والذى يتابع ما بدأه امرؤ القيس كما قال «أدونيس» هو وامرؤ القيس وبشار بن برد ـ أمثلة يفتخر بها ويرتضيها صورا للتحديث والتجديد والتواصل مع «الآخر» ولماذا ؟

يجيب «أدونيس» : « إن شعرهما يستمد أهميته من كونه يؤسس الرغبة أو الشهوة على المحرم دينيا واجتماعيا ، وفي هذا تكمن الثورة على التقاليد الاجتماعية ـ الدينية(!) والعودة إلى البداية (!) حيث لم يكن الإنسان يعرف الخجل أو العار فشعرهما محاولة للخروج على المجتمع : كل خروج على تقاليد المجتمع بذاته قيمة ، لأنه يعلن «اللا خطيئة» فاللّذة هي القيمة »[1] ! .

فهل هذا الكلام يدعم السنة النبوية التي دعت إلى قول الشعر وشجعت الشعراء أم إنه خروج كامل على المبادى والقيم الدينية ؟!! من يفرط ويشطط يا أدونيس المتطور؟!

الإبداع عند «أدونيس» : تحرّر من كل شيء !

في الدراسة التي قام بها «نصر أبوزيد» في تحليل فكر «أدونيس» الشهواني نراه يعلق على ما قاله «أدونيس» آنفا بالقول :« ... هنا يتعامل الباحث [يقصد أدونيس] مع الشعر على أساس أنه يرضي نزوة ويُشبع رغبة . لم يعد الشعر تأسيسا لرؤية جديدة للعالم تتجاوز كل الرؤى القديمة وتتحرر منها «انظر بيان الكتابة3/299وما بعدها» ، بل صار تدنيسا للمقدسات .وهنا بالضبط ما يجذب

---

(١) الأصول ص٢١٥ ـ ٢١٦ نقلا عن إشكاليات القراءة ص٢٤١ .

الكاتب في شعر امرئ القيس وعمر بن أبي ربيعة «والعلة» في هذا الجذب أننا لا شعوريا. ضد كل «ثمر محرم». لذلك نعجب بكل ما يدنس هذا الثمر (!) ويمتهنه (!). هذا الانتهاك يفتح ثغرة من الضوء في ظلام العادات أو الأخلاق! ومن خلال هذه الثغرة نلمح كيف يتهدم العالم القديم أو تتهدم عوائق الحرية(!) هذا الانتهاك فساد أو ضلال. لكن حين يكون المجتمع قائما على الضلال (**) فإن ضلال الخروج عليه، يصبح الفضيلة الكبرى. ومن هذه الناحية يمكن تحديد القوة أو الطاقة الثورية بأنها هي القادرة على خلخلة الأساس الراهن للأشياء وتغيير الواقع» (216/1) (***)(1). فالطاقة الثورية التي تستمد قوتها من الصور التاريخية الهزلية هي التي يمكنها - عند «أدونيس» - أن تخلخل منظور «الأنا» للأشياء، بحيث تصير «الأنا» بفعل هذه الطاقة الثورية واستدعاء هذه الصور التاريخية الهزيلة، ضلال يجب امتهانه وتدنيسه! وتصير الصور التاريخية الهزلية التي يريدها «أدونيس» هي الواقع وهي القوة على الثورة وصنع هوية جديدة للأمة بحيث تصير هي «الأنا الحقيقية» التي يمكننا بها أن نتواصل مع «الآخر» بلا عوائق للحرية من الدين والأخلاق والضوابط!. إنها عملية تأويل لشعر «إمرؤ القيس» و«عمر بن أبي ربيعة» تنتهي بأدونيس إلى تدنيس المقدسات والاستهانة بالأخلاق.

إن الطاعة المبدعة - التي مدحها الشاذلي القليبي - عند أدونيس، هي الطاقة الثورية لتهديم مجتمعات المسلمين وقيمها الإسلامية. وهي تنطلق لخلخلة

(*) ما بين القوسين هنا هو من كلام «أدونيس».

(**) يقصد قائما على وحي الله تعالى. تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا

(***) (216/1) تعني كتاب الأصول ص٢١٦.

(١) إشكاليات القراءة.

الأساسيات من العقيدة حتى القيم. تنطلق لتهديم الهوية الإسلامية والشخصية الإسلامية الملتزمة والحقيقة المطلقة التى جاء بها الوحى والتى أكدت على ثبات القيم، لأنها كلها عند «أدونيس» عوائق للحرية!

وهذا الانتهاك ـ فى تصوره ـ ضرورى لفتح ثغرة من الضوء على العالم الجديد.. عالم التنوع الخلاق!، لإنسانية متحررة، لها هوية جديدة وأخلاق عالمية جديدة!!! وعلى عكس ما قاله «أبوزيد» فإنه فوق تدنيس المقدسات فإن هذه الدعوة الأدونيسية تعمل على تأسيس رؤية لعالم جديد «متنوع خلاق!». وقد تقدم من كلام أدونيس أنه يسعى لتأسيس هذا العالم بحيث يبقى [الأنا المدنس للأخلاق مع الآخر المُحطَّم لها!] فى هذا العالم الصورة الجديدة لإنسانية عالمية جديدة!!.

وهو تفسير لمقولة «أدونيس» التى قدمناها فى بداية الفصل، التى تريد تحقيق هذا التواصل مع الآخر: «بحيث يشعر كل إنسان أنه نفسه وغيره فى آن، أو يشعر أنه لن يكون نفسه حقا إلا إذا كان غيره حقا. وفى هذا يكمن أمل كبير بنشوء إنسانية جديدة وفهم آخر لمعنى الإنسان»[1].

عالم الفضيلة الكبيرة: انتهاك المحرمات، وأولها حرمة الدين، وآخرها حرمة الإنسان! ويزعم «أدونيس» فى شعره أن هذا العالم من ابتكاره، وفى الحقيقة فإنه ليس إلا مقلد سافل! يقول: لابدّ، لابد

سأبتكر علم أخلاق خاصا بى.

سأجعل من موتى قصيدة أفتتح بها حياتى»[2].

---

(١) جريدة الحياة ٨ يناير ١٩٩٨ العدد (١٢٧٣٠)، مقالة بعنوان الأرض هذه الجنة الضائعة.!

(٢) سيهوة تتقدم فى حرائط المادة

فعلم أخلاق «أدونيس» هو «نفى السائد المعمم. ورفض الاندماج فيه»[١] علم يعتمد على انتهاك القيم ونبذ الإسلام وتراثه. ويقول نصر أبو زيد عن هذا العلم الذى يعتبره «أدونيس» قمة الإبداع: «إن الإبداع - يقصد عند أدونيس - ليس انطلاقا من معطى محدد اسمه التراث أو التقاليد بل هو تحرر من كل شيء»[٢]!

هذا الإبداع «يخلق تراثه الخاص»[٣] بعد هدم التراث الإسلامي وهو يسعى إلى تهديم البنية الإسلامية، والرؤية الدينية الإسلامية «وهذه الرؤيا غيبية وحياتية - يقول - فى آن، فهى نظرة شاملة للفكر والعمل للوجود والإنسان، الدنيا والآخرة»[٤].

ساعيا «إلى أن يخلق القيم الجديدة»[٥] التى تُناقض فى شموليتهَا الرؤية الإسلامية وتتقابل مع الكونية الثقافية التى أفرزها الفكر الغربى وروجها له أدونيس وطائفة من العلمانيين!

إنها قيم انتهاك كل ممنوع وتجاوُز كل حدود!

إن «تصور الشاعر - والكلام لنصر أبوزيد ويقصد بالشاعر «أدونيس» - للإبداع بأنه الخروج على العادة ورفض الموروث، والتحلل من أى معطى سابق ...»[٦]! إنه الإبداع الذى يجعل الممنوع مباح ويجعله «الأصل» و«البداية»! هذا هو إبداع ما

---

(١) صدمة الحداثة ص ٢٥١ نقلا عن إشكاليات القراءة ص ٢٣٦.

(٢) إشكاليات القراءة ص ٢٣٤. (٣) المرجع السابق ص ٢٣٨.

(٤) الأصول ص ٢٠ نقلا عن إشكاليات القراءة ص ٢٣٩.

(٥) صدمة الحداثة ص ٣١٤ نقلا عن اشكاليات القراءة ص ٢٣٤

(٦) إشكاليات القراءة ص ٢٤٤.

قال عنه «نصر أبوزيد» : أحد مبدعي ومنظري الاتجاه الشعري المعاصر[1] ! و «يعد واحدا من طلاع الحركة الشعرية الحديثة»[2] أي «أدونيس» .

الخطيئة الكبرى !

إن الممنوع المحرم في رؤية العالم الجديد الأدونيسي بحسب ـ قول أدونيس نفسه ـ هو : « رمز سلطوي :: قانون يقف حائلا دون تفتح الفرد ونموه لذلك لا يمكن الفرد ، لكي يحيا ويشعر أنه حر ، إلا أن يخترقه (!) . وفي هذا يقلب المعادلة بدلا أن يكون الممنوع هو الأصل يصبح المباح على العكس هو الأصل (!) »[3] !

ضع هذا الكلام بجوار كلامه وتعليقه على الآيات القرآنية التي قدمناها ـ والقولان موجودان في كتاب واحد !ـ إذا فعلت ذلك فستعرف أنه شاعر مخادع يتلاعب بالمقدسات ويستهين بالدين والقيم الدينية .. ونقول له هنا ، ألا ينطبق كلامه التالي على انسانيته ـ أو بالأحرى حيوانيته !ـ المنافقة :« ما السر في أن الإنسان يبرع غالبا في الخيانة أكثر مما يبرع في الوفاء ؟ !»[4] .

فقلب المعادلة على الصورة التي يريدها «أدونيس» خيانة كبرى تجعل الأمة مستعبدة لشهواتها ، منحلة في أخلاقها ، رافضة لشريعة ربها وبارئها .

وهي أيضا الخطيئة الكبرى التي تؤدي بالأمة إلى البربرية والهمجية ، كالتي صار إليها الغرب واشتكى منها عالم غربي . وهو «ألكسس كاريل» في كتابه

---

(١) المرجع السابق ص٢٣٨ .
(٢) المرجع السابق ص٢٣٤ .
(٣) كلام البدايات ص٨٨
(٤) مقالة له بجريدة الحياة الخميس ٢٥ يونيو ١٩٩٨ العدد (١٢٨٩٦) .

«الإنسان ذلك المجهول»[١]: إننا ننحط أخلاقيا وعقليا .. إن الجماعات والأمم التي بلغت فيها الحضارة الصناعية أعظم نمو وتقدم، هي على وجه الدقة الجماعات والأمم الآخذة في الضعف، والتي ستكون عودتها إلى البربرية والهمجية أسرع من عودة غيرها إليها». والسبب «لأننا لم نستطيع التمييز بين الممنوع والمشروع. لقد نقضنا القوانين الطبيعية. فارتكبنا بذلك الخطيئة الكبرى التي يعاقب مرتكبها دائما، ولهذا فإن الحضارة آخذة في الانهيار»[١].

ولقد صدق الأستاذ أنور الجندي عندما رسم مسار الحضارات بحروف من ذهب: «كل حضارة تبدأ من نقطة التحرر والانفلات من الضوابط والقيم الأخلاقية لابد أن تنهار وتتمزق. وقد سقطت حضارات كثيرة قبل هذه الحضارة نتيجة لهذا المبدأ الخطير: الإباحة والترف وفي نفس الوقت العبودية والعنصرية. ولقد قدم«القرآن» للمسلمين سنن المجتمعات، ورسم لهم قانون الحضارات، كما رسم لهم نواميس الكون والحياة[٢]. فالفطرة البشرية ـ كمثل نضربه على فاعلية هذه السنن في الحياة البشرية ـ في أصلها متناسقة مع ناموس الكون .. فحين يخرج الإنسان بنظام حياته عن ذلك الناموس، فإنه لا يصطدم مع الكون الهائل فحسب، بل يصطدم أيضا مع فطرته التي بين جنبيه، فيشقى ويتمزق ويحتار ويقلق، ويحيا كما تحيا البشرية اليوم في عذاب نكد! على الرغم من جميع الانتصارات العلمية، وجميع التيسيرات الحضارية المادية»[٣].

---

(٥) تعريب شفيق فريد. منشورات مكتبة المعارف بيروت

(١) من كتابه «الإنسان ذلك المجهول» ص ٣٢٢ نقلا عن التطور والثبات لمحمد قطب ص ١٥٨. وانظر كذلك دراسات في النفس الانسانية ص ١٤-١٨.

(٢) شبهات التغريب ص٢١٣.　　(٣) هذا الدين ص٢٦.

وللإنســان سنن وخصــائص فإذا فقـد خصـائصـه واسـتعـار خصـائص الحيـوان وألبسـهـا نفسـه فإنه يقع حتـما فى بهيـمـية كئيـبة مظلمة. وبربرية وهمجيـة كما أشـار «ألكسس كـاريل» منذ قليل وهو الذى قـال أيضـا «وواقع الأمـر ان جـهلنا مطبق»[1] بعالم الإنسان وخصائص الإنسان .. وكرامة الإنسان.

و«الأخلاق العالمية» التى يحاولون إلباسـها لباس العلميـة، منهـا ما هو جيد ومنها ما هو محطّم للإنسان ومدمر لكيانه البشرى.

وليسـت الحرية بأثمن من كرامة الإنســان التى كرمه الله بها وهم يمنحونه الحرية ليتمتع بها فى إهاب الحيوان!.. فتتمرغ الكرامة فى وحل الحيوان.

فلا يكون إنسانهم إلا حيـوان حر من إنسـانيتـه الحقيقيـة الشـاملة، عبـد للحس الهابط الغليظ، وللبهيـمـيـة الفظة الكثيفة.

الإســلام يريد إنســانيـة نظيفـة متســامـيـة، أما علـم النفس الغـربى فى تصـوره للمجـتمع الخلاّق فإنه يجعل: «التســامى نوع من الشـذوذ» وهو قول لفرويد فى كـتـابه[2] ThreeContribution To The Sexvel Theorg ص ٨٢ ولن يصـيـر الإنسـان فى فلسـفتهم فـاضـلا إلا بانتـهاك المحرم والإيمان بأن اللذة هى القيـمة كما زعم «أدونيس» وأما القيـم الأصلية التى جاء بها الإسلام وأولها قيـمة «العبودية» لله وحده فإنها لا شيء عند التطوريون الحداثيون!

---

(١) وقال: «يجب ان يكون الإنســان مقيــاسا لكل شيء، ولكن الواقع هو عكس ذلك. فهـو غريب في العالم الذي ابتدعه، إنه لم يستطع أن ينظم دنياه بنفســه لأنه لا يملك معرفة عملية بطبيعته»!! انظر دراسات في النفس الإنسـانية ص١٦، ١٧.

(٢) انظر هذا القول في كتـاب «دراسـات في النفس الإنســانيـة» ص١٧٤. والتعليق عليـه وكذلك ص١٩٩، ٢٠٠، ٢٩١.

إنهم قوم فقدوا أسمى شيء منحه الله للإنسان. إنه «العقل» و«الكرامة» وللعقل في الإسلام قيمة.. أسمى قيمة.. وللحفاظ عليها أيضا قيمة.

استقلال العقل وحليب الراشد!

وقيمة الحفاظ على «العقل» في الإسلام، نرى بروزها في الدعوة إلى نبذ الشرك والتقليد الأعمى، والتفكير في الآثار السيئة التي يحدثها الازدراء بالعقل أو إهماله أو تغييبه وتأليهه!

فالعقل كالإنسان إذا اشطط في التفكير أو غاب عن الوعي بالخمر مثلا، فإنما ينحرف كما ينحرف الإنسان الفاسد المزاج المنحرف السلوك والأخلاق.

والعقل المتأله هو كالإنسان المخمور كلاهما يلغي خصائصه الإنسانية. الأول يجعل من نفسه إلها والثاني يلغي عقل «الإنسان»!

الأول يقوده الغرور والكبر وتجاوز الحدود المرسومة للعقل إلى الظن بأنه قادر على كل شيء! والثاني تقوده المتعة واللذة إلى تجرع الخمر ولو أدى ذلك إلى تدمير شخصيته وفقدان توازنه والإضرار بمكانة العقل البشري الذي من أخص خصائصه الاتزان والانضباط والقدرة على التقييم والترجيح، وإلغاء هذه الخصائص يجلب المشاكل على الفرد والمجتمع بصرف النظر عن اللذة العارضة أو المتعة الزائلة أو الغياب الوقتي! والإنسان أو المجتمع إن لم يضبط نفسه على سنن الإنسان وسنن المجتمعات، والتي أتى الإسلام ليثبتها ويحافظ عليها، فإن سبيله إلى الهلاك والدمار والمشاكل المعقدة الضخمة التكاليف!

وإطلاق الغرائز أو الدوافع البشرية دون ضوابط تحفظ توازن الكيان الإنساني كله يعني الهمجية والفوضى ويعني حيوانية مطلقة ويعني في النهاية: تحول

الإنسان إلى حيوان ! هذه سنة من سنن الله في الحياة والإنسان والمجتمع !

فإذا استغنى الإنسان عن الله، وتحلل من هذه السنن فإنه لا محالة هالك ! والعلوم الإنسانية والاجتماعية والفلسفية التي نشأت وترعرعت في الغرب قامت على هذا الاستغناء وبنيت على هذا التحلل .

﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ [العلق الآيات ٦-٧] .

تمثل هذا الاستغناء في الكلمات المغرورة التي قالها «جوليان هكسلي» الذي تولى رئاسة اللجنة التحضيرية للمؤتمر التأسيسي الأول لليونسكو، الهيئة التي صدر عنها تقرير «التنوع الخلاق» !، يقول في كتابه «الإنسان في العالم الحديث» «إن الإنسان قد خضع لله في الماضي بسبب عجزه وجهله. والآن - وقد تعلم وسيطر على البيئة - فقد آن له أن يأخذ على عاتق نفسه ما كان يلقيه من قبل في عصر العجز والجهل على عاتق الله، ومن ثم يصبح هو الله !»[1] . - وهو قول نيتشه وحسن حنفي وغيرهما !-

هذا عن استغناء الإنسان عن الله وفقدان العقل لاتزانه نتيجة غروره وفرحه ببعض الاختراعات التي من الله بها نفسه عليه !

أما عن شهوة العقل وسكره فتتمثل في زهوه بنفسه مع كثرة مشاكله التي لم يستطع وحده حلها بينما هو يدعي أنه سيطر على كل شيء !

«أدونيس» أقرب مثال على «إلغاء العقل» في الفكر الفلسفي الحديث !

---

(١) انظر حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية ص٥٦، ٥٧ وانظر ص١٨٣ من التطور والثبات. يقول في كتابه «الإنسان في العالم الحديث» «ولقد كان الإنسان في العصور السابقة يلقي العبء على كائن مقدس غير مفهوم يسير الأمور بطريقة غامضة. أما الآن فيجب عليه ألا يفعل ذلك نظرا لزيادة معرفته بحقائق الكون» (١) ص٢٢٤ من الترجمة العربية نقلا عن التطور والثبات ص١٥٦

فهو يشرب الخمر ليتحلل من العبودية لله. ومن رؤية آيات الكون والوحي «يسمون الوحي :معطى سابق!) فالإبداع عنده، أو في الحقيقة «غرور الإبداع أو ما يزعم أنه إبداع!»، هو بحسب قوله :« الخروج على العادة، ورفض الموروث، والتحلل من أي معطى سابق»[1].

إنه إبداع طفولي، يريد أن يجرب كل شيء ومهما كان الثمن. يقول عن الخمر :«إن الخمر ليست عادة سلوكية ولكنها تجربة حياة»[2] ! تجربة مستمرة!!! وبها ـ يقول ـ «تتحول الحياة إلى ما يشبه النشوة الدائمة»[3] ! !نشوة بلا ضوابط ولا تحكم، يقول :«أن نرى أشياء الطبيعة في اندفاعها وتفجرها الأصليين»[4].

فالإبداع عند هذا الصنف من العلمانيين هو أن تنتهك حرماتك وتندفع وراء شهواتك في نشوة دائمة ورغبة عارمة وسكر لذيذ أما القيم والأخلاق ورؤية النتائج السيئة التي تؤدي إليها الخمر من فقدان الإحساس بالزمن والضياع وعدم حل المشاكل الإنسانية وتدمير الأسرة وتغييب الفرد وعدم الشعور بالثقة وانتهاك الأعراض والفوضى الجنسية والتحلل من إنسانية الإنسان وانضباطه العقلي، الأشياء التي رأيتها تحدث في الغرب بصورة مزرية بالكرامة الإنسانية، أما هذه النتائج السيئة فلا تهم الإنسان المغرور الذي ظن أنه: أصبح هو الله! .

لقد زعم علم النفس الحديث ورائده فرويد أن القيم الدينية منحطة وأن إطلاق الشهوات هو السبيل إلى تقدم الإنسان، والأسرة والأخلاق والدين عوائق في الطريق، وكوابت. يجب أن تزاح من طريق الإنسان! وزعم أيضا أن الخمر تزيد الإنسان الشعور بالثقة!

---

(١) تأصيل الأصول لأدونيس نقلا عن إشكاليات القراءة ص٢٤٤

(٢) المرجع السابق لأدونيس ص١١٦ .

(٣) نفس المرجع السابق ص١١٠

(٤) نفس المرجع ص١١٦ .

وفي الحقيقة فإن ما قاله «أدونيس» منذ قليل إنما هو منقول عن مؤسس مدرسة التحليل النفسي الغربي «فرويد». وقد زعم هذا الأخير أن الخمر هي «حليب الراشد»[1]!

وقال أن: «الكحول يحلي الواقع الخارجي فيبدو للأنا أقل غربة (!)، ويلغي الحدود بين الأنا والعالم الخارجي فيزيد من الشعور بالثقة بالذات»[2]. وهو يطابق ما قاله أدونيس عن الخمر: «إنها تجربة تعيد للإنسان وحدته المفتقدة»[3].

ومقولة «فرويد» تدل دلالة واضحة على أن علم النفس التحليلي قائم على سنن المجتمعات الغربية، السنن التي صنعها التطور الفاسد. واعتماد إنسانهم على نفسه بلا شريعة إلهية! فالواقع الذي يعيشونه غريب على الفطرة البشرية، ولا يجد الإنسان الغربي راحته في العيش في هذا العالم الكئيب إلا بتغييب وعيه ـ الذي يُحبذه فرويد تحت دعوى الحرية والتحرر من الكبت!! ـ ليصير الأنا أقل غرابة، ويلغي الشعور بوجود فارق بين الفطرة والعالم الخارجي! فيشعر بالثقة المزيفة المؤقتة بالذات على عكس ما يزعم فرويد!

ويفقد وحدته الأصلية وفطرته الأصلية على عكس ما زعم أدونيس!

«في بحث للدكتور لينيكن في جريدة الصنداي تيمز الإنجليزية بتاريخ ٢٧ يناير ١٩٦٣ يقول عن الشباب المنحرف الذي يتعاطى المخدرات هناك: «إنهم يقولون أن الحشيش محاولة للتعبير عن أنفسهم (!) ولتحديد ملامحهم (!) في مجتمع ضائع في عالم بلا شكل! وهم يفخرون (!) بأنهم قد فتحوا لنا باب إدراك الخيال الإنساني (!)»[4].

(١ ـ ٢) ما ندل. التمرد على الأب ص٢٠٩. نقلا عن المثقفون العرب والتراث ص٣٠، ٣١.

(٣) تأصيل الأصول ص١١٠ نقلا عن إشكاليات القراءة.

(٤) التطور والثبات ص١٦٧

لقد دمروا الواقع الإنساني . ومسخوا فطرة الإنسان . وأغرقوه في عالم الخيال المخمور . وهربوا من هذا الواقع بعد أن صنعوه بأنفسهم وبجهلهم وغرورهم وادعاء استقلالهم عن الله سبحانه وتعالى . وادعوا أنهم وجدوا العالم الحقيقي الذى يستطيعوا في حرية(!) أن يجدوا فيه ذواتهم ويحددوا ملامحهم ويعبروا عن أنفسهم !!!

إنها الثقة بالنفس التى فتح «فرويد» اليهودى لهم الباب إلى حيازتها ! بعد أن قال لهم الدين شيء كئيب ومرض عُصابى والجنس لا يحتاج لأسرة ! ولا لأخلاق . والخمر لا تحتاج إلا تجرعها وكفى !

هذا الـ«فرويد» يُبجل ويُحترم من كافة العلمانيين العرب . ويدافعون عنه وكأنه سعى إلي حماية الإنسانية ولم يسعى إلي تحطيمها !

وتُنقل أقواله المدمرة في الجنس والأخلاق والخمر ، والقيم والمبادئ ، والدين على أنها مُسلمات علمية لا يجوز نقدها !

ويقال عن أمثال «أدونيس» الذى مدح الخمر وأمر بانتهاك المحرَّم أنه «مُبدع عظيم» في حين أنه «مفسد عظيم» خاوى الروح . مضطرب العقل ، يخبرك شعره عن ضياعه وتُطلعك كلماته على عالم التيه الذى يعيش فيه تلاحظ ذلك ببساطة بمجرد اطلاعك على قصيدة شعرية واحدة من قصائده .

إن الخمر ـ التى ترد له وحدته المفتقدة !ـ ليست تجربة حياة نظيفة ، تفضى إلى الأمان والسلام والراحة والسكينة وإنما هى جنون حقيقى يفضى إلى جنون وجنون ، إنها ليست ـ يقول الأستاذ سيد قطب ـ« إلا تعبيرا عن الخواء الروحى ... من الإيمان أولا .. ومن الاهتمامات الكبيرة التى تستنفر الطاقة ثانيا .. وليست إلا إعلانا عن إفلاس هذه الحضارة في إشباع الطاقات البشرية بطريقة

سوية .. ذلك الخواء وهذا الإفلاس يقودان إلى الخمر والميسر لملء الفراغ. كما يقودان إلى كل أنواع الجنون ... وهما بذاتهما يقودان إلى «الجنون» المعروف وإلى المرض النفسي والعصبي .. وإلى الشذوذ»(١).

على العكس من هذا الإفلاس وذلك الخواء الروحي. نجد الإسلام بعقيدته في الله. وتشريعاته ومبادئه وآدابه وقيمه. يملء النفس المسلمة: «باهتمامات كبيرة لا تدفع فيها فراغا تملؤه بنشوة الخمر، وخيالات السكر، وما يصاحبها من مفاخرات وخيلاء .. في الهواء .. ملأ فراغها باهتمامات. منها نقل هذه البشرية الضالة الشاردة كلها. من تيه الجاهلية الأجرد. وهجيرها المتلظى. وظلامها الدامس. وعبوديتها المذلة. وضيقها الخانق إلى رياض الإسلام البديعة وظلاله الندية. ونوره الوضيء، وحريته الكريمة. وسعته التي تشمل الدنيا والآخرة، وملأ فراغها - وهذا هو الأهم - بالإيمان بهذا الإحساس الندى الرضى الجميل البهيج، فلم تعد في حاجة إلى نشوة الخمر، تحلق بها في خيالات كاذبة وسمادير! وهي ترف بالإيمان المشع إلى الملأ الأعلى الوضيء .. وتعيش بقرب الله ونوره وجلاله .. وتذوق حلاوة هذا القرب .فتمج طعم الخمر ونشوتها وترفض خمارها وصداعها. وتستقذر لوثتها وخمودها في النهاية»(٢).

هذه هي الأخلاق العالمية التي ينادى الإسلام على العالم كله أن يتخلق بها، أولا خلق الإيمان .. ثم الأخلاق والقيم الأخرى التي تجعل الإنسان إنسانا في عصر جعلوا فيه الإنسان حيوانا منتشيا!

.. وهذا هو ما يجلبه الإيمان ويحققه واقعه النفسي والعملي، والعقدى، والقولي، وتتقدم به المجتمعات طاهرة نقية من لوثات عقول - وأخلاق عالمية ضالة -

---

(١، ٢) ظلال القرآن. المجلد الثاني ص٦٦٧

أئمة الفلسفةالغربية الذين استباحوا كل الحرمات وانتهكوا كل القيم الإنسانية إرضاءا لحيوانهم الإنسانى !

ولذلك فإن الدعوة إلى هذا الإيمان .. وإلى احترام القيم والمبادئ الدينية الثابتة، من طرف هذا الدين العظيم. هو ما جعل الحنق الغربى عظيما هائلا، ولذلك اتخذ الفكر الغربى وأدواته الاستعمارية وضغوطه السياسية أسلحة خطيرة لاستئصال هذا الدين .. وهذا الإيمان .. وهذه المبادئ والقيم .

«يقول هنرى دى كاسترى : أن أحد سلاح يستأصل به العرب والمسلمون. وأمضى سيف يفتك بهم هو الخمر، وقد جربنا هذا السلاح على أهل الجزائر فأبوا أن يتجرعوه فتضاعف نسلهم، ولو قبلوه لأصبحوا أذلاء»[1] ! إذا أردتم أن تعرفوا حقيقة هذا القول، اذهبوا إلى «تونس» التى يحكمها الآن مجموعة علمانية خلعت رداء الإسلام ولبست رداء « الهوية العالمية الجديدة» ونشرت العرى والدعارة وحاربت الفضيلة والأخلاق الإسلامية ونزعت الحياء واعتقلت المحجبات بتهمة التعفف والتطهر فى مجتمع جديد تحاول العلمانية التونسية إرساؤه بعيداً عن خلق الإيمان ومبادئ القرآن .

والخمر، فى كل مكان، فى تونس، حتى صارت بحق «ماخور زين العابدين» !، مما اضطر «الحركة الإسلامية» فى تونس إلى الهجرة فرارا بدينها من الجلاد .. والمقصلة !

قضى السيخ (علي نوير) نحبه أخيرا وهو العضو القيادي المؤسس في حركة النهضة التونسية.

---

(١) سموم الاستشراق والمستشرقين للجندي ص ١٧١

غير «إمرؤ القيس» و «عمر بن أبي ربيعة» هناك على الجانب الآخر، الجانب الفلسفي الإلحادي «القرامطة» وهم «الآباء العظام» للأنا الآدونيسي !

وهم الذين يستلهم ثوريتهم وفكرهم ليجعل مستقبل «الأنا» أكثر تقدما ! .. كان «القرامطة» قد قالوا بانتهاء الدعوة المحمدية وسعوا لاستئصال هذا الدين، وفي سنة ٩٢٩م (سنة ٣١٧هـ) اقتحموا مكة المكرمة ونهبوا أموال الحجاج وقتلوهم في المسجد الحرام .. ويذهب بعض المؤرخين أنهم وغيرهم من الفرق الباطنية السرية يهودية الأصل والفرع [(١)].

يفتخر «أدونيس» بأفكارهم التي لا تجعل الدين أصلا يحدد الحياة وينميها، ويسميهم (منظرو الجديد) في مقابل الرسل والمؤمنين الذين يسميهم (منظرو القديم) ويدعي أن التقدم الذي ينشده التنوع الخلاق لن يحدث بوعي منظرو القديم ولكن بوعي منظرو الجديد ! يقول :« كان منظرو القديم يصدرون عن القول بأن الوعي (الدين) هو الذي يحدد الحياة. أما منظرو الجديد (القرامطة) فكانوا يصدرون عن القول بأن الحياة، على العكس، هي التي تحدد الوعي. كان الأول يرون أن التاريخ هو تاريخ الوعي، أي تاريخ الدين واللغة. بينما كان الآخرون يرون أنه تاريخ الحياة الواقعية. وتاريخ الصراع الحي بين طبقات المجتمع ، وإنه بدءا من هذه الحياة الواقعية يتحدد الوعي : وعي الماضي كله، كموروث، ووعي الحاضر، وبفضل الحركة الثورية (!) يمكن القول أن تاريخ الوعي العربي أصبح يقوم على

---

(١) انظر سموم الاستشراق والمستشرقين ص٥٣ ـ ٥٦ .

اعتباره نموا متدرجا من وضع أدنى إلى وضع أعلى وليس العكس(*)،كما كان يتصور منظرو القديم وعلى هذا فإن الحاضر ، مقدم على الماضي ولا شك أن المستقبل سيكون أكثر تقدما»(١) !

إن «أدونيس» ينظر إلى القرامطة الملاحدة على أنهم فضلاء ثوريون وأحرارتقدميون وليس هناك من شك في أن الاستشراق هو الذي أوحى بهذه النظرة، وهو ـ أي الاستشراق ـ الذي عمل على إحياء الفرق السرية الباطنية والمنحرفة التي ظهرت في بلاد المسلمين لتشككهم في دينهم وهو الذي يدعم الإلحاد العصري للعلمانيين العرب بالزنادقة القدماء وزعماء هذه الفرق السرية أملاً في إخراج الأمة من دينها وتحطيم مقدساتها الإسلامية وتشكيكها في مسلماتها .

يقول الشيخ محمد الغزالي عن هؤلاء القرامطة : «لقد ظهر القرامطة واشتدت وطاتهم خلال القرنين الرابع والخامس واستطاعوا مع ضعف الدولة العباسية أن يستولوا على أقطار كثيرة ... والقرامطة نحلة فوضاوية خبيثة تكره الإسلام وتبيت له الويلات بيد أنها أبطنت ذلك مظهرة الولاء لأهل البيت ... وقال قادتها : نستطيع هدم السلف كلهم تحت راية الولاء لعلي ... ومع هدم السلف وضياع كرامة

(*) يعني بهذه العبارة أن الواقع (الوضع الأدنى !) هو أصل كل شيء وليس هناك وجود لوحي حقيقي يحدد الوضع الأدنى ويرسمه ويحدد الوعي أو ينزل من السماء إلى الأرض من أعلى إلى أدنى، نفس هده الجملة قالهاءنصر أبوزيد» في تصويره لمذهبه : « يبدأ من الحسي والعيني صعودا ، يبدأ من الحقائق والبديهيات ليصل إلى المجهول ويكشف ما هو خفي» مفهوم النص ص٢٦ ، وما هو خفي أو المضمر عنده هو أن الدين ليس حقيقة خارجية أتى بها الوحي، ولا الوحي تنزيل سماوي حقيقي (علوي) وإنما الحسي والعيني (الواقع) هو الذي أنتج الوحي !!!

(١) الأصول ص٩٠ نقلاً عن إشكاليات القراءة ص٢٤٩ .

الصحابة يبقى الإسلام بلا قاعدة يعتمد عليها . وبلا تاريخ يحدد مساره!»[1] .

غير القرامطة ، هناك «ابن الراوندي» و «أبي بكر الرازي ، الطبيب» اللذين تطرفا إلى حد إنكار النبوه كما قال الجابري[2] ! وقد قدمنا : من هو الجابري؟!! وهما الآباء المقدسين للإلحاد العقلي عند أدونيس !، وقادة الثورة في مبادئه الإلحادية . يقول : « إن كل خروج على «الثبات» يُعدَ «تحولاً» كما أن كل رفض للواقع يُعد ثورة»[3] .

لكنهم لم يكونوا في الثورة عمليين كفاية إنما كانوا عقليين وهو ما جعل «أدونيس» يعتب عليهم بعض العتاب ! يقول : «على أن هذا النقد (نقد النبوة والوحي) ظل عقليا ، لم يرافقه نقد لأوضاع الإنسان ومشكلاته . فقد كان الإلحاد الذي يصدر عنه إلحادا عقليا ولم يكن إلحادا نضاليا . ولهذا تنحصر أهميته في القول بتحديد آخر لماهية الإنسان(!) ، انطلاقا من التوكيد على أن هذه الماهية ليست في الوحي(!) بل في العقل(!) . كان هذا النقد بتعبير آخر ، تقويضا للدين ولم يكن تقويضا للمجتمع الذي يقوم عليه»[4] .

---

(١) علل وأدوية ص ٢٧٩ لقد وصف «طه حسين» القرامطة بأنها حركة العدل الاجتماعي في مجلة «الكاتب المصري» التي كان يصدرها لحساب اليهود في أواخر الأربعينات . أنظر سموم الاستشراق والمستشرقين ص٥٣، ٥٦ .

(٢) العصبية والدولة ص١٠٨ .

(٣) الأصول ص١٩٤ نقلا عن إشكاليات القراءة ص٢٤٧ . لقد حاول القرامطة على عكس ما يذكر أدونيس تغيير المجتمع المسلم وكما قال ابن تيمية فإنهم طمعوا في تغيير الملة فمنهم من أظهر إنكار الصانع ، وأظهر الكفر الصريح وقاتلوا المسلمين ، وأخذوا الحجر الأسود كما فعل قرامطة البحرين وكان قبلهم قد فعل بابك الخرمي مع المسلمين ما هو مشهور . من مجموع الفتاوى جـ٥ ص٥٥٨

(٤) إشكاليات القراءة ص٢٤٧ .

وإذا كان «أدونيس» يريد «تقويض المجتمع» بعد «تقويض الدين» فماذا يبقى من الهوية في الكونية التي يدعو إليها ـ هو و د. جابر عصفور والسيد ياسين وغيرهم ـ ماذا يبقى من الماهية؟ هل يبقى شيئ؟!

وإذا كان «أدونيس» قد طالب بالإلحاد العقلي والنضالى العملي. فهل يمكن له أن يتكلم باسم «الأنا» ويحاور «الآخر» في هوية تحافظ على هوية «الأنا»؟!!

إن «الإلحاد العقلي» القديم واختراقه للنظام الاجتماعي ـ الإسلامي وإنكاره للنبوة والوحي يحظى عند الدكاتره العلمانيون بالاحترام والتقديس والتبجيل!

فالدكتور حسن حنفي يتأسف على أن هذا الفكر لم يستمر لقضاء مهمته العقلية! يقول: «لم يقم العقل بدوره في التحليل والنقد إلا في حدود التأويل... ولسوء الحظ لم يستمر خط الرازي في «نقد النبوات» وابن الراوندي في استعمال العقل على نحو نقدني، وتم استئصال هذه النماذج كلية من تراثنا القديم حتى غاب كلية عن وعينا القومي ووجداننا المعاصر»[1]!

إنها معركته التي نصب نفسه لها وجند نفسه في سبيلها. معركة «من العقيدة إلى الثورة»! يقول عنها: «وتكون معركة التراث الآن هي في إحداث البدائل وقلب التراث من تراث القهر إلى تراث التحرر (!).. واكتشاف ثقافة المقهورين، ثقافة الشيعة والخوارج والمعتزلة وتراث القرامطة والزنج»[2]!

ونقد الدين الذي قال به إبن الراوندي وأبي بكر الرازي، الطبيب، والقرامطة هو شرط ضروري للتحرر! يقول: «نقد الدين هو المقدمة الضرورية لتحريك

---

(١) دراسات فلسفية ص ٢٩٦، ٢٩٧.

(٢) دراسات فلسفية ص ١٤٤. نقلا عن المثقفون العرب ص ٢٢٧، ٢٣٧.

الواقع وثورته»[١]!

وهو ما يعنيه ـ حنفي ـ بجوانب التقدم في تراثنا القديم، أي جوانب الإلحاد الذي ظهر في التاريخ الإسلامي يقول: «إن ما نبغيه هو نهضة حضارية شاملة[*] تبرز جوانب التقدم في تراثنا القديم وتستبعد منه معوقاته. فاليسار الإسلامي.. يعني إبراز مواطن التقدم في التراث من عقلانية وطبيعية وحرية وديمقراطية وهو ما نحتاجه في قرننا هذا»[٢].

وإذا كان قوله «فلا سلطان إلا للعقل»[٣] يمثل «العقلانية» الإلحادية الحديثة والعلمانية الشاملة؛ فإن القرامطة وابن الراوندي والرازي يمثلون العقلانية القديمة التي يريد أن تكون تراثا تحريريا في إحداث البدائل من حضارة إلهية إلى حضارة إنسانية مستقلة من الاعتماد على المرجعية الإسلامية إلى الاعتماد على مرجعية العقل وحدها.

يمدح الدكتور محمد أركون أيضا، الرازي، وابن الراوندي، والفرق السرية: «إذ يخاطرون بأنفسهم ويغامرون بها أن يبرزوا مزايا المستحيل التفكير فيه، وذلك عن طريق اختراقهم (!) للنظام الاجتماعي الثقافي»[٤].

وذلك تماما، وصفنا للعلمانيين الجدد الذين يحاولون اختراق الإسلام والمجتمعات الإسلامية بادعاء الاجتهاد في الفكر الديني!، أو أنهم مفكرون

---

(١) الجذور التاريخية لأزمة... الحرية والديموقراطية في وجداننا المعاصر. في الديموقراطية وحقوق الإنسان في الوطن العربي ص١٧٨، ١٧٩. نقلا عن المثقفون العرب ص٢٤٤، ٢٦٦.

(*) أي كونية شاملة للأنا على غرار التنوع الخلاق لليونسكو!

(٢) في اليسار الإسلامي ص٢٠ نقلا عن المثقفون العرب ص٢٣٦.

(٣) التراث والتجديد ص٤٥. نقلا عن المثقفون العرب ص٢١٧.

(٤) الفكر الإسلامي قراءة علمية ص٢٥٥.

مسلمون! في حين أنهم منافقون زنادقة. كلماتهم تدل عليهم. وتناقضاتهم تفضحهم وخداعهم يكشفهم. وهم ثمرة الفكر الغربي ومرايا عاكسة له كما اعترف زكي نجيب محمود.

يقول ابن تيمية - رحمه الله - عن القرامطة: «أولئك القرامطة ظاهرهم الرفض وباطنهم الكفر المحض»(١). وإن رؤساءهم كانوا منافقين زنادقة(٢).

وقال الشيخ أنور الجندي: زنادقة الإسلام ثلاثة: ابن الراوندي وأبو حيان وأبو العلاء(٣). وهو يقصد أعظمهم زندقة وإلا فهناك كثيرون من هؤلاء المنافقين.

إن «الشركة» في الزندقة والنفاق هي التي حفزت دعاة التغريب على بعث ابن الراوندي في هذا العصر الحديث وتجديده لترويج نظرته الإلحادية وشبهاته السامة بين الشباب المسلم: فتجري على ألسنتهم وتكون موضع حديثهم ظانين أنهم بذلك سيفسدون حركة اليقظة التي يمر بها الإسلام اليوم... والواقع أن هذه الآراء(*) في جملتها ليست إلا شبهات باطلة يستطيع كل مغرض أن يجمعها وأن يزيعها (**) ولكنها لا تخدع أحدا وخاصة من يدرس حياة ابن الراوندي ويعرف أنه رجل فارسي الأصل من أصل يهودي كان أبوه يهوديا ثم أسلم ومازال هو

---

(١) مجموع الفتاوى جـ١٣ ص٢٣٧.

(٢) المرجع السابق جـ٣ ص٣٥٣.

(٣) المؤامرة على الإسلام ص ١٣٠.١٣١.

(*) من آراء ابن الراوندي أن رسائل الأنبياء لا تحتاج إلى وحي من السماء.

(**) كان جوزيف ڤان هيس في دراسته للتاريخ قد طبق ما يدعى في الغرب «المنهجية السلبية» وهي دراسة التاريخ من وجهة نظر الاتجاهات المحذوفة كابن الراوندي وغيره يقول محمد أركون - كان جوزيف ڤان هيس (J.Van Ess) قد قدم مثالا رائعا (') على نجاح هذه المنهجية عن طريق الدراسة التي خصصها لابن الراوندي، تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص٩٢

متصلا بالمجوسية الفارسية. وله ارتباط بالمؤامرة الباطنية ـ وقد عرف بالنفاق وباع قلمه لكل الفرق والمذاهب والأديان ـ فقد ألف لليهود والرافضة وأجرا كتبه (الزمردة) الذي يحاول به أن يقول ببطلان رسالة السماء»[١].

إن دراسة «أدونيس» للتراث وإنصافه للإلحاد العقلي الذي ظهر في التاريخ الإسلامي في مواجهة الإسلام وسير التاريخ الإسلامي نفسه، والذي يشاركه فيه كثير من العلمانيين ـ قدمنا منذ قليل في هذا السياق أفكار د. حسن حنفي ود. محمد أركون وهما من أبرز العلمانيين المعاصرين ! ـ إن هذه الدراسة وجدت قبولا عاما وارتياحا عاما في هذه الأوساط العلمانية لأنها خطوة على طريق الوعي الجديد كما صرح بذلك أحدهم وهو د. نصر حامد أبوزيد في دراسته التي خصصها لفكر أدونيس !

يقول :« فلا شك أن هذه الدراسة خطوة على طريق الوعي الجديد بعلاقتنا بالتراث خطوة يتمثل إنجازها الحقيقي في إدراك العلاقة بين عناصر هذا التراث ومستوياته، وإن تكن وحدت بطريقة مكانيكية أحيانا بين هذه المستويات، قد لفتت الانتباه إلى هذه العلاقة»[٢]، وفي مقدمة الكتاب الذي وضع فيه هذه الدراسة قال عن هذه الأفكار المتقدمة أنها تدفع «نحو المزيد من الاجتهاد»[٣] «لكن أهم ما فيها جانب الإثارة»[٤]. إنها حركة اجتهادية مثيرة نحو التقدم : «هكذا تصبح القراءة (!) فعلا مستمرا لا يتوقف. يبدأ من الحاضر والراهن وينطلق إلى الماضي والتراث ثم يرتد إلى الحاضر مرة أخرى في حركة لا تهدأ ولا يقر لها قرار. لكنها الحركة التي تؤكد الحياة (!) وتنفي سكون الموت. إنها

---

(١) المؤامرة على الإسلام للجندي ص ١٣٠، ١٣١.

(٢) إشكاليات القراءة ص ٢٥١. (٣ـ٤) المرجع السابق ص ٩.

حركة الوجود (!) والمعرفة في نفس الوقت »[1] .

وهنا نجد « لغة النفاق العلماني » بادية في أحط صورها . فالقدح في الدين . وإنصاف الزنادقة حركة إلى الأمام تؤكد الحياة وتكرس المعرفة ، تنفي سكون الموت لأنها حركة وجود ، فلا وجود عنده إلا للواقع . أما الإسلام والوحي الإلهي والشريعة الإلهية فلا وجود !

أدونيس ـ في المقابل ! ـ لا ينسى أن يذكر « أبوزيد » بالخير ! ، : « نخص بالذكر في مرحلتنا الراهنة ، المحاولات التي قام بها في المجال الأدبي الثقافي ، طه حسين ولويس عوض وعبدالله القسيمي . وفي المجال الديني علي عبدالرازق ، ونصر حامد أبوزيد والقمني ، وشحرور ، وخليل عبدالكريم »[2] .

وهي جملة من مقالة له بجريدة الحياة قدح فيها في المرجعية الإسلامية ورماها بأنها مستودع للأباطيل والأوهام !!

وهكذا يحاولون هدم المجتمعات الإسلامية وهدم المرجعية الإسلامية التي إعتمد عليها المسلمون طيلة تاريخهم الإسلامي كله وحتى يوم الناس هذا .

يحاولون تحطيم « الأنا » ليرضوا « الآخر » المتربص بهذا الدين .. إنه هدف يكشف عنه فكر « أدونيس » !

* * *

---

(١) المرجع السابق ص ٩

(٢) جريدة الحياة . الخميس ١٩ فبراير ١٩٩٨ مقال بعنوان « ماذا يقدر الفكر أن يقدم لحقوق المستقبل »

الفصل الرابع

﴿ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُواْ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ ﴾

[طه الآية :١٣٥]

أركون عبد «السوربون»

تحت عنوان «نحو ممارسة علمانية للإسلام» ! يدعونا د. محمد أركون أن نذهب بعيداً في «اتجاه الشك المستمر»! و«النقد المستمر» للدين والشريعة والتراث الإسلامي لنعطي زمام الأمور : «للشك الذي افتتح في القرن التاسع عشر من قبل ماركس ونيتشه»[١] وننقد مثلا : «نقد القيم الذي قام به نيتشه تجاه المسيحية، وهذا النقد قابل تماماً للتطبيق على الإسلام»!! نقد الألوهية والوحي والشريعة والأخلاق !

وهو يأخذ على الذين لم يقوموا «بنقدالدين» أنهم وقعوا في الخوف من التعرض لموضوع ملتهب !

يقول : «ما هو أكثر خطورة من كل ذلك هو أن من أسميتهم بمنشطي النهضة والثورة رغم طول هذه التسمية ،لم يخاطروا أبدا بالقيام بدراسة نقدية للدين على طريقة ماكس ويبر مثلا أو أي ترولتش (E.Troeltsch) .. ولم يدخلوا في صراع دائم وذي دلالة أو أهمية من أجل تعرية الأصول الآنية أو المرحلية والدنيوية للشريعة(!) إن هذا الصمت الثقافي المضروب حول الدين في الوقت الذي يتمتع فيه هذا الأخير بحضور كثيف في المجتمع.. يدل إما على لا مبالاة المجددين المعاصرين (!) تجاه العقائد الشعبية، وإما على خوفهم من التعرض لموضوع ملتهب، وإما على عدم تزودهم العلمي والمنهجي بنظام خاص وجيد من المعرفة»[٢]!!

فنقد الدين هو المهمة التي يقوم بها الدكتور العلماني محمد أركون، إنها مهمة مشروعه العلماني المنطلق من الفلسفات الغربية الإلحادية، يقول د.علي حرب عن

---

(١) تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص٢٩٥ .

(٢) تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص٢٣٧ .

مشروع إعادة تقييم شاملة للإسلام عند أركون .: « يقع ذلك في صلب مشروعه »[1] وبماذا يفتتح؟، يقول د. علي حرب : « مفتتحا بذلك ما يمكن تسميته « النقد القرآني »[2] !!

إنه : « لا يقتصر على نقد الأحاديث والتفاسير . ولا يكتفي بتفكيك الأنساق الفقهية والمنظومة العقائدية ، بل يتوغل في نقده وتفكيكه وصولا إلى الأصل الأول ، أي إلى الوحي الإلهي »[3] . وما هي النتيجة التي تجلبه فلسفة النقد والشك ؟

أجاب عن ذلك أركون في محاضراته الإسبوعية التي يعطيها كل يوم ثلاثاء بجامعة السربون / فرنسا ـ كما ذكر في كتابه الفكر الإسلامي ، قالَ : « النقد الفلسفي قد حط من أهمية القانون الإلهي »[4] . وكذلك : « الأصل الإلهي الصرف للرسالة الإسلامية »[5] . ولصالح من يصب هذا النقد الفلسفي ؟

يدّعي أنه لصالح استقلال الإنسان ! : « كلما راح العقل يكتسب استقلاليته وينتزعها من السيادات العليا الخارجية عليه (كالوحي) ... أو الشريعة .. » كلما كبرت مسئوليته في جعل المعرفة ذروة عليا للسيادة والهيبة المحترمة والمقبولة من الجميع »[6] !!

وفي الحقيقة فهذه الذروة العليا للسيادة تُعطىٰ للعقل الغربي المهيمن في مواجهة الوحي الإلهي ، وأركون عبد هذه السيادة الغربية الفلسفية الفكرية يقدّم هذه القرابين الفكرية إلى هذا العقل الفاسد .

---

(٢) نقض النص ص١٠٧ .

(٢) المرجع السابق ص٢٠٣ .

(٣) نقد النص ص٦٢ .

(٤) تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص١٦٦

(٥) الفكر الإسلامي . قراءة علمية ص٧٦ .

(٦) المرجع السابق ص ١٧٩ .

وما قاله آنفا كان قد قاله في محاضرته حول (الإسلام والدولة والمجتمع) وقد ألقاها في المؤتمر العلمي الذي انعقد في الدانمرك بين ٣٠ أغسطس و ١ سبتمبر ١٩٨٤[١]. قاله تقربا للاستشراق وعلماء المذاهب الحديثة وزعماء العقل المستقل (الغربي) إنه يهدف - كما يهدفون - إلى قلب المنهج الرباني ونزع الهيمنة منه! قال ذلك في محاضرته التي ألقاها تحت إشراف وزارة الخارجية النمساوية، وفي إطار الحلقة الدراسية الدولية للدبلوماسيين: «إننا نهدف هنا إلى قلب المنهجية التي تنطلق من الدين»[٢]!.

وفي نفس المحاضرة كان قد أشار إلى هذه المنهجية بأنها «القرآن الكريم» قال: «إن القرآن يؤسس وعيا خاصا بالعالم والتاريخ والدلالة»[٣].

وقال بأنه يريد أن يتجاوز تمجيد هذه الرؤية وذلك الوعي![٤].

هذه هي الحداثة العقلية والفكرية التي يطالب د. محمد أركون بإرساء قواعدها في عالمنا العربي والإسلامي خدمة للفكر الغربي ولمصلحة عقله المستقل! : «الحداثة العقلية والفكرية هي الوسيلة الأكثر إلحاحا وفاعلية للشروع بإعادة تقييم شاملة للإسلام»[٥].

وإعادة التقييم هذه تقوم على أساس النقد والهدم، وقلب المنهج القرآني والقدح في مسلماته!

---

(١) كما أشار في المرجع السابق ص ١٥٩

(٢) الفكر الإسلامي ص ٨٠، سطر ص ٦١ فهناك يشير إلى مكان وزمان المحاضرة!

(٣) المرجع السابق ص ٧٢. (٤) المرجع السابق ص ٦١.

(٥) المرجع السابق ص ١٨١

إنها - يقول أركون للمستمعين له من الغربيين في محاضرة الدانغوك !- «مهمة شاقة وحيوية»[1] .

لكنها مرعبة حقا : «إن المهمة تبدو مرعبة لأسباب معروفة جدا»[2] ! .

فهو يعلن أمام الغربيين في جميع محاضراته التي يلقيها في ندواته ومؤتمراته في الغرب أنه بتطبيق المنهجيات الغربية الحديثة، يستطيع تغيير العقل المسلم وذلك بأن يقوم بنقده ونقد المبادئ التي يقوم عليها . والأصول التي يستمد منها لكنه لا يخفي عليهم أمرا هاما يطلعهم عليه عسى أن يلقى منهم تشجيعا ماديا ومعنويا !، وهو أن المهمة التي يقوم بها صعبة جدا ومرعبة جدا !

و د. علي حرب يستشعر أنها : «مهمة عويصة بل حساسة. وإن أركون إذ يتصدى لها يدرك بأن عليه أن يخوض معركة على أكثر من جبهة»[3] .

إذن على العلمانين العرب، وخصوصاً أقطابهم،مهمة شاقة، للتمكين للعلمانية الشاملة في بلاد المسلمين ،وقبل ذلك فإن العمل على التمكين للإنتشار الواسع لهذا الفكر العلماني هو الأساس للتمكين الأكبر والسيطرة على مجتمعات المسلمين سيطرةشاملة وتامة !

يقول أركون«ويعتمد مستقبل العلمنة في الإسلام أساسا على الإنتشار الواسع لما كنت قد دعوته بالحداثة العقلية والفكرية»[4] .

والحداثة العقلية والفكرية تعتمد على :«المرجعية الفلسفية»[5] «تمتلك معيارا

---

(١) المرجع السابق ص ١٨١ .

(٢) المرجع السابق ص ١٨٣ .

(٣) المرجع السابق ص ١١٤ .

(٤) الفكر الإسلامي . قراءة علمية ص ١٨١

(٥) المرجع السابق ص ١٦١ .

فلسفيا»[1] - وسيأتي بيان حقيقة وطبيعة وأصول هذه المرجعية -.

إذن طفرة أركون المعرفية قائمة على منهج «نقد الدين» و«استقلال الإنسان» يقول: «يبقى أن نقول هنا أن العرب والمسلمين لا يزالون بعيدين عن تحقيق هذه الطفرة (أو القفزة) النوعية في ساحة المعرفة ....»[2]!

ونترك الدكتور هاشم صالح [علماني] صديق أركون ومترجم كتبه إلى العربية، والذي ذكرنا قوله - في الفصل الأول - في أن المجتمع الذي يسيطر عليه الإسلام كدين وثقافة وكرؤيا للوجود: لم يدخل بعد ساحة العلمنة الحقيقية، نتركه يبين لنا شروط وموجبات الطفرة الأركونية العلمانية، يقول: «يقصد أركون بالطفرة المعرفية هنا تحرر الباحث من كل المسلمات واليقينيات التي تلقاها منذ الطفولة من بيئته وعائلته أو من دينه (!) ومذهبه. إن هذا التحرر يمثل الشروط الأولى (!) والضروري (!) من أجل أن ينخرط في ساحة البحث العلمي التحريري المعاصر»[3] لقد تقدم في الفصل الذي خصصناه للدكتور نصر حامد أبو زيد تفصيل دعوته الصريحة للاجتهاد في العقائد!، وهنا يبدو أن د. محمد أركون يقوم بنفس المهمة، فهذا الأخير يؤكد أنه هو ومترجم كتبه إلى العربية الدكتور هاشم صالح: «قصدا إحياء الاجتهاد في الفكر الإسلامي المعاصر الذي اندفع في حركات تاريخية لم يشهدها في عصور اجتهاده الأول»[4]!

وعلى الرغم من انكشاف هذه الخدعة لكل أحد وإنه ليس هناك من أمثال أركون إلا قلة علمانية حقيرة هي التي تقوم بمهمة نقد القرآن بحجة الاجتهاد الإسلامي!، إلا أننا نرى هنا أن أركون يريد أن يصنع من هذه الحبة العلمانية، قبة

---

(١) المرجع السابق ص١٦١.
(٢) تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص١٤٥.
(٣) المرجع السابق ص١٤٥.
(٤) المرجع السابق ص١٠٩.

إسلامية ضخمة!

.. وتحكمهم في الفكر الإسلامي هو فقط من أجل السيطرة عليه بعد إرهاب أهله وإطلاق الإشاعات بأن المسلمين يريدون غلق باب الاجتهاد! أي اجتهاد؟؟!!!!...

مع أن الاجتهاد الذي يعنيه المسلمون إنما هو اجتهاد فيما هو من شأن العقل. وليس الاجتهاد في تغيير ثوابت الدين ونفيها، ولكن ماذا نفعل والعلمانيون المتسترون بالإسلام وبالفكر الإسلامي يتجرأون على الحقائق ويتلاعبون بالمصطلحات والنصوص والعقول؟! يفعلون ذلك وهم يعتلون المناصب العليا!!

.. ويمكن لهم الغرب في جامعاته ويعطيهم أعظم المراتب وأفضل مقاعد الأستاذية فيها - محمد أركون، عينوه مديرا لمعهد الدراسات العربية والإسلامية في السوربون / فرنسا - ما ملئهم غرورا وتعاليا وإحساسا بالاستقلال والنفوذ والسلطان المزيف!

وهذا أنور عبدالملك(*) يقول عنهم: «تمكن الغرب من توليتهم المكانة الأولى في الحياة الغربية باللغة العربية، بل وأحيانا كثيرة في الحياة الاجتماعية والسياسية في الأمة العربية. وأصبحوا يتحدثون عن الإسلام بلغة المستشرقين، وعن الأمة العربية بمنظور الاستعمار الثقافي»(1).

إذن، هو «الجهد الجهيد» - يقول الأستاذ محمد قطب - الذي بذله المبشرون

(*) هو ماركسي لكنه ومعه إدوارد سعيد قد هاجما الاستشراق بقوة وشجاعة. هذا ما يهمنا الآن في الموضوع.

(1) عبدالملك، ريح الشرق ص٧٣، ١٣٠، ١٦٦، ٢٥٢، ٢٥٩. نقلا عن المثقفون العرب ص٦٠.

والمستشرقون... ثم تلقفه منهم «تلاميذهم» المسلمون(!) في الشرق الإسلامي، فأخذوا يرددون الاسطوانة ذاتيا[1].

انحرافات علم الاجتماع الغربي وانسياق أركون وراءه!

كان علم الاجتماع الغربي قد اعتبر الدين والأخلاق، الأسرة والضمير، أشياء مفروضة على الإنسان من الخارج ويجب أن يتحرر منها، ويُسلّم زمامه للتطورات الجديدة أيا كانت درجة قسوتها!

ولم يكن دين الكنيسة هو العائق أمام هذا التحرر ولكن كان الدين ككل هو العائق أمام تطورات علم الاجتماع المنبثق من نظرات جزئية تافهة للكون والإنسان والحياة.

لكن لضخامة الاسم: «علم الاجتماع»، ولضخامة المعركة التي خاضتها أوروبا المتحررة ضد الكنيسة المنحرفة وكسب الأولى إياها وانطلاقها جنبا إلى جنب مع التطور الصناعي فإن هذا العلم بل والعلوم الأخرى أرغم - وانساقت شعوب أوربا - على قبول التفسير الفلسفي الجديد المنعزل عن عبادة الله الشاملة، والتي كانت الحضارة الإسلامية لا تجد أي تعارض بينها وبين الحياة الواقعية، ولا الكون المادي المحسوس.

.. لهذه النتائج التي حدثت في أوروبا وفي علومها الاجتماعية والإنسانية أبعد الأثر في إعلان الإنسان هناك استقلاله وإخضاعه الوحي لتفسيراته المادية الملتوية ولرؤيته الفلسفية الضيقة والمحرفة لحقيقة الدين والإنسان والمجتمع، ولطبيعة الكون والحياة والغيب.

---

(١) انظر التطور والثبات ص٢٦٣

.. حاول العلمانيون العرب نقل هذه المعركة. وهذه النظرات الفلسفية القاصرة إلى عالم الإسلام والمسلمين. ليفقدوا الوحي القرآني وليخرجوا المسلمين من دينهم تحت دعوى العلمية والمنهجية العلمية والاجتهاد والفكر الحر!!

كان أكثرهم استعبادا لهذه الفلسفات والنظرات هو الدكتور محمد أركون الذي اعتمد «المرجعية الفلسفية» في صورها الحديثة جدا للقيام بمهمة زحزحة العقيدة عن مجالات الحياة المختلفة، والاستهانة بالشريعة، والادعاء - على منوال الفكر الغربي! - أن الدين شيء سخيف وبدائي ومغلق!

كان على د. محمد أركون لكي يؤكد نزعته الفلسفية تلك أن يدعمها بأقوال فلاسفة علوم الإنسان والاجتماع (العلوم التي نشأت في الغرب) وعلوم الاستشراق (التي نشأت لمساعدة الاستعمار ولمحاربة الإسلام). فذهب يستجدي النظريات المعطوبة والأفكار المشوشة. الجزئية والمغرضة.

فوجد عالم الاجتماع الفرنسي «بيير بورديو» توفي بالسرطان في ٢٤ يناير ٢٠٠٢، المتخصص في «سوسيولوجيا الجزائر في أواخر الخمسينيات وبداية الستينيات»(*) قد اتهم القرآن والحديث والسيرة النبوية بالتعالي المزيف!

فهي بزعمه «منتجات ثقافية» لتصورات قديمة وإنه ينبغي «تفكيك مناخ

(*) بيير بورديو مستشرق في ثوب عالم اجتماع قاد «اللجنة الدولية لمثقفي الجزائر العلمانية». وأصدر نصا شهيرا نشره أولا بعنوان «من أجل أمنية للمثقفين» ثم بعد ذلك «من أجل اتحاد محترفي الكونية» ويعتبر ما أسماه الأصولية الإسلامية عدوة للحضارة!!، أصدر منذ بضعة أيام كتاب بعنوان «السيطرة الذكورية» وذلك بعد «تجربة ميدانية» في منطقة القبائل الجزائرية «بيير بورديو» محاضر في «الكوليج دو فرانس». ومشرفا على مجلتين للبحوث الاجتماعية في فرنسا.

أصدرت تلميذته أخيرا «جانين فيردس لوزو» كتابا ضده تفضح إرهابه. واسم الكتاب هو «العالم والساسة» مقالة في الإرهاب السوسيولوجي لبيير بورديو «عن دار غراسه

التصورات القديمة التي خلفها الماضي»[1] زعم أركون أن «بيير» كشف عن آلياتها: «الآليات الاجتماعية والنفسية والثقافية واللغوية والعميقة التي أتاحت تقنيع الواقع واختفاء وجهه الحقيقي»[2]!

وماذا تنتظر من عالم اجتماع غربي كان يقوم بدراسة المجتمعات المسلمة لصالح الفكر الغربي؟ هل تنتظر منه أن يقول بأن القرآن وحي إلهي وقانون رباني وشريعة عادلة وحقيقة مطلقة؟! أم يقول ما قاله تحت تأثير الرواسب الغربية المتراكمة والتي اتهمت الإسلام بكل صور الضلال والغباء والدونية والانحطاط والبدائية والسلبية.. وفوق ذلك حقده على «الدين» على وجه العموم!؟ إنه مستشرق في ثوب عالم اجتماع!!

لم يكن «بيير بورديو» أول عالم اجتماع غربي يعتبر الوحي الإلهي أساطير وخرافات وإنما كان من قبله كثيرون، ممن تربى على تصوراتهم للعالم. وأنه عالم بلا صانع وليس له شريعة حقيقية تنظم شئونه وشئون هذا الكوكب الأرضي، وأن الإنسان صنع نفسه ولا يحتاج لإله يحدد له هدفه ويرسم له الغاية من وجوده على الأرض ويصنع له قانونا ومبادىء تكون الإطار الذي يمكن أن يتحرك داخله وهو آمن في حياته وفي حركته في الحياة وفي تطويره لعلاقاته الإنسانية والاجتماعية داخل هذا الإطار الآمن.

.. أركون يحاول إقناعنا أنه عثر على أحدث النظريات الحديثة التي تخرجنا من الظلمات إلى النور. ومن الموت والركود إلى الحياة والنهوض.

وهي في الحقيقة نظريات تريد أن تتمكن من «رقبة الإسلام» - كما عبر عن ذلك أهلها، ومن قبلهم المستشرقين والسادة المستعمرون!

(١ - ٢) تاريخية الفكر العربي الاسلامي ص٢٥٥.

إن «بيير» يمثل النقد الفلسفي الغربي في صورة علم اجتماع، وهو يهدف إلى الحط من القانون الإلهي ـ كما تهدف الفلسفة الغربية! ـ وإعطاء السيادة لها ونزعها من الوحي.

ولذلك، وتبعاً لبيير، يتهم د.أركون الوحي القرآني بأنه «رأسمال رمزي»(*) «دكتاتوري مستبد» ذو بنية إسطورية: «هكذا نلاحظ كيف أن العمل الاجتماعي ـ التاريخي الذي أنجزه النبي في مكة والمدينة كان مصحوبا دائما بمقاطع من القرآن، أي بخطاب ذي بنية ميثية (أسطورية)»(١)!!

حاول «بيير» الذي عمل أخيرا للغرب في «الجزائر المسلمة»!، أن يقيم الادعاء على كذب ما أسماه «التعالي الإسلامي» و«التقديس الإيماني» وهو كعالم اجتماع لا يخرج عن الإطار الذي حدد مسار العلوم الاجتماعية والإنسانية التي ألغت الدين ورفضت الإيمان بالله عز وجل، واتخذت العقل إلها، والطبيعة إلها، والحس إلها، والمادة إلها، مع استبدال هذه الآلهة بعضها ببعض إذا تغير المزاج الفلسفي وحاول تغيير آلهته العتيدة. والتي تستمد حيويتها من الفلسفة الإغريقية الوثنية وتأخذ أصولها من أفكار الملاحدة من فلاسفة اليونان القديمة!.. ثم تطورها!

.. لم يكن قول «بيير» ـ ومقلده د.أركون ـ جديدا في أصوله وجذوره، فسداه ولحمته من أصول الفلسفة الحديثة أيضا. فلسفة اليهود الثلاثة فرويد مؤسس مدرسة التحليل النفسي، وماركس رائد الماركسية الملحدة. ودور كايم رائد علم الاجتماع الحديث فالحط مما أسماه بيير بورديو «الرأسمال الرمزي الإسلامي» أو

(*) هذا المصطلح أخذه أركون عن بيير بورديو الذي يحدد الآن توجه علم الاجتماع الفرنسي. نقلا عن الفكر الإسلامي. قراءة علمية ص ٢٥٥ من كلام د. هشام صالح

(١) تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص ٢١٠

الوعي الإسلامي ليس شيئا جديدا طرأ على المنهجية العربية تجاه الدين والإسلام!

وما أركون إلا مقلد مكرر للاتجاهات الفلسفية الغربية يقول: «في الواقع إن المعاني التي كانت قد كررت ورددت دون ملل أو تعب في القرآن (!) قد أوجدت ورسخت سيادة عليا متعالية هي تلك السيادة المتعلقة بالله»[1]!

ومرة أخرى، يتمثل التعالي في النصوص القرآنية والحديث النبوي: «النصوص القرآنية والحديث النبوي بصفتها مصادر للسيادة العليا أو المشروعية العليا»[2] لذلك فالمهمة الكبرى تتمثل عند أركون في نقد: «تعسفات وأخطاء التعالي»[3] وليس هذا فقط هو كل ما يريد أركون قوله أو القيام به إنما عليه أن يحرك دلالة القرآن - بحسب قوله - «من دائرة التعالي والانطولوجيا والتقديس والغيب باتجاه الركائز والدعامات المادية والعضوية»[4]!!

التي كانت الفلسفة الغربية الإلحادية قد رسختها منذ القرن الثامن عشر الميلادي والتي تمثلت في قول إنجلز: «خارج الطبيعة والإنسان لا يوجد شيء (!)»[5]. وكما في كتاب «أسس المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية لسبركين وياخوت» (ترجمة محمد الجندي ص ٣٩ من الترجمة العربية): «... ومن هنا فأي عالم «غيبي» غير موجود ولا يمكن أن يوجد (!). وفي واقع الأمر إنه لم يوجد شيء غير المادة فلا يوجد غير عالم مادي»[6].

---

(١) الفكر الإسلامي ص ١٤٧.
(٢) تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص ٦٨
(٣) المرجع السابق ص ١٥٧
(٤) المرجع السابق ص ٢٦.
(٥) في كتابه «لوفيج فرباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الألمانية» إصدار دار التقدم بموسكو ص ١٦ من الترجمة العربية، نقلا عن مذاهب فكرية معاصرة ص ٢٧٢
(٦) انظر ص ٢٧٠ من مذاهب فكرية معاصرة.

وكما في كتاب «أصول الفلسفة الماركسية» تأليف جورج بولتيرز وآخرين:
«... لقد أصبح الله كما قال لابلاس: فرضية لا نفع فيها». «ولا شك أن فكرة الله والعواطف الدينية موجودة، وهي تتطلب تفسيرا ... يجب القول بأن «الله» و«الديانة» هما ظاهرتان إنسانيتان (!)؛ لأن العنصر الإلهي هو من إبداع الإنسان وليس الإنسان هو من إبداع الله»[1].

إذن، عمل د. محمد أركون هو تحطيم الحقائق التي جاء بها الوحي القرآني، هو يهتدي بهدى فلاسفة الغرب وملاحدته من الذين أنكروا خالقهم ومبدعهم بحجة معرفتهم بالكون وإطلاعهم على الحقائق كلها!

فالوعي الإسلامي بحسب الأحقاد الغربية المتمثلة في موقف بيير بورديو هو: «رأسمال مناخ رمزي وشاعري وفكري أسطوري حل محل «الرموز» التي سادت الجزيرة العربية في مرحلة الجاهلية».

والدين هو رأسمال المجتمعات ما قبل الصناعية أي أن البشر بعد الثورة الصناعية لا يحتاجون إلى الله، باعتبار أن الإنسان خضع أثناء عجزه وجهله لله كما زعم جوليان هسكلي، وهو دارويني ملحد، أما الآن - بحسب بيير بورديو - فيجب التخلي عن الدين لحصول الاستغناء!

وهو يدعي أن الدين غطاء للفقر، وأن المجتمعات التي تؤمن بالدين عموما، والإسلام خصوصا لن تتخلى عنه «مادام رأسمالها المادي لم يتطور بشكل صحيح، ومادام الفقر والجوع والحروب تهددها باستمرار»[2].

---

(١) تعريب شعبان بركات. إصدار المكتبة العصرية بيروت. جـ١ ص٢٠٦ من الترجمة العربية نقلا عن مذاهب فكرية معاصرة ص٢٧١، ٢٧٢.

(٢) الفكر الإسلامي ص١٤ مقدمة الدكتور هاشم صالح.

وهكذا تتبجح المادية. وتقدم أمسح المسود للدين وتجعله أساطير نشأت لظروف اجتماعية واقتصادية'

لقد أعماها التقدم العلمي أن تدرك عيوبها .. النفسية والخلقية على حد سواء! وهي فقيرة بدرجة تتجاوز ما عليه المجتمعات الفقيرة ذاتها!

والدليل على ذلك أن نظرتها نظرة ضحلة عجزت عن أن تحقق الاستغناء المزعوم! فهناك التفاهة الجزئية في الحكم على الأمور، وهناك الآلية الهابطة التي تحيل المشاعر والأفكار والأعمال نشاطا آلي كنشاط الآله مما أغلق جوانب الروح، وهناك الحسية التي تحيل المشاعر لذة جسد محصورة، لا تتندى بعواطف الإنسان. وهناك الضحالة المذرية بكرامة الإنسان، وهناك العجز عن إيجاد الحلول للمشاكل الاجتماعية والنفسية الضخمة الناجمة عن البعد عن الله عز وجل الذي هو غاية الوجود البشري. ورب الفطرة البشرية[1] فأين هو الغنى، والفقر والعجز والضحالة والتفاهة والانهيار الاجتماعي والتمزق النفسي التي أخذت أبعادا خطيرة لم توجد قط في تاريخ المجتمعات الفقيرة ماديا. أين هو الغني في هذا المناخ الحقير الفقير؟! وأين هو الاكتفاء وقد تم تدمير الأسرة وسيطرت النزعة الفردية وظهر الخلل الجماعي بصورة مخزية وتم استعباد المرأة وإهانتها وإخراجها لتعمل مضطرة ـ وغير مضطرة ـ في عالم الدعارة المشروعة والفوضى الجنسية

(١) بتصرف من التطور والثبات في حياة البشرية ص ١٣٠

المنتشرة في عالم الغرب بصورة ليس لها مثيل في التاريخ! لقد ضاعت حقوق المرأة النفسية والعاطفية والإنسانية، وحقرت بإطلاق غرائزها الحيوانية بلا حدود استخدمت كدمية في عالم الأزياء والإعلانات الرخيصة والدعارة الشرعية (جعلوها شرعية!) وتم تفريغ عقليا من الاهتمامات العالية. ومنها تكوين أسرة تنتمي إلى عالم القيم والأخلاق، مما أدى إلى ظهور أجيال شائهة تسخر من كل شيء ينتمي إلى الدين ومبادئ الدين.

بيد أن الأمر لم يقف عند هذه الحدود، بل تجاوزت هذه الأجيال خطوط حمراء خطيرة جدا فنشأت أجيال تؤمن بأحقية الرجل بأن يتزوج الرجل أو يصادقه ويجامعه وكذلك المرأة مع المرأة فيمكنها أن تفعل ذلك مع إمرأة مثلها، واليوم تؤكد طائفة لا بأس بها من الغربيين جواز تبني الأطفال داخل هذه الأسر الجديدة! ولا يرون بأسا من أن ينشأ الطفل في أسرة من رجلين كلاهما «أنثى» وكلاهما «رجل» في آن واحد، فينشأ الطفل في هذه البيئة لا يعرف شيئا عن «الأبوة» ولا عن «الأمومة» ولا يدري لمن يقول «أبي» ولمن يقول «أمي»، فتنبت فيه شخصية مخنثة إذا كان رجل، وشخصية مترجلة إن كانت «امرأة». وقد ينتج غير ذلك من شخصيات ونفسيات لا تعرف البشرية كلها لها نظيرا في تاريخها كله، فلا تعرف لها نظام أسري ثابت، ولا تحس أبوة أو أمومة ولا تعرف حدودا للعلاقات

الجنسية ولا مبادئ تحكم هذه العلاقات..'

وهكذا صنعت المذاهب النفسية والاجتماعية والأدبية مجتمعات منفصلة عن الله عز وجل. وهي مذاهب تافهة ليس لها صفة العلمية - وإن ادعت غير ذلك - ولا حقيقتها فبناؤها فاسد مهما ظهرت بغير هذا المظهر ومهما لبست من أزياء علمية ومسوح بحثية.

.. بناؤها فاسد لأنها تنطلق من خرافة الطبيعة الخالقة وخرافة المادة الأزلية الأبدية المتطورة بذاتها. وخرافة استقلال الإنسان عن الله. وخرافة فرويد في الجنس ونشأة الدين والضمير والأخلاق وخرافة أوجست كونت - رائد علم الاجتماع - التي قسمت البشرية إلى مراحل. منها مرحلة الدين التي أمر بتجاوزها! (ومن البديهي أن الدين ليس له مرحلة إنما هو عقيدة الكون إلى الأبد).

(*) هناك إشكالية لا وجود لها في المجتمعات الاسلامية. ففي هولندا مثلا مضاجعي النظير محترمون ويوجدون في كل المؤسسات الحكومية بدءا من الحكومة وانتهاء بالمصنع والمدرسة والمحلات العامة وإدارة المعونات الاجتماعية فما هي كيفية التعامل معهم كمسلم. ولنضرب على ذلك مثلا فيهم يدرسون للطلبة المسلمين في كل مستويات التعليم والدراسة فكيف ينبغي التعامل معهم. أقول إن الإسلام لا يفرض على المسلم في ظروف كهذه أن يرفض التعامل معهم وإلا فإنه سوف لا يجد عملا ولا يحضر درسا لذلك يجب ان نتعامل الناس بالذوق والاحترام المتبادل ماداموا لا يؤذون مشاعرنا ولا يسخرون من قيمنا واسلامنا. أنهم يعرفون أن إسلامنا يدينهم وأن كل الأديان تتوعد على هذه الأعمال. لكننا سوف نعاملهم مع ذلك بقيم الإحسان والتعامل بالمثل وعدم إثارة هذه المسائل معهم في أماكن أعمالهم ولنظهر لهم الرحمة في الإسلام وحسن المعاملة وتبادل الاحترام والمسلم ذكي واع فينبغي ألا يصنع المشاكل خصوصا وأن القانون الهولندي يعتبر التعامل السيء معهم عنصرية يجب التصدي لها.
فمن لم يستطع العيش في مجتمع كهذا تفرض فيه الأمور وتحمي القوانين فإن عليه أن لا يرغم نفسه على الحياة بينهم وليرحل إلى حيث يجد قيمه ومجتمعه الاسلاميين وإلا فإن عليه إحترام قواعد التعامل وبذل الإحسان الى الناس جميعا ولا يعني ذلك أنه يعمل مثل أعمالهم

إن «الوحي الإلهي» حقيقة ثابتة، ومبادئ الشريعة الإلهية حقيقة سامية إذا خالفها الواقع يضل ويشقى كما يحدث اليوم في العالم. والعقيدة الإسلامية هي عقيدة الكون، والمعركة الآن تدور حولها. والأعداء لن يبلغوا من الأمة شيئا إن كانت مستمسكة بعقيدتها، ملتزمة بمنهجها، مدركة لكيد أعدائها - يقول سيد قطب -: «ومن ثم يبذل هؤلاء الأعداء وعملاؤهم جهد الجبارين في خداع هذه الأمة عن حقيقة المعركة، ليفوزوا منها بعد ذلك بكل ما يريدون من استعمار واستغلال، وهم آمنون من عزمة العقيدة في الصدور! وكلما ارتقت وسائل الكيد لهذه العقيدة، والتشكيك فيها، والتوهين من عراها استخدم أعداؤها هذه الوسائل المترقية الجديدة، ولكن لنفس الغاية القديمة: ﴿وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾ فهذه هي الغاية الثابتة الدفينة»[1].

ووسيلة «بيير بورديو» هي أنه جعل «الدين» كالسلعة يتم إنتاجها من طرف البشر وتداولها واستهلاكها بل والتنافس عليها كما هو الشأن في السلع المادية!

وهي فكرة تنطلي على الجهال وتعني في حقيقة الأمر أنه ليس هناك حقيقة في العالم! اللهم إلا ما يريدون هم أن يجعلوه حقيقة ويتصارعون حوله!

---

(١) ظلال القرآن، المجلد الأول ص٣٥٤.

أركون وعبادة باشلار!

«غاستون باشلار» الذي يؤمن بالعقل النقدي الذي لا يستنيم في تراث ولا دين[١] يعتبر «الإسلام» معرفة خاطئة ويطالب بتهديم جميع المعارف الخاطئة!

فالعقيدة الإسلامية المتميزة والتي تخالف الفلسفات والعقائد المنحرفة لليهود والنصارى والفكر الغربي والتي تهيمن على هذا الفكر كله يطالب «أركون» بالتحرر من سلطانها وهيمنتها لأنها تقف في طريق - يزعم! - «البحث العلمي» يقول: «لا يمكن أن يتقدم الفكر العلمي إلا بتهديم المعارف الخاطئة الراسخة»[٢] مقلداً في ذلك «باشلار» الذي يقول: «من أجل المعرفة الصحيحة ينبغي هدم المعرفة الخاطئة من الأساس»[٣] وطبعاً المعرفة الصحيحة عند د. محمد أركون هي الفلسفات الغربية الهشة والتي يعتمد عليها في نقده للقرآن باعتباره يحمل المعرفة الخاطئة التي يسعى لهدمها وهو كلما أعوزته الحجة في إيجاد وسيلة لأثبات أسطورية القرآن - وهو لم يأت أبداً بحجة سليمة ولن يجد! - إلتجأ إلى قول «باشلار» عن المعرفة الخاطئة!

واضعاً دائماً هدفه المسبق الذي عرفنا هو به فيما تقدم من كلامه والذي قال عنه - أيضاً! - د. هشام صالح أنه يريد أن: «يحرر المرء من أسر النصوص الدينية وهيبتها الضخمة»[٤]!!

ولا يكون ذلك إلا بإطلاق الاتهامات التي كان قد صنعها المستشرقون وعلماء

---

(١) وقوله عن هذا العقل هو: «لا يستطيع - لحسن الحظ (!) أن يستنيم في تراث» الالتزام العقلي لباشلار نقلا عن نظرية العقل لطربيشي ص٢٤٨ وانظر ص٧٢.

(٢) تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص٥٦ وانظر أيضا ص١٤٥

(٣) المرجع السابق ص٢٨٣.

(٤) الفكر الإسلامي، قراءة علمية ص٣٢، ٣٣.

المذاهب الحديثة ترسيخا للفلسفة المادية التي تنكر وجود الله تبارك وتعالى وتنكر الرسالة والنبوة والوحي. وحتى د. هاشم صالح. مترجم كتب أركون فإنه نفسه يصب في هذه المهمة يقول عنه د. علي حرب: «إنه ليس مجرد مترجم، وإنما هو باحث وناقد، بل هو منخرط في مشروع تحرير العقل الإسلامي وتجديد الفكر العربي أكثر من أركون نفسه (!) كما يتبين ذلك سواء من مقالاته ودراساته أو من هوامشه على النص الأركوني»[1].

وهكذا فإن طوائف من الدارسين العرب الذين نرسلهم إلى جامعات الغرب ليحصلوا على الشهادات من هناك. يقوم بعضهم من الذين تأثروا بالمذاهب الغربية نيابة عن «الغرب» بإطلاق الاتهامات التي همها الأول والأخير الحط من قيمة الإسلام وهو الحق من عند الله: ﴿**الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ**﴾ [البقرة: ١٤٧] يقول الشيخ سيد قطب تعليقا على هذه الآية في تفسيره «ظلال القرآن»: «وما أجدرنا نحن اليوم أن نستمع إلى هذا التحذير، ونحن - في بلاهة منقطعة النظير - نروح نستفتي المستشرقين من اليهود والنصارى والشيوعيين الكفار - في أمر ديننا، ونتلقى عنهم تاريخنا، ونأمنهم على القول في تراثنا ونسمع لما يدسونه من شكوك في دراساتهم لقرآننا وحديث نبينا، وسيرة أوائلنا، ونرسل لهم بعثات من طلابنا يتلقون منهم علوم الإسلام ويتخرجون في جامعاتهم ثم يعودون إلينا مدخولي العقلي والضمير»[2].

هل قال الأستاذ سيد قطب: مدخولي العقل والضمير؟ نعم

فالدكتور محمد أركون حاول في كتابه «تاريخية الفكر العربي الإسلامي» أن يوحي في بداية الكتاب إنه لا يتهم القرآن بأنه يحمل الأساطير بالمعنى التقليدي

(١) نقد النص ص ٦٤.

(٢) ظلال القرآن المجلد الأول ص ١٣٦.

لمعنى كلمة «أسطورة» وإنما هو رجل يريد تحرير العقل المسلم من القراءات المغلوطة للنصوص !

وكذلك يقول د. نصر حامد أبوزيد ، مع اتهامه الصريح للقرآن وللجيل الأول بأنه حمل الأساطير التي يجب تجاوزها !

ويتظاهر أركون بأنه لا ينقل من المذاهب الغربية بلا وعي : «ينبغي عدم استيراد المناهج هكذا وإلصاقها لصقاً على النصوص والمادة المدروسة »[1] !

وفي الحقيقة ، فإن أركون لا يفعل أكثر مما نفاه عن نفسه هنا ! لكنه يتلاعب بالعقل كما تلاعب بالنصوص بغية هدم الإسلام من الداخل ! .. بادعاء حيازة الفكر الإسلامي والاجتهاد فيه !!

بيد أننا لسنا وحدنا الذين كشفنا دخيلة فكره وضميره وعقله وقلمه ، فالدكتور (مدخول العقل والضمير علي حرب) [علماني حتى النخاع !] كشف أركون وأبرزه لنا كما هو في تعليقه على كلام هذا الآخر الذي قال بأنه لا يهدف [إلى نزع صفة الوحي عن النصوص] كما في كتابه الفكر الإسلامي ، قراءة علمية ص ٣٣ ، يقول علي حرب ناقدا أركون : « فكيف نقرأ النصوص قراءة نقدية تاريخية ونزعم أننا لا ننزع عنه صفة التعالي والقداسة ؟ ! لا مجال إذا للمداورة والالتفاف ، بل الأحرى والأولى مجابهة المشكلة بدلاً من الدوران حولها »[2] !

وطريقة أركون الالتفافية والمنافقة والمداورة هي طريقة المتسترين بالإسلام والفكر الإسلامي والاجتهاد الإسلامي من الفئة العلمانية التي كانت قد قررت مسبقا هدم الإسلام من داخل تخومه ، من داخل الأسوار !

---

(١) الفكر الإسلامي ، قراءة علمية ص ٢٣٠ .   (٢) نقد النص ص ٧٧ .

وبينما يملؤن صفحات كتبهم ـ التي غالبا ما لايقبل الناس على قراءتها ! ـ بنقد الوحي والسنة النبوية تراهم في سياق الدفاع عن أنفسهم ـ في الجرائد المشهورة التي يقرأها الناس أو أمام الإعلام أو الصحافة أو في محكمة ! ـ أمام ردة الفعل القوية من علماء وجماهير المسلمين يتراجعون كالفئران ويبرأون ـ بسرعة مذهلة ! ـ مما كانوا قد قالوا ! ! ، وكأن الله جعل في جوف كل واحد منهم قلبين اثنين !

إن إنكاره أنه يقوم بهدم الدين في بعض أقواله وكتاباته المضمرة أو أمام الجماهير المسلمة التي تسمع له في الغرب إنما هو «حذر» واع يقول د . نصر ابو زيد في تحليله لفكر د . أركون عند هذه النقطة : «هذا الحذر ناشئ عن رغبة عميقة في الوصول إلى عقل القارئ العربى المسلم وقلبه . دون التضحية في سبيل ذلك بالدقة والمنهجية والصرامة المعرفية»[(١)] وتموضع أركون داخل الفكر الإسلامي يتطلب «بعض الترضيات الضمنية» على الرغم من انه ينكر على الآخرين فعل ذلك يقول نصر ابو زيد تعليقا على ذلك «إن الترضيات التى يعترف بها أركون ـ رغم أنها ضمنية ومضمرة ـ تفقد بهذا «الإعلان» أو «الاعتراف» قدرتها على أن تمثل خطرا على بنية الخطاب . . . هذه الترضيات فى الحقيقة هى نتيجة طبعية لموقف «التضامن» مع المجتمع الذى ولد فيه المفكر»[(٢)] وهكذا فإن د . أركون ود . حسن حنفى ود . نصر ابو زيد ود . الجابرى يقومون بالمراوغة وبعض الترضيات أمام الجماهير المسلمة خشية الانكشاف تماما وانكشاف تموضعهم داخل أسوار الإسلام لخلخلته وهدمه من الداخل !

---

(١) كتاب الناقد «العنف الأصولي» نواب الأرض والسماء . وفي الكتاب مقالة د . نصر ابوزيد باسم «الأرثوذكسية المعممة» والكلام أعلاه ص ٤٣ منه .

(٢) المرجع السابق ص ٣٦ ، ٣٧ .

هنري كوربان، أحد أسلحة جهاز أركون الفكري!

كان «هنري كوربان» قد زور الصورة العامة للإسلام، والحقيقة البسيطة التي يعرفها العامة والخاصة من المسلمين، بل ومن غير المسلمين وهي أن الإسلام لم يكن يوماً ما دين الفلسفة اليونانية (الإغريقية) أو الغنوصية أو الهرمسية أو شيئاً من هذا القبيل.

بيد أن «كوربان» احتال على هذه الحقيقة الظاهرة، والبديهية الفطرية البسيطة، فادعى أن فلسفة الإسلام الصحيحة هي الفلسفة التي تؤمن بها الفرق السرية من أمثال الإسماعيلية الباطنية التي نقضت الدين وانتهكت الحرمات واستحلت البنات والأخوات!، ادعى «كوربان» أن أهل هذا الفكر الباطن الذي أجمع المسلمون على أنهم أكفر من اليهود والنصارى كما ذكر ابن تيمية[1]. هو فكر المسلمين، وهم الذين عرفانهم أسقط الواجبات ووصل بزعمه إلى السموات وأباح لهم المحارم والزنا والسرقة وشرب الخمر وجعل فعل ذلك خير من البر وحسن الخلق وهم يقولون بقدم العالم، وإنكار المعاد، وإنكار واجبات الإسلام ومحرماته[2] كما أنهم في مفهومهم للإمام يعارضون مفهوم الإسلام الصحيح حين يرون أن الإمام إلهي الذات وأنه معصوم بينما لا يقر الإسلام عصمة إلا لرجل واحد هو محمد بن عبدالله[3] ﷺ وهم مؤمنون بوحدة الوجود وهو من المذاهب الفلسفية القديمة المرتبطة بالمجوسية والوثنية وفلسفات الإغريق والهنود والفرس التي تحرر منها الإسلام بالتوحيد وفصل بينه وبينها، وتعني وحدة الوجود[4] فنظرية التجسيد المسيحية ونظرية الإمام الإسماعيلية مع وحدة الوجود، هذه النظريات تُشكّل عند

---

(١) مجموعة فتاوى ابن تيمية جـ٣ ص٣٠ .

(٢) انظر المرجع السابق جـ٣٥ ص١٦٢ .

(٣) سقوط العلمانية ص١٠٦

(٤) شبهات التغريب ص٤٣ .

«هنري كوربان» فلسفة ينسبها للإسلام ويزعم أنها «فلسفة الإسلام».

«يقول إن نظرية التجسيد. حلول الباري في جسد عيسى بن مريم. في الشكل الذي استقر عليه رأي النصارى في القرن الخامس الميلادي وبعد نقاش مرير، كان أول خطوة نحو (إنحلال العالم العلوي في السفلي الباطن في الظاهر (!) والجمعنة (تغليب مصالح الجماعة على مبادرات الأفراد»[1] فالباطن الحلولي. وحدة الوجود، والاعتماد على الكشف الذي يعتمد على فلسفة «الغنوصيين» وغيرهم من الوثنيين هو «أصل إسلامي» عند «كوربان».. ومن هنا إنطلق في تحليله للإسلام وسعى في هدمه.

إن «هنري كوربان» يقوم بتفريغ الحضارةالإسلامية من مضمونها الحقيقي كما قال العلماني د. حسن حنفي ذات مرة[2].

لكننا نرى د. اركون يستعين بأفكار «هنري كوربان» لتهديم الأصول الإسلامية واعتبارها معارف خاطئة، وقد صارت نظرية «الخيال» والمخيال التي قالها «كوربان» وهو الذي ركز على أهميته في الفكر الإسلامي، بحسب قول أركون نفسه، معول هدم لدكتور السربون في حربه ضد الإسلام الذي إعتبر أن التعريف الكورباني ينطبق على عقيدة القرآن، إنه: «مشكل من الحكايات و التصورات الوهمية والحكايات الشعبية والعقائد الأسطورية، الخ..»[3].

(١) مفهوم التاريخ. عبدالله العروي ص٣٨٦.

(٢) انظر دراسات إسلامية ص٢٢٨. ٢٢٢ نقلا عن المثقفون العرب ص١٢٥ مع أن د. حنفي قال عن «كوربان» إنه يختلف في دوافعه عن أهداف ودوافع الإستشراق التي لم تتغير (وهكذا - والكلام لجورج طرابيشي، محاولا إظهار تناقض د. حنفي فإن هنري كوربان يتحول بضربة من عصا التناقض المحض من سوء النية إلى حسنها) المثقفون العرب ص١٢٥ وانظر التراث و التجديد ص٦٤.

(٣) الفكر الإسلامي. قراءةعلمية ص١٧٦. وتاريخية الفكر العربي الإسلامي ص٢٠٩

.. بإضافة هذه «الجملة» إلى بقية «الجهاز الفكري» الأركوني يخلص أركون إلى اتهام الوحي والنبوة بأنهما مخيال فردي وجماعي!

فيقول عن الإيمان بالنبوة: «يظل في مستوى الخيال الديني (المخيال الديني)(!) الملتصق بالخيال الجماعي»[1]!

ويدعي أن القرآن، والقصص القرآني، والحديث النبوي، والسيرة، إنها جميعا: «مدينة جدا لفعالية المخيال الذي يبلور الأساطير الخاصة بأصول كل فئة أو ذات جماعية ويساهم في تأسيسها وإنجاز هويتها»[2]!

ويعتبر أن القرآن يؤسس وعيا دينيا أسطوريا: «الوعي الديني الذي لا يستطيع أن يفرق بين الأسطورة والتاريخ، أو الخيالي والعقلاني أو العجيب الساحر والواقعي الخارجي»[3]! ويضع «القصص القرآني» في المدهش الخيالي الوهمي»[4]!

فالأسطورة والخيال والعجيب الساحر، موجودة في «الخطاب القرآني».. هكذا!!!

والغيب المذكور في القرآن يصفه بأنه: «العجيب المدهش... أو الساحر الخلاب داخل دائرة العقائد الخرافية والأدب الشعبي (!). أي ضمن مستوى من الفعالية الثقافية المتدنية (!) الخاصة بالأطفال والجدات والشعوب «المتخلفة»[5]!

---

(١) الفكر الإسلامي، قراءة علمية ص١٠٢.

(٢) تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص١٤.

(٣) الفكر الإسلامي قراءة علمية ص١٥١.

(٤) المرجع السابق ص١٨٧ [وهو متأثر هنا أيضا بعالم الاجتماع بيير بورديو]!

(٥) المرجع السابق ص٢٠٧

يقول :« إذا كانت تحليلاتنا صحيحة فإنه من الممكن ان نختم بحثنا بالقول بأن اللغة الدينية مرتبطة بالمذهب الشعري أكثر من ارتباطها بالمنطق العقلاني(!) . إنها تغذي الخيال(!) وتهز العاطفة أكثر مما تسجن (أو تحجز) القارئ في مقولات وتحديدات وقواعد عقلانية »[1].

يقول ذلك كله، في محاضرته التي ألقاها ضمن المؤتمر العلمي (!) الذي عقدته «منظمة الدراسات الإسلامية» بباريس عام ١٩٧٤ معلنا أمام المستشرقين والمغرضين أنه يقوم بنقد ما أسماه : «المعطيات الخارقة للطبيعة والحكايات «الأسطورية» «القرآنية»[2] إذن هو لا يتهم فقط المسلمين بأنهم زوروا شخصية النبي أو أنهم قاموا : «بتلفيق نماذج أسطورية للأبطال الخاصرين ... أنظر بهذا الصدد سيرة محمد(!) » لكنه يتهم القرآن نفسه وهو تبعا لهنري كوربان يدعو إلى التعامل مع القرآن باعتباره ظاهرة وليس وحيا إلهيا . ظاهرة : «تعامل كمعطى لغوي تاريخي محسوس، وليس كوحي نهائي مبطل أو مكمل للوحي السابق»[3].

فبالإضافة إلى اتهامات كوربان بأن القرآن خيال شعبي . يكون أركون قد جمع بين الماركسية والنظريات الفلسفية الحديثة ثم جعلها كلها فكرا إسلاميا ينقد به ما هو أصيل من الإسلام، وهو مستعد نتيجة تبنيه لهذه المذاهب أن يؤمن بالله إذا رآه في «أنبوب الاختبار» ! فهو إنسان مادي لا يؤمن إلا بالحس ولا يشعر إلا بنزعة الطين أما أن يؤمن بالذي خلقه فسواه فعدله فأكرمه كإنسان ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ** ... ﴾ فلا !

(١ ، ٢) بحث المرجع السابق ص ١٨٧ . ١٩١ .

(٣) تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص٥٦ . ٥٧ .

يقول في ذلك : إن الممارسة العلمية السائدة اليوم ترفض كل استراتيجية لاسترجاع المعتقدات أو «القيم» التي يتعذر التحقق منها عن طريق وسائل التفحص المتداول والمعترف بها (!) ... بدءا من اللحظة التي يتمكن فيها الإنسان من «خلق» كائنات حية في أنبوب الاختبار. فإنه يهجر عندئذ الفضاء الساحر والخلاب الذي ولدت فيه الآيات القرآنية المتعلقة بقضية الخلق .. (أي خلق الوجود)[1] فهو يعتبر خلق الإنسان على أحسن صورة وأعقد تركيب وأدق صنعة، وكذلك الكون، شيئا لا يمت للعلم ولا للعقل ولا للإنسان بصلة؛ وإنما هو خيال وفضاء ساحر مرفوض! بهذه الكلمات الخطيرة (الحقيرة. في نفس الوقت !) يحاول أركون نزع صفة القداسة عن القرآن - إن صح التعبير - والقيام بنقده نقدا سخيفا بذيئا. ثم يدعي وهو يقوم بذلك أنه يقوم بنقد العقل المسلم!!!

.. إنه يزعم أن هذا العقل يعتمد على ما أسماه نصوص مغلقة على ذاتها وهي بزعمه، القرآن والحدود[*]... وبالمذاهب المشتركة التي يستخدمها يدعي أنه يحرر هذا العقل من هيبة هذه النصوص وسلطتها !! وهو هدف واع لكل الذين يحاولون قلب موازين القرآن باستخدام أيديولوجياتهم المبيتة وأجهزتهم الفلسفية المسبقة فهو يتعامل مع القرآن : «الظاهرة القرآنية المعتبرة كظاهرة للوحي»[2] : «دون أن نعتبر القرآن كلاما آتيا من فوق ، وإنما فقط كحدث واقعي تماما كوقائع الفيزياء والبيولوجيا التي يتكلم عنها العلماء»[3]! فهو بزعمه ومعه

---

(١) الفكر الإسلامي ص١٢٠ .

(*) انظر تاريخية الفكر العربي ص٦٩

(٢ - ٣) الفكر الإسلامي قراءة علمية ص ٢٨٠ - ٢٨٤

جملة العلمانيين نتاج الواقع ! وذلك يعني نفي الألوهية ونفي النبوة وإلغاء الدين والوحي .. وهدم العقيدة !

فالمذاهب المادية الحديثة لا تتعامل مع الوحي باعتباره وحيا ولكن باعتباره حدثا أرضيا بحتا، وواقعا ماديا صرفا، وتنكر هذه المذاهب وجود الله والغيب والوحي الإلهي كما قدمنا من كلام أصحابها.

فالمستشرق الخبيث «ج. م. رادويل» أحد مترجمي القرآن يقول: «إن التفكير في أن يكون القرآن أمرا فوق قدرة البشر خارج عن البحث خروجا كليا»[١]!

والدكتور محمد عابد الجابري [من أقطاب التلاعب بالنصوص كما قدمنا في الفصل الأول] - وهو صديق حميم لأركون! يقر وصف الدكتور العلماني محمود أمين العالم لعمله الفكري بأنه قائم على هذه الحيلة: «بدلا من بنية العقيدة ينبغي العمل على تحويل العقيدة إلى رأي (!) فبهذا نتخلص من التفكير الطائفي المتعصب»[٢] [رضى د. الجابري بوضع هذه الجملة في كتابه ولم يعقب !!! وكذلك الحال مع أركون ونصر أبو زيد اللذان يحاولان نزع القداسة عن القرآن ليتمكنا من إخضاعه لعملياتهم التجريبية المكشوفة !

وكذلك يفعل د. حسن حنفي الذي يقول: «الإسلام معطى تاريخيا وليس دينيا (!) ... ويهمنا ما نشأ عنه كحضارة وليس مصدر من أين أتى»[٣]!

وحنفي والجابري وأبوزيد وعلي حرب وأركون كلهم تلاميذ الاستشراق،

---

(١) مراجع مقدمة المؤلف ص٢١ نقلا عن ترجمات معاني القرآن الكريم للدكتور عبدالله عباس الندوي كتاب (دعوة الحق) العدد١٧٤.

(٢) التراث والحداثة ص٣٤٨.

(٣) حنفي. التراث والتجديد ص٢٠ نقلا عن المثقفون العرب والتراث ص١٠٩-١٢٩.

تلاميذ اليهود والنصارى باعتراف المستشرق «برنارد لويس» الذي ذكر آلهة الاستشراق بخير. وهو يعتب على «إدوارد سعيد» الذي هاجم الاستشراق وفضحه.

يقول في «مسألة الاستشراق» أن: «سعيد» أهمل إنجازات العديد من «الشخصيات الكبرى» أمثال: «كلود كاهين، ليفي - بروفنصان، هنري كوربان. ماريوس كانار، شارل بيلا. ويليام وجورج مارسيه، ويليام رايت. وكلهم علماء متبحرون قدموا إسهامات كبرى للاستشراق ولا أثر لهم في كتابات إدوارد سعيد»[1].

أركون وتخاريف «ب.كرون»

احتل إسهام «ب. كرون» (P.Crone) من قلب د. أركون موقعاً حسناً. ولم لا وادعاءات «كرون» تفيد منهج أركون في محاولته الهزلية لتغيير معالم الإسلام وتأكيد الاتهامات التي يوجهها إليها!

يقول «كرون»: «أن تاريخ الإسلام الأول أو البدائي قد خرب وأفسد إلى الأبد»[2] يذكرني هذا الاتهام، الذي طالما اخترعته مخيلة الاستشراق، باتهامات أخرى مثل اتهام المستشرق «تولستون» الذي قال بأن الرسول ﷺ لم يكن له وجود في التاريخ![3].

وحتى الذي أدخله منهم في التاريخ، فإنه أظهره بصورة مختلفة تماماً عن حقيقته ﷺ. فقد صور النبي ﷺ في صورة راهب مرتد! كما أن كتاب[4]

---

(١) الاستشراق بين دعاته ومعارضيه ص١٧١.

(٢) تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص٨٣.

(٣) انظر مناهج المستشرقين جـ١ ص١٤٠.

(٤) نقلاً عن الاستشراق السياسي للأستاذ/ مصطفى نصر المسلاني ص٣٥.

R.S.SOUTHERN ر.و. ساوثرن صور النبي ﷺ بأنه ساحر حطم الكنيسة في الشرق وفي إفريقيا. وأباح الاتصالات الجنسية !!.

ولقد اتهم المسيحيون المسلمين بأنهم عبدة الأوثان. وكانوا يعتقدون أن محمدا هو صنمهم الرئيسي، وكانت أغاني الشعراء الصعاليك أو الجوالة تنسج هذا المنظر، ويعتبرون محمدا كبير السراسنة. وهو كبيرُ المريدين (كما صوّره كاتب ألماني) يتبعه ٧٠٠ مريد أحيانا وعبادة هؤلاء ثالوث يتكون من (!): ترافاغانت، أبولو، محمد. حسب النمط المسيحي أكد هذا در شتريكر DAR STICKE(١).

لقد أثاروا الشك في اسم الرسول(٢). كما أثاره بعضهم في وجوده ﷺ ولكنهم مهما قالوا فيه، فإنه ﷺ لا يختفي من الوجود بمجرد ظهور هذه الأقوال الاستشراقية السخيفة، وكذلك الأمر في تاريخ الإسلام والمسلمين وحقيقة الوحي والدين.

إن القرآن، مع ذلك، يخرج دائما منتصرا على منتقديه كما اختبر دكتور الوجودية (سابقا)، والعائد إلى الإسلام بقوة وشجاعة هائلة ما لبث أن فضحت الاستشراق بعلم ودراية، وحنكة وخبرة.

أركون يكذب مع «كلود كاهين» اليهودي!

«كلود كاهين» مستشرق يهودي من الحاقدين على الإسلام والمسلمين. كتب في مقدمة كتابه «مقدمة لتاريخ العالم الإسلامي القروسطي» بين القرنين السابع

---

(١) Adolf Christiandomand Islam in the middle ages New Light on grailstone and Hedden Hosts. London - Speculam 1957.p.10

(٢) الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين ص٣٥.

والخامس عشر الميلاديين» أنه يجب دراسة الماضي الذي صنع اليقظة الإسلامية الحديثة، دراسة نقدية تقتل ما تبقى من روح هذه الأمة التي ماتزال حية!. يقول «دراسة الماضي ضرورية لفهم الحاضر. واليقظة الإسلامية التي نشهدها تحت أبصارنا اليوم تثبت بجلاء أنه لا يمكن فهم وعي الأمة من دون أن نأخذ ماضيها بعين الاعتبار، وإنه حتى لو كان هذا الماضي مشوهاً في وعي الأمة فإنه مايزال حياً»[1]!

فالماضي شيء ذو أهمية للحركة الاستشراقية، فإذا ما تم تشويهه والقضاء على بهائه وروعته في صدور المسلمين فإن اليقظة ستخبو.. والتشويه بعد التشويه سيؤدي حتما إلى قتل هذا الذي مازال حيا!

الدكتور محمد أركون يفرح لدراسة ماضي المسلمين من قبل هذا الاستشراق. ويمدح على وجه الخصوص ما قام به «كلود كاهين»! فهو يقول بأن «كاهين»: «كشف بدقة وتماسك في كتابه «مدخل إلى تاريخ العالم الإسلامي في القرون الوسطى» تلاعب المسلمين (!) بالوقائع والشخصيات الكبرى المثالية بهدف دعم أيديولوجيات الكفاح، ومنها شخصية الرسول ﷺ ....»[2]!!

فأول شيء: هو اتهام المسلمين بالتزوير للتاريخ والوقائع والشخصيات، هكذا «جملة اتهامات أكاديمية!»، والهدف منها قتل روح الجهاد التي حمت الأمة من الاستعمار والدمار.

أركون يقوم بالنيابة عن هذا الاستشراق المغرض بالهجوم على المسلمين الذين

---

(١) والكتاب من منشورات ادريان ميزون نيف، باريس، ١٩٨٣. كما في الاستشراق بين دعاته ومعارضيه ص٣٤ والذي قدم له الدكتور هاشم صالح صديق أركون!

(٢) تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص٢٦

يحيون روح الأمة الجهادية التي تمتد في كل البقاع الإسلامية يقول :«نحن نعرف كيف أن البلدان الإسلامية بدءا من المغرب وحتى أندونيسيا كانت قد اضطرت أثناء السيطرة الاستعمارية إلى تطوير أيديولوجيا الكفاح من أجل التحرير»[1].

لكن من وجه آخر ، فإن علماء الجهاد أو بحسب وصف أركون لهم «شيوخ أيديولوجيا الكفاح»[2] الذين يستلهمون التراث والتاريخ الإسلاميين أشخاص يشكلون خطرا على الأمة لأنهم يعبئون ويجيشون الروح الجهادية من أجل شن «الحرب المقدسة»! لذلك يحاول أركون استدعاء «علمي التاريخ والإنتربولوجي» في تعرية الدعوات ـ بزعمه طبعا ـ الجهادية التي دافعت عن الأمة وعن تاريخها الطويل، وكشف زيف التاريخ الإسلامي ـ هكذا ! ـ الذي يمد هذه الروح بالقوة والأمل والحياة[3] واستئصال مواقف البطولة التي يعيشها العلماء قبل الجنود! فماداموا يقفون ضد الاستعمار والغزو الفكري فإنه من واجب البحث العلمي الأركوني أن يقف لهم بالمرصاد ويجند العلوم الفلسفية الحديثة في نقدهم على أقل تقدير، وعلى أكثر تقدير : استئصالهم !

نرى أركون في كتابه «تاريخية الفكر العربي الإسلامي» يقوم بمهاجمة جملة من العلماء أمثال الشيخ محمد الغزالي، والشيخ محمد سعيد رمضان البوطي، الشيخ يوسف القرضاوي، وسيد قطب، وأنور الجندي لأنهم لا يقومون بدراسات نقدية للقرآن والسنة والسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي !!!!!»[4].

وهكذا فإن الحرب الموجهة اليوم ضد الإسلام ـ كما يقول الأستاذ محمد قطب ـ

---

(١) الفكر الإسلامي ، قراءة علمية ص٢٤٥ .

(٢ ٣) تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص٢٧ وانظر ص٩، ٣٣، ٣٤، ٤٥.

(٤) انظر الفكر الإسلامي ص٤٤ .

تستهدف أمرين اثنين : إزالة استعلاء المؤمن الحق لكي تنبهم شخصيته وتتميع. والهدف الثاني هو إزالة روح الجهاد من قلبه .. ليطمئن الاعداء ويستريحوا !!

في الهدف الأول يقول المستشرق النمساوي المعاصر «فون جرونباوم» في كتاب له يسمى «الإسلام الحديث» إن الحاجز الذي يحجز المسلم عن «التغريب Westernization هو استعلاؤه بإيمانه» وإنه لابد من تحطيم ذلك الحاجز لكي تتم عملية التغريب !(١). ويظهر الحقد الذي يقوم بتغذية علوم الغرب المستعملة لتهديم الإسلام وقيمه ومعنويات المؤمنين به في قول المؤرخ المعاصر «توينبي» وهو يتكلم عن «التركي المسلم» :«من المؤكد أننا لم نكن نحب التركي التقليدي المسلم الذي كان يثير حنقنا عندما ينظر إلينا من عل على أننا فرنسيون زناديق ! ويحمد الله على أنه لم يجعلنا مثله . وبما أن التركي التقليدي القديم كان يعتبر نفسه من طينة خاصة حاولنا أن نحط من كبريائه بتصوير هذه الطينة الخاصة شيئا ممقوتا وسميناه «التركي النكرة».. إلى أن استطعنا أخيرا أن نحطم سلاحه النفسي (!) وحرضناه على القيام بهذه الثورة (المقلدة) التي استهلكها الآن أمام أعيننا(!)»(٢) فهل يستعصي على هؤلاء أن يشوهوا تاريخ المسلمين ويقدحوا في القرآن والسنة والسيرة النبوية؟!.. ثم يقدحوا في المسلمين بأنهم زوروا شخصية النبي ﷺ ! بحجة دعم الجهاد !!! إن غرضهم واضح جدا : تحطيم سلاح المسلم، وتحريضه لفعل ذلك بنفسه .. (أمام أعيننا !!!) لقد نجحوا في تحريض د. محمد أركون وإخوانه من العلمانيين على القدح في الإسلام والصحابة وعلماء المسلمين وحتى الذين أسلموا من الغربيين أمثال الأخ الأستاذ موريس بوكاي وغيره .

---

(١)مذاهب فكرية معاصرة ص٥٩٣.٥٩٤ بتصرف

(٢) نقلا عن مذاهب فكرية معاصرة ص٥٩٤.٥٩٥

في محاضرته التي ألقاها في مؤتمر الدراسات الشرقية في باريس عام ١٩٧٦. دعا د. أركون المسلمين للاستماع - يقول - لـ« معلمون كبار من أمثال دوسلان. دوغوج. سنوك هرغروبخ، نولدكة، بروكلمان. ماسينيون. مارسيه .. إلخ»[١].

فمادامو يصبون في الحالة الأركونية لزحزحة العقيدة والتشكيك في المسلمات فإنهم عند «أركون» معلمون كبار !

وقد ادعوا أنهم استبصروا أخطاء وتلاعبات إسلامية. وقاموا بالتشكيك في امتلاك الإسلام الحقيقة. وسعوا بالغزو الفكري إلى زحزحة الحقيقة القرآنية عن مكانها خدمة للالتزام التبشيري - كما يؤكد الدكتور عبدالرحمن بدوي - شديد التعصب ونتيجة لسيطرة الحقد على الإسلام الذي ورثوه ورضعوه منذ طفولتهم على عقولهم وتسببه في عماء بصيرتهم[٢].

والمذاهب الحديثة التي صنعوها تحاول أن تطمس الحقائق وتزور المفاهيم وتكذب على التاريخ وتغير تفسيره من أجل إخضاع الدين لمادة نقدها وهي مادة ضحلة حاقدة مغرضة وهزيلة، ولا تنطلي على جمهور المسلمين، الجمهور الذي يقول عنه «أركون» بكل تبجح: «الجمهور الذي يستمر في رفضه المؤسف جدا !... ينبغي أن تنتهي فعلا مرحلة النقد المحض أيديولوجي الموجه ضد التنقيب والبحث الاستشراقي (!)، كما أنه من الملائم استئصال (!) التطرفات الخطيرة للتيار المعارض بشكل مستمر لما يسميه العرب (!) «بالغزو الفكري» للغرب»[٣].

---

(١) تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص٥٤.٥٥.   (٢) انظر دفاع عن القرآن ضد منتقديه ص١٥، ١٦.

(٣) تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص٥٤ قال ذلك في محاضرة له في مؤتمر الدراسات الشرقية باريس عام ١٩٧٦ كما في نفس المرجع ص٥١

ويجهل «العقل المسلم» جمهورا وعلماء. لسبب تمسكهم بحقيقة الوحي القرآني [التطرفات الخطيرة !!!]. يقول :«هكذا يبدو لنا بشكل خاص في الخطاب الإسلامي الشائع المشترك الذي يحتج ويثور ضد «محترفي الغزو الفكري»... هذا العقل ... يعيد التأكيد بعنف على منيمته في امتلاك الحقيقة الكلية والكونية»[1].

وعن حقيقة الإيمان والكفر. والفرقان بين الإيمان والكفر. ومفاصلة المؤمنين للكافرين والمنافقين يقول أركون متبعا الاستشراق المسيحي واليهودي في إثارة الشبهات : «ينبغي تحرير الفكر الإسلامي من أشكال التصورات والإدراك التي فرضتها الأدبيات الإسلامية (أو التراث الإسلامي) التي رمت في ظلمات الجهل والجاهلية كل جوانب المجتمع العربي السابق على الإسلام (!) إن القرآن يشهد بشكل واضح على حصول صراع من أجل السلطة (!!!) بين فئة اجتماعية في طور الانبثاق دُعيت «بالمؤمنين» وبين القوى التقليدية التي حُطَّ من قدرها (!) تحت أوصاف من نوع «الكفار . المنافقون، المشركون، الظالمون»، الخ ... إنه ليس عدلا أن نقرأ في تاريخ لاحق وبعد أن انتهت الأمور(!) (oposteriori) وأصبحت أمرا واقعا هذا الديالكتيك الاجتماعي العادي والمعروف في كل المجتمعات أقول ليس عدلا أن نقرأه من وجهة نظر التيولوجية [يقصد الدينية] المثبتة من قبل رجال الدين(!) لترسيخ وتدعيم سلطة الدولة المدعوة بدولة الخلافة. كان التاريخ الاستشراقي قد استبصر هذه الأخطار والتلاعبات الأيديولوجية»[2]. في هذا السياق - تبعا للاستشراق أيضا - يتهم القرآن. كما اتهمه في النص السابق بأنه : «خطاب سلطوي محكوم بهدفين أساسيين :

---

(1) الفكر الإسلامي ص ٢٦١

(2) تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص ٢٦٥

١ـ تدمير الخطابات السابقة عن طريق المجادلة المتصلة بالممارسة (الحدث اليومي أو السياسي) .

٢ـ ترسيخ الخطاب الجديد وتقويته ...

إن للسيادة العليا التي يستند إليها الخطاب القرآني . ثم يشغلها بدوره ليس مفهوما تجريديا ، إنها تمثل بالدرجة الأولى تلك الهيمنة التي يمارسها النبي (!) على محاوريه»[١] .

وهكذا يتهم القرآن . ثم ينسبه إلى النبي ثم إلى رجال الدين ثم يدعي أن التاريخ الاستشراقي الحاقد استبصر الأخطار والتلاعبات الأيديولوجية التي زعم أن القرآن والرسول ورجال الدين (ليس عندنا في الإسلام في الحقيقة . ما يسمى « رجال الدين »[*]) !

جلبوها وقاموا بها .. إنه ينقل الأكاذيب عن المستشرقين ثم يقوم برصها وضمها للأفكار والاتهامات والمصطلحات الجديدة مثل « السيادة العليا » و« الرأسمال الرمزي » و« الخيال أو المدهش » وغير ذلك من مصطلحات . ويفلسف الأمور بحيث يبدو سياق كلامه علمي أكاديمي بينما هو مجموعة من الشتائم الاستشراقية التي ليس عليها رائحة دليل .

فهذا واحد من « المعلمون الكبار » الذين دعانا أركون منذ قليل إلى الاستماع إليهم بتجرد علمي ! إنه « نولدكة »[**] الذي قال : « أن سبب الوحي النازل على

---

(١) المرجع السابق ص١٦٦ ، ١٦٧ .

(*) عندنا علماء في فهم الإسلام أما ما يقال عنهم « رجال دين » أو كهنة مقدسون فهذا شيء ليس في الإسلام

(**) تيودور نولدكة ١٨٣٦ - ١٩٣٠ تلقى دروسه في جامعة غوطنجن . وعين أستاذا للغات الشرقية في كيل سنة ١٨٦٤ . واستراسبورج سنة ١٨٧٢ وبقي فيها حتى سنة ١٩١٤ من مؤلفاته « تاريخ القرآن » غوطنجن سنة ١٨٦٠ بتصرف من المستشرقون لنجيب عقيقي ص١١٨ .

محمد والدعوة التي قام بها هو ما كان بناه من داء الصرع (١)»، ادعى «نولدكة» أيضا أن فواتح السور ليست من القرآن وهو يعتبرها من عمل الصحابة [كما في كتابه تاريخ القرآن.] غيره من المستشرقين ادعى أن النبي - وليس الصحابة! - متأثر في فواتح السور باليهودية. وكأن القرآن من تأليفه هو ﷺ. ومن المعلوم أن القرآن الذي نزل في مكة كانت فواتح السور توحد في سبعة وعشرون سورة ولم يكن يوجد اليهود بعد، فقد وجدوا في المدينة التي لم توجد فواتح السور إلا في اثنتين من سور القرآن وهما البقرة وآل عمران»[٢]. إنهم يثيرون قضايا - كما يقول الدكتور عبدالرحمن بدوي - لا دليل عليها: لا برهان عليها[٣]. وهي ناتجة عن جهل أوسوء فهم وضيق نظر كما أشار إلى ذلك الدكتور التهامي نقرة أما الدكتور محمد أركون فكل من يقدح وينقد القرآن فهو عنده عظيم ومعلم كبير! طالما يصب في الاتجاه الذي اتخذه أركون ويفيده في شحنة كراهيته للإسلام فهو يقول أن لعمل «نولدكة» في نقد القرآن ميزة كبرى»!: «كانت لنولدكة الميزة الكبرى في أنه أدخل للمرة الاولى منذ القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) السؤال الذي لا مفر منه والخاص بالتاريخ النقدي للنص القرآني»[٤] و«نولدكة» بعمله هذا، لا يهدف أن ينقد للنقد فقط. وإنما يريد كما هي عادة المؤرخين الغربيين والمستشرقين أن يحطم سلاح المسلم النفسي كما تقدم من كلام «توينبي»!، ويحط من كبرياء الإيمان عند المسلم.. وبذلك ينتصرون!

---

(١) حاضر العالم الإسلامي (١ / ٣٤) نقلا عن الاسقاط في مناهج المستشرقين ص ١٠.

(٢) انظر مقالة الدكتور التهامي نقرة في مناهج المستشرقين جـ١ ص ٢٣.

(٣) انظر دفاع عن القرآن ص ٧٣ - ٩٢.

(٤) الفكر الإسلامي - قراءة علمية ص ٢٦٤.

«نولدكة» كان له أهدافه الواضحة. فقد أعلن عام ١٨٨٧م أن «حلاصة عمله كمستشرق كانت تأكيد رأيه في المنزلة الوضيعة للشعوب الشرقية»[١]. ولقد خيب السلطان عبدالحميد أمله: «عندما أراد ذلك السلطان إحياء الخلافة الإسلامية من جديد ودعوته لإقامة جامعة الدول الإسلامية ... ذكر نولدكة في كتاب عن النبي ﷺ أن الإسلام كدولة قد ضعف منذ بلوغ الرجل المريض «الدولة العثمانية» سن الاحتضار. وأن الإسلام لم يعد بمقدوره قيادة العالم»[٢][*].

أما المستشرق «جولد زيهر» (من المعلمون اليهود الكبار!) فإنه يتهم الرسول ﷺ بالقول: «فتبشير النبي العربي ليس إلا مزيجا منتخبا من معارف وآراء دينية عرفها بفضل اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية(!) التي تأثر بها تأثيرا عميقا .. فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه. كما صار يعتبر هذه التعاليم وحيا إلهيا»[٣].

---

(١) الاستشراق لإدوارد سعيد.

(٢) جريدة العالم الإسلامي ١٩ يناير ١٩٩٨ (العدد ١٥٣٩).

(*) اعتراف صموئيل هو نتينجن صاحب كتاب صراع الحضارات في مناقشة دارت في معهد الفرد هيرهاوزن للحوار الدولي أن الإسلام - وإن كانت شعوبه تعيش تحت وطأة الضغوط - قادر على بعث هذه الأمة من جديد. نحن لا نستطيع أن ننكر ما فعله الصليبيون والتتار بالعالم الإسلامي يوم كان ذلك العالم ضعيفا بضعف دولة الخلافة العباسية ولكن لما أتى رجال مثل زنكي وصلاح الدين وقطز، بيبرس، سليمان القانوني وخير الدين باباروس. ثبت أن الحضارة الإسلامية تتجدد وهي قابلة للتجديد دائما. قال ذلك تعليقا على مقولة «نولدكة» الآنفة الذكر. شارك في المناقشة السفير الألماني السابق المسلم (مراد هوفمان) والسيدة هونكة صاحبة كتاب (شمس العرب تسطع على الغرب) والسيدة أنا ماري شمل المختصة في العلوم الإسلامية والمستشار الألماني السابق هلموت شميت الذي يشارك في هذه الأيام بالحوار الإسلامي المسيحي وغيرهم «جريدة العالم الإسلامي نفس التاريخ السابق والعدد السابق.

(٣) من كتابه «العقيدة والشريعة في الإسلام» (ت) يوسف موسى وزميله ١٢ (طمصر ١٩٤٨) نقلا عن مناهج المستشرقين ص ٥٥،٣١.

بعد خبرة عميقة بالاستشراق قال الدكتور عبدالرحمن بدوي أن «جولد زيهر» إنما يقرأ القرآن بعيون يهودية.. ولذلك منحته الموسوعة اليهودية المساحة والفرصة لآراءه في الإسلام والشريعة والسنة النبوية والتاريخ الإسلامي «[1].

قال الدكتور بدوي أن أوهام «جولد زيهر» ـ وغيره من المستشرقين ـ عن الإسلام إنما «صاغتها الأساطير الشعبية حيث كانت سائدة في العصور الوسطى والحروب الصليبية وتحيزات المستشرقين ضد الإسلام»[2] أوهام ـ أكد بدوي ـ مشبوبة بالجهل وضحالة ونقص معلوماتهم عن الإسلام. هذا غير الأكاذيب وإطلاق الأحكام السريعة «نقل ـ اقتباس ـ تقليد ـ تأثير وتأثر» وأن ليس في القرآن إلا توافق ظاهري وهذا هو حال نولدكة. ومرجليوث. وجولد تسيهير. وشفالي[3].

من ذلك التهمة التي أطلقها «جولد تسيهير» والمستشرق الآخر «جوزيف شاخت»[5]. وهي أن الشريعة الإسلامية ليست من عند الله، وإنما هي منقولة عن الأمم الوثنية المعدية. يقول «شاخت» «إن القانون (أي الشريعة) تقع إلى حد كبير خارج نطاق الدين» ويقلده «أركون» ويقول بأن القول بأن الشريعة ذات أصل إلهي ليست إلا وهما: «الوهم الكبير بأن الشريعة ذات أصل إلهي»[4].

والغرض من إطلاق هذه الافتراءات هو أن يعتقد المسلمين أنه يمكنهم أن يقتبسوا

---

(١) انظر دفاع عن القرآن ضد منتقديه ص٩٢.٧٣ .

(٢) كما قدم الناشر الأستاذ «سعيد عثمان .

(٣) انظر مقدمة د. بدوي لكتابه دفاع عن القرآن ص١٥.١٦ .

(٥) جوزيف شاخت. مستشرق ألماني حاقد. ولد عام ١٩٠٢ في مدينة راتيبور التي تدعى اليوم راسيبورز في منطقة سليزي التي كانت المانية في ذلك الوقت. مات عام ١٩٦٩ .

(٤) تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص ٢٩٧ وانظر كتاب العقيدة والشريعة جولد زيهر ص ٤١.٤٢ .

من القوانين الغربية الوضعية ما أرادوا دون أن يشعروا بأدنى ضيق من مخالفتهم لدينهم. طالما أن الشريعة تقع خارج نطاق الدين وأن ليس لها أصل إلهي. وأنها منقولة كالقانون الوضعي سواء»[1]! (الدكتور مصطفى السباعي أفضل من دحض مزاعم المستشرقين وعلى الأخص (جولد تسهير) في كتابه السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي».

إن «أركون» يطالب أن توضع «الشريعة» على محك «النقد التاريخي» ويعتبر القول بأن الشريعة هي من عند الله «رواية رسمية»: «هذه هي الرواية الرسمية للقصة والتي كان المستشرقون قد وضعوها على محك النقد التاريخي. أثبت هؤلاء المستشرقون (غولد زيهر، شاخت الخ..) أن الأشياء قد جرت بشكل مختلف وأن النظرية أو الرواية التي اخترعها التراث (!) ليست إلا وهما، وذلك من أجل إصباغ الصفة الإلهية على قانون أنجز داخل المجتمعات الإسلامية وذلك بشكل وضعي وكامل»[2].

وفي محاضرته التي ألقاها في النمسا، بتاريخ ٣ أغسطس ١٩٨٣ وذلك ضمن إطار الحلقة الدراسية الدولية للدبلوماسيين تحت إشراف وزارة الخارجية النمساوية. قال بأن النقد العلمي كذب صحة ما زعم أنها افتراضات مثل «صحة المصحف» تعاليم محمد (!) «السنة النبوية» و«القانون الديني (الشريعة) وعلومها» وقال: «إن طراز وجود الإسلام في التاريخ مرتبط بالحفاظ على هذه الفرضيات على الرغم من التكذيب القاطع الذي تلقاه من جهة الواقع والنقد العلمي الحديث

---

(١) انظر مقالة الدكتور محمد مصطفى الاعظمى المستشرق شاخت والسنة النبوية، من كتاب «مناهج المستشرقين جـ١ ص٦٩ـ٧٠ وكذلك مقالة الدكتور مصطفى الشكعة ص٣١٠ ومقالة الدكتور الزرقاء ص٢٢٠ وقد رد الدكتور عبدالرحمن بدوي على جولد تسهير في كتابه دفاع عن القرآن ص٧٨ـ٨٠.

(٢) تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص٢٩٧

معا»(١).إنها المحاضرة التي قال فيها انه يهدف الى قلب المنهجية التي تنطلق من الدين(٢).

إنه يريد قلب المنهجية التي تنطلق من القرآن العظيم .. وذلك بتسليط المذاهب النقدية الغربية عليه !

أما «بروكلمان»(*) وهو أيضا ممن دعانا إلى الاستفادة من نقدهم بدون أن نقوم بالرد المحض أيديولوجي تجاههم !

فقد اتهم الإسلام بما ليس فيه ونسب له ما ليس منه واتهم الرسول بما هو منه بريء يقول في كتابه «تاريخ الشعوب الإسلامية» :«اقتبس النبي عن التوراة فكرة الخطيئة الأصلية .. وإنما ترجع معتقداته فيما يتعلق بالعالم الآخر إلى مصادر يهودية، وهكذا تتصل بصورة غير مباشرة بمصادر فارسية وبابلية قديمة»(٣)! ويدعي بأن الرسول :«نضجت في نفسه الفكرة أنه مدعو إلى أداء هذه الرسالة . رسالة النبوة»(٤)، ثم يسوق الاتهام التالي : «وليس من شك في أن معرفته بمادة الكتاب المقدس(!) كانت سطحية إلى أبعد الحدود وحافلة بالأخطاء»(٥)! ويضرب على ذلك مثلا بالقصص القرآني، مثل قصة موسى عليه السلام !

---

(١) الفكر الإسلامي قراءة علمية ص٦٦ كذلك يشكك، أركون، في عملية الحفاظ على القرآن التي قام بها الصحابة رضوان الله عليهم و كذلك صحة ما قالوه عن الوقائع «التاريخية» المتعلقة ببعثة الرسول .

(٢) المرجع السابق ص٨٠ .

(*) كارل بروكلمن ١٨٦٨ ـ ولد في روستوك وتعلم العربية ونبغ فيها فعين أستاذا لها في برسلافيا وكونسبرج وهال . ثم في برلين سنة ١٩٢٣، من مؤلفاته تاريخ الآداب العربية، وكتاب تاريخ الإسلام في تاريخ العالم ... نقلا عن المستشرق نجيب العقيقي ص١٢١ .

(٣) تاريخ الشعوب الإسلامية ص٧٠ . ٧١ .

(٤) المرجع السابق ص٣٦ .

(٥) المرجع السابق ص٣٩ .

يقول أيضا «أما في مكة فلعله (!) اتصل بجماعات من النصارى كانت معرفتهم بالتوراة والإنجيل هزيلة إلى حد بعيد»[1]. هذا عن جماعات النصارى.. أما عن أحبار اليهود فيقول عنهم: «كانوا يفوقون النبي الأمي في المعلومات الوضعية وفي حدة الإدراك (!)... بل إن معارضة اليهود لتعاليمه حملته على أن يستنتج (!) أنهم قد ضلوا عن طريق الإيمان الصحيح. وأنهم قد حرفوا الكتاب المقدس»[2]! حقا إن الأمر كما قال الشيخ محمد الغزالي رحمه الله. أن هؤلاء كهنة يرتدون ثياب البحث العلمي لينفسوا عن ضغائنهم ضد الإسلام[3].

.. وإذا كان اليهود يفوقون الرسول في حدة الإدراك وفي المعلومات كما يزعم فلماذا هذا الخلل الموجود في الكتاب المقدس؟ ولماذا كثرة التناقضات التي تحويها كتبهم المقدسة ـ وقد فضحها علماء نقد الكتاب المقدس الغربيون، ومن قبلهم فعل المسلمون ـ لماذا رماهم الله بالغباء والجهل في كتابهم المقدس، وأنهم عميان لا إدراك لهم؟!

وأين هي حدة الإدراك وصدق المعلومات عند القاضي «بروكلمان» وقد حكم على الإسلام بالزور وافترى على رسول الله بما لم يخطر له على بال؟

حقا!. إنه إذا كانت هذه هي حدة إدراك اليهود. والمستشرقين، ومنهم «بروكلمان» ومعهم المستغربون فعلى الدنيا السلام!

---

(١) المرجع السابق ص٣٤.

(٢) المرجع السابق ص٤٧

(٣) علل وأدوية ص١٣٧.

إن هذا الذي دعانا أركون إلى الاستماع إليه . وهو ماسينيون . والذي ارتفع بين أقرانه من رهبان اليسوعيين بدراسته العربية ( ) . وهو مستشرق سياسي خبيث . حاول - مثل هنري كوربان - (**) أن يجعل من فكر « الحلاج » فكرا إسلاميا إصيلا ، بل يرجحه على عقائد الإسلام وأصول الإيمان .

ومعلوم أن الحلاج ادعى « الألوهية » وروج خرافة الحلول والفناء والاتحاد بالإله ! .. وقد علم المستشرقون أن بإذاعة هذه الخرافات ونشرها - وعلى مستوى أكاديمي ! - يكون الشك والغموض قد أخذ مكانه في المجتمعات الإسلامية !

فلقد تنبه هو وغيره من المستشرقين إلى مدى خطر إذاعة هذه الآراء وترديدها ، ذلك - يقول الشيخ أنور الجندي - : « لأن فكرة الاتحاد إنما هي في جوهرها تعطيل لأحكام الشرع ، وإنما تنقض رسالة الإسلام في وحدة الله وتنزيهه عن الخلق وصفاته »[1] . لقد : « استهدفت المؤامرة على الإسلام في العصر الحديث انبعاث الفكر الصوفي الفلسفي ممثلا في نظريات وحدة الوجود والحلول والاتحاد والفناء والتناسخ والإشراق وهي في مفهومها مفاهيم دخيلة على الفكر الإسلامي الأصيل

(*) انظر سموم الاستشراق والمستشرقين ص ١٧٩ .

(**) لقد « كان » ماسينيون « من أكبر الأساتذة الذين أثروا في هنري كوربان الشاب ورسموا له خط سيره الثقافي . فهو الذي وجهه إلى دراسة ابن سينا والفلسفة الاستشراقية في العشرينات من هذا القرن . ولربما في أفق التخصص في الإيرانيات . ضمن مشروع استشراقي يصدر كغيره من المشاريع الاستشراقية عن خلفيات ودوافع ذات علاقة بالتوسع الاستعماري » مناهج المستشرقين جـ١ ص ٣٣٢ .

(١) المؤامرة على الإسلام ص ٥٣ . ٥٤ .

ومستمدة من الفكر الفلسفي اليهودي والمسيحي (٥) واليوناني والمجوسي والهندي يستهدف ابعاثها زلزلة مفهوم التوحيد الأصيل وخلق جو من الشكوك والريب في قلوب المؤمنين لزحزحتهم عن أصول عقيدتهم السمحة القرآنية الربانية القائمة على الفطرة. البعيدة عن التعقيدات والتهويمات.

ولا ريب أن الدعوة الملحة إلى إعادة بعث هذه الجوانب من الفكر الصوفي الفلسفي التي أثيرت من زمن بعيد وتحطمت واندثرت، لا ريب أن إعادة الاستشراق لها وتجديدها إنما له غرض مبيت وماكر وخبيث، وهو الانحراف عن مفهوم الإسلام القائم على الفطرة والتوحيد والجامع بين العقل والقلب، والقائم على التوحيد الخالص إلى شبه الرهبانية والخروج عن التكاليف والاستسلام للجبرية، وبذلك تعزل المسلم عن مجال الحياة العامة وتقصره على الجانب الروحي المهوم المغرق في التهويم، وهذا ما يتطلع إليه مخطط المؤامرة على الإسلام من إخراج المسلم من مفهوم الإسلام الجامع إلى مفهوم العبادة والصفاء الروحي. فالصوفية الفلسفية بمفهوم الاتحاد والحلول ووحدة الوجود والفناء والإشراق هي بمثابة ضروب من تحريف الإسلام وتدميره وإخراجه من حقيقة الأصلية وجوهره الخالص إلى مفهوم الوثنيات والنحل التي جاء الإسلام لهدمها وكشف زيفها وإبراز فسادها.

وقد تخصص عدد من المستشرقين لهذا النوع من الفكر الإسلامي أهمهم ماسيون وجولدزيهر وجب وبرون وماكدونالد ومارجليوث ونيكلسون وفون كريمر، وقد جرت المحاولات لخلق تيارين مختلفين أحدهما يقول بأن التصوف

---

(٥) فنظرية التطور التاريخي عند ماسينيون تمثل أن الاسلام ما هو الا انعكاس للتدين المسيحي، والحلول المسيحي طور إلى الحلول والاتحاد والباطن حل في الظاهر كما زعم تلميذه هنري كوربان وأنه هو الاسلام الحقيقي!! (انظر مفهوم التاريخ لعبدالله العروي ص٣٨٦ والاستشراق السياسي لمصطفى نصر المسلاتي ص٢٥٧)

الفلسفي مصدره الإسلام. ويقول الآخر أنه ليس إسلاما. وقد اهتم المستشرقون بدراسة الفرق المنحرفة فدرس ماسينيون التصوف الفلسفي والباطنية والقرامطية والنصرانية واهتم بأهل الباطن والتأويل. واهتم أكثر من غيره بدراسة الاتحاد والحلول والإشراق ووحدة الوجود»[1].

كان «غرض» ماسينيون إحياء فكر «الحلاج» الممثل لهذه الفلسفة وإبرازها على القيم والمبادئ الإسلامية، وزحزحة العقيدة الإسلامية وإحلالها مكانها. حتى قال إدوارد سعيد عن الهدف من مشروع «ماسينيون» والنتيجة التي أدى إليه: «لقد قذف محمد(!) خارجا، ومنح الحلاج مكانة بارزة»![2]، فاعتبر ماسينيون الحلاج «بطل الإسلام الأعظم»[3]! بعد أن اشتغل بشخصيته زهاء أربعين سنة!! أما طبيعة الإسلام فإن «ماسينيون» و«سنوك هيرغرونج» ! وهما من المعلمين الكبار الذين دعانا أركون منذ قليل إلى الاستماع إليهم!! اعتبراها «دونية كامنة»[4] ولقد كان «ماسينيون» و«سنوك هيرغرونج» من الخمسة الذين قدم عنهم «جاك فاردنبرغ» في كتابه «الإسلام في مرآة الغرب» دراسة، تؤكد تحيزهم ضد الإسلام!

«لخمسة مهمين كصانعين لثورة معينة عن الإسلام»: «على درجة عالية من التحيز، بل حتى من العدوانية لدى أربعة منهم»[5] وعن تحالف «الاستشراق» مع «السياسة الغربية» فحدث ولا حرج[*]. فماسينيون، مستشرق سياسي من مستشاري وزارات الخارجية الأوروبية، وكذلك «هير غروغ»، وكانا يعملان لحساب

---

(١) المرجع السابق ص٤٥ .

(٢) (٣) الاستشراق لإدوارد سعيد ص١٢٧ .

(٤) المرجع السابق ص٢٢٠ .

(٥) المرجع السابق ص٢٢٠. ٢٢١ .

(*) في هولندا مثلا. عندما يكون هناك حدث هنا أو هناك في البلاد الإسلامية. نجد نشرات الأخبار تستدعي المستشرقين - أمثال المستشرق الخالد «بيس» - ليحلل للمشاهدين الوقائع والأحداث والعقائد والأفكار!!! (المؤلف يعيش في هولندا لمدة تزيد عن العشر سنوات ويرى من هذا الكثير والكثير!!)

الاستعمار. فلقد: «انتقل سنوك هير عروبنج مباشرة من دراسته للإسلام ليشغل منصب مستشار الحكومة الهولندية في الشئون الإدارية لمستعمراتها الإندونيسيه المسلمة. كما كان ماكدونلد وماسينيون يستشاران على صعيد واسع. من قبل الإدارات الاستعمارية كخبيرين بالقضايا الإسلامية (!) من شمالي إفريقيا إلى باكستان (!) وكما يقول فاردنبرغ (لكن بإيجاز مفرط) فإن الباحثين الخمسة في وقت ما، صاغوا رؤيا للإسلام كان لها تأثير واسع على الدوائر الحكومية عبر العالم الغربي بأكمله»[1].

فهذا عن معركة العقيدة (والفكر) والسياسة والقانون، أما عن معركة اللغة ففيما كان «بروكلمان» يسعى لإحياء اللغة العبرية القديمة عن طريق: علم اللغة المقارن[*] قام «ماسينيون» على الجانب الآخر. بالعمل على هدم العربية (لغة القرآن)!

«ولقد وقف ماسينيون في بيروت وكان همه أن يبث سمومه في الشباب السوري فزعم لهم أن كرامة اللغة العربية توجب أن تتفرع إلى لغات عديدة كما تفرعت اللغة اللاتينية (!). فيا سعادة الشرق العربي عندما تصير العربية إلى ما صارت إليه اللغة اللاتينية. فقد ماتت لغة الرومان إلى حيث لا رجعة.

وقال هذا المستشرق في محاضرة له في الكوليج دي فرانس: إنه لا حياة للغة العربية إلا إذا كتبت بحروف لاتينية[2]!!!

---

(١) المرجع السابق ص ٢٢١.

(*) عمل على تدوين سفر سيراخ بالعبرية. وهو أول من أثار تلك الشبهة الزائفة التي اعتمد عليها الاستشراق والتبشير وهي الادعاء بقسمة اللغة العربية إلى جنوبية وشمالية (مجلة الكتاب العربي. إبريل ١٩٦٩) وقد عرض لهذه الشبهة كثيرون في مقدمتهم العلامة دروزة في كتابه عن الإنسان والعربية، الموسوعة العربية الإسلامية (١٠) الفصحى لغة القرآن ص ١٤٤.

(٢) المؤامرة على الإسلام للجندي ١٣٨.

إذا انتقلنا مرة أخرى ـ بعد جولة مع أفكار المعلمون الكبار !ـ إلى علماء المذاهب الحديثة (العلمية ! !) الذين يطبق أركون أفكارهم ونظرياتهم على الإسلام بتسليم عجيب !، فنجد أن « أركون » تجاوز حدود كل أدب وكل فضيلة علمية وهو يقيم هذه المذاهب حكما وقيما على الإسلام والعقيدة الإسلامية .

وأول شيء يفعله أركون وهو يطبق نظرية « روكيش » و « ديكونشي » والتي ترمي العقل الإسلامي لاعتماده على القرآن بالانغلاق والضلال ، أول شيء يفعله أركون هو أنه يلقي الاتهام بلا روية فيقول : « مفهوم العقل غير موجود في القرآن »[1] !

ومع ذلك فإنه يقوم بـ « نقد العقل الإسلامي » وهو مشروعه التأسيسي ، المستمر فيه منذ نيف وعشرين سنة !

وتيمة « الدغمائية » أي التقليد والانغلاق وعدم التفكير والتصلب العقلي ، يوجهها أركون إلى الإسلام نفسه باعتبار أنه نصوص مغلقة على نفسها !

يقول أركون : « نود في ما يخص الدوغمائية أن نحيل إلى أعمال ب . ديوكنشي الذي كان نفسه قد نقل إلى فرنسا أعمال ملتون روكيش .

يُعرف التصلب العقلي المرتبط بالروح الدوغمائية بصفته : « عدم القدرة على تغيير الحكم أو الرأي (المتعلق بقضية ما) في الوقت الذي تطلب فيه الشروط الموضوعية حدوث ذلك »[2] . وفي كتاباته كلها وخصوصا كتابه الآخر المسمى « قضايا في نقد العقل الديني » : كيف نفهم الإسلام اليوم ؟ » والصادر حديثا عن « دار الطليعة » ، يؤكد أننا لن نتحرر من الدين إلا كما تحررت أوروبا عندما عالجت

---

(١) الفكر الإسلامي قراءة علمية ص ٢١١ .

(٢) المرجع نفسه ص ١٢٥

دينها ونقدته بكتابات «تنويرية!» في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ويقول بأن ذلك هو ما ينقصنا في بلادنا : تحرير العقل المسلم من الخضوع للقرآن !

يقول[١] "إن النضال الذي قامت به فلسفة التنوير والعقل الوضعي والمادية الجدلية ثم العلوم الإنسانية في يومنا هذا قد أدى إلى تغيير عميق إن لم يكن محو تام لمقولتي الغريب المدهش والفوق طبيعي (الخارق للطبيعة) .

يطبق أركون هذه الفلسفة على الإسلام ويعتبره فكر ديني مرتبط بالفكر الأسطوري والخيال الجماعي البدائي المنغلق وهو يسخر من خيال المؤمن(!) الذي «يستمتع ويلتذ بتأمل الحكمة اللا نهائية التي تدير النظام العجيب المدهش للكون والخلق» كما يسخر من الغيب"[١].ويقول قبل صفحات من اتهام القرآن بأنه ليس فيه مفهوم للعقل : «فيما يخص اللامؤمن أو الروح الوضعية كما نقول اليوم فإننا نجد على العكس أن العجيب المدهش ليس إلا تنازلا مؤقتا يقدمه العقل للإثارات والظواهر الخيالية»[٢]ثم يتهم القرآن بأنه ليس فيه «الفهم المنطقي الذي يطابق بين الفكرة الواضحة والحقيقة الخارجية عنها بصفتها حقيقة واقعية»[٣].

ألقى هذا الافتراء في محاضرة له ضمن المؤتمر العلمي الذي عقدته «منظمة تقدم الدراسات الإسلامية» بباريس عام ١٩٧٤ . وقد أهديت بحوث المؤتمر - كما ذكر د.هاشم صالح - إلى ذكرى المستشرق الفرنسي ريجيس بلاشير"[٤]!!!

وهو كلما وجد فرصة في المؤتمرات المسماة «علمية!» في القدح في القرآن، فإنه يقوم بانتهازها ليؤكد ولاءه للفكر الغربي الذي يدعي أنه لا يعطيه الولاء كله

---

(٥) في الفكر الاسلامي قراءة علمية ص١٨٨ .

(١) الفكر الإسلامي ص١٩١ .١٨٩
(٢) المرجع السابق ص١٩١ .

(٣) المرجع السابق ص١٩٤ .
(٤) المرجع السابق ص ١٨٧

وإنما ولاؤه لأمته وبلاده وأنه يرتبط بها ارتباطا مصيريا و«قدريا» ! ويعجب المرء من ادعاء أركون هذا ففي حين أنه يطعن بكل الصور والمذاهب !ـ الممكنة في القرآن والإسلام ككل. وبصورة شنيعة تخدم أهداف غربية أيديولوجية وتمكن للفكر الغربي وتتلاعب بعقول المسلمين وتثير الشكوك وتلقي الاتهامات، فيما يفعل ذلك يحاول أن يظهر في بعض المناسبات، أمام الجمهور المسلم أو في بعض كتاباته بأنه ضد الإعلام الغربي الذي تغذيه أحكامه المسبقة ضد الإسلام !

انظر إليه وهو يقول ـ وتعجب !ـ : «إن وسائل الإعلام هذه تغذي الأحكام المسبقة والتصورات الشعبية السائدة عن الإسلام(!) وذلك لأهداف أيديولوجية خاصة بكل مجتمع من المجتمعات الغربية . إن هذا الوضع يشابه تماما الطريقة التي تعامل بها وسائل الإعلام الغربية البلدان الشيوعية . إن وسائل الإعلام هذه تمارس عملية التلاعب بالرأي العام الداخلي أكثر مما تهدف إلى تقديم معلومات صحيحة»[(١)] !!

يحاول أركون هنا أن يحجب عنا حقيقة انتمائه لهذه الأيديولوجية الخاصة !. ويكتم حقيقة أكيدة وثابتة وهي أنه يمارس عملية التلاعب بالرأي العام الإسلامي وبطريقة تكاد تزول منها الجبال. إنها «المكر السيء» و«الاستكبار في الأرض» . يقول الله عز وجل عن ذلك : ﴿ اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ۝ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ

(١) الفكر الإسلامي قراءة علمية ص٥٩ .

وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾ [فاطر ٤٣، ٤٤] ﴿ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴾ [الطور: ٤٢].

إن العقل عند أركون هو المرجع الذي يحدد في نهاية المطاف غايات الشخص وغايات المجتمع أو قيم الشخص وقيم المجتمع ( ). هذا هو العقل المحترم عند أركون. أما العقل الذي يخضع للقرآن فإنه مرفوض عند أركون يثير الغثيان(**)! والمفروض - عند أركون - من العقل - كما قدمنا من كلامه - هو أن ينتزع سيادته وهيبته بديلا عن الوحي والشريعة بذلك يكسب استقلالية وإلا وقع في تعريف «روكيش» و«ديوكونشي» للدوغمائية! أي النزعة إلى الانغلاق والجمود والتقليد!

إنه يعتبر الإسلام مجموعة صارمة أو أجوبة جاهزة دوغمائية مرفوضة من اليقينيات أمام اللايقينيات - وذلك تبعا للمتون روكيش وديوكنشي - إن الإسلام على هذه الصورة مرفوض من قبل الغرب ونظرياته، ومن طرف أركون وتقليده للمذاهب الغربية.

(*) انظر كلامه في ذلك في كتابه تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص٣٦، ٣٧.

(**) قال أركون إن الأشعري يكرر - حتى درجة الغثيان، أن الحقيقة: هي حقيقة الله المتجلي في القرآن إن أركون يرفض حقيقة الوحي الإلهي انظر في ذلك تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص٩٨، ٨٨ [في هذا السياق يقول د. حسن حنفي: ولسوء الحظ ساد التصور الأشعري القائم على حاجة الإنسان إلى نبي ( ) أو وحي يهديه إلى الحق ويرشده إلى سواء السبيل - دراسات إسلامية ص٣٢٦. وكذلك يسخر أركون من الإمام الشافعي لخضوع عقله للوحي: «إن امتثال العقل الصحيح وخضوعه لسيادة القانون الإلهي يتجلى حتى في أسلوب كتابة الشافعي» نفس المرجع ص٧٥. ويقول بأن «العقل الإسلامي قد استهل بذلك الأمر وأساء إلى نفسه ولم يعد عقلا نقديا. وهو لا يعمه وقوف أي فتنة بالنقد ضد الفلسفة لأن السهم كان المفروض توجيهه تجاه الإسلام انظر تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص١٣، ١٤.

ولو دقق النظر جيدا في المواد التي يستعملها من الفكر الغربي لوجد أنها هي الدغمانية المغلقة على أفكارها الحاقدة العتيقة فهي لا تريد أن تتخلى عن تعصبها ضد الإسلام ولا تريد أن تنظر إليه كلا لا يتجزأ نظام حياة. يحقق غاية وجود الإنسان وأنه على غير ما تصوروه تماما، وغير ما أوحوا به في مناهجهم ومذاهبهم الفلسفية القديمة والحديثة ـ والاجتماعية ـ والتي تعتبر عندهم ـ أو عند كثيرون منهم ـ مسلمات لا يجوز للإسلام ـ على وجه الخصوص ! ـ أن ينقضها !

فاتخذوا أحبار الفلسفة وكهنتها أربابا من دون الله. فضلوا وأضلوا، واستخدموا العلم وسيلة للاستخفاء والتستر وهم فلاسفة خلص وزنادقة حتى أعماق أعماقهم.

وادعوا أنهم يعملون لصالح «الإنسان»، وهاهم قد جعلوه حيوانا منحدرا من عالم الحيوانات، وأطلقوا شهواته حتى تزاوج الرجال، وشذت النساء، وتهدمت الأسرة بعد انهيار الدين ورحيل الأخلاق ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۝ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [العنكبوت الآيات: ١٢، ١٣]

كذلك يدعونا د. محمد أركون إلى تطبيق منهجيات مدرسة الحوليات الفرنسية على القرآن وهي تهدف ـ كما سيأتي من كلامه ـ إلى إخضاع القرآن لمحك النقد التاريخي! يعرفنا د. هاشم صالح بتاريخ الحوليات هذا فيقول: «المناهج الجديدة: كالمنهجية الألسنية أو البنيوية. والمنهجية السوسيولوجية والأنتربولوجية، والمنهجية التاريخية. بالمعنى الحديث للكلمة أي تجاوز التاريخ الوقائعي أو الحدثي إلى التاريخ البنيوي العميق الذي يربض تحت السطح.. أصبح التاريخ الحديث يهتم بدراسة البنية العميقة للمجتمع في فترة ما. أقصد البنية الاقتصادية، والبنية الديمغرافية والبنية الاجتماعية. والبنية الدينية. الخ... وهذه المنهجيات الحديثة هي ما يدعى به «التاريخ الجديد» في فرنسا أو تاريخ الحوليات الذي أسسه لوسيان فيفر ومارك بلوك عام ١٩٢٩»(١). وطبعا. يتم إرجاع حقيقة الوحي إلى تأثير البنية الاجتماعية والاقتصادية والدينية كما فعل نصر أبو زيد تماما وادعى بأن الوحي منتج ثقافي يحمل تصورات أسطورية للجماعة الأولى!!

د. محمد أركون ونصر أبوزيد استعملا المنهجية الألسنية واللغوية وادعيا أنهما توصلا بذلك إلى ما تحت السطح وما وراء الرمز والمستويات الداخلية أو الخلفية في النصوص القرآنية!.. وعلى ذلك انتهيا إلى إنكار حقيقة الوحي وادعيا أنها إن هي إلا أساطير الأولين!

بيد أن العمل الرئيسي الذي حاولوا القيام به هو التمكين لهيمنة هذه المذاهب والفلسفات على الوحي القرآني.

---

(١) الاستشراق بين دعاته ومعارضيه ص٣٩.

يقول أركون: «نخضع القرآن لمحك النقد التاريخي المقارن والتحليل الألسني التفكيكي، وللتأمل الفلسفي المتعلق بإنتاج المعنى وتوسعاته وتحولاته وانهدامه»[1] يريد أن يمكن لـ«علوم الإنسان والمجتمع ومناهجها وتساؤلاتها كما هي ممارسة عليه اليوم في الغرب منذ ثلاثين سنة»[2] إنه يعطي السلطة والسيادة والهيبة لهذه العلوم باعتبارها تمثل العقل وإستقلاله الذي كلما كبرت مسؤلياته (!) - كما يزعم - فإنه يجعل المعرفة [الفلسفية. في الحقيقة!] ذروة عليا بديلا عن ما أسماها السيادات العليا الخارجية [كالوحي والشريعة، الخ...][3] فهو يرفض أن يعطي الهيمنة للوحي القرآني، ولكي يتمكن من قول شيء عنيف في هذا الموضوع، ومفاجئ في نفس الوقت، فإنه يستدعي قول سارتر الذي يؤكد فيه أنه: «يرفض أن يكون عميلا (agent) تابعا للهيمنة والسيطرة[4] - رفض أبوزيد أن يكون عبدا لله! - وأن يضع على المحك تلك الأيديولوچية التي كونته لكي يرفض قلقه»[5] فنموذج المثقف الذي حدده سارتر لا يمكن عند «أركون» إلا أن ينبثق في مجتمعات محررة من العقيدة - تلك الأيديولوچية!! - الدينية ولا يمكن أن يوجد إلا في ظروف حرية المعارضة - [المعارضة لمن؟!!] والاحتجاج [على من؟!!] ويتناسى «أركون» أن هذه المذاهب والفلسفات ليست - كما يزعم أصحابها - «أفكارا إنسانية» تنبع نبعا ذاتيا من كيان الإنسان بوصفه إنسانا وإنما هي انعكاس لظروف أوروبا المحلية البحتة[6] وتطورات الصراع بين

---

(١) تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص٥٦ .

(٢) المرجع السابق ص١١ .

(٣) انظر النص في الفكر الإسلامي ص١٧٩ .

(٤ ، ٥) تاريخ الفكر العربي الإسلامي ص٢٣٤ .

(٦) انظر مذاهب فكرية معاصرة ص٦ .

الدين الذي قال بصلب الله والفلسفة التي قالت بتاليه الإنسان! ـ أو العقل أو الطبيعة أوالحس أو المادة! ـ وهي نشأت مشوهة منحرفة كالمجتمعات التي ظهرت فيها والأجيال المنحرفة التي برزت إلى الوجود من خلالها[١] نشأت مشوهة ضحلة جزئية هزيلة متهافتة وأول دليل على ذلك أن الفلسفة تأكل نفسها وتحطم ذاتها وتبدل مذاهبها المثالية والوضعية والحيوية والإنسانية والشعورية والعقلية الإلهية وغير ذلك من مذاهب متناقضة يرمي بعضها بعضا بالحمق والجنون، واللامعقول[٥] وأما د. أركون فهو يدخل بيت «الاجتهاد الإسلامي» من الباب الخلفي وبدون أن يشعر أحد، وهو يحمل آخر حماقات هذه المذاهب التي يعتبرها مسلمات لا تُنقض وثوابت لا يجوز أن يتخلف عنها البحث العلمي!

تطبيقات أركونية هزيلة على سورة التوبة:

يقول عن الأوصاف التي وردت في سورة التوبة في شأن المشركين: «نلاحظ أن وصف المعارضين يختزل إلى كلمة واحدة هي: المشركون. لقد رُمُوا كليا ونهائيا وبشكل عنيف في ساحة الشر، والسلب، والموت دون أن يقدم النص القرآني أي تفسير أو تعليل لهذا الرفض والطرد»[٢]!!!

ويعجب المرء من هؤلاء الذين مكّن لهم الغرب وأعطاهم شهادات وألقاب مثل الأستاذ الدكتور البروفسور، كيف أعمى الله بصيرتهم فلم يروا العلل التي جعلت

---

(١) انظر دراسات في النفس الإنسانية ص٣٢٤، ٣٢٥.

(٥) يقول د. علي حرب «كشف مثيل فوكو عما ينطوي عليه الخطاب اللاعقلاني الديكارتي من ضروب الحمق والجنون واللامعقول» نقد النص ص١٥ هذا مثال واحد فقط.

(٢) الفكر الإسلامي قراءة علمية ص٩٦

القرآن يرفض هؤلاء المشركين ويجتبل عقائدهم ودوافعهم وتصوراتهم

وفي الواقع. فإن د. محمد أركون يطمس الحقائق ويحجب الأدلة ويعزل العلل والتفاسير لأجل ترسيخ بعض المفاهيم التي زينتها له هذه المذاهب الحديثة التي لا ترغب في الإيمان بالوحي ولا ترضى عن الإلحاد بديلا.

وهي المذاهب التي تدعي أنها تفحص وتدرس. وتضع كل شيء على المحك وتخضع كل شيء للدرس والنقض.

إن أركون الذي ادعى: «أنه لا يوجد أي حرء (أية ذرة) من أية تجربة (تجربة فيزيائية أو كونية أو بيولوجية أو بشرية أو أخلاقية أو دينية. الخ) تستعصى كليا على تفحص وتمحيص المناهج العلمية الاختصاصية»[١] قام بخداعنا ـ وهو مايتنافى مع الفحص المجرد والتمحيص الخالص ـ وهو يقوم بفحص سورة التوبة على أساس أنها تجربة دينية!

وذلك بأنه بنى على قوله السابق بأن القرآن في طرده للمشركين لم يقدم تعليل لذلك ولا تفسير، بنى على ذلك أن هذا الفعل من القرآن إنما هو «تشنجات قاسية»[٢] وعنف غير مبرر!

ثم إنه بعد هذا الخداع وتلك الاتهامات ذهب يقدم للغرب الهدية الكلية، التي يتوخاها من الكتاب والمفكرين العرب فقال بأن الرهان الديني: «يمارس دوره في كل الخطاب القرآني على هيئة دكتاتورية الغاية والنهاية المطلقة»[٣]!.

ويدعي في كتابه تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص١٠١ أن الناطق بهذا الرهان، والمرسل هو محمد (ﷺ) وذلك بحسب المؤرخ النقدي!، وليس الله!.

---

(١) تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص١٣٢ (٢) الفكر الإسلامي ص٩٦

(٣) الفكر الإسلامي ص٩٦

ويدعونا في نفس الصفحة إلى التخلي عن إيماننا ولو لحظة من اجل النقد ! «إنه لا يستطيع - يقصد المؤمن !- أن ينفصل عن إيمانه ولو للحظة واحدة من اجل مسافة نقدية ويدرس الأمور بشكل تاريخي وعلمي»[1] .

وها هو المؤرخ النقدي محمد أركون. الذي انفصل عن إيمانه كليا وليس للحظة واحدة يدرس الأمور بشكل ليس تاريخي وليس علمي تحت ادعاء التاريخية والعلمية معتمدا على استبصارات الاستشراق المزيفة وأوهام العلوم والمذاهب التاريخية والإنسانية والاجتماعية والنفسية الحديثة «الغربية !» فلو درس القرآن دراسة علمية حقيقية أو سورة التوبة على أقل تقدير. ونظر في الأدلة والأحكام. والحجج والبراهين، والحكمة والعلة التي يحتوي عليها وتظهر في كل أجزاءه وآياته لما ادعى أن القرآن يمارس دكتاتورية لا تقدم علة في حكمها على الأشياء أو الأمم والجماعات. أو القوانين والممارسات.

وفيما يخص سورة التوبة فإنها قد قدمت مثلها مثل بقية القرآن الكريم الوصف الحقيقي لحال وواقع المشركين العرب، والمنافقين الذين كانوا يتسترون بالإسلام لتدميره من الداخل كما يفعل اليوم د.أركون وأمثاله من الحاقدين .

وكذلك قدّم القرآن، وقدمت سورة التوبة على وجه الخصوص الصورة الواقعية لما كان عليه الأحبار والرهبان الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ويحيدون عن سبيل الله. وهي الحقيقة التاريخية التي أثبتها تاريخ الغرب نفسه فيما بعد وأثبت صدقها ! وليس في الدعوة إلى الجهاد - في سورة التوبة - ضد الذين يواجهون هذا

(١) تاريخية الفكر العربي الاسلامي ص١٠١

الدين بالقتال والتهديد. والحيلولة بينه وبين الناس اي دكتاتورية او تشنج

وفي الحقيقة فالدعوة إلى الجهاد في سورة التوبة، وفي السور الأخرى من القرآن. دعوة لحماية المعسكر الإسلامي الإيماني من أعدائه الذين يتربصون به الدوائر .

ولقد جاء الإسلام لتصحيح مسيرة البشرية وإعتاقها من العبوديات الزائفة التي وقعت فيها. ويدخل في ذلك عبودية الهوى والشهوة والمال (كما كان الحال في الإمبراطورية الرومانية !) جاء الإسلام ليقرر واقعا إنسانيا فريدا. لا ينعزل عن الله ولا ينعزل عن الحياة.

واقعا متوازنا ليس أسطوري ولا خيالي وإنما واقع إنساني حقيقي يستمد عقائده من الوحي الإلهي الذي سفه الأساطير وقدح في خيالاتها وأوهامها. كذلك لم يأت الإسلام ليقرر واقعا ماديا منحطا متعلق بالدنيا دون الآخرة، واقفا عند حدود الإنسان لا يتجاوزه، وإنما جاء الإسلام ليتجاوز بالإنسان عالم المحسوس إلى عالم آخر هو عالم الغيب، عالم سيرى يوم القيامة بالعين المحسوسة وسيأتي تأويله يوم تعرض أعمال البشرية يومئذ على الله .

« لقد جاء الإسلام ليغير واقع البشرية. لا يغير معتقداتها وتصوراتها ومفاهيمها مشاعرها وشعائرها فحسب ... جاء لينشيء لها واقعا آخر غير واقع الجاهلية ـ التي كانت تعيش فيها. والتي يمكن أن ترتد إليها في أي طور من أطوارها. وفي أي تاريخ من حياتها كذلك .. فالجاهلية وضع من أوضاع الحياة لا

فترة محدودة من الزمان . وهي تتمثل ابتداءا في عبادة الناس بعضهم بعضا . وفي عبادة الإنسان لهواه على وجه العموم .. وعبادة الناس بعضهم لبعض تتمثل في أن تكون الحاكمية في الأرض والتشريع للحياة حقا لبعض العباد على بعض . وعبادة الإنسان لهواه تتمثل في استقلاله بوضع التصورات والمذاهب والتشريعات والمناهج لحياته ـ في معزل عن منهج الله وشريعته ـ ثم ما يعقب هذا وذلك منه آثار في واقع الحياة . تنشيء «الجاهلية» في أي طور من أطوار التاريخ البشري بلا استثناء»[1] .

لذلك وقفت له جاهلية العرب بالمرصاد ، وتقف له الجاهلية المعاصرة بكل ما تملك من أسلحة فكرية ومادية لتحجب نوره عن الناس وتعبدهم لهوى بعض الذين يجلسون على أشلاءها ويستغلون إنسانيتها ويبددون حيويتها ويغمسونها في حمأة الشهوات المسعورة والحيوانية الدنيئة .

إن أخطر ما في «الجاهليات» هو جوهرها ، الذي يقوم على قاعدة دنيوية العباد للعباد وعلى عزل «قانون الله» عن الحياة .

كانت جاهلية العرب تقوم على تعدد الأرباب . وكانت «معبودات العرب تتمثل بعد الأوثان والأصنام في العبودية للقبلية . والعبودية لعرف البيئة وموروثات الآباء والأجداد والعبودية للهوى والشهوات»[2] .

كانت مظاهر هذه «الجاهلية» تتمثل في هذه الأمور . بالاضافة إلى وأد البنات

---

(١) مقومات التصور الاسلامي ص١٨

(٢) كيف نكتب التاريخ الاسلامي ص٤٧

وشرب الخمر ولعب الميسر وإرسال الإماء للزنى والكسب من وراء ذلك . كانت الدعارة - في صور شتى - من معالم هذا المجتمع[*] . كما روت عائشة في حديث البخاري في كتاب النكاح .

وكانت الخمر والميسر من تقاليد المجتمع الفاشية ومن مفاخرة كذلك[**] كان الظلم فاشيا في المجتمع ، تعبر عنه حكمة الشاعر : زهير بن أبي سلمى :

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه   يهدم ، ومن لا يظلم الناس يظلم

ويعبر عنه القول المتعارف : «انصر أخاك ظالما أو مظلوما»[1] .

كانت الجاهلية العربية - التي ينصرها د . أركون على الإسلام ! - تقتل البنات خشية الفقر والإملاق فنهى القرآن عن ذلك « **وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ**

(*) الدعارة اليوم من معالم المجتمع العربي . فهناك الشوارع القانونية ! . للدعارة . تدفع العاهرات الضرائب ويغتني اقتصاد الغرب . وهناك الصفحات الكاملة في الجرائد العادية - كما في هولندا - التي يعلن فيها أو تعلن فيها من يبيعون أجسادهم وأجسادهن - باللوطية أو المساحقة أو الزنا ! - عن نفسه أو نفسها وتترك تليفونها في الجريدة . وهي أشياء مصرح بها ! وحتى التليفزيون فإنه يعرض الإعلانات عن ذلك وتمارس أنواع الجنس العادية والشاذة في التليفزيون وتعرض البرامج العادية المناقشات حولها وتستدعي خبراء وعلماء النفس والاجتماع لإبداء الرأي في أحدث ما فيها . ولا يجد هؤلاء العلماء مانع من عرض هذه الفوضى الجنسية العارمة طالما هي لا تقتل أحدا بالسيف ولا تطلق على أحد الرصاص ! . إنها شيء إنساني راقي فلماذا لا يعرض في التليفزيون . هكذا يقولون . كل يوم !!!! أقول هذا . وأنا أعيش في هولندا ، مدينة لاهاي . التي فيها الشوارع القانونية - الغير معزولة عن المدينة والبيوت العادية بل هي في وسط المدينة ! - أعيش فيها لمدة تزيد عن العشرة أعوام ! . . . ومع ذلك ينتشر الإسلام في الغرب !!!

(**) محلات الساونا والسكس بار وغيرها من المحلات المنتشرة في الغرب - في هولندا مثلا - يوجد فيها ماكينات القمار أما عن الخمر فهي في كل مكان !

(1) ظلال القرآن بتصرف المجلد الثاني ص ١٠٠٧

نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا ﴾ وجاء الإسلام ليعدل هذه التصورات عن المرأة والرزق وهكذا تؤثر العقيدة الإسلامية في تعديل واقع البشرية وتنشيء آثارها في حياة الجماعة الواقعية. وتصحيح العقيدة ـ كما قال سيد قطب ـ ينشيء آثاره في صحة المشاعر وسلامتها. وفي سلامة الحياة الاجتماعية واستقامتها"(١).

كان بعض الأغنياء يتاجرون بإمائهم ويكرهونهن على البغاء ـ في الغرب وفي أمريكا على وجه الخصوص يتم إكراه البعض من النساء على ممارسة البغاء. وبعضهن تلجأهن الحاجة فيستغلهن المتاجرون. قانونيا!. بأعراض النساء. والبعض الآخر يمارس البغاء ـ زعمن! ـ تحضرا وحرية وإظهارا لنعمة الجسد !! ـ

.. فلما أراد الإسلام تطهير البيئة الإسلامية حرم الزنا بصفة عامة، وخص هذه الحالة بنص خاص: ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم ﴾ هذا النهي عن إكراه الفتيات على البغاء ـ وهن يردن العفة ـ ابتغاء المال الرخيص كان جزءا من خطة القرآن في تطهير البيئة الإسلامية، وإغلاق السبل القذرة للتصريف الجنسي، ذلك أن وجود البغاء يغري الكثيرين لسهولته، ولو لم يجدوه لانصرفوا إلى طلب هذه المتعة في محلها الكريم النظيف"(٢).

نعم: التقط الإسلام العرب من سفح الجاهلية في التقاليد والعادات والأخلاق والصلات الاجتماعية.. كان قد التقطهم من سفح البنت الموءودة. والمرأة المنكودة، والخمر والقمار والعلاقات الجنسية الفوضوية. والتبرج والاختلاط مع

---

(١) المرجع السابق. المجلد الرابع ص٢٢٢٣

(٢) ظلال القرآن المجلد الرابع ص٢٥١٦

احتقار المرأة ومهانتها. والثارات والغارات والسلب والنهب. مع تعرف الكلمة[1].

كل ذلك يحدث. بالإضافة إلى مواجهة المشركون للمسلمين في بداية الدعوة. رافضين عبودية الله وحده. والإصلاحات التي جاء بها الإسلام لتغيير المجتمعات وتغيير النفوس .. أوذي المؤمنون في مكة. وقتل بعضهم. وفيهم سمية أم عمار بن ياسر رضي الله عنها وكذلك زوجها «ياسر» أبو عمار رضي الله عنه . واضطر فريق إلى الهجرة إلى «الحبشة». نجاة بنفسه من التعذيب البشع، وفرارا بدينه إلى مكان آمن.

مما جر قريش إلى إعمال الحيلة في تأليب النجاشي عليهم بعد أن استولت على أموالهم وديارهم. كذلك فقد اضطر الرسول ﷺ إلى الهجرة أيضا ولكن إلى المدينة المنورة التي كان قد أسلم من أهلها الكثير .. الشيء الذي هيج قريش على الإسلام والمسلمين .. هذا غير تحالف أحزاب قريش وغطفان مع اليهود - الذين كانوا قد وقعوا مع الرسول وثيقة تعايش وحماية ! - لحرب الرسول في المدينة!

فأي ديكتاتورية وجدها أركون في القرآن وهو - أي القرآن - قد جاء ليهدي العرب - بل والعالمين - إلى الدين الذي يخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن التظالم والفساد الاجتماعي إلى العدل والإصلاح؟!

كيف لم يجد د. أركون أي تفسير أو تعليل لموقف الإسلام من المشركين العرب - أو من المنافقين أو اليهود والنصارى! - أهي فيزيائياته التي أعمت بصيرته أم ضلال مذاهب الدكتاتورية الفكرية التي طمست على روحه وحجبت عنها الواقع والتاريخ ونور القرآن، والعلل والتفاسير؟!

---

(١) المرجع نفسه المجلد الثاني ص ٨٤٥

هل الدكتاتورية التي زعم اركون أنها تلف القرآن كله ـ وخصوصا سورة التوبة ـ هي في فضحه للمنافقين امثال اركون ؟

إن أطول مقاطع سورة التوبة تكشف المنافقين وتعريهم من أخبث أسلحتهم وهي المقاطع التي تستغرق نصف السورة. تفضح أحوالهم النفسية والعملية يصاحب هذا الكشف تحذير الخلصاء من المؤمنين من كيدهم وشر نفوسهم وتصفهم بأنهم «أئمة الكفر»(١)!

ولو تدبرنا صفاتهم لوجدناها هي هي صفات المنافقين من العلمانيين ومنهم د محمد أركون عبد «السربون» و«المذاهب الغربية الحديثة» .

فمن صفاتهم «ابتغاء الفتنة» ـ وهو عمل أركون ـ : ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ [التوبة : ٤٧، ٤٨]

الكفر بالله ورسوله ـ وهو ما يقوم عليه مشروع أركون كله ـ : ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ [التوبة الآية : ٥٤] وأركون لا يصلي ولا ينفق !

الاستهزاء ـ وهو المهيمن على فكر أركون ـ : ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة : ٦٤]

الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف والفسق وقبض اليد : ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ

---

(١) أنظر كلام سيد قطب في الظلال عند هذه النقطة

بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون ﴾ التوبة: ٦٧، وفي الآية ذكر موالتهم بعضهم لبعض ونسيانهم الله!!

كالذين من قبلهم، خاضوا كالذين خاضوا: ﴿ كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون ﴾ التوبة: ٦٩

القدح في النبي وأذيته ـ وهو ما يقوم به أركون وقدمنا النصوص على ذلك ـ ﴿ ومنهم الذين يؤذون النبي ﴾ التوبة: ٦١ . وأنواع الأذى مختلفة: ﴿ والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم ﴾ بقية الآية السابقة

التربص بالمؤمنين: ﴿ قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا إنا معكم متربصون ﴾ التوبة: ٥٢

التولي بإعراض وفرح! ﴿ ... ويتولوا وهم فرحون ﴾ التوبة: ٥٠ ﴿ ... وتولوا وهم معرضون ﴾ التوبة: ٧٦ ونشوة أمام الجماهير الغربية في المحاضرات الأوربية!!

الحلف بالله أنهم من المسلمين وما هم من المسلمين: ﴿ ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون ﴾ التوبة: ٥٦ ويفرقون أي يخافون!

الارتياب: ﴿ وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون ﴾ التوبة: ٤٥

الغمز واللمز والطعن : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ .. ﴾ [التوبة ٥٨]

وسورة التوبة تغيظ أعداء الإسلام من المستشرقين وأساتذة العلمانيين العرب والعلمانيين العرب أنفسهم، ومنهم أركون :

فهي تصف الرسول على غير هوى هؤلاء الحاقدين : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٢٨]

وتصف الإسلام بالدين القيم : ﴿ .. ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ .. ﴾ [التوبة : ٣٦]

وأنه النور الذي يظنون أنهم يستطيعون إطفاءه بأفواههم !

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [التوبة : ٣٢]

وتصف «المهاجرين» بالعفة والطهارة وسماحة النفس وبذلها في سبيل الله والحفظ لحدوده : ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة : ١١٢]

سورة تدعو إلى الصدق الذي تأباه كل جاهلية كاذبة مخادعة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة : ١١٩]

وتخالف ما قاله الحاقدون من المستشرقين والمستغربين في صحابة رسول الله : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١٠٠]

رضي الله عنهم ولم يرضى عنهم المستشرقون والعلمانيون الحاقدون. وتاب عليهم ﴿ لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة ﴾ | التوبة: ١١٧ |

وتخبر الناس الحقيقة عن اليهود والنصارى - حقيقة لا يستطيع أي تاريخ إنكارها !: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله ﴾ | التوبة: ٣٤ |

وأن عقائدهم هي عقائد الأمم الوثنية: ﴿ وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴾ | التوبة: ٣٠ |

وأنهم: ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾ | التوبة: ٣١ |

سورة تدعو إلى الجهاد. جهاد الكفار والمنافقين على السواء!: ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ﴾ | التوبة: ٧٣ |

وتدعو إلى إنفاق النفس والمال في سبيل الله: ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴾ | التوبة: ١١١ | ليس مقاتلة المستقيمين من المشركين ولا المستجيرين. وإنما قتال المعتدين على الدعوة وأهلها: ﴿ فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين ﴾ | التوبة: ٧ | ﴿ وإن أحد من المشركين

الغمز واللمز والطعن : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ... ﴾ [التوبة: ٥٨]

وسورة التوبة تغيظ أعداء الإسلام من المستشرقين وأساتذة العلمانيين العرب والعلمانيين العرب أنفسهم. ومنهم أركون

فهي تصف الرسول على غير هوى هؤلاء الحاقدين: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨]

وتصف الإسلام بالدين القيم: ﴿... ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ.. ﴾ [التوبة: ٣٦]

وأنه النور الذي يظنون أنهم يستطيعون إطفاءه بأفواههم!

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [التوبة: ٣٢]

وتصف «المهاجرين» بالعفة والطهارة وسماحة النفس وبذلها في سبيل الله والحفظ لحدوده: ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ١١٢]

سورة تدعو إلى الصدق الذي تأباه كل جاهلية كاذبة مخادعة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩]

وتخالف ما قاله الحاقدون من المستشرقين والمستغربين في صحابة رسول الله: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠]

رضي الله عنهم ولم يرض عنهم المستشرقون والعلمانيون الحاقدون. وتاب عليهم ﴿ لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة ﴾ [التوبة: ١١٧]

وتخبر الناس الحقيقة عن اليهود والنصارى - حقيقة لا يستطيع أي تاريخ إنكارها !: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله ﴾ [التوبة: ٣٤]

وأن عقائدهم هي عقائد الأمم الوثنية: ﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴾ [التوبة: ٣٠]

وأنهم: ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾ [التوبة: ٣١]

سورة تدعو إلى الجهاد. جهاد الكفار والمنافقين على السواء!: ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ﴾ [التوبة: ٧٣]

وتدعو إلى إنفاق النفس والمال في سبيل الله: ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴾ [التوبة: ١١١] ليس مقاتلة المستقيمين من المشركين ولا المستجيرين. وإنما قتال المعتدين على الدعوة وأهلها: ﴿ فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين ﴾ [التوبة: ٧]. ﴿ وإن أحد من المشركين

اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة: ٦]

ومن آمن منهم فإخوانكم في الدين . ﴿ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة: ١١]

أخطاء مضحكة لأركون فيما يخص آيات سورة التوبة

يقول عن المجاهد في سبيل الله وطبيعة ما يلاقيه في جهاده: وفي الجهاد في سبيل الله ﴿ ..لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ .. ﴾ [التوبة: ١٢٠] [١].

وهو هنا ينفي ما أثبتته الآية الكريمة فيما يخص ما يلاقيه المجاهد من نصب وظمأ ومخمصة ومشقة. والمدهش أنه استخدم الآية لينفي ما تثبته!

فالآية تقول: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ الآية بعدها تكملة لها: ﴿ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ فالله يجازيهم على هذه المشقة، وهذا الجهاد بأفضل ما عنده. لكن أدعياء البحث العلمي أمثال د.أركون يحرفون البديهيات، وينفون ما تنطق به الآيات.. وهم ورثوا ذلك عن المستشرقين. والقارئ لكتاب د. عبدالرحمن بدوي «دفاع عن القرآن ضد منتقديه» يرى من ذلك الكثير.

---

(١) الفكر الإسلامي. قراءة علمية ص١٠٣

أن الدكتور أركون يخلط بين الأحكام المذكورة في سورة التوبة. والتي تخص المنافقين من عدم الصلاة عليهم والأمر بعدم زيارة قبورهم. وبين الأحكام التي تخص المشركين المحاربين كقتالهم وحربهم. يقول عن موقف رسول الله: «فمثلا نجد أنه ينبغي عليه أن يرفض الصلاة على أي واحد منهم (أي من المشركين) عندما يموت وينبغي عليه ألا يقف أمام قبره: ﴿ **ولا تُصلِّ علَى أحدٍ منهُم مَّاتَ أبدًا ولا تقُمْ علَى قبْرِهِ إنَّهُمْ كفرُوا باللهِ ورسُولِهِ وماتُوا وهُمْ فاسقُون** ﴾ [التوبة: ٨٤] وينبغي عليه أن يرفض انضمامهم إلى الجهاد لو طلبوا ذلك. على العكس ينبغي أن يقتلهم وأن يخوض المعركة ضدهم دون شفقة أو رحمة»[١].

في هذا النص «خبطة» كثيرة. وخلل كثير. فأركون يجعل الذين أمر الرسول برفض الصلاة على أي واحد منهم هم المشركين في حين أن الآية تقول بأنهم «المنافقون» وليس «المشركين»!

ثم كيف يطلبون الجهاد مع الرسول وهم من «المشركين»؟! وأين في سورة التوبة الأمر بأن الرسول ينبغي عليه بدل أن يضمهم إلى «الجهاد» أن يقتلهم؟

إن الأمر. في هذه الآية (٨٤) يتعلق بالمنافقين لا المشركين. ولم يؤمر الرسول قط بقتلهم. بل لقد قال ﷺ بأنه يخشى من قتلهم أن يحدث الناس بأن محمدا يقتل أصحابه وذلك لأن المنافقين كانوا داخل الصف المسلم. أي مع الرسول. ولم يكونوا من الصف الخارجي «المشركين» إلا في الباطن!

نعم أمر القرآن بجهاد المنافقين. وهناك الجهاد باللسان والبيان وهو ما فعله رسول الله. وهناك الجهاد بالقتل وهو ما لم يؤمر به.

---

(١) الفكر الإسلامي قراءة علمية ص١٠٣

إن مشروع أركون التحليلي هربل؛ معرض وليس فيه رائحة منهجية علمية او مصداقية حقيقية. فتحريفه للمعاني والحقائق على الصورة المتقدمة يؤكد انه كالمستشرقين الذين وصفهم الدكتور عبدالرحمن بدوي بالجهل باللغة العربية وضحالة ونقص معلوماتهم ونقل الأكاذيب حول القرآن والإسلام بعضهم من بعض وتأكيدهم لها وأن كتاباتهم غارقة في الخداع والسطحية والتعصب[1]، وما نقد د.أركون للقرآن إلا هزال خطابي وعطب منهجي يتستر بالإسلام ويتدثر بالموضوعية التي يفتقدها. تراه يقول: «ينبغي إذن على المفكر المسلم أن يناضل على جبهين من أجل أن يشق طريقا نحو فكر حر وخالص من كل تبعية(!) غير مشروطة، ثم يكون في الوقت نفسه مصداقيا(!) ومقبولا»[2]!!

يقول ذلك باعتبار أنه «مفكر إسلامي» يتحلى بالموضوعية.. يجب على الباقين الاقتداء به!

الاقتداء به في نقده للقرآن والحديث والفقه، يقول: «إن النقد التاريخي المُطبَق على القرآن والحديث والفقه، والذي طبَق سابقا على الشعر الجاهلي والخلافة، كان قد أثار، ولا يزال يثير حتى الآن. ردود فعل عنيفة من قبل المجتمع الذي يشعر بأنه مهدد في حقائقه المطلقة وقيمه المحورية»[3]!

هذه الحقائق التي يزعم أركون أنها «أصول مخادعة تختبيء وراء الشعارات «الدينية» المستبطنة على هيئة حقائق منزلة»[4]!

---

(١) انظر مقدمة دفاع عن القرآن ضد منتقديه ص١٦

(٢) الفكر الإسلامي. قراءة علمية ص١١٨

(٣) المرجع السابق ص١١٩

(٤) تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص٢١

هذه الحقائق التي يدعي أن المؤرخ النقدي - يقصد نفسه والمؤرخين المريقين أمثاله - اكتشف أنها أصول « الناطق الأكبر .. محمد »[1] !! وليس كلام الله كما يؤمن المؤمنون.

ولذلك تجده ينصف زنادقة القرامطة. وينصف الذين قدحوا في القرآن ممن قال عنهم بأنهم أصحاب « الاتجاهات الإنسانية » ويعتبرهم مثال: « العقل الذي يناضل ضد العبودية التي تصيب الوجود البشري »[2].

حتى أنه ينصف « العرب الذين اعترضوا على الرسالة الإسلامية » لما يجده من اشتراك بينه وبينهم - فيما يزعم - من عقلانية ضد الوحي والحق. ومن إيمان باخس ورفض للإيمان بالبعث: « في زمن محمد كانت المعرفة العقلانية المرتكزة على التجربة المحسوسة تؤكد منذ ذلك الوقت على حقوقها وتطالب بها »[3].

لكنه على الجانب الآخر، ولسبب أنهم كانوا يؤمنون بالله - وإن عبدوا غيره - ويؤمنون بالغيب. فإنه يرميهم بأنهم كانوا مازالوا منفتحين على المعرفة الأسطورية!: « .... ولكن « القلب » كان آنذاك لا يزال مفتوحا على العجيب الساحر (أي الظواهر الخارقة) ومنفتحا على المعرفة الأسطورية ومتقبلا لها »[4].

إنه يرفض هيمنة « الوحي » على « الجاهلية » ويطالب بديموقراطية ترفض ما أسماه اتجاه الخط الواحد « الذي أدخله القرآن »[5]. ديموقراطية لا تجعل الهيمنة للوحي على الاتجاهات الإنسية. فلا سلطان لأحد على أحد في هذه الديموقراطية

---

(1) المرجع السابق ص ٩٩

(2) الفكر الإسلامي. قراءة علمية ص ٧٨ وانظر أيضا ص ٥٢، ١٦٨، ١٧٠

(3، 4) المرجع السابق ص ٤٦ (5) المرجع السابق ص ١٣٣، ١٤١، ١٤٢

ولذلك فإن «المسلمين» «المناضلين من أجل الإيمان يهددون بالخطر كل الأنظمة القائمة»[١]!!

وخطاب علماء المسلمين - بزعمه - : «خطاب عدواني واستبدادي ومناقض لأبسط الحقائق العلمية»[٢] ولماذا؟

لأنه خطاب ينوب عن الأمة ويقف في وجه الفكر الغربي المنحرف، الأمة - يقول - التي «يمثلها اليوم الأيديولوجيون من أمثال أنور الجندي لكي يمنعوا دخول العلم الغربي إلى ساحة الفكر العربي الإسلامي»[٣].

هذا هو «مكر» الدكتور محمد أركون. واحد من المنافقين في القرن العشرين.

وهو من غلاة «العلمانيين» الذين يرفضون «الإسلام» كله. ولا يريدون أن يعلو للإسلام صوت ولا تبقى لرموزه ورجاله هيبة أو كرامة[٤] إنه من : عبيد الفكر الغربي كما قال الدكتور يوسف القرضاوي.

* * *

---

(١) المرجع السابق ص٨٩.

(٢) تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص١٣٩، في الهامش.

(٣) الفكر الإسلامي ص١٢٩.

(٤) انظر مقالة بعنوان «شيوخنا المفترى عليهم» من كتاب «المقالات الخطيرة» للأستاذ فهمي هويدي ص١١٤ وانظر في نفس الكتاب مقالة بعنوان «عن العلمانية وتجلياتها» ص٢٣٩.

الفصل الخامس

﴿ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾

[سورة الرعد الآية : ٤٢]

يقول د/ حسن حنفي : « الإلحاد هو : التجديد .. هو التحول من القول إلى العمل، ومن النظر إلى السلوك، ومن الفكر إلى الواقع .. إنه وعي بالحاضر .. درء للأخطار .. بل هو المعنى الاصلي للإيمان .. »!!

من كتابه (التراث والتجديد) ص ٦٧ .

طبق د. حسن حنفي فلسفة الفيلسوف العربي «فيورباخ» على علم «التوحيد» في الإسلام، فقال بأن «الله» ليس إلا «الإنسان» مغتربا فيه!

«ليس واجب الوجود كائنا مشخصا يحس ويشعر، يسمع ويرى، يتكلم ويريد، بل هو المثل الإنساني الأعلى وغاية الإنسانية القصوى»[1]!

فيزعم تبعا لفلسفة «فيورباخ» في «الاغتراب الديني»[*]. أن الإنسان عندما يفقد وعيه بنفسه يغترب عنها فيعطي الكمال لآخر، وعندما يسترد وعيه وشعوره بحقيقة نفسه لا يجد نفسه مضطرا إلى الوعي الزائف، وهو تأليه الآخر!

يقول: «في اللحظة التي يقل فيها وعي الإنسان بوجوده ويغترب في العالم فإنه يُشخص وجوده في وجود آخر متجاوزا به عن وجوده المأسوي في وجود آخر أرحب، عن طريق الخيال(!)، تعويضا عن وجوده الهش المتأزم، وجلبا للطمأنينة والسلام حتى يعيش في وفاق مع نفسه وفي وئام مع العالم من خلال الوعي الزائف... وإنها لمهمة الإنسان ومسئوليته إن شاء أن يسترد وجوده بعد أن أعاره لغيره في لحظة ضعف وهوان»[2]!

فما الله عند حسن حنفي إلا خيال تم في ميدان العمليات الشعورية الخالصة داخل النفس البشرية في اللحظة التي يقل فيها وعي الإنسان بوجوده، لحظة

---

(1) من العقيدة إلى الثورة جـ1 ص468.

(*) لفيورباخ كتاب «ما هي المسيحية» وفيه شرح فلسفته. وله مؤلفات أخرى مثل «مبادئ فلسفة المستقبل» و«ضرورة إصلاح الفلسفة» و«دعاوى مؤقتة لإصلاح الفلسفة» و«مساهمة في نقد فلسفة هيجل».

(2) من العقيدة إلى الثورة جـ2 ص107

اعتراب الإنسان ! . وهو ـ أي حنفي ـ يريد بالفلسفة التي قلد فيها « فيورباخ » فلسفة الاعتراب الديني ا ان يرجع الإنسان إلى عقله ورشده بنبذ الشعور بالإله لأنه عنده « وعي زائف » كما تقدم من كلامه . فالأصل عنده هو : « إرجاع المسألة إلى نشأتها في التجربة الإنسانية حتى تعود الإلهيات إلى نشأتها الأولى في الانسانيات ، وبدلا من الإيهام بإله خارج العالم يجد فيه الإنسان وجوده المغترب ! . يقضي الإنسان على اغترابه (!) ويعود إلى ذاته كوجوده في العالم »(١) !

فعند حنفي إثبات وجود الله نفي لوجود الإنسان ! ولا شك أن هذه الفلسفة هي محصلة ردود فعل عنيفة تمتد لقرون على انحرافات الكنيسة الغربية التي أهانت الإنسان وجعلته نجسا بوراثة الخطية . وهي الفلسفة التي تبناها العالم الغربي في القرون الثلاثة الأخيرة ورسختها أفكار فرويد وماركس ودوركايم (بيهود !) وكانت هي المبدأ الذي انبنت عليه كل الفلسفات الغربية الحديثة والتي تؤمن بالمادة وتنكر وجود الله عز وجل . وتعلن استقلال الإنسان !

.. وكان أن د . حنفي تبنى نظرية الاغتراب الديني لفيورباخ . والتي تنكر وجود الله عز وجل وترجع كل شيء إلى خداع « الشعور » الإنساني في لحظات التردي الإنساني ! يقول حنفي : « البراهين على وجود « الله » لا تثبت شيئا في الخارج بل تكيف الشعور مع ذاته . ومحاولة الذهن إعطاء أساس نظري لعواطف التأليه »(٢) .

ويقول : « ويكشف أي دليل على إثبات وجود « الله » على وعي مزيف »(٣) وسمى هذا الوعي « الوعي الخالص » : « التوحيد لا يعني إثبات ذات شخصية فاعلة خارج العالم والإنسان بل يعني وجود الوعي الخالص داخل

---

(١) المرجع السابق جـ٢ ص٣٧٧ (٢) المرجع السابق جـ٢ ص٦٠

(٣) المرجع السابق جـ٢ ص٤٤

الإنسان»[١]

فالتوحيد لا يعني عند د. حنفي إلا وعي داخلي مزيف داخل الإنسان و-يقول-: «الذات الإلهية هي الذات الإنسانية في أكمل صورها»[٢]!!

ذلك يحدث - بزعم حنفي - عندما يحقر الإنسان نفسه ويعظم الآخر الموهوم بزعمه يقول: «أليس نفس الله هي نفس الإنسان مدفوعة إلى أعلى، صورة مكبرة لصورة أصغر بدافع التعظيم والإجلال، إقلالا من شأن الذات، وتعظيما من شأن الآخر»[٣].

«الله لا يثبت إلا في حال العجز. ويكون تعبيرا عن الضعف الإنساني»[٤].

«كل حديث عن الله هو حديث عن الإنسان. يتوهم الإنسان(!) أنه يتحدث عن الله في حين أنه يتحدث عن نفسه»[٥].

وهو يعتبر الثناء على الله كالثناء على السلطان - يقول - :«كلاهما قضاء على الذاتية ذاتية الأفراد وذاتية الشعوب»[٦]!

وهو يدعو إلى انتهاك ما أسماها !-المحرمات- كما نادى أركون من قبل !- والمقدسات!

«إن مأساتنا مع جماهيرنا الحالية هو إيمانها بالمقدسات التي وصلت إلى حد المحرمات Tabous التي لا يمكن تناولها أو التفكير فيها أو التعرض لها بالبحث والتحليل، وعلى رأسها ثلاث :الله، والسلطة. والجنس»[٧].

---

(١) المرجع السابق جـ٥ ص٢٠.
(٢) المرجع السابق جـ٢ ص٥٨٨.
(٣) المرجع السابق جـ٢ ص٤٤٧.
(٤) المرجع السابق جـ٢ ص١٤.
(٥) المرجع السابق جـ١ ص٨٧.
(٦) المرجع السابق جـ١ ص٢٠، ٢١.
(٧) المرجع السابق جـ١ ص١٢٧.

والتعبير عن الإيمان بمضمون الإيمان هو ضياع للعلم عند حنفي عند فيورباخ والفكر الغربي : «إن التعبير عن مضمون الإيمان كإحدى المسلمات هو نقد للبرهان، وهدم للاستدلال، وضياع للعلم»[1]

أما الكفر فإنه شيء جيد عند المؤمن بالعرب الملحد د. حنفي. يقول : «الكفر ليس تعصبا أو إيمانا بعقيدة مضادة أو حتى أزمة نفسية أو تقليدا (!) بل هو كفر واع (!) بناء على تحليل لتصورات الإنسان عن الألوهية في لحظات ظهورها في التاريخ»[2]. وهكذا أصيب د. حنفي بلوثة الإلحاد التي لوثت بها (أوروبا فلسفة التنوير) وجه العالم وامتدت في المذاهب الوضيعة المادية، كما امتدت إلى الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية الغربية. ونشأت مذاهب «علمية!» في هذه الأوضاع حطمت قيم الإنسان ومزقت روحه وأطلقته كالحيوان البهيم لا يحترم لا إلهه الذي سواه وخلقه ولا آدميته التي خلقه الله عليها وكرمه بها[3].

.. فبينما يرقى الإنسان الغربي في العلوم التجريبية يهبط إلى أقل من الإنسان فيما يخص عالم الإنسان يقول (كاميل فلاماريون) في كتابه (تعرف قدرة الله في الطبيعة) «إن من التناقض البين المؤلم للنفس أن نرى أن الرقي الباهر الذي حدث في العلوم مما لا مثيل له في التاريخ، وأن هذه الفتوحات المتوالية التي تمت للإنسان في الطبيعة، بينما رفعت عقولنا إلى الدركات العالية، أهبطت إنسانيتنا إلى أخس الدركات؟»[4]!

إن هذه القشور من العلم - بالمقياس بما في الكون من علوم - التي توصل الإنسان

---

(١) المرجع السابق حـ١ ص٥ (٢) المرجع السابق حـ١ ص٢٦

(٣) انظر في ظلال القرآن، المجلد الرابع ص٢١٣١. ٢١٦٧ والمجلد الخامس ص٣٠٦٩. ٣٠٥٥.

(٤) كتاب المستقبل للإسلام. محمد فريد وجدي ص٥٠

إليها جعلته يزعم أن الإنسان قد خضع لله بسبب عجزه وجهله كما قال جوليان هكسلي في كتابه (الإنسان في العالم الحديث وهو دارويني ملحد. وهي نفس كلمات «فيورباخ» ود. حسن حنفي وكل الذين لا يؤمنون إلا بالحس والمادة ويكفرون بما وراء ذلك مما لم تصل أيديهم إليه من العلم، نعم، فرحوا بما عندهم من العلم، وهو صغير جزئي إذا ما قورن بما في الكون من علوم وغيوب أودعها الله فيه.

وهم حين يطلقون قمرا صناعيا صغيرا، يدور حول الأرض أو حول الشمس فترة محدودة من الزمان يظنون أنهم قادرون على كل شيء «بينما هم يمرون على الأرض والشمس والقمر - والكون كله - في غفلة بليدة - فلا يلقون إلى هذا المشهد الرائع الرائق الباهر إلا نظرة عابرة ساذجة .. أو مطموسة[1]!!

إن المسألة ليست شعور مزيف كما يزعم حنفي وفلاسفته الذين أخذ عنهم ولكنها حقيقة مادية ملموسة تتمثل في دقة هذا الكون وانضباطه واتساقه بعضه مع بعض، يقول العالم «ميربث ستانلي كونجدن» : «نستطيع بطريقة الابتدلال والقياس بقدرة الإنسان وذكائه في عالم يفيض بالأمور العقلية أن نصل إلى وجوب وجود قوة مسيطرة مدبرة على هذا الكون. تدبر أموره وتعيننا على فهم ما يغمض علينا من أمر منحنيات التوزيع وضرورة الماء في الطبيعة وضرورة ثاني أكسيد الكربون فيها وعمليات التكاثر العجيبة وعمليات التمثيل الضوئي ذات الأهمية في اختزان الطاقة الشمسية وما لها من أهمية بالغة في حياة الكائنات الحية وما لا يحصى من عجائب هذا الكون إذ كيف يتسنى لنا أن نفسر العمليات المعقدة المنظمة تفسيرا يقوم على أساس المصادفة والتخبط العشوائي، وكيف نستطيع أن

(١) مقومات التصور الإسلامي ص ٤٨

يفسر هذا الانتظام في ظواهر الكون والعلاقات السببية والتكامل والعرضية والتوافق والتوازن التي تنظم سائر الظواهر وتمتد آثارها من عصر إلى عصر . ؟

كيف يعمل هذا الكون دون أن يكون له خالق مدبر . هو الذي خلقه وأبدعه ودبر سائر أموره . إن جميع ما في الكون يشهد على وجود الله سبحانه وتعالى ويدل على قدرته وخلقه (١) .

إن الشعور الإنساني الذي يشعر بالحاجة الذاتية إلى الله عز وجل هو شعور حقيقي يرقيه العلم والمعرفة والنظر في الكون ويزيده الوحي وتثبته النبوة ويؤكده الواقع . وهذا التناسق في تصميم الكون - والإنسان والحيوان والنبات وكل شيء في الكون المادي - لا يكون إلا ووراءه يد تنسقه وحكمة تقدره . وإرادة تدبره كما قال سيد قطب في ظلال القرآن : « يدرك هذا بقلبه وحسه كل إنسان حين يوجه مشاعره هذا التوجيه . فإذا ارتقى في العلم والمعرفة تكشفت له من هذا التناسق آفاق ودرجات تذهل العقول وتحير الألباب . وتجعل القول بأن هذا كله مجرد مصادفة قولا تافها لا يستحق المناقشة كما تجعل التهرب من مواجهة حقيقة القصد والتدبير في هذا الكون مجرد تعنت لا يستحق الاحترام (٢) !

حقا . إن الأمر كما قال الشيخ محمد الغزالي : « إن إنكار الألوهية لون من البهيمية ، وما أرى الإلحاد إلا عملا جديرا بالاحتقار كله . . (٣) » . . في جلدي مائة ألف شعرة كما يقول علم الأحياء بعضها يحلق ويحل غيره مكانه ! وبعضها يبقى من المهد إلى اللحد !

---

(١) الله يتجلى في عصر العلم مجموعة من العلماء ، ترجمة الدكتور دمرداش سرحان نقلا عن المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها للدكتور عبدالرحمن عميرة

(٢) في ظلال القرآن المجلد السادس ص ٣٨٠٦ (٣) الطريق من هنا ص ١٠٠

من زرع هذه الشعيرات او الشجيرات. قصيرة كانت او طويلة؟

وفي الدم ملايين من كرات الدم الحمراء والبيضاء. تسبح في مجراها العتيد!

قالوا: إنها تصنع في نخاع العظام!

ترى كم عبقريا اختفى داخل هذه العظام ليضع هذه الكرات. ويزودها بخصائص الحياة والقوة؟؟

لماذا يتناسى الناس آثار القدرة العليا. وصنع الله الذي أتقن كل شيء؟

إنني أحتقر الإلحاد من أعماق قلبي ولا أزال أراه مرضا لا فكرا..

وهل الفكر أن أقول: صنعت الأرحام ما استودعت من أجنة؟ وما أخرجته من بنين وبنات؟

هل الفكر أن أقول: صنعت التربة ما على سطحها من زروع وزهور وفواكه وحبوب؟ أي فكر هذا؟ ﴿ **اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝ لَّهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ** ۝ ﴾ [الزمر: ٦٢-٦٤][1].

إن الإلحاد لا يقوم على أساس «المنطق والإقناع. وإنما على أساس العشوائية والخلل العقلي. يقول إيرفنج (دكتوراه من جامعة إيوي وأخصائي في وراثة النباتات وأستاذ العلوم الطبيعية بجامعة ميتشجان) في مقال: «المادية وحدها لا تكفي»: «لا شك أن النظرية التي تدعي أن جميع صور الحياة الراقية قد وصلت إلى حالتها الراهنة من الرقي بسبب حدوث بعض الطفرات العشوائية والتجمعات

---

(١) المحاور الخمسة ص ٢٦

والهجانن .. تقول . ان هذه النظرية لا يمكن الاحد بها الا عن طريق التسليم فهي لا تقوم على أساس المنطق والإقناع »[1] فإن من ينكر وجود الله ـ يقول «رسل تشارلز إرنست» أستاذ علم الأحياء والنبات بجامعة فرنكفورت بألمانيا ـ لا يستطيع أن يقيم الدليل المباشر للعالم المتطلع . على ان مجرد تجمع الذرات والجزيئات من طريق المصادفة . يمكن أن يؤدي إلى ظهور الحياة وصيانتها وتوجيهها بالصورة التي شاهدناها في الخلايا الحية»[2].

ويقول : «ألبرت ماكومب ونشستر» (متخصص في علم الأحياء دكتوراه من جامعة تكساس أستاذ علم الأحياء . بجامعة بايلور .... » في مقال : «العلوم تدعم إيماني بالله» : « . . . وقد اشتغلت بدراسة علم الأحياء . وهو من الميادين الفسيحة التي تهتم بدراسة الحياة . وليس بين مخلوقات الله أروع من الأحياء التي تسكن هذا الكون «انظر إلى نبات برسيم ضئيل . وقد نمى على أحد جوانب الطريق . وهل تستطيع أن تجد له نظيرا في روعته بين جميع ما يصنعه الإنسان من تلك العدد والآلات الرائعة؟ .

إنه آلة حية تقوم بصورة دائبة لا تنقطع آناء الليل وأطراف النهار بآلاف من التفاعلات الكيمائية والطبيعية ، ويتم كل ذلك تحت سيطرة البروتوبلازم ـ وهو المادة التي تدخل في تركيب جميع الكائنات الحية .

«فمن أين جاءت هذه الآلة الحية المعقدة؟ إن الله لم يضعها هكذا وحدها ، ولكنه خلق الحياة . وجعلها قادرة على صيانة نفسها ، وعلى الاستمرار من جيل إلى جيل . مع الاحتفاظ بكل الخواص والمميزات التي تعيننا على التمييز بين نبات وآخر .. إن

---

(١) نقلا عن في ظلال القرآن المجلد الثاني ص١١٥٦

(٢) نقلا عن جاهلية القرن العشرين ص٢٨٧

دراسة التكاثر في الأحياء تعتبر أروع دراسات علم الأحياء. وأكثرها إظهارا لقدرة الله»[1].

وهكذا يثبت العلم والحس والواقع والعلماء وجود الله القدير العليم الحكيم الخبير. القائم على كل نفس بما كسبت.

فما أعظم الله وما أغبى الجاهلين به أو الجاحدين له! «**ولكم الويل مما تصفون ○ وله من في السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون ○ يسبحون الليل والنهار لا يفترون** ○» [الأنبياء الآيات: ١٨ - ٢٠][2].

حسن حنفي من العقيدة إلى الثورة على العقيدة!

أعلن د. حنفي أنه لا يكتب من العقيدة إلى الثورة بعد استخارة الله أو استعانة به. إنه يستعين بقدرة الإنسان فقط: «وإذا كان القدماء قد وضعوا عقائدهم بناء على سؤال الأمراء والسلاطين أو بعد رؤية صالحة للولي أو للنبي (!) أو بعد استخارة الله فإننا وضعنا من «العقيدة إلى الثورة» دون سؤال من أحد أو رؤية أو استخارة»[3]. «وكما يستعين القدماء بالله. فإننا نستعين بقدرة الإنسان على الفهم والفعل»[4] «اتجاهنا نحو الحاجة أقوى من نزوعنا نحو الحمد... حالنا لا يتطلب حمدا ولا ثناءا»[5](*).

يعلق د. علي حرب [وهو علماني ملحد مثل حنفي!] على هذا الكلام بقوله:

---

(١) نقلا عن ظلال القرآن المجلد الثاني ص ١١٥٦.

(٢) المحاور الخمسة ص ١٣ - ١٤.

(٣) من العقيدة إلى الثورة المجلد الأول ص ٥٠.

(٤) المرجع السابق ص ٤٤.

(٥) المرجع السابق ص ١١.

(*) سألت حسن حنفي بعد محاضرة ألقاها في فندق في لاهاي يوم ٢٦ / ٣ / ٢٠٠١ عن هذا الكلام قال هذه خطابة! لا أقصد بها شيء!!

«ففي هذه المقدمة يعلن أنه لا يكتب كتابه باسم الله كما فعل القدامى. بل كتبه باسم الأرض والشعب والأمة والنهضة وفيها يصرح أن التقدم هو جوهر الوعي الإنساني وحركة التطور. وأن الإنسان قادر بعقله المستقل وإرادته الحرة على أن يواصل حركة التاريخ وأن يستمر لاجتهاده الخاص حتى يرث النبوة والأنبياء. ولا يخفى أن مثل هذا الكلام يصدر عن مفكر يملك وعيا بالتاريخ وينتمي إلى حضارة طردية. إنه كلام يقف وراءه خطاب الأنوار الأوروبي وبه يخرج حسن حنفي على نظام الفكر الذي يرتكز الاهتمام فيه على قراءة الوحي وتأويل النص. فيستبعد المفاهيم المركزية العاملة في الخطاب الإسلامي كالله والوحي والنبوة والنص والشريعة والعقيدة. لصالح مفاهيم حديثة كالوعي والتطور والتقدم والتاريخ والثورة والجماهير»[1].

وفي تعليق آخر يقول: «يقول حنفي غير هياب ولا وجل بأنه إذا كانت العلوم القديمة بمقدمتها الإيمانية تبدأ باسم الله الرحمن الرحيم فإنه يبدأ هو كتابه «من العقيدة إلى الثورة» باسم الأمة أو الأرض وإذا كان العلماء القدامى قد وضعوا كتبهم... بعد استخارة الله، فإن حسن حنفي وضع مؤلفه الضخم ليس بناء على استخارة أحد»[2].

ومع ذلك فحسن حنفي يقدم نفسه باعتباره فقيه مجدد لهذه الأمة!

«أنا فقيه من المسلمين أجدد لهم دينهم وأرعى مصالح الناس»[3].

ويقول «قد يكون من بيننا مجدد القرن الخامس عشر طبقا لحديث المجددين.

---

(١) نقد النص ص٥٢، ٥٣. (٢) المرجع السابق ص٢٩.

(٣) من العقيدة إلى الثورة جـ١ ص٤٢، ٤٣ نقلا عن المثقفون العرب والتراث ص١٥٤.

ان الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة دينها "[1].

وانه آخر حلقة في سلسلة الحركة الإصلاحية :«من الأفغاني إلى محمد عبده إلى مصطفى عبدالرازق إلى عثمان أمين ثم إلي، دون ما فخر أو ادعاء (!) "[2]

وهذا هو الانفصام بعينه كما صرح بذلك الدكتور علي حرب :«إنه يحاول في هذا الكتاب المسمى «من العقيدة إلى الثورة» أن يثور على العقيدة بالتحرر من مقدماتها الإيمانية وأسسها الثابتة. من أجل إعادة البناء والتأسيس(!) ...ومع هذا كله . فنحن نجد أن حسن حنفي الفيلسوف الناقد الهادم بعقله لكل شيء والساعي في الوقت نفسه إلى إعادة بنائه وتأسيسه. يقدم نفسه بوصفه فقيها من فقهاء المسلمين يجدد لهم دينهم، وهذا هو الفصام بعينه ... حسن حنفي لا يستطيع نقد العقائد والمذاهب إلا باسم الدين نفسه"[3]!!

فهو يتستر باسم المجتهد المجدد، والفقيه الكبير، وسليل العلماء ووارث المصلحين والدعاة في حمل الأمانة الفكرية وفي الدفاع عن الهوية والذات[4] ليهدم الإسلام من الداخل، متلاعبا بعقول الناس. وهو مرة يقدم نفسه على أنه فقيه. ومرة داعية العلمانية. ومرة: فيلسوف. ومرة: الثوري الداعي إلى قلب الأوضاع !

إنه كما وصفه علماني ملحد مثله :«يتقمص أكثر من شخصية أو دور»[5].ويقول «والواقع أن حسن حنفي لا يثبت على موقف، بل هو يتردد بين

---

(١) في اليسار الإسلامي ص١٣ نقلا عن المثقفون العرب ص١٥٤ .

(٢) دراسات إسلامية ص٢٦٩ نقلا عن المثقفون العرب ص١٦٢

(٣) نقد النص ص٣٠ (٤) انظر المصدر السابق ص٣٩

(٥) وهو وصف د. علي حرب في مرجع السابق ص٤٠

النقيض والنقيض. بين الانغلاق والانفتاح (!). وإذا كان يقدم نفسه احيانا بصفته الحارس والمدافع عن الهوية تجاه الاخر. فانه في احيان كثيرة يتكلم على التراث بإشارات نقدية يتجاوز فيها أركون الذي يعد الأكثر تفكيكا للعقل الإسلامي والأكثر تعرية للذات الإسلامية [1] ولسبب أنه من أكثر المتلاعبين بالعقل المسلم. الشيء الناتج عن استراتيجيته في احتراق الإسلام وتمزيق عقائده من الداخل، نجده يرقص على أنغام تناقضاته التي صنعتها الحيلة!. وهولم يستطع أن يخرج من هذا المأزق، الذي يبدو أنه جعله استراتيجيته. التي تعتمد على أن القارىء المسلم لا يقرأ له!. وإنما الذي يقرأ له هو أشباهه من العلمانيين الذين يريدون تغيير المجتمع المسلم من خلال مناهجهم في الصحافة والإعلام. أو في التربية والتوجيه أو في الفلسفة ومناهج التعليم وغير ذلك من مناصب ومراتب!

إن المطلع على تناقضاته التي تختلف من كتاب إلى كتاب آخر - وهناك تناقضات له في الكتاب الواحد، بل في نفس الصفحة الواحدة - إن المطلع على ذلك يصيبه الدوار والقرف من وجود كتاب يدعون الحداثة والعقلانية وكتاباتهم تعج بالبدائية والجنون.

فهو - كما يقول جورج طرابيشي (علماني!) -: «لا يصنع قضية إلا لينفيها. ولا يبدي رأيا إلا ليقول عكسه» [2] ويقول الدكتور فؤاد زكريا (شيخ العلمانيين!) ساخرا منه ومتسائلا عما إذا كان في قدرة قارىء حسن حنفي: «أن يظل محتفظا بقواه العقلية سليمة بعد أن يتراقص مع كاتبنا في حلقة المتناقضات

(١) نقد النص ص ٤٤

(٢) المثقفون العرب والتراث ص ١٠٥

الجنوبية التي تدور فيها معالجة للموضوع (١) ويبدو ـ حنفي اعتبر ذلك مذهبا له. تجده يقول «فليس لاحد قول إلا وله قول مخالف» (٢) وقد يعتبرها مهارة أو قد تكون تبعا للمتلاعبين بالنصوص من العلمانيين مصلحة ! يقول: «لقد أصبح من السهل إثبات الشيء ونقيضه من متكلم واحد أو من متكلمين مختلفين طبقا للمزاج أو للمهارة أو للمصلحة» (٣).

والتناقض عند حنفي يؤلف ـ كما قال طرابيشي الملحد بحق ! ـ النسيج المركزي لعالمه الفكري. فالتناقض هو اللحمة والسدي معا وليس مجرد «عقدة عارضة» (٤).

فهو مرة ينادي بالاعتماد على التراث. ومرة يطالب باستئصاله معتبرا إياه عامل خصاء (٥).

ومرة يدافع عن الأمة ومرة يحتقرها وسلط عليها سيف الماركسية ونار المستشرقين وأساتذته العربيين (٦).

مرة يتهم الحضارة الغربية ويدعو للوقوف لغزوها الفكري ويقول بأنها «حضارة غازية تدعى العالمية» (٧) ومرة يمدحها ويقول بأنها هي الحضارة

---

(١) فؤاد زكريا «مستقبل الأصولية الإسلامية بحث نقدي في ضوء دراسة للدكتور حسن حنفي. في مجلة «فكر» العدد ٤ (كانون الأول) ديسمبر ١٩٨٤ ص١٧ نقلا عن المثقفون العرب والتراث ص١٠٥.١٢٨

(٢) من العقيدة إلى الثورة جزء الخامس ص٢٢

(٣) من العقيدة الى الثورة الجزء الاول ص١

(٤) المثقفون العرب والتراث ص١١١

(٥) انظر المثقفون العرب ص٣٠.٨٨

(٦) انظر في اليسار الاسلامي ص٣٢. ودراسات فلسفية ص١٨٢ كما أشار المثقفون العرب ص٢٣٤.٢٣٥

(٧) التراث والتجديد ص٣٦ نقلا عن المثقفون العرب ص٢٠٣ : ٢٠١

الإنسانية الحقيقية[1] مرة يتهم الوحي الإلهي . ومرة يؤمن به "مرة يبرأ من الفقهاء . ومرة ينصفهم ويضع نفسه على قمتهم[2]"

فهو يريد أن يغيم نفسه على المسلمين . بحيث إذا قلت له أنت تقول هذا يقول لك . على العكس أنا قلت في كتاب كذا وكذا غير ذلك تماما !

فبدلا أن يكون التلاعب بالنصوص الشرعية هو فقط التلاعب الوحيد الذي يقوم به ، فإن التلاعب بنصوصه هو والانتقال من نقيضها إلى نقيضها الآخر هو أيضا مما يكاد يتفرد به حنفي في حلبة المتلاعبين من العلمانيين بالنصوص | مثله مثل المستشار محمد سعيد العشماوي | الذي سخصص له فصلا كاملا في الجزء الثاني من أقطاب العلمانية .

وقد قدمنا في الفصل الأول من كتابنا هذا قول الدكتور فؤاد زكريا في طائفة المتسترين بالإسلام من المتلاعبين بالنصوص | من العلمانيين ! | وفيه يؤكد أن هذه الطائفة لا تجد حرج في اللجوء للخداع في مناقشاتها الملتوية وفلسفاتها التكتيكية المتناقضة !

---

(١) انظر اليسار الإسلامي ص٢٠ نقلا عن المثقفون العرب ص٨٨ وانظر في فكرنا المعاصر ص٧٦ والتراث والتحديد ص٢٢ والمثقفون العرب ص١١٦ .

(٢) انظر دراسات فلسفية ص٢٢٥ والحركات الاسلامية في مصر ص٢٠ وانظر المثقفون العرب ص١١٧ ، ١٣٢ .

كما تقدم من أقواله . فإنه يرجع عقيدة الألوهية والإيمان بالله عز وجل إلى عمليات شعورية تتم في وعي الإنسان نتيجة عجز الإنسان عن رؤية الواقع والحقيقة فيغترب عن ذاته .. فيقع في وعي مزيف ليس له وجود خارجي حقيقي !. وبمجرد استرداده وعيه وتحسن أوضاعه وخروجه من حالات الاضطهاد المختلفة والظروف الاجتماعية والسياسية التي يعيشها المجتمع الذي يطلق أمثال هذه القضايا(١). فإنه يجد ذاته ويستردها ولا يحتاج إلى ذات شخصية يتعبدها(٢)! أي لا يحتاج إلى الله عز وجل، باعتبار أنه ـ عند حسن حنفي ـ «من صنع الخيال»(٣). تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

كذلك هو يرجع النبوة إلى ظروف الاضطهاد والظلم وليس إلى وحي الله عز وجل يقول: «فالنبوة ليست مجرد أمر بالتبليغ بل صفة حالة في النبي. فهي في هذه الناحية فطرية وليست مكتسبة، من الداخل أكثر من الخارج ومن ثم فلا احتياج إلى أمر خارجي(!) بل إلى ظروف الاضطهاد والظلم التي تفجر طاقات النبي الدفينة»(٤)!

والنبوة عند حنفي لا تكون إلا في لحظات العجز وقصر الفهم وظروف القهر يقول: «يمكن القول بأن النبوة كانت ضرورية قبل آخر مرحلة فيها قبل أن يكتمل الوعي الإنساني ويستقل عقلا وإرادة، ثم أصبحت ممكنة لحظة اكتمال

---

(١) انظر من العقيدة إلى الثورة جـ٢ ص٥٩٠، ٥٩٨. جـ٣ ص١٠٤ .

(٢) انظر المرجع السابق جـ٢ ص٥٩٨

(٣) المرجع السابق جـ٢ ص٥٣٧، ١٠٧، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤ـ٦٠٠، ٤٤٧، ٤١٥، ٤٠١، ٣٨٦ .

(٤) المرجع السابق جـ٤ ص٢٠٦

الوحي، وهي الآن مستحيلة بعد اكتمال الوحي واستقلال الإنسان»[1].

لذلك لا تثبت النبوة عند حنفي والإنسان قد استقل عقلا وإرادة يقول: ألا تثبت النبوة إلا على أنقاض البشرية»[2] ألا يثبت الوحي إلا بقهر الإنسان وإحساسه بالضآلة والعجز أمام قوة عظمى تعرف أفضل منه وتقدر على مالا يقدر عليه؟»[3].

«لماذا تثبت النبوة بتدمير الإنسان وجعله قاصر الفهم والإدراك عاجزا عن الفعل والحركة (!)، تفرض عليه الوصاية بدعوى الهداية؟ (!)»[4]!.

لذلك فنصوص القرآن لا تثبت شيئا عند حنفي. فهي كما تقدم في الفصل الثاني من كتابنا هذا - بزعمه - بلا مضمون وهي تحتاج إلى إثبات. وهنا يقول: «لا يمكن استخراج الحقائق الدينية من النصوص (!). فالنصوص لا تزيد عن كونها روايات تاريخية عرضة للخطأ والتحريف»[5]! فعنده أن الشعور الإنساني في لحظات العجز هو الذي اخترع هذه الروايات والنصوص!

ولذلك يعتبرها هو وغيره من العلمانيين. من «التراث».. ثم يقومون بنقد «التراث» كله! إن نقد الدين، ونزع القدسية عنه هدف أساسي له: «مازلنا نخاف أن نمس الدين، ومازلنا نعتبره موضوعاً مثالياً معطى من عند الله، ويحوطه التقديس، ولا يمكن دراسة عقائده وكتبه وتاريخه كعلم إنساني»[6] فهو عند

---

(١) المرجع السابق جـ٤ ص٥٧. (٢، ٣) المرجع السابق جـ٤ ص٣١، ٣٣.

(٤) المرجع السابق جـ٤ ص٥٤. وهو بذلك يرد على محمد عبده - في الهامش من الصفحة ٥٤ - في مسألة احتياج الإنسان إلى نبي.

(٥) في فكرنا المعاصر ص٢٨٣ نقلا عن المثقفون العرب والتراث ص١١١.

(٦) في فكرنا المعاصر ص٦٩ نقلا عن المثقفون العرب والتراث ص١٠٦.

د. حنفي اختراع الشعور لعجزه عن النهوض والكمال!، وهو ليس معطى دينيا من عند الله: «الإسلام معطى تاريخيا وليس دينيا .. ويهمنا ما نشأ عنه كحضارة وليس مصدره من أين أتى»[1].

وتقليدا للغرب والفكر الفلسفي الإلحادي الذي حرف حقيقة الوحي، يقول: «الدين أصبح علما إنسانيا يُدرس في علم الأديان وعلم النفس الديني وعلم الاجتماع الديني وعلم الاقتصاد الديني»[2] وكلها علوم ناقصة مشوهة، نشأن في ظروف طرد الدين الكنسي في «الغرب» وسيطرة الفكر المادي على الحياة. حيث تم عزل الإنسان عن خالقه مما جعل نظرتهم إلى الوحي نظرة مادية ما أدى إلى دراسته دراسة مادية قاصرة تلغي حقيقته، وتعطيه تفسيرا ينكر أصله ومصدره، وحقيقته وغايته ولم يكن هذا الخلل هو الوحيد في العلوم الإنسانية والاجتماعية والدينية والنفسية التي ظهرت في ظروف تفشي الإلحاد في القرون الثلاثة الأخيرة، وإنما نظروا إلى الإنسان ودرسوه على أنه حيوان متطور وليس له إله !.. وصار معيار «القوة» هو معيار هذه الحضارة وتلك العلوم، أما «القيم» و«المبادئ» العليا: من نشر العدل وإزالة الظلم ونشر الخير، وإشراك الناس في الخير بدافع «الإنسانية» بصرف النظر عن «المنفعة»، والتعاون على البر والتقوى[3]، فإنها لا توجد ولو كان تصورهم للعدل على حقيقته لعدلوا في تصوراتهم للإنسان والكون والحياة والجنس والمرأة والمجتمع والنفس والدين والأخلاق والقيم.

---

(١) التراث والتجديد ص٢٠ نقلا عن المرجع السابق ص١٠٩.

(٢) في فكرنا المعاصر ص١٥٧ نقلا عن المرجع السابق ص١٠٦

(٣) انظر حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية ص٥٥

ولكان «المنهج العلمي» قائم على أساس «التوازن» في الإنسان والمجتمع. وعلى رؤية صحيحة للعالم، ولما قام على مناهج جزنية هزيلة غاية ما تصبوا إليه بمقرارتها الإلحادية المسبقة أن تعزل حقائق الأشياء عنها، وطبائع الأشياء الحقيقية عنها كذلك.

إن الحقيقة التي يحاول أن يخفيها العلمانيون العرب ـ ومنهم د. زكريا، د. أركون، د. أبوزيد، د. حنفي وغيرهم ـ هو أن التصور الغربي للإنسان والذي هيمن على كل العلوم الجديدة، إنما هو قائم على ا أن الإنسان في ذلك التصور حيوان متأله! حيوان بحكم منشئه، متأله بحكم جعله نفسه حكما مطلقا في كل ما يتعلق به من الأمور: السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والخلقية والفنية.. الخ. ونجد أن هذا الحيوان المتأله هو موضع الدراسة في جميع الدراسات الاجتماعية، سواء علم الاجتماع أو علم الاقتصاد أو علم التاريخ أو علم التربية أو علم النفس، أو حتى الدراسات الأدبية. حيوان يعيش بأهداف الحيوان ويرفض في الوقت ذاته أن يكون له مرجع يرجع إليه في تصرفاته سوى ما يراه «عقله» أو ما يجري به هواه»[1].

فهل يمكن لعلوم كهذه أن تُخرج الحقيقة للناس عن «الوحي» و«الألوهية» و«النبوة» والإنسان!؟ أم أنها تطمس وتحجب وتكتم وتحرف وتخدع وتُزيِّف؟!!!

هل يمكن لها أن تدرس الإسلام كما هو، منزل من عند الله. بدلا من إرجاعه إلى ظروف وشعور منحطين؟! أو غير منحطين!

---

(١) المرجع السابق ص٦٠

هل يمكن ان ندرس الدين لا كعلم إنساني مزعوم ولكن على اساس أنه حقيقة إلهية. نزلت من السماء. من عند الله عز وجل خير البشرية التي انتكست في العصر الحديث نتيجة اشمئزازها واحتقارها له؟! تعالى الله عما يكنون ويفترون. هل يمكن أن يفهم العلمانيين العرب أن الظروف التي مر بها الغرب، وأنشأت له معاييره الخاصة، ليست هي ظروفنا التي عشناها في ظل الإسلام. سواء في فترة ازدهار الإسلام، وازدهار الحضارة الإسلامية والحركة العلمية الإسلامية أو في ظل الانحسار الذي طرأ على العالم الإسلامي حتى أوصل الأمة إلى حضيضها الذي وصلت إليه. فصارت كما أخبر الرسول ﷺ «غثاء كغثاء السيل» أو في ظل الصحوة الإسلامية المباركة التي تبشر بالخير، رغم تكالب العالم كله على محاولة القضاء عليها. في جميع هذه الأحوال الثلاثة كانت ظروفنا مختلفة عن ظروف الغرب، فلا عجب أن تكون معاييرنا مختلفة عن معايير الغرب، وأن يكون تناولنا للعلوم الاجتماعية - وغيرها كذلك - مختلفا عن التناول الغربي في أسسه وقواعده»[1].

إنه مع معرفة د. حنفي بأن الحضارة الإسلامية قامت على مبادىء الوحي القرآني، وأسس الشريعة الإلهية، وأن التاريخ يمكن أن يكون كله حضارة زاهية على الصورة التي قامت عليها حضارة كحضارة الإسلام والمسلمين. إلا أنه لاتباعه للفكر الغربي ولإيمانه بالعلوم الهزيلة التي نشأت في الغرب فيما يخص الدين والإنسان والنفس والمجتمع. يحرف الحقائق بنفس الدرجة التي حرف بها الغرب الفلسفي الحقائق الدينية والإنسانية، يقول: «إن التاريخ لا ينشأ إلا في حضارة تخلصت من أغلفتها وكسرت الحصار حولها، وتحركت في إطارها الأبدي

(١) المرجع السابق ص٧

المرسوم. وتململت من رتابيتها وتكرارها. وانتابتها هزات أرضية تعيد بناءها بعد تفريغ هوائها (!) من فجوائها حتى لو احترقت أجيال ودمرت قرى (!). إن التاريخ لا يعرف النمطية والقوالب المسبقة. التاريخ ضد «الأسر الحضاري»، يعادل التحرر. التاريخ لا ينشأ في حضارة تقوم على شد الوثاق بل على فك الوثاق، ولا ينشأ في حضارة إلهية. بل في حضارة إنسانية. لذلك لم يظهر لدينا مبحث التاريخ ولم ينشأ لدينا وعي بالتاريخ»[1]!!

فالأصل عنده في نشوء التاريخ في حضارة إنسانية لا دينية هو: «عدم الارتباط بمصدر مسبق للمعرفة منه نستمد تصوراتنا للعالم وموجهاتنا للسلوك»[2]!!!

وفي نفس الكتاب يقول بأن: «الوحي هو مصدر المعرفة الجديدة التي أخذها المسلمون كمعطى مسبق»[3] فهو يرفض أن يكون الوحي الذي آمن به المسلمون. وهو القرآن الكريم، هو المصدر الذي نستمد منه تصوراتنا للعالم وموجهاتنا للسلوك.

إذن د. حنفي. مثل كل العلمانيين يطالب بمفهوم جديد للسيادة والمشروعية! يعزل الإسلام كدين وثقافة ورؤيا للوجود عن قيادة الحياة، ففي المجتمع العلماني تكون الشرعية والمصدر هو الإنسان المستقل عن الوحي، وهي نفسها رؤية د. حنفي وهي تضاد عقيدة المجتمع الإسلامي الذي عرفه د. هاشم صالح (علماني) في الفصل الأول من كتابنا هذا بأنه: «كل مجتمع يسيطر عليه الإسلام كدين وثقافة وكرؤيا للوجود: أي كل مجتمع لم يدخل بعد ساحة العلمانية الحقيقية»[4].

(١ - ٢) دراسات إسلامية ص ٣٢١ نقلا عن المثقفون العرب ص ١١٦.

(٣) دراسات إسلامية ص ٣١٩ نقلا عن المرجع السابق ص ٢٥٣. ٢٦٨.

(٤) تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص ٣٦.

فالعلمنة والعولمة والكوكبية والثقافة المركبة والعلمانية التي هي كلها نتاج الفكر العربي تقف على الضد من الدين والإسلام والوحي والنبوة والرسالة والقرآن والقيم والمبادئ والشريعة والقانون الإلهي والآداب والقيم الإسلامية وثقافة الإسلام وعالميته وحضارته وتراثه الحقيقي.

يقول د. حنفي عن هذا الغرب - الذي أتى منه كل هذا الغزو الفكري ! - : «بدأ الفكر الأوروبي يرفض كل معطى سابق بعد أن اكتشف زيف مثل هذه المعطيات (!) وآثر جعل طريق معرفته الوحيد: التجربة. رفض كل منهج قبلي وآثر المنهج البعدي القابل للتحقيق. رفض كل معرفة إلهية وآمن بالمعرفة الإنسانية وحدها»[1] !!!

ألم أقل لك أخي القارئ أن ظروفنا غير ظروفهم، ومعاييرنا غير معاييرهم. فنحن عندنا معطى سابق - إن صح التعبير ! - وهو الإسلام ليس زائف وهو نفسه الذي علم أوروبا كيف تسلك طريق المعرفة: التجربة !. لكنه لم يعلمها أن هذا الطريق هو الوحيد !، وإنما هو وسيلة للسعادة في الدنيا والآخرة وليس قاطعا للسعادة في الدارين. لكن الفلسفة رفضت الإسلام كما فعلت ضرتها من قبل «المسيحية» - والمسيحية الغربية هي التي جعلت الفلسفة ترفض الإسلام وليست التجربة هي التي أدت لذلك وذلك أن الإسلام نفسه هو الذي علمهم: التجربة والمنهج التجريبي ! - لكن لانفلات أوروبا من الدين انطلقت في طريق الإلحاد. الذي صبغ كل علومها لا تلوي على شيء !

فعندها - كما يقول حسن حنفي استقل: «العقل كلية عن الوحي»[2].

بل كما قال الشاعر الماجن والملحد «أدونيس» انفصل الإنسان عن الله ! : «بدءا من

(١) في فكرنا المعاصر ص٧٥ نقلا عن المثقفون العرب والتراث ص١٥٧. ١٦٣

(٢) في الفكر العربي المعاصر ص٢٣١ نقلا عن المثقفون العرب والتراث ص١١١. ١٥٧. ١٦٣

القرن الخامس عشر أحد الإيمان ينفصل عن العقل وعن الطبيعة. وذلك بقوة النقد ثم فصل هذا النقد الطبيعة عن الله وعن الإنسان. وفصل الإنسان عن الله وعن الطبيعة... وهكذا تمت في أوروبا كل الثورات الفكرية... والاجتماعية والأدبية»(١)!

إن د. حسن حنفي قلد الغرب تقليد القرود فقال بعدم لزومية الوحي وقدح في الألوهية والنبوة كما تقدم. وتأكيدا لذلك يقول عنه جورج طرابيشي: «... وتصل هنا حماسة حسن حنفي للتاريخ والإنسان والعقل إلى حد الإعلان عن عدم لزومية الوحي ورفض فكرة الحقيقة المعطاة سلفا. ناهيك عن اتخاذها موضوعا للتفضل والتفاخر: «فسواء أخذنا - والكلام هنا لحنفي - الدرس من هيجل أو غصنا في تراثنا القديم فإن بإمكاننا القضاء على المصدر الثاني للمعرفة ورؤية الوحي في الواقع بمعنى الوصول إلى حقائق الوحي عن طريق العقل. والعقل هو الواقع وهو التاريخ أيضا. ومن ثم يمحى من أذهاننا الشك في المعرفة الإنسانية، ونوقن بها ونؤمن بإمكانية الوصول إلى الحقيقة عن طريق الجهد الإنساني الخالص(!). وندع هنا هذا الاطمئنان إلى حقيقة معطاة سلفا(!)»(٢)!!

ليس ذلك فقط، ولكن يقوم بتنظيم محاكمة «للوحي الإلهي» أو للحقيقة المعطاة سلفا، يقول جورج طرابيشي عن ذلك: «ينظم مؤلف «من العقيدة إلى الثورة» في سياق ما يسميه هو استراتيجية الانتقال «من الدين إلى الحضارة(!)، ومن الوحي إلى التاريخ(!)، ومن العقيدة إلى الثورة(!)». محاكمة حقيقية لمنهج الوحي والدليل النقلي في المعرفة فعنده... «النص لا يثبت شيئا. بل هو في حاجة

---

(١) كلام البدايات ص١٩٧.

(٢) المثقفون العرب والتراث ص ١٤٢ ونص حنفي من الفكر العربي المعاصر ص٢٢١.

إلى إثبات ومصدر العالم لا يمكن أن يكون خارج العالم » .

إننا عندما نستحضر هنا كلام العلمانيين في قراءة بعضهم لبعض . مثل كلام د. علي حرب وطرابيشي . وسيأتي كلام نصر أبو زيد أيضا ! . فإنما نفعل ذلك لأنهم يدعون أننا لا نفهمهم وأننا نفهم كلامهم خطأ أو لا نقرأ لهم على الإطلاق - كما زعم نصر أبوزيد ! - وأيضا لأننا لو استدعينا غالب كلام علماء الإسلام في هؤلاء العلمانيين والأحكام التي أطلقوها عليهم لأطلق العلمانيون الإشاعة (المشاعة) إننا نحرف كلامهم ولا نفقه كثيرا مما يقولون ! كذلك . فإننا كنا للأصنام المعوقة كما قال الشيخ محمد أحمد الراشد في المسار ص ٢٩ اختصرنا الطريق وتركناهم يكنس بعضهم بعضا ويفضح بعضهم بعضا !

ويظهر بعضهم بعضا بأنهم ليسوا مبدعو علوم كما يزعمون وإنما نقلة علوم[1] وأنهم مرايا تعكس مذاهب سوانا كما قال زكي نجيب محمود : «ولم تقنع مرايانا الفكرية بأن تعكس أضواء سوانا (!) ، بل أخذت بدورها تعترك ليهشم بعضها بعضا وهكذا أخلت كل مرآة لما عكس »[2] !

إن الشيء المهم الذي نحاول إثباته في كتابنا هذا . ويجب أن ينتبه القارئ الكريم إليه هو أن هؤلاء العلمانيين يكشفون بعضهم بعضا . وفيما يعري أحدهم الآخر فإننا نجد الآخر يقوم ضده بنفس العملية وبذلك يظهر الله لك أيها المسلم ماتكنه صدورهم !

---

(١) المثقفون العربي والتراث ص ١٤٢ .

(؟) زعم د. حسن حنفي « أننا لسنا نقلة علوم ... لكننا مبدعون علوم » . مجلة الوحدة . ص ١٣٢ نقلا عن المثقفون العرب ص ١٥٩ ، وقد فضحه ناقل آخر للعلوم وهو جورج طرابيشي في المرجع السابق ''

(٢) حصاد السنين ص ١٦٩

د. حنفي ودينه للفكر الغربي أو لما عكس منه!

قال «ثقافة العصر هي الثقافة الأوروبية»[1]، «العصر هو عصر الحضارة وتاريخها هو تاريخ الإنسانية المعاصرة»[2]! «أن تاريخ الحضارة الأوروبية هو تاريخ كفاح للعقل وانتصاره في النهاية»[3]! لذلك فإن المطلوب من «المجتمعات الأخرى» التي مازالت ترزح «تحت عطائها النظري الموروث» وتئن تحت «سيادة الخرافة والوهم»، «أن ترى انتصارات العقل في الحضارة الغربية كنموذج إن أرادت أن تكافح هي الأخرى باسم العقل ومن أجله»[4]... وأن تسلك مسلكها في إطلاق آلية النهضة عن طريق «نقد الموروث والتحول في نظرية المعرفة من المنقول إلى تفسير ظواهر الطبيعة ومعرفة قوانينها»[5].. وكل ما قاله في عدم الحاجة إلى ثقافة غربية أو أنه يريد تحجيم الغرب إنما هو ناتج عن أنه يجمع - كما قدمنا من كلام أساتذة علمانيون كبار من أمثال د. فؤاد زكريا وعلي حرب وطرابيشي - بين الشيء ونقيضه ويؤمن بالشيء ونقيضه ويكتب الشيء ونقيضه!!!

وهو ما دعا طرابيشي إلى القول بأن: كتابات حسن حنفي تنفرد بميزة لا ممارة فيها: فهي لن تحيجنا إلى الدخول في أي نقاش أو حجاج مع كاتبها، لأن حسن حنفي هو الذي يتولى الرد في كل مرة على حسن حنفي. فلنطبق إذن مبدأ اقتصاد الجهد، لنسلك سلوك السياح - في مرحلة أولى على الأقل - تاركين لحسن حنفي أن يكون دليلنا إلى معرض التناقضات التي لا تحتوي أجنحته المختلفة - على

---

(١) حنفي، التراث والتجديد. ص١١١ نقلا عن المثقفون العرب ص١٥٧. ١٦٣.

(٢) حنفي. في فكرنا المعاصر ص٨٤ نقلا عن المرجع السابق ص١٥٧. ١٦٣.

(٣) حنفي. في الفكر العربي المعاصر ص٤٣ نقلا عن المرجع السابق ص ١٥٧. ١٦٣.

(٤) المرجع السابق ص٥٥ نقلا عن المثقفون العرب ص١٥٧. ١٦٣.

(٥) (دراسات فلسفية ص١٨٢ نقلا عن المرجع السابق ص١٥٧. ١٦٣

كثرتها - إلا على بتصاعد حسن حنفي نفسه

وكمثال - فيما يخص سياق هذه النقطة - (*) «فإن عاشق التاريخ الذي هو حسن حنفي لا يحجم في واحد من أحدث تصريحاته عن التنكر لقانون إيمانه التراثي الذي كان أعلنه في «اليسار الإسلامي» وعن نسب نفسه مرة ثانية إلى الماركسية - بعد قطيعته المدوية معها - لا لشيء إلا أن الماركسية هي فلسفة الوعي التاريخي!

إذا كنا نفهم الماركسية جيدا، فأهم درس في الماركسية ليس هو التحليل الاجتماعي وليس في تحليل الأبنية التحتية. ولكن أهم شيء في الماركسية هو الوعي التاريخي.

أنا ماركسي ولكنني ماركسي شاب، معنى ذلك أنني مازلت أعرف أن الانتقال من هيجل إلى فيورباخ والانتقال من فيورباخ إلى ماركس هو النقطة الحقيقية لمجتمعنا»(٣)(**). «وتتويجا لهذه النزعة التاريخية الجامعة ينتهي حسن حنفي إلى تبني موقف تنويري لا ريب فيه. فيدعو إلى الاحتذاء بالهيغليين اليساريين وفلاسفة التنوير في دراساتهم الجذرية حول الدين «التي يمكن أن نأخذها (!) كنموذج لدراسة تراثنا القديم» بحيث «نترك ما نحن فيه من الدراسات الدينية التقليدية

---

(٢) المثقفون العرب والتراث ص١٠٥. ١٠٦.

(*) والكلام هنا لطرابيشي وبعده حسن حنفي.

(٣) حسن حنفي. «من بيروت إلى النبطية: أسئلة واختيارات». في مجلة الثقافة الجديدة (الدار البيضاء). السنة ٢٧، العدد ٢٩، (١٩٨٣)، ص١٧ نقلا عن المثقفون العرب ص١٠٧. ١٢٨.

(**) والكلام التالي أعلاه هو من تعليق جورج طرابيشي على فلسفة وفكر د. حنفي. ونحن لا نجد بدا من ترك طرابيشي يقرأ لنا حنفي. والأستاذ علماياد من ملاحدة العرب!

ا الجبوري محمد سماماح وهو مسؤول المكتبة العامة ملاهاي أنه التقى طرابيشي يوما ما فأخبره أن د. حنفي بكى أمامه وقال له لماذا تتصحى بهذه الصورة؟!!

(!) ونأخذ بدراسة «الدين كعلم إنساني». أي كموضوع لـ علم النفس الديني وعلم الاجتماع الديني وعلم الاقتصاد الديني، وعلم تاريخ الأديان المقارن»[1] ومن هذا المنطلق يخص حسن حنفي «علم النقد التاريخي للكتب المقدسة» بمكانة مميزة من أجل «إعادة النظر في المصدر الإلهي» للكتب المقدسة وبيان «المصدر الإنساني» (!) لهذه الكتب و«تقويض الأسس التاريخية للاهوت العقائدي التبريري»[2] وحماسة حسن حنفي لسبينوزا وانتصاره له على ديكارت وترجمته لرسالته في اللاهوت والسياسة تعود في سبب رئيسي منها إلى أخذ سبينوزا بقواعد المنهج التاريخي وإلى تطبيقه منهج الشك الديكارتي «تطبيقا جذريا في المجالات التي استبعدها ديكارت من منهجه. أعني مجالات الدين الرسمي والكتب المقدسة والعقائد وتاريخ بني إسرائيل ... الخ» فسبينوزا هو الرائد الحقيقي لفلسفة الأنوار وجذريتها العقلية والتاريخية إذ كان «يرى أن البحث التاريخي للكتاب «المقدس» يسبق الإيمان بألوهيته، فالبحث العلمي النقدي هو الضمان لصحة الكتاب من حيث هو وثيقة تاريخية تحتوي على الوحي الإلهي. وبالتالي يعارض سبينوزا وجهة النظر التقليدية المحافظة التي تؤمن بألوهية الكتاب قبل تطبيق قواعد المنهج التاريخي»[3].

وحسن حنفي لا يدع القارئ يقف معه في حدود ما أراد تزويقه له من المنهج التاريخي وإنما ينقلب على هذا المنهج إلى المنهج الهوسرلي فيحول الموضوع من

---

(١) حنفي . في الفكر العربي المعاصر ص٢٧ . والمثقفون العرب ص١٠٨ .

(٢) في : لسنج . تربية الجنس البشري . ترجمة وتقديم وتعليق حسن حنفي (بيروت : دار التنوير ، ١٩٨١) . ص١٦٥ ـ ١٦٦ نقلا عن المثقفون العرب ص١٠٨ ـ ١٢٨ .

(٣) المثقفون العرب ص١٠٨ والنص الذى حنفي من في الفكر العربي المعاصر ص٧٢ بحسب المرجع السابق

اساسه المادي كتاريخ أو حادثة أو واقعة أو مزقه إلى أساسه الفكري الشعوري فـ الشرح هو تحويل النص إلى نظرية خالصة في العقل بصرف النظر عن بيئة الثقافة الأولى التي نشأ فيها»(٢) المطلوب إذن «تحويل الفكر التاريخي إلى نظرية خالصة في العقل»(٣) ومع ذلك ينكر د. حنفي تأثره بهوسرل وبمنهجه الفينومينلوجي(٭) كما أنكر تأثره بماركس(٤).

ويقول: «إنني لا أحتاج إلى هيغل وماركس أو فيورباخ»(٥)

«أتحدى أن تكون هناك مشكلة لا أستطيع أن أجد لها حلا تلقائيا. وأتحدى أن تكون هناك قضية لا أستطيع أن أدرسها بمقولاتي الخاصة. دون ما يسمى بالاستفادة (!)»(٦) «وأقول إن التجديد من الداخل وليس من الخارج: الثقة بالذات (!) والقدرة على الإبداع (!)»(٧) ثم ينقلب على ذلك ويقول: «دما المانع أن يستعمل الإنسان قوالب حضارات أخرى ليقول بها نفس الشيء.. كما فعلت

---

(١) انظر التراث والتجديد ص٧١ نقلا عن المثقفون العرب ص١٠٩.

(٢) دراسات إسلامية، ص١١٧ نقلا عن المثقفون العرب ص١٠٩.

(٣) المصدر نفسه ص١٩٣ نقلا عن المرجع السابق ص١٠٩.

(٭) مع أن رسالتيه للدكتوراه بالفرنسية - يقول طرابيشي - تدينان بوجودهما وحتى بعنوانيهما للفينومينولوجيا: «تفسير الفينومنولوجيا: الحالة الراهنة للمنهج الفينومينولوجي وتطبيقه على الظاهرة الدينية».. و«فينومينولوجيا التفسير: محاولة لمنهج وجودي في التفسير بدءا من العهد الجديد» والفينومينولوجيا هو علم الشعور وقد آثر حنفي استعمال لفظ «الشعوريات» بدلا من «الفينومينولوجيا» في كتابه من العقيدة إلى الثورة. انظر المثقفون العرب ص١٩٠-١٩١.

(٤) انظر المثقفون العرب ص١٥٩

(٥) في مجلة الوحدة (آذار / مارس ١٩٨٥)، ص١٣٢ نقلا عن المرجع السابق ص١٦٦

(٦) في شئون عربية، أيار / مايو ١٩٨٢)، ص٢٤٣ نقلا عن المرجع السابق ص١٦٦.

(٧) في مجلة الوحدة. المصدر السابق

أنا مع سبينوزا في «رسالة في اللاهوت والسياسة»[1].

أما تأثر د. حنفي بـ «فيورباخ» مؤلف «ماهية المسيحية» فقد كان - كما يقول طرابيشي بحق - : «أعمق بكثير من تأثره بأي فيلسوف آخر نظرا إلى أن مشروع حنفي الكبير في التحول «من العقيدة إلى الثورة» وفي الانتقال من علم الله إلى علم الإنسان قابل لأن يوصف باختصار، بأنه محض فيورباخية مطبقة على علم الكلام الإسلامي بدلا من علم اللاهوت المسيحي وبالفعل إن حسن حنفي هو الذي يقول بالحرف الواحد في مقاله عن الدين عند فيورباخ»: «إن كبير الشبان الهيغليين هذا كان هو السباق إلى الكشف عن الاغتراب عن طريق تحليل النصوص القديمة وإثبات أن الثيولوجيا ما هي إلا إنتربولوجيا مقلوبة، وأن ما يظنه اللاهوتي على أنه وصف لله هو في الحقيقة وصف للإنسان (!).. فالإنتربولوجيا هي سر الثيولوجيا ... والثيولوجيا اغتراب للأنثروبولوجيا.. والصفات الإلهية إذن صفات إنسانية ... ولكن اللاهوتي يعطي ما لله ما يسلبه عن الإنسان ... والإنسان يثبت لله ما ينفيه عن نفسه (!)»[2].

إذن «فيورباخ» كبير الشبان الهيغليين هو الذي أوحى بهذا التحليل الشيطاني لحسن حنفي فأقبل هذا الأخير على إلباس الوحي القرآني لباس نظرية فيورباخ ولم يقم بأكثر من نقل كلام فيورباخ بالحرف الواحد واتهام الوحي القرآني به ولقد قام في كتابه «التراث والتجديد» بعرض أفكار فيورباخ في «جوهر المسيحية» - وأعماله وعصره -[3] عرضا تلخيصيا بحتا لا يتسع لتدخل شخصي من قبله.

---

(١) في «شئون عربية (مايو ١٩٨٢) ص٢٤٤-٢٤٥.

(٢) المثقفون العرب والتراث ص١٩٠ وانظر دراسات فلسفة لحسن حنفي ص٤٠٧-٤١٧ كما أشار طرابيشي.

(٣) التراث والتجديد ص٤٠٣.

محتجا لذلك بأنه «قد يصعب الحديث عن فيورباخ من فيورباخ (!) . وعن الهيلجين الشباب من هيجلي شاب (!) » ، ومشيرا في الوقت نفسه إلى أن التلخيص نفسه يمكن أن يعد بمثابة تحليل شخصي نظرا إلى «استحالة التفرقة بين فيورباخ الموضوع وفيورباخ الباحث في عصر يحتاج إلى فيورباخ (!) »[1] .

وقد قرر د . حسن حنفي تغيير عنوان الجزء الأول من أجزاء مشروع «التراث والتجديد» الستة عشر . بعد أن «اتضحت لنا عيوب هذا العنوان ونقائصه : فهو عنوان غربي (!) يحيل إلى فيورباخ وكتابه الشهير «جوهر المسيحية»[2] .

وكأن رفض العنوان الغربي وقبول المضمون الغربي هو الأصل عند د . حنفي ! فالمضمون المنقول عن فيورباخ هو جوهر فكر د . حنفي فهو يقول الشيء نفسه وقد قدمنا النصوص التي تشير إلى ذلك في بداية فصلنا هذا ولا مانع هنا من ذكر قول حسن حنفي المشابه لقول فيورباخ الذي ذكره حنفي منذ قليل ، وذلك فيما يخص الإلهيات والإنسانيات في «علم الاغتراب» فعواطف التأليه ! - عند حنفي - «إنسانيات مقلوبة تكشف عن ذات الإنسان»[3] .

وهو نفس ما قاله فيورباخ وكرره حنفي من عودة «الإلهيات إلى نشأتها الأولى في الإنسانيات - يقول حنفي - وبدلا من الإيهام (!) بإله خارج العالم يجد فيه الإنسان وجوده المغترب ، يقضي الإنسان على اغترابه ويعود إلى ذاته كوجود في العالم»[4] .

---

(١) التراث والتجديد ص ٤٠٣ .

(٢) من العقيدة إلى الثورة المجلد ١ ص ٤٠ نقلا عن المثقفون العرب ص ١٩٠ .

(٣) من العقيدة إلى الثورة المجلد الثاني ص ٦٣ .

(٤) المرجع السابق الجزء الثاني ص ٣٧٧ .

في دراسته التي صنعها د. نصر حامد أبوزيد عن د. حنفي[*] يسمي محاولة هذا الأخير «محاولة مشروعة»!. فهي - بحسب د. أبوزيد - قد حققت «إنجازات في دراسة التراث لا سبيل إلى تجاهلها»[1].

يشرح لنا د. أبوزيد المحاولة المشروعة التي قام بها د. حنفي في التراث!:

«هناك جهد واضح لمحاولة تأويل العقائد وعقيدة الألوهية خاصة[**] على أساس أنها محاولات من الإنسان لتجاوز اغترابه في العالم. ويخلق في الشعور كائناً من ذاته(!) - على غرارها - بعد أن يضفي عليه كل صفات الكمال والقوة في صورتها المثالية وبعد أن ينفي عنه كذلك كل صفات الضعف التي يأنف منها (أنظر[***] ١/ ٤٥٨، ٤٧٥-٤٧٦. ٢/ ٦٢. ١١٣. ١٤٨، ٢٤٢ ٢٤٤. ٣٧٢-٣٧٣. ٣٨١-٣٨٢، ٤٠٩، ٤٣٢، ٤٣٤. ٤٣٦. ٥٤٨-٥٤٩. ٥٦٧ وما بعدها ٦١٠، ٦٣٩، ٦٥٢، ٣/ ٦) إنها محاولة مشروعة (!) لتحويل اللاهوت إلى انتروبولوجيا، والإلهيات إلى إنسانيات ... لكن الأهم في تأويل اليسار الإسلامي للعقائد الإسلامية الإصرار على التعامل معها بوصفها تصورات ذهنية تمثل موجهات للسلوك أكثر من كونها عقائد دالة على وجود مفارق. إن (الله) في مثل هذا التأويل ليس ذاتاً مشخصة لها وجود مفارق للوعي الإنساني بل هو «مبدئ معرفي» خالص فكرة محددة كما هو معروف في المنطق إنه «نموذج» أو

(*) والدراسة بعنوان «التراث بين التأويل والتلوين قراءة في مشروع اليسار الاسلامي» والمطروحة في كتاب «نقد الخطاب الديني» لنصر حامد أبوزيد.

(١) نقد الخطاب الديني ص١٨٥.

(**) هذا مثال على ما يقول به العلمانيون من الاحتياد .. وفي العقيدة الإسلامية!!

(***) يشير «أبوزيد» هنا إلى الاجزاء الثلاثة لكتاب «من العقيدة إلى الثورة» لـ حسن حنفي وهو خمسة أجزاء.

« مثال » يمثل سعي الإنسان للوصول إلى الجود والخالص (انظر ١ ، ٢٦٢ ، ٣٦٣) .. فالتأويل الإنساني للعقائد يظل مشروعا ومنتجا خاصة في مجال الربط بين العلم الإلهي والعلم الإنساني .وتحويل الأول إلى الثاني (!) من خلال صياغة مفهوم إنساني للوحي مفهوم يستبعد الميتافيزيقي (!) وينحاز للتاريخي إن الإصرار على تاريخية واقعة « الوحي » من جهة . والتمسك بجوهرية دور الفهم الإنساني من جهة أخرى . إضافة إلى ما سبق من تأويل الإلهيات بالإنسانيات تؤدي كلها إلى تحويل الوحي إلى خبرة بشرية(!) كما تؤدي إلى تحويل العلم الإلهي إلى علم إنساني في التحليل الآخر . وهكذا يقارب اليسار الإسلامي تخوم حل ثنائية النقل / العقل حلا جدليا »[1] .

واضح هنا أن استبعاد المصدر الحقيقي للوحي واعتباره إنساني المصدر هو هدف فلسفة د . حسن حنفي وكذلك د . نصر حامد أبوزيد فالله عندهم ليس إلا مفرد ذهني ليس له وجود خارجي ولذلك يؤيد د . نصر د .حنفي في محاولته لتأويل العقائد بحيث ينفي حقيقتها إلى مجازات .. أي مجازات .. إلى قلبها من الإلهيات إلى الإنسانيات .. ليس إلى الوحي القرآني ولكن إلى الشعور الإنساني أو المنتجات المعرفية التاريخية !

إن هذه « الخطوة » من حسن حنفي ، التي تنفي وجود الله تماما ، وتجعله مفرد ذهني اخترعه الشعور في لحظة ضعف : « إنها خطوة لا سبيل إلى إنكار أنها تقودنا في اتجاه التنوير (!) الذي يتطور إلى التثوير »[2] يقول نصر حامد أبو زيد .

إن الفلسفة التي آمن بها هؤلاء العلمانيون إنما هي هجوم على الدين والإسلام

---

(١) نقد الخطاب الديني ص ١٨٦ ، ١٨٧ .

(٢) نقد الخطاب الديني ص ١٩٣

ونفي للوحي والقرآن. وإنكار ذلك من جانب طائفة مخادعة من العلمانيين انما هو لأجل تعميم الغموض وتكثير الضباب. الشيء الذي يؤدي إلى استمرار الخداع والقيام بعملية الهدم في أمن من عضب الجمهور والانكشاف والفضيحة

تقول د. فاطمة المرنيسي (*) «يحتفي العرب بكتاباتها جدا! - «الفلسفة الإنسانية العلمانية التي تبشر بالتسامح وحرية التفكير ليست هجوما على الله»(١)(**). ليست هي فقط التي تقول هذا الكلام الخادع وإنما أغلب العلمانيين الذين يفزعهم الهجوم الضخم الذي يقوم به علماء الأزهر الشريف والمفكرين المسلمين والدعاه المجاهدين.

إن بعض العلمانيين يدعي أن حق الاجتهاد - حتى لو كان في عقائد الإسلام !- مكفول لهم باسم الحرية الإنسانية. مهما قالوا في الذات الإلهية والوحي القرآني! وهؤلاء يحاولون إرهاب الأمة المسلمة وتشكيكها في مبادئها وقيمها الإسلامية.

يقول «عادل ضاهر» في دفاعه عن د. حسن حنفي: «أن القضية التي يثيرها

(*) باحثة من المغرب العربي. متخصصة في العلوم الاجتماعية (!). وخبيرة في اليونسكو (!). وعدد من المنظمات الدولية. وأستاذة في جامعة الرباط.

(١) كتابها «الإسلام والديموقراطية» تحت عنوان «عيان وعامة الدولة وغموض الإصلاحيين» نقلا عن أضواء على الحريم السياسي. خيرية السقه ص١٤٧.

(**) في نفس الوقت زعمت المرنيسي أن الإسلام جاء ليتقض الحرية والفردية كما ذكر نصر أبو زيد في تحليله لفكرها في كتابه دوائر الخوف ص٢٦٥ وهي تهاجم الإسلام في كتاباتها وتحلله تحليلا ماديا كقولها بأن الإسلام اوجب حجب وجوه النساء لسببين الأول - كما ذكر ذلك عنها نصر أبو زيد - أنهن صرن متوجدات بآلهة العنف (!) الثاني لتوحيد الأمة ويعلق نصر أبو زيد على ذلك بقوله ص٢٦٠ «هنا يبدو أن المؤلفة لا تهتم بإبراز التمييز الواجب بين الإسلام والفكر الديني في تطوره التاريخي».

الاتهام الذي وجه إليه هي قضية أخلاقية في الصميم (!) وأعمق بكثير مما يوحي به رده. إنها تتعلق في المقام الأول. بحق الاعتقاد وحق الاختلاف (!) وعدم جواز وضع أي إنسان نفسه قيما على الفكر (!) في أي شكل من أشكاله. بل وعدم جواز تجريم إنسان على أساس ما يعتقده. أيا ما كان محتوى اعتقاده (!)"[1]

قال مثله د. نصر أبوزيد وهو يرد على الأستاذ اسماعيل سالم الذي نادى بعدم نشر الكتب المفسدة لعقائد المسلمين وأخلاقهم: "كيف يصدر كل هذا الذعر من أستاذ مساعد (!) لمجرد نشر كتب، أيا كان ما تحويه تلك الكتب من افكار"[2]!!

إن "عادل ضاهر" مثله مثل "نصر أبوزيد" يتنكر لوجود معيار قرآني. وإطار إسلامي يمكن الاحتكام إلى قيمه ومبادئه وشروطه. يقول أثناء دفاعه عن د.حنفي: " ... المسألة الأهم هنا هي المسألة المتعلقة بعدم وجود أي معيار غير نسبي (!) يمكن على أساسه التمييز بين الفكر الخطير والفكر غير الخطير، فالرأسمالي يجد أن الأفكار الاشتراكية خطيرة بينما الاشتراكي يصر على العكس ... والأصولي المسيحي أو المسلم لا فرق(!)، يعتبر أن العلمانية وباء على البشرية، بينما العلماني لا يجد خطرا على البشرية يفوق خطر النزعة الأصولية ... هل ثمة معيار يتخطى الفروقات بين المواقف المتباينة يسمح لنا بأن نصل إلى حكم موضوعي بخصوص من هو مصيب في وصف فكر ما بالخطورة؟ أم أن الموقف الصحيح هو أن نعترف بأنه ليس هناك فكر خطير

---

(١) مقالة له بجريدة الحياة اللندنية. ٣٠ يونيو ١٩٩٧ العدد ١٢٥٤٠

(٢) التفكير في زمن التكفير ص ٤٠، ٢ وفي نفس الصفحة يقول عنه: ما هو أستاذ مساعد متلبس بمعاداة القراءة إلا قراءة ما يشير عليه به أساتذته. وفي الحقيقة فإن المسألة ليست في القراءة كما يزعم أبوزيد وإنما في إيمان العلمانيين بما يقرأون.. فيقلدون وينقلون.. ويعدون الفكر العربي. كلا يميل إلى مذهبه وفلسفته!

بإطلاق(!) أي أن معيار الفكر الخطير ما هو إلا معيار نسبي »(١) ولذلك فهو يعتبرها مسألة خلاف في الرأي . لأن الرأي في الجانبين نسبي ! « فإن المسألة لا تتخطى كونها مسألة خلاف في الرأي بين مسلمين، لكل قناعاته الخاصة(!) به . ولا معنى للقول بأنه محظور على واحدهما أن ينظر إلى الإسلام نظرته إليه(!) »(٢) .

لقد جعلوها مسألة خلاف في الرأي ، وحاولوا إقناع المسلمين أنهم « معهم » داخل الحصون والتخوم ! . . ولحماية الأمة من الأعداء المتربصين ! فجعلوا من مذاهبهم المنقولة عن الغرب ، اجتهادات شرعية ! وهم مقلدون ! ! ، وكانت النصيحة للبعض أن تمهلوا في نشرها ، وتبطنوا في إعلان حقيقتها وعليكم بـ « حصان طروادة » فإنه أسلم « مركوب » وآمن « سفينة » و« وسيلة » .

بيد أنهم أخذوا النصيحة من أسيادهم ، أن إذا هوجمتم وأنتم على هذه الحال ، فقوموا برد فعل عنيف حتى يهاب الشجاع ويتراجع الجرئ المقدام .

إن « محمد حداد » يطالب حنفي من على صفحات جريدة الحياة بعدم « النكوص » أمام بوادر القمع والإرهاب !

ثم يقول متطوعا بالدفاع عن عبد « فيورباخ » والفكر الغربي : « وأخشى أن الدكتور حنفي لم يقع في شراك الخطاب النقيض منذ بضعة أسابيع فقط أي منذ رمي باطلا بتهمة الإلحاد (!) ، بل قبل ذلك بكثير ذلك أن فكر حنفي يتميز بمنحى قد يكون فريدا بين المفكرين العرب المعاصرين (!) . وهو ذلك الغموض(!) الذي يميز مفاهيمه ومصطلحاته في كل ما نشره من دراسات

---

(١) جريدة الحياة المرجع رقم ١٢٥٤٠ .

(٢) المرجع السابق

وكتب. ولا يرجع الأمر إلى عجز عن التوضيح (') أو خوف من الآخرين. بل هو اختيار واع (') ... إن حنفي حدد اختياراته بوعي منذ البداية" (١).

إن حنفي حدد اختياراته بوعي منذ اختار التكلم باسم الإسلام والمسلمين، منذ ادعى أنه مجدد وفقيه. بغية أن يهدم الإسلام من داخل الإسلام نفسه ومنذ اختار لعب «لعبة النقيض» والتشويش. والغموض والاجتهاد في العقائد، وتكملة الهدم(*).. ثم البناء .. بناء العلمانية الإلحادية التي تلغي الإلهيات وتقدح في النبوة والوحي .. بناء العقل المتمرد المستقل الرافض لعبودية الله الراضي بالحقير والخسيس والفرح بالقليل الهزيل من العلم. ومنذ اختار «لعبة النصوص» والتباطئ في تغيير عقائد المسلمين في حركته وواقعه .. وجلب البديل الغربي، الذي يقول خداعا وتلبيسا على البعض أنه ينكره ويتحداه ويرفضه ويحاكمه ويكرس عمره وعمله في اليسار الإسلامي خبء والحكم عليه وقتله رميا بالرصاص (**)!

بيد أن المشكلة التي سببها هؤلاء المستترين بالإسلام هو أنهم بالفعل أقنعوا بعض المسلمين بأنهم مجتهدون مسلمون وفقهاء ومفكرون، وإذا حاولت إقناع

---

(١) جريدة الحياة ١٦ يوليو ١٩٩٧ العدد ١٢٦٥٦

(*) انظر رده على من أسماهم دعاة الاكتفاء الذاتي من العلمانيين في كتابه التراث والتجديد ص ٢٤، ٢٤ وقد قدمناه في الفصل الأول.

(**) من ذلك قوله «لكن أخطر ما يهدد المسلمين الآن هو الاستعمار الحضاري. اذ يود الغرب تفريغ هذه الشعوب التاريخية من مصادر قوتها الرئيسية في تراثها حتى يأمن يقظتها ويأسر روحها ويحاصر إبداعها». في اليسار الإسلامي ص ٣٢ نقلا عن المثقفون العرب والتراث ص ٢٢٤ ويقول «أريد تحجيم الغرب ورده إلى حدوده الطبيعية في الوحدة. العدد ٦ ص ١٣٥ دوري إذن هو التحرر من هذا الإشعاع العربي تحجيم الغرب داخل حدوده». في اليسار الاسلامي ص ٢١ نقلا عن المثقفون العرب ص ١٨٨

هذه الطائفة المغرر بهم لم يبالوا بما تقول .. وهم لم يقرأوا حرفا واحدا مما كتبه حنفي في «من العقيدة إلى الثورة» مستهزءا تارة بالله[1]. وتارة بالوحي. وتارة بالنبوة وتارة بالمعجزات[2] وغير ذلك مما ملئ به ستة مجلدات «من العقيدة إلى الثورة» كل مجلد يحتوى على ستمائة صفحة ونيف .. فضلا عن أنهم لم يقرأوا ما كتبه في التراث والتجديد وهو أيضا ضخم جدا .

وهذه الطائفة من المسلمين تحتاج لرعاية دؤوبة ووعي بما يدور في عالم الفكر، خصوصا الفكر المنقول عن الغرب والذي اعترف د. زكي نجيب محمود في أخريات حياته أنه فكر «غزو» فكر» سوانا» مما لا يتلائم مع حضارتنا وديننا .

وهو نفس الفكر الذي اعترف الدكتور عبدالرحمن بدوي أنه فكر ضحل لا يعرف من الإسلام إلا الأفكار التي ورثها عنه من الصليبية الحاقدة التي حملت النوايا السيئة تجاه الإسلام لذلك فإننا كمسلمين نحتاج إلى رؤية واضحة لطبيعة الأعداء لأن تزايد مخاطرهم في صورة متسترين علمانيين بالإسلام تظهر اليوم بأكثر من أي يوم مضى !

---

(١) أنظر من العقيدة إلى الثورة المجلد الأول ص١٢ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٨٧ ، ٩١ ، ١٢٧ ، ٢٧٧ . والمجلد الثاني ص١٠٤ ، ١٢٤ ، والمجلد الثالث ص١٥٦ ، ٢٨٦ ، ١٥٥ ، ٣٤٤ ، ٣٠٢ ،

(٢) انظر المرجع السابق المجلد الرابع ص١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ٢٣٠ ، ٢٤٤ والمجلد الخامس ص٣٠٢ ، ٣٠٣ . لو نقلناها هنا لتضخم الكتاب جدا . ويكفي أقواله المتقدمة في الإسلام والألوهية والوحي والنبوة .

هذا الوضوح - مع وضوح العقيدة الاسلامية في نفس المسلم والداعية - ينتج فهم لضرورة الاستقلال الفكري عن غير المسلم، ومفاصلة الأعداء، ويؤدي إلى قيام كل داعية بمسئولية الحفاظ على الإسلام . في عمل دائب ومصارعة الفكر المضاد.

ولن يكون ذلك والعدو غامض في صدر المسلم أو الداعية أو غير معروفة هويته في رؤية المسلم أو الداعية .

إن الجدية - كما ذكر الأستاذ محمد أحمد الراشد - هي حالة من التيقظ المتواصل المستديم وهي لن تصير حقيقة في المجموعة العاملة، ولن يكون لها مردود حسن على شعب الخير الإسلامي الواسعة المتنوعة كلها، إلا بانتصاب عوامل عشرة - ذكرها الراشد في المسار - تكون الظروف الملائمة لتأسيس وتصعيد هذه الجدية نذكر منها هنا (العامل التاسع) - فهو الذي يهمنا هنا في هذا السياق -

وهو عامل : رؤية تزايد المخاطر الخارجية المحدقة بالدعوة .

«فإن الأعداء كثرة. وعلى مقدار كبير من الحيوية والعمل المنظم وتحركهم أحقاد متنوعة ، ويظاهرهم إسناد دولي، وليس لنا غير اتخاذ الأسباب الممكنة، ثم التوكل على الله تعالى... ولهذا كان من تمام وسائل الجدية أن نتعرف على حجم الأعداء وخططهم وأساليب مكرهم ، وأن ندعوا أصحابنا وأنصارنا إلى رؤية ما نكتشف من أخبارهم . فإن الكثيرين منهم ينامون ملء جفونهم. لا يحسون بزحف الإلحاد .

ولكن المبالغة في تقدير قوة الأعداء قد تحول الإيجاب الصاعد المبتغى إلى سلب

انهزامي نازل. وقد أحسن الأستاذ الدكتور جعفر آدريس التحذير من التطرف في ذلك[*]. وكان لسيد قطب رحمه الله تشجيع متكرر للمسلمين على النهوض بوجه الباطل مهما كانت سطوته. فإن عوامل ضعفه كامنة في أصل كيانه. والدعاية الواسعة التي يحيط بها نفسه كاذبة ينبغي بها إرهاب نفوس من لا يفطنون إلى ما في الحق من قوة ذاتية وإن قل أنصاره وسلاحه وماله[1].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المؤلف

طارق عبدالباقي منينة

(*) مجلة المسلم المعاصر

(١) المنار ص ١٩١ ١٩٢

قائمة المراجع

١ ـ النص . السلطة . الحقيقة (الفكر الديني بين إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة) نصر حامد أبو زيد نشر . المركز الثقافي العربي . الدار البيضاء الطبعة الأولى ١٩٩٥م .

٢ ـ مفهوم النص دراسة في علوم القرآن . نصر حامد أبو زيد المركز الثقافي العربي الدار البيضاء ، الطبعة الثالثة ١٩٩٦ .

٣ ـ التفكير في زمن التكفير ضد الجهل والزيف والخرافة ، نصر حامد أبوزيد . مكتبة مدبولي القاهرة الطبعة الثانية يوليو ١٩٩٥ .

٤ ـ نقد الخطاب الديني . نصر حامد أبو زيد .

٥ ـ الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية ، نصر حامد أبوزيد ، مكتبة مدبولي الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة ١٩٩٦ .

٦ ـ إشكاليات القراءة وآليات التأويل . نصر أبوزيد المركز الثقافي العربي ، الطبعة الثانية١٩٩٢ .

٧ ـ الصحوة الإسلامية في ميزان العقل للدكتور فؤاد زكريا ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع . الطبعة الأولى القاهرة ١٩٨٩ .

٨ ـ آفاق الفلسفة د . فؤاد زكريا الناشر مكتبة مصر ، المركز الثقافي العربي . مركز الإنماء القومي .

٩ ـ خطاب إلى العقل العربي د . فؤاد زكريا . مكتبة مصر القاهرة .

١٠ ـ من العقيدة إلى الثورة . المجلد الأول . الطبعة الأولى . مكتبة مدبولي للدكتور حسن حنفي .

١١ ـ من العقيدة إلى الثورية من المجلد الثاني حتى الخامس . للدكتور حسن حنفي دار التنوير للطباعة والنشر الطبعة الأولى ١٩٨٨ .

١٢ ـ حصاد السنين للدكتور زكي نجيب محمود ، في دار الشروق . الطبعة الأولى ١٩٩٢ .

١٣ ـ الثقافة والأيديولوجية في العالم العربي (١٩٦٠ـ١٩٩٠) دكتورة فهمية شرف الدين دار الأدب . بيروت . الطبعة الأولى ١٩٩٣ .

١٤ ـ نقد السياسة الدين والدولة للدكتور برهان عليون المؤسسة العربية للدراسات بيروت الطبعة الثانية ١٩٩٣ .
١٥ ـ الثقافة العربية في المهجر دار توبقال للنشر .
١٦ ـ العصبية والدولة (معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي) للدكتور محمد عابد الجابري (دكتوراة الدولة في الفلسفة) دار النشر المغربية الطبعة الرابعة ١٩٨٤ .
١٧ ـ القرآن ومشكلات حياتنا المعاصرة . للدكتور محمد أحمد خلف الله . المؤسسة العربية للدراسات والنشر . الطبعة الأولى ١٩٨٢ .
١٨ ـ المثقفون العرب والتراث . الدكتور جورج طرابيشي . دار رياض الريس للكتب والنشر ، 56 Knighsbridge , Londen Sw 1x7 Nj الطبعة الأولى .
١٩ ـ نقد العقل العربي (نظرية العقل) جورج طرابيشي . دار الساقي ـ بيروت ١٩٩٩
٢٠ ـ نقد الحقيقة . د . علي حرب . الناشر المركز الثقافي العربي ـ بيروت ١٩٩٣.
٢١ ـ نقد النص ، د . علي حرب ـ المركز الثقافي العربي ـ بيروت ١٩٩٣ .
٢٢ ـ من العقيدة إلى الثورة دار التنوير ـ بيروت الجزء الثاني الطبعة الأولى ١٩٩٨.
٢٣ ـ تاريخية الفكر العربي الإسلامي للدكتور محمد أركون الطبعة الثانية ١٩٩٦.
٢٤ ـ الفكر الإسلامي قراءة علمية للدكتور محمد أركون مركز الإنماء القومي . لبنان ١٩٨٧ .
٢٥ ـ التراث والحداثة ـ دراسات ومناقشات الدكتور محمد عابد الجابري . المركز الثقافي العربي الطبعة الأولى
٢٦ ـ الاستشراق بين دعاته ومعارضيه . دار الساقي في الطبعة الأولى ١٩٩٤ .
٢٧ ـ جسر بين ثقافتين . عربي / هولندي وفيه مقالات للشاعر « أدونيس » المكتبة المركزية / لاهاي برقم Brug ، ٧٠١ .

٢٨ ـ كلام البدايات شعر أدونيس دار الآداب بيروت الطبعة الأولى .
٢٩ ـ شهوة تتقدم في خرائط المادة (شعر) لأدونيس . دار توبقال للنشر الدار البيضاء . المغرب . الطبعة الأولى ١٩٨٧ .
٣٠ ـ أبجدية ثانية (شعر) دار توبقال الطبعة الأولى ١٩٩٤ .
٣١ ـ مذبحة التراث في الثقافة العربية المعاصرة . لجورج طرابيشي . دار الساقي بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٣ .
٣٢ ـ الاستشراق (المعرفة . السلطة . الإنشاء) لإدوارد سعيد . مؤسسة الأبحاث العربية . بيروت الطبعة الرابعة العربية ١٩٩٥ .
٣٣ ـ حصاد العقل في اتجاهات المصير الإنساني للعشماوي دار سينا للنشر ١٩٩٢ .
٣٤ ـ تاريخ الشعوب الإسلامية للمستشرق كارل بروكلمان دار العلم للملايين ، بيروت ، يوليو ١٩٨٨ .
٣٥ ـ المستشرقون . لنجيب عفيفي . مكتبة ليدن برقم 893C48
٣٦ ـ مجلة المجلة .
٣٧ ـ جريدة الحياة اللندنية كمصدر لمقالات مختلفة للدكتور محمد عمارة وأدونيس والعفيف الأخضر وجابر عصفور وغيرهم
٣٨ ـ جريدة العالم الإسلامي إصدار رابطة العالم الإسلامي .
٣٩ ـ النبي موسى ورسالة التوحيد . تأليف سيجموند فرويد ، ترجمة ودراسة دكتور عبدالمنعم الحفني . دار الراشد القاهرة . الطبعة الأولى ١٩٩١ .
٤٠ ـ مجلة سيدتي .
٤١ ـ المرأة الجديدة لقاسم أمين مكتبة ليدن / هولندا برقم 802 مطبعة الشعب ١٩١١م .
٤٢ ـ المغرب المعاصر الخصوصية والهوية . . الحداثة والتنمية . مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر الدار البيضاء ، نوفمبر ١٩٨٨ .
٤٣ ـ المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها . الدكتور عبدالرحمن عميره دار اللواء للنشر والتوزيع الرياض . الطبعة الثانية ١٩٧٩ .

٤٤ ـ الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين مصطفى نصر المسلاتي . الطبعة الأولى ١٩٨٦ منشورات (إقرأ) طرابلس
٤٥ ـ مناهج المستشرقين (في الدراسات العربية والإسلامية) طبعة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (مكتب مطبعة التربية العربي لدول الخليج) ١٩٨٥ .
٤٦ ـ الغزو الصليبي والعالم الإسلامي للدكتور على عبدالحليم محمود دار عكاظ السعودية ١٩٧٩ .
٤٧ ـ سقوط الغلو العلماني للدكتور محمد عمارة دار الشروق .
٤٨ ـ المفترون خطاب التطرف العلماني دار الشروق . الطبعة الأولى ١٩٩٦ .
٤٩ ـ التفسير الماركسي للإسلام د . محمد عمارة دار الشروق ١٩٩٦ .
٥٠ ـ المؤامرة على الإسلام للشيخ أنور الجندي . دار الاعتصام ١٩٧٨م .
٥١ ـ شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي للشيخ أنور الجندي ، المكتب الإسلامي ١٩٧٨ وهو برقم B3 - 8152 مكتبة ليدن / هولندا .
٥٢ ـ سقوط العلمانية(الموسوعة الإسلامية العربية «٢») للشيخ أنور الجندي ، دار الكتاب اللبناني بيروت ١٩٧٣ . وهو برقم 8068-D23 بمكتبة ليدن / هولندا .
٥٣ ـ الإسلام والدعوات الهدامة (الموسوعة ... «٣») دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ١٩٧٤ وهو برقم 8084-D16 بمكتبة ليدن / هولاندا .
٥٤ ـ حول آراء طه حسين للشيخ أنور الجندي ، نشر في مجلة الكتاب التي تصدر في بغداد عن اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين ومجلة التمدن الإسلامي التي تصدر من دمشق عن جمعية التمدن الإسلامي وهو برقم 8147-B12 المكتبة بجامعة ليدن / هولندا .
٥٥ ـ المحافظة ـ والتجديد في النثر العربى المعاصر في مائة عام للشيخ أنور الجندي طبع في مطبعة الرسالة . مصر . مكتبة ليدن برقم 8248E9 .
٥٦ ـ الفصحى لغة القرآن للشيخ أنور الجندي دار الكتاب اللبناني ـ مكتبة ليدن / هولندا برقم 8094 D13 .

٥٧ ـ نقد كتاب في الشعر الجاهلي للشيخ محمد الخضر حسين . موجود في مكتبة لندن برقم 8138D5
٥٨ ـ الإسلام والقومية العلمانية للشيخ عبدالسلام يس . دار البشير للثقافة والعلوم . طنطا ـ مصر طبعة ١٩٩٥ .
٥٩ ـ مذاهب فكرية معاصرة للأستاذ محمد قطب . دار الشروق ١٩٩٣ .
٦٠ ـ حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية للأستاذمحمد قطب دار الشروق الطبعة الأولى ١٩٩٨ .
٦١ ـ جاهلية القرن العشرين للأستاذ محمد قطب ،١٩٩٥ . دار الثقافة الدار البيضاء ـ دلر لبشروق .
٦٢ ـ كيف نكتب التاريخ الإسلامي للأستاذ محمد قطب . دار الشروق ١٩٩٣ .
٦٣ ـ التطور والثبات في حياة البشرية دار الشروق للأستاذ محمد قطب ١٩٩٥ .
٦٤ ـ بيانات الحل الإسلامي وشبهات العلمانيين والمغتربين للشيخ يوسف القرضاوي مكتبة وهبة . الطبعة الثانية ١٩٩٣ .
٦٥ ـ دراسات في النفس الإنسانية للأستاذ محمد قطب دار الشروق . الطبعة العاشرة ١٩٩٣ .
٦٦ ـ دراسات قرآنية للأستاذ محمد قطب دار الشروق الطبعة الثالثة ١٩٨٢ .
٦٧ ـ السلام العالمي والإسلام للأستاذ سيد قطب دار الشروق ١٩٩٥ .
٦٨ ـ في التاريخ .. فكرة ومنهاج للأستاذ سيد قطب دار الشروق ١٩٩٣ .
٦٩ ـ المستقبل لهذا الدين للأستاذ سيد قطب دار الشروق ١٩٩٢ .
٧٠ ـ هذا الدين للأستاذ سيد قطب دار الشروق ١٩٩٣ .
٧١ ـ في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب الطبعة السابعة عشر ١٩٩٢ .
٧٢ ـ مقومات التصور الإسلامي للأستاذ سيد قطب دار الشروق الطبعة الرابعة ١٩٨٨
٧٣ ـ الإسلام ومشكلات الحضارة للأستاذ سيد قطب دار الشروق ١٩٩٥ .
٧٤ ـ خصائص التصور الإسلامي ومقوماته للأستاذ سيد قطب دار الشروق الطبعة الشرعية الثانية عشر ١٩٩٢ .

٧٥ ـ الصحوة الإسلامية بين الأمال والمحاذير للشيخ يوسف القرضاوي الطبعة الثانية دار الصحوة ١٩٩٤

٧٦ ـ العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي للشيخ أنور الجندي طبعة دار الكتاب اللبناني دار الكتاب المصري . القاهرة لسنة ١٩٧٩ . وهو بمكتبة ليدن 8211D25 .

٧٧ ـ المسار للأستاذ محمد أحمد الراشد . دار المنطلق . الإمارات العربية المتحدة ١٩٩١ .

٧٨ ـ نقد المتن بين صناعة المحدثين ومطاعن المستشرقين . تأليف الدكتور نجم عبدالرحمن خلف مكتبة الراشد السعودية طبعة ١٩٨٩ .

٧٩ ـ معركة الإسلام والرأسمالية للأستاذ سيد قطب دار الشروق الطبعة الثالثة عشر ١٩٩٣ .

٨٠ ـ نظرات في حركة الاستشراق د . عبدالحميد عبدالمنعم مدكور .

٨١ ـ وباء العلمانية وهل له مبرر في العالم الإسلامي طبع على نفقة بعض المحسنين بلا ذكر للناشر الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ .

٨٢ ـ مجموع فتاوى ابن تيمية . جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي ـ السعودية .

٨٣ ـ صحيح مسلم بشرح النووي .

٨٤ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني . دار المعرفة . بيروت .

٨٥ الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية للشيخ أبو الحسن علي الحسيني الندوي . دار القلم . الكويت الطبعة الخامسة ١٩٨٥ .

٨٦ ـ الإنسان بين المادية والإسلام دار الشروق الطبعة السابعة ١٩٨٢ للأستاذ محمد قطب .

٨٧ ـ ترجمات معاني القرآن الكريم وتطور فهمه عند الغرب د . عبدالله عباس الندوي كتاب رابطة العالم الإسلامي العدد ١٧٤ .

٨٨ ـ أضواء على الحريم السياسي لخيرية السقة دار الفكر بيروت ١٩٩٧ .

٨٩ ـ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين دار الأنصار القاهرة .
٩٠ ـ الإسلام بين العلم والمدنية للإمام محمد عبده . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٣م .
٩١ ـ لماذا ظهر الإسلام في جزيرة العرب . للشيخ أحمد موسى سالم . دار الجيل . بيروت الطبعة الثالثة ١٩٩١ .
٩٢ ـ تفسير المنار ، الجزء السابع ، مطبعة المنار بمصر .
٩٣ ـ القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم (دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف العلمية) ، للدكتور المسلم موريس بوكاي . طبعة جمعية الدعوة الإسلامية طرابلس ليبيا .
٩٤ ـ علل وأدوية للشيخ محمد الغزالي دار الدعوة يونية ١٩٩١ .
٩٥ ـ المحاور الخمسة . للشيخ محمد الغزالي دار الوفا ، المنصورة ، الطبعة الثانية ١٩٩٢ .
٩٦ ـ حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان حقوق الإسلام للشيخ الغزالي دار الدعوة الطبعة الأولى ١٩٩٣م .
٩٧ ـ كيف نفهم الإسلام للشيخ الغزالي دار الدعوة الطبعة الأولى ١٩٩١م .
٩٨ ـ الجانب العاطفي من الإسلام .
٩٩ ـ الطريق من هنا للشيخ الغزالي . دار البشير ـ القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٨٧ .
١٠٠ ـ زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم الجوزية . دار الكتب العلمية ، بيروت بدون تاريخ .
١٠١ ـ الإسلام ونظرية داروين للأستاد محمد أحمد باشميل . دار الفتح / بيروت الطبعة الثالثة ١٩٨٤م .
١٠٢ ـ المستقبل للإسلام محمد فريد وجدي . دار الكاتب العربي .
١٠٣ ـ الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين للدكتور شوقي أبو خليل . دار الفكر العربي . الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٩٥م .
١٠٤ ـ دفاع عن القرآن ضد منتقضيه د . عبدالرحمن بدوي . دار الجليل للكتب والنشر الطبعة الأولى ١٩٩٧ .

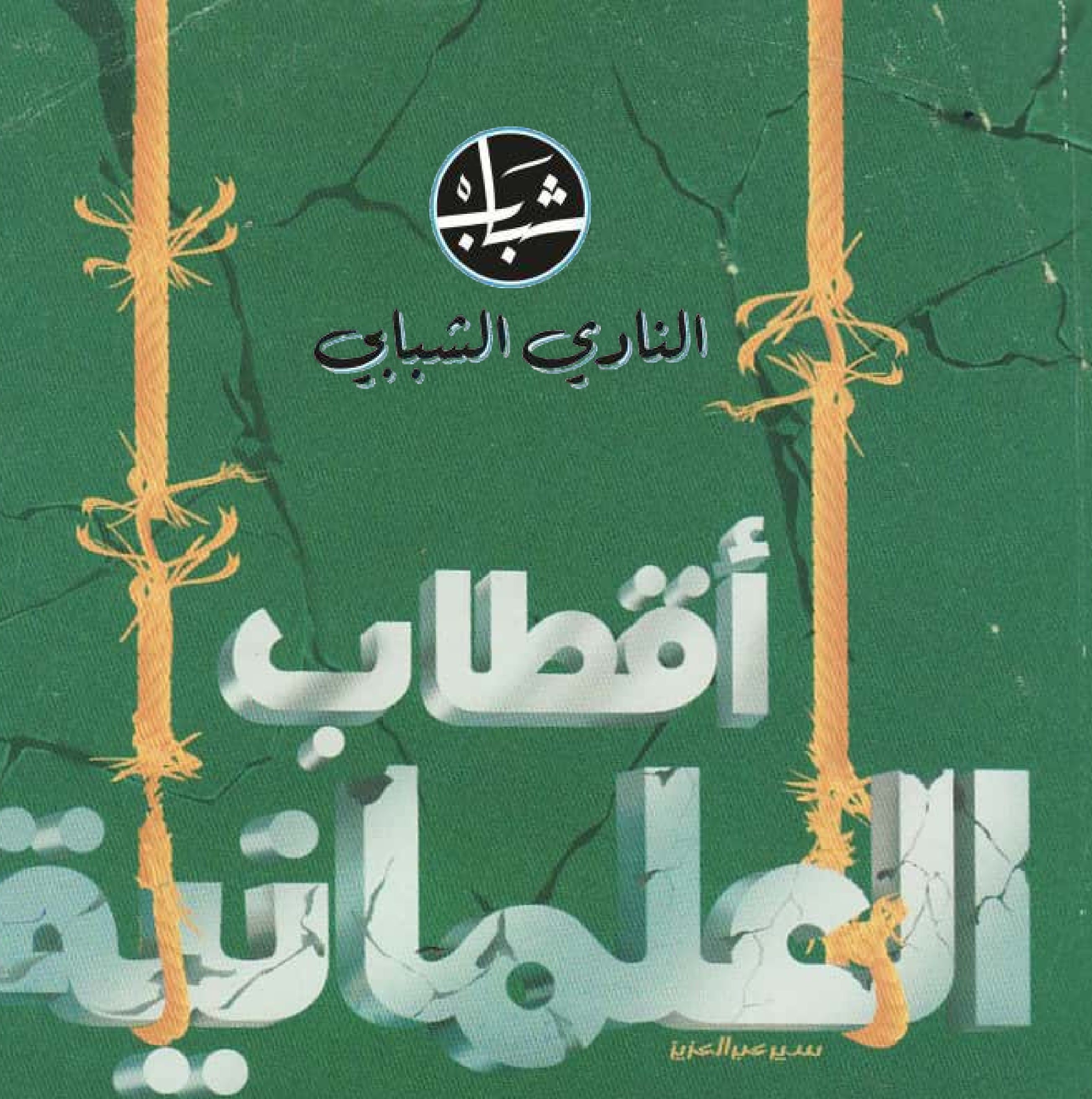
١٠٥ ـ المؤامرة على التاريخ الإسلامي (٨) من مجموعة الغزو الفكري في المناهج الدراسية . إعداد د. جمال عبدالهادي . د. وفاء محمد رفعت أ. محمد عبدالمنعم . أ. لطفي حسن عوض نشر دار الوفاء
١٠٦ ـ المؤامرة على التعليم والمعلم . إعداد مجموعة من الأساتذة وهو الجزء (١٠) من مجموعة الغزو الفكري في المناهج الدراسية (إعداد حسن جوده . محمد خفاجه . أحمد العدل . صلاح الدين محمد . محمد يوسف صبيح . عبدالفتاح غالي دار الوفاء المنصورة .
١٠٧ ـ الزور والبهتان فيما كتبه طه حسين (في أبو بكر وعمر ﷺ) ومؤلفات أخرى إعداد د. جمال عبدالهادي د. وفاء محمد رفعت أ. على أحمد لبن دار الوفاء بالمنصورة أمام كليه الطب .
١٠٨ ـ الشيخ الغزالي كما عرفته (رحلة نصف قرن) دار الوفاء للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ١٩٩٧ .
١٠٩ ـ المقالات المحظورة للأستاذ فهمي هويدي . دار الشروق الطبعة الأولى ١٩٩٨ .
١١٠ ـ كتاب الناقد العنف الأصولي (نواب الأرض والسماء) الطبعة الأولى أكتوبر ١٩٩٥ الناشر رياض الريس للكتب ، وهو موجود في المكتبة العامة في لاهاي ـ هولاندا برقم **nuww 217.9** .
١١١ ـ خريف الفكر اليوناني للدكتور / عبدالرحمن بدوي الطبعة الخامسة دار القلم ـ بيروت ـ ١٩٧٩م .
١١٢ ـ نيتشه للدكتور فؤاد زكريا دار المعارف الطبعة الثانية .
١١٣ ـ نقد مذهب هيجل للدكتورة / فريال صالح .

* * *


النادي الشبابي

فهرس الكتاب


شباب
النادي الشبابي



أقطاب العلمانية

في العالم العربي و الإسلامي

(2)

طارق منينه

إبن الشاطئ

دار الدعوة

أقطاب العلمانية

في العالم العربي والإسلامي

(الجزء الثاني)

الطبعة الأولي

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م



رقم الايداع القانوني

٩٣٦٢ / ٢٠٠٣م

الترقيم الدولي : 977-253-310-3

دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع

٢ شـارع منشـا - محـرم بك - الاسكندرية

تليفاكس : ٠٣/٣٩٠١٩١٤ - ٠٣/٣٩٠٧٩٩٨

أقطاب العلمانية

في العالم العربي والإسلامي

(الجزء الثاني)

د. سيد القمنى
المستشار. محمد سعيد العشماوى
د. أحمد عثمان
د. أحمد سوسة
موسى مطلق إبراهيم
شفيق مقار

تأليف

طارق عبدالباقي منينة
(ابن الشاطىء)

دار الدعوة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن مما يُثير الغثيان ويُشعر المرء بالقرف أن نرى رجالاً المفترض فيهم أن يقوموا بحماية معتقدات هذه الأمة المسلمة التي كرمّها الله بالإسلام، أن نراهم يقومون بخلخلة معتقداتنا وتدمير ثوابتها، ومسخ هويتها فيما هم يسيطرون على دفة إدارات الثقافة في أغلب البلاد العربية والإسلامية ويديرون المنتديات والحوارات الثقافية في عالمنا الإسلامي! من هؤلاء الدكتور جابر عصفور الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة في مصر، فهو يدافع بقوة عن إخوانه العلمانيين الذين يقومون بمحاولات خطيرة للعبث بالوحي القرآني وقلب حقائقه ومبادئه وتحطيم دلالاته ومفاهيمه وتحويل رموزه وشخوصه.

لقد دافع الدكتور جابر عصفور عن الدكتور سيد القمني والدكتور نصر حامد أبو زيد والمستشار محمد سعيد العشماوي وغيرهم ممن يقفون معه في خندق واحد بغية القضاء على هذا الدين وإرساء معالم علمانية بغيضة تقوم على أسس الفكر المادي القاصر في نظرته إلى الكون والحياة والإنسان والتاريخ.

وهو يدّعي كما يدَّعون أننا نحكم على نياتهم ولا نقرأ لهم! كما يدّعي ويدَّعون أنهم أحرص منا على ثوابت هذه الأمة وهويتها ودينها وأن غرضهم هو التنوير وإرجاع الأمة إلى عقل رشيد!! لذلك كان هدفي الأساسي والرئيسي والأول هو كشف هؤلاء العلمانيين وإبرازهم كما هم ،مع فحص أفكارهم ونقدها نقداً علمياً وموضوعياً يكشف بالأدلة والبراهين تلفيقاتهم وتلوُّنهم وخداعهم ونفاقهم وخلل أفكارهم وتقليدهم للغرب في نظرته ونظرياته، ونقلهم الأعمى للغث والحقير من الفكر الأوربي الذي لا يرقى إلى مستوى العلوم الفكرية والعقلية الإسلامية التي لاتفصل السماء عن الأرض، ولا الكون عن الإنسان، ولا الروح عن الجسد، ولا العقل عن الوجدان، ولا العالم عن الفطرة، ولا الجزء عن

الكل، ولا الإنسان عن المهمة الإستخلافية التي أعطى قوانينها وآلياتها، ومنح أدواتها ووسائلها، وحدد له غاياتها ومقاصدها.

في هذا الجزء من كتاب أقطاب العلمانية، وهو الجزء الثاني كشفت ألاعيب أكابر العلمانيين ومحاولاتهم السخيفة في قلب التاريخ وتغيير معالمه، وبينت أن هذه المحاولات إنما هي تداعيات لظروف شائهة مرت بها أوربا في قرونها الأخيرة مِمّا أدى إلى إقصاء الدين، والعبث بالوحي، وحجب الكلي، ونسف الشمولي، وتحويل الإلهي، وتزوير التاريخي، ومسخ الإنساني.

لقد قسمت الكتاب إلى بابين في تسعة فصول، يحتوى الباب الأول على فصلين هامين يعتبران تمهيداً ضرورياً، وبياناً للمصدر الذي يستقى منه أصحاب النظريات التاريخية من العلمانيين العرب أفكارهم وخيالهم الملفَّق المتصنَّع، وهو باب لو قُرِء بعناية لأفيد منه أعظم الفائدة، ففى الفصل الأول أبرزت الحقيقة الإلهية الشاملة عن الإنسان والعمران الشامل والنبوة والرسالة، ثم قمت بعرض تفصيلي لأزمة الوعي الأوربى في «وحدات» و«نماذج» معينة بحيث ينكشف للقارئ مواضع الخلل في تطور هذا الوعي في كل مناحيه الفكرية والفلسفية والاجتماعية، ومن ثمّ ينكشف له خلل المصدر الذي يعتمد عليه العلماني اعتماداً كلياً في مواجهة المرجعية الإسلامية الأصيلة والشاملة.

لقد جزّأت المرجعية الفلسفية الغربية الحقيقة، وعزلت الأدلة الرئيسية عن نظرتها الأحادية إلى الحياة والغيب والنبوة والتاريخ، اكتفاءً بالأدلة الثانوية الغامضة، والأجزاء المشوّهة المعزولة، والبعض الضعيف القاصر، فكانت النتيجة رؤية للعالم والتاريخ دمّرت الكليات، ورفضت الغيبيات وعبثت بالأصول والمقاصد العامة، فحقّرت الإنسان وحبست روحه داخل قمقم المادية والحسية الكثيف ابتعاداً به عن أصوله الأولى وغايته المهيّئ لها والمعان عليها والمكلف بها.

إن تخريب الإنسان وإعلان موته الأخير دليل على زيف الوعي الذى زعم أنه

قادرٌ على كل شيء، وقادر على استعادة كمال الإنسان.

في الفصل الثاني أبرزت «النموذج الأصل» لمعظم «الأساطير العلمانية» الجديدة التي أطلقتها «الذهنية المادية» وهي تسعى لتخريب التاريخ البشرى كله وقلب رواياته ووقائعه.

أما الباب الثاني[1] فقد قسّمته إلى سبعة فصول، عرضت في كل فصل «أسطورة علمانية» عن النبوة والأنبياء وشخص «النبى الرسول» موسى عليه السلام كنموذج ضربه العلمانيون لنا كدلالة على زيف النبوات وأنها لا أصل لها، ولا صلة لها بالوحي الإلهي، وإنما الواقع الأرضى أو الاقتباس والسرقة ونزع الأصول من واقع تاريخى طبيعي إلى واقع مقتبس خيالي وزائف.

إن هذا الكتاب يحتاجه من استوى عوده، وانتصبت قامته، وارتفعت هامته، وتعمق علمه، وتجذرت عقيدته، وزاد يقينه، وقال يوما: صُمّت أذن الدنيا إن لم تسمع لنا! إنني كتبته لإخوان إتسعت مداركهم ووسعت عقولهم الدنيا ولم يقفوا عند السنن الصغرى فاغرين أفواههم مستغرقين فيها غائبين عن السنن الكبرى محقرين وعازلين لها فيما الآخر يُدمِّر الكبير الذي إذا هوى لحقه الصغير والقليل!

لقد كان ابن تيمية رحمه الله دليلاً سلفياً لنا لدراسة العالم كله وفحصه ونقده وإبراز سنن الحق فيه وسنن الباطل وكتابه «نقض المنطق» أكبر شاهد على ذلك.

ولقد قرأت مجموع فتاوى ابن تيمية أكثر من مرة، وقرأت معظم مؤلفاته الأخرى. فلم أجد الرجل يعتزل الحياة مكتفياً بأنه مسلم، عقيدته سليمة وسنته قويمة، بل كان «شيخ الإسلام» حقاً، نازل الفلاسفة، وصارع المتفلسفة، وخاض معركته الفاصلة مع التصوف المنحرف، ولم يلغ حقاً لأجل باطل غالب!، ونقد عقائد أهل الكتاب، كما نقد جمود المتفقهة من أهل السنة، اقرأ له في هذه النقطة

(١) يمكن للقارئ الكريم أن يبدأ من هذا الباب، اختصاراً واقتصاراً على فكر أقطاب العلمانية العرب، لكني أنصح القارئ المتمرس الخبير أن يقرأ الكتاب من أوله. المؤلف.

على سبيل المثال الصفحات الأولى من كتابه القيم «اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم».

لذلك أقول للإخوان الكرام تعلموا القراءة كما تتعلموا العقيدة! وادرسوا العلوم كما تدرسوا الفقه!، ولقد قطعتم شوطا طويلا عجيباً في الفهم الواسع فكنتم خير منازلين للباطل متجاوزين عن أخطاء العلماء وبعض اجتهاداتهم الضعيفة التي يؤجرون عليها إن شاء الله!، فيما وقف غيركم يصارع العلماء ويغتال فضلهم ويحجز علمهم ويمسخ علوم الخير التي قدموها للأمة يوم كان الكل مغترباً فأرجعوا للأمة ثوابت دينها التي كادت أن تتلاشى نتيجة الهجمات العلمانية بعد سقوط الخلافة واضمحلال العلم والفهم المتكامل.

إنني بكتابي هذا أُذكِّر الأمة بأن الفكر هو سلاح خطير وفعّال، ومعركتنا اليوم ليست برفع السلاح أو بإعادة السنن الصغرى دون السنن الكبرى أو بوضع السنن الصغرى عثرة في طريق إحياء السنن الكبرى من هذا الدين العظيم. وليتذكر المسلم الواعي أنه إذا تعارضت مصلحتان فإنه يتجاوز الصغرى لجلب الكبرى، وإذا كان لابد من حصول مفسدة بتدافع مفسدتين فإن ارتكاب الصغرى دفعاً للكبرى من فقه هذا الدين وأصوله التي قننها السلف الكريم.

تحية إلى الإخوان الكرام، وإلى القارىء الذي يُعلِّم أولاده القراءة من الصغر الجريدة، والمجلة الصغيرة، والكتيب الصغير؛ فإن ذلك داعية إلى دراسة العلوم وحماية العقيدة، والتعامل مع الأفكار بيقين واقتدار.

هذا الكتاب هدية للصحوة المباركة، فاقرأه بتمهل وأنت تقرأ الآيات الكريمة من سورة الذاريات في الرد على الكفار والمنافقين ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ۝٦ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ۝١٠ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾[الذاريات: ٥:١١]

طارق عبدالباقي

لاهاي / هولندا ٦/٥/٢٠٠٢

الباب الأول

الفصل الأول

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧) قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[الأنبياء: ١٠٧-١٠٨]

« لو أردت سرد جميع الآيات التي تدعو إلى النظر في آيات الكون، لأتيت بأكثر من ثلث القرآن، بل نصفه »

[محمد عبده .. الإسلام دين العلم والمدنية]

« كان العلماء المسلمون هم الذين أدخلوا على المنهجية العلمية أسلوب « الملاحظة » للظاهرة الطبيعية في أدق تفاصيلها، وكذلك أيضاً الأسلوب التجريبي، هذان الأسلوبان كانا غريبين على منهجية المفكرين اليونانيين القدامى.

وفى الحقيقة، فإن القوة المحركة للانفجار العلمي في كل المجالات في العالم الإسلامي، من القرن التاسع إلى القرن الثامن عشر، كانت هي الحض القرآنى على أن يستخدم الإنسان عقله، وأن يقرب الطبيعة، وأن يعتنق النتائج التجريبية»

مراد هوفمان من كتابه « خواء الذات والأدمغة المستعمرة »

الإسلام والنظرة العلمانية الشائهة
أو الحضارة الكونية والحضارة الغربية

إن مما يلفت النظر عند قراءة الكلمات الأولى التي أوحى بها إلى رسول الله محمد ﷺ في أول إتصال للوحي الإلهي به، معلناً إياه رسولاً، هو أن هذه الكلمات ركّزت على الإنسان وقررت حقائق ثمينة عن طبيعته وتميزه في الخلق، والعلم، والإدراك. وبينت أن الله هو الذي منحه وسائل تناوله لسنن الأرض والسماء.

إنها الكلمات الأولى من سورة العلق ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[العلق١-٥].

فأول اتصال للوحي بالإنسان كان تقريراً للحقائق الأولى (حقائق الألوهية (حقائق الانسانية) لتكون قاعدة ثابتة في نظرة الإنسان إلى نفسه وتعرفه على إمكاناته وقدراته، وكيف أنه ميز عن المخلوقات الأخرى في وسائل إدراكه وطبيعة عمرانه فهو خطاب لطيف رقيق في تعريف الإنسان بنفسه، وبإمكاناته، كما أنه خطاب جليل في تعريف الإنسان بربه الكريم الذي منحه مميزاته الإنسانية والبشرية ووسائل منظومته العمرانية والاجتماعية، فهو الرحمن خالق الإنسان، مانح القلم والبيان ﴿الرَّحْمَٰنُ ① عَلَّمَ الْقُرْآنَ ② خَلَقَ الْإِنسَانَ ③ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١-٤]إن مفردة «الإنسان» تتكرر في القرآن بصورة لافتة للنظر والهدف كريم! ذلك أن الله خلق الإنسان وجعله المخلوق الأسمى بين المخلوقات الأرضية، وأمدّه بوسائل تعمير الأرض(*) وقد جعله خليفة وسيّداً وسخر له ما في السموات وما في الأرض وأعطاه سلطاناً على الأشياء وحمّله أمانة ومسئولية في تناوله لحقائق

---

(١) «فذكر التعليم بالقلم يتناول علم العبارة والنطق وعبارة المعاني والعلوم» «فعلّمه العلوم بقلبه والتعبير عنها بلسانه» النبوات لابن تيمية ص٢٨٧ «يهدي الانسان الذي كان علقة ومضغة إلى أنواع العلوم بأنواع من الطرق إنعاماً عليه، وفي ذلك من بيان قدرته وحكمته ورحمته ما فيه» المرجع السابق ص٢٦٩.

(*) عمارة الأرض من قوله تعالى «... واستعمركم فيها ...» هود: ٦١.

الوجود، وميزه بنعمة العقل التي ارتبطت بها نعمة الاختيار والارادة الحرة. فهو «الانسان/ الخليفة»(*) ومن هذا شأنه لابد أن يكون فريداً في طبيعته وطبيعة مسئوليته على الأرض وغاية وجوده الانساني ليسبر أغوار الزمان ويفحص آفاق المكان ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[الاسراء:٧٠] إن بني أدم هم البشر الخليفة هم الانسان ككل. ﴿. . . إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[البقرة:٣٠] خليفة بشري إنساني فريد، والخليفة مع أنه يحمل تفرداً ذاتياً وشخصية(**) إلا أنه خُلق للتفاعل الاجتماعي، والترابط البشري ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ(***) شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا(****) إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:١٣].

وهو لم يخلق للعلو في الأرض والفساد فيها، ولم يُخلق بلا غاية ولا هدف(*****) ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا . . .؟﴾ [المؤمنون: ١١٥].

﴿. . . إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ . . . .﴾ [ص:٢٦] ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً...﴾ [الاعراف:٦٩] ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ . . .﴾[الاعراف:٧٤]. فالإنسان، ذكراً وأنثي فريد في حقيقته وطبيعته، وهو «خليفة» في الأرض، والأمم يستخلفها الله فهم

(*) وليس (الانسان/ الإله) أو (الإله/ الإنسان) أو (الإنسان/ الحيوان) أو (الإنسانية/ الإله) كما في الفلسفات الغربية وسيأتي بيان ذلك بعد قليل.

(**) زعم جمال البنا في جريدة القاهرة أن القول بعبودية الانسان لله وحده تتعارض مع تكريم القرآن للانسان!!! «والمطلوب احلال انسان الايمان بالله محل انسان العبودية لله» وهذه لخبطة فكرية لكثير من لخبطات الأستاذ. راجع مقاله في القاهرة العدد ١٠٥ الثلاثاء ١٦ ابريل ٢٠٠٢.

(***) خلق الله الناس «من نفس واحدة ..» [النساء: ١].

(****) «ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين» [الروم: ٢٢].

(*****) «يرى الوجودي أن الحياة البشرية بلا غاية أو معنى» هنترميد في الفلسفة أنواعها ومشكلها ص٤٠٧.

...، وخلائف، ومستخلفين، والغرض هو تحقيق إنسانية كريمة قائمة على أسس وسنن لاتتعارض مع أسس الكون وسننه في إقامة عالم حي متناسق، كريم وإنساني وطيب وفريد وآمن. ولقد منح الله الإنسان كل مقومات الخلافة، وصفات خليفة، من «الاختيار» و«الإرادة» و«القدرة» و«الحرية» و«الفعل» و«الحركة» و«الحسم» و«المسئولية» و«العقل» و«القلب» و«الوجدان» و«الشعور» و«الخيال» و«الحافظة» و«الفكر» و«العلم» و«البيان» و«التفاعل الواعي» و«الحب الخلاّق» وغير ذلك من مقومات حياته الفردية والجماعية، العمرانية(*) والحضارية، فالإنسان في الإسلام مريد مختار فاعل مسئول عن أعماله، سيد في أرضه وسلطانه، له قدرات مميزة كإنسان مميز، وكلها منح تكريمية إلهية يعرفها الانسان من نفسه وفطرته، ويعرفها من دينه وشريعته، وليس في الاسلام نفي لمقومات الإنسان أو إلغاء لصفاته. فكيف يلغيها وهي منح ربانية وآيات إنسانية وشروط عمرانية منهجية! ولذلك فإن إرادة الله لاتلغي إرادة الإنسان فقد خلقه مريداً ومختاراً ومسئولاً! وكما أن وجود الله لاينفي وجود الإنسان، فكمال الله لايلغي كمال الإنسان «وهل - كمال المخلوق مستفاد إلا من كمال خالقه؟»(١) وكذلك فعل الله لايبطل فعل الانسان، وصفات الله لاتحجب صفات الإنسان وإنما تمنحها وجوداً وحضوراً ونشاطاً وفاعلية! وحكم الله لايلغي حكم الإنسان إنما يضع له مبادىء وسنن وقواعد ربانية لينطلق منها في بنيان عمرانه الاجتماعي وإجتماعه البشري وبيئته

(*) وبلفظ ابن خلدون فإن «الإجتماع الإنساني هو عمران العالم ... وأن نظر في الاجتماع البشري الذي هو العمران ... وهو العمران البشري والاجتماعي الانساني ... فإذن، هذا الاجتماع ضروري للنوع الإنساني، وإلا لم يكمل وجودهم وما أراده الله من اعتمار العالم بهم واستخلافه إياهم، وهذا هو معنى العمران» مقدمة ابن خلدون ص٢٧، ٣٠، ٣٤ طبعة القاهرة ١٣٢٢ نقلا عن الإسلام والأمن الاجتماعي لمحمد عمارة ص١٢.

(١) البيان في أقسام القرآن لابن القيم ص٢٥ وهو الذي كمّل خلقك في أحسن تقويم ص٣٣

الأرضي! وهكذا فليس في الإسلام صراع بين الله والإنسان ولا بين الإلهية والإنسانية كما حدث في الفكر الفلسفي الغربي وسبّب له أزماته الخطيره وأمراضه المزمنة وتناقضاته العجيبة فبالمقومات الإنسانية يستطيع الإنسان أن يقيم خلافة كريمة على الأرض وعمراناً بشرياً أصيلاً. يتعارف فيه الناس وتتكامل فيه المجتمعات، وتتمايز فيه القدرات، وتتفرد فيه الذوات والشخصيات بلا علو أو طغيان أو تألّه أو استغلال أو استعلاء أو استبداد من أحد على أحد ،والبشر(*) سواء، الكل سواسية لا فضل لأحد على أحد، لا لعربي على شرقي أو غربي ولا لأبيض على أسود، فالكل من آدم، والكل أبناء جنس بشري واحد وأبناء نوع فريد خاص له خصائصه المميزة في الوجود. وأي خلل في تفاعل هذه المقومات والقدرات يؤدي إلى تدمير خصائص الإنسان وتغيير وجهة حياته إلى حيوات رديئة ليست فيها حياة إنسانية أصيلة متكاملة وأمن اجتماعي مادي وروحي (**)

هذه هي المنهجية الإلهية وشروطها في إقامة حياة إنسانية صحيحة قائمة على عبودية الله وحده ونفي عبادة العباد للعباد!

وهي منهجية تقيم قواعد الدين القيم الأصيل، وتعيد صياغة الإنسان بعد أن مسخته الوثنيات والفلسفات القديمة (والحديثة)، وهي منهجية ترسخ مبادىء العدل الإلهي، وترد للإنسان نفسه التي افتقدها بضلاله في عالم الوثنيات

(*) وفي الآية (٧١) من سورة ص «إني خالق بشراً من طين» والبشر في اللغة هو ظهور الشيء مع حسن وجمال، وفي المعجم الكبير البشر الإنسان، للذكر والأنثى، وللواحد والمثنى والجمع.

(**) يقول الدكتور محمد عماره «نفي الاجتماع المعاصر مستجدات في مصادر الخوف والقلق الإنساني، تستدعي استنباط سبل للأمن الاجتماعي من ذات الفلسفة الاسلامية المتميزة في هذا الميدان» فالرؤية الإسلامية «جامعة لمقومات الأمن الاجتماعي للعمران البشري جميعاً، الديني منها والفكري والمادي والإنساني، العوامل مستقلة، ومتساندة، ومتفاعلة لتحقيق ضرورات العمران الآمن للإنسان» كتاب «الإسلام والأمن الاجتماعي»ص٢٥.

والفلسفات والمدنيات المستبدة(*)، إنها منهجية كريمة ترد له طبيعته الإنسانية وقيمته البشرية ومقوماته الأرضية وكرامته التي نُزعت منه وأعطيت للأوثان والآلهة المزيفة. كما أنها ترد له سلطته التي أُقيل عنها وأُعطيت للطواغيت والكهنة وأرباب الاستبداد والاستغلال السياسي والمادي والديني والفلسفي(**).

إنها منهجية تسترد الصلة الضائعة والحلقة المفقودة، فتصل المخلوق بالخالق، والأرض بالسماء، والدنيا بالآخرة، والإنسان بذاته المفتقده، وبمجتمعه الإنساني العام.

وفوق ذلك فهي منهجية فريدة تقيم علاقة حميمة بين الإنسان والكون لتحقيق الفاعلية الشاملة للإنسان في الكون والتاريخ والمجتمع. وقد منحه الله وسائل العمران، وأدوات التسخير، وصور البيان والفرقان... منحه القلم الفعال وهو آية من آيات الله عز وجل ميز به الإنسان عن الحيوان وكثير من المخلوقات العلوية والسفلية.

يقول ابن القيم «فآياته سبحانه في تعليم البيان كآياته في خلق الإنسان»(١)

فبالمعرفة والبيان والحركة الفاعلة يكتسب الإنسان الخبرة ويستكمل الدراية والدُربة فيحقق شروط خلافته على الأرض ويُتم أمانته التي حملها الله إياه لتعمير الأرض بإتقان وحكمه وبذلك يتمتع بحياة طيبة في الدنيا قبل الآخرة!

(*) كما ترد له كلمات الحق ومعانيها كما عبّرت عن ذلك الأستاذة الكبيرة زينب الغزالي بقولها إن سلطات الجاهلية سيطرت على ذرية آدم «لما ضاعت من حياتهم معاني الكلمات، وغمت عليهم جاهلية ووثنية بهتت بها كلمات الحق في وجدانهم، وضاعت من بين أيديهم معانيها، وعاشوا وقد ماتت من شفاههم الكلمات.. كلمات الحق» من كتابها نحو بعث جديد ص١٧ وهو كتاب لم أر مثله لإمرأة قبلها اللهم إلا كتابات حميدة قطب الأخيرة.

(**) ليس في الإسلام كما تعلم أخي الكريم أي صورة لأي وساطة بين الله والإنسان كالكهنوت والآلهة الدنيا أو العليا المزعومة والتي تجدها في الوثنيات والأديان المنحرفة!

(١) التّبيان في أقسام القرآن ص١٢٧

إن «القلم» أداة لتسجيل التفاعلات الحية في النفس والمجتمع والتاريخ والكون المادي والآفاق ،وقد أقسم الله به في القرآن ﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾[القلم:١].

وكما قال ابن القيم فإن «القلم» إحدى آيات الله، والأقلام نظام الأفهام» (*) و«البيان» صورة توضيح وتبيين ، وفرقان، وتوصيف ، وفصل ضد الإجمال، وتمييز بين صور الأشياء ومعانيها وأسمائها وحقائقها وصفاتها، فهو أداة للتمييز، في تناول الأشياء وعرضها على حقيقتها بعد تصورها على ما هي عليه ومنحها أسماءها الأصلية وصفاتها الأولية ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾[البقرة:٣١] ﴿عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[العلق:٥] ..

ولقد جاء الإسلام تبياناً لكل شيء ورد الأشياء إلى أصولها ولتعديل الموازين المختلة، التي مسخت صور الكائنات وحقائق الموجودات وأسماء المخلوقات وبديهيات العقول وصفات الممكنات. ففي طريقه لبناء المنهج المعرفي في تناول السنن الكونية والشرعية، وفي سيره الحثيث لتغيير معالم الجاهلية التي كانت تَمنح الإلهية للكواكب والنجوم كالشمس والقمر والزهرة، وعطارد وغير ذلك مما لا حقيقة لألوهية فيه (فما هي إلا أسماء لا أصل لها منحوها لهذه الآيات الكونية تأليهاً لها ورهبة منها وتقديساً). في هذا السير الحثيث استعرض القرآن صور الآيات الكونية الباهرة مُرْجِعا لها أسماءها وصفاتها وصورها الحقيقية، ونزع عنها الأسماء التي مُنحت لها من جاهليات الحضارات الوثنية العريقة، والمدنيات الكبرى كالحضارة اليونانية والمصرية واليمنية والهندية وغيرها من الحضارات والمدنيات التي ألهت الأشياء وتصورتها على غير صورها الحقيقية وصفاتها

(*) قسم ابن قيم الجوزية القلم إلى أنواع من الأقلام، منها قلم الوحي، قلم طب الأبدان، قلم الحساب، قلم التعبير، قلم تواريخ العالم ووقائعه، قلم الرد على المضلين، وغير ذلك .انظر التبيان في أقسام القرآن لابن القيم ص١٢٦-١٣٣ .

الأصلية ما جعل المسلم يعتدل في تصوراته وحركته نحو العالم! تقول الأستاذة «زيغريد هونكه» إن اليونان كأساتذتهم البابليين، قد أطلقوا على أبراج النجوم أسماء آلهتهم ومنحوها أشكال حيوانات في ميثولوجيتهم «أما العرب فإنهم لم يتخيلوا «صور النجوم» بل سموا الكواكب الثابته بأسمائها، فكان لهم أسماء للنجوم أكثر مما كان لليونان.. الأمر الذي جعل لمعظم أسماء الكواكب الثابتة، فيما بعد، أسماء ذات مصدر عربي»(١)

«وقد لعبت أسبانيا الإسلامية دوراً عظيماً في الأبحاث الرياضية والفلكية، وعن طريقها تمكن العلماء الأوربيون من الاطلاع على مثل هذه العلوم الحية.

ويقول مونتجومري وات في كتابه فضل الإسلام على الحضارة الغربية ص٢٥

لقد كان للآيات القرآنية الموحي بها من الله الدافع الرئيسي في حركة المسلمين نحو الكون الخارجي(*) مع أن أول جماعة سمعت هذه الآيات كانت في بقعة صغيرة من الأرض لكنها بقعة مركزية ومهمة في الانطلاقة الأولى للدعوة وهي «مكة المكرمة» وهذه هي بعض الآيات: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾[غافر:١٣].

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ...﴾[لقمان:٢٠].

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا...﴾ [الجاثية:١٣].

---

(١) شمس العرب تسطع على الغرب ص١١٧, ١١٨.

(*) يقول روجيه جارودي: ولقد أخصبت الحضارة العربية - الإسلامية، طيلة الف عام، الماضي وهيأت المستقبل. ونقلت أوروبا عبر أسبانيا وصقلية ثقافة تكلفت بأعبائها ألف عام...» وعود الإسلام ص٩٩ وتقول زيغريد هونكه «وكان ثمة عبقريتهم الفذة الخلاقة الاختراعية التي طورت الآلات الموروثة، وابتكرت آلات جديدة أخرى، فارسى بذلك حجر الأساس في صرح طريقتهم العلمية الصادقة في مراقبة الطبيعة من مراصدهم العديدة المختلفة فوصلوا إلى نتائج مذهلة فاقت نتائج القدامى أضف إلى ذلك مناهج بحوثهم العلمية المختلفة» شمس العرب ص١٢٦.

﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠-٢٢].

﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٣٦-٤٠].

فـفـتـح الله عين الإنسان، الكائن الخطر الشأن، عـلى رؤية آياته ودلائل قدرته، ووجَّهَهُ للنظر في آفاق الأرض وأعـماق الكون - فنزع عنه الرهبة التي ملكت على شعـوب الجاهليات القـديمة حياتها وسـكنت نفوس أبنائها«الرهبـة تجاه هذه الآيات الكونية التي ألهوها وقـدّموا لها الأولاد والبنات ذبيحة وقـرباناً وحرقا!! فكان في القرآن فتح كبير للإنسـان، فتح في التعامل مع السنن الكونية والآيات العلوية وهو أعظم الفتوحات . . . في توازن إنساني يحفظ العقل ويمسك الخـيال عن الجموح والتطرف في حكمـه على الأشـياء . . . ومن ثم يـعتـدل العمـران الاجـتماعي الإنساني وتتطور مدنيته ويـترد كرامته!

أعطى المنهج الإلهي القـرآني الإنســان «القلم» في أول آيات تَتَنَزَّل على رسـول الإنسانية محـمد ﷺ عندما نبهه إلى أهميـته وفاعليته، كمـا أشار عليه أنه منح الإنسـان أداة عظيمة ألا وهي البيان أداة فصل ونظام فكر.

مهمة شاقة وحب غالب!

وكان على الجـماعة المؤمنة الأولى من المسلـمين توصيل هذه المفاهيم والحـقائق المعرفية والقيمية والحضارية، بيـد أن الأمر لم يكن سهلا في بيئات سيطرت عليها الوثنية دهراً طويلاً وغمـستها في حمأة جاهليـتها المُغيِّرة لطبيعة الإنسان ولمكانته في الكون والتي عمت أنحاء الأرض كلها!

لم تلق الدعوة الإسلامية في إعلاناتها الأولى القبول، ولم تستقبل الرسالة الكبرى في إستهلالاتها بالزهور والطبول! وإنما وجدت أمامها خصومة عنيفة وقوى وسلطات مستغلة تهدف إلى تكبيل الإنسان وإخضاعه للعبودية البغيضة لها ولأوثانها كما تهدف في النهاية إلى استغلالها وإحتقار إنسانيتها! فبدأت برصدها واضطهادها، وقاومتها مقاومة عنيدة وعنيفة في «مكة المكرمة» فلقد كانت الدعوة الإسلامية خطراً على تصوراتها وقيمها وخرافاتها اللاإنسانية، كما كانت خطراً على المزايا التي تحصل عليها جرّاء الوضع القائم كما كانت أيضاً خطراً على المواقع المميزة التي كانت قد استولت عليها في غياب من فاعلية الإنسان وحضوره الواعي، ذلك أن إقامة نظام إنساني يقوم على نزع السلطات عن المتألهين والطواغيت وإرجاعها إلى المنهجية الربانية التي أعطت السلطة (للإنسان/ الخليفة) وهي السلطة المؤسسة على قواعد التشريع الإلهي ومبادىء الدين الحق. ذلك أن إقامة هذا النظام إنما يعني تهديداً جدِّياً للاستغلال المحتكر لكل مقومات الحياة وإزاحته من الوجود، الأمر الذي لا يرضى به المنحرفة من بني آدم والمتألهون من بني الإنسان والطواغيت الذين يؤسسون عروشهم على أطلال من الجماجم البشرية! ... ولذلك استخدموا كل وسائل الترهيب، والترغيب، والتعذيب، والقتل لعرقلة مسيرة الدعوة والقضاء على مقوماتها ورجالاتها والمؤمنين بها من الرجال والنساء. وفي الوقت الذي بدأت فيه الدعوة بالتفاعل مع الواقع والإحتكاك بالناس لتعريفهم بحقائق الوجود ومسئوليتهم تجاه العمران البشري.. كانت هناك امبراطوريتي فارس والروم تقومان بإستغلال أشد للإنسانية وتحطيم لكل مقومات الحياة والكرامة التي منحها الله إياها ولم يكن هناك عقيدة صحيحة للإنسان عن الألوهية وخصائص الربوبية فالوثنية كانت مسيطرة في الشرق والغرب والشمال والجنوب، والرسالات السماوية السابقة أصابها التحريف والغلو وداخلتها الأساطير والخرافات وسطت عليها الوثنية فغيرت معالمها ومسخت حقائقها..

رسول الله وصبغة الله:

فماذا يمكن لإنسان أن يفعل في هذه الأوضاع المختلّة والنظم المستبدة القاهرة!؟ لذلك كانت معية الله مع رسوله محمد ﷺ منذ ولادته، يؤسسه شخصية فذة تستطيع مواجهة كل هذه الأوضاع.. وكل هذه السلطات والإمبراطوريات! منذ الطفولة والعناية الإلهية تصوغ شخصية محمد ﷺ في المجتمع!، وتصنعه(•) وتصبغه بصبغة خاصة تأهيلا لحمل هذه الأمانة إلى الإنسانية كلها، ولتحمل مشاق وتكاليف هذه الرسالة الإلهية التي تحتاج أولى عزم من الرسل، وأولى قوة وأبصار. لم يأخذ الله رسوله إلى السماء ليربيه ويقويه ويصبغه بصبغة الرسل ثم يرسله إلى الأرض لمواجهة أعباء الدعوة وتكاليف الرسالة واستبداد الطواغيت!

لم يفعل الله ذلك مع أي رسول من البشر، بل كان يصنعهم في المجتمع، ويصبغهم في حركة الحياة الأرضية والنشاط الاجتماعي ويدمجهم في الواقع ويعركهم الحياة! لذلك لم تكن هذه التربية والصناعة للرسل بمعزل عن المجتمعات والبيئات والظروف المختلفة. لكن لا يعني ذلك أن الأنبياء والرسل يتأثرون بسلبيات المجتمعات أو بخرافاتهم وأساطيرهم أو بتصوراتهم عن الحياة والإنسان والكون والمجتمع!؟

(•) يقول الله لموسى عليه السلام «ثم جئت على قدر ياموسى. ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ طه: ٤١. قال الله عن موسى ايضا ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ طه: ٣٩. ذكر الله موسى عليه السلام بهذه المنة التي منها عليه وهو صغير وقال ايضا عنه ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ القصص: ١٤ وقال عن يوسف عليه السلام ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ ...﴾ يوسف: ٦ فاجتباه وهو صغير وقال عنه أيضا ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ يوسف: ٢٢ فما بالك برسول الإنسانية كلها ؟!!

وفي اصطفاء الله للرسل يقول «الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس» الحج: ٧٥. وقال عن ابراهيم ويعقوب «أولي الأيدي والأبصار» «وانهم عندنا لمن المصطفين الأخيار» ص: ٤٧.

لقد كان الله يزودهم بالخصائص الإيجابية من مجتمعاتهم، والصفات الإنسانية الحقيقية من بيئاتهم بحيث يكونون الكمالات على الأرض ويصيرون النماذج الأصيلة في الإجتماع البشري، ويكونون «قوة عظيمة» تقاوم الطغيان، وعندئذ ينزل عليهم الوحي ويجعلهم أنبياء ورسلاً ويمنحهم الشريعة والمنهاج! لذلك لم تكن العناية بالرسول محمد ﷺ بمعزل عن هذه كله، كما كان هناك إرثاً إسماعيلياً - نسبة إلى اسماعيل عليه السلام وراثياً في الصفات الإنسانية(*) والأخلاق الجليلة ورثها الرسول عن قبيلته وأهله. فكان الرحمة المهداة بحق.

ومن ذلك كله تشكلت شخصية الرسول محمد ، فتحددت سماتها النفسية والجسدية وتميزت قدراتها العقلية والعاطفية وبرزت معالمها الخَلقية والخُلقية كما عبّر بحق الدكتور عماد الدين خليل في كتابه دراسات في السيرة النبوية. فكان الرسول الذي ارتضاه الله للبشرية في آخر مراحل وجودها على الأرض ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن:٢٦-٢٨]

وكما أن الله لم يصنع رسوله خارج «التاريخ» وخارج الظروف الأرضية والعلاقات الاجتماعية البشرية فإنه كذلك لم يرسل معه عصا سحرية لقلب موازين العالم وتغيير مسار التاريخ! بل أمره بالدعوة، والتمهل، والتريث، والصبر، وتحمل الأذى والاضطهاد، وعدم استعجال النتائج وأعلمه الله في ذلك حِكَم عظيمة وغايات جليلة. وما عليه إلا التخطيط ودراسة الأوضاع، واستعمال السنن المتاحة، والبحث عن أجواء أفضل لحماية وأمان أتباعه حتى تتغير الأوضاع، وتتميز الصفوف، وتبرز الشخصيات القيادية! وأعلمه أن النصر لا يأتيه في الحال

(*) يقول الله تعالى عن إسماعيل ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾[مريم: ٥٤-٥٥]

ولا ينزل عليه من السماء في التو! ذلك أن دعوة إلهية شاملة لهذه الأزمنة والأمكنة الأرضية حتى قيام الساعة تحتاج إلى جهاد عريض، وعمل دائب جهيد، ونفس طويل مديد، حتى تتغير النفوس، وتفهم العقول، وتتهيأ الفطر، وتتجدد الأذهان، ويتيقظ الوعي، وتتقوى الإرادات، وتتمتن الأخلاق وتنزاح العوائق وتلين العقبات، وتخف المنعطفات، وتتيقن القلوب، وتتمحص النفوس، وتصل الدعوة إلى الأقطار والأمصار، ويسمع عنها الرجال والنساء والصغار.

فهم الرسول من التاريخ الذي عُرض عليه في القرآن مغزاه وسننه ومقاصده فالتفت إلى العمل وواجبات الدعوة وصبر على الأذى، وهو في حب عجيب للدعوة، فكان الله يثبته ويريه آياته وينزل عليه السور الطوال والقصار فكان يقوم بتفعيل الدعوة، والإعلام، والتبشير بالنصر، والتثبيت، وضرب الأمثال، وكشف السنن الإلهية في التاريخ والمجتمعات وتعلن له هذه السور والآيات أن الله لابد ناصره ومعينه، وأن العاقبة للمتقين(*) وبالفعل نصره الله وانتشرت الدعوة في مشارق الأرض ومغاربها وتمت كلمة الله وتحققت وعوده وأقبلت وفوده من المشارق والمغارب تبايع على الإسلام. وتحقق علم الله في رسوله محمد ﷺ فكان خير رسول، أدى الأمانة، وجاهد في الله حق جهاده، وصبر وتحمل أعباء الدعوة، ومشاق التبليغ، فكان الرحمة المهداة، وكان صادق الوعد كجده إسماعيل عليه السلام.
لقد علمه الله سنن المجتمعات وأراه طبائع الناس وجعله خبيراً بأوضاع الجزيرة العربية وأنظمتها وأمرائها وحكامها وغير ذلك من الأمور المهمة في شخصه ﷺ حتى قال رجل غربي حديث يعمل في وكالة أبحاث الفضاء الأمريكية ناسا - وهو محام! - وهو عالم أمريكي اسمه «مايكل هارت» في كتابه (المائة: تصنيف لأعظم الشخصيات أثراً في التاريخ) «... محمد كان هو الإنسان الوحيد في التاريخ

(*) «كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله لقوي عزيز» المجادلة: ٢١

الذي بلغ درجات النجاح على المستويين الديني والدنيوي» ويقول «بسبب هذا الجمع الذي لا نظير له بين الدنيا والآخرة أرى أن محمداً من حقه أن يعتبر أعظم الشخصيات البارزة أثراً في تاريخ الإنسانية»[1] .

رسالة ضخمة وجيل متجرد:

وهكذا كان الله يؤهل محمداً لقيادة البشرية ولحمل أعباء رسالة إلهية ضخمة تحتاج لرسول فذ وحكيم ولنبي كفء قدير وشخصية قوية .. عادلة ورحيمة وكذلك اختار الله صحابته الذين تهيئت نفوسهم، وتجددت عقولهم، وتربت أخلاقهم، فبذلوا الغالي والرخيص في سبيل الله، وتركوا أموالهم وأوطانهم حماية لهذا الدين الذي استخلصهم من الناس لتوصيله رسالة إلى العالمين. وهم أيضا لم ينتظروا خارقة من السماء أو نصراً سريعاً وكانوا قد فهموا من الوحي الإلهي أنه لا مجال في هذه الدعوة للطفرات والقفزات وحرق المراحل، بل جهاد وصبر، وبذل النفس والنفيس، حتى يحدث النصر للجيل الفريد، جيل النصر المنشود!

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا . . .﴾[النور:٥٥]. ولقد تحقق الموعود وتم النصر المنشود ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[الحج:٤٠] ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ⑧ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٨-٩].

كانوا يعلمون أن لله سننا في التاريخ والاجتماع البشري ﴿الٓمٓ ① أَحَسِبَ النَّاسُ

(١) انظر كتاب الإسلام في الفكر الغربي ص ٤٠، ٤٤.

أن يُتْرَكُوا أن يقولوا آمنا وهم لا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[العنكبوت:١-٣] وأنه لا محاباة لأمة من الأمم أو جماعة من الجماعات! «ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم» سنة الله في تمييز الناس عرباً كانوا أم غير عرب فالكل سواسية أمام السنن الإلهية! فسنة الله هي عزل العناصر الخبيثة والشوائب الهشة عن المعادن النفيسة والفلزات الثمينة ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ ﴾[الرعد:١٧]. فظهرت صلابة الرجال وبرزت عزائم الأفذاذ ونفع الله بهم البلايين على طول التاريخ!

وهكذا فالإسلام باق إلى قيام الساعة وقد نفع الله به بلايين البشر إلى يومنا هذا!

يقول الدكتور زغلول النجار تعليقاً على هذه الآية الكريمة: «هذا المثل القرآني الرائع يشبه باطل الدنيا بالزبد الذي يطفو فوق أسطح السيول المتدفقة بالماء في الأودية الضيقة والواسعة على حد سواء، أو بما يشبهه من الزبد الذي يطفو فوق أسطح المعادن الفلزية النفيسة والنافعة حينما يتم صهرها مع بعض المواد لتنقيتها من الشوائب العالقة بها... نهايته النبذ والإلقاء... وكذلك الباطل»[١]

تحرير شامل للإنسان:

إن تحقيق هذه السنن الإلهية في التمحيص والفرز وانتخاب المعادن الثمينة الصلبة يستلزم تحقيق المواجهة بين الاستبداد بوسائله العنيفة، والحق برجاله الأفذاذ الأصلاب القادرين على حمايته ودعمه ونصره ودفع رسالته الغاليه إلى الأمام!

وبعد مراحل من الصبر والتريث والجهاد والمواجهة المسلحة ظهرت بشائر النصر بانزياح سلطان الجاهلية عن نفوس الناس، فبدأت قيمها ورموزها وكهنتها تنهار، فتحطمت الوثنيات القائمة والخرافات السائدة، وزالت آثار الحضارات البائدة

(١) مقاله له بجريدة الأهرام ١١ مارس ٢٠٠٢.

والتي كان لها سطوة على النفوس كما كان لها إرثاً خرافياً ودينياً واجتماعياً وسياسياً عمل قرونا طوالاً على إعاقة حركة الإنسان إلى الأمام وقتل فاعليته في استخدام سنن الكون واستقراء التاريخ والواقع والكشف عن القوانين التاريخية والاجتماعية واستخلاص نتائجها لمصلحة الجنس البشري والإنساني في كل مكان وزمان بصرف النظر عن جنسه أو لونه أو عرقه أو دينه!

بيد أن الإسلام لم يحرر الإنسان ليتركه مرة أخرى فريسة للأهواء والخيال الفاسد والأساطير والخرافات الحضارية! ، وإنما كانت الآيات القرآنية تفتح وعيه على سنن وقواعد ومبادىء وتشريعات لينطلق منها إلى بناء مدنية كريمة وحضارة إنسانية عظيمة، تُعَرِّفه إمكاناته الإنسانية الفريدة! فانطلق العقل المسلم حراً طليقاً، يتعامل مع السنن الكونية والتاريخية والاجتماعية بلا رهبة أو أساطير، أو عوائق شرعية أو نفسية أو محاذير وبلا خوف من مخالفة دينية أو عقوبة إلهية!!

﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾[لقمان: ٢٠].

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ إِنَّ فِي اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾[يونس: ٥-٦].

﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ يقول ابن قيم الجوزيه تعليقاً على هذه الآية منذ أكثر من ٧٠٠ سنة «وهذه الإرادة لا تختص بقرن دون قرن بل لابد أن يرى الله سبحانه أهل كل قرن من الآيات ما يبين لهم أنه الله الذي لا إله إلا هو، وأن رسله صادقين»(١) .

---

(١) التبيان في أقسام القرآن ص١٨٩ .

وهو يدعو الإنسان المسلم للإسهام في كشف الآيات والسنن وعَرْضَها آيات بينات على الناس، وقد بدأ القرآن بلفت نظره إلى السموات كما دعا المشركين إلى النظر إلى السموات والآيات بحس يقظ وعقل قارئ!! ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ﴾[يونس:١٠١].

﴿أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ...﴾[الأنبياء:٣٠].

لقد حددت هذه الآيات اهتمامات الإنسان، ورسمت له دستوراً علمياً يعتمد على النظر والرؤية، والاستنتاج والاستنباط، والفحص والتجربة وأنشئت له مقاصد وغايات، وشرائع وشعائر تعينه على بلوغ الهدف المنشود مع تسليم تام لله. وعبودية حقه للرب.

هذه الآيات الكريمه والتي تحمل النموذج الأسمى لتحرير الإنسان من الأوهام والخرافات، لامست روح المسلم لمساً لطيفاً منعشاً فشوقته إلى المعرفة واتخاذ سبل البحث والترقي، وملأت عليه حسه وسمعه وبصره، وانعشت بصيرته واستولت على لُبِّه وعقله، وداعبت خياله ووجدانه، وحمَّست إرادته ونَشَّطت ذاكرته! فإذا به في قرون معدودة ينشيء منهجاً علمياً بحثياً تجريبياً متكاملاً لا سابق له في التاريخ!

يقول «جوستاف لوبون» في فصل له عن «مناهج العرب العلمية» من كتابه «حضارة العرب: «ويُعزى إلى «بيكون» على العموم أنه أول من أقام التجربة والترصد الذين هما ركن المناهج العلمية الحديثة مقام الأستاذ، ولكن يجب أن نعترف اليوم بأن ذلك كله من عمل العرب وحدهم ..وقد أبدى هذا الرأى جميع العلماء الذين درسوا مؤلفات العرب»[1] .

(١) انظر كتاب الدنيا في عصر العلم للقرضاوي ص١٧-٣٧.

ويقول بريفولت «إن ما يدين به عالمنا لعلم العرب ليس هو ما قدّموه لنا من اكتشافاتهم لنظريات مبتكرة غير ساكنة. إن العلم يدين للثقافة العربية بأكثر من هذا. إنه يدين لها بوجوده»(١).

فلم يحتاج المسلم يوما من حياته أن يُغيِّر في أصول الاسلام لكي يتقدم ويتطور ويرقى وذلك لسبب بسيط هو أن الإسلام نفسه سبب التطور والتقدم والرقي وهو رسالة الله التي لاتتبدل ولاتتغير فهي رسالة كريمة إذا تولى الإنسان بعيداً عنها فإن حياته تصير غير إنسانية أقرب للحيوان منها للإنسان، وأبعد في مقاصدها وغاياتها وقواعدها عن مقاصد الإنسان وغاياته وقواعده ومبادئه الكلية وأهدافه العليا التي ارتضاها الله له، وجعلها له ميثاقاً وعهداً وعقداً وأمانة يحملها على عاتقه جيلاً بعد جيل محاولاً إقامة مجتمع إنساني كريم على الله رحيم بالإنسان(*).

دراسة التاريخ البشري واستخلاص فقهه واستخلاص قوانينه وسننه:

لقد استعرض القرآن تاريخ (وحدات بشرية هامة) وكشف عن سننها في القيام والانهيار ووضَع العبر والدلالات، وساق الأمثال والآيات. وأخبر أنه سبحانه أرسل رسلاً لتقويم الاعوجاج ولتعديل الموازين التي اختلت بين يدي الإنسان بتخلفه عن تحقيق شروط وجوده وغاية حياته على الأرض ومسئولية إنسانيته الشريفة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[الأنبياء:٢٥] ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل:٣٦]. ﴿. . . ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ﴾[المؤمنون:٤٤].

---

(١) نفسه.

(*) وعن ذلك يقول مونتجومري وات: «وإننا لنجد شيئاً لا يكاد العقل يصدقه، وبالتالي فهو أمر يخلب اللبّ، حين نقرأ عن كيف تحولت الحضارات القديمة في الشرق الأوسط إلى حضارة إسلامية .. اعتنق الإسلام الكثيرون من حملة شعلات الحضارات السالفة» من كتابه فضل الإسلام على الحضارة الغربية ص١٩ . . . .

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾[سبأ:٣٤]. ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾[الزخرف:٦]. لقد ضرب الله هذه الأمثال التاريخية وأبرز قصص الصراع بين الحق والباطل حتى يتهيأ المسلمون لأخذ النموذج الرباني الذي يليق بالإنسان ويتوافق مع الغاية التي أرادها الله من خلافته وحياته على الأرض ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾[النور:٣٤]. ولقد ذكر سبحانه بعد أن ساق هذه الآية العالية القيمة في الخبرة التاريخية المطلوبة وفي ترسيخ منهج كوني، ذكر أن الله نور السموات والأرض، وهي إشارة لافته للنظر، اشارة لمصدر سعادة الإنسان في الدارين ومرجعية التنوير الحضاري والاشعاع التاريخي ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[النور:٣٥].

فالقرى والدول والحضارات الوثنية التي خلت رفضت سنن العمران الحقيقي، ورفضت دعوة المؤرخين الحقيقية ونقاد التاريخ وموازينهم الربانية وقيمهم الاجتماعية الإنسانية... رفضوا الأنبياء والمرسلين... والدعاة والمصلحين فأهلكهم الله ودمّر مدنهم وأزال حضاراتهم ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾[الفرقان:٣٨-٣٩]. فتوارت قراهم ومدنهم عن الوجود، وغابت حضاراتهم عن الحياة والنشاط! وساخت المدنيات في أغوار الأرض وأعماق البحار. . واختفى الضجيج ووراه الثرى وأطبق عليه الصمت وترك آثاره المهيبة على أطلال وبقايا الهلاك ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾[مريم:٩٨] ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ﴾[الذاريات:٤٥]. ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[النمل:٥٢].

السنن الكبرى وكتاب الله المقروء:

لقد أبرز القرآن فاعلية السنن التاريخية في الاجتماع البشري، وبيّن أسباب هلاك المجتمعات وأسباب تدميرها وفنائها وهلاكها وانهيار مدنياتها وحضاراتها. وأخير أنه لا معنى لإقامة بعض السنن العمرانية وإهمال السنن الأخرى فللعمران البشري سننٌ كلية هامة، وبيّن أن تجاوز بعضها يعني حدوث الخلل وقد يكون الانهيار أو الهلاك الشديد! ﴿... فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾[فاطر:٤٣]. يقول تعالى ﴿.. سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾[الأحزاب:٣٨] وما هلاك الأمم السالفة إلا باختلال موازينها الدينية والإنسانية والأخلاقية والاجتماعية.. وقد كان الأنبياء يعرضون عليها المناهج الربانية في الإصلاح والتعمير لكنها نفرت واشمئزت واستكبرت وعميت عن الحقيقة المُنجية!

﴿.. قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ﴾[الروم:٤٢] والآيات تدفع المسلم لقراءة التاريخ واستقراء سننه ودلالاته وأخذ العبرة والعظة الثمينة! يقول تعالى عن هلاك قوم شعيب ﴿وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾[الحجر:٧٨,٧٩] ويقول ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ...﴾[العنكبوت:٣٨]وبعد عرض إهلاكه لقوم لوط المسرفين قال تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[الحجر:٧٥-٧٧]

والمتوسمين هم الذين يتفرسون ويقدرون على استنباط الأمور بحسب تعبير المهندس أحمد عبدالوهاب(١)

وقد كان رسول الله ﷺ وصحابته يعرفون مواقع التدمير الذي لحق ببعض الأمم القديمة، حتى إنه ﷺ حذّر صحابته من الدخول على مساكن ثمود -

---

(١) أساسيات العلوم الذرية الحديثة ص١٥٢ وهو كتاب هام للغاية، فهو يرى أن هلاك هذه الأمم كان بالتدمير الذري والكارثة الذرية.

أصحاب الحجر - حذراً من أن يصيبهم ما أصابهم، وقد مر عليها وهو ذاهب إلى تبوك سنة تسع (هجرية) ولما إستقى الناس من آبار ثمود «أمرهم النبي ﷺ - فأحرقوا القدور..»[1].

وفي هذا إشارة أن هذا التدمير كانت له آثاره ومازالت في الأرض ومياهه إذا شربها الإنسان مؤمناً أو كافراً، فإنها تصيبه بالمرض فكان أمر الرسول باهراق المياه والإسراع بالخروج.

ولقد كانت الآيات القرآنية تفتح أعين الصحابة على سنن الهلاك وكانت إشارات الرسول بياناً واضحاً، وقد تعرفوا على علامات وقوانين ودلالات محكمة وفهموا مغزاها وأهميتها وفاعليتها في التاريخ وذلك من القراءة الواعية للقرآن الكريم، فالاستبداد والطغيان من أسباب انهيار المجتمعات وانحطاط العقول وضياع العلوم وفناء (الأقلام) وذهاب (البيان)!

والاستغلال الاقتصادي والترف المادي محطم للقيم الإنسانية ومكبِّل لروح الإنسان ومنشيء للكفر والأمراض الاجتماعية والنفسية والفكرية الخطيرة ومُدمِّر للفطرة التي فطر الله الناس عليها والتي لا تعيش في توازن وصفاء إلا في أجواء التكريم والتعليم ومناخ الاعتدال وعدم الإسراف وإعطاء كل ذي حق حقه وإلا قاومت وانتفضت أو تميّعت وخارت قواها وضاعت مروؤتها، واستمرئت الاستعباد وألفت الاستضعاف والذل والخنوع والمسخ المنظم!

والظلم الاجتماعي مدمر لوحدات المجتمع ومنشيء للكراهية والأحقاد والحرب وسفك الدماء وهو ماسخ لمعالم الفطرة ومحطم للعلاقات الإنسانية الأصيلة ومرسخ لسنن الاستغلال. والفكر المنحرف بأنواعه المختلفة يمسخ معالم الفطرة

(١) والروايات في تفسير ابن كثير في سورة الأعراف، كما هي في صحيح مسلم الجزء ١٨ ص١١٠٠. كما اشار المهندس أحمد عبدالوهاب ص١٤٢.

الإنسانية، كما أنه معيق للعقل الحر عن الوصول إلى الحقائق الكلية والمعارف الشاملة والمعاني الكاملة فيحتفي بالجزء ويكتفي بالبعض.. وهذا ينطبق على الفكر الديني المنحرف والفكر المادي المفسد للعقل والمدمر للقيم العليا والسنن الكبرى كالوثنية وانحرافات أهل الكتاب وفكر بعض المسلمين القاصر عن بلوغ أبعاد الإسلام الشاملة والمضيع للكليات من أجل تحقيق الجزئيات! وكالمذاهب المادية الغربية التي فرحت بما عندها من العلم وذهبت تضع للعالم نظرات قاصرة جزئية لاترى من العالم إلا جزئه المادي وحتى هذا الجزء فإنها تدمره وتفسده وتجعله هو الأصل والغاية..! وكما تعيق الخرافة الدينية الحياة عن التقدم والوصول إلى نظرة معتدلة للموجودات والأشياء كذلك فإن الخرافة العلمية المادية والتي تنكر عالم الغيب تعيق انطلاقة النشاط البشري والرؤية البعيدة الشاملة لمعاني الوجود البشري ولسنن الكون المطلقة وللتعرف على مسار التاريخ الإنساني العام بكل وحداته ومختلف طبقاته.

لقد أبرز الإسلام هذه العلامات الدالة، والدلالات الحية، فأحيا في المسلم النظرة الشاملة والفكرة الكاملة والفقه المنتج والعقيدة الصحيحة. وكشف له عن سننه في التعامل مع المجتمعات البالية وشرح له ظروفها المادية والفكرية وكشف له عن شروطها التاريخية والمادية.

نماذج تاريخية.. والعبرة:

كان الهدف الرئيسي لعرض القصص التاريخي في القرآن هو كشف السنن وسوق العبر واستقراء التاريخ وكشف القوانين الاجتماعية والنفسية والتاريخية بيد أنه لم يسرد الوقائع والأحداث كلها التي عاشتها القرون الماضية بتفاصيلها الجزئية، فهذه ليست طريقة القرآن في تناول الأحداث التاريخية، وإنما طريقة القرآن العظيم المثلى هي اختيار (وحدات هامة) في السياق التاريخي البشري تنوب عن التاريخ العام كله وتغني عن تفاصيله الدقيقة، فالقرآن ليس كتاب تاريخ بالمعنى المتعارف

عليه لهذه الكلمة أي انه ليس كتاب يسرد وقائعه التفصيلية التي تخرج عن هدفه والمقصد والمغزى من إنزاله فليس الهدف من هداية الإنسان إنزال كتاب تفصيلي يحكي له الوقائع والأحداث من يوم آدم حتى نزول الرسالة المحمدية وإنما الوسيلة الحكيمة والمثلى هي اختيار (وحدات تاريخية) لها أهميتها التاريخية والحضارية والدينية والعلمية والتي لاتخرج عن غرض الكتاب ولا تصيب المتلقي له بالملل وبالإعراض والكلل وهي ما حققها الوحي الإلهي بصوره الإعجازية المختلفة! على أنه ينبغي هنا أن لا نغفل القول بأن القرآن لم يغفل الجوانب الاقتصادية والسياسية، الاجتماعية، والدينية، البيئية والجغرافية في سرده للأحداث والوقائع والتواريخ التي ساقها، فكان أن عرض النموذج المعين ولم يغفل جوانبه المختلفة وظروفه المادية وشروطه الاجتماعية ووسائله المعيشية ونموه المادي والفكري. وهذا هو النموذج الكامل في الإلمام بنقطة تاريخية ما أو وحدة تاريخية معينة وكشف معالمها وإبراز نقاط القوة والضعف فيها ومكامن الخلل والتناقض والانحدار كما يبرز موقف العناية الإلهية من هذه المرحلة المعنية وهذه الكتلة التاريخية المحددة، فأثناء عرض القرآن العظيم لهذه النماذج والوحدات التاريخية ذكر طرائق حياة أهلها ووسائل معايشهم، ذكر الصناعات والمزروعات والبيئات والجغرافيا ونوع الحكومات والسياسات وصور العلو والاستبداد والاستغلال والاستبعاد وصور الملأ والرهط، والرؤوس والجماعات المسيطرة، وأخبر عن الملوك والكهنة والسلطات ومدى مبلغهم من العلم والفكر والقوة وصور الوثنيات والأساطير التي كانت تتحكم في البيئات والنموذج المعروض .

والقاريء للقرآن يمكنه التعرف على ذلك بالتفصيل، لكن سأعرض هنا لبعض الإشارات التي تفيد القاريء الكريم.

ففي مخاطبة رسول الله هود لقومه (عاد) بعد تذكيرهم بالتوحيد يأتي قوله

﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١٢٩) وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء: ١٢٨-١٣٠]. وكانوا يشعرون من أنفسهم القوة التي يظنون أنها تغنيهم عن الله عز وجل ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً...﴾ [فصلت: ١٥] ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [هود: ٥٩].

وعن الأسماء التي لا حقيقة لها والصفات التي لا أصل لها والتي منحوها لآلهتهم وجبابرتهم يقول لهم هود وهو يرد الحقائق إلى أصولها: ﴿... أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ...﴾ [الأعراف: ٧١]. فذكر عنهم مع الشرك التجبر والتكبر والتوسع في الدنيا وشدة البطش.

وفي نقد «شعيب» عليه السلام لمعالم مجتمعه من خلال المنهج الإلهي تجده يقول لهم ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (١٨١) وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ (١٨٢) وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الشعراء: ١٨١-١٨٣]. وصورة أخرى لصالح تجدها في قوله لثمود غير عابئ بمدنيتهم ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ (١٤٦) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٤٧) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (١٤٨) وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾ [الشعراء: ١٤٦-١٤٩] ﴿... وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ٧٤] ويقول الله عز وجل عن حوار صالح مع مدينة ثمود المتغطرسة ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا...﴾ [هود: ٦١] ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٢].

ويجمع الله عاداً وثمود في قوله ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ...﴾ [العنكبوت: ٣٨]. ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ (٥٠) وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ (٥١) وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾ [النجم: ٥٠-٥٢].

﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾[الدخان:٢٥-٢٩]. «وكم أهلكنا من القرون هم أحسن أثاثا ورءيا» ولوط إذ ينقد معالم مجتمعه ويعلن لهم أنها مفسده للعمران البشري والبنيان الاجتماعي والفطرة الإنسانية ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ...﴾[العنكبوت:٢٩]. ويقول ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾[الشعراء ١٦٥-١٦٧].

وقد أخبر الله سبحانه وتعالى إبراهيم عليه السلام عن تدمير هذه المعالم المادية والإجتماعية المفسدة لصورة العمران البشري وطبيعته أخبره عن هلاك وشيك وإقتلاع سريع: ﴿... إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾[العنكبوت:٣١]. وفوق الشرك الذي كانوا عليه، كانوا يقلبون الأوضاع الإنسانية رأساً على عقب فكان جزاؤهم قلب مدينتهم، قلب عاليها سافلها! ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[الحجر:٧٣-٧٧].

فاعتبرت الشريعة السماوية هذه الطبيعة المنحرفة انحرافاً عنيفاً عن سنن الاجتماع البشري الصحيح وإسرافاً في التفاعل الاجتماعي وتطرفاً في بنيانه العمراني والإنساني ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾[الاعراف:٨١]. فجعل الله هذه المدينة آية على الانحراف الذي يجب أن تنأى البشرية بنفسها عن الوقوع فيه مرة أخرى، وترك آية هيمنته ظاهرة في آثارها الراسخة في أعماق الأرض وصخورها وجغرافيتها ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[العنكبوت:٣٥].

[وانظر الذاريات: ٣٧].

أما فرعون وملؤه وقومه فهم علامة على الاستكبار في التاريخ والعلو البغيض في العمران والاستخفاف المحقر للإنسان ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[القصص:٤]. ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾[الزخرف:٥٤]. فالعلو البغيض لا يستمكن من العمران الاجتماعي إلا باستخفاف الناس والتآمر عليهم بجعلهم شيعا مفرقين لا يستطيعون مقاومته أو منابذته ونشر الفساد والفحشاء بينهم وإقرار الاسراف المتنوع في حياتهم! بذلك يُضل المتعالون الناس ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ﴾[طه:٧٩]. ولذلك أرسل الله من يحاول تعريف الناس بمنهج الله، أرسل موسى وهارون ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾[المؤمنون:٤٦]. فأهلكه الله فما أغنت عنه أملاكه وأوتاده وعمرانه ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ ۝٨ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ﴾[الفجر:٦-١٠].

إنحراف يهود !

رأى بنو إسرائيل آيات الله وسننه في العمران الاجتماعي الفاسد، كما سمعوا ودرسوا المنهج الصحيح من النبي المصلح موسى عليه السلام، فاهتدوا به فترة من حياتهم ثم انحرفوا كما انحرف فرعون وملؤه، وكانت عقوبتهم شديدة، ذلك أنهم كانوا يقرءون منهج الله ويعرفون قوانينه وشرائعه. لكنهم انحرفوا وانتكسوا أيضاً وعلو في الأرض بغير الحق بل وغيروا دين الله وعبثوا بالوحي الإلهي ومسخوا القوانين التي تُصلح العالم، وكتموا، وحرفوا، وقلبوا أوضاع التاريخ، وكتبوا القصص المزيفة عن الأنبياء والرسل، وأضافوا الخرافات والأساطير على سيرهم وتواريخهم، فخالفوا بذلك شروط عقد وعهد الاستخلاف الذي كانوا يعرفونه أكثر من أي أمة مضت فضيعوا الحقائق وأخلوا بالعهد والمواثيق والموازين الإلهية ولذلك

كان القرآن شديداً في مواجهتهم وحاسماً في كشفهم وتبكيتهم وقد ذكر القرآن الكريم مخالفتهم العنيدة للشريعة الربانية ما أدى إلى تخصيص مساحات عريفة من سور كاملة في بيان انحرافهم ومخالفتهم للقوانين الكونية والاجتماعية والإلهية، فقد خصص لبيان ذلك مقاطع كبيرة من سورة البقرة وآل عمران والمائدة والأعراف وغير ذلك من السور تنبيها إلى شناعة ما قاموا به من تدمير للحقائق مما يعني أن في عرض تاريخ بني اسرائيل كشف لحقائق إنسانية واجتماعية وإلهية هامة. فهو تاريخ تقلب بين الاستقامة والانحراف، والهدى والضلالة بيد أن الهدف الأسمى من عرض هذه الحقائق وبيان مساويء هذه الانحرافات هو تعريف المسلمين بإلهية الله عز وجل وأنه لا يحابي أحداً وإنما من اهتدى وأصلح فهو عند الله عز وجل خليفة صالح، ذكراً كان أو أنثى، ومن ضل واستكبر وانحرف وجحد فهو أقرب إلى الحيوان منه إلى الخليفة الإنسان. وأدنى إلى عالم القردة والخنازير منه إلى عالم الإنسان الذي خلقه الله خلقاً خاصاً وكريماً وميزه عن كثير من مخلوقاته..

سبأ الهالكة:

أما «سبأ» وقد كانت لها حضارة مشيدة وعمران عظيم فيقول القرآن فيها: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سبأ:١٥-١٧] وقد ذكر الله أنه مَنّ عليهم بأمان ويسر ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾[سبأ:١٨]. أما عن النماذج الفردية في الاستغلال والطغيان فاقرأ قول الله عز وجل عن فرعون أو النمرود أو قارون، فقارون نموذجا ومثالاً على الاستغلال الاقتصادي والترف الذاتي، والبغي الفردي ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ...﴾ إلى آخر الآية من

سورة القصص: ٧٦. ﴿أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعًا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون﴾[القصص:٧٨]. وهناك آيات عامة عن القرى المحطمة والحضارات القوية الطاغية والمدنيات التي واراها التراب. وهي آيات هادفة وهامة.

﴿فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد (٤٥) أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ [الحج:٤٥,٤٦].

﴿وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين (٥٨) وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون﴾ [القصص:٥٨,٥٩].

هذه هي المنهجية الربانية في التعامل مع المخالفات الضخمة للأمم البشرية! ﴿أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات . . . .﴾[الروم:٩]. ﴿أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليما قديرا﴾[فاطر:٤٤]. ﴿. . . . كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا في الأرض . . .﴾[غافر:٢١]. ﴿وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون (٣٤) وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين (٣٥) قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون (٣٦) وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا . . . ﴾ [سبأ: ٣٤-٣٧].

ولا شك أن إنسانية الإنسان وكرامته قد ضاعت ومسخت في هذه المناخات العمرانية المستبدة!

لقد حقق الإسلام نقلة عجيبة في حياة الإنسان كما صنع تحولات مدهشة في نظرته إلى الكون وكما قال «ديدرو الألبرتي» فقد أضاء مشعل العلوم والفنون الجزيرة العربية قبل أن يظهر له أدنى بصيص في الأمم الأخرى، مما يؤكد لقب بكوريتها على الأرض كُلَّها. ظهرت بها أولاً العلوم المفيدة قبل فنون المتعة، وكان العرب هم أول من أخذ الانطلاقة نحو السماء ليتأملوا كواكبها. إنهم شعب يقيل تحت سماء صافية لاغيوم تكدرها، منشغل فقط برعي غنمه عبر سهول عارية أو فوق قمم الجبال، وقد استطاع رغم ذلك أن يكتسب معلومات سريعة عن الكواكب، والنجوم ومما يدل على أنهم كانوا السباقين إلى عالم الفلك هو أن الأسماء التي تشير إلى هذه الأجسام الفضائية هي أسماء حيوانات معروفة بهذه المنطقة»[1].

ويقول البارون «كارادي فو» «إن العرب ارتقوا بالحياة العقلية والدراسة العلمية إلى المقام الأسمى، في الوقت الذي كان العالم المسيحي يناضل نضال المستميت للإنعتاق من أحابيل البربرية وأغلالها، ووصل الأمر إلى ذروة ازدهارهم العلمي في القرنين التاسع والعاشر (الميلاديين). واستمر ذلك الازدهار إلى القرن الخامس عشر، ومن القرن الثاني عشر فصاعداً كانت حواضر العرب محط أنظار كل غربي يميل إلى العلم ويتذوقه»

إن الإسلام في الحقيقة هو الذي دفع العرب وغير العرب ممن كانوا يعيشون في البلاد الإسلامية وليست العربية فقط، إلى اكتساب المعلومات بسرعة مدهشة، حتى أضاءت بقوة مشاعل العلوم العقلية والعلمية والعملية التي أقبل عليها الغربيون بدءاً من القرن الثاني عشر، وذهب كثيرون إلى حواضر المسلمين كبلاد

---

(١) كتاب « عربي هل قالوا عربي؟ ص١٧٦، ١٧٧ وأشار إلى موسوعة ١٧٧٢ .

الأندلس في أسبانيا والبرتغال لينهلوا منها بلا عنصرية من الأساتذة لطالبي العلم من كل الأجناس والأديان واللغات والألوان.

يقول «فولتير» في (دراسة عن الطبائع) (١٧٥٦): «لقد عني العرب بالكيمياء والطب، فالكيمياء التي طورناها نحن اليوم لم تصلنا إلا عن طريقهم، وإننا مدينون لهم كذلك بأدوية جديدة، وهي أقل مرارة وأكثر شفاء من الأدوية المستعملة قبلها من لدن المدرسة الأبوقراطية، وأما الجبر فمن اختراعاتهم، وهذه الكلمة هي برهان كاف، لأنها تحمل إسم العربي الشهير جابر الذي كان يعلم هذا الفن في القرن VIII من تاريخنا، وأخيل، كان على مسيحي الغرب أن يتعلموا عند المسلمين»[١].

وتقول الأستاذة الكبيرة «زيجريد هونكه» إن المسلمين «أبدعوا في علوم البصريات والفيزياء والكيمياء القائمة على التجربة، وعلم حساب المثلثات، وعلم الاجتماع وفضلا عما لا يحصى عده من المكتشفات والمبتكرات الثمينة في مجال العلوم التجريبية، فإن أثمن هدية قدمها المسلمون للغرب هي منهجهم في البحث العلمي» وفي كتابها «الله ليس كذلك» قالت: «لقد قدم العرب مع نتائج بحوثهم الغنية وبطرق بحوثهم العلمية البواعث التي أشعلت الشرارة الأولى لإطلاق البحث العلمي الذي كان منذ القرن التاسع عشر مشلولاً يكاد يموت خنقاً»[٢].

ومع أن «هيجل» زعم أن تجريدية - هكذا ! - الإسلام سلبية وهو ما يناقض حقيقة الإسلام الذي حرك العالم للأمام ودفع الإنسان للعلم وأطلق طاقاته العقلية والنفسية والاجتماعية لاستقراء السنن الكونية والاجتماعية، مع أن هيجل قال سلبية الإسلام تزييفا لمفاهيم الاسلام إلا أنه ككثير من أمثاله قال «توصل الغرب

(١) المرجع السابق، كتاب «عربي ....» ص١٧٦.
(٢) كتاب(الله ليس كذلك) - د.زيجريد هونكة ص ٨٢.

إلى العلوم والمعرفة، خصوصاً منها الفلسفة عن طريق العرب»[1] .

إن ما توصلوا إليه من العلوم التجريبية والعقلية كان بفضل أوامر الإسلام وتحريضه - إن صح التعبير - للمسلمين على دراسة الماضي والحاضر، ودراسة الأرض والسماء .. من هذه الدفعة العلمية القرآنية علمّوا وأفادوا الإنسان كله.

ويقول «جوستاف لوبون» «إن العرب هم الذين علّموا العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين». إن الإسلام هو الذي حرر عقولهم في الحقيقة لكنه لم يحررهم من الدين فكيف يحررهم ممن يحررهم؟! وكيف يفك قيودهم ممن حَطم قيودهم؟! إن الله عز وجل هو الذي حرر البشرية من أوثانها المادية والكتابية. وأعطاها قيماً جديدة وروحاً جديداً، ونظراً جديداً، وفي الحقيقة أعطى البشرية روحها التي اغتربت عنها وأعتقها من استلاب خطير وقعت فيه في ظل الطغيان المادي والروحي والفكري للحضارات القائمة على تحقير الانسان وإخضاعه للوثن والصنم وظواهر الطبيعة والمتألهين من البشر.

و يقول «بريفولت»: إن العلم يدين للثقافة العربية بأكثر من هذا: إنه مدين لها بوجوده... «إن ما ندعوه بالعلم ظهر في أوروبا نتيجة لروح جديدة في البحث ولطرق جديدة في الاستقصاء، طرق التجربة والملاحظة والقياس، ولتطور الرياضيات في صورة لم يعرفها اليونان. وهذه الروح، وتلك المناهج إنما أدخلها العرب إلى العالم الأوربي»[2] .

أما روجربيكون الذي يُعتَبر رائداً من رواد العلم التجريبي في الغرب فإنه كما يقول الأستاذ «بريفولت» في كتابه «بناء الإنسانية»: لم يكن في الحقيقة إلا واحداً

---

(١) هيجل: دروس حول فلسفة التاريخ ، ١٧٩٧ (نشر سنة ١٨٣٧) نقلا عن كتاب عربي هل مكث عربي ص١٧٧ .

(٢) الدين في عصر العلم للدكتور يوسف القرضاوي ص٢٥،٢٦.

من رُسُلُ العلم والمنهج الإسلامي إلى أوربا المسيحية وقد درس العالم العربي دراسة عميقة وهو لم يكف عن القول لمعاصريه بأن معرفة العرب وعلمهم هما الطريق الوحيد للمعرفة الحقة! (١) .

وكانت الكتب التي سطرها المسلمون ذات أثر بالغ على «بيكون» وغيره من الذين أصبحوا بعد ذلك رواداً في العلم الغربي وكان أساتذتهم كما قال غوستاف لوبون هم العرب لعدة قرون يقول «ولم يقتصر شأن العرب على ترقية العلوم بما اكتشفوه، فالعرب قد نشروها كذلك بما أقاموا من الجامعات وما ألفوا من الكتب، فكان لهم الأثر البالغ في أوربا من هذه الناحية...» (٢) .

فقد حقق المسلمون المجد الدنيوي الذي يكمن في دراسة العلوم وابتكارها كما عبر عن ذلك «بيير بايل» فكان التقدم الخارق خلال قرون عديدة وكانت براعة المسلمين في العلوم هائلة حتى وضعوا أساس علم الكيمياء كما قال «رينيه ميلين» وقد أبدوا نشاطاً واجتهاداً عجيبين كما أشار إلى ذلك الدكتور «فرنتوروناتال» (٣) .

إن الأمر الذي أريد أن ألفت انتباه القارىء إليه هنا هو شيء بالغ الأهمية ،ذلك أن العلم التجريبي الذي أقامه المسلمون في حواضرهم واستقاه طلبة العلم الغربيون الذين أصبحوا فيما بعد رواد الحركة العلمية الغربية التي آتت ثمارها ومازالت إلى يومنا هذا، هذا العلم هو نتاج الدعوة الإلهية للإنسان في التفكر في الأنفس والآفاق وذلك بعد أن أزاحت العوائق الوثنية التي كانت تحول بين الانسان وبين حقائق الوجود وآفاق الكون.

إن الخلاصة هي أن الله هو الذي عَلَّم الإنسان .. العربي .. ثم الغربي وهو الذي وضع قواعد المنهاج التي استخدمه العربي .. ثم الغربي!

---

(١) المرجع السابق ص٢٥، ٢٦.

(٢) حضارة الغرب ص٤٢٣-٤٣٧ ، الطبعة الأولى، نقلا عن الدين ف عصر العلم ص٢١.

(٣) انظر الدين في عصر العلم ص١٧.

فلم إذن إنكار الله ونفي عبادته وتحقير وحيه وتدمير ثوابت دينه ومسخ تاريخ الحقائق القرآنية التي لم يأت إلى اليوم - ولن يأت - ما يعارضها بحق! من هنا أيضاً يتأكد أن الإنحراف الذي لحق بالفكر الغربي عن طريق «فلسفات التجزئة» «ونظريات التفرقة» إنما هو نتيجة روح قديمة، وثنية إغريقية ويونانية ورومانية، إستعيض بها عن الروح الإسلامية الأصيلة التي أحيتها النصوص القرآنية كما أحيت فاعليتها في الكون وأحيت روح العلم والتمحيص والتجريب والتجميع والترتيب والاختراع والابتكار والإبداع فيه.

وكما حرر الإسلام روح الإنسان وعقله في عالم السنن الكونية والآيات العلمية كذلك فقد حرر الإسلام الإنسان من الأساطير والكهانات والسحر والخرافات. وحمل حملة قوية على الحضارات الوثنية ورموزها وأساطيرها وتلفيقاتها الدينية والتاريخية. كما تناول انحرافات اليهود والنصارى تناولاً يُرجع للدين صفائه ولحقائقه صورها الأولى التي كانت عليها، وللأصول العقائدية نقاءها الأصلي. فأخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد فتحرر البشر من البشر وانعتقوا من مناهج طائشة ونظرات خائبة!

نقد معالم العلوم الاجتماعية والإنسانية والتاريخية الغربية:

قدمنا أن المسلمين قدموا للعالم مناهج علمية وعقلية وتجريبية راقية، أفادت منها الحضارة الغربية في ارتقاء حياتها العلمية والدنيوية، بيد أن علوماً جديدة ظهرت في الغرب، وهي علوم الإنسان والاجتماع والنفس وغير ذلك من العلوم الإنسانية والاجتماعية، وفيها خلل عظيم وقصور شديد وتضارب عجيب! ولا شك أن الغربيين أيضاً استفادوا من علوم المسلمين(*) الفكرية والعقلية ما دفعهم إلى مناوشة الكنيسة وكهنوتها المستبد، فنقدوا عقائدها وأساطيرها وأفكارها وسلطانها ومميزاتها!

(*) يقول بريفولت في كتابه بناء الانسانية «ولم يكن العلم وحده هو الذي أعاد إلى أوروبا الحياة، بل إن مؤثرات أخرى كثيرة من مؤثرات الحضارة الإسلامية بعثت باكورة أشعتها إلى الحياة الأوروبية»

بيد أن العلماء والمفكرين الغربيين ونتيجة لـغضبهم الشديد على سلطان الكنيسة وعلى حال المجتمعات التي ترزح تحت نير العبودية الكنسية والجهل المطبق، هؤلاء العلماء لم يستطيعوا التفرقة بين الدين الحقيقي وبين تعاليم الكنيسة، بين الحقيقة والخرافة! وأثناء هذا الصراع الشديد تولدت المذاهب القاصرة في نظرتها إلى الإنسان الذي أرادت تحريره، وفي نظرتها إلى المجتمع التي أرادت إسعاده وإخراجه من عبودية الجهل الكنسي الذي كان مسيطراً على كل أنحاء أوربا، وفي نظرتها إلى الدين الذي أراد البعض تخليصه من رق الكنيسه فقتل دعائمه الأصيلة فيما هو يقوم بنزع صوره الشائهة التي صنعتها الكنيسة وروج لها الكهنة. وأراد البعض الآخر دفنه جميعا، أساطير الجهل الذي أدمجت فيه وحقائقه معاً.

فنشأت نتيجة لذلك مذاهب جزئية ضعيفة في تناول ظواهر الحياة وحقائق الدين والتاريخ وهو ما يختلف كلياً عن المناهج التي رأوا المسلمون يدرسونها في حواضرهم والتي تؤمن بالوحي فيما هي تقتل الأسطورة وتؤمن بالنبوة بينما تحطم التخرص والافتراء، وتضع ميزانا دقيقاً عدلاً شاملاً كلياً في تناول ظواهر الحياة وطبيعة الدين وسنن الكون والحياة والمجتمع.

إن ما يجب أن نعترف به هو أن بعض الفلسفات التي تعرّف عليها العرب في انفتاحهم على العالم كادت أن تحبس العقل المتحرر حديثا في قمقم السفسطة، وشلّ حركته العقلية إلى الأمام! ولقد تأثر بعض العلماء والمفكرين المسلمين بهذه الفلسفات التي كبّلت انطلاقتهم الحضارية القائمة على المنهاج الرباني الأصيل. لكن ذلك لم يكن الأصل أو الوضع السائد، وإنما كان أمراً شاذاً خصوصاً في مراحل علّو الإسلام وتمكن أهله من العلوم والمقاصد والقواعد الشاملة والعامة الهامة، وإن كان في مراحل ضمور الحضارة تمكنت العلل الفكرية والفلسفية من الأمة! أما العلماء الغربيون فقد اتخذوا الفكر الفلسفي بديلا عن الدين، وكان أمراً

شائعاً أن يقبل الأذكياء على دراسة الفلسفة ووضع النظريات المختلفة. ولقد قال «لينين» وهو أحد رواد المدرسة الفلسفية الماركسية «فطالما أن الناس لايعرفون كيف يشرعون في دراسة الحقائق، فإنهم يخترعون عادة نظريات عامة مسبقة، وعادة ما تكون هذه النظريات عقيمة»(١)!!

إن مما دعا الفلاسفة لمواجهة الكنيسة بعنف كان ظهور الإنتاج العلمي المتنامي المستقل عن الكنيسة والبعيد عن سلطانها والمناويء بل والمعادي لها في آن واحد! مما أدى إلى غرور كثير من الفلاسفة بعقولهم الفلسفية، وظنهم أن هذه النتائج العلمية لابد أن تكون على النقيض مما يعرضه الدين! في حين أن الدين نفسه يرفض خرافات الكنيسة والفلسفة معاً!!!

وبذلك بدأ ظهور استقلال الإنسان بعقله المحدود عن كل ما له علاقة بالدين والغيب .. ثم بدأت النظريات تخرج على العالم وأحياناً كثيرة وهي متدثرة بالبحث العلمي التجريبي!!!

دارون وقراءة دقيقة:

فمقابل العقائد المسيحية المنحرفة كتأليه المسيح ووراثة الخطيئة، والصحيحة منها كعقيدة خلق الإنسان ونبوة الأنبياء، مقابل ذلك وقف الفلاسفة يجعلون الكل أساطير. ذلك قبل أن يظهر دارون (١٨٠٩-١٨٨٢م) بنظريته المتدثرة بالبحث العلمي على العالم والتي تقول بحيوانية الإنسان(*) - مقابل تأليه الإنسان (أي

---

(١) Lenin, collected work p. 144 نقلا عن مقالة احمد القصيري في مجلة الآداب،إبريل ١٩٧٢ باسم «المنهج الجدلي في علم الإجتماع (العدد الرابع).

(*) يقول جوليان هكسلي وهو من رجال الداروينية الحديثة، في كتابه «الإنسان في العالم الحديث» في فصل بعنوان «تفرد الإنسان»، أنه (بظهور نظرية دارون بدأ الخطار يتأرجح عكسياً، واعتبر الإنسان حيواناً مرة أخرى، ولكن على ضوء العلم لا على الإحساس الساذج.. فالإنسان (أي في رأي دارون) حيوان كغيره».

ويقول العالم الإنجليزي المعروف كرافتون أليوت سمث (١٨٧١-١٩٣٧) أن «الإنسان كان قرداً من فصيلة «الأورانج» نقلا عن دارون ونظرية التطور ص١٢٩.

stephen. jay gould smith woordwards folly, New Scientist (5 april 1979) p.44

المسيح!) والتي تنفي عقيدة خلق الإنسان خلقاً خاصاً بعيداً عن الانحدار من النسل الحيواني الذي أراد دارون أن يغمس الإنسان في وحله!

لقد تأثر «دارون» ولا شك في النشاط البحثي والعلمي بمنهج التجريب الذي تأثر به مَنْ قبله من الغربيين وقالوا بحقائق علمية مهمة من أمثال جاليليو وكوبرنيكوس وغيرهما.

لكن لا شك أن الفلسفة المنحرفة التي بدأ يزداد وقعها على الواقع الغربي لوّنت اتجاه دارون العلمي بلون الفكر المسبق الذي يتعارض مع الاتجاه العلمي السليم والنظرة الكلية الشاملة لحقائق الإنسان والمجتمع والغيب! فالمؤثرات على دارون كانت ضخمة، وعلى أقل تقدير كانت الفلسفة المعادية للدين قد بدأت بتأثيراتها المختلفة على الاتجاه العام السائد للعلوم المختلفة قبل دارون وأثناء حياته!

فأثناء حياته كان الهيجلين الشبان يقومون بهدم كل أساسات الدين مثل «إشتراوس» (١٨٠٨-١٨٧٤) [١] و «فيورباخ» (١٨٠٤-١٨٧٢) [٢] و«برونو باور» (١٨٠٩-١٨٨٢) [٣] و«ماكس شترنر» (١٨٠٦-١٨٥٦) [٤] وأستاذهم هيجل (١٧٧٠-١٨٣١)[٥] توفي ولم يناهز دارون الثانية والعشرين عاما! أما قبل دارون فظهر كثيرون كان لهم تأثير كبير على الاتجاه العام للعلوم فقبل دارون ظهر «فولتير» وهو ممثل فلسفة التنوير في فرنسا وهو يرفض العناية الإلهية.

---

(١) ولد اشتراوس قبل دارون بسنة وتوفي بعده بثمان سنوات وسيأتي الكلام عنه بعد صفحات وهو فيلسوف الماني و«كيركيجارد» (١٨١٣-١٨٥٥).

(٢) فيورباخ ولد قبل دارون بخمس سنوات ومات قبله بعشر سنوات وهو فيلسوف الماني وسيأتي الكلام عنه.

(٣) باور فيلسوف الماني وتاريخ ميلاده وموته هو تاريخ ميلاد دارون وتاريخ موته!.

(٤) ولد شترز قبل دارون بثلاث سنوات وتوفى قبله بأكثر من ثلاثة عقود وهو الماني!

(٥) توفي هيجل ودارون لم يتجاوز الثانية والعشرين عاماً وهو فيلسوف الماني وسيأتي الكلام عنه وهو وإن لم ينقد الدين على طريقة اليسار اللاحق على فلسفته إلا أنه أضاف على الأساطير أساطير وسيأتي بيان ذلك.

وظهر قبل دارون «نايجون» (١٧٣٨-١٨٨٠) وقال بأن كل الأديان مزيفة [١]

وظهر قبل دارون «هولباخ» (١٧٢٣-١٧٨٩) هاجم الدين وقال إنه ينشأ من جهل البعض وخوف البعض الآخر وخداع فريق ثالث [٢]

وظهر قبل دارون «مارشال» (١٧٥٠-١٨٠٣) ممثل الجناح الديمقراطي في المادية الفلسفية الإلحادية [٣] كما قال د. حسن حنفي وقال بأن الله والطبيعة شيء واحد على ما قال اسبيتوزا من قبل، وبدافع الخوف اخترع الإنسان الله وأعطاه صفات الطبيعة على ما سيقول فيورباخ فيما بعد في الاغتراب الديني [٤]

وظهر قبل دارون «فيكو» (١٦٦٨-١٧٤٤) الذي اعتبر الدين كله أساطير [٥]

وظهر قبل دارون «شليرماخر» (١٧٦٨-١٨٣٤) الذي اعتبر الدين والأخلاق نابعان من التراث [٦]

وظهر قبل دارون «دي شامب» (١٧١٦-١٧٧٤) راهب رأى أن الإلحاد ميزة الخاصة المستنيرة [٧]

---

(٦) وعادى الكنيسة الكاثوليكية، وهو صديق ديدرو وساعده في نشر «دائرة المعارف»

(٢) هولباخ فيلسوف مادي فرنسي.

(٣) انضم مارشال إلى حركة بابيف وأصبح شيوعيا طوباوياً وألف في ذلك كتابه «بيان المتساوين» ١٧٩٤، انظر مقدمة في علم الاستغراب ص ٢٣٠.

(٤) مقدمة في علم الاستغراب ص٢٣٠

(٥) فيكو أستاذ القانون والفلسفة وأستاذ البلاغة اللاتينية في جامعة نابولي بإيطاليا وقال بأن المستقبل للإنسانية ذاتها أو الإنسان ذاته بعيداً عن الدين!.

(٦) شليرماخر ، فيلسوف ألماني، نقد العهد القديم ورواياته، توفى ودارون في الخامسة والعشرين من عمره.

(٧) دي شامب ادعى أن الله فكرة صنعها الإنسان، انظر مقدمة في علم الاستغراب ص٢٢٠ ويضع المسيحية في إطار تاريخ الأديان المقارن وينزع عنها تقديسها ويؤسس بعد «إسبينوزا» النقد التاريخي للكتب المقدسة. يقول حسن حنفي عنه بأنه ليس ملحداً ولكنه ضد العقائد المسيحية، ضد الكهنوت الكنسي. الله لديه محرك أول، مهندس أبدي ولكن لا تأليه للأشخاص، بوذا أو المسيح، طغيان الملك وامتيازات النبلاء» مقدمه في علم الاستغراب ص٢٢٧.

وظهر قبل دارون «إسبينوزا »(١٦٣٢-١٦٧٧) فيلسوف عقلي - يهودي قام بنفس المهمة!

وظهر قبل دارون «ميكافيلي» (١٤٦٩-١٥٢٧) مفكر إيطالي معروفة فلسفته!!

وظهر قبل دارون (ديكارت) فيلسوف الشك الديكارتي، .

هؤلاء ولا شك وغيرهم غيرهم كثير شكلوا مناخا اخطبوطيا ترك آثاره على طرق البحث والتحليل المتعلقة بأصل الإنسان وطبيعته ومفهوم التاريخ ومضمونه وعلوم الاجتماع وعلوم النفس والتي انحرفت في كثير من أفكارها عن الحقائق الأصلية للكون والحياة والإنسان والمجتمع، انحرفت عن حقيقة الحياة وخصائص الإنسان وقوانين الاجتماع الكلية!

وفي مجال علم الطبيعة ظهر قبل «دارون» «بوفون» (١٧٠٧-١٧٨٨)(١)

كما ظهرت محاولات العالم الفرنسي «لامارك» في تطوير نظرية في التطور قبل دارون بنحو خمسين عاماً (٢) ولاشك أن دارون كان على علم بهذه الأفكار خصوصاً وأن «جد» دارون، وهو «ارازموس دارون) (١٧٣٨-١٨٠٢) (توفي قبل ولادة دارون بسبع سنوات) كان له أفكار في مسألة التطور(٣) ولاشك أن هؤلاء الثلاثة تأثروا بالفلسفة التي عمت أنحاء أوربا ونقدت الدنيا مع نقدها للأساطير

---

(١) بوفون هو أحد كتاب موسوعة المعارف الفرنسية نشر عام ١٧٤٩ تاريخه الطبيعي الشهير، قال بالتطور إلا أنه جعله إلهيا، إلا أنه نفى أن يكون خلق الإنسان بلا تطور أو انبثاق - إذا صح التعبير - من مخلوقات أخرى. وقال عن الطبيعة إنها «نظام القوانين التي أتاها الخالق من أجل بقاء الأشياء وتتابع الكائنات، أنها حية، وهي عمل أبدي» ص١١٦ تكوين العقل الحديث جـ٢ نقلا عن الإسلام والاتجاهات المعاصرة ص٢٥.

(٢) قال «لامارك» بقانون الانتخاب الطبيعي والصراع على البقاء لكنه افترض قوة موجهة هادية مستقرة في أعماق كل كائن تتحكم في تطوره وتسبب ظهور الصفة الجديدة، أو العضو الجديد عند حاجة الكائن إليه» انظر الإسلام والاتجاهات المعاصرة ص٢٥.

(٣) كان جد دارون يعتقد أن ظروف البيئة والطبيعة تطور وتغير معالم الأشكال الحيوانية.

المسيحية وعقائدها المختلفة ولاشك أنهم جميعاً استفادوا من مناهج النقد العقلي عند المسلمين أيضاً ولاشك أنهم أطلعوا على ردود المفكرين المسلمين على العقائد والأساطير المسيحية الدخيلة على عقيدة المسيح أو على أقل تقدير اطلع أساتذتهم على ذلك!!

بيد أنهم لم يقفوا حيث يقف الفكر الاسلامي النقدي من العقائد المنحرفة والأساطير الراسخة، بل راحوا يهدمون كل شيء، وينقدون الحق والباطل حتى صار هذا النقد ديدن كثير من الفلاسفة الذين ولاشك قرأ دارون لبعضهم على الأقل قبل وأثناء القيام بالبحث العلمي الذي انتهى إلى القول بحيوانية الإنسان وبأنه بعد تطوره عن الحيوان كان إنساناً بدائيا لايعرف الكلام ولا يعقل البيان![*]

حتى قال علماء الأناسة أن البشر في بداية حياتهم على الأرض - وتطورهم من الحيوان! - تواصل بعضهم مع بعض عن طريقة التلويحات والإشارات أي بوسائل غير لفظية!! [1].

وحتى لو تجاوزنا ذلك كله وبرآنا دارون من المؤثرات البيئية والظروف الاجتماعية والإفرازات الفكرية النقدية، فإننا لايمكن أن نتجاوز قوله نفسه عن ظروف تبلور فكرته عن التطور والإنسان!

يقول «في أكتوبر عام ١٨٣٨ تصادف أن قرأت على سبيل التسلية كتاب مالثوس في السكان، وكما كانت ملاحظتي الطويلة المستمرة لعادات الحيوانات

(*) لقد وقع كثير من العلمانيين العرب في شباك هذه النظريات التطورية التي قسمت مراحل وجود الإنسان إلى مراحل ما أنزل الله بها من سلطان، وقد حاول بعض العلماء المسلمين الوصول إلى حل وسط بين نظرية دارون وعقيدة خلق الإنسان فقال بأنه قبل الانسان كان البشر وأنهم كانوا أقل رتبة من الانسان وهكذا.. وهي محاولة تلفيقية تدل على مدى تأثير النظريات الغربية في الفكر الاسلامي الذي يجب تنقيته من هذه الآثار التدميرية.

(١) انظر كتاب نصف العقول ص٣٣ تأليف فيليب تايلور وهو من هؤلاء المنحرفة!

والنباتات قد هيأت ذهني لتقدير أهمية الصراع من أجل الوجود، وهو الصراع الذي يدور في كل مكان، فقد تبادر إلى ذهني على الفور، أن من الممكن في ظل هذه الظروف، أن تحفظ التغيرات المواتية ويقضى على التغيرات غير المواتية، فتكون نتيجة ذلك تكونت نوع جديد. وهنا أصبحت لدي نظرية أستطيع أن أبدأ العمل بها»(١)

وواضح من كلماته السابقة أن الفكرة كانت جاهزة، تهيأت في ذهنه قبل أن يبدأ العمل بها «وهنا أصبحت لدي نظرية أستطيع أن أبدأ العمل بها»! فتكوينه للفكرة تم قبل القيام بأي بحث!، أي أن (الفكرة الجاهزة) كانت سابقة على (البحث العلمي)!، ثم بعد (البحث) لم يتغير شيء!! وهكذا لم يختلف تفكير دارون الذي تأثر بكل الإرث الفلسفي السابق والمعاصر له، بعد البحث عن ما قبل البحث والقول بالإنسان/ الحيوان والمقابل للإله/ المسيح كان نتاجاً فلسفياً وردة فعل أكثر منه نتاجاً معملياً أو خلاصة علم!

لقد استفاد دارون ولاشك من منهج الفحص التجريبي الذي استفاد منه الغرب عموماً وهو المنهج العلمي العقلي الذي أسسه المسلمون وأبدعه الربانيون! بيد أن دارون اتخذ كغيره من الفلاسفة الفكر الأوربي القديم المتمثل في الفكر اليوناني والروماني قاعدة بديلة عن الإسلام الذي كان قد أمدهم بوسائل علمية وعقلية عظيمة!

ولو نظرت إلى بعض أقوال دارون لوجدتها أولاً سخيفة تخالف العقل والمنطق، وتناقض المنهج التجريبي أو الاستدلالي الواضح وتقترب في أسطوريتها من الفكر اليوناني العقلي الوثني.

---

(١) اقتبس هذا النص «دامبير» نقلاً عن الفلسفة أنواعها ومشكلاتها لهترميد ص١٠٩ ترجمة الدكتور العلماني فؤاد زكريا!

ففي رسالته الجوابية إلى طالب ألماني سنة ١٨٧٩م ، يقول في تناقض منطقي عجيب «نستطيع القول إن مفصل الباب مصنوع من قبل الإنسان، ولكننا لا نستطيع الإدعاء بأن المفصل المدهش الموجود في صدفة المحار هو من صنع كائن عاقل»[١] .

فكان دارون مجرد ظل للفكر الفلسفي السائد في عصره والسابق عليه وهو فكر مؤمن بالشيء إذا كان حقيراً ويرفضه إذا كان عظيماً دقيقاً مدهشاً وما أحسن قول الشيخ الكريم محمد الغزالي « إن الأعمى لا يبصر مادام مصمماً على إغلاق أجفانه »[٢] .

وينعكس الظل نفسه على أحد المدافعين عن دارون حينما تنظر إليه يقول: «إن قيل لك وأنت تتفحص طائرة حديثة مجهزة بأحدث الآلات الالكترونية ، إن هذه الطائرة تكونت من خروج الألمنيوم والحديد والبنزين من تحت الأرض من نفسها، واجتماعها مع بعضها البعض بنفسها، لما صدقت ذلك، بينما ظهرت الأحياء التي تعتبر أجسادها مكائن معقدة أكثر من تلك الطائرة، نتيجة مثل تلك العملية والفرق الوحيد هنا أن المواد المستعملة هي الكربون والنتروجين والماء» [٣] .

«وماذا تنتظر ممن يجحدون الآلهه يحسبون الأفلاك تدور وحدها في السماء أو أن الدماء تنطلق وحدها في العروق؟»[٤]

هذا هو المنهج العلمي القاصر والذي يناقض المبادىء العقلية والقواعد

---

(١) Francis Darwin (Ed.), the Autobiography of Charles Darwin and selected letters, p. 63
نقلا عن كتاب دارون ... او نظرية دارون ص٢٠، ٣٠
(٢) نحو تفسير موضوعي ص٩٦
(٣) Nigel Caldel, The Life Game p. 172-173 نقلا عن المرجع السابق ص١١٨، ١٢٢ .
(٤) جـ٣ ص٢٢٢ نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم .

البديهي». أما ما فعله العلماء الذي صدقوا واتبعوه فهو أنهم سارعوا إلى الترحيب بنظريته والدفاع عنها. يقول أحد العلماء الذين يؤيدونه في مجمل نظريته وهو هنترميد إنه «فور ظهور هذا الكتاب(*) اقتنع عدد كبير من العلماء بأدلة داروين، ولم تمض سنوات قلائل إلا وكان فرض التطور قد حظى بقبول أغلبية الأذهان العلمية»(١).

وهلّل الفلاسفة لنتائج النظرية ودافع عنها هربرت سبنسر وتوماس هكسلي. يقول هنترميد «وكان الأخير - يقصد هكسلي - بوجه خاص مجادلاً رائعاً أسمى نفسه «كلب حراسة داروين»(!) فقد تحمل بشجاعة رائعة ومقدرة ووضوح في العرض، العبء الأكبر للهجوم الموجه من جميع الجهات على كتاب داروين وقاد مراراً وتكراراً هجمات مضادة ناجحة على خصومة المتهورين»(٢).

وهكذا كما يقول الفيلسوف هيوم - وله انحرافاته الفلسفية الخطيرة أيضاً - «يسارع الفلاسفة إلى الترحيب بأي شيء تبدو عليه سيماء الغرابة، ويخالف أول أفكار البشر وأكثرها تلقائية، ويعدونه علامة من علامات سمو علمهم الذي كشف آراء بعدت إلى هذا الحد عن وجهة النظر الشائعة، ومن جهة أخرى، فإن أي شيء يُقترح علينا ويُسبب دهشة وإعجاباً، يرضى الذهن إلى حد يجعله يستسلم لهذه الانفعالات السارة حتى لا يعود لديه مجال للاقتناع بأن لذته قد لايكون لها أي أساس. ومن هذه الاستعدادات لدى الفلاسفة ولدي تلاميذهم ينشأ ذلك التفاهم المتبادل بين الطرفين: إذ يأتي الأولون بمجموعة ضخمة من الآراء الغريبة التي لا يقدم لها تعليل، ويصدقهم الآخرون على التو»(٣).

(*) يقصد كتاب أصل الأنواع لداروين.

(٤) الفلسفة أنواعها ومشكلاتها ص١٠٩.   (١) المرجع السابق ص١٠٩.

(٢) (Hume: A Treatise of Human Nature;BookI Part II section I.) نقلا عن نظرية المعرفة لفؤاد زكريا ص٧.

ومع أن نظرية دارون مليئة بالثغرات الخطيرة إلا أنهم لظروف الصراع العنيف مع الكنيسة والإيمان بضرورة القضاء على هذا العدو، فقد آمنوا بها على التو!، وتبعهم بعد ذلك بفترة كثير من العلمانيين العرب.

يقول هنترميد «يعترف القائل بنظرية التطور بوجود ثغرات حقيقية بالفعل، ولكنه يشير إلى أن استمرار التقدم العلمي يؤدي إلى سد هذه الثغرات بالتدريج» - قلت: إنه إيمان أعمى إذن! - وعلى أية حال (!) ، فمن المؤكد أنها أقل إتساعاً مما كانت من قبل وهو أيضا يعترف بالجهل فيما يتعلق بأصل الحياة. ولكنه يذهب إلى أن الاعتراف النزيه بالجهل أفضل إلى حد لامتناه من التعليل الخيالي الساذج (!) - ولا نقول الخرافي - الذي يفترض كثير من القائلين بنظرية الخلق لأصول الأشياء»(١)

ويحاول إسماعيل مظهر - وهو أحد المؤمنين بنظرية دارون - أن يبرر افتقاد نظرية دارون للأدلة ذلك لأن آثار تلك العصور القديمة ذهبت مع الريح!

يقول «وخليق بنا ألا نغفل عن أن الاضطرابات الأرضية والزلازل وطغيان الماء والأعاصير الطبيعية التي كانت تنتاب الأرض حينا بعد حين وتحول الأرض من يابس إلى بحر، ومن بحر إلى يابسه، **كانت من أبلغ تلك المؤثرات التي ذهبت ببقايا تلك العصور، فالصور التي غمرها البحر وقذف بها في طياته لايمكن معرفتها...»** (٢)

وبدل أن يأتي هو بالأدلة التي تفتقدها نظرية سيده دارون ذهب يقول لنا إنه ليس في باطن الصخور أي صور محفوظة تثبت عقيدة خلق الإنسان بلا تطور!(٣)

---

(١) الفلسفة أنواعها ومشكلاتها ص١١٧.

(٢) ملقى السبيل «اسماعيل مظهر ص٢٨١ ويقول في موضع آخر ص٢٥٧ «لقد أثبت دارون بالدليل والمشاهدة أن الحلقات الوسطى كانت موجودة **خلال زمن ما من الأزمان، وأن كيف أن بقاءها في الطبيعة متعذر (!) وأن العثور عليها أشد تعذراً»!! ولقد تراجع اسماعيل مظهر في نهاية حياته عن هذه النظرية!**

(٣) انظر المرجع السابق.

وهكذا فالفكرة مسبقة، والفلسفة مبيته، والنظرية قديمة، والأدلة مفتقره، والبراهين متعذرة، ومع ذلك صارت قاعدة لنظريات في الاجتماع والسياسة والفلسفة. ووجدت لها استخدامات ملحة في ظروف الصراع المشهورة ، فظهرت داخل علوم الاجتماع والاقتصاد والسياسة والنفس، الماركسية الداروينية وعلم النفس الدارويني وعلم الاجتماع الدارويني والاشتراكية الدارونية وهكذا . . .

كما ظهرت نظريات عنصرية اعتمدت على نظرية التطور لدارون، وكذلك استخدمها أنصار المعنى المطلق للحرية.

يقول د. فؤاد زكريا - وهو علماني يرفض الوحي ويؤمن ببعض النظريات الغربية ـ إن الفيلسوف «روسو» بنى على نظرية التطور فكرة التحرر من الالتزامات ويقول أيضا «وجد أنصار المعنى المطلق للحرية في نظرية التطور - التي جاءت في وقتها المناسب - دعامة لآراءهم، بل إنهم حوروها وفسروها على نحو يلائم دعوتهم أشد الملائمة» (١)

وقد ظهر نتاجاً لها أيضاً الفيلسوف «فريدرش هايك» وهو الذي دافع عن مبدأ «دع الأمور تسير في مجراها Laissez Faire في كتابه «الطريق إلى العبور».

كما يوضح لنا د. حسن حنفي - وهو مثل د. فؤاد زكريا:- ماذا فعلته هذه النظرية وأدت إليه من نتائج عنصرية خطيرة، فقد حاول جوبينور النبيل الفرنسي أن ينسب كل فضل في تطور الحضارة إلى الجنس الآري كذلك فعل (هوستون تشيمبر لين) عند الألمان، وكبلنج عند الإنجليز، يقول حنفي: «وقد انتهت نظرية التطور العضوية إلى بعض النتائج في النظرة للإنسان والمجتمع كما بدا ذلك في النظرية العضوية عند جوبينو التي تقوم على تفوق الجنس الشمالي على الأجناس الجنوبية والشرقية. فالعنصر الأبيض هو الذي يحتكر الجمال والذكاء والقوة،

(١) الانسان والحضارة لفؤاد زكريا ص١١٤

وبإتصاله بباقي الشعوب انتقلت إليها صفة واحدة من الصفات الثلاثة.. وقد كانت هذه النظرية العنصرية أحد مكونات النظرية الاستعمارية للاستعمار الأوروبي، سيطرة الجنس الأبيض على الأجناس السوداء والصفراء والسمراء في افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية [١]

وهكذا فإن الأمر لم يقف عند حدود تصورات «دارون» لأصل الإنسان ولصورة مجتمعه الأول - وهي صور كاذبة - بل ظهرت نظريات وفلسفات وتحليلات تأخذ من أفكار دارون لتقيم بناءاتها المدمرة للإنسان والمحطمة لقيمه ودينه والمحرفة لمفاهيم عمرانه البشري وعلاقته بذاته وبالكون من حوله، حتى إن بعض النظريات كما قلنا أقامت بناءها العلمي على نظرية دارون ثم تصارعت وتناطحت وهشمت بعضها بعضا!!! - أخذت منها وردت ولم تنتهي إلى نظرة شاملة عن الإنسان وعن غاية وجوده وعن معرفته بنفسه، عبر عن ذلك الفيلسوف «نيتشه»[*] الذي عاصر فرويد «١٨٤٤ ـ ١٩٠٠» الذي كان قد وضع مقولته الخطرة «إن الله قد مات» قال «إن كلاً منا - بالنسبة لنفسه - أبعد ما يكون عن نفسه»[**] [٢] وهل يكون الإنسان بدون الله شيئا؟ إن هذه الفلسفات التي أثّرت على فرويد وسعت الهوة بين الإنسان وبين ذاته حتى فقدها في الاصطراع الذي عم الفكر الفلسفي الغربي وغطى مفاهيمه كلها.

---

(١) مقدمه في علم الاستغراب ص٢٨٢ . وكما فعل الفرنسي «جوبينو» فعل «هوستون تشيمبرلين» عند الالمان وكلبنج عند الإنجليز ، غير أن تأثيرها الاكبر كما هو معروف ، قد وقع على الالمان ، فكان أبرز مظاهر الانحراف في فهم القومية» الإنسان والحضارة لفؤاد زكريا ص١٠٦ ، كما تمثل ذلك في النازية الهتلرية .

(*) نيتشه هو أستاذ فقه اللغات القديمة، اليونانية واللاتينية وآدابها في جامعة بازل، في كتابه العلم المرح قال نيتشه: « إن المسيحية أذلّت الإنسان بعد أن أقامت عقائدها على تصورات منافقة حول العالم» .

(**) يقول فرويد عن «نيتشه» : ـ (نيتشه ذلك الفيلسوف الذي طالما تتفق تخميناته وأحداثه اتفاقاً عجيباً مع كشوف التحليل النفسي الشاقة) ص٨٩ من حياتي والتحليل النفسي .

(٢) F.Nietzsche : Lagenealogi la marale, Marcure de France, PARIS 1948

والنص موجود في مقدمة ثلاث مقالات في تطوير الجنسية لفرويد ص١٢ .

فرويد المؤله:

لقد عاصر «سيجموند فرويد» (١٨٥٦-١٩٣٩) دارون (١٨٠٩-١٨٨٢م) وأعجب بنظرته إلى الإنسان!،(***) واستفاد من تصوره الشائه عن أصله!) كما استفاد من الإرث الفلسفي السابق عليه والمعاصر له(*) ولا أشك أنه استفاد من الهيجليين الشبان خصوصاً «فيورباخ» (١) واشتراوس بل واستفاد من فلسفة نيتشه(**) أيضا لقد قال فرويد متغطرساً عن نظريته : إن جل ما وجه إلى نظرية التحليل النفسي من اعتراضات «مرجعه إلى أن موضوع النظرية يجرح مشاعر إنسانية قوية. وقد لاقت نظرية دارون عين المصير، لأنها قوضت الحاجز الذي وضع بغطرسة بين البشر والحيوان (!).. إن النظرة التحليلية النفسية ... كانت ضربة قاسية للحب الإنساني للذات» (٢)

(***) يقول فرويد « غير أن نظريات دارون التي شاع بها في ذلك الحين اجتذبتني إليها اجتذاباً قوياً لما كانت تبشر به من تقدم فائق في فهم الكون » من كتابه حياتي والتحليل النفسي ص١٣-٢٠ وفي ص١٠٢ منه قال بأنه خطر له من عناصر فكر دارون عن الأب القيلة الطاغي باقي نظريته في مثل الأب وظهور الديانة والقيود الأخلاقية.

(*) تأثر فرويد أيضاً بكتاب « و. روبرتسون سميث» «ديانة الساميين» كما كشف عن ذلك في كتابه حياتي والتحليل النفسي ص١٠٢ .

(١) انظر «النبي موسى ورسالة التوحيد» لفرويد ص١٤٢ وقارنه بما قدم من كلام فيورباخ .

(**) إن تأثير نيتشه على علم مؤسسي علم النفس التحليلي ورئيسهم فرويد كبير جداً، يظهر في أعمال «يونج» الذي كتب قبل وفاته بأشهر قليلة (توفي بعد فرويد بعقود سنة ١٩٦١) : « إن تقديم تقرير مفصل عن تأثير افكار نيتشه في تطوري العقلي لمهمة طموح تتخطى حدود قدرتي ... لم أستطع أن أتجنب الأثر الذي أحدثه إلهامه الأصيل في نفسي وشدني إليه بقوة ... وعلى الجملة كان نيتشه بالنسبة إليّ هو الإنسان الوحيد الذي قدم لي في ذلك العصر إجابات كافية عن بعض الأسئلة والمشكلات الملحة التي كنت أشعر بها أكثر مما أفكر فيها» انظر مقالة الدكتور غانم هنا أستاذ الفلسفة بجامعة الكويت ص٧-١٧ في مجلة عالم الفكر العدد٤ المجلد ٣٠ أبريل - يونيو ٢٠٠٢ .

(٢) انظر النص في مقدمة الدكتور سامي محمود على لكتاب فرويد « ثلاث مقالات في نظرية الجنسية ص١٢

إن غـرض «فرويد» الحقيقي هو تمريغ الإنسان في «الوحل» إنه يريد أن يردم الهوة بين الإنسان والحيوان كما فعل دارون، يقول فرويد «لكن الهوة التي خلقها الإنسان فيما بعد بين نفسه وبين الحيوانات لم توجد بالنسبة للإنسان البدائي»[1](***) فنظريته - بحسب كلامه هو - تقوم على «تقليل اتساع هوة الكبرياء (!) التي قامت في الأزمات السابقة بين الإنسان والحيوان(!) فإذا كانت ما يسمى بغرائز الحيوانات - التي تتيح لها منذ البدايات الأولى أن تسلك في ظروفها المعيشية الجديدة (!) كما لو كانت غرائز قديمة قد ثبتت منذ أمد طويل - إذا كانت هذه الحياة الغريزية للحيوانات تسهم إطلاقا بأي تفسير فلا يمكن أن يكون هذا التفسير سوى: أنها تحمل في وجودها الجديد تجربة النوع الذي تنتمي إليه، أي أنها استبقت في عقولها ذكريات لما عاناه أسلافها(!) ولايمكن أن تكون الأمور في الحيوان الإنساني مختلفة في جوهرها عن ذلك، فميراثه القديم، مع أنه مختلف في المدى والصفات، يشبه غرائز الحيوانات»[2] والغرائز الحيوانية - بحسب فرويد - هي القوانين الأقدم لنا والتي يجب أن تحتل مكانها التي كانت تحتله في الأزمنة الأولى قبل ظهور التحريمات![3] وخلاصة أفكاره عن الإنسان والدين والحضارة والمجتمع البشري هي أن الإنسان أصله حيواني وغريزته الجنسيه هي مركزه ومحور طاقته، ويتنازل الإنسان عن ذاته للدين والحضارة تم قهره وتم منع غرائزه الطبيعية من الإنطلاق الطبيعي الذي عاشه أجداده الحيوانات! ذلك أن

(١) « النبي موسى» لفرويد ص١٠٤ .

(***) يزعم فرويد وغيره من الباحثين الغربيين وعبيدهم من العرب أن النساء كنّ مشاعاً للرجال على غرار الحيوانات !!

(١) المرجع السابق ص١٢٢ . (٣) المرجع السابق ص١٣١ .

صور التحريمات وألوان التشريعات الأخلاقية(*) التي يفرضها الدين (**) أو الحضارة على الإنسان إن هي إلا صور للقهر تمنع الإنسان من الإستجابة لغرائزه الطبيعية لاسيما الجنسية!

وعملية الكبت التي يقوم بها الإنسان مراعاة للآخرين، من أجل قيم ومبادىء صنعها الإنسان نفسه - بزعم فرويد طبعا! - مغترباً عن نفسه الحقيقية في صورة دين أو مبادىء حضارية، ما هي إلا (نَبْذ غريزي)(!) وتقييد غير عقلي يجب عليه التغلب عليه وإرجاع نفسه إلى حالته الأولى يوم كانت بلا قيود أخلاقية أو دينية أو حضارية!

فالإنسان وغرائزه أولاً، ولا للتنازل أو التقابل مع الآخرين من أجل بناء الحضارة أو لإعتبارات دينية، فإن ذلك مدمر للإنسان ولخصائصه الحيوانية!! ولصفاته البيولوجيه!، إنها فلسفة قريبة من فلسفات تلاميذ هيجل اليساريين! إن المطلوب عند فرويد إعطاء الجنس أبعاده الكاملة في إطار من انعدام الكبت الديني أو الحضاري ويجب اعتبار «الزنا» شيئاً طبيعياً وليس شيئاً ممقوتاً يعاقب الإنسان عليه!

والحضارة عند فرويد «حرب ضد الجنس» فالإنسان يكبت طبيعته للتسامي الحضاري ولصالح الآخرين ولصالح التراكمات من التحريمات والنواهي الاجتماعية والتحذيرات الدينية، وكلها - عنده - أمور تعسفية صنعها الإنسان نفسه نتيجة

(*) يقول عن الأخلاق في كتاب الذات والذات السفلى أنها كوابت تكبت المنطلق الطبيعي للطاقة الجنسية، ويقول إنها تسم بطابع القسوة حتى في صورتها العارية ولا عجب فالسيد «يونج» الذي ذكر فرويد في كتابٌ «حياتي والتحليل النفسي» عنه أنه أصبح معارضاً له قال عنه: «لقد قال لي فرويد ينبغي أن نحطم كل العقائد الدينية .. أن نجعل من الجنس عقيدة» انظر «مذاهب ثلاثة» ص١١٢ .

(**) يدعي فرويد أن التشريعات الأخلاقية الدينية لا مبرر لها وأنها لا تنبع من «دافع عقلي» يقول: إذاً ما الذي يجعل ارتكاب الفحشاء بوجه خاص مع الإبنة والأخت جريمة نكراء أكثر جرماً من أي علاقات جنسية أخرى؟» النبي موسى ص١٤٠ إن التفسير الوحيد لذلك عنده هو إرادة الأب الأول المتعنت التي كان يبيح كل شيء لنفسه ويمنعه حتى عن أبنائه!! انظر ص١٤١ المرجع السابق، وص١٠٣-١٠٥ أيضاً.

ولذلك فالأنا الأعلى في الإنسان - بحسب فرويد - يبدو عقليا ويخدعنا بنظامه الأخلاقي(*) في حين أنه نتاج آثار عتيقة في التاريخ، وهو في أحسن الأحوال محاولات يدعم بها الإنسان أوهامه ويكرس بها تخلفه(١)

بهذه الطريقة من التفكير التي غمس فيها فرويد تحليلاته النفسية، والتي هي نتاج تحليلي لمجموعة من المرضى النفسانيين، عمم فرويد نتائجها على البشرية كلها وذلك بعد أن لطخها بأفكاره المختلة عن الدين والنبوة والإنسان والتاريخ! فخرجت نظريته خليط بين فكر فلسفي مريض، وتحليلات نفسية تقبل الحوار والمناقشة!(**) وفيها الحق والباطل!

عند ظهور نظريته هلل لها فلاسفة كثيرون، وعلماء طبيعيون فقد كانت تصب في الحملة العنيفة على تعاليم الكنيسة والدين عموماً وإرساء مفاهيم الشك والتحطيم للأخلاق والأصول الإنسانية والقيم الروحية يقول هنترميد «هناك علماء نفس كثيرون ومدارس كثيرة في علم النفس أسهموا في بث روح الشك الفعلي في إمكان قيام أي مذهب أخلاقي (!) ولكن من المؤكد أن فرويد وحركة التحليل

(*) يقول فرويد «الأنا العليا وريث عقدة أوديب ويمثل معايير الإنسان الأخلاقية»ص ٨٩ من كتابه حياتي والتحليل النفسي .

(١) «ومن هنا فإن أحكام الناس التقويمية هي على أحسن الفروض مجرد » محاولات يدعم بها الناس أوهامهم بالحجج والمناقشات» حسب تعبير فرويد نفسه» من كتاب المدينة ومتاعبها نقلاً عن الفلسفة وأنواعها ترجمة د. فؤاد ذكريا ص٣٥١ وانظر أيضاً كتاب «هربرت ماركوني» للدكتور فؤاد زكريا تحت عنوان «من ماركس إلى فرويد» ص٥٨-٨٠ .

(**) كموضوع الجنس المبكر عند الأطفال!، وموضوع الأحلام التي يربطها أيضاً بمحور نظريته الفاسدة عن الكبت الأول للبشرية!، وبدل أن يقول إن للحلم أيضاً تنبؤات مستقبلية كما يظهرها الواقع فإنه يقول بأن الحلم هو تحقيق مقنع لرغبة مكبوتة! انظر كتابه حياتي والتحليل النفسي ص٦٧-٦٩ ، وكذلك «عقدة أوديب» الذى يزعم أنها نواة العصاب، فهى بزعمه قمة الحياة الجنسية الطفلية ونقطة الاتصال بجميع تصوراتها التالية» المرجع نفسه ص٨٥ وكذلك موقفه من التأليف الخيالي والنكتة ص٩٨ .

النفسي التي كان هو مؤسسها كان لهما الدور الأكبر في هذا الصدد»[1](**)

لقد كان فرويد يكرس فلسفة تدمير الدين .. وتدمير الإنسان .. بتضخيم نزعة الفردية وإشباع غرائزها بعيداً عن المجتمع والدين والدولة. فأصبح هو ودارون مرجعاً لعلوم نفسية واجتماعية وفلسفية واقتصادية وسياسية سببت أزمات اجتماعية وعالمية لاحقة وخطيرة حتى سمعنا اليوم فلسفات «موت الإنسان»!

وأصبحت الوتيرة الإنسانية وتيرة حيوانية وإيقاعها ايقاع مادي فاقد للروح الإنسانية الاصيلة وفاقد لشروط الحياة الكريمة على الأرض.

وصارت الأمور على الوتيرة العرجاء .. ولم يبق للإنسان مقدس في حياته وماذا يبقى بعد أن رفض الإنسان العبودية والخضوع للذي خلقه ولمنهاجه الكريم؟! بل ماذا يبقى للإنسان بعد أن حيّون نفسه ولوثها بلوثة الحيوان الهائج!، نعم بعد دارون تغيرت نظرة الإنسان إلى نفسه وإلى العالم من حوله حتى قال جوليان هكسلي - وهو من علماء الداروينية الحديثة - «وبعد نظرية دارون لم يعد الإنسان يستطيع تجنب اعتبار نفسه حيواناً»(*).

ويقول إنجلز، وهو أحد أقطاب الماركسية اللعينة «ليس هناك شيء نهائي ولا مطلق ولامقدس»[2] وكما تم التلاعب بحقيقة الدين والغيب كذلك تم التلاعب بحقيقة الإنسان.

---

(١) الفلسفة أنواعها ومشكلاتها ص٣٤٩ .

(**) يقول فرويد من كتابة «تأويل الاحلام» لم يعد التحليل النفسي موضوعاً طبياً خالصاً فبين ظهوره في المانيا وظهوره في فرنسا يقع تاريخ تطبيقاته العديدة على فروع الأدب والجماليات أو على تاريخ الأديان وما قبل التاريخ، وعلى الأساطير والأدب الشعبي وعلى التربية، وهكذا ولا صلة لأي من هذه الأمور بالطب، إنما تتصل به عن طريق التحليل النفسي وحده » من حياتي والتحليل النفسي ص٩٥ .

(*) من كتابه الإنسان في العلم الحديث انظر كتاب التطور والثبات لمحمد قطب ص٣٨ .

(٢) Engels,Amti-Diihring Moscow . 1955,p.32

نقلاً عن مقالة بعنوان «المنهج الجدلي في علم الاجتماع لأحمد القصير مجلة الأداب إبريل ١٩٧٢ص٥٤

إن الماركسية قامت على جوهر فلسفة دارون مع تحديد اتجاها جديداً لها «فنظرية التطور - أي الداروينية - تعتبر من الأسس المهمة التي اعتمد عليها ماركس في نظريته بخاصة في القول بحتمية التطور والإنتقال من طور إلى طور نتيجة لتغير الظروف الاقتصادية والقول بأن الجديد أفضل من القديم وسوف يحل محله .. ومن الطريف أن ماركس قد صدَّر الترجمة الإنجليزية لكتابه (رأس المال) بعبارة إهداء إلى دارون مما يكشف عن مدى إعجابه وتقديره له وقد كتب ماركس بخط يده على النسخة التي أرسلها إليه «من المعجب المخلص»(!) ولقد ظل ماركس متحمساً لكتاب أصل الأنواع ولنظرية التطور لدرجة أنه كتب إلى «إنجلز» يقول «على الرغم من أن هذا الكتاب يعالج نظرية التطور بإسلوب إنجليزي فج فإنه يحتوي على أسس التاريخ الطبيعي لنظريتنا»[1] وكما ترى فإن ظروف الصراع مع الكنيسة مازالت تلقى بظلالها على الأفكار الجديدة التي يلد بعضها بعضا ويقدم بعضها لبعض طقوس العبادة الوثنية التي تُظهر كيف يتخذ بعضهم بعضاً أولياء من دون الله!

قبل أن يُطل ماركس بأفكاره على العالم ، كان أستاذه «هيجل» قد أرسى دعائم مذهبه الذي سيقوم البعض بتقديسه والبعض الآخر بنقده وإيقافه على رجل عرجاء بعد أن كان مقلوباً على رأسه!

هيجل مقلوباً على رأسه!

لقد كان «هيجل»، أكبر مفكر ألماني على الإطلاق[*]، ولقد تبين لي من

---

(١) من مقالة «صراع الحضارات صناعة يهودية» في أسبوعيات جريدة الأهرام الجمعة ٥ ابريل ٢٠٠٢ عدد ٤٢١٢٣، للأستاذ الدكتور كمال شرقاوى غزالى أستاذ ورئيس قسم العلوم البيولوجية والجيولوجية جامعة الإسكندرية / مصر .

(*) هيجل (١٧٧٠-١٨٣١) ولد في شتوتجارت وبدأ مهنته كأستاذ في جامعة فيينا، في عام ١٨٠١ حتى انتصار نابليون فيها في ١٨٠٦ ثم أصبح أستاذاً في هيدلبرج ثم في برلين ١٨١٨ ـ ١٨٣١ . انظر مقدمة في علم الاستغراب ص٢٤٥ .

نحص أزمة الصراع الفكري بينه وبين تلاميذه أنه كان سلبياً تجاه «الإنسان» إيجابياً تجاه «الملكية الحاكمة» التي وضعها مكان «الألوهية» ومنحها خصائصها وحصّنها ضد النقد!! والعجيب أن هيجل هو من إتهم الاسلام بالسلبية فلنرى من السلبي حقاً؟! لقد أراد هيجل أن يعكس الاسطورة المسيحية عن (الإله/ الإنسان) أو (الله/ المسيح) وهي عقيدة تُشخّص الإله في المسيح، أراد هيجل أن يعكسها على الدولة البروسية وملكها فردريك الثالث!

لقد جعل هيجل من «الملك فردريك الثالث» ألوهية متحققه على الأرض، وبحسب تعبير الدكتورة - الماركسية - فريال حسن خليفة - فقد جعل هيجل من دولة الملكية البروسية «الفكرة الإلهية كما توجد على الأرض»[1] وبحسب ماركس فإن «ما يشغل هيجل هو تصوره الملك الإنسان الإله، وهو عند هيجل التجسد الحقيقي للفكرة المطلقة»[2]

فعند هيجل أصبح «شخص الملك وجود متميز عن الآخرين من حيث إنه وجود الفكرة المطلقة وقد أصبحت إنساناً»[3] وقد علقت الدكتورة فريال خليفة على فكر هيجل في هذه الناحية بقولها «إن ما سعى إليه هيجل، هو الملك الإله»[4]

ففي الدولة البروسية التي فلسف هيجل إعتلائها المطلق على الإنسان والمجتمع كانت السلطة حقاً للملك بالولادة!، وبحسب قول هيجل نفسه «هذا الفرد قُدِّر له أن يرقى إلى عزة الملكية على نحو طبيعي مباشر، أعني من خلال ميلاده الطبيعي»[5] .

---

(١) نقد فلسفة هيجل ص٢٤٨ . (٢) نقلاً عن المرجع السابق ص٢٥٢ Karl Marx, chpr,p.24

(٣) انظر هيجل في نقد فلسفة هيجل ص٢٧٣ .

(٤) المرجع السابق ص٢٧٥ .

(٥) . Hegel,pr,s280, p.184 نقلاً عن فلسفة هيجل ص٢٧٣ .

وهذه الفكرة استبدادية تنزع حقوق الأفراد وإنسانيتهم وهو ما حدث في الحضارات الوثنية التي قدست الإمبراطور والفرعون والملك والكاهن!

لقد كانت هذه الفلسفة الهيجلية رد فعل على الثورة الفرنسية التي دعمها هيجل نفسه في بداية عهدها ثم انقض عليها بعد ذلك لأن العوام استولوا على السلطة!!! فما كان منه إلا أن عزل العوام والشعوب عن تقرير مصائرهم بأنفسهم وأعطى كل مقدرات الأمة للملك الذي أعطاه صفات الإله، وإنعكاساً لفكرة الإله/المسيح الأسطورية التي رفضها الإسلام رفضاً حاسماً لأنها لا واقع لها كما أنها باطل لا أساس له والقائم على الباطل باطل!

لكن هيجل الذي أثبت عدم عقلانية العقلي بإطلاق كما كتب ماركس[(١)] لم يُرِد أن يتجاوز التراث المسيحي الاسطوري ولا التراث اليوناني والاغريقي الوثني في حين ذهب يتهم الإسلام بأنه سلبي تجاه الواقع!!

فلم يصبر هيجل على حصول الأفراد على بعض حقوقهم بأنفسهم في الدولة الفرنسية حتى ذهب إلى اعتبار الشكل السياسي للملكية الوراثية هي الحق اللامتناهي واعتبر الملك إلهاً يمشي على الأرض، لاينازع في رأى، اعتبره فوق كل مسئولية أو مساءلة كما قال هو نفسه «**أما جلالة الملك بوصفه الذاتية النهائية للقرار، هو فوق كل مسئولية أو مساءلة Answerability بالنسبة لأفعال أو قراءات الحكومة**»[(٢)]

وكما اعتبر ماركس وانجلز بعد ذلك فلسفتهم وتحقيقها المطلق على الأرض قمة التطور وكذلك كما اعتبر صموئيل هنتجتون بأن الليبرالية الحديثة بمبادئها وكلياتها قمة التطور ونهاية التاريخ، فقد جعل هيجل أيضاً من فلسفته «قمة التطور

---

(١) انظر نص ماركس في نقد فلسفة هيجل ص٢٧٣ نقد دمَّر السيادة بالميلاد كما قال ماركس أيضاً .

(٢) نقلاً عن نقد فلسفة هيجل ص٢٥١ . Hegel,pr,280, p.184

ونهايته»[1] وكذلك فعل ماركس !!! ولقد نقضت الفلسفات اللاحقة المسلمات المطلقة للفلسفات السابقة التي ادعت الحقيقة المطلقة وقمة التطور !!، فأين الإطلاقية المزعومة؟!

لقد اعتلى هيجل كرسي التدريس في جامعة برلين في النظام النقيض لدولة نابليون، دولة الشعب، مكرساً ومفلسفاً لوجود دولة الملكية المطلقة فإنتقل من وصفه لنابليون بأنه (روح العالم الذي جاء على صهوة جواد) إلى نقيضه الروح المطلق (الملك/ الإله) الذي ولد ملكاً بالوراثة، بالميلاد الطبيعي! انتقل من الشعب إلى الدولة، ومن حق الفرد إلى حقوق الملك البروسي! لقد أعلن هيجل فشل ثورة «روح العالم» لينصر «الفكرة المطلقة المتشخصة على الأرض»!، وهي تناقضات عجيبة تدل على قصر نظره وعطب فكره، وتبدل مزاجه وظروف فلسفاته المتناقضة الخاضعة للتقلبات الاجتماعية والفكرية المتسارعة! يقول (جون لويس) عن هذه الظروف «عندما أصبح هيجل أستاذاً للفلسفة في برلين، قوبلت نظرياته بالترحيب من قبل الدولة البروسية، وجهاز الدولة (وكأن الترحيب أجبره على القول: إن التاريخ هو قصة حياة الله كما يكتبها هو، وكان الله في بروسيا في القرن التاسع عشر قد حقق نفسه لحما ودما. وكان هذا تتويجا مزريا لبنيان الميتافيزيقا الهيجلية الشامخ، وربما أمكن القول إن حدود عصره، والضغط الناتج عن تأييد الطبقة الحاكمة حمل هيجل على التتويج السابق لأوانه للفكرة المطلقة. المهم أن نعترف أن هيجل قدم أسوأ نماذج فلسفته كما صاغها في سنواته الأخيرة»[2] .

لقد قال ماركس بأن نقائص العصر تجمعت في فلسفة هيجل ويقول في رأس

---

(1) انظر نقد فلسفة هيجل ص١٩٣، مع أنه برر الدولة الاستعمارية والاستبداد الوراثي كما قال بوزانكويت.
انظر مقدمةفي علم الاستغراب ص٢٦٦ .

(2) جون لويس: مدخل إلى الفلسفة، ترجمةأنور عبدالملك، دار الحقيقة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٨ ص١٤٣،١٤٤ نقلاً عن فلسفة هيجل ص٢٥٢ .

المال إننا أمسكنا بهيجل الذي كان يمشي على رأسه ثم عدلناه .. أوقفناه على قدميه!!! وقام تلاميذه ينقدون فكره الذي حول الفكرة المسيحية البولسية -نسبة إلى بولس- (المسيح/ الإله) إلى (الملك/ الإله) أو السيادة المتشخصة في المملكة الوراثية لدولة بروسيا. قاموا ينقدونه بفلسفات قاصرة جزئية شائهه زادت الطين بله وأدت إلى ظهور المذاهب المادية المشهورة كالماركسية والوجودية وغيرهما. وماركس نفسه يُعبِّر عن «اللخبطة!» التي لازمت الفكر الفلسفي لتلاميذ هيجل مع تأثر ماركس كثيراً بهم خصوصاً بفيورباخ، يقول ماركس عنهم «إن أيا من هؤلاء النقاد المحدثون لم يقم حتى بمحاولة نقد جامع للنظام الهيجلي وبالرغم من أن كل واحد منهم يُقسم الإيمان المغلظة على أنه تجاوز هيجل نفسه، فإن مناظرتهم ضد هيجل وضد بعضهم بعضاً، يقتصر على ما يلي: إن كلا منهم يعزل جانبا من النظام الهيجلي ويحوله ضد النظام بكامله، وضد الجوانب المعزولة من قبل الآخرين على حد سواء»[١].

وفي الحقيقة هذه الجزئية في النقد وعدم وجود معايير كلية في الفكر الفلسفي لتلاميذ هيجل أدى بهم إلى نقد الدين مع نقد الفلسفة والمسيحية وجعل حقائق الدين أساطير كما هي أساطير الفلسفة والمسيحية وفي هذا المناخ الغير صحي تم القضاء على تحقيق منهاج عقلي كلي وتفسير صحيح للدين وللإنسان وللتاريخ وتم النظر إلى الدين على أنه أساطير ووعي زائف وخرافات آمال متخلفة كما هي المسيحية المنحرفة سواء!

إن الدين بحسب «الفيلسوف إشتراوش» وهو تلميذ لهيجل قام بنقد فلسفته كما

(١) انظر مرجع ماركس في نقد هيجل ص٥٦ وهو مرجع طويل .

الآخرين - «نتاج جماعي غير واعي من خلق البشر[١]» نتاج للتطور الروحي فالوعي الذاتي الإنساني - بحسب زعم تلميذ آخر لهيجل وهو (باور) - يخلق الواقع الروحي الذي يتناسب مع مستوى تطور هذا الوعي ، وما أن ينتهي التناسب بينهما تصبح مهمة الوعي هي هدمه وتجاوزه إلى مستوى أعلى»[٢] ويقول أيضا «لقد أضاع الوعي الذاتي ذاته في موضوع خيالي[*] منفصلاً عنه وحرم نفسه من كل قيمة»[٣] هذا الوعي - عند فيورباخ - تلميذ هيجل وفيلسوف معروف! - اغترب لّما أعطى كماله لغيره! زعم أن الاعتقادات الدينية إنما هي إسقاط فبدلاً من أن يعطي الكمال لذاته أعطى الكمال لغيره! وهكذا فالفكرة المنحرفة - التي صنعها بولس وهي فكرة المسيح/ الإله وسلمت الكنيسة بها انتقلت إلى الملك/ الإله أو المملكة/ الإله عند هيجل ثم انتقلت إلى الوعي الكلي للذات عند باور فانتقلت عند «شترنر» إلى الإنسان/ الفرد الأوحد[**] ! وانتقلت عند فنورباخ إلى الإنسانية/ الإله أو الإله/ الإنسان أي أنسنة الإله أو تأليه الإنسان !! أو تأليه الجوهر الإنساني الذي يزعم لنفسه الكمال المطلق!

إنها فكرة الوعي الكلي للذات التي قال بها باور والتي يزعم أن وجودها يتوقف على تدمير هذا الوعي الذي يحرم الإنسان من صفاته ويقذف به إلى العالم السماوي[٤]!

وكما قالت الدكتورة الماركسية فريال حسن خليفة فهؤلاء جميعا «كان هدفهم نقد الدين وتحجيم الايدلوجية الدينية(!) وإبراز عدم معقوليتها على أرض الواقع(!). واشتراوس عندما يدمر فكرة المسيح التاريخي، ويقول بفكرة الإنسانية،

(١-٢-٣) انظر نقد فلسفة هيجل ص٣٧-٤٤

(*) لو قال ذلك في الأساطير المسيحية الدخيلة على المسيحية لصدق ولكنه تجاوز ذلك إلى الدين !

(**) نعنده كما سيأتي بعد قليل فإن الأنا / الإنسان هو الكل في الكل !!!

(٤) المرجع السابق ص٥١ .

فـفي هذا تراجع للحـقيـقـة الدينية وانحـصـار لها في مـقـابل تقدم الحـقـيقـة (الإنسانية)»[١]

في هذا الجو الفاسـد لابد أن يتشكل الالتواء العقلي ، ويعلو الجـموح النفسي، ويمسخ الإنسان نفسه، وينقد ذاته، فيزداد الوضع التبـاساً وتعقيداً فلا غرو أن يظهر مثل «إشـتراوس» في هذا المناخ الغـير صحي الذي ضـاعت فيه مـعالم كل شيء، وفقد الدين جوهره عند الكهنة والفلاسفة، لقد قلب اشتراوش الطاولة على أستاذه وعلى الفلاسفة المسيحيين من قـبله، فأنكر وجود المسيح في التاريخ، ولماذا؟ ليهدم المسيحية والدولة البـروسية!!! فهل يعقل هذا؟! إنها مصيـبة دولة أستاذه ونموذجه المثـالي في التاريخ «ورفـض فكرة المسيح التـاريخي - عند إشـتراوش - والأخـذ بفكرة الإنسانية هو هدم للمسيحية هدم أساس النظام السائد في بروسيا واستبداله بدولة الإنسانية»[٢] يقول اشتراوس «يجب أن تبـدل فكرة المسيح التاريخي بفكرة الإنـسانية ويستطيع الإنسـان أن يجد الخلاص بالمشاركة في الحياة الإنسـانية الإلهية للنوع»[٣] فبـدلاً من الإنسـان/ الإله في المسيح أو الملك/ الإله في فلسـفة هيـجل يصير الوضع مـقلوباً فتصبح الإنسانيـة هي المطلوبة بحيث تكون الوحدة الحقيـقية كلها في الإنسـان فيصير هو الدولة/ الإنسان وليس كفرد بذاته بل الإنسـانية ككل[٤]

وكما قال مـاركس عن نتائج نظرية هيجل بأنها «أكذوبة» كـذلك فإن إشـتراوس قال بأنها «خداع»[٥]

وماذا يـجني الكذب والخداع غـير الضـياع والهـلاك وفقدان الإنسـانية لمعـالم وجودها وصورة تكريمها وحـقيقة تاريخها وماذا أنتج إشـتراوش وماركس وهيجل

(١) المرجع السـابق ص٣٦ .

(٢) نقد فلسـفة هيجل ص٤٠ .

(٣) Jhon, Edward Toews, Hegelianism, cambridge universty press, london New york, 1980, p.265 نقلاً عن نقد فلسـفة هيجل ص٣٩-٤٠ .

(٤) انظر ص٣٧ نقد فلسـفة هيجل .

(٥) انظر المرجع السـابق ص٣٧ .

وغيرهم غير التلفيق والتفسير المشوه للإنسان والدين وللمسيح وللنبوة والتاريخ؟!

لقد كانت عقدة اشتراوش خطيرة، ولم يستطع أحد شفاءه من الأذى الذي ألحقته به فلسفة أستاذه، وما تقدم عليه مما أفرزته العقلية الغربية ما أنتج أزمة الوعي الأوربي، ولذلك قام بتدنيس كل شيء وتحريف كل شيء وإنكار حقائق كل شيء ما أدى إلى القول بأن الإلحاد هو الإنسانية متصالحة مع ذاتها خلال نفي الدين[1] وعبادة الإنسان لذاته وتأليهه لنفسه.

ولما لم يجد اشتراوس في الوعي الجمعي الأوربي إلا هذه التحريفات الدينية المسيحية ، لما لم يجد إلا إرثا فلسفيا منحرفاً - لما لم يجد إلا فلسفة أستاذه والتي تجعل من ملك الدولة (مسيحياً/ إلهاً) يجب الامتثال له وعدم الإعتراض عليه لأي سبب من الأسباب، لما لم يبق أمامه إلا هذا الفكر المنحرف بطرفيه الديني والفلسفي ذهب يؤسس لعلم الأساطير المقارنه وبيان نشأتها وتكوينها في الوعي الجماعي التاريخي «وعلى الضد من هيجل اعتبر إشتراوش الإنجيل بمثابة روايات وأحاديث تشكل جوهر الدين المسيحي، وقام بنقد النصوص الإنجيلية وانتهى إلى اعتبارها أساطير تترجم وتعبر عن أعماق الرغبات الإنسانية أو رغبات البشر. . لقد دمر اشتراوس العقيدة المسيحية خلال كتابه «حياة المسيح»[2]

وكما قدمت فإن مشكلة هؤلاء الفلاسفة أنهم فقدوا الموازين الحقيقية في الحكم على الأشياء، فأصابوا مرة وأخطأوا مرات، ولقد أعلن القرآن أن قصة (الإله-المسيح) الذي وُضعت له تعاليم وأقوال تناسب موضوع تأليهه على لسان بولس وفي إنجيل يوحنا، أن هذا (المسيح/ الإله) ليس له وجود فعلي في التاريخ فهو خيال المنحرفين، لكن القول بإن المسيح النبي لم يكن له وجود في التاريخ

---

(١) انظر المرجع السابق ص١٨٥

(٢) نقد فلسفة هيجل ص٣٩ .

فهذا هو الشطط والانحراف المقابل لانحراف سابق وبغيض!

إن الأساطير التي حيكت حول المسيح عليه السلام باعتباره إلها ليست قصصاً تاريخياً، ولا يعني ذلك أن نلغى وجود المسيح التاريخي ونلغي أحداث ووقائع تمت في عصره وفي فترة حياته على الأرض وأن نلغي نبوته ورسالته وشخصه الكريم الحقيقي! إن هذا ميزان دقيق يحتاج إلى عقل متوازن لا ينكر الأشياء بمجرد تلفيق أساطير وخرافات حولها ولو أن الامر كذلك لأنكرنا أنفسنا ووجودنا وحواسنا كما فعل أيضا بعض الفلاسفة الغربيون!(*)

أما تأسيس علم يُرجع كل قصص الأنبياء التاريخي إلى أساطير الشعوب القديمة، بل ينكر وجودهم في التاريخ - وسيأتي ذكر ذلك بالتفصيل - فهذا هو الضلال المبين ، والهوى الجامح الذي ليس له أي سند علمي أو أداة علمية تساعده على ذلك، وإنما هي تلفيقات وتلوينات وغرور علمي قاصر وطائش يظن أن بإمكانه حجب نور الشمس بالغربال المثقوب.

لقد قلنا إن الظروف الداخلية في المجتمع الغربي هي التي أفرزت هذه المناهج المختلة المهزوزة، والتي قد تنفع في تناول أساطير الوثنيات والمدنيات الغائرة في التاريخ لكنها لاشك ستفشل حين تتعرض لحقائق الدين وقصص القرآن كما فشل الجاهليون القدماء حين رموا القرآن بأنه أساطير الأولين فيما كان هؤلاء الجاهليون يتعبدون للوثن والوتد وظواهر الطبيعة! إن محاولة تخديم علوم الآثار وغيرها للمصالح الأيديولوجية الخاصة الكامنة وراء الادعاءات العلمية هي محاولات مفضوحة بتسليط ضوء النهار على صورها الخفافيشية القابعة في الظلام.

لقد قال «بروتو باور» ـ تلميذ آخر لهيجل ـ بمثل ما قال «اشتراوس» بعدم وجود حقيقي للمسيح عليه السلام في التاريخ!

(*) حتى إن بعضهم أنكر وجود العالم الذى نعيش فيه .

فهل يمكن أن نجعل هؤلاء أساتذة لنا في صناعة المناهج العلمية (المختلة؟!)

في رسالته التي أرسلها إلى ماركس كانت كلماته الحائرة المعبرة عن تيهه وضلاله يقول: الكارثة أو النازلة أكبر من تلك التي صاحبت دخول المسيحية إلى العالم، ما شاهده العصر هو المعركة الأخيرة مع عدو البشرية الأخير.. والخطيئة التي يقترفها الإنسان ضد نفسه، والتي هي أكثر صعوبة هي أن الإنسان لا يستطيع تجنب المعتقدات الدينية بل يراها في العين الإنسانية، ويغلق عينيه ويغوص فيها قبل عمله الخاص، والشيء الوحيد الذي يمنع التحرر الكامل هو الخوف، من أن يفقد الإنسان ذاته، قبل أن يكتسب ذاته مرة أخرى[1] فهو في هدمه لحقائق الوجود أثناء هدمه لخرافات الكنيسة وأباطيلها أحس بأنه يفقد أشياء أصلية، أحس أنه يفقد ذاته ومقوماتها وفطرتها السليمة، ويفقد معها حقائق الحياة والكون والوحي والخليفة!

إن كلماته السابقة توحي بأنه كان يشعر بخور ما هو مُقْدِم عليه، بل تشعرك كلماته أنه فقد التمييز في عملية الهدم ضد الكنيسة بين خرافاتها والحقائق الكونية والإنسانية .. وفيها تظهر نفسه المضطربة وكأنها مُقْدِمَة على موت حتمي أو هلاك أبدي وهي تعكس فطرته الممزقة وقلقه الباطني .. التي تكاد تفقد كل شيء وهي تقوم بهدم كل شيء!

لقد دَمَّر ذاته بينما كان يحاول إنقاذها!، ومَسخ وعيه فيما هو يحاول إعادته إلى مجراه الطبيعي!، وعبد ذاته بينما كان يحاول تخليصها من عبوديات شائنة فغمسها في وحل (الاستقلال المتأله) إلى الأبد، وأضاعها فيما كان يحاول الحصول عليها فمثله مثل دارون الذي فقد رؤية العالم على حقيقته وهو يحاول رسم صورة قبيحة له!، فقدْ فقدَ إحساسه بالجمال وأصبح أشبه بإنسان مصاب بعمى الألوان كما عبَّر هو عن ذلك في قوله «في مذكراتي التي سجلتها أثناء سياحتي وتجوالي

---

(١) D.Mclellan, the young Hegelians and Karl Marx op.cit., p.p.44.65.

نقلاً عن نقد فلسفة هيجل ص٤٥ .

في «كالا باكوس» كنت قد كتبت ما يلي عندما شاهدت المناظر الخلابة والمدهشة لغابات البرازيل: «إن من المستحيل التعبير عن مشاعر الذهول والتبجيل، والأحاسيس العلوية التي تملأ ذهن الإنسان التعبير الكافي» واذكر أنني كنت أؤمن آنذاك أن هناك أشياء أخرى إضافة إلى الوجود المادي لجسد الإنسان. أما الآن فقد أصبحت أجمل المناظر وأروعها لا تؤثر فيّ ولا تحرك في نفسي مثل هذه المشاعر أو مثل هذه القناعة. فأنا الآن أشبه شخصا مصاباً بعمى الألوان»[1] .

لقد فقدوا رؤية الأشياء على ما هي عليه، كما فقدوا رؤية الجمال في الكون والتوازن في السنن، والعدل في إقامة السموات والأرض.

وهذا تلميذ آخر لهيجل «ماكس شترنز»[*] فقدَ رؤية نفسه على حقيقتها كما فقدها المتألهون من بني البشر، ففيما كان يقوم بنقد هيجل وتصوراته عن (الدولة الإله) أو (الملك الإله) كان يقوم بوضع نفسه بديلاً للدولة أو الملك! فأسس فلسفة «الفرد الأوحد» الذي ليس له قانون خارج ذاته وأعلن نفسه متحرراً من أي تضامن مع الإنسانية! .

فقد رأى - كما رأى مجموعة من تلاميذ هيجل وناقديه! - في فلسفة هيجل استلاب الإنسان وإغترابه فأعلن كردة فعل بأن ذاته من خلقه هو وأن عدو الذات الوحيد هو (دولة الملك الإله) وكل دولة!

وفي كتابه المسمى «الأوحد وخاصيته» يقول بأنه لا يقبل إلا بذاته قيمة وغاية وقانوناً «وفكرة الأوحد في مضمونها هي إعلان التمرد على الدولة والدين

(١) Francis Darwin(Ed.) (the Autobiography of charles Darwin and selected letters , p.65 نقلاً عن دارون .. ونظرية التطور ص١٥١، ١٥٤ .

(*) شترز (١٨٠٦ - ١٨٥٦) فيلسوف ألماني واسمه الحقيقي ليوهان كاسبر شميث .

والمجتمع والفلسفة الهيجلية، فالجميع أشكال مختلفة لضياع الذاتية(*) وذوبانها في الكل العام»[1] تقول الدكتورة الماركسية فريال حسن خليفة! ويقول «شترنز» إن المجتمع والحقوق الإنسانية للإنسان لاتعني شيئاً بالنسبة لي . . . فالأنا هي الذات بدون نوع، بدون قوانين، بدون واجب، بدون حقوق»[2] «إن ذاتي هي القاضي الوحيد الذي يقول ما هي حقوقي، والقانون الوحيد بالنسبة لي»[3]

لقد تعلّم «شترنز» على يد هيجل الفلسفة في جامعة برلين، وهو فيلسوف صنع فلسفته في ظل ظروف هيجل/ الدولة البروسية المناقضة لظروف هيجل/ الثورة الفرنسية!!، فصار أول مؤسس للفوضوية.

ولم يكن الأمر أن «شترز» اكتشف الفرد من ثنايا المذهب كما زعم د. حسن حنفي[4]، فإن الإنطواء على الذات وتأليه الفرد العام ليس اكتشافاً للفرد! وإنما تكريس لوثنية الفرد بتأليهه بمختلف صور التأليه كتأليهه ملك أو فرعون أو إمبراطور أو ملكية أو دولة أو فرد. والحاصل هنا أن فلسفة «شترنز» بل والفلسفة الغربية نتاج مجتمعاتها. إن فؤاد زكريا يُعلق بنفسه على فلسفة مشابهة وهي فلسفة «سارتر» (الفلسفة الوجودية) بقوله «ولو أمعنا النظر في مقولات سارتر الفكرية لوجدنا أنها لا تعني الشيء الكثير بالنسبة إلى إنسان العالم الثالث فالقلق

(*) إن تلاميذ هيجل «رأوا في الدين المسيحي اغتراب الإنسان عن ذاته. وأنكرت المسيحية كل ما هو طبيعي وحسي فصارت مناقضة للإنسان وللإنسانية وللحرية السياسية، Julius carlebach, karl marx , and Radical Critingve of judaism, routledge & kegan poul, london 1978P.144 نقلاً عن نقد فلسفة هيجل ص٣٧

(١) نقد فلسفة هيجل ص٧٣ .

(٢) D.Mclellan, the young Hegelians and karl marx op.cit.,p.127 نقلاً عن نقد فلسفة هيجل ص٥٣ .

(٣) المرجع السابق ص١٢٨ نقلاً عن نقد فلسفة هيجل ص٥٤ .

(٤) مقدمة في علم الاستغراب ص٢٥٤ .

والاغتراب و «الجحيم هو الآخر»، كلها مفاهيم تعني الكثير لدي الإنسان الأوربي في مرحلة معينة من تاريخه، ولكنها ليست مقولات إنسانية عامة كما أراد لها سارتر أن تكون»[1] .

ومع أن هناك فارق زمني وتاريخي كبير بين «شترنر» (١٨٠٦-١٨٥٦م) وسارتر إلا أن الاضطراب مازال مستمراً والضياع مازال معلماً بارزاً مستمراً. إن ظروف تاريخ الوعي الأوربي كان تجزئة الإنسان وفقدان الوصول إلى فلسفة كاملة صحيحة عنه في ظل غياب الدين الحقيقي.

يقول فؤاد زكريا ـ مع ذلك ـ إن أهم شيء في الوجودية هو ارتكازها على الإنسان!!؟ «وبخاصة، في تلك الجوانب التي كانت تهملها الفلسفات التقليدية. فقد كانت الفلسفات السابقة تتعامل مع الإنسان بوصفه «عقلا» فحسب. وحتى حينما كانت تتحدث عن العواطف، والانفعالات، والقيم، كانت تعالجها بطريقة عقلية خالصة كانت تجرد الإنسان من وجوده الحي، الملموس، لكي تستبقي منه هيكلاً عقلياً خلا من كل نبض ، ومن هنا فقد جاءت الوجودية لكي تضيف بعداً جديداً(!) تجاهلته الفلسفات التي سبقتها هو البعد النابض بالحياة في الإنسان»[2]! إن الدكتور فؤاد زكريا نفسه تبني فلسفة أوجست كونت التي نتجت عن هذه الظروف الكئيبة والتي قسمت التاريخ البشري إلى مراحل ثلاثة، جعل الدين مرحلة غابرة منها وقد تجاوزته الإنسانية!!![3] ولم يجعلها د. فؤاد زكريا نتاج ظروف المجتمعات الغربية والفكر الفلسفي المنحرف والذي كان نتيجة الصراع المرير بين الكنيسة ومعارضيها، وعلى الطرف الآخر نتيجة اصطدام الفلسفات والنظريات المتناقضة!، والتي ظهرت في ظل أوضاع غير صحيحة وحروب

---

(١) خطاب إلى العقل العربي لفؤاد زكريا ص١٨٦ .

(٢) المرجع السابق ص١٧٩ .

(٣) قدمنا ذلك من كلامه، وكلام فؤاد زكريا في الكتاب الأول، في الفصل الأول منه.

وأزمات ونظم حكم تسلطية أو ديمقراطية هشة!

إن الزيغ الثقافي الذي يسيطر على العلمانيين العرب وهم يقومون بنقل الفلسفات الهشة لإزاحة الإسلام من عالم المسلمين ملأ قلوبهم حقداً وأعمى أبصارهم فلم ير كل منهم في فلسفته التي نقلها إلى عالم المسلمين أنها نتاج ظروف غير صحية وغير إنسانية وغير علمية وإنما زعم كل منهم في فلسفته المبتورة أنها حقائق نهائية والفلسفات الأخرى نتاج ظروف أوربية بحته!!!

يظهر تلميذ آخر على الساحة بفلسفته التي أثرت تأثيراً كبيراً على كل الفلسفات والنظريات التي جاءت بعده وسببت صراعات خطيرة ودمرت ملايين البشر في الحروب الداخلية والعالمية، إنه «فيورباخ(*) الذى قام بنقد فلسفة أستاذه هيجل فأعلن أن هدفه استرداد الإنسان من غربته في الدين والفلسفة! ... فابتكر نظريته في عالم ابتكار النظريات القاصرة في الغرب! فدار فيورباخ في حلقة الوثنية المفرّخة التي خرجت من اليونان واصطبغت بالمسيحية في مرحلة تحريفها هُجّنَتْ بفلسفات كفلسفة هيجل الذي استنسخ منها فلسفته: فلسفة (الملك/ الإله) ما أدى إلى استنساخ فيورباخ نظرية تأليه الإنسان عموماً وبزعمه انه ينبغي على الإنسان أن يسترد كماله الذي أعطاه لله في لحظة غياب!(**) وفي الحقيقة ففي عالم التحريف والوثنيات القديمة والحديثة يحصل غياب الإنسان والزعم بأن استرداد حقوق الإنسان بتأليهه أو بتأليه الملك المعين أو بتأليه الدولة أو الإنسانية أو الفرد الذاتي أو ما إلى ذلك من فلسفات التأليه الغربية التي إتكأت على الإنسان بزعم أنها تريد استرداد كرامته هو زعم سخيف، فالإنسان لايكون إنساناً بإنكاره لخالقه ولمُكرمه ولمُعلمه ولرازقه ولمنهجه وشريعته! إن هذه الفلسفات اللاعقلانية هي التي شوهت

(*) فيورباخ (١٨٠٤ - ١٨٧٢) فيلسوف مادى. عمل في جامعة ارلاجن، أهم كتبه «جوهرة المسيحية» و«نقد فلسفة هيجل».

(**) مع أن المشكلة عنده كانت بينه وبين الكنيسة وعقيدة تأليه المسيح، فكيف يتنقل من ذلك إلى الكفر بالله عز وجل الذي منحه إنسانيته التي سلبتها مسيحيته التي نقدها هو نفسه !!

حقيقة الإنسان واستلبت عقله ونفسه، وهذا ماركس يقول نفسه عن هيجل بأنه أثبت «عدم عقلانية العقلي باطلاق»[1] وقال عن فلسفته أو عن بعض أفكارها بأنها «أكذوبة»[2] وقال تلاميذ هيجل عن أفكاره بأنها «خداع»[3] وكذلك يقول بعضهم في فلسفات الآخرين في حلقة مفرغة من اللاعقلانية الإنسانية والأفكار الجزئية الشائهة والاتهامات المتداولة المتوارثة « إن الشعور بالذات يصل إلى أن تكون أنت إلهاً!»[4] هكذا يتفلسف فيوباخ فهل هذه عقلانية وتنوير وتحرر و(فلسفة أو حكمة) أو حقوق إنسانية أصلية؟ هل هذه هي مهمة الفلسفة وحقيقة فاعليتها في عالم الإنسان؟!!

إن تبرير هيجل الأستاذ الفيلسوف للوضع السائد بنظرية (الملك/الإله) أدى إلى بروز فلسفة فيورباخ التي رفعت الإنسان ليرى نفسه إلهاً متشخصاً!! وفي النص التالي تجد عوامل رد الفعل الداخلي الذي سيطر على هؤلاء الفلاسفة يقول - وهنا تشعر بوقع أزمة! - فيورباخ إن «الحرية السياسية!» وتحققها في الواقع يجعل من الحتم أن يحل لدى البشرية «العقل محل الإنجيل، والسياسة محل الدين، والعامل محل العابد.. والإنسان محل المسيح»[5]

وفي إسلامنا ليس هناك تعارض بين العقل والنقل أو الدين كما أن السياسة العادلة من الدين فكيف تحل محله كذلك؟ والإسلام حرك الإنسان وأطلقه فاعلاً في الكون ونتج عن ذلك حضارة عاملة عابدة فمن يحل مكان ماذا؟ وليس هناك

---

(١) نقلاً عن نقد فلسفة هيجل ص٢٧٣ Karl Marx, chp R . p.33

(٢) المرجع السابق لماركس ص٣١ نقلاً عن نقد فلسفة هيجل ص٢٦٣ .

(٣) إشتراوس عن وحدة الفلسفة والدين عند هيجل بأنها «خداع» كما في كتابه«حياة المسيح» .

(٤) Ludwig Feuerbach, Introduction to the Essence of christianity, Translated with an Intoroduction byZawar Hanafi, anchor Books, New York, 1972 P.P. 102-108

(٥) Ludwig Feuerbach, The necessity of a reform of philosophy, op. cit., P. 148. نقلاً عن نقد فلسفة هيجل ص١٢٥ .

في الإسلام مسيحاً مؤلهاً أو ملكاً أرضياً مؤلهاً فكيف يتعارض الإنسان مع شيء ليس موجوداً عندنا؟!

إن الألوهية الحقيقية لاتتعارض مع غاية الوجود الإنساني كما قدمنا، فمتى حدث في ديننا تعارض؟! إن التعارض لم يكن أبداً في مبادىء الإسلام مع الواقع إنما التعارض تم في النصوص المسيحية والنصوص الفلسفية والواقع الثابت، إذن فلسفة فيورباخ نتاج ظروف أوروبية معينة وليست حقائق كونية مهيمنة على الدين والإنسان والحياة! ، إنها رد فعل معين على أفكار منحرفة متمثلة في الفلسفة والمسيحية المنحرفة، **فكيف نجعل منها منهاجاً لتحليل كل شيء، ونظاماً معرفياً لنقد الدين والتاريخ والإنسان!!**

ومعروف كما قالت الدكتورة الماركسية فريال حسن خليفة أن فلسفة فيورباخ تدعي أن «فلسفة المستقبل هي تحقق الإلحاد الواعي للبشرية»[1]. فكيف يكون هذا الوعي وعياً إنسانياً يحل الماهية البشرية مكان الماهية الإلهية؟!!

إن فلسفة فيورباخ «وعي زائف» أفرزته ظروف مادية وفكرية منحرفة وليست حقيقة إنسانية أصيلة يمكن للإنسان أن يبني عليها حياة طيبة كريمة! إن الذي أدى لبروز هذه النزعات هو عملية تأليه الإنسان ذاتها!، والتي تمثلت في مرحلة من مراحل الوعي الأوربي - وإلى الآن عند الكنيسة! - في تأليه المسيح. ومن هنا كان رد الفعل العنيف الذي يريد نزع هذه الخرافة من عقل الإنسان ولكن وياللخسارة تم تدشين خرافات أخرى، يقول فيورباخ مظهراً طبيعة عمله الفلسفي! «وقد ارتبط في الدين المسيحي اسم الإنسان باسم الله في اسم واحد(!)، الإنسان الإله(!)، مع احتفاظها بهذه الحقيقة(*) ، حولت الصفة في الجوهر، والمحمول في الموضوع، والفلسفة الجديدة هي الفكرة متحققة هي حقيقة المسيحية(**)، إنها

---

(١) نقد فلسفة هيجل ص١٢٥ .

(*) يقصد فلسفته أي حقيقة«الإنسان الإله» ! بزعمه.

(**) يقصد تأليه الإنسان !

بالتأكيد تحتوي داخل ذاتها جوهر المسيحية(*)، ولكنها تهجر اسم المسيحية»[1]

ثم قال بأن فلسفته - في نفس النص - هي «الحقيقة الصادقة بدون تناقض هي الحقيقة الجديدة»!

فأين في خرافات فيورباخ ما زعمه حسن حنفي من أن فيورباخ من خلال نقده للدين اكتشف الإنسان والطبيعة؟[2]

على العكس من ذلك لقد دمر فيورباخ الإنسان عندما منحه استقلالاً مدمراً لخصائصه وطبيعته ذاتها، مما أدى إلى إنتهائه إلى المادية كما قال حسن حنفي نفسه «ودافع عنها مما أثر في جميع معاصريه من الهيجليين الشبان حتى اعتبر إنجلز أنهم كانوا جميعا فيورباخيين أي ماديين»[3] عبدوا ذواتهم المتعالية!

لقد تأثر إنجلز وهو صديق ماركس ومن أقطاب المادية الجدلية بفيورباخ، كما تأثر ماركس به في الأساس النظري ونقد الدين الذي قال عنه ماركس «ونقد الدين هو مقدمة لكل نقد(**)، إن نقد الدين يحطم أوهام الإنسان، ومتى تحطمت أصبح الإنسان قادراً على التفكير والعمل وتطوير واقعه كإنسان فقد أوهامه وكسب عقله. وحينما يتلاشى هذا الوهم، تكون مهمة التاريخ، أن يؤسس حقيقة هذا

(*) يقصد إذا كان المقصد من المسيحية في جوهرها تأليه الإنسان فإن فلسفته لا تختلف عن هذا المحتوى لكنه ينقله من المسيح إلى الإنسان ! ونفى المسيحية هو نفي للإسم مع الاحتفاظ بجوهر تأليه الإنسان!!

(1) Ludwig Feuerbach, preliminary theses on the reform of philosophy, op. cit., 172 نقلاً عن نقد فلسفة هيجل ص١٢٧ .

(٢) انظر (مقدمة في علم الاستغراب) لحسن حنفي ص٢٥٩. لقد اعتبر حنفي نفسه فيورباخاً وتأثر تأثيراً عظيماً بفلسفة فيورباخ وقد قدمنا ذلك في «الفصل الأخير من كتابنا الأول» .

(١) مقدمة في علم الاستغراب ص٢٥٩ .

(**) واضح من هذا النص عداوة ماركس للدين وليس للمسيحية والكهنوت بها فقط كما أن تأثير «فيورباخ» و«باور» و«اشتراوش» و«هيجل» واضح كذلك عليه !

العالم، ومهمة الفلسفة أن تخدم التاريخ وأن تزيل القناع عن الاغتراب الذاتي الإنساني في شكله الدنيوي، والذي أصبح غير مقنع في شكله المقدس، لذلك فإن نقد السماء يجب أن يتحول إلى نقد الأرض، ونقد الدين إلى نقد القانون، ونقد اللاهوت إلى نقد السياسة»[1] .

فإذا كان الفكر الأسطوري المسيحي غير مقنع، ويصنع اغتراباً للإنسان في العالم وإذا كان يجب تحطيم هذه الأغلال ليقدر الإنسان على التفكير وتأسيس حقيقة هذا العالم.. فإن ذلك كله ليس موجوداً عندنا في الإسلام العظيم ولا في المسيحية الحقة! - الذي جعل للإنسان كرامة وغاية عظيمة لوجوده، ومنحه العلم وقوة الإدراك والقوة المفكرة للانطلاق لاكتشاف هذا العالم وتسخير سننه وتأكيد ذاته وتحقق إنسانيته ورغباته الحقيقية في الحياة.

هذا هو القانون الإلهي ونظرته إلى الإنسان، فأين ظروف الصراع الذي أنتج وأفرز هذه الأفكار المتصارعة ؟ أين هذه الظروف من الدين الإسلامي! هذا هو التاريخ الحقيقي الذي يجب على الفكر أن يطرحه على الوجود، وهذه هي الفلسفة - أو الحكمة الحقيقية - ومهمتها. لكن قَلْب ماركس لمعادلة هيجل على رأسها جعل ماركس مقلوباً أيضا، حتى إنه لم ير إلا الأوضاع المقلوبة بعيداً عن مرايا الوجود وانعكاسات الحقيقة وطبيعة الأشياء!

فإذا كانت فلسفة هيجل ـ بحسب تعبير ماركس ـ تحمل نقائض العصر، فإن فلسفة ماركس هي أيضاً كذلك، وهي خليط من جدلية هيجل مع قلب أساساتها وفلسفة فيورباخ والشبان الهيجليين فهي نتاج متطور لأفكار تُحجِّم الإنسان وتمسخ فطرته وتجعله عبداً للمادة ورقيقا لظروفها وإفرازاتها المختلفة ولأحداثها المتغيرة...

(1) Karl Marx, contribution to the critique of Hegel's philosophy of right: introduction, selected writings by robert c.tucker, w.w.company, New York 1988,P.P. 53-54 . نقلاً عن نقد فلسفة هيجل ص٢٣

ومع ذلك يؤلهونه!!! إنهم جميعهم قالوا ما قاله ماركس أنهم سيجلبون إلى ضوء الشمس حبات اللؤلؤ الخالص(١) ولكنهم في الحقيقة جلبوا طبقات السحاب الداكنة المظلمة على حبات اللؤلؤ الخالصة! ما سبب أزمة القيم وأزمة تفسخ باهظة التكاليف. لقد حجبوا ضوء الشمس عن الإنسان الغربي(*) فلم ير غاية وجود الإنسان في الكون وإنه على الرغم من سيادته على الأرض وخلافته فيها إلا أنه يحمل أمانة إلهية يجب عليه تحقيقها للحصول على السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة. ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾ [النور:٣٩،٤٠].

إن الفيلسوف كيركيجارد - أول الوجوديين - وهو من الذين نقدوا هيجل نقداً عنيفاً (**) أكد هذه الحقيقة القرآنية، وهي مع انطباقها عليه إلا أنه عبر عن روح الفكر الغربي والواقع الخارجي وقت أن بدأ يسطر فلسفته ويضعها في خارج عقله! يقول «وعصرنا هذا الذي نعيش فيه هو في بؤس لأنه بلا وجدان»(٢) «الكل عصر رذيلته التي تميزه، ورذيلة عصرنا ليست هي اللذة أو الفجور أو الشهوة، بل

---

(١) لقد ادعى ماركس أنه يستطيع ذلك بإسقاط الستار عن كل المقدسات ونقد الدين Karl Marx, letter to gis father, selecterd writings, David Mcllan p. 8 انظر النص كاملاً في نقد فلسفة هيجل ص١٥١ .

(*) أرى من عقيدة الإسلام أن الإنسانية كلها هي اللؤلؤ الخالص - العربي والغربي وكل إنسان - فهي تحمل مسئولية خلافتها على الأرض لكن هؤلاء الفلاسفة ومن سبقهم من الكهنة حجبوا فعلاً ضوء الشمس عن هذه اللآلىء المكرمة إلهياً - فصار ظلاماً داكناً!

(**) أكد كيركجارد كما أكد تلاميذ هيجل أن هيجل جرّد الإنسان من وجوده الحقيقي.

(٢) Kierkegaard the journale, op.cit.,p. 77 نقلاً عن نقد فلسفة هيجل ص٨٧ .

احتقار لا أخلاقي شامل للإنسان الفرد»[1] ويقول الحائز على جائزة نوبل للسلام «ألبرت شفيتزر» في تشخيصه للعصر الصناعي الحديث - وهناك فارق زمني بينه وبين كيركيجارد! - «أن الناس أصبحوا فاقدين للحرية بعد أن كانوا أحراراً . . فأحوال وجودهم إذن ليست أحوال طبيعية . . . إذن فوجودنا الفردي تنحط قيمته من جميع نواحيه، وأصبح من الصعب على الإنسان، أكثر من أي وقت مضى، في أن يصبح شخصية»[2] والسبب عنده أن الإنسان أصبح عبداً للآله الصناعية!

بيد أنني أزعم أن السبب الرئيسي أن الإنسان أصبح عبداً لفلسفات عظيمه سببت له أزماته الروحية والمادية على السواء، وجعلته عبداً للأشياء ولم تجعله سيد الأشياء كما أراد الله له على الأرض! إنه انفصل عن كثير من أصوله الحيوية وقيمه الإنسانية ومنهجه الرباني ففقد نفسه وانفصل عن ذاته واستعبد للأشياء والمواد والظروف والتقلبات الأرضية. يقول الفيلسوف «كارل ياسبرز»: «فالإنسان إذ ينفصل عن أصوله، ويحرم من التاريخ الواعي ومن كل اتصال في وجوده الشخصي، لا يمكن أن يظل إنساناً. . . ونحن لانشك في أن الإنسان يستطيع أن يعيش في هذا النظام الآلي، بفضل آلاف العلاقات التي يعتمد هو ذاته عليها، والتي يساهم في بنائها: ولكن يظل في هذه العلاقات حداً لا كيان له. إذ يمكن أن يستبدل به غيره - فكان وجوده وعدمه سواء ...»[3] .

إن هؤلاء الفلاسفة يشتكون من ضياع الإنسان . . وذاتيته . . وعندما يقدمون الحلول فإنهم يقدمون لك العجب العجاب . . وقد ضربنا لك الأمثال! وهم يدورون حول أفكارهم المدمرة للإنسان كالنملة التي انتُزِع قرنها وكالروح التي فقدت

---

(١) المرجع السابق . (٢) الإنسان والحضارة ص١٣٣-١٣٤ .

(٣) Karl Jaspers: la situation spirituelle denotreepoque (trad. fran paris 1951 p.p.52-53. نقلاً عن الإنسان والحضارة ص ١٣١ .

مكانهـا في الكون وتاهت عن غاية وجـودها! بيـد أن الخيط الفلسـفي الذي قلب موازين كل شيء في الغرب والذي وصل إلى إنكار وجود شخصيات وأنبياء ورسل في التاريخ، امتد وسيطر على العلوم التاريخية والاجتماعية والنقدية.

قد يكون التصـدي لهذا التحريف الكوني أقل إلحاحـاً إذا ما تعلق الأمر بالفكر الفلسفـي الغربي المنغلق على نفـسه، لكنه يكون أكثر إلحـاحـاً إذا ما تعلق الأمـر بأمرين عظيمين في الوجود وهو تأثير هذه الأساطير الفلسفية الجديدة على الإنسان عموما وعلى المسلم خصوصا، والثاني هو محاولة تفسير التاريخ الإنساني تفسيراً مادياً ومنه تاريخ الصراع الذي تم في التاريخ بين الأنبيـاء والمستبدين من أقوامهم. ومن هذه المحاولة يتم الوصول إلى تاريخ الرسول ﷺ ومحاولة تـفسيره تفسيراً مادياً ينفي الوحي ويلغي النبوة ويهدم أعمدة هذا الدين العظيم.

لقـد تم إنكار وجود المسـيح في التـاريخ واعـتُبـر أسطورة مخـتـرعة، حـتى إن البعض ذهب إلى إنكار وجود محمد ﷺ فـي التاريخ وهذا شيء مضحك حقا. لكن أدهى المحاولات التـي قام بها كـثير من الفـلاسفة والعلمـاء الماديين هو إنكار وجود الأنبياء والرسل في التاريخ وتحويل موسى من نبي رسول إلى كاهن مصري تأثر بالمفاهيم المصرية عن الوجود والحياة والإنسان!

إن كثـيراً من العلمـانيين العرب من مـثل المستـشار مـحمد سـعيـد العشـماوي والدكتور سيد القـمني وغيرهـما كثير سيأتي بالتـفصيل بدءاً من الفصل الثالث، - إن شاء الله- هؤلاء ذهبوا يقلدون هذه المذاهب في إنكار الحقائق والبديهيات، وهو مـا دعاني إلى كـتابة هذا الـكتاب وهذا الفـصل بالذات(*)، يُعد بيان جـذور هذه الأكـاذيب من الأهميـة بمكان ونحن إذ نرجع إلى مـراحل الصـراع - التي أبرزتُ بعض وحداته! - الكئيب بين الكنيـسة والفلسـفة، والفلسـفات بعـضها ضد بعض،

(*) أقصد الفصل الأول.

وإن هذه الأقوال كانت رد فعل منحرف تجاه إنحرافات أخرى مقابلة في الوجود التاريخي لأزمنة هذا الصراع الذي انتهى لتأسيس مذاهب ومناهج نقدية فاسدة، ما فيها من شر وضلال أضعاف ما فيها من علم وخير. فكيف يمكن الوصول إلى الحقائق الكلية والمنهجية الشاملة بهذه النظرة الشائهة للتاريخ ولتطبيقاتها الخبيثة في إنكار وجود الرسل أو تحويل وجودهم من وجود نبوي رسولي إلى كهنوت وثني وعقد نفسية وآمال قبلية واهتبال فرص للظهور والبروز!

إن الخلاصة التي يمكن أن أخرج بها من هذا الفصل هي أن القول بأن الدين ما هو إلا أساطير وخرافات إنما هو إنحراف خطير يظهر كل حين في تاريخ البشرية نتيجة لظروف فكرية وسياسية واجتماعية مدمرة وغالبا ما يكون رد فعل - كما حدث في أزمة الوعي الأوربي - متطرف على أوضاع غير إنسانية مكبلة للإنسان، محطمة لإمكاناته وقدراته الإنسانية، كما أنها تكون نتيجة لإنحراف فكر الإنسان وتراجع قدراته العقلية وتضخم نظرته الجريئة الشائهة للأمور فيحكم على «الكلي» و «العام» بعوز «الجزئي» و «الخاص»، ولا شك أن الفساد الأخلاقي والتحرر الجنسي والاعتزاز بالفردية كل ذلك يؤدي إلى خلل في الحكم، وتهور في الفكر، واضطراب في التصور، وجفاف في الوعي، وقصور في النظر، وخفة في العقل، وزيغان في البصيرة ويأس من الإحاطة الكاملة، والتسرع الطائش بالحسم القاصر الهزيل! وعقم النظريات، وهشاشة النقد، وعبث الإفتراضات!

الفصل الثاني

«وسط كل الأديان، الإسلام هو الدين الوحيد الذي يمهد للإنسان طريقاً متكاملاً للعيش، يسمح له وللمجتمع أن يعيشا معا في رخاء، وفي توازن فريد، الباقون كلهم إما يسحقون فردية الإنسان أو يحدّون من مسئولياته الإجتماعية»

مراد هوفمان. من كتابه «خواء الذات والأدمغة المستعمرة ص١٠٥.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ (٣) كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [الحج: ٣، ٤].

نظريات الطمس ومحاولات تغيير التاريخ البشري (*)

قدمت في الفصل الأول الظروف التاريخية الخطيرة التي أنتجت الأفكار في الغرب، وشكلت الوعي الأوربي الفلسفي المأزوم والمقابل للفكر الكنسي، وبينت أن الاتجاهين كانا قاصرين وعلى طرفي نقيض، وأنهما معاً يقفان متعارضين مع «المنهج الرباني» في الاعتقاد وقواعد التصور والفكر والنظر إلى غاية وجود الإنسان على الأرض.

وقلت إن التأثير الفكري والعقلي الإسلامي الذي عاش فعلاً في جزء من أوربا وهو الأندلس لمدة ثمانية قرون كان هو الذي فتح مجالاً للإنسان الغربي للتفكر والتعلم والتجريب والملاحظة. الشيء الذي عمل على بث الروح في الجسد الأوربي الميت، فانتعش ونفض عنه أساطير الكنيسة وجهل العالم.. بيد أن المنهج الرباني الذي أثر على الإنسان الغربي وردَّ له روحه لم يؤخذ من حواضر المسلمين كاملاً، وذلك لأسباب معروفة، فرواسب العداء بين الكنيسة والإسلام، كانت متمكنة من رواد الفكر والتجريب الغربي في آن واحد ففيما كان يقوم الإسلام بإنقاذ العقل الغربي ومدّه بعلوم العقل والملاحظة والتجريب كانت رواسب الكنيسة وعصبيتها البغيضة متمكنة من هذه العقول الناقدة والمتحررة ما أدى إلى

(*) يؤكد مونتجومرى وات انه برغم أن العلماء والفلاسفة الأوربيون استفادوا مناهج فكرية وعقلية من المسلمين إلا أنهم رفضوا الإسلام وشوّهوه، ذلك أن تواجد الإسلام على حدود العالم المسيحي أدى بهم إلى تغيير صورة الإسلام وعدم قول الحقيقة عنه، وبدلاً من إحلال الفكر الإسلامي الذى أوصل القواعد التجريبية للغرب مكان الكنيسة وخرافاتها تم إحلال فلسفة أرسطو وغيرها مكانه « فإن إحلال أرسطو مكان الصدارة في الفلسفة والعلوم ينبغى النظر إليه باعتباره مظهراً لرغبة الأوربين في تأكيد اختلافهم عن المسلمين ولم يكن هذا النشاط السلبي تماماً المتمثل في التنكر للإسلام أمراً سهلاً، بل كان في الواقع أمراً مستحيلاً خاصة بعد كل ما تعلمه الأوربيون من علوم العرب وفلسفتهم مالم يكن قد صاحب هذا التنكر نشاط إيجابي(!) ... متمثلاً في العودة إلى ماضى أوربا الكلاسيكى أي إلى حضارتى الإغريق والرومان» فضل الإسلام على حضارة الغرب ص١٠٨ .

وقوعها في قصور شديد وخلل جسيم وتعصب شديد، وكراهية عنيفة منعت من نفاذ النور كاملاً وحضور العقل، وبينما كانت العملية النقدية لعقائد الكنيسة وأساطيرها قائمة على قدم وساق كانت العقلية الغربية تدمر معها كل ما يتعلق بالدين والوحي والغيب والسماء معتقدة أن الكل سواء ولا فرق بين الدين عموما وأساطير الكنيسة وتعاليم الكهنوت اليهودي الأسطوري.

فكانت بحق (الكارثة الكبرى) في تاريخ الإنسان الغربي الذي وضع مناهج جديدة على هذا الأساس الأعمى، والذي كان قد بدأ ببصيص من نور العقل الاسلامي الذي كان رابضاً بمشاعله في حواضر أوربية كبلاد الأندلس وصقلية يفتح أذهان الإنسان أيا كان لونه أو جنسه أو عرقه أو دينه لرؤية العالم بعيداً عن الكهنوت الذي كان قد حجب الكتب الدينية والعلمية عن الإنسان، وبعيداً عن الأساطير التي تحجب العقل وتشل الفكر لذلك فإن العقلية النقدية الشائهة في الغرب كانت على الرغم مما تحمله من بذور الخير ماتزال تحمل إرثاً عدائياً للإسلام فجمعت الإسلام والكنيسة في سلة واحدة.. فلم تتحرر فعلياً كما كانت تبغي ولكنهاخرجت من أساطير الكنيسة لأساطير الفلسفة التي كانت ترنح من نجب خمر النصر على مقدساتها ومسلماتها! ولما أفاق الإنسان الغربي من غيبوبة النصر وجد نفسه قد وضع مناهج تدمر الدين وتمسخ صورته وتخرجه من طبيعته، وتحقر الإنسان بصورة مختلفة عن ما فعلته الكنيسة المنقوضة وقد أدى ذلك فيما بعد إلى تفكك الإنسان وتجزئته ثم تلاشيه فإعلان موته!!

سأحاول أن أربط بين الفلسفة والكنيسة في طبيعة النظرة التي لم تتغير كثيراً قبل أن أدخل على الأساطير التي وضعها فرويد عن موسى عليه السلام والتي تمكنت من العقلية العلمانية المتطرفة التي تسيطر في بلادنا على منابر إعلامية وثقافية خطرة ومؤسسات علمية وأكاديمية عريقة!

وفي ذلك الربط فائدة كبيرة للقاريء حتى يتعرف على خلفية الصراع الشديد

القائم اليوم في العالم الإسلامي بين المفكرين والعلماء المسلمين وبين هؤلاء العلمانيين الذين تأثروا تأثيراً كبيراً بأساطير الفكر الفلسفي الغريب المحمّل برواسب الكنيسة الغربية الحاقدة وبقصور النظرة تجاه الدين والغيب والوحي والنبوة.

لقد بدأت الصورة الشائهة عن الإسلام تتكون في العقلية الغربية وتصنع تأثيراتها الخطيرة حين بدأت أغنية «رولاند» في القرن الحادي عشر ومطلع القرن الثاني عشر ترسم معالم للإسلام والمسلمين ورسول الإسلام غريبة جداً فالمسلمون وثنيون يتحدون في فيالق من النوبة وعبيد صقالبه والأرمن والزنوج، في عبادة الثالوث: محمد وترفاغات وأبولوب[1]!!

«وهكذا - يؤكد مكسيم رودنسون - فالمؤلفون اللاتين الذين شرعوا بين (١١٠٠ ، ١١٤٠) في تلبية هذه الحاجة عند الجمهور الكبير ركزوا جهودهم على حياة محمد بدون أن يبالوا كثيراً بالصواب أو الدقة، مفسحين المجال حراً كما قال زود سوذرن . . . إلى «جهل الخيال الظافر». في نظرهم كان محمد ساحراً دمّر الكنيسة في افريقيا وفي الشرق بالسحر والخداع وبإباحته الاختلاط الجنسي[*](!) العام»[2] فتم اختلاق أساطير عن محمد ﷺ في الغرب المسيحي مازالت بقاياها تحتل مكاناً في الفكر الغربي والروايات الشفهية المتناقلة على الألسنة والمتمكنة من الوجدان الغربي!

مع أن الباعث على اختلاق هذه الأكاذيب كان هو الحقد على الاسلام وليس

---

(١) انظر جاذبية الإسلام للمستشرق مكسيم رودنسون ص١٨ .

(*) يقول متوجومرى وات في كتابه فضل الإسلام على الحضارة الغربية ص١٠٣ «بل ذهبوا إلى أن القرآن يبيح الشذوذ الجنسي» ويقول قبل ذلك «والواقع أن الصورة الأوربية للإسلام هي أبعد ما تكون عن الحقيقة ص١٠٢ .

(٢) جاذبية الإسلام لمكسيم رودنسون ص٢٠ .

رؤية هادئة متوازنة وهو ما يُعبّر عنه «غيبر دو نوجان (المتوفي نحو ١١٢٤-١١٣٠) بقوله «يمكن بلا تردد أن نقول شراً عن الذي تتخطى طبيعته الشريرة كل ما يمكن قوله من شر»[١]!!

وبحسب الخبرة العلمية العميقة بالفكر الغربي والاستشراق والحقد القديم يقول الدكتور عبدالرحمن بدوي «وكانت هذه الدعاية قائمة على أساطير وأكاذيب جديدة لكتاب لم يعدموا الجهل بالأحداث التاريخية كما لم يحرموا موهبة تلفيق الأكاذيب. وكانت ثمرة هذه الدعاية هي ما اصطلح على تسميته منذ ثلاثة قرون في أوروبا باسم «أسطورة محمد»[٢]

ويلخص لنا «أليساندرا داكونا» صورة أربعة قرون كاملة من صنع الأكاذيب والأساطير عن رسول الله محمدﷺ بقوله «إن محمداً نفسه يقدم لنا مرة على أنه وثن ومرة أخرى على أنه مسيحي يُدعى أوكين، أو بلاجيوس أو نيقولا. وهو ساحر، وأمي وعالم في بولونيا: وقد جاء من القسطنطينية أو من أنطاكية أو من أزمير، أو من مناطق وثنية أخرى أو مناطق مسيحية، وهو مرة عربي، ومرة أسباني، ومرة أخرى روماني من عائلة كولونا، ومرة يختلط اسمه باسم معلمه(!)، ومرة يكون هو الراهب، أو المطران الذي كان على وشك أن يصبح بابا عند آخر الكتّاب الذين ذكرناهم (يعقوب الأكويني) ... وقد ناقشنا هذا الثالوث نيقولا، وسيرجيوس، محمد، وقد يأتون أحياناً أربعة ... ومن أسطورة لأخرى تتغير الأسماء والأحداث: ويظهر الفن الشعبي والتقاليد الشفوية بقوة في الروايات مما يعكس الاضطراب في العقليات»[٣] الاضطراب في العقليات - وبحسب

(١) المرجع السابق ص٢١ .

(٢) دفاع عن محمد ضد منتقديه .

(٣) اليساندرا داكونا «أسطورة محمد في الغرب ص٢٦٢-٢٦٣ في «الجريدة التاريخية للأدب الإيطالي» مج١٣(١٨٨٩) نقلاً عن المرجع السابق ص١٦ .

الدكتور بدوي - المغرقة في الحماقة والغباء(١) وقد وصل الحد بهذه العقليات المنحرفة أن زعمت أن الرسول ﷺ أباح للمسلمين كل أنواع الفساد الأخلاقي والتحلل الجنسي. وزادها الراهب جيوبرت رئيس دير نوجينت (١٠٥٢-١١٢٤م) الذي زعم أن الرسول هو راهب في كنيسة الإسكندرية وأنه «جاء ببقرة ووضع بين قرنيها كتاباً صغيراً وأخفى هذه البقرة عن أتباعه، وفي أحد الأيام أخرج هذه البقرة أمام العامة وجعلهم يقرأون الكتاب الصغير الذي كان بين قرنيها»(٢) كما كتب مطران غرناطة بيير باسكايو (١٢٢٨-١٣٠٠م) فزعم أن محمد روض ثوراً أمده به بحيرا الراهب - بزعمه! - وكان الوحيد الذي إستطاع ترويض هذا الثور! «وألف القرآن بمساعدة الراهب حيث كان مكتوباً على قرن الثور(!)»(٣)!!!

يقول الدكتور بدوي تعليقاً على خبل المطران «وروايته تكشف عن خيال مضطرب مع أنه كان يعيش بين المسلمين وفي قلب مملكة غرناطة التي ظلت إسلامية حتى نهاية حكم المسلمين في أسبانيا عام(١٤٩٢) إنه لم يستفد إذاً من حياته في بلد إسلامي ومعايشته لأيام المسلمين ووجود كل ألوان الكتب في متناول يده»(٤)

سيرى القارىء الكريم صوراً لهذا المطران في عالمنا العربي والإسلامي تتمثل في كثير من العلمانيين والمنحرفين والذين قدمنا نماذج لبعضهم في كتابنا هذا وذلك بعد عرض أسطورة فرويد عن موسى عليه السلام. فليس الأمر هو أن يعيش المرء في العالم الإسلامي أم لا يعيش فيه، فالخفافيش تعيش تحت الشمس وتحت ظل قبة السماء لكنها تكتفي بالليل البهيم وترضى العيش في حلكة الظلام.

وقد زعم «بوديي» في التاريخ العام للأتراك عن النبي مايلي «فإنه لجأ كنبي مزور إلى الأكاذيب والجوانب الأسطورية ليغذي بها أحاسيس شعب خشن وجاهل مثل العرب ... وبينما هو يتلهى (!) ببعض القصص التي تحكي ما جاء به من

(١-٢) المرجع السابق ص٦ .. (٣) المرجع السابق ص١٠ .

(٤) المرجع السابق ص١١ .

جديد، إذا بحمامة مروضة لهذا الغرض تطير من مكان قريب وتستقر على كتفه لتنقر حبات كان قد وضعها تحت أذنه ، وهكذا أوهم العرب بأنها تملي عليه إرادة الله وقوانينه»[١] .

وحكاية هذه الحمامة والأذن في الأسطورة الكنسية ترددت كثيراً في الكتابات القديمة والحاقدة ورغم سخافاتها فإنها كانت مقبولة عند الغربيين المضحوك عليهم! وقد رددها «هوجو دو جروت» آيا (وهو باللاتينية ادوجروتيوس) وهو الكاتب الشهير للرسالة المسماة (قانون الحرب والسلام)، أمستردام (١٦٣٠) زعم «أن محمداً روض حمامة لتطير إلى أذنه» وقد كان هذا الهوجو كما قال دكتور بدوي «كاذباً كبيراً ورجلاً مجرداً من أي ضمير علمي»[٢] مع أنه كان من أعظم العقليات في أوربا وقد مدحه «ليبني» في كتابه «المذهب الذي لا يقارن» وكذلك «بيير بايل» في كتابه «القاموس التاريخي والنقدي» وكيف يكون هذا الكذاب عقلاً كبيراً وقد زعم في دين العلم والقراءة وفي الرسول الذي كان يجعل مقابل اطلاق الأسرى أن يعلموا المسلمين الكتابة، زعم هوجو أن محمداً حرّم على الشعب قراءة القرآن يقول وهذا التحريم ليس عادلاً كما أنه يصيب بالشك المبرر في أنه يخفي نظاماً تعسفياً يمكن أن تكشفه القراءة في كتبه» (ص٢٨٩)

ويعلق الدكتور بدوي على ذلك بقوله «بأي هلوسه يلوم جروت على الإسلام ما هو لوم على المسيحية (الكاثوليكية، وهو أن قراءة القرآن محرمة على المسلمين (ألا يعلم أن قراءة القرآن وحتى حفظه عن ظهر قلب مفروضة على كل مسلم ومسلمة[*][٣] وعن الزعم بأنه أعظم الناس في أوربا - يقول بدوي - فهو أعظم

---

(١) عربي، هل قلت ص١٣٦ .   (٢-٣) دفاع عن محمد ص٢٣ .

(*) كنت في زيارة لوالدة عبدالله وزينب (مسلمين هولنديين) يوم ١٥/ ٤/ ٢٠٠٢، فأخبرتني هذه المرأة التي خاضت معارك فكرية مع رجال من الكنيسة الكاثوليكية وقامت بنقد خرافاتهم، أخبرتني أن الكتاب المقدس كان ممنوعاً قراءته عليها وعلى رواد الكنيسة، فحتى ذلك الحين أى منذ نصف قرن ـ عمرها اليوم ٨٢ عاماً ـ كان الإنجيل الحالي ممنوع قراءته كما انه لم يكن متوفراً لدى الشعوب !

من وصل إلى الغباء المطلق أو الخيانة العلمية المطلقة، ولذلك يجب أن تقلب الأحكام التقرظية الصادرة في حقه إلى النقيض[١] وهكذا كان الابتكار الخرافي الخالص - يقول مكسيم رودنسون - الذي كان له لهدف واحد وخز إهتمام يختلط بنسب متغيره، بالتشويهات الايديولوجية التي تضرب الحقد مع العدو إلى الحد الأقصى[٢]

ويحكي لنا الدكتور عبدالرحمن بدوي(*) لوناً من الوان التشويه الذي زيف شخصية رسول الله محمد ﷺ «تأخذ الأسطورة منحنى آخر عند الراهب جيوبرت رئيس دير نوجينت (١٠٥٢-١١٢٤م) فظهرت أسطورة جديدة تقول بأن بطريرك الاسكندرية حين مات أراد راهب أن يخلفه في وظيفته لكنه طرد من الكنيسة، فوسوس له الشيطان بأن يعلن بأنه المسيح، ولقد قام هذا الراهب واسمه (ماثوموس) وهي التسمية التي صار يكتب بها اسم محمد(**) بالزواج من أرملة غنية إسمها خديجة وأشاع أنه نبي بين حشد من الناس. ولقد جاء (ماثوموس) ببقرة ووضع بين قرنيها كتاباً صغيراً (!) وأخفى هذه البقرة عن أتباعه (!)، وفي أحد الأيام أخرج هذه البقرة أمام العامة وجعلهم يقرأون الكتاب الصغير الذي كان بين قرنيها، وقد وجدوا في هذا الكتاب جملاً تحلل لهم لكل أنواع الفساد الأخلاقي، وتبيح لهم أكل كل اللحوم المحرم أكلها على الناس. ويتضح جليا - والكلام مازال للدكتور بدوي - أن هذه الأسطورة المضللة قد بني واضعها قصتها على أمرين، أحدهما: قصة الراهب (بحيري) التي وردت في كتب السيرة، واسم (سورة

---

(١) دفاع عن محمد ص٢٣ . (٢) جاذبية الإسلام ص٢١ .

(*) الدكتور بدوى في حالة سيئة جداً في مستشفى بالقاهرة، على حسب ما قرأت في جريدة الحياة، في شهر يناير ٢٠٠٢، أسأل الله ان يشفيه فإن توفاه إليه أن يغفر له، ويضمه مع المخلصين، آمين .

(**) بنفس هذه الطريقة من التحريف المتعهد يقوم العشماوي وسيد القمنى وزياد منى وكمال الصليبي وغيرهم مما سيأتي ذكرهم بتغيير معالم الأسماء وخلطها خلطاً فاحشاً كما سيأتي ذكره !

البقـرة) السـورة الثـانية الواردة في القرآن، ومن خـلال هذين الأمرين نـسج خـيال كُتاب أوربا في العصور الوسطى هذه الأسطورة المفروضة في الحماقة والغباء»[1]

فأنت هنا ترى أن الكنيسة تزور الحقائق وتخترع الأساطير وتثير الأحقاد تجاه الإسلام، وهذا هـو الشيء الذي ورثته الفلسفة وإن تغيرت صورته في القرون وتغيرت أساطيره في الرؤى الجديدة وعند أصحاب العلوم الذين كان للإسلام الفضل عليهم في منحهم عقلا وفكراً، فهذا «فرنسيس بيكون» (١٥٦١-١٦٢٦) الذي تعلَّم علوم المسلمين العقلية والتجريبية وتعرّف على الإسلام عن قرب، وهو داعية المذهب التجريبي الشهير، يحكي في أحد مقالاته والمسمى «الخدعة» يحكي مثلا أن محمداً قال للعرب ذات يوم أنه يستطيع أن ينادي الجبل ليأتي إليه. وقد كان بعيداً ، ولكن بعد أن ناداه محمد لم يأت ولم يتحرك وهنا قال محمد لهم «إذا كان الجبل لم يأت إلى محمد فإن محمد سيذهب إلى الجبل»(!) يعلق الدكتور عبدالرحمن بدوي على هذا التزوير بقوله «وإنني أتساءل كيف يمكن لرجل يدعى أنه يقيم أسس المنهج التجريبي وقواعده أن يعتقد في حقيقة تلك الفرية المختلقة ! وللأسف فإن بعض السفهاء يرددون تلك الاسطورة حتى يومنا هذا»[2]

فالعقلية الأسطورية الغربية لم تتغير ، وإن أخذت شكلها الجديد في الفلسفة والعلوم الإنسانية والاجتماعية والنفسية![*]

وحتى العقلية التجريبية الغربية التي منّ الإسلام عليها بمنهاج تجريبي عظيم، كان المسلمون قد صاغوا قواعده في قوانين دقيقة، مدهشة وعجيبة، حتى هذه

---

(١) دفاع محمد محمد للدكتور بدوى ص٦ . (٢) دفاع عن محمد ﷺ ص٢٢ .

(*) وهيجل قال عن المسلمين «إنهم يتحمسون للمجرَّد، لفكرة مجردة تظل سلبية تجاه كل ما هو موجود» من كتابه دروس حول فلسفة التاريخ(١٨٣٧) ولو كان الأمر كما زعم ما أنتج المسلمون الحضارة التي كانت أساس كل إيجاب في العالم، وما السلب الذي دخل على عالم الإنسان إلا من ضلال هيجل وأمثاله ، راجع الفصل الأول أخي الكريم .

العقلية كما قد رأيت أخي القارىء في مثال «بيكون» لم تتحرر كاملاً من العقلية الكنسية التي ظنّت أنها انتصرت عليها وتحررت من قيودها العقلية والفكرية والبيئية!!

كذلك فإن «سيجموند فرويد» الطبيب اليهودي النمساوي، والذي ولا شك - كما قدمنا - كان متأثراً بالفكر الفلسفي وبهذا الإرث الموروث عن العقل الكنسي، إن «فرويد» لا يختلف كثيراً وهو الذي توفى سنة ١٩٣٨م (من القرن العشرين) عن رواد صناع الأساطير المزورة عن الرسول محمد ﷺ، والذين كانوا في الأساس مسيحيين - ويهودا - متعصبين!، وهو الذي يدعى موضوعية العلم وبعده عن الانسياق وراء التلفيق الفكرى والتاريخى[١] رواد القرن الحادي عشر والثاني عشر الميلادي اقرأ نصه المشوّه للحقائق الذي يقول فيه «... الديانة المحمدية ظهرت مقلدة لليهودية. وهناك من الأسباب ما يدعونا إلى الاعتقاد بأن النبي محمد كان يزمع في الأصل اعتناق الديانة اليهودية، هو وكل شعبه (!)، وأثمرت لدى العرب العودة إلى الإيمان بالأب الواحد البدائي الكبير تقدما غير عادي في الثقة بالنفس، ثقة أدت بهم إلى إحراز نجاحات دنيوية عظيمة»[٢](*).

إن فرويد كما ترى يكرس ذهنية الأساطير الغربية عن الرسول محمد ﷺ وبدل أن كان محمد ﷺ في الأساطير والرؤى الغربية والصليبية القديمة وثناً أو ساحراً أو كاهناً مسيحياً مرتداً، أو مطراناً مطروداً وكان يسعى ليصبح بابا، أو أنه متأثر بالمسيحية!، بدل أن يكون محمداً شيئاً من ذلك يقوم فرويد في العالم الجديد بنسج أسطورة جديدة

---

(١) انظر قراءة سياسية للتوراة ص١٠٣ .

(٢) النبي موسى ورسالة التوحيد لسجموند فرويد ص١١٤-١١٥ .

(*) أما «بالذاك» فقد قال - فيما يصنع أسطورة سخيفة عن الرسول محمد ﷺ «محمد هو شخصية اتحد فيه سحر الصابئة العتيقة(!)، وشعر الديانة اليهودية الشرقى ... صحيح أن محمد اقتبس من اليهود فكرة الحكم المطلق(!)، ومن الديانات الدعائة ... لقد كان قدره مرسوماً من خلال ولادته نفسها، لقد كان أبوه ملحداً(!)، وكانت أمه يهودية(!)!!!!! بالذاك: غالمبارا «١٨١٤» نقلاً عن عربي، هل قلت عربي ص١٣٢ .

تزعم أن الرسول كـان يزمع هو وكل شعبه اعـتناق اليهودية.. ويقولون بأن فـرويد كان طبياً وليس مريضاً!!

لقد أثمرت الأساطير المسيحية واليهودية القديمة عن الرسول أساطير حديثة رجالها أطباء وعلماء في مختلف المجالات ينسبون للرسول أشياء يعجب لها المرء، يعجب كيف أن الخيال الغربي مضطرب إلى هذا الحد إذا ما تعلق الأمر بالله أو الرسل أو النبوة أو الوحي أو الغيب، ثم يزداد العجب أكثر عندما اقرأ لبعضهم يزعم أن العقلية الغربية عقلية واقعية والعقلية الشرقية عقلية خيالية ضبابية!

وهذا «فرويد» يخبرك عن خياله ويطلعك على خباله، عندما يضع للبشرية أسطورة الأب الذي قضى عليه ابنه كراهية له بسبب منافسته على أمه[1] أو أسطورة الأبناء الذي كانوا يرغبون في أمهم جنسياً وكان الأب الأول مستبدأ عنيفاً فقتلوه ليحصلوا عليها.. ثم ندموا ثم عبدوا روحه ثم عبدوا آلهه شتى.. ثم عبدوا الإله الواحد كرمز للأب المقتول، وهو الذي يزعم فرويد أننا نحن المسلمون نعبده!

أليس هذا خيالاً ساقطاً، خيالاً غربياً وليس شرقياً!(*)

---

(١) يقول فرويد «إن الكراهية التي تنشأ في نفس الولد نحو أبيه بسبب منافسته على أمه، لا تستطيع أن تستولى على نفسه دون أن تتعرض للمنع والحجر، فإن عليها أن تصارع الحب والإعجاب اللذين نشآ قبل ذلك في نفسه تجاه الشخص ذاته» من كتابه المحرم والطوطم ص١٣٩، هذه الكراهية التي يلوث بها فرويد الجنس البشرى كله، وهذا الميل المزعوم نحو الأم رغبة في الحصول عليها جنسياً هو خيال فرويد المريض الممرغ في عالم الجنس المتطرف، إنه يجعل هذه النفسية حقيقة للطفل الإنساني كله ويجعل من ذلك قصة قتل الأبناء الآباء لأجل الحصول على هذه الأم المزعومة ويزعم أن نشأة الدين والأخلاق نتجت عن هذه العقيدة وظروفها وتطوراتها التاريخية !!!

(*) ومع ذلك يقول إيمانويل كانط في ملاحظات حول الجمال والسمو ١٧٦٦ «أن مخيلة العربي تصور له الأشياء انطلاقاً من أضواء مُشَوَّهة» انظر كتاب عربي ص٨٧ .

ولا أعـرف أين إدعاءات الموضـوعيـة والملاحظة العلمـية الرصـينة، والعمليـة التجريبية الـبحثية في هذا العالم الخيالي المزور الذي صنعـه فرويد للبشرية وللدين وللأنبياء، وهو العالم الذي تصوره فرويد عن التاريخ البشري على الأرض.

ويقولون إن فرويد كان متخصصاً في معـالجة الأمراض العصبية والنفسية، وهو الذي له ثلاثون كتاباً في الدراسات النفسية!

لقد رأى فـرويد ظواهر إنسانية عـامة كمـا رأى ظواهر مرضيـة منحرفة عند مـرضاه فاختلط عليه الأمر فجعل ما هو مرض وعـارض وخاص بفئة معينة لها ظروف خاصة، جعل ذلك عـاماً وكلياً وبشريا مطلقـاً فكانت أغلب نتائج أبحاثه وتفسـيراتها منـحرفة حقا! ثم وضع لذلك كله رؤية خاصة أحادية وتفسيـراً معيناً جزئيا ومشوهاً على خليط من أفكار دارون وغيره من الذين انحـرفت رؤيتهم في نظرتها إلى الإنسان والحيـاة وفقه الكون، هذه الرؤية الفرويدية أضـرّت بحقائق الانسان، وحقـوق الطفل، وحقائق الدين والتاريخ!، وهي في النهاية تؤدي إلى إختفاء دور الخليـفة ومرجعية الخلافة![*] بيد أن المشكلة التي نواجـهها فـي مجتـمعاتـنا الإسلاميـة اليوم، ليـست هي انحرافـات فرويد اليهودي فقط، ولكن المشكلة الخطيرة التي نواجهها أيضاً هي انحرافات كثير من المثقفين العلمـانيين العرب الذين أقـاموا أنفـسهم رسـلاً لأفكار فرويد وغـيره وأساطيـرهم عن الإنسانية والأنبياء والغيب والشرائع السماوية.

كذلك فإنني في هذا الفصل سوف أعـرض لموقف فرويد من النبي موسى عليه السـلام ومن ثم موقف (رسله من العلمانـيين العرب) من النبي موسى وكذلك من

(*) يقول الدكـتور مراد هوفمـان الـسفير الألماني الذي أسلم مـنذ زمن « اتخذ الكثيرون الفـرويدية عذراً في التنصل من مـسئولياتهم ، أليـست تصرفاتهم صـادرة عن اللاوعي؟ التحرر من (إمـلاءات الأنا العليا) أصبح على قائمـة الرغبات، باختصـار تغذى الفرويدية، ليس فقط المادية والجنس ومـبدأ اللذة فوق كل شيء بل وتنفث الـسمـوم في صرح التقاليـد والأخلاق ... وفي الواقع أصبحـت الفرويدية ـ ماأرادت إزاحتـه ـ شكلاً جديداً لـدين سحري زائـف، للعلاقة الجنـسية فـيه مكانـة بارزة، أصبح فـرويد وزملاؤه مـستبدين بمثل الاستبداد الـسابق للكهنوت المـسيحي» من كتابه خواء اللذات والأدمغة المـستعمرة ص٥٣ .

الدين والتوحيد والأنبياء والغيب والشريعة، ليتعرف القاريء على مصادر الثقافة العلمانية التي تقف بالمرصاد - وفي مواقعها العتيدة! - للثقافة الإسلامية الأصيلة وللمنهج الرباني الذي هو مصدر هذه الثقافة ومنبعها الصافي.

إن مصدر العلمانية العربية هو خرافات وأساطير وخيال العقل الغربي الشائة الذي كونته ظروف صراع مرير ضد الكنيسة الغربية. هذا هو ما أردت تقديمه بين يدي أساطير فرويد وفليكوفسكي والعشماوي والقمني وغيرهم ليضع القاريء يده على ظروفها وآليتها وأهدافها وغاياتها وأيديولوجياتها الكامنة خلفها والمستترة وراء مزاعمها العلمية والموضوعية!

فرويد الطاغوت الذي يعبده باحثون عرب:

«سيجموند فرويد» اليهودي المولد، عالم التحليل النفسي الغربي الطبيب النمساوي هو صاحب فلسفة تكمن خلف أبحاثه السيكلوجية وخلف نظرته عن الإنسان وعن الدين وعن الحياة الاجتماعية البشرية قدمناها في الفصل الأول. وفي هذا الفصل نريد إظهار موقفه من موسى عليه السلام ومن مفهوم الدين.

إن «فرويد» يقلب التاريخ النبوي العام - بل والتاريخ البشري كله! - ويزعم أن عقيدة التوراة التي تقول بأن موسى نبي عبراني ورسول من عند الله كذب وتزوير وقلب للحقائق التاريخية!.. هكذا جملة واحدة!! وبفلسفته في التحليل النفسي يصل فرويد إلى أن الإنسان موسى ... لم يكن يهوديا بل مصريا»[1] إنها «النتيجة المستخلصة» أو التي مؤداها أن موسى كان عظيما من عظماء المصريين»[2]

فاليهود في زعمه هم الذين اخترعوا موسى العبراني لمصلحة إتجاهاتهم ما أدى إلى إخفاء حقيقته المصرية بوصفه مصري من أتباع إخناتون؟، يقول «وليس بوسع أي مؤرخ أن ينظر إلى القصة التي ترويها التوراة عن موسى والخروج بأكثر من أنها

---

(١) النبي موسى ورسالة التوحيد ص٣٦ .   (٢) المرجع السابق ص٣٥ .

كما أنه يزعم أيضاً أن التوراة «نسجت أساطير الآباء إبراهام وإسحاق ويعقوب»[2] بيد أنه لا يكتفي بهذا الهراء بل يزعم أنه سيعيد بناء التاريخ البشري في روايته الكبرى وفي نموذج منها هو رواية تاريخ موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ، يريد إعادة بناء الرواية[3] من جديد!

فيقول بأن موسى الحقيقي مصري الأصل ولم يكن قط من بني اسرائيل! «هذا هو ما نقرر تاريخياً، وعند هذه النقطة يبدأ العمل في الرأي الذي نراه، وربما كان هناك رجل من خلصاء إخناتون يُدعى تحوتمس Thothmes كما كان يدعى الكثيرون في ذلك الوقت ولايهم الاسم ولكن الجزء الثاني من اسمه لابد كان «موسى Mose» وكان يشغل منصباً كبيراً(*) وكان من المؤمنين المقتنعين بديانة آتون، ولكنه كان على نقيض الملك المتأمل، كان ذا قوة وعاطفة متدفقة، وكان موت إخناتون والقضاء على ديانته يعني بالنسبة لهذا الرجل نهاية كل آماله ولم يكن يستطيع أن يبقى في مصر إلا منفيا أو أن يرجع عن دينه ويُنكره. وإذا كان حاكماً لإقليم من أقاليم الحدود فمن المرجح(!) أنه اتصل بقبيلة سامية معينة كانت قد هاجرت منذ بضعة أجيال، وتحول في يأسه وفي وحدته إلى أولئك الأغراب(!) وبحث فيهم عن تعويض لما كان قد فقده(**)، واختارهم ليكونوا شعبه، وحاول أن يحقق من خلالهم مُثُله، وبعد أن غادر مصر

---

(1) النبي موسى ورسالة التوحيد ص٥٦ . (2) المرجع السابق ص٦٧ .

(3) المرجع السابق ص٥٦ .

(*) يزعم فرويد أن موسى كان على الأرجح من كبار كهنة هيليوبولس أى «عين شمس» مركز عبادة «آتون» انظر قراءة سياسية ص٣٢٨، وبتعبير أحمد عثمان «كما جادل كتاب فرويد الأخير موسى والتوحيد المنشور عام ١٩٣٩ أن موسى كان أحد المسئولين عن بلاد الفرعون إخناتون وكان يسمى تحتمس ، كان نصيراً للديانة «الآتونية» الأصول المصرية لليهودية لأحمد عثمان ص٨٧ .

(**) بالله عليك أخى القارئ هل هذا تحليل نفسى او علمي او حتى تحليل إنسان عاقل ؟!!!

معهم(*) يصحبه أتباعه الملاصقون، باركهم بختانهم ومنحهم الشرائع وبشرهم بديانة آتون التي قد نبذها المصريون تواً(!) وربما كانت الشرائع التي أخذ بها موسى يَهُودَه كانت أقسى من الشرائع التي استّنها سيده ومعلمه إخناتون، وربما كان قد ألغى كذلك الارتباط بإله الشمس في أون، الذي كانت ديانته إخناتون مانزال من المؤمنين به ويجب أن نحدد زمن الخروج من مصر بأنه جرى خلال الفترة التي وقعت بين حكم إخناتون وحكم من وِلِيَ العرش بعده سنة ١٣٥٠م. وتغمُضَ بصفة خاصة الفترات الزمنية التالية حتى إمتلاك أرض كنعان. . . ومؤداها أن اليهود الذين وصفتهم التوراة نفسها بأنهم كانوا عنيدين لا يطيعون مشرّعهم وزعيمهم، وتمردوا عليه آخر الأمر وقتلوه وطرحوا عنهم ديانة آتون التي فرضها عليهم. . . وأنهم هناك في بقعة خصيبة اسمها قادش وتحت تأثير قبائل مدين العربية، اعتنقوا ديانة جديدة هي عبادة إله البراكين يهوة. وبعد ذلك مباشرة كانوا مستعدين أن يفتحوا أرض كنعان.(١)

وهكذا وضع موسى في «عهد اخناتون» وجعله أحد أتباعه وتلاميذه وقواده الأقوياء ثم زعم أنه كان يعتقد ديانة اخناتون، ديانة إله الشمس! ، ولما هزم اخناتون. . إضطر موسى المصري - بزعمه طبعا! - أن يبحث عن شعب يحمل الفكرة الأتونية المصرية التي رفضها المصريون توا، فوجد شعب اليهود الذين وافقوا على أفكاره الآتونية وعلى الخروج معه من مصر لتحقيق أحلامه وأحلامهم التي صنعها هو بنفسه لهم. . لكنهم ما لبثوا أن قتلوه وتخلصوا منه. . بعد الخروج بفترة. . تخلصاً من العقيدة الآتونية . . ولسبب نفسي غائر في النفس البشرية لابد أن يحقق تجربته المكررة وعودته العنيفة بقتل الأب البارز الطاغي المستنير وهو في هذه الحالة «موسى» ، فيتحقق تصريف الكبت المكتوم في الصدور ويتم «عودة

(*) يقول فرويد « يمكننا أن نفترض (!) أن ذلك الخروج وقع بطريقة سليمة تماماً وبلا مطاردة» انظر قراءة سياسية للتوراة ص٣٢٧ .

(١) النبي موسى ص٨١-٨٢ .

المكبوت»! يزعم فرويـد بناء على أفكار داروين عن الشعوب البدائيـة المزعومة التي زعم أنها كانت لا تعرف اللغـة ولا الدين ولا الأخلاق ولا شيء من هذا القبيل، وبناء على أفكار «أتكنسـون» في مفهوم النظام الأبوي القديم الذي أدى - بزعمه - إلى تمرد الأبناء الذين اتحدوا ضد الأب وتكاثروا عليـه وأكلوا جميعا جسـمه يقول بناء على هذه المقدمات المزيـفة «وقلت متابعاً نظرية روبرتسـون سميث في الطوطم أن هذه العشيرة التي كان يحكمـها الأب سابقاً، أعقبتها عشـيرة أخوية طوطمية. ونبذ الأخوة المتنـصرون النساء اللاتي من أجلهن قتـلوا الأب(!)، ووافقوا على أن يتـزوجوا من خارج عـشيـرتهم، وهكذا تبـددت سلطة الأب(!)، ودخل التنظيم الأسري عن طريق النظام الأموي. وظل هناك إحـساسات لدى الأبناء، يعارض كل منهـما الآخـر تجاه الأب. . . وبدلا من الأب أعلـن عن قيـام طوطم من حيـوان معين، حل محل جدهم والروح الحـامية لهم. . . وكانت العشيـرة تجتمع مرة كل عام تحتـفل بطوطمها . . . وكان تكراراً مـقدسـاً لاغتيـال الأب الذي بدأ به التنظيم الاجتماعي والقوانين الأخلاقية والدين(*)»(1)!!!

يقول «وبعـد أن قام الترابط بين عشيـرة الأخ والقبيلة الأموية والـزواج من غير الأقـارب والـطوطـميــة، بدأ هناك تطـور يمكن أن يوصف أنه دعــوة بطيـئـة للمكبوت. . . إننـي أعني هنا أنه شيء ماض، قد اخـتفى وأمكن التغـلب عليه في حياة الشعـب، وهو ما أجرأ على أن أعامله كمساو للمادة المكبوتة في الحياة العقلية للفرد. . . وينبـغي أن نخلص من ذلك إلى أن المتخلف العقلي من تلك الـعصور البدائية صار ميراثاً لا يحتاج مع كل جيل جديد لمعاودة تحصيله بل لإيقاظه(**). .

(*) يقول «إن قتل الأب هو نواة الـطوطمية ونقطة البداية في نشأة الديانة» حيـاتي والتحليل النفسـي ص١٠٢ ويقول « أنه قام في نفس الابن صـراع بين التمرد على أبيه وبين محبـته له . . . بغية التكفيـر عن فعلة اغتيال الأب من ناحية ، وتدعيم المنافع التي تمر عنها من ناحية أخرى » ص١٠٣ نفس المرجع .

(1) النبي موسى ص١٥٠ .

(**) إذا كان الأمر كذلك فلماذا لم تتكرر التجربة ويقتل المسلمون نبيهم وكذلك الاتباع أنبيائهم !

ولا أستطيع أن أعطي إحصاء يسيراً للمراحل التي تسير فيها عملية العودة(!). لقد صار الأب مرة أخرى زعيم الأسرة، ولكنه لم يعد صاحب السلطان المطلق . . . ويبدو أن فكرة الكائن الأعلى ظهرت مبكرة، وكانت في أول الأمر فكرة ضبابية وخالية من أي ارتباط باهتمامات للبشر اليومية . . . نظمت الآلهة . . . ثم اتخذت للبشرية في تردد الخطوة الثانية لعبادة إله واحد، وأخيراً تقرر التنازل عن كل سلطة لإله واحد فقط، وعدم قبول أي إله آخر إلى جواره وحينئذ فقط أعيد مجد الأب البدائي. وكان من الممكن أن تتكرر العواطف التي تدور حوله»(*)(١)!!

وخلاصة هذا الكلام هو أن البشرية بدأت تعود إلى الحالة الأولى في تمجيد «الأب البدائي» الذي زعم أننا نحن المسلمين نعبده! كما تقدم من كلامه!، وفي هذا المناخ زعم أنه لابد أن يعود المكبوت للظهور ولابد أن تتكرر العواطف التي تدور حوله وهو ما يعني تكرار التجربة المبكرة - المزعومة!(*) - ويقتل الشعب الرجل البارز فيه(*) وفي حالة بني اسرائيل كان موسى هو المقتول(**)! و«كل ذكرى تعود من الماضي المنسي تعود بقوة هائلة، وتُحدث أثراً قوياً لايضاهيه أثر آخر على جماهير البشر»(٢)

ويزعم أن إمبراطورية إخناتون هي السبب الخارجي لظهور فكرة التوحيد «فإننا نرى

(*) إذا كان الأمر كذلك فلماذا لم تتكرر التجربة ويقتل المسلمون نبيهم وكذلك الأتباع أنبيائهم !

(١) النبي موسى ص١٥١-١٥٢ .

(**) يقول فرويد « قتل الأب الذي ساد في العصور البدائية، نُقِل إلى اليهود كمصير مقدر وهو أن يكرروه على شخص موسى (!)، وهو بمثابة بديل للرب ولكنه بديل عظيم وكانت هذه حالة من الحالات التي يكون فيها فعل وليس تذكر، وهو شيء كثيراً ما يحدث عند العصابيين (!) خلال جلسات التحليل النفسي ص١١١ وقد استجاب اليهود لمذهب موسى - الذى لابد أنه أثار ذاكرتهم (!) - وأنكروا ما ارتكبوا فلم يتقدموا أكثر منه اعترافهم بالأب الكبير ... وهكذا صار مقتل موسى الذي ارتكب شعبه... همزة وصل هامة بين العقل المنسى للعصور البدائية ومعاودة ظهوره، في بالتالى في شكل الديانات التوحيدية » النبي موسى ورسالة التوحيد ص١١١ . يقول « إن الديانات المحمدية كانت تكراراً على نطاق ضيق للديانة اليهودية ص١١٤ .

(٢) المرجع السابق ص١٠٦ .

إن هذه الفكرة التي انتزعت من تربتها ونقلت إلى شعب آخر - قد تملكت هذا الشعب بعد فترة كمون طويلة... أضفت عليه افتخار أنه الشعب المختار، وهي دين الأب البدائي»[1]

وبعد أن قتلوا زعيمهم، كان لابد أن يحدث الكبت مرة أخرى، والنسيان للحادثة مرة أخرى واخفاءها مرة أخرى وذلك لأسباب نفسيه تشبه أسباب التجربة المبكرة للبشرية الأولى بزعمه، أسباب وجيهه «الكبت ذكرى المصير الذي وقع لزعيمهم ومُشرعهم . . . واحتاجت الفكرة الوقت لتكتمل وتُكتب في الأسفار»[2] وهو ما يعني أن ما كتب في التوراة عن نبوة موسى هو تحريف وتغطية على حقيقته!!! فالنظرية كما ترى عبارة عن أفكار مضطربة، ونظرات مشوهة عن الجيل الكريم الأول من البشرية الأولى ولمفهوم الدين والنبوة ولطبيعة وشخصية موسى ودعوته الكريمة، أفكار ليست لها أساس علمي أو حقيقة تاريخية، أو اكتشافات أثرية حقيقية! إنه يستخدم نظريته في «الكبت» و «عودة المكبوت» - وهي النظرية الكاذبة المزيفة للحقائق كلها - ليطبقها أولاً على الجيل الكريم الأول من البشرية ثم على الجيل الكريم الأول الذي آمن بموسى عليه السلام نبياً ورسولاً، وهو نفسه يزعم أنهم بجعلهم موسى نبياً ورسولاً أخفوا الحقائق لدوافع سرية .. إذاً هو لا يتكلم عن محرّفة يهود الذين ادخلوا بعض الأكاذيب على شخصية موسى وعلى جهاده وإنما يتكلم عن موسى نفسه فيجعل صورته التي اتفقت عليها الشرائع السماوية يجعلها كاذبة لأن المؤمنين بموسى «استعظموا أن يتخيلوا أن الإنسان موسى يمكن أن يكون شيئاً آخر سوى أنه عبراني»[3] لماذا استعظموا ذلك يجيب الآن «الشعب اليهودي كان في حاجة إلى أن يجعل منه يهوديا»[4]!!

لكن فرويد ليس غبياً في طرح نظريته!، فهو يعرف أن القارىء عنده أسئلة

(١) المرجع السابق ص١٠٧
(٢) المرجع السابق ص٨٨-٨٩-٩٠ .
(٣) المرجع السابق ص٢٨ .
(٤) المرجع السابق ص٣٦ .

كثيرة تشير إلى ثغرات خطيرة وقفرات عجيبة وخيالات مدهشة في نظريته، كذلك فإنه يحاول التفلت من ذلك بالقول بأن دراسة علم الاجتماع البشري والتاريخ القديم صعب على الإنسان العادي ومع ذلك يعترف أن في نظريته فعلا ثغرات يقول «وينبغي أن أعترف أن هذه النظرة التاريخية (!) تترك الكثير من الفجوات وتحتاج في كثير من النقاط إلى تثبيت أكثر (!) ومع ذلك فإن من يُعلن أن هذه النظرة التاريخية(!) التي تُعيد بناء التاريخ البدائي نظرية خيالية يسيء تقدير غناها(!) وقوة الدليل التي اسهمت في إقامته»[(١)]!

ثم يقول عن نظريته أنها ليست فنية «ولا أوافق أنا نفسي عليها من كل قلبي»[(٢)] لكنه يعترف أن الفكرة كانت «تلح علي كالشبح لا يهمد»[(٣)] وهو يعترف أن نظريته خيالية من إيحاء منهجه التحليلي القاصر. «نعترف بأننا لا نملك حتى الآن أي دليل على وجود آثار متخلفة في الذاكرة لميراثنا البائد (!) أقوى من هذه البقايا في الذاكرة (أي ذاكرة فرويد!!) التي يستند عليها التحليل النفسي... وإذا كانت الأوضاع على غير ذلك، فإننا سنكون عندئذ غير قادرين على التقدم خطوة أخرى في طريقنا، سواء في مجال التحليل النفسي أو في مجال علم النفس الجماعي»[(٤)] ثم يعترف بعدم توفر المعلومات[(٥)] ويعترف أنه بعد كتابة نظريته في موسى صار بحثه هذا كخلق غريب عليه[(٦)]!! وكلما إنتقل خطوة في البناء النظري لنظرته عن موسى يخترع موقفاً ليس له في التاريخ واقع حقيقي، انظر إليه مثلا وهو يتكلم عن مازعمه من قتل اتباع موسى لموسى يقول «ومن السهل(!) تخيّل(!) أن إحدى تلك التمردات إنتهت إلى خاتمة أخرى خلاف ما يورده النص»[(٧)] ولشعوره بفراغات كثيرة في نظريته وفقدان الأدلة المادية على ما تزعمه تجده يقول «والذكريات غير الكاملة(!) والمضية للماضي،

---

(١) النبي موسى ص١٠٥ . (٢ - ٣) المرجع السابق ص١٢٤ .
(٤) المرجع السابق ص١٢٢ . (٥) المرجع السابق ص١٠٣ .
(٦) المرجع السابق ص١٢٥ . (٧) المرجع السابق ص ٧٠ .

والتي نسميها تراثاً، هي دافع عظيم للفنان، لأنه يكون حراً في ملء الفراغات في الذكريات طبقا لما تمليه عليه مخيلته وأن يشكل طبقا لما يقصد من هدف صورة الزمن الذي آل على نفسه إحياؤه»[1]!!

ويقول بما لايدع مجالا للشك أن نظريته تحمل بذور تدميرها الذاتي وحقارتها الذاتية «وعند هذه النقطة أتوقع أن أسمع عتاباً بأني قد بنيت نظريتي - التي تضع موسى المصري في عهد إخناتون واستمددت من الوضع السياسي للبلد الذي كان فيه في ذلك الوقت قراره بحماية الشعب اليهودي[*] وسلمت أن ديانة آتون هي الديانة التي أعطاها لشعبه، أو أنها الديانة التي أثقلهم بها[**](!) والتي كانت قد أبطلت من مصر نفسها تواً. وعند هذه النقطة أتوقع أن أسمع عتاباً بأني قد بنيت هذا الصرح من التخمينات بيقين عظيم، لا توجد أسس كافية في المادة نفسها تبرهن عليه وأظن أن هذا العتاب لن يكون له ما يبرره. فلقد سبق لي في المقدمة أن أكدت عنصر الشك»[2]

كان أمام فرويد لغز نتج عن ضبابية قصته الخيالية وليس عن الواقع المادي الموجود على الأرض، أو عن ملاحظة أو تجريب أو ستقراء لوقائع واضحه! واللغز هو كيف يمكن لمصري أن يسوق شعباً من الأغراب ويعطيهم عقيدة؟![3] للإجابة على ذلك يبدأ فرويد بالتخمين لا بالملاحظة التاريخية أو استقراء المادة المتوفرة أو باستقراء حادثة حقيقية ما، فليس عنده ثم مادة تعينه، إذاً فليلجأ إلى التخمين يقول «فليس من المصدق أن إنساناً عظيماً مثل موسى المصري (!) كان من الممكن أن يقترب من شعب غريب عليه بدون أن تكون له بطانة. فلابد أنه قد استجلب معه

---

(١) النبي موسى ص٩٢ .

(*) في موضع آخر يقول شيئاً آخر، يقول «بأنه فعل ذلك لتحقيق أحلامه هو!.

(**) إن فرويد يؤمن بأن التحرر من الدين يحقق رغبات البشر لأن الدين بأخلاقه الثقيلة على النفس يمنع الإنسان من تصريف رغباته الحيوانية !!

(٢) النبي موسى ص٥٤ .　　(٣) المرجع السابق ص٣٧ .

حاشيتـه من اتباعه المقربن وكتبتـه وخدمه وهؤلاء كانوا اللاويين الأصليين»[١] وهكذا يضع المشكلة ثم يحاول حلها وليس ثم واقعة؟!! ولقد قام هو نفسه بالهجوم على كثير من علماء الطب الغربيين الذين عارضوا نظريته وسفهوها وقالوا بأنها ليست جدية وأنها غير عقلية وغير ناضجة هاجمهم وقال إنهم كانوا على جهل تام بالموضوع «وإنه لعجيب ،حقاً، أن معظم الناس يسلكون مسلكاً غير أمين إذا اضطروا إلى تكوين حكم خاص على موضوع جديد»[٢] وهل كل تخمينات فرويد هنا إلا أفكار لا أساس لها من الصحة ولا من البحث التاريخي والعلمي، لقد بناها على خلاصة فلسفات ونظريات غير صالحة للتعامل (نظريات التخمين!!) مع الإنسان وتاريخه كما شكلها بفلسفته الخاصة، الخيالية في تفسير الدين والمجتمع البشري تفسيراً مريضاً، عصابياً بالدرجة الأولى، وهو لم يطلق العنان لفكره لمدارسة الوقائع الحقيقية وإنما كما قال هو نفسه عن مؤلفاته اللاحقة «أطلقت العنان للميل إلى التفلسف الذي كبحته زمناً طويلاً»[٣] وهو هنا مراوغ فمؤلفه موسى والتوحيد يظهر عليه أيضا أسلوب التفلسف كما تظهر عليه حيلة التدخل في تحريف بعض النصوص لجعلها تتمشى مع غرضه وهدفه المرصود الذي سخر له خياله المريض! وهو نفسه قال إنه قبل كتابته لهذا الكتاب كان قد تأثر بكتاب «و. روبرتسون سميث» - لديانة الساميين - وفيه بعض من أجزاء نظرية فرويد اللاحقة عليه وكذلك دارون وقد اعترف بأنه اعتمد على أفكارهما في بناء نظريته عن موسى والدين والبشرية الأولى!، كما أنه ولا شك قد قرأ كما قال هو أيضا «نيتشه» - وقد كان معاصراً لفترة معقولة من حياته - إلا أنه تحايل على قارئه فزعم أنه تجنبه زمنا طويلا!![٤]

---

(١) النبي موسى ص٦١ سيأتي من كلام محمد سعيد العشماوى عند هذه النقطة زعمه أن موسى وكهنه اللاويين سيطروا على العبريين بالسحر !!، وهكذا يقومون بالتحليل العلمي الرصين القائم على قدم وساق !!!

(٢) حياتي والتحليل النفسي ص٧٧ . (٣) المرجع السابق ص٨٧ .

(٤) مع أنه قال بأن تخمينات نيتشه تتفق اتفاقاً عجيباً مع كشوف التحليل العلمي الشاقة!!! انظر ص٨٩ من كتابه حياتي .

ولو بقي فرويد في مجال تخصصه في مجال علاج مرض الأعصاب والعصاب والهستيريا وغير ذلك فلربما طواه التاريخ أو لربما أخذ من بحوثه الجيد وطرح منها القاصر[١].

لكنه ذهب يخلط الفلسفة التي يحاول التبرؤ من تأثيراتها على بحوثه النفسية مع هذه البحوث نفسها ليخرج على العالم بأحقاده الغائرة وتشويهات نفسه القاصرة التي تزيف التاريخ، وتميون الإنسانية، وتخرب الدِّين، ويُقزِّم النبوة وتُفسد التوحيد، وتُشوه الإنسان، وتُغير معالم عالمه الأرضي فتنقله من عالم قائم على منهجية قيمية صحيحة تستمد مقوماتها وخصائصها من المنهج الرباني إلى فوضى القيم، وهمجية الحياة، وضياع الحدود، وإباحية الجنس، وانفتاحه المسعور! هذه هي جريمة فرويد حين أطلق العنان بلا قواعد لفلسفته الإباحية والتخريبية. إنه يقول إن تشويه النص لا يختلف عن الجريمة[٢] في حين أنه هو نفسه قام بهذه الجريمة على أتم وجه، ما أنتج لاحقا جرائم بشرية في حق الله وحق الانسان وحق الأنبياء وحق القيم الإنسانية الفريدة!

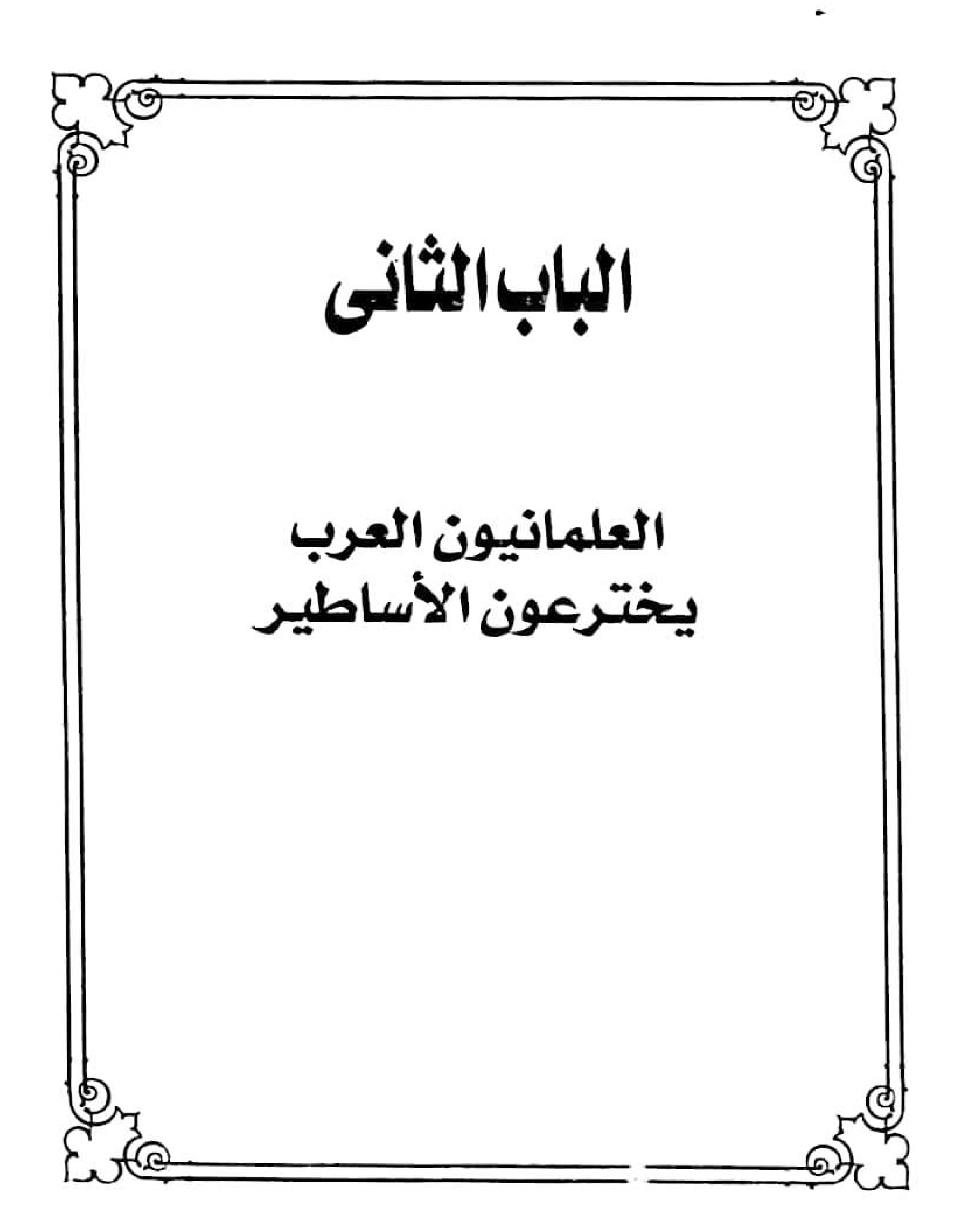
هذا هو فرويد اليهودي الذي عبده العلمانيون العرب الذين زعموا الإبداع وادعوا الموضوعية.

أما الجريمة التي فعلها مجموعة من أقطاب العلمانية في العالم العربي والإسلامي، فهي أنهم إتبعوا فرويد حذو القذة بالقذة والشعرة بالشعرة.. ولم يخالفوه في قبائحه إلا ليتبعوا قبائح نظراءه ومساويء عقولهم الشائهة! وتكملة هذا الفصل ستكون إن شاء الله بعرض هذه النماذج الممسوخة من كبار مثقفينا!

---

(١) يقول: «تجنبت في حذر(!) اى انغماس - في صميم الفلسفة» ص٨٩ من كتابه حياتي وفي الحقيقة فإن كلمة : في حذر، فاضحة، تكشف أنه نقل الفلسفة في نظريته لكنه لم يظهر مصطلحاتها المعروفة !!

(٢) حياتي والتحليل النفسي ص٦٦ .



الباب الثانى

العلمانيون العرب يخترعون الأساطير

الفصل الثالث

« لقد إفتتحت قضية نصر (أبو زيد) الملحمة »

سيد القمني : رب الزمان ص١٤٨

« أمانتنا العلمية ... الرصيد الوحيد الذي نملك ونتيه به إعتزازاً »

سيد القمني : الأعمال (١) الإسرائيليات

قال تعالى ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾
وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾
وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا
إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ
فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ
قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ
وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ
هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾

[المدثر : ١١-٢٦]

الدكتور سيد القمني
وعلمانية تقلب الحقائق ببشاعة وحقد أعمى

ككل العلمانيين الذي يفرضون أفكارهم ونظرياتهم على العالم يؤكد الدكتور سيد القمني أنه يقوم بالبحث المدقق[1] كما أنه يدعو القارىء إلى مشاركته «مُتعة البحث والإستقصاء، ومتعة الفرح بالكشف العلمي»[2]! «هو خلاصة جهد استمر عشر سنوات أو يزيد»[3] قال ذلك في مقدمة مشروعه الممتد على ١١٦٢ صفحة في أربعة أجزاء(*)، والذي غيّر فيه حقيقة موسى عليه السلام، وحقيقة النبوة، وحقيقة الدين، وغيّر المفاهيم القرآنية والمعالم التاريخية التي أكدتها النصوص القرآنية، وقال وهو يقوم بعمله الغير علمي والسيء القصد إنه يهدف إلى «إعادة قراءة لوضع الأمور في تصحيح نصابها تمهيداً لطرح رؤيتنا في علاقة الموسوية بالأتونية وموسى بإخناتون(!)»[4]

إنه يخدع قراءه دائما بجرعة التهدئة المُركَّزة «أول شروط العلم هو الأمانة فيما نعلم»[5] هكذا يقول!

فالكشف العلمي والرؤية الأمينة وإعادة الأمور إلى نصابها تتمثل عند الدكتور القمني في نظريته - أو بالأحرى فِريته! - عن موسى عليه السلام أعظم تمثيل! يقول متحمساً لعرض خياله الخصيب المليء بالأوهام **«لقد كان قائد الخروج من مصر هو الفرعون (إخناتون) بذاته وكان هو من عرفت اليونان قصته باسم (أوديب) وهو ذاته ما دونت التوراة في قصتها الكبرى اسمه (موسى) وهذا ما سنحاول أن نقيم عليه الأدلة**

---

(١) انظر مثلاً كتابه إسرائيل ـ التاريخ ص١٠٣ .

(٢) النبي موسى وآخر أيام تل العمارنه وهو أربعة أجزاء، جـ١ ص٢٠ .

(٣) المرجع السابق جـ١ ص٩ .

(*) وهو كتاب النبي موسى وآخر أيام تل العمارنه .

(٤) المرجع السابق جـ٣ ص٧٢٤ .

(٥) إسرائيل . . . التاريخ . . . ص٢١٩ .

من الآن وحتى نهاية هذا البحث»[1] البحث الممتد على مساحة ١١٦٢ صفحة كما قدمت!

ويبدو أنه من صناع الأساطير لتدمير حقائق التاريخ، فمهمته كما عبّر عن ذلك بنفسه هي «تضفير النسيج بين إخناتون وأوديب وموسى»[2]! ومفاجأة التضفير القمنية هي بحسب لفظة «أوديب هو إخناتون هو موسى النبي، شخص واحد في ثلاث روايات مختلفة، شخص مصري معلوم الشأن هو إخناتون، وشخص يوناني هو أوديب في تراجيديا اليونان، وشخص إسرائيلي هو موسى في رواية عبرانية مقدسة»[3]

إن الأصل - عند الدكتور القمني - الذي اقتبس منه محرروا التوارة - بزعمه! - هو إخناتون المصري ابن آمنحتب الثالث[*] والملكة المديانية (تي) وعلى ذلك فموسى إنما هو إخناتون معدّل، أُعطِيَ سَمات عبرانية وملامح إسرائيلية بعد أن تم إخفاء الأصل ونجاح العملية الإقتباسية القسرية!!! وهو إخناتون قبل إعطاءه في الرواية التوراتية اسم موسى وصفة نبي ورسول وجنسية إسرائيلية!!

يقول القمني «إن موسى كان ولي عهد مصر فعلاً بحسبانه إخناتون»[4] فالطفل الذي ولد في مصر «إخناتون» والذي قتل أباه وزنى بأمه ثم تزوجها - بحسب ما سيأتي عرضه من كلام القمني - إنما هو موسى فعلاً بحسبانه إخناتون!!

---

(١) النبي موسى آخر أيام تل العمارنه جـ٣ ص٨٢٨ .

(٢) المرجع السابق جـ٣ ص٩١٣ .

(٣) المرجع السابق جـ٣ ص٨٢٨ .

(*) أما إخناتون فهو عند القمنى آمنحتب الرابع يقول « أن آمنحتب الرابع / إخناتون كان ابن إله مرتين، الأولى لأن والده آمنحتب الثالث قد نصب نفسه إلهاً وعبده الناس باعتباره الابن المباشر للإله آمون .. وعندما عاد إخناتون إلى مصر حانقاً على أبيه ... أعلن نفسه ابناً مباشراً للإله الجديد آمون » جـ٣ ص٨٤٤ نفس المرجع .

(٤) المرجع السابق جـ٣ ص٨٦٢ .

وهو ابن فرعون وليس ابن لأب عبراني وأم عبرانية «كان هذا الطفل - يقول القمني - هو ابن فرعون بالميلاد والجنس»[1] العشماوي ـ كما سيأتي ـ لم يقل مثل القمني بأن موسى هو ابن الفرعون وإنما زعم أن الفرعون هو جده فهو ابن ابنته أي حفيده!! والمدهش أن القمني جعل والد إخناتون/ موسى/ أوديب هو الفرعون آمنحتب الثالث في الأصل المصري المزعوم!

أما العشماوي فإن الفرعون المزعوم أنه جد موسى وابن ابنته هو رمسيس الثاني وليس آمنحتب الثالث فالزمان مختلف والفرعون مختلف وحتى موسى فمختلف أيضاً وفضلا عن ما تقدم فهو عند القمني إخناتون نفسه أما عند العشماوي فهو غيره وليس هو وإنما نقل عنه كما سيأتي ذكره بعد قليل وكذلك فأوديب عند العشماوي لم يكن هو إخناتون ولا موسى!

ويعتبر العشماوي من يقوم بالربط بين إخناتون وأوديب إنما يلوي الحقائق ويحرف التاريخ مع أن العشماوي فعل أكثر من ذلك واشنع وأكثر تعسفاً إذ جعل -كما سيأتي- من فرعون جداً لموسى ومن ابنته أمًّا حقيقية له، ومن ديانته مصرية صميمة، ومن خروجه من مصر خدعة لإخراج بني اسرائيل منها باتفاقه مع جده الفرعون بزعم المستشار الذكي!!

وعلى كل فنحن نذكر قول العشماوي هنا يرد به على سيد القمني ومن شاركه القول في الربط بين إخناتون وأوديب! يقول «إن هذا الاتجاه التعسفي بدأ من بعض الباحثين الأيدلوجيين الذين أرادوا(!) أن يقضوا على إخناتون وتوحيده الصافي(!) وشاعريته المرهفة فزعموا أنه أوديب الإغريقي، وظلوا يدللون على ذلك بأسماء طيبه وأبي الهول[*] التي كان الإغريق قد استعاروها من مصر، كما استعارت كثير

---

(١) المرجع السابق جـ٣ ص٨٦٢ .

(*) هذه طريقة اخرى في الاستدلال تختلف عن طريقة القمنى .

من البلاد لفظ الإسكندرية حالا (حاليا) وأطلقته على مدن بها»[1]

وسأل العشماوي «فهل يجيز هذا لباحث أن يلوي الحقائق ويحرف التاريخ ليزعم أن الحضارة المصرية أو حضارة الدولة الحديثة على الأقل كانت في بلاد الإغريق[*]»[2] ومع ذلك فقد حرّف العشماوي التاريخ والحقائق وقال «... ومع الوقت بدأ يتضح أن موسى نقل كثيراً من عناصر اليهودية عن مصر، وعن إخناتون بالذات»[3] وسيأتي في الفصل القادم أنه زعم أن موسى هو حفيد فرعون على الحقيقة باعتباره ابن ابنته على الحقيقة!! لنرجع إلى موسى عند القمني، الذي زعم أن أمه (الأصل) هي (الملكة تي) التي تحولت فيما بعد في التراث الإسرائيلي إلى يوكابد وهي في الحقيقة إمرأة ميتانية يقول «إذا كان إخناتون/ موسى/ أوديب، يعود بجنسه من جهة الأب إلى مصر، فإنه من جهة الأم يعود إلى شرقي سيناء حيث المديانين والعمالقة والكنعانين (العموريين) والسكيت (الأرامين) وضمنهم الإسرائيلين»[4] إن قراءة التاريخ وقراءة النصوص المقدسة، وقراءة بعض الاكتشافات الغامضة واليتيمة أو الجزئية تختلف من باحث علماني إلى آخر، وفي فصلنا هذا سترى أخي القاريء أن لكل باحث علماني إدعاءات عريضة ونظريات عجيبة عن التاريخ والقصص التاريخي للأنبياء وغير ذلك .

ومع تناقضات هذه القراءات وتعارض نظرياتها تعارضاً شديداً إلا أن أصحابها يدّعون أنهم يقدمون الفروض الصحيحة والتاريخ الصحيح! والعجيب أن أحدهم

(١-٢) مجلة أكتوبر المصرية ٢٠٠٠ العدد ١٢٥٠، ١٨ أكتوبر ص٣٠ .

(*) إنَّ لي الحقائق غالباً ما تكون لإقامة هذه النزعات العنصرية والتي تبنى كلاً من العشماوى والقمنى واحدة منها ..

(٣) مجلة أكتوبر الأحد ١١ مارس ٢٠٠١ العدد ١٢٧٢ ص٢٤ الأصول المصرية لليهودية(٢٦) (البداية والنهاية) .

(٤) المرجع السابق جـ٣ ص٨٦٩ سيأتى من النصوص التالية بوضوح تحديد القمنى للأم بأنها مديانية وليست إسرائيلية!

إذا تناول نظرية الآخر وإفتراءاته لم يتركه حتى يطرحه أرضاً ويهشم رأسه!

وكمثال نُبرزه عند هذه النقطة وستأتي الأمثلة الكثيرة ، نعرض قول القمني في حكمه على بعض قراءات «إيمانويل فليكوفسكي» اليهودي للتوراة والتاريخ، يقول «يمكن لباحث مغرض أن يقرأه قراءة أخرى بأغراض بعينها، وفق أيديولوجيا خاصة، فينطق بأمور أبعد ما تكون عن الصدق والموضوعية العلمية وهو ما سنجد له نموذجاً مثالياً في الباب الثالث من هذا الكتاب»[1] الذي سماه «التضليل»[*] ويسمى بعض فروضاته «الفضائح»[2]

ويقول عنه «أي مهتم بالتاريخ الديني لمصر القديمة، سيعرف كم كان (فليكوفسكي) ملفقاً؟ وكم كان بارعا» [3]

وقال عنه ايضا «بأنه أبرع رجل علم، تمكن من استخدام أدوات البحث العلمي لإجراء أروع بل وأمتع عملية تزييف وتلفيق وتزوير في تاريخ العلم والعالم»[4]

وقال «للكاتب مقاصد غير أمينة، وانه قد عمد إلى الإسقاط والحذف لأن المحذوف كان ممكناً أن يتعارض مع فروض الكاتب وما يريد الوصول إليه، باختصار هي انتقائية وعدم أمانة واضحة»[5]

لكن المدهش في الأمر أن سيد القمني على الرغم من أنه نقد القومية الصهيونية التي كان فليكوفسكي يسعى لتدشينها بالدعم التاريخي!، إلا أنه تأثر بفليكوفسكي تأثراً عجيباً في أجزاء خطيرة من نظريته المهزوزة، فقد ألف فليكوفسكي كتاباً سماه «أوديب وإخناتون» فقال بأن أوديب هو إخناتون فأخذها القمني خبرة

(١-٢) كتاب القمنى : إسرائيل ... التوراة ... ص٢١٢ .

(*) أي سمى الباب الثالث الذى ينقد فيه تضليل فليكوفسكى بالتضليل .

(٣) المرجع السابق ص٢٥٣ . (٤) المرجع السابق ص٢٠٤ .

(٥) المرجع السابق ص٢٢٠ .

تاريخية لإعادة بناء التاريخ النبوي بالطريقة العلمانية العوراء التي لا ترى من العالم إلا ماديته فقال القمني (بإضافته المدهشة) إن إخناتون هو أوديب هو موسى شخص واحد في روايات ثلاثة والأصل هو إخناتون، أما موسى وأوديب فاقتباسات عن الأصل! وقد صنع لذلك عنوانا سماه «الثلاثة في واحد»[١] ومع أن القمني إستفاد إستفادة كبيرة جداً من خرافات سيجموند فرويد الذي زعم أن موسى مصري الولادة والجنس وانه كان أميراً وأنه خرج بأتباعه الذين يتكونون من المصريين والهكسوس والإسرائيليين من مصر مطرودون وليسوا مطاردين[*] إلا أنه خالفه في جزئية إخناتون ففرويد قال إن موسى المصري كان كاهناً من رجال إخناتون فقال القمني: إن موسى هو إخناتون نفسه وليس كاهنا عند إخناتون!

وهكذا استفاد القمني من فليكوفسكي فكرة (أوديب هو إخناتون) ومن فرويد مصرية موسى بالولادة والجنس لكنه نحيّ فكرة فرويد التي تقول بأن موسى عليه السلام من أتباع إخناتون وقال انه إخناتون نفسه وليس من اتباعه ثم جمع خلاصات فليكوفسكي وفرويد بعد أن عزل بعض العناصر المتعارضة مع خياله الخاص وبعد إدخال إضافات عجيبة كإضافة أن إخناتون هو (موسى قبل اقتباس التوراة وتعديلها للنسخة الأصلية) فكانت خلاصته وفرديته ونظريته هي: إخناتون هو أوديب هو موسى ، ثلاثة في واحد!. ومع أن فليكوفسكي وفرويد يهوديان وينتميان للفكر العلماني الأحادي النظرة إلا أن فليكوفسكي هاجم فرويد لكون فرويد قد زعم أن موسى لم يكن من بني اسرائيل بزعم أنه كان مصرياً من أتباع الفرعون إخناتون!

يقول أحمد عثمان ـ وسيأتي عرض أكاذيبه ـ «وكان إيمانويل فليكوفسكى أحد علماء النفس اليهود، الذي هاجر من روسيا إلى الولايات المتحدة هو الذي بدأ في

(١) النبي موسى وآخر أيام العمارنه جـ٣ ص٨٢٥ .

(*) يقول « رفض فرويد لقصة مطاردة المصريين للخارجين» جـ١ ص١٧٩ المرجع السابق .

سبعينيات القرن العشرين بمعارضة فرويد والهجوم على إخناتون، وكرّس فيلكوفسكي حياته في محاولة لإثبات خطأ ما ذهب إليه فرويد بخصوص الملك المصرى عن طريق إثبات سبق موسى لعصر إخناتون»[١] .

يقول القمني في ذلك «ولا ينسى فليكوفسكي أن يحط من قدر فرويد لتجرؤه(!) على شخص موسى وعلى شعب الله المختار وتبجيله إخناتون تبجيلا عظيماً، ليقول بالنص عن كتاب فرويد: هذا الكتاب ليس سوى إنقاص لقدر موسى والحط من شأنه، فقد حط فرويد من شأن موسى عندما أنكر أصالته وحرمه إياها، كما هاجم شعب اليهود عندما حرمهم زعيماً يقود جنسهم، إذ جعل موسى مصرياً... على حين يمجد مرتداً مصرياً[*] معتبراً إياه مؤسساً لدين عظيم الشأن. هذا بينما يرى فليكوفسكي وهو يقلب التاريخ رأساً على عقب(!) في بقية أعماله(!) أن موسى كان سابقاً على إخناتون بزمن طويل أما إخناتون نفسه فليس بمستحق لكل ما لاقاه من احترام، عندما ارتكب جريمته وهو يعلم ماذا يفعل»[٢]

وقد قدمنا في الهامش مدى توافق أفكار فليكوفسكي والقمني عن إخناتون وأفعاله!! والفرق أن فليكوفسكي يجعل اخناتون متقدما على موسى في الزمان أما

---

(١) مقال لأحمد عثمان بعنوان «إخناتون نبى مصر المزيّف» في مجلة الكتب ووجهات نظر، مارس ٢٠٠٢ العدد الثامن والثلاثون، السنة الرابعة ص٣٩ .

(*) قلت : أن القمنى قد حط اكثر من فرويد من موسى عليه السلام ونبوته بجعله إخناتونا معدلاً، مع علمه أن إخناتون تزوج أمه! وهو لا يبجل إخناتون كما بجلّه فرويد يقول عن إخناتون «إخناتون... ارتكب ما هو أبشع من القتل بإفناء أبيه نفسه بمحو اسمه من الآثار في قتل أبدى، ناهيك عن تعصبه الأعمى الذى ملك عليه عقله وقلبه ضد كل أديان مصر (!) وكهنتها، وانتهى بإغلاق جميع المعابد ومصادرة أموالها، وهو أمر لا شك - وإن لم يدونه لنا التاريخ أو فقدنا مدوناته - لم يتم بهدوء ودون عنف قد صحب تلك الحملة المخيفة على مأثور مصر التليد(!) الذي عاشت عليه طوال تاريخها» من النبي موسى وآخر أيام تل العمارنه جـ٣ ص٩٢٦ .

(٢) النبي موسى وآخر أيام تل العمارنه جـ٣ ص٨٢٣-٨٢٤ .

القمني فيجعلهما شخصاً واحداً (موسى بحسبانه إخناتون) فالزمن واحد!

وفي تعليق القمني على عبقرية فـرويد الفذة!، يمدح فليكوفسكي ، فيقول عن فرويد «ومع ذلك أبداً - رغم عبقريته الفذة - لم يربط بين الشخصيتين: أوديب، إخناتون. وهو الدرس الذي وعاه (!) فليكوفـسكي بقدرة عالية الجودة (!)»[1]

ولا أعرف كيف تكون القـدرة عالية الجودة تلك التي تقلب الـتاريخ رأساً على عقب .. وبلا أمانة!

فخيال فليكوفـسكي جمع إخـناتون وأوديب في شخص واحد، وخيال الباحث أحمـد عثمـان .. وسيأتـي التفصيـل - جمع بين موسى وإخـناتون في شخص واحد[*]، فجاء القـمني واستفاد من فليكوفـسكي وأحمد عثمـان فجعل إخناتون وأوديب أو موسى وإخناتون شخصياً واحد ثلاثياً :إخناتون/ أوديب/ موسى. إن ذلك - بتعـبير القمني - «صـار شيئا مـؤكداً»[2] مع انه ليس هناك من دليل على ذلك واحد يتيم عليه!

خيال سيد القمني وواقعة خروج مزيفة!

يخترع سيد القمني واقعة للخروج من مصـر مخالفة للأحداث الحقيقية لم يأت عليـها بأي سند تاريخـي أو أثري أو مادي ملمـوس أو مكتوب فـيقـول «حدث خلاف عقائدي عند جبل الله حوريب بسـيناء بين عبدة الأدون أو الـسيد أو الله ممثلاً في ثور الخصب[**] وبين عـبدته بإعـتباره الأدون أو الـسيد الأعـلى فوق جمـيع

---

(١) المرجع الـسابق جـ٣ ص٨٢٥ .

(*) يقول القـمني « هناك كشف آخر ينطلق من ذات فـكرة فرويد نجده عند أحـمد عثمـان وهو أن موسى بالجنس والميلاد مصـرياً، لكنه لا يربط بين أوديب وإخناتون، لكن بين موسى وإخناتون، ويومز لنا عن بعد أن موسى كان هو ذات شخص إخناتون بعد سقوطه عن عرشه» جـ٣ ص٨٢٥ .

(٢) المرجع الـسابق جـ٣ ص٨٣٠ .

(**) يقول « كـانت أهم تجليات الإله الـسيـناوى هي الـتجلى الخصبى ممثلاً في قضيب الذكـر / المشروم / البركان» جـ٣ ص٨٤٥ .

الأرباب وهو الانشقاق .. الذي أدى إلى معارك دموية بين فصائل الخارجين (!) انتهت إلى انقسامهم فرقا(!) منهم من اتجه نحو بلاد الحجاز ومنهم من اتجه نحو بلاد اليونان، ومنهم الذين إنتصروا في الصراع وفرضوا عقيدتهم وهم من استمروا نحو فلسطين، ومع أولئك الذين اتجهوا نحو اليونان، انتقلت قصة الفرعون المارق الذي تزوج أمه وسقط عن عرشه، لكن باسم أوديب، بينما نقل المتصرون ذات القصة إلى فلسطين لكن بطلها حمل اسماً آخر هو موسى»!!![1]

هذا هو الأساس الذي بنى عليه سيد القمني نظريته وأكاذيبه، وعلى امتداد (١١٦٢) صفحة، حاولت أن أجد أي سند مادي أو أثري على هذا الكذب فلم أجد إلا خيال القمني الخصيب الذي مليء صفحات الكتاب التي تجاوزت الألف صفحة! وكما ترى فهو من هذا المنطلق يبدأ بالزعم أن نفس قصة الفرعون المارق «إخناتون» الذي تزوج أمه وقتل أباه نقلها المتصرون «ذات القصة!» لكن بطلها حمل اسماً آخر هو موسى الوهمي! ويقول بأن ذلك حدث بعد مقتل اخناتون عند جبل الرب حور المقدس «إبان فتنة العجل الذهبي، وأنه بموته هناك انتهى إخناتون وانتهت ديانته الآتونية وبدأت قصة موسى الوهمي(!) التوراتي كمرحلة جديدة هي التي شكلت فيما بعد الديانة اليهودية»[2]

فهذا تصريح بأن قصة موسى وهمية وليس لها وجود حقيقي بصورتها التي في التوراة والقرآن وإنما هي اقتباس عن أصل مصري لإخناتون معلوم الشأن، أي أن موسى يمكن اعتباره (إخناتون) إذا نظرنا إلى مصدر الاقتباس أي أن موسى العبراني النبي الرسول ليس له وجود فى التاريخ بزعم القمني وتلفيقاته واضطرابات عقله الهائجة علمانياً!

كذلك فالذين خرجوا مع موسى لم يكونوا (بني إسرائيل) خُلَّص وإنما كانوا خليطاً من المجرمين! يقول «لقد خرج موسى التوراتي/ أوديب اليوناني/ إخناتون

---

(١) المرجع السابق جـ٣ ص٨٣٠ .
(٢) المرجع السابق جـ٣ ص٩٣٩ .

المصـري(!) برجاله من مـصريين واسـرائيليين وأصحـاب الهجـمة الهكـسوسـية الثـانيـة(!) المهـزومين من مـخـرج المجـرمين العـبيـد (!) الفـارين مطرودين لا مطاردين»[1]

فمع زعمه أن (مـوسى التوراتي وهمي) ومع زعمه أنه خرج مع فِـرق مختلفة عقـائدياً وعرقـياً مطروداً لا مطارداً كمـا ورد في القرآن إلا أنه عندمـا يتكلم عن موسى النبي يتكلم بصورة الذي يعرف موسى فعـلاً ولكن بإضافة أكاذيب مدهشة قلّد فيها فرويد وغيره يقول «ولا نظننا نجانـب الصواب في افتراض أن موسى أبداً لم يصل إلى جبل (نبو) شرقي الأردن مباشـرة مقابل أريحا ليموت هناك إنما مات تحديداً (!) فوق جبل يقع شمالي جبل كاترين مباشرة وأن ذلك كان السبب في أن ذلك الجبل قـد حمل من يومها اسـم جبل موسى وأن قاتله كـان يشوع[*] تلميذه المخلص تحديداً (!) وعند تلك اللحظة المفـصلية تتغير أمـور كثيرة كانت سـبباً في كثـير من الالتباسات التي أدت إلى كثـير من الألغاز التي استغـرقت عمرنا ونحن نحاول فك طلاسمها»!![2]

وفي الحقيقة فإن ما استغرق عمره هو السعي في تلفيق النظريات بربط ما لا صلة بينه إطلاقا فهـو وأصحاب النظريات الخرافيـة الضعيفة يحاولون وضع أصل مـشترك لقـصص لا رابط بينها، وحكايات لا مـشتـرك بينها. وإن كـان بعض نقاد الكـتاب المقدس قد نجحوا في الوصول إلى أصل مشتـرك بين بعض الخرافات الدينية - كتأليه المسيح والفداء والخلاص والقيامة من بين الأموات - وبين أساطير الحضارات القديمة.

لقد فتح ذلك شهيتهم الملـوثة بالجراثيم المادية والقاتلة للروح الإنسانية بهدم كل

---

(١) المرجع السـابق جـ٣ ص١٠٦٦ .

(*) كيف يقـتل نبى رسـولاً يا دكتور ام ان تلفـيقاتك اعمتك عـن رؤية الحقائق ام أنك تعرف كـيف تفـبرك الأكاذيب فيما تهدم النبـوة وتقصف بالأنبياء ؟؟

(٢) المرجع السـابق جـ٣ ص٩٢٢ وانظرص٩٣٠-٩٣١ .

ما يتعلق بالإيمان والدين والغيب والوحي فظهرت سخافاتهم المادية وأحقادهم الأسطورية واختلافاتهم المنهجية العميقة القاصرة، وعوراتهم الفكرية السافرة وتلفيقاتهم الخائبة الخائنة، ونظرياتهم القبيحة الهازلة!، وإلا فقل لي بالله عليك كيف يمكن الربط بين فرعون خائن، زنى أبوه بابنته، وزنت أمه به، واستبدل ديناً وثنياً بدين وثني آخر، أتباعه من الوثنيين الجدد، حكم مصر فترة من الزمان ثم طُرد منها مع جماعته المختلة العقل والعقيدة، وأصابه العمى في آخر عمره بعد أن قتل أباه! كيف يمكن الربط بين هذا العابد لقرص الشمس، والذي تمثله الرسوم المصرية عارياً مع أمه التي هي أيضاً عارية إلا من ثوب شفاف يكشف مفاتنها، مع موسى النبي العابد لله، الذي أرسله الله لتحقير الأوثان والآلهة البشرية الزائفة لفرعون وأمثاله، والذي خرج من مصر مطارداً هو وبني إسرائيل الذين أُمر بإخراجهم من مصر. أي مشترك بين القصتين وأي نسخ قامت به التوارة؟ أم أن الأمر إنما هو في استخدام كل أساليب المكر والخداع لتلويث شرف الأنبياء والنبوة وهدم الدين ونبذ الوحي والإستغراق في متاع الدنيا الهش.. وإلا فليقل لنا هؤلاء العلمانيون هل يستوي موسى الذي جاء معلناً الحرب على الفراعنة ورموزهم مع اخناتون الفرعون المرسوم عارياً الذي يحتفل بزواجه بأمه - كما وصفه القمني نفسه! - بعد قتله أبيه الفرعون المضاجع لابنته وسيأتي ذلك عن كلام القمني نفسه!؟

لقد زعم السيد القمني أن نبوءة قتل طفل نبيل لأبيه الفرعون واستيلائه على السلطة وتزوجه لأمه إنما هي قصة إخناتون/ موسى التي استبعدتها التوراة كاملاً وحملها القرآن بعد أن كانت منتشرة شفاهيا في الجزيرة العربية بعد إنتقالها إليها!

يقول أن «محرري التوراة قد استبعدوا قصة النبوءة بكاملها (!)، لأنها كانت تعني إبراز وإيضاح مصرية موسى بالميلاد والجنس»[1] وهو قول ليس عليه دليل واحد اللهم إلا العجز الذي ينتهي إليه هؤلاء الباحثون الذين يحاولون بكل طريق

(١) النبي موسى..... جـ٣ ص٨٦٠ .

إيجاد أصول مشتركة بين ما أسموه الملاحم. وعندما تفلت الأدلة المطلوبة من بين أيديهم يذهبون يطلقون الكلام على هواهنه بلاجامح، وينطلقون مسرفين في الكذب والبهتان وبدل من الاعتراف بالفشل في إيجاد رابط بين قصة النبي وقصة الخائن تجرهم أحقادهم العلمانية إلى الإتهامات السهلة والصفحات المكتوبة المليئة بعطب النظريات، وعفن الأفكار، وغثاء الاستنتاجات.

فعندما لايجد القمني رائحة (مُشْتَرَك ما) بين القصص التى يحاول المقارنة بينها يذهب إلى الإتهام والشتائم والشنآن والهوى البغيض معرضاً عن الموضوعية التي يتشدق بها وعن العلم الذي يأبى هذه الأساليب الإلتفافية التي تنضح بالخداع وتمتليء بالكذب والضلال البعيد.

ولذلك تجد أخي القاريء كثرة هذه الاختلافات التي تظهر بين أصحاب هذه النظريات العلمانية الخطرة التي تدمر كل شيء وتحطم المقدس والنبوة وتتهم التوراة والقرآن بما هما بريئان منه ومن سخافات الماديين أجمعين.

القمني يقدح في القرآن الكريم:

فبعد أن دمر سيد القمني الحقائق التاريخية عن موسى عليه السلام وتاريخه ونبوته وتوحيده الخالص ونسبه الطاهر، وأمه وأباه ذهب يقدح في القرآن الكريم باعتباره دَوَّنَ ما أغفلته التوراة وأخفته مما كان متوارثاً شفاهياً - بزعمه! - ومنتشراً على الألسنة من نبوءة القاتل لأبيه والمتزوج لأمه!!!

يقول «مايبدو هو أن محرري التوراة قد استبعدوا قصة النبوءة بكاملها لأنها كانت تعني إبراز شخصية موسى بالميلاد والنبوة، لأن النبوءة تستبعد الطفل الملكي لخطره على أبيه(!) وقتله وإستيلائه على عرشه حسبما قالت، لكن هذه النبوءة لن يكون لها أي معنى مع أسرة حقيرة(!) غريبة مستبعدة في مصر، لكن الأصل

الحقيقي للقصة كان يحوي لاشك قصة النبوءة التي ظهرت في النسخة اليونانية (أوديب) كما ظل أصلاً فيما تواتر شفاهة وميراثاً غير مكتوب حتى وجد طريقه للتدوين بالقرآن الكريم بعد ذلك بأزمان، ليبرز قصة النبوة ويؤكدها»(!)

ياله من كذاب ومفتر، فالقرآن لم يؤكد أي نبوءة من هذا النوع، فليس في القرآن إشارة إلى شخصية مصري بالجنس والولادة والبنوة سيقتل أبيه ويتزوج أمه وذلك بعد رجوعه من منفاه وتدشين المؤامرة[*] إن مقصد د. سيد القمني هو أن القرآن دوّن الأسطورة المكتوبة بزعمه في التوراة والتي زعم أنها نفت عناصر القصة الأصلية لصاحبها اخناتون ونسبت القصة لموسى مع تعديل وتحوير، كما أنه دوّن بقيتها الشفهية التي أخفتها التوراة بزعمه لأنها كانت ستكشف الأصل المصري لأعظم أنبيائها. وهو إتهام خطير ليس عليه دليل. فالأسرة المُتَبنِية لطفل الأسطورة ثرية وفرعونية وتمتلك عرش مصر كما في القصة المصرية أما قصة موسى فالأسرة فقيرة عبرانية مؤمنة بالله وحده لاتملك حتى حريتها! لكن القمني يقول لك لا تنظر إلى عدم المطابقة هنا لأن الإخفاء كان كلي وتام (من أخبره بهذا!!) مع أنه لا يملك أي دليل على افتراءه هذا.

والزعم بأن القرآن دوّن ما كان يتناقل على الألسنة من الأسطورة البشعة وجعلها قرآنا يتلى كذب وإفتراء عظيم.

فالقرآن عرض قصة الصراع بين موسى عليه السلام رسول الله إلى بني إسرائيل وبين فرعون وقومه ولم يدون روايات أسطورية مكتوبة أو شفهية مقتبسة عن أي أصل

(*) التوراة كالقرآن تثبت نبوة مختلفة تماماً، الا وهي ان طفلاً عبرانياً او من بنى إسرائيل سيتسبب في هلاك فرعون وفي التوراة الحالية أمر ملك مصر ان يقتل كل مولود ذكر من بنى إسرائيل في الأصحاح الأول من سفر الخروج، اما القرآن فيقول ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝٧ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾[القصص:٧-٨]

أسطوري. وكذلك قصة موسى عليه السلام بوصفه نبياً ورسولاً في التوراة فهي لم تخف مقاطع من قصة إخناتون التي زعم القمني أنها اقتبست منها الكثير ونسبته لشخصية عبرية هي موسى عليه السلام.

يسير الدكتور القمني على هذه الوتيرة العرجاء في الاستدلال في فقده الخائب لخيط المطابقة المزورة، فهو يرى أن التوراة أصرت على التأكيد على تمتع موسى ببصره حتى نهاية حياته ما يؤكد بزعمه على أنها أيضاً أخفت المقطع من قصة إخناتون / أوديب وهو العمى الذي أصابهما في نهاية حياتهما!!

يقول «قامت التوراة تصر على نفيه، لنفي أي إشارات يمكن أن يكشف الأصل المصري لأعظم أنبيائها»[1]

فالتوراة عند القمني فيما يخص موسى إما أن تصوغ الأصل بقدر من الاختلاف وإما أن تخفي مقاطع معينة خشية إنكشاف الاقتباس وإما أن تقوم بعكس ما ورد فيها ففيما اخناتون عمى في آخر حياته فإن موسى كان قوي البصر شديد النظر!!

بهذه الاستنتاجات السخيفة يحاول القمني أن يُدَشّن نظرية المطابقة وعن موسى/ اخناتون/ أوديب. ومعلوم أن لا التاريخ ولا الرويات الحقيقية تسعفه، ولا العقل والمنطق يؤكد ذلك ويبرهنه ، ولا الموضوعية تذهب إليه وتُمنهجه، وإلا لصارت كل القصص المولودة على الأرض مقتبسة مع تحويرات وإخفاءات ونفي لمقاطع وفي هذه الحالة تصير الشخوص واحدة ويصير الفرعون نبياً والإنسان حيواناً والملك إلهاً والمرأة رجلاً والقرد وثنا والعفة عُهراً وسيد القمني نبياً والعشماوي مصلحاً وهادياً!!!

وكما زعم أن التوراة استبدلت اسم إخناتون بموسى، زعم أيضاً أن أوديب أصبح بديلاً عن إخناتون **«حملت القصة أسماء يونانية وأصبح بطلها هو أوديب**

---

(١) المرجع السابق جـ٣ ص٩٠٤-٩٠٥ .

بديلاً للاسم المصري إخناتون»[١]

والقرآن وقع في الفخ فدّون ماهو رائج ومنتشر ومكتوب بلا أدنى نظر أو علم مستقل. **هذا هو زعم القمني وكل الباحثين العلمانيين الذين يدرسون التاريخ النبوي والبشري!، وهو ما يعني أن القرآن إفراز بيئوي تاريخي اجتماعي سياسي اقتصادي وهكذا!!! والتوراة باحتوائها على قصة موسى وإثباتها لنبوته وتأكيدها** لرسالته ولولادته لأم وأب من بني إسرائيل إنما هي تؤكد بنفسها أن لا دين ولا وحي في الحقيقة إنما هي كتابات محررين ملتوين من كهنة بني إسرائيل الذين سرقوا قصة إخناتون ونسبوها لموسى مع تلفيقات وحذف ونفي واقتباس! **يقول «أما التوراة فقد صاغت قصتها بقدر من الاختلاف (!) لكن مع الاحتفاظ بالعنصر التأسيسي وهي فكرة استبعاد بطل الملحمة ونشأته في بلاد غير بلاده، ومرباه في قصر ملكي ثم عودته إلى أهله بعد ذلك كما عاد كل من أوديب وإخناتون»[٢]**

وعندما لا يجد القمني توافقا يقول بأن التوراة ومن ثم القرآن إما أنها غيّرت سياق القصة الأصلية لمصلحة إتجاهها وإما أن تعطيها ترميزاً يبقي على الأصل لكنه يتبدل نوعيا (وهذه الأخيرة رمى القرآن بها !).

«لتتم عناصر الأسطورة يعود موسى إلى أهله الوضعاء ليخرج بهم من مصر في أكبر حدث ديني في المنطقة قيد التدوين»[٣] وذلك بدلاً من أهله النبلاء الذين كانوا يحكمون مصر، وبدلاً من أن يقتل أباه ويتزوج أمه ويغلق معابد أبيه ثم يحدث الانقلاب عليه فيخرج من مصر مطروداً منبوذاً!

إن القمني مازال يُؤكد على أن القرآن احتفظ بعناصر الأسطورة التوراتية - بزعمه الخائب! - وفيما يخص نبوءة قتل إخناتون لأبيه وتزوجه من أمه فيزعم القمني أن القرآن عن طريق الرواية الشفهية الغير مكتوبة دوّن قصة النبوءة مع

(١-٢) المرجع السابق جـ٣ ص٨٣٤ .

(٣) المرجع السابق جـ٣ ص٨٥٨ .

يقول «قصة النبوءة وصلت جزيرة العرب لتدون في القرآن (!) رغم أنها استبعدت من التدوين في التوراة»[1]!! وهو ما يعني أن القرآن دون العناصر الأسطورية المكتوبة في التوراة لقصة موسى التوراتية كما أنه دون العناصر الأسطورية الأخرى التي كانت تتناقل على الألسنة (شفاهيا) مع بعض التعديل المناسب!

يقول «إن الأمر فقط يمكن أن يكون متسقاً(!) إذا احتسبنا ذلك ترميزاً للقصة الأصلية ظل محافظا على وجوده في القصة المعدّلة المزورة والمحرفة، ترميزاً واضحاً إلى أن موسى كان ولي عهد مصر فعلا بحسبانه إخناتون ... هذا الطفل هو ابن فرعون بالميلاد والجنس»[2]

فقصة موسى في القرآن بعناصرها كلها هي مزورة مُحرَّفة مُعدَّلة بزعم الدكتور سيد القمني الذي لم يأت إلى الآن بدليل واحد على إثبات أكاذيبه وأضاليله![*]

لقد زعم العشماوي مثله أن موسى هو ابن بنت الفرعون وهو فرعون آخر غير فرعون سيد القمني أما القمني فإنه يجعل موسى/ إخناتون ابن الفرعون وليس ابن إبنته!، وإتفق القمني والعشماوي على أنه كان أميراً مصرياً لكن القمني زعم أنه

---

(١) المرجع السابق جـ٣ ص٨٦٠ . (٢) المرجع السابق جـ٣ ص٨٦٢ .

(*) كذلك زعم القمنى أن القرآن هو خلاصة تطورات عقلية وتاريخية واقتصادية في عالم الإنسان خصوصاً في تطورات التاريخ والفكر اليهودى فالشيطان والملائكة والتوحيد وغير ذلك إنما هو نتيجة لتطورات وارتقاءات عقلية وصلت إليها مراحل العقل التطورية وكمثال، فالشيطان أو إبليس بزعم القمنى، في العقائد القديمة كان إلهاً للبشر يحول مع التطور العقلى إلى ملاك عاص أو جنى وذلك « إنما يعود إلى نزوع العقل البشرى خلال القرون نحو التوحيد، ونعتقد أنه كان لليهود دور لا يعقل في ذلك، إبان الأسر البابلى » كيف :«تحويل اليهود الآلهة القديمة إلى ملائكة» انظر الأسطورة والتراث للقمنى وص٧٣-٩١ ،مقدمة هذا الكتاب «الأسطورة والتراث» ترمى عقائد الإسلام بأن لها صلة بعقائد الحضارات القديمة والتطورات التي طرأت عليها !!! ص٥٠-٥٧ .

قتل أباه الفرعون وتزوج أمه أما العشماوي فقال بأنه لم يقتل أباه ولم يقتله أتباعه فيما بعد - كما زعم القمني - ولكن اشترك مع جده الفرعون في الاحتيال على بني اسرائيل وإخراجهم من مصر. والعشماوي يجعل موسى بعد إخناتون بخلاف القمني الذي يقول: هو هو!!... موسى بحسبانه إخناتون!!! وطبعا على القاريء أن يقارن بنفسه هذه النظريات الخربة ويُمرِّن عقله على السخرية من هؤلاء الكذابين الذين يتناقضون في الروايات التي اخترعوها هم، ولم يأت أحدٌ منهم بأي دليل صغير يساند عقولهم الخيالية الضعيفة!

فيجعلون أساطيرهم هي الأصل مع تناقضها الشديد والقصة الأصلية لموسى هي الاقتباس المزور!! (ولم يخرج أحدهم بخياله ليقول بأن قصة موسى هي الأصل!!!) حتى يقول القمني متجرءاً «الأمر لم يكن مجرد أسطورة إنما كان تسجيلا بالأسلوب الأسطوري لأحداث وقعت بالفعل»[1]!

وهو ما يعني أن القرآن والتوراة سجلا بالأسلوب الأسطوري أحداثاً وقعت بالفعل مع تحويل البطل اسماً ونسباً وجنساً إلى صورة أخرى مغايرة للنسب والحسب والولادة الحقيقية للأصل المصري إخناتون الذي تزوج أمه وقتل أباه!

كما يعني أيضاً أن القرآن والتوراة غيَّرا ديانة البطل الأصلي!، وشريعته إلى بطل آخر وديانة أخرى وشريعة مغايرة!!

فالوجود التاريخي الحقيقي إنما هو للأصل الذي عاش في الواقع التاريخي أما موسى أو أوديب فهما شخوص لم توجد في الحياة إلا بقدر ما اقتُبس لها من الوجود الحقيقي للأصل الإخناتوني!!

هذه هي مقاربة سيد القمني وكشفه الذي يدعو القاريء إلى الاستمتاع به!

ومع أنه لم يأت بدليل يتيم على مقاربته الخائبة ومطابقته المزورة إلا أنه يقول بكل

---

(١) المرجع السابق جـ٣ ص٨٥٨ .

ثقة وأدب! «فإن الاستعانة بعمليات القياس والنقد والمقارنة بين النصوص (أية مقارنة يادكتور!!) المتعددة إزاء الحدث الواحد والتحليل ومحاكمة الوثائق على سياقها الداخلي والسياق التاريخي، يمكن الوصول بالمسألة إلى الوجه الأقرب إلى صدق ما حدث فعلاً»!![1]

صدقك الدكتور وهو كذوب!، لكنه لم يقم بشيء من ذلك كدليل على تحليله العلمي والروح التحليلية الرصينة. إن ما فعله هو لخبطة بين وقائع أو أحداث لا رابط حقيقي بينها وهو يتعسف في الوصول إلى مقارنة ومقاربة حقيقية ودليل عمى إخناتون/ أوديب - دليل المطابقة - والمفقود عند موسى يدلك على التمحل والابتكار الماكر والتحايل السافر!

لقد أخذ الرجل من فرويد ومن فليكوفسكي وكثيرين آخرين ذكر مراجعهم في كل كتبه أخذ منهم افتراءاتهم وليس من وقائع أو قياس أو تنقيبات فالقياس ليس على نصوص حقيقية وإنما اقتباس من النظريات المتعارضة واختراع أسطورة خاصة لها متعة ذاتية عند كاتبها وهو في حالتنا هنا السيد القمني الذي يحاول أن يظهر في الأمة أنه يخوض معركتها ضد القومية الصهيونية فيما يروج خططها التدميرية لتاريخ الأمة ومقدساتها والوحي الذي أنزل على الأنبياء والمرسلين.

إنه يقرأ قراءاتهم وقد يُعدِّل نظرياتهم ليبدو موضوعياً، صاحب روح علمية رصينة كما في قوله «وبناء على قراءته لما حدث، يرى سيجموند فرويد أن ما جرى لموسى بالفعل (!) في حقل أحداث التاريخ يسير على قوانين الأسطورة النمطية لكن محرري التوراة هم من قلب الأوضاع (!) وعكسوها تماما، ليجعلوا من هذا المصري(!) الذي أسس لهم في التاريخ عقيدة وقومية / إسرائيلياً بالميلاد والعنصر استبعاداً لتلك السبة التاريخية العظمى/ فقاموا بعكس حقائق الواقع

(١) إسرائيل ... التوراة ... التاريخ ... التضليل ص٨٩.

الفعلي ليؤكدوا إسرائيليته وليستبعدوا تماماً مصريته(!) وهكذا كان موسى من أصل ملكي وأبوه ملك وأبوه من أقارب أمه الأدنين وهو بذلك يطابق قصة اخناتون مطابقة كاملة(!). من حيث التطابق مع العناصر الملحمية... بل ونزعم أن قصته بهذا الفهم تطابق جميع العناصر الملحمية التأسيسية(١)!!!

وقد قدمنا أنه ليس هناك أي تطابق فموسى من أسرة متواضعة من بني إسرائيل الذين كانوا يعيشون في مصر في ظل حكومة فرعونية مستبدة، أما إخناتون فكان أميراً ثم أصبح فرعونا وحاكماً عاماً للبلاد فيما بعد، بعد قتله لأبيه الفرعون فأي تطابق هنا؟!(*)

وفي قصة اخناتون زنا ودعاره وإباحية أم وأب وابن وثقافة مديانية شاذة أما في قصة موسى فعفة ورحمة أم، أوحى الله إليها لمكانته عنده وقد اصطفى ابنها رسولاً، فأين هذا من ذاك؟! وأين الزنا والدعارة من العفة والطهارة؟!! وفي قصة اخناتون عمى مشاوم وفي قصة موسى نضارة وجه نبي وقوة بصر وبصيرة فهل تستوي الظلمات الحالكة مع الأنوار الزاهية؟

مالكم كيف تحكمون أيها العلمانيون .. لماذا ديدنكم الكذب والافتراء والخداع أبهذا تحاربون العدو، وتنورون الشعوب وتبدعون وتتقدمون! تَبّاً لكم ولعقولكم الصبيانيه التي تسوقها شبهات قاصرة لفرويد وفليوكوفسكي وداروين وماركس

---

(١) النبي موسى وآخر أيام .... جـ٣ ص٨٥٨، ٨٥٩ .

(*) إن المطابقة الصحيحة لا تكون بين أم فرعون غنى وأم نبى فقير خصوصاً إذا كانت الأم الفرعونية تزوجت ابنها المترف والأم الفقيرة، قدمت ابنها لله في ثقة تامة وعبودية مدهشة، بيد أن المرء يمكنه ان يطابق - وهي غير مطابقاتهم!! - بين امهات ثلاثة من أولى العزم من الرسل وهي أم عيسى وأم موسى وأم محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فقد كنّ فقيرات عفيفات طاهرات، يقول محمد الغزالى « إن من الغرائب المثيرة أن يكون ثلاثة من أولى العزم قد كفلتهم نساء ضعيفات، وأن يرعى كبار الأنبياء في طفولتهم نساء مجردات من القوى المادية، معتمدات على رب السماء» نحو تفسير موضوعى لسور القرآن الكريم إنها مطابقة في الخلق والعفة والفقر تظهر لك بينات الأنبياء وطهارة الأمهات، جـ١ ص٣٤-٣٥ .

وهيجل ونيتشه وأهل الضلال والإلحاد والشرك! إن القمني يقارن بين موسى وإخناتون وأوديب ثم يخرج علينا بأن الثلاثة واحدا! وقد فعل النصارى ذلك مع الله والروح القدس والمسيح، الثلاثة واحد! والقمني يجعل الأم الزانية هي الأم الطاهرة أو بالأحرى الطاهرة تحوير للعاهرة! فهل يعقل هذا؟! كيف يتطابقان؟! القمني يقول لا تطابق هنا ولكن التوراة أخفت القصة الأصلية للأم الزانية فحورتها لتصبح أماً طاهرة! فعنده «الملكة (تي) أم إخناتون زوجة آمنحتب الثالث» هي أم موسى قبل التعديل! يقول «وهكذا فإن يوكابد زوجة فرعون، وهما أبوي موسى، بينهما قرابة واضحة يفصح عنها المحرر التوراتي فيقول: وأخذ عمران يوكابد عمته زوجة له فولدت له هارون وموسى (خروج ١٦/ ١٠) ويلفت نظرنا هذا الاسم يوكابد أو (يوكابت)، الذي يلتقي بشدة (!) مع اسم بنت الملك الميتاني (جيلوخيبا) أو (يلوخيبات) أو (يلوكيبا) التي اقترضناها هي ذات الملكة (تي) أم إخناتون زوجة آمنحتب الثالث، وتتسق عناصر أطروحتنا وتتماسك (!) عندما نجد إسم (يوكابد) يلتقي أيضا بتطابق واضح مع اسم أم أوديب في الملحمة اليونانية (يوكاستا)!!... مما يعني أن محرري قصتي موسى وأوديب قد حافظوا(!) بعض المحافظة على الأسماء الأصلية لأبطال القصة»[١]

ليس السيد القمني هو الذي يلعب لعبة تلفيق الاسماء وجعلها تؤدي إلى أغراضه الأسطورية!، لقد فعل ذلك كل الباحثين العلمانيين وبصورة مضحكة وسخيفة وليست من العلم في شئ. فعل ذلك العشماوي وكمال صليبي وزياد مني وأحمد عثمان وفرويد وغيرهم ومع ذلك فنظرياتهم متعارضه، كل منهم يخرج على التاريخ بآباء لموسى غير الأب الأصلي ولأمهات - معظمهن زانيات! - غير الأم الأصلية، وحتى لأكثر من موسى يختلف عن النبي موسى عليه السلام!

إن القمني يخدعنا بمقارنات ساذجة لا تنطلي على طفل من أطفال المسلمين

---

(١) المرجع السابق جـ٣ ص٨٦٢-٨٦٣ .

فكيف بالصالحين من الرجال والعفيفات الحكيمات من المسلمات وغير المسلمات!!
وليخبرنا القمني أين هو الاسم (تي) من (يوكابد) - مع أن القرآن لم يذكر هذا الاسم لكن لنمضي معه إلى نهاية الطريق! - أو حتى اسم (جيلوخيبا) أو (يلوخيات) أو (يلوكيا) وأين يوكابد من (يوكاستا) العاهرة!

حقاً إن الأمر كما قال الشيخ محمد الغزالي رحمه الله إن هؤلاء يقومون بالهجوم الثقافي الحقير الذي يتسلل خفية إلى السرائر والعقول وهو مليئ بالدس والختل لتدمير العقائد وإهالة التراب على معالم الإسلام كلها[1]

إن القمني لا يستطيع أن يحصل على أي تطابق بين ملك زان ونبي شريف أو أم كريمة وأم خبيثة أو أب مؤمن وفرعون جاحد، وأين هي المطابقة إذن بين آمنحتب الثالث وبين والد موسى عليه السلام أو اسم أم موسى التي لم يخبرنا القرآن عنه وبين أسماء عاهرات في التاريخ المصري واليوناني القديمين!
هذا كله في كفة، وما استنتجه سيد القمني من اسم موسى في كفة أخرى!

فأنت أخي القارىء تعلم أن القصة المصرية عن الملك الذي قتل أباه واستحوذ على أمه!! ، لا تنطبق على موسى عليه السلام كما أنه ليس هناك أي اقتباس توراتي عن قصة ذلك الذي قتل أباه وتزوج أمه! لكن الدكتور سيد القمني يستنتج قصة هذا الملك الزاني والخائن والقاتل من إسم موسى عليه السلام ليثبت التطابق المدهش!!!
يقول «والغني عن البيان (!) هنا أن اسم موسى يتركب من شقين أو ملصقين هما (مو = ماء + سا = ابن) = موسى = ابن الماء ، وهو اللقب الذي أطلقته الأميرة الفرعونية على موسى(!) عندما عثرت عليه وصفا لحاله حسب الأسطورة التوراتية، وابن الماء هو لقب فرس النهر الذي قتل أباه وتزوج أمه(!) وبعد سنوات طويلة من التطور الارتقائي الطويل(*) (!) كتب المحرر التوراتي مُعبِّراً عن انشغال

(١) انظر قذائف الحق للغزالي ص٩ .
(*) تبدو رائحة المذهب الداروبني والمذهب الفرويدي والماركسي ترف فوق كلماته !!!

بال يقف وراء ما كتب (!) «وعورة أمك لاتكشف (لاويين ١٨/ ٧) وبقى فرس النهر في ذاكرة المصريين رمزاً للفسق الأعظم وعدواً»[١]

فيوكابد هي تحوير للملكة التي تزوجت ابنها وهي (تي) ! واسم موسى يدل على تاريخ سيء، تاريخ قتل الأب والاستحواذ على الأم!، لكن نتيجة للتطور الارتقائي في الدين والأخلاق والمجتمع استطاع محرر التوراة - بزعم القمني - أن يُغير الحقائق عن موسى وأمه!!! أما والد إخناتون ووالد أوديب فيقول عنهما «لقد حلت اللعنة على بيت لايوست اليوناني (والد أوديب) لأنه أول من أدخل اللواط إلى طيبة بحالة العشق التي مارسها بصحبة الصبي خريسبوس، وقد تم تصوير آمنحتب الثالث في اللوحات المصرية في ملابس نسائية، وكانت الحالة الوحيدة الأولى والأخيرة في تاريخ مصر الذي يظهر فيه الفرعون بملابس نسائية»[٢] والد اخناتون/ موسى بملابس نسائية!!! ومحاولة من سيد القمني توسيخ - آسف لاستعمال هذا اللفظ! - صورة بيت موسى عليه السلام يقول: «وإذا كان (لايوس) هو النسخة اليونانية لآمنحتب الثالث المصري فإنه بحذف التصريف الأسمى تصبح لايوس هو (لايو) البيت الذي أنجب أوديب، لكن المبهر حقا (!) حسب التوراة أن بيت السبط (لاوي) كان هو البيت الذي أنجب موسى؟!»!!![٣] لاحظ تلاعبه بالأسماء وخلطه للبيوت!! ومحاولة من د. سيد القمني تضفير نسيج المطابقة المزعومة أو تنفيذ مخطط مخرِّب الأديان، اليهودي فرويد صاحب القول بأن التوراة قلبت حقائق الواقع الفعلي فجعلت من الفرعون نبيا ورسولاً، محاولة من سيد القمني إيجاد التطابق بين قصة إخناتون وقصة موسى فإن لم يجد

---

(١) المرجع السابق جـ٣ ص٨٧١ .

(٢) المرجع السابق جـ٣ ص٨٦٣ فهل هذا هو التطابق يا فيلولكي اليهودي ويا تلميذه أيها الدكتور المصري؟!!

(٣) المرجع السابق جـ٣ ص٨٦٤ .

فبتخريب الحقائق وتشويه النبوة في وحل المقارنات المفتعلة، محاولة منه لتحقيق ذلك ذهب إلى التاريخ اليهودي ليجد منه صورة عن زنى إخناتون بأمه فلم يجد، فقام بالتلاعب التالي «لكن الإعتراض البدهي هنا هو المعلوم أن موسى في التوراة قد تزوج من صفورة بنت كاهن مديان (يثرون/ رعوئيل) أو رع إيل - رع إله) وليس أمه يوكاب. ومن جهة أخرى نعلم أن التوراة لم يكن لديها ملامة في زواج المحارم (بمنطق اليوم) فالبطريك إبراهيم تزوج شقيقته سارة(!) وعمران تزوج عمته (أو خالته) يوكابد، وكان بالإمكان التجاوز إلى بقية المحارم لكن التطور اللاحق منع من تسجيل الزيجة الأهم والصارخة(*) فقد عمد المحرر بعد تطور العلاقات الاجتماعية(**) إلى إخفاء هذه الحقيقة المروعة، لكن لتختلط الأحداث بين يديه وتلتبس فتفلت الحقيقة من بين السطور ، في حكاية فضيحة. والحكاية في حديث التوراة عن زواج موسى من صفورة بنت (يثرون) في سيناء، وكيف انه لم يكن مختونا بعد. ومعلوم أن موسى قد هرب إلى مديان يافعا بعد قتله المصري ظلما، وهو الترميز التوراتي لقتله أباه بمحو اسمه(!) كما يرمز الهرب إلى مديان قصة إستبعاد اخناتون طفلا إلى هناك»[1] فهو يجعل حقائق التوراة والقرآن وهي هروب موسى بعد قتله المصري إلى مديان أنها ترمز إلى قتله أباه بمحو اسمه وأنه استبعد طفلا إلى مديان وليس هروب مزعوم في الكبر!

والقمني دائما ما يفتعل هذه التفسيرات إذا لم يجد المطابقة المرصودة بين

(*) ويسميها في وضع آخر «المضاجعة المحرمة» و«فضيحة في القصر» جـ٣ ص٧٩٩-٨٠٤ ويقول ص ٨٠٠ «كانت العلاقة الجنسية بين الأم والابن أمرا بغيضا في مصر والعالم القديم والمجتمع البدائي والحديث على السواء ... وهى الحالة التي تشبه حالة إخناتون وأمه (تي) من وجهة نظر فليوفسكي [أقلت سياتى تبنى القمنى لهذه النظرة أيضا!] فقد كان يعرف أنها أمه وتعرف أنه ولدها وأن العلاقة كانت علنية، فجعل أمه شريكته على العرش والفراش والحب منها بكتاتن، وربما بدأت العلاقة سرية ثم انقشعت تلك السرية بسرعة»

(**) هذا هو التفسير المادى للتاريخ !!!

(١) المرجع السابق جـ٣ ص٨٦٤-٨٦٥ .

القصتين! وهو يجعل من نص توراتي موجود في الأسفار الحالية ليهود سنداً لنظريته لتشكيلها كما يريد فيدعي أن زوجة موسى هي أمه!

والنص في سفر الخروج هكذا «وحدث في الطريق إلى المنزل أن الرب التقاه وطلب أن يقتله، فأخذت صفورة (زوجة موسى المديانية / تعليق القمني) صوانه وقطعت غرلة ابنها ومست رجليه، فقالت: إنك عريس دم لي فانفك عنه، حينئذ قالت: عريس دم لي من أجل الختان» خروج/ ٤/ ٢٤-٢٦(*)

يعلق د. سيد القمني على هذا النص بقوله: «ونعود للنص الخطير عن ختان صفورة لموسى بالصوان، نجد النص يقول إن موسى يفع وكبر وتجاوز السن الشرعية للختان ولم يختتن ، فأخذت زوجته صفورة بنت رعوئيل/ يثرون/ سكينا مصنوعاً من الصوان وقطعت به قلفه أو غزله أي غلفة قضيب موسى. لكن المبهم أن موسى هنا يوصف بأنه ابن صفورة التي هي زوجته(**) وقبل علمنا هذا كان ذلك النص مدعاة لتخريجات وتحريفات ومحاولات تاويلية فاشلة غير مقنعة ، لتفسير كيف كانت صفورة زوجته وأمه في نفس الوقت، خاصة أن هذه الأم بعد أن ختنته كبيراً أعلنته عريسا لها؟!! لان لابد لكي يستقيم الأمر هنا ألا تكون صفورة هي الزوجة والأم لكنها يوكابد أمه التي تزوجها أبوه عمران في مصر. لكن لإخفاء ما حدث وستره كان لابد من هذا التمويه، فقد علمنا أن إخناتون قد تزوج أولاً من نفرتيتي التي افترضنا مع جاردنر أنها الجميلة تادوخيبا (الميتانية)، وأنها ذات صلة قرابة بأمه (تي) التي افترضناها الأميرة (الميتانية) جيلوخيبا التي سبقت تادوخيبا في الوصول إلى مصر وافترضنا أنهما ربما كانتا شقيقتين، مما يعني

(*) لصياغة سيد القمنى لافتراءاته ووضعها في نظرية مكتملة يذهب لنصوص التوراة الحالية أو الأسفار اليهودية الحالية فيأخذ منها ما شاء أو يحاول استخدامها كما أعلاه للقدح في موسى عليه السلام ونفى حقيقته وهدم سيرته ومن ثم هدم الدين تماماً .

(**) يقول فرويد « الله كان غاضباً على موسى لإهماله الختان وأن زوجته المدينية أنقذت حياته بإجراء عملية ختان سريعة» موسى والتوحيد ص٦٧ .

أن إخناتون قـد تزوج مرتين بزوجـتـه نفرتيـتي/ تادوخيـبـا/ والثانيـة بالملكة تي/ جيلوخيبا/ يوكابد(*)/ يوكاستا/ التي هي صفورة أمه»[1]

وهكذا يجعل الدكتور سيد القـمني من اخناتون/ موسى/ أوديب شخصاً واحداً ومن أمه الملكة تي/ يوكـابد/ يوكاستـا أم واحدة ثم يزعم أنها هي صـفـورة زوجة موسى التي زعم أن قولها «إنك عريس دم لي» أنها جعلته زوجها! فبرواية توراتية من الكتاب المقدس الحالي يلفق سـيد القمني أسطورته عن زواج إخناتون/ موسى/ أوديب من أمه ويبني عليهـا أن إسطورة هذا الزواج المرتبط بقتل الولد لإبيه دونت في القرآن بعد وصولها لجزيرة العرب!

مع أن نص التـوراة يؤكد أن صـفـورة هي بنت رجل مـديان «فأعطى مـوسى صفورة ابـنته فولدت له ابنا فدعـا إسمه جرشـوم. لأنه قال كنتُ نزيلا في أرض غريبة» خروج ٢:(٢٢,٢).

وقد يكون هذا الابن ـ ابن موسى ـ هو الذي خـتنته أمه، وقد يكون في النص فراغات أو ثغرات خصوصاً ونحن المسلمين نؤمن أن في الأسفار (المدعوة مقدسة) الحالية لليهود والتي يؤمن بها مـسيـحيو العالم ثغرات وفراغات وانحرافات وطمس للحقائق وتغيـير وتبديل وتحوير ، لكن لا يعني ذلك أن الحقـائق التي وردت فيها هي إفرازات اسطورية ومواد خـرافية واقتبـاسات كهنوتية هذا ما يقـوله العلمانيون الماديون في تحليلهم للتاريخ وقلبـهم للحقائق وتزييفهم للوقائع. إن المثـير للدهشة حقا ، هو أن سـيد القمني بعد أن انتـهى من استخدام «صفـورة» في بناء نظريته ذهب لاستـخدام نص توراتي آخر يثبت زواج مـوسى من إمرأة أخرى «كوشـية» ويخلص من ذهب أن ذلك الغضب لا يمكن أن يكون لأن موسى تزوج مرة أخرى

(*) يوكابد اسم ام موسى في التوراة!! أى هي (تى) أم إخناتون / موسى وقد تزوجها بزعم القمنى !!

(١) المرجع السـابق جـ٣ ص٨٦٦ .

أو من كوشية وإنما لأنه فعل جريمة خطيرة وهي زواجه بصفورة أمه!! أو بالأحرى زناه! فأين صفورة المديانية من الكوشية؟ وقد جعلها سيد القمني أيضا واحداً!!، يقول «وننقب في المقدس التوراتي بعيون الباحث والتحري علّنا نجد ما يفيد بزواج موسى من زوجتين تعادلان نفرتيتي ثم (تـي) في قصة إخناتون، نجد التوراة تلتوي وتشير بسرعـة (!) إلى أن موسى قد اتخذ زوجة ثانية وأن تلك الـزوجة الثانية هي صـفورة المديـانية، أمـا الأولى فـيتـركنا المقـدس التـوراتي بشـأنها دون إفـادة (!) واضحة. وفي قصة التوراة التي نقـصدها (!) نعلم أن هارون شقيق موسى ومريم شقـيقتـه بعد مسـاندة طويلة لموسى يغضـبان عليـه غضبـاً شـديداً(*) ويُعلنان على الناس هذا الغضب مع تحريضهم وإثارتهم ضد موسى لسبب يتلخص في كلمات شاردة سريعـة مغطاة لاتتكرر مرة أخرى بالتوراة إلا هذه المرة الوحـيدة تقول تلك الكلمات الشاردة: وتكلمت مريم وهارون على مـوسى بسبب المرأة الكوشية التي اتخذهـا لأنه قد إتخـذ إمرأة كوشـية) عـدد ١٢/ ١. أبداً لا يكرر الكتاب المقدس تلك الإشارة، ولا يـفصح لنا عن هذه المرأة الكوشـية(**) ومتى تزوجها مـوسى ولماذا أغـضبت مـريم وهارون؟ وليس مقـبولا أن يكون كل هذا النزاع والغـضب فقط لأنهـا كوشيـة/ سوداء/ زنجيـة (!) (ماذا تريد أن تقـول يادكتور سـيد؟!) ولا ريب أن لذلك الغضب الهائل مبرر آخر (!) أغمض المحرر التوراتي عينه عنه (!) أما تمـثال (تي) أم إخناتون الذي عـثر عليـه في سيناء قـرب الجبل المقدس كـاترين

(*) لو كان الأمر كـما سيذكـر فلماذا ضربها الله بالبـرص كما في الكتاب المقـدس(عدد١٢ : ١٠) وردا على اعتراضهمـا على زواجه من الكوشية يقول عدد ١٢ :٣ وأما الرجل موسى فـكان حليماً جداً، ورداً آخر في عدد ١٢ :٧-٨ : أما عبدي موسى فليـس هكذا بل هو أمين في كل بيتي .... فلماذا لا يخشيان أن تكلما على عـبدي موسى . ونحن لا نقبل لا روايات القمنى ولا روايات الأسفـار اليهودية ولكنا نرى هنا تزييف المعلومات من دكتور في التاريخ !! .

(**) لذلك يحاول القمنى أن ينتهـزها فرصة غالية ليقول بانهـا أمه !! بدل أن يقول ان هذه الرواية تخالف طبيعة العلاقة التي كانت بين الأنبياء موسى وهارون فنوق انهما اخوين فهما أيضاً نبيين وليـست هذه هى سيرة الأنبياء، بدل ان يقول ذلك ذهب يخترع الأساطير .

فكان يفصح بوضوح عن وجهها السيناوي الأسود»!!!![1]

إذن الكوشية ذات الوجه الأسود/ سوداء/ زنجية بحسب لخبطة القمني، هي أمه التي هي (تي) التي هي أم إخناتون التي هي (صفورة) المديانية (ثلاثة في واحد!!!) يقول «إذن يبدو أن إخناتون عندما عاد إلى مصر وكي يتزوج أمه (تي)(!) كان لابد أن يقوم بطقس الختان حيث لم يكن قد اختتن في مديان(!)، وهو ما جاء في النص التوراتي المذكور«فأخذت صفورة صوانه وقطعت غرلة ابنها! أما أن يرى الصليبي (يقصد كمال الصليبي) بعينه الثاقبة أن في التوراة صورتين لموسى واحدة باعتباره نبيا وواحدة باعتباره إلها، فهو ما يؤكد نظريتنا لان إخناتون كان نبي آتون وفي الوقت نفسه ابنه الإلهي ، لقد كان إلها ونبياً في الوقت ذاته»[2]

أما حفلة الزواج فيحكيها الدكتور سيد القمني عن «جارستانج» فيزعم أن (تي) قامت بدور الأم الإلهية والكاهنة العظمى «هذه المرة كانت أمه تي - وهو ما تنطق به لنا لوحة الحائط الشرقي بمقبرة يويا التي يأخذ فيها إخناتون بيد أمه (تي) يقودها إلى المعبد تتبعهما ابنته بكتاتن فقط وحدها مع تدوين شارح يقول «يقود الملكة العظمى والأم الملكية (تي) لترى ظلها في الشمس» وفي اللوحة يرتدي إخناتون ثوباً شفافاً يسمح برؤية تفاصيله الداخلية، أما (تي) فتكاد تكون عارية تماما. ومن بعدها قرر أن تستمر هذه العلاقة في زواج صريح معلن دائم وليس فقط في حفل سري بالمعبد ... لقد أراد اخناتون كشف كل الأستار والتصريح بطقوس عقيدته فقرر أن يكون إلها ابن إله على الأرض قبل رحيله إلى عالم الآلهة بعد الموت بالزواج من الأم الإلهية»[3]

ويذكر القمني قول «فليكوفسكي»:«أما «تي» فتكاد تكون عارية واخناتون يمسك بيدها كما لو كانا عاشقين» ويذكر قول أوديب عن أمه يوكاستا «أمي

(١) جـ٣ ص٨٦٧ المرجع السابق . (٢) المرجع السابق ج٣ ص٨٥٧ .

(٣) المرجع السابق جـ٣ ص٨٥٦-٨٥٧ .

التي هي زوجتي»[1]

وبما تقدم فقد حاول القمني أيضا أن يقول بأن موسى تزوج أمه التي زعم أنها صفورة التي هي زوجته!!!، هي تي العارية هي الكوشية السيناوية!!!

فهل هذه حقيقة المرأة الكريمة أم موسى التي أوحى الله إليها ووعدها وعداً حقاً؟! ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[القصص:٧] ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[القصص:١٠] ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[القصص:١٣] ويقول الله تعالى أيضا في سورة [طه: ٣٧-٣٩] ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ هل هذه المرأة الكريمة هي (تي) التي يقول القمني عنها «نفرتيتي و «تي» وبناتهما يظهران عرايا الفروج أمام الناس. لقد كان إفصاحاً عن طقس يلازم العبادة الجنسية...»[2]

وهل موسى هو إخناتون نفسه الذي تزوج أمه وزنى أبوه بابنته؟

يقول القمني «وقبل زمن إخناتون بجيل واحد تزوج والده آمنحتب الثالث إحدى بناته عرض، وقد حذا إخناتون حذوه، وربما كان تأثر عادات الميتانيين في العلاقات الزوجية، هوالمسئول عن هذه النزعات التحررية... كذلك نزعة العري في رسوم نفرتيتي وبناتها، والتي تكشف دوما عن الفرْج، كما لو كان مقصوداً عن عمد، ربما تقديساً للفرْج رمز الخصب(*)، وعادة ما اشتملت عقائد عبادة الفرج على طقوس جنسية غير مألوفة، كزواج الابن من أمه أو الأب من ابنته فيما يُعرف

---

(١) المرجع السابق جـ٣ ص٧٩٩ . (٢) المرجع السابق جـ٣ ص٨٤٦ .

(*) لاحظ أن القمنى جعل من الخارجين من مصر طائفة هم «عبدة الأدون أو السيد أو الله ممثلاً في نور الخصيب» !!! والنص جـ٣ ص٨٣٠ .

بالطقس السري، ويطلق على العقائد التي تمارس ذلك عموما «الديانات السرية»[1] .

وهكذا وجد القمني مقابل شخوص قصة موسى عليه السلام شخوص في القصة المصرية عن إخناتون حتى إنه جعل الأسماء هنا هي الأسماء هناك في احتيال تطابقي هش لا يصمد أمام التحليل البسيط.

بيد أن القمني عجز عن إيجاد شخصية مقابلة لشخصية هارون أو مريم أخته (كما في رواية التوراة) في قصة إخناتون المصرية فجاء بما يضحك منه الدهر يقول «سنجد في الملحمة التوراتية (!) شخوصاً غاية في الأهمية مثل هارون ومريم شقيقا موسى دون تواجد واضح لشخصيات مقابلة في الأصل المصري(!) أو في الملحمة الأوربية فمن كانا في تلك الملاحم ولو بالاستنتاج؟ (!) ثم الأهم من كل هذا تبقى ثغرات واضحة في نظريتنا لا تحتاج جهداً لكشفها وتتمثل في السؤال: كيف كان الفرعون إخناتون هو ذات شخص موسى بينما المفترض أن موسى ثائر ضد الفرعون ودخل معه صراعاً جدلياً استخدمت فيه أدوات لإدارة الصراع ومرت البلاد والعباد ناهيك عن كون أوديب قد مات أعمى وهو ما لم يحدث لموسى بل على العكس تماما كانت التوراة تؤكد طوال الوقت أن موسى عاش ثاقب البصر صحيح العينين... وعملياً من المستحيل على باحث أن يجد جميع العناصر والتفاصيل الصغيرة(*) بدقائقها ومنمناتها متطابقة تمام التطابق بين أصل واقعي في حقل أحداث حدثت في مصر، ونسخة مروية من تلك الأحداث في كتاب موصوف بأنه مقدس عمد محرروه إلى أكثر من استبعاد وأكثر من تزوير لاستبعاد فكرة واستبقاء أخرى تتفق مع رؤيتهم القدسية»[2] ولا يظنن القاريء أن د. سيد

---

(1) المرجع السابق جـ٣ ص٨٠٦ .

(*) ألم يقل في نفس المقالة بأن اشخاصاً غاية في الأهمية كهارون ومريم مفقودون في القصص المصرية واليونانية فلماذا الآن يقول (التفاصيل الصغيرة؟!) فهل هذه تفاصيل صغيرة .

(2) المرجع السابق جـ٣ ص٨٨٤ .

القمني يدافع هنا عن الاسلام وعن قصة موسى في الإسلام، فالرجل يرفض حقيقة قصة موسى باعتباره نبياً من بني اسرائيل وأنه أرسل إلى فرعون بعد هروبه من مصر وبعد أن عاش فترة في مدين وتزوج ابنة رجل مدين، فالقمني يرفض أن تكون قصة موسى كما هي في القرآن برفض اعتباره نبياً، تربى في بيت فرعون وهو غريب عنه، طفلا من بين إسرائيل وليس ابنا لفرعون لا بالولادة ولا بالجنس والعرق، ولا يؤمن بحقيقة المواجهة التي تمت بين موسى عليه السلام وفرعون الملعون ولا بطلب موسى من فرعون أن يترك بني إسرائيل يخرجون من مصر بسلام ولا أن فرعون بعد خروج بني اسرائيل قد طارد موسى وقومه فإنشق البحر فغرق فرعون، لا يؤمن د. سيد القمني بشيء من ذلك ، لأنه يعتقد أن قصة موسى، كما هي في القرآن انتقلت للتدون عن طريق الرواية الإسرائيلية، مع بعض التحوير، وأن قصة موسى التوراتية إنما هي نسخة محوّرة عن أصل القصة المصري لاخناتون الذي حدثت له أحداث في مصر، نسبت بعد ذلك لموسى بزعمه وقد أُضيف عليها نبوة موسى كما أضيف عليها أنه أرسل من الله لبني إسرائيل، لا يؤمن القمني بشيء من ذلك ولا أن موسى كان طفل بني اسرائيل تربى في بيت فرعون لم يؤمن بقصة هروبه بعد قتله للمصري إلى مديان ولا برجوعه لإخراج بني إسرائيل من مصر بأمر من الوحي الإلهي وغير ذلك من الأمور التي يرفضها هو والعشماوي وأحمد عثمان وغيرهم كثير من العلمانيين العرب الذين ذهبوا يقلدون خزعبلات فرويد اليهودي وإيمانويل فليكوفسكي اليهودي وجاردنر (آلن هنري) وجيمس هنري برستد وغيرهم من الذين يزورون الروايات ويشوهون الحقائق والتواريخ والنبوات.

وقد قدمنا كيف كان يتلاعب بقصة موسى وكيف زعم أن محرري التوراة هم الذين صنعوها ونسخوها بطريقتهم الخاصة عن قصة إخناتون! وبدل أن يقبل القصة القرآنية بهدوء ذهب يتمحل ويعطي الأدوار لشخوصه حسب دورهم في

نظريته المفعمة بالضلال والشبق المدمر يقوم بذلك فيما هو يحاول أن يجد لكل شخصية صدى في الاسطورة إخناتون نظيرها في التوراة والقرآن.

إنه مازال يبحث عن دور لهارون عليه السلام فقد سبب له إشكال في نظم ونسج خيوط نظريته الهشة يقول «فربما كان هارون رفيقا لأوزرسيف وربما كان هو الوسيط العبري بين إخناتون وبين أسرى مدينة حواريس سواء كان حقيقة أم اختراعاً اخترعته التوراة كمترجم، وهو الوسيط الذي لم يأتنا ذكره في الأصل المصري لأن الأصل المصري قد عنى بالأسرة المالكية وحدها، خاصة أن ظهور هارون كوسيط يبدأ دوره بعد خروج إخناتون منفيا من مدينته(*) ومن ثم لم تجد أي ذكر في المدونات المصرية له فهو أمر طبيعي لأنه لم يكن قد ظهر بعد (!). وبالتالي لم يظهر أيضا في ملحمة أوديب لأنها قد استمدت وقائعها من مصر مباشرة(!) وليس عبر التوراة، لذلك كان طبيعيا أن يظهر في التوراة وحدها، ولتأكيد إسرائيلية موسى ونفي أصله المصري(!) ابتدع لهما أصل واحد(!) فهو شقيق موسى وكليهما إسرائيليان من بني عمران »[1]

وهذا قدح في الوحي، وقدح في القرآن الذي جعله القمني نتاج تطور ارتقائي وإفراز تاريخي وتكوين وتراكمات ثقافية لقرون طويلة!، ويعتبر قصة موسى التي - بحسب كلامه - دُوِّنَتْ في القرآن نتاج تحويرات ايديولوجية لكهنة التحريف اليهودي الذين نسخوا قصتهم عن موسى عن أصل مصري لا يمت لبني إسرائيل بصلة!!، فإذا كان فليكوفسكي - بحسب قول القمني - قد (زوّر علينا وعلى العالمين)[2] فإن القمني فعل نفس الفعل - وهو يحاول، على طريقته الماركسية في

(*) منذ قليل كان يبحث عن دور ولم يكن متأكداً من وجوده التاريخى والآن بعد سطر واحد يتكلم كأنه متأكد من دوره بعد خروج إخناتون !!! ياللعجب !!! .

(1) المرجع السابق جـ٣ ص٨٨٧ .

(2) إسرائيل ... التوراة ... التاريخ ... التضليل ص٢٢١ .

التفسير، أن يجعل من آيات موسى عليه السلام موروثاً مصرياً وحيلة معروفة!!

يقول عن قول الله عز وجل لموسى عليه السلام ﴿ فألقاها فإذا هي حية تسعى (٢٠) قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى (٢١) واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى ﴾[طه: ٢٠, ٢١, ٢٢] «أما وضع الملك يده في فتحة ملابسه في صدره وإخراجها ليريها للناظرين، مع ما جاء في التوراة والقرآن أنها تظهر في تلك الحال بيضاء مضيئة، فنعتقد ذلك يرتبط بما سبق وفعله حتشبسوت(!) لتأكيد شرعية ملوكيتها المشكوك فيها وأرسلت لهذا السبب خصيصاً بعثتها إلى بونت لاحضار المادة المضيئة التي أسمتها النصوص مادة السام... ويبدوا أنها كانت العادة التأكيدية لشرعية الملك في أعياد سد فكان الملك يخفي يده في جيب صديريته ويغمس يده في مادة السام المخفية في ملابسه ليخرجها مضيئة للناظرين، وهو بالضبط ما فعله إخناتون أمام (آي) وجماهير شعبه كآيات لملكه، وذكرته بعد ذلك التوراة كمعجزات قام بها النبي موسى أمام الفرعون. أما بقية المعجزات كضرب مصر بالبعوض والضفادع والجراد والذباب والقمل فهي أمور إعتيادية في أرض مصر التي تضج بالحياة(!)، وهي في ذات الوقت أمور غريبة على محرر توراتي يعيش في صحراوات جافة ضنينة بالحياة وشحيحة. ويبدو أن الأمر لم يحسم لصالح الدلائل السحرية للشرعية»[1]

وهكذا يجعل القمني من الآيات الكبرى - كما سماها الله في القرآن - حيل تصنع في الخفاء عن طريق مادة السام التي تخفي في الملابس وعند إخراج اليد منها تخرج مضيئة للناظرين!

لقد ساوى حيل السحرة بآيات الله، ونفي عن آيات الله أن تكون آيات حقا، وحسب اعتقاده فذلك يرتبط بما فعلته حتشبسوت بالمادة المضيئة المخفية في الملابس!

(١) النبي موسى وآخر أيام تل العمارنه جـ٣ ص٩٠٨-٩١٢ .

وأنا هنا أذكر ما قاله عبدالله النديم في أساتذة القمني القدامى الذين صنعهم الاستعمار الفرنسي ثم رعاهم الاستعمار الإنجليزي والذين أشاعوا في عالمنا العربي والإسلامي المادية والشك، والعلمانية، والإلحاد يقول النديم: إنهم إعداء الله وأنبياؤه ، الأجراء الذين أنشأوا لهم جريدة جعلوها خزانة لترجمة كلام من لم يدينوا بدين، ممن ينسبون معجزات الأنبياء إلى الظواهر الطبيعية والتراكيب الكيماوية، ويرجعون بالمكونات إلى المادة والطبيعة، منكرين وجود الإله الحق، وقد ستروا هذا الأباطيل تحت اسم فصول علمية، وما هي إلا معاول يهدمون بها عموم الأديان»[1]

وما هي إلا تكهنات خائبة وافتراضات خاطئة وتأملات منحازة وأيديولوجيات مبيَّتة مُتربِّصة تحاول صنع ما أسماه «أدونيس» العلماني: «انقلاب معرفي ونظري»[2] في عالم الإسلام والمسلمين وهذا الانقلاب المعرفي يقوم كما قال ابن القيم قديما على «زبالة الأذهان ونحالة الأفكار وعفارة الآراء ووساوس الصدور»[3] فهل نترك اليقينيات ونرمي وراء ظهورنا العقليات ونرفض الحقائق التاريخية الأصيلة لهذه الزبالات، ونتبع «مناهج العمى»[4] بحسب وصف سيد قطب.

مناهج العمي التي تسبب عمى البصيرة، وعَمى الطباع - يقول محمد الغزالي- «ذلك أن الطباع إذا فسدت فسد تصورها للأشياء، وفسدت أحكامها عليها. كالمرآة التي غاض ماؤها، وانطفأ نورها، وتساقطت القطع من سطحها وأطرافها، لايمكن أن تثبت صورة صحيحة لما يواجهها»[5] وكيف يفهم هؤلاء القضايا الكلية الكبرى «والصغار لا يستطيعون فهم القضايا الكبرى، كما تعجز المراصد البدائية عن التقاط

(١) من مقالة للدكتور محمد عمارة تحت عنوان «هذا إسلامنا» بجريدة القاهرة المصرية الثلاثاء ٨ مايو ٢٠٠١ص.

(٢) ديوان الأساطير، دار الساقي ص٨ .

(٣) إعلام الموقعين جـ١ ص٦٨ .

(٤) ظلال القرآن جـ٤ص٢٠٧٥ .

(٥) كيف نفهم الإسلام للغزالي ص١٣٨ .

صور الكواكب البعيدة»[1] فبعد ما يقومون بالرصد البدائي بعيون فاقدة لنور البصر والبصيرة يخرجون على العالم بالنظريات الخائبة المشوشة والخلافات الصاخبة المخلخلة والاستنتاجات المحيرة المظلمة التي سرعان ما يجري تبديلها وتغييرها كالثوب الوسخ البالي أو تعديلها بمجرد ظهور ضلالات جديدة فيكرهون كما قال ابن تيمية رحمه الله فطرهم وعقولهم على التناقض والفساد والانحراف[2] على العكس من هؤلاء الأنبياء الذين بُعثوا بتكميل الفطرة وتقريرها لا تبديلها وتغيرها أو إكراهها ومسخ طبيعتها. فإن «من خالف الأنبياء فإنه كما أنه مكذب لما جاؤوا به من النبوة والسمع، فهو مخالف للحس والعقل، فقد فسدت عليه الأدلة العقلية والنقلية»[3]

«يُفسدون الحس والعقل كما أفسدوا الأدلة السمعية والحس والعقل، بهما تعرف الأدلة، والطرق ثلاثة: الحس، والعقل، والخبر، فخالفوا الأنبياء أفسدوا هذا وهذا وهذا»[4]

والله تعالى يقول ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ [الذاريات:١٠،١١] فالتخرص والإنغماس في الغفلة والسهو عن الواقع آفات - كما يقول الغزالي - لا تنتج حقيقة أبداً[5] والخراصون لا يؤيدون النظريات العقلية المناقضة للقرآن والواقع والتاريخ «إلا بمقدار ما تُعطي الشبهات حق الحياة، والخطأ حق الإنطلاق والفوضى حق التدمير فإذا أتاحت لهم الحرية ما يبتغون سدوا على خصومهم أفواه الطرق ودفعوا بالمجتمع كله صوب ما يعتنقون»[6]

وما الوقيعة في الأنبياء إلا إفساداً للحياة وتدميراً لحقائق الوجود، فحق الأنبياء تابع لحق الله، وإنما عظمت الوقيعة في أعراضهم لما يتضمن ذلك من الكفر

---

(١) الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر ص١٤٨-١٤٩ .

(٢) انظر نقض المنطق ص٥١ .

(٣-٤) النبوات لابن تيمية ص٤٤٩-٤٤٨ .

(٥) ركائز الإيمان ص٣٣ .

(٦) ركائز الإيمان لمحمد الغزالي ص٣٥ .

والوقيعة في دين الله وكتابه ورسالته[1] «فإنه أصل لكل فساد في الأرض إذ هو إفساد للنبوة التي هي عماد صلاح الدين والدنيا والآخرة[2]

إن سيد القمني من أقطاب المدرسة العلمانية التي تعمد إلى النيل من العقائد والشرائع السماوية والمقدسات الدينية بحجة حرية البحث والإجتهاد... تهتك المقدسات وتجرحها - كما يقول الأستاذ فهمي هويدي - تهدم في هدوء وبغير ألم وتتحدى ركائز عقيدة الأمة[3]

وكتابات القمني - كما يقول هويدي - «من نوع الكتابات الشيطانية العربية»[4] «أخطر من رواية سليمان رشدي، تباع في مكتباتنا وعلى أرصفة مختلف العواصم العربية»[5]

القمني وإيمانويل سيمون فليكوفسكي:

قام د. سيد القمني بنقد فكر «فليكوفسكي» الهادف إلى تأسيس خطير للقومية الإسرائيلية «في كتابه الذي إكتسب شهرة عالمية في الأوساط العلمية كافة، والموسوم بعنوان (عصور في فوضى)، والذي إنتهى من كتابته في شهر فبراير من عام ١٩٥٢م»[6]

فـفليكوفسكي - في نظر القمني - «هو صاحب أهم وأخطر وأثرى تنظير تاريخي لما يسميه هو (القومية الإسرائيلية)»[7]

---

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول ص٣٢٨ .

(٢) المرجع السابق ص٣٣٩ .

(٣-٤-٥) من مقالة «التعدد لا التعدى» للأستاذ الكريم فهمى الهويدى بجريدة الأهرام ٢٣ مارس ١٩٨٩م القاهرة، والمدهش أن القمنى وضع هذه المقالة كاملة في مقدمة كتابه التافه «الحزب الهاشمى» انظر الحزب الهاشمى ص٧ .

(٦-٧) إسرائيل .. التوراة .. التاريخ .. التضليل للقمنى ص١٥٥ .

ويقول القمني بأنه عندما طالعت (عصور الفوضى) اكتشفت أن الأمر جد خطير، وأخطر بكثير من كتابات أسطورية قديمة كانت تلائم بنية التفكير في عصرها»[1]

فما أزعج القمني هو «قدرة المؤلف على البحث الدؤوب الذي لا يكل، وإمتلاكه جلداً على التقصي لايبارى ، وسعياً لا يفتر - من أول كلمة خطها إلى الختام - وراء القرائن والبراهين التي تدعم فروضه وأطروحاته لتحويلها إلى بناء راسخ القواعد»[2] فقد سجل فليكوفسكي - يقول القمني - «أعظم نقطة في رصيد القوميات العنصرية، بقراءة موثقة وتنظير قلّ أن يوجد مثيلا له لتاريخ إسرائيل المقدس»[3] ويعترف القمني أن فليكوفسكي كاد أن يحكم السيطرة على عقله تماماً! «وهنا أجدني مضطراً لتقديم اعتراف متواضع، مضمونه أني ما كدت انتهي من قراءتي لكتاب عصور في فوضى حتى كان (فليكوفسكي) قد أنشب كل إمكاناته وبراعته في دماغي، حتى وصلت إلى لحظة كادت تكون هي التسليم له بكل ما ذهب إليه[*] ومن ثم كان لابد أن أعيد النظر فيما سبق أن وصلت إليه في أعمالي المنشورة لي على الأقل ، وأن أعلن في أقرب مناسبة تراجعي الكامل عن كل ما وصلت إليه في أبحاثي من باب أمانة واجبة علمياً (!)، كما كان ينبغي إذا أردت الاستمرار أن أبدأ من نقطة الصفر مرة أخرى، وأعيد النظر في كل ما وصلت إليه حتى الآن في قراءتي للتراث ... ولولا محاولة أخيرة في قراءة رابعة لعصور في فوضى، تسعى للإطمئنان اليائس قبل أن أنفض يدي من شئون البحث، قصدت منها مراجعة أخيرة لمكمن سقطاتي البحثية قياساً على نتائج

(١) المرجع السابق ص١٥٦ لقد قام الدكتور عبدالمنعم عبدالحليم سيد بنقد فليكوفسكي والقمنى في آن واحد في كتابه المغالطات والافتراءات الصهيونية وهو كتاب مفيد .

(٢) المرجع السابق ص١٥٦ . (٣) المرجع السابق ص١٥٧ .

(٤) المرجع السابق ص٢٠٧ .

(*) سيأتى أن القمنى اقتبس جزءاً من نظريته من فليكوفسكي وقدمنا ذلك أيضاً !

(فليكوفسكي) لأضعها بين يدي باحث صديق أطمئن لإخلاصه ليأخذ الخطوة المناسبة أقول: لولا تلك القراءة ما كان ممكنا أن أكتب هذه الصفحات، فسرعان ما بدت تتالي إكتشافات لمكامن الشرك والفخاخ، وبدأ التلفيق يظهر ثم تزييف الدلالات آخذاً بعضه برقاب بعض، تلك الشراك التي تمت صياغتها وتربيتها بحرفية عالية الجودة وبإتقان غاية في الكفاءة»[1] اكتشف القمني أن فليكوفسكي طوّع مادته التاريخية لخدمة أغراض أبعد ما تكون من العلمية[2] إضافة إلى ذلك يحلف القمني بالأيمان الثلاثة أن فليكوفسكي يتلقى دعم مؤسسات أكاديمية عالية[3]

ومع ذلك فقد وقع د. سيد القمني في شراك فليكوفسكي المتقنة الكفاءة ففي حين قام القمني بنقد كتاب فليكوفسكي عصور في فوضى[*] لأنه يؤسس للقومية العنصرية الإسرائيلية نجد القمني من ناحية أخرى يغرف من طروحات فليكوفسكي المدشنة في كتاب آخر لفليكوفسكي هو «أوديب وإخناتون» الذي وصفه القمني نفسه بأنه عمل غير مسبوق! لقد استفاد القمني من هذا الكتاب استفاده قصوى، بل لقد خصص له حوالي ٤٠ صفحة من الجزء الثالث من كتابه (النبي موسى وآخر أيام تل العمارنة) من الصفحة ٧٨٤ إلى الصفحة ٨٢٤، كسند قوي له في بناء أطروحته الخربة. فيقول القمني في أول صفحة (٧٨٤): «في عام ١٩٦٠م انتهى إيمانويل فليكوفسكي من تدبيج عمله غير المسبوق «أوديب وإخناتون» الذي أوجز المسألة كلها في فقرة تقول: «لم يكن إخناتون موحداً أولاً، ولم يطلق عليه من خلفوه من فراعنة لقب المجرم من جراء محاولاته في ميدان الإصلاح الديني،

(١) المرجع السابق ص٢٢٨-٢٢٩ . (٢) المرجع السابق ص١٥٨ .

(٣) المرجع السابق ص١٦٠ .

(*) أدلى فليكوفسكى بدلوه أيضاً في لخبطة التاريخ، وبدلاً من أن يكون عصر إخناتون سابقاً لخروج بنى إسرائيل من مصر، جعل الخروج سابقاً على إخناتون وسمى كتابه «عصور في فوضى» من الخروج إلى الملك إخناتون»! والمضحك أن فليكوفسكى قال بأن حتشبوت المصرية هي ملكة سبأ اليمنية!! فانطبق عليه وعلى عصره العلمانى اسم كتابه أى : عصور في فوضى !!

ولكن من جراء خطيئة أخرى تسردها صفحات هذا الكتاب»[1][2]

إن القمني ذهب كما ذهب فليكوفسكي إلى أن خطيئة إخناتون كانت جرما خاصاً وهو زواجه بأمه! كما ذهب إلى أن إخناتون لم يكن موحداً وانا لا أعتراض على ذهاب القمني لما ذهب إليه فليكوفسكي في هذه المسائل كما لا أعترض على عملية الربط بين إخناتون/ أوديب التي استفادها القمني من فليكوفسكي، فهذا تاريخ بشري يأخذ منه ويُرد، ولم يكن اليونان بأعظم أخلاقاً من المصريين الأقدمين ولا المصريين في التاريخ القديم كانوا بأبعد عن الوثنية من اليونانيين لكن القمني يستغل المشاعر الإسلامية للإيحاء بأن فليكوفسكي يسعى في أبحاثه لإقامة تنظير تاريخي للقومية الإسرائيلية.

ولو نظرنا بدقة إلى ما ينقده القمني أثناء نقده لأفكار ومسلمات فليكوفسكي لوجدنا القمني ينقد أشياء كثيرة ثابته في التوراة والإسلام، ويكفي كدليل على ذلك ما هدمه القمني من الحقائق التاريخية التي يشترك في الإيمان بها المسلمون واليهود من نبوة موسى عليه السلام وإنه من بني إسرائيل وأن خروجه كان ببني إسرائيل مطارداً من فرعون وجنوده الذي أهلكه الله وجيشه في معجزة انشقاق البحر ونجاة جسده كاملاً كجثة هامدة تحتل الآن مكاناً في قاعة المومياءات الملكية في المتحف المصري بالقاهرة ويستطيع الزوار أن يروه[*]

---

(١) فليكوفسكى : أوديب وإخناتون ، ترجمة فاروق فريد، وزارة الثقافة بالمشاركة مع دار الكتاب العربي، القاهرة، د.ت، ص٦ نقلاً عن النبي موسى للقمنى جـ٣ ص٧٨٤ .

(٢) النبى موسى وآخر أيام تل ... جـ٣ ص٧٨٤ .

(*) يقول الدكتور بوكاى « في يونيو ١٩٧٥ سمحت لي السلطات المصرية العليا بدراسة أجزاء جسم فرعون التي كانت مغطاة حتى ذلك الوقت ... الشاهد المادى الوحيد الباقي حتى يومنا هذا ... الشاهد على موت فرعون الخروج وعلى النجاة التى أرادها الله لجسده ... إنها شهادة مادية في جسد محنط على من عرف موسى وعارض طلباته وطارده في هروبه ومات في أثناء هذه المطاردة، وأنقذ الله جثته من الهلاك التام ليصبح آية للناس كما هو مكتوب في القرآن » القرآن الكريم والتوراة والإنجيل ص٢٧١ .

لقد قام علماء المسلمين قديماً وحديثاً بنقد خرافات وافتراءات أسفار اليهود المعروفة لكنهم لم ينقدوا الحقائق التي مع الخصم ذلك أن الحقائق التي عنده هي حقائق نبوية ولا يمكن أن تتناقض مع ما أوحى إلى رسول الله محمد ﷺ . فلم يقوموا مثلا برمي موسى بإدعاء النبوة أو برمي كتبة الأسفار اليهودية بأنهم أخفوا أصلاً مصريا لقصة موسى عليه السلام أو أنهم اقتبسوا قصة موسى من أصل مصري أو عراقي أو يوناني.

أما القمني الذي يؤمن بالماركسية والمذاهب الحديثة في تحليل النصوص المقدسة فقد نقد حقائق وأباطيل فليكوفسكي في نفس الوقت الذي استفاد منه نصف نظريته الجديدة وهي أن إخناتون هو أوديب وأضاف عليها أن إخناتون هو أوديب هو موسى، شخص واحد بروايات ثلاثة!

فكانت إفتراءاته أخطر بكثير من افتراءات فليكوفسكي، فقد قام بنقد حقائق آمن بها فليكوفسكي أو سلّم بها في نفس الوقت الذي أضاف إلى ما استفاده من فليكوفسكي «إخناتون هو أوديب» أباطيل رفضها فليكوفسكي نفسه ألا وهي أن موسى هو إخناتون وأنه ابن آمنحتب الثالث وزوجته تي اللذين كانا إباحيين في ديانتهما! وقد قدمنا من كلام فليكوفسكي الذي أورده القمني نفسه رفضه لفكرة أن موسى هو إخناتون بل ورد فليكوفسكي ونقده اللاذع لزعم فرويد بأن موسى مصري الجنس والميلاد ولتجرؤه على شخص موسى عليه السلام! في حين أن القمني زاد في جرأته الهمجية أكثر من جراة فرويد فزعم أن إخناتون هو موسى هو أوديب ثم ذهب يسرد علينا تاريخا فاضحاً لإخناتون وأمه وأبيه ، يستحي المرء من قراءته.

فإن كان القمني قد قال عن فليكوفسكي أنك «لا تلمس بطول كتابه نزوعاً إيمانيا حقيقياً، ولا يبدو الرجل كحبر من الأحبار، ولا حتى ذا ميول دينية ، بل إنك تلمس رغبة الرجل ألا يبدو رجل دين تقليدي، بل يكاد يفصح أحياناً

بإلحاده»(!) فإن كتابات القمني نفسها إنما هي أعظم افتراءاً من افتراءات فليكوفسكي، كما أنها أصرح منها في الكفر والإلحاد - وإن كان القمني أثناء قتله للجسد الإسلامي يصلي على النبي!! - وأغرق منه في الخيال والكذب والبهتان. فعلى الأقل وقف الرجل ضد سيجموند فرويد لتحقير الأخير لموسى عليه السلام أما القمني فهو يمرغ صورته في الوحل ولا ينسى أيضا أن يصلي عليه!

زيادة على ذلك افترى القمني - كما قدمنا - على القرآن بزعمه أنه دون أساطير مكتوبة وشفوية ومقتبسة!، كما زعم أن هذه الأساطير - وقد جعل القمني من الحقائق التاريخية أساطير - وصلت جزيرة العرب لتدون في القرآن، فهي ليست وحياً فوقياً ولكنها تطورات وتنقلات لأساطير قديمة!! وقد رمى القمني القرآن بأنه دوّن بين دفتيه مفاضلة باطلة بين شعب مصر القديم وتاريخه العريق وفراعينه وبين جماعة إسرائيل وأنبيائها و المفاضلة بين ملوك إسرائيل وجماعتها وبين ملوك كنعان وشعبها الفلسطيني يقول «وهي المفاضلة التي يمكن أن تؤرق الضمير الوطني أو تجرح الحس العقائدي في حال لزوم الاختيار ما بين فرعون وموسى، أو المصريين والإسرائيليين، وكذلك ما بين جالوت وداود، أو الفلسطينيين والإسرائيليين»!![1]

ولا أعرف عن أي ضمير وطني يتكلم القمني؟

فكلنا يعلم أن الضمير الوطني اليوم هو ضد إسرائيل المفسدين وفرعون الماضي الظالم ، فالمسلم مع الحق أينما كان، فيوم أن كان فرعون يستخف قومه كان الإسلام في صف الإيمان وأهله واليوم يستخف اليهود بالعالم كله ونفس الإسلام الذي وقف ضد فرعون في الماضي يقف اليوم ضد يهود التحريف والإفساد.

فنحن المسلمين مع موسى النبي وقومه ضد فرعون وملئه المفسدين كما أننا مع داود عليه السلام ضد جالوت المتعالي واليوم نحن مع إخواننا الفلسطينيين ضد اليهود

---

(١) إسرائيل ... التوراة ... ص١٥٢ .

الكافرين والمفسدين والمحاربين لدين الله ولإنسانية الإنسان. في نفس الوقت الذي نسالم فيه ونعامل بالحسنى أي يهودي أو مسيحي مسالم غير معتد ولا محتل غاشم. هذه مسلمات في ديننا وفي ضميرنا الوطني وعقيدتنا الإسلامية.

لكن القمني يرفض التاريخ الموسوي كله، بل يرفض نبوته ورسالته فهو بزعمه كان اخناتون الوثني الإباحي غير أن التوراة غيَّرت القصة الحقيقية بعد تحويلها من أصلها المصري لتأخذ شكلها العبري المزيف.

هكذا يفكر القمني وقد قدمنا كل الأدلة التي تظهر هذا الموقف المفسد للحقائق والمضيع للأصول بحجة الحفاظ على الضمير الوطني الذي يجب أن يحارب الصهيونية ومسلماتها!

لقد اتهم الرجل الاسلام بأنه خضع للأيديولوجياالصهيونية ومنظومتها الفكرية بعد إلباسها لباساً قرآنياً إسلامياً!

يقول «في التجربة المستمرة للتعامل مع طروحات الأيديولوجيا الصهيونية، المؤسسة على أعمدة تاريخية ودينية قدسية، كنت على يقين دوماً بمدى تهافت كثير من أعمالنا الفكرية وترنحها إزاء تلك الطروحات، رغم كم الشعارات والجمل الساخنة، والإطالة المفرطة حيث كانت تلك الأعمال تلقى بنا في النهاية على حجر الفكر الصهيوني وقبضة منظومته الفكرية بعد الإقرار لها بكل تأسيساتها التاريخية والقدسية، برداء إسلامي يعيد إنتاج عناصر الأيديولوجيا الصهيونية، وهو ناتج ضروري، ولزوم حتمي عن التسليم الايماني بقدسية التاريخ الإسرائيلي، كمادة أولى وأساس في النص المقدس، وكمادة أولى في قانون الإيمان (بالله وملائكته ورسله وكتبه)، وكان الواضح أن أولئك الرسل جميعاً من بني إسرائيل نسباً وشرفاً وعقيدة. وإن تم سحب المصداقية عن مقدسهم المتداول بين الأيدي الآن بعد وصمه بالتحريف، بعد إكتشاف (!) يهود يثرب والنبي محمد ﷺ اختلاف

توجهاتهم على البعد الإستراتيجي، ومن ثم تغير التكتيك المرحلي زمن الدعوة بالنسخ القدسي، ليتم الكشف عن الإسلام كبعد تاريخي قديم وأن الإسلام كان مستبطناً باليهودية التاريخية، ومن ثم تمت إعادة التاريخ دورة كاملة إلى عهد النبي محمد ﷺ كما تحول(!) جميع أنبياء وملوك دولة إسرائيل القديمة إلى أنبياء مسلمين كانوا يدعون بدعوة الإسلام ... وظلت الآيات التي تذكر بهم كشعب مختار متميز فضلهم الله على العالمين، وغير ذلك لانجد سوى تنويعات عروبية نادرة ويتيمة(!) عن القرى العربية البائدة، وأنبياء مثل هود وصالح، أما النسب الإسلامي والعربي، فقد ظل بدوره إسرائيلياً، بإعلان نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام، انه الحفيد النبوي الأخير لسلسة اسرائيلية استعربت بعد إبراهيم باستعراب ولده إسماعيل... هذا ناهيك عن تطابق المنمنمات (!) الدقيقة حول الإله وقد رآه وقصص الأولين الأولى بدءاً من قصة الخلق وآدم مروراً بنوح والطوفان[١]

إن الدكتور سيد القمني يرى أن ذهابنا مع موسى النبي ضد فرعون مصر ومع داود النبي ضد جالوت الفلسطيني يجرح الضمير الوطني، كما يرى أن القصص الديني القرآني المرتبط بتاريخ موسى ونبوته بني إسرائيل إنما وصل إلى جزيرة العرب عن طريق الروايات التوراتية المزورة كما عن طريق الروايات الشفهية المتداولة. ولذلك خرج على العالم بنظريته الطائشة عن موسى عليه السلام بل وعن جميع الأنبياء وعن داود ويعقوب وإسحاق وإبراهيم، وهو أكثر جرأة من غيره في جرح المقدس ونسف الدين ويتمتع بعقل أقل ما يقوم به هو الاستخفاف والتعالي وتاليه الذات انظر إليه وهو يمسك بقلمه المهزوز المستخف وهو يقول عن مملكة سليمان وداود «مهما دققت النظر وأعييت الذهن، فلن تجد أية إشارة لا لمملكة وضيعة، ولا حتى في حفائر الدويلة الحالية، ولا أثر معماري واحد بقي يتيماً

(١) إسرائيل ... التوراة ... ص ٧-٨ .

كشهادة واحدة على تلك المنشآت التي صدّعت بها أسفار المقدس رؤوسنا(!)، بينما نجد ما يقف بلا ضجيج، بدل الشاهد ألف، في آثار فراعين مصر الذين سفههم ذلك المقدس(!) وأظهرهم في المراتب الدنيا من الإنسانية، فالمملكة التي تبجج المقدس(!) بعظمتها لا شيء عنها البته، لا في أثر على ظهر الأرض، ولا في باطن الأرض(!)(*) ولا حتى على الورق!! اللهم إلا ورق المقدس وحده، وهو في موازين التاريخ والبحث العلمي، مالم تخترع له وحدة قياس بعد»(١)

ويقول متأكداً مما على ظهر الأرض وباطنها «ومن المناسب أن نوضح من جانبنا أنه لم يكتشف نص واحد حتى الآن، لا في مصر، ولا في نصوص الرافدين، يشير من بعيد أو قريب، إلى ملك باسم سليمان أو داود أو شاؤول، وهو أمر غريب بالقياس إلى ما إدعته التوراة عن شهرة المملكة السليمانة!!»(٢)

إن الدكتور أحمد سوسة(**) لم ينف وجود هذه المملكة تماماً ولم يتبجح كثيراً في إنكارها كما فعل القمني، لكنه كان يضع الأساس الإلحادي لأمثال القمني الذي يتميز بالجرأة، اقرأ النص التالي - الذي أورده القمني نفسه - لأحمد سوسه وقارنه بكلام القمني الذي ذكرته لك آنفا «والحقيقة أن مملكة سليمان التي تبجح بعظمتها، كانت أشبه بمحمية مصرية مرابطة على حدود مصر، قائمة على حراب أسيادها الفراعنة»(٣)

---

(١) إسرائيل ... التوراة ... ص٥٣ .

(*) هذا هو التطرف العلماني الذي يهدم الموضوعية التي يدعيها بحقده الأعمى ويغفل أن البحث العلمي الحقيقي لا يدعى معرفة كل شيء حتى ما في باطن الأرض بهذه الصورة الساذجة الملطخة بالهوى، لقد اغلق القمنى كل الأبواب في وجه الحقيقة في حين ان J.smilh قال بخلاف ما قاله القمنى هنا قال «وليس بعيداً إن تكشف أعمال التنقيبات الجارية الآن ـ فيما تكشف ـ عن بعض الآثار التي تعين على مزيد من الإيضاح» انظر مرجعه في اليهودية لأحمد شلبي ص٦٥ .

(٢) قصة الخلق للقمنى ص١٤٤ .

(**) هو أحد العلمانيين الذين يخترعون النظريات عن التاريخ القديم، ويلغون الوحي والدين، وقد وضعت نظريته في كتابى هذا ليرى القارئ حجم الدجل وخصوبة خيال العلمانى !

(٣) آثار القمنى إلى أن نص أحمد سوسة هذا موجود في كتابه العرب واليهود في التاريخ، دار العربي للإعلان والطباعة والنشر ط٢ ، دمشق ص٢٦٩ انظر قصة الخلق للقمنى ص١٤٣-١٤٤ .

فما فعله القمني هو أن زاد على كلمتي «تبجح بعظمتها» كلمة (المقدس)!! في نصه الذي بدا تأثير كلمات سوسه عليه واضحاً جداً. لكن القمني زاد أن هذه المملكة لا وجود لها على ظهر الأرض ولا باطنها ولا حتى على الورق إلا ورق المقدس وحده في حين أن سوسه نقل المملكة من عظمتها إلى أنها أشبه بمحمية مصرية مرابطة على حدود مصر!

إن سيد القمني يجعل من العقائد والقصص القرآني خرافات ولا معقول، وأقاصيص اللاموضوعي الذي يَخدُم له مناهج المدارس الغربية التي تجعل الدين أساطير أرضية.

وفي كتابه الأسطورة والتراث وهو أجرأ كتبه على الإطلاق، ذكر جملة الباحثين الغربيين الذين إستفاد كثيراً من مناهجهم «وربما أشهر الباحثين هو (K.o.Muller) الذي إحتسب الأسطورة أحاديث مصورة لأحداث تاريخية حقيقية واقعية، تابعه في ذلك مع بعض الاختلافات الجزئية كل من (جاكسون Jachson و (أولد نبرج Olden berg) وهم إلى حد كبير يتبعون المنهج البوهيمي القديم، الذي اعتبر الأسطورة قصة أبطال حقيقيين... أما أكثر المدارس أثراً فهي مدرسة (إ. ب تايلور (E.B.Taylar) أحد أعلام مؤسس المدرسة الأنثروبولوجية، التي هاجمت المدرسة اللغوية، وذهبت إلى منهج يجمع الأساطير المشابهة في مجموعات للحصول على علم حقيقي للأساطير، مع مقارنة تلك المجموعات بعضها ببعض لتتبع فعاليات عملية التخييل).. ومن أهم أتباع المذهب الأنثوبولوجي (هربرت سبنسر)...»[1] وبعد أن ذكر القمني مدارس علم النفس والمدارس المتعددة من (يوهيمر) حتى (مالينوفسكي) إلى ليفي شتروس) قال «وعليه فإننا نقرر من البداية أننا سنعمد إلى المنهج الذي يؤدي إلى نتائج تبدو صحيحة، دون الرجوع للمدرسة، بمعنى أننا على إستعداد للسير قسماً من الطريق مع أي من

---

(١) الأسطورة والتراث ص٣٢.

هذه المدارس ، لكننا لسنا على إستعـداد للسير مع أي منها الطريق كله»[1] فكانت النتيجة هي جعل الدين أسطورة نشأ مع نشوء عـلاقات اجتماعية تسلطية ، يقول «وظهر الديـن مع التطور الطبقي وتقسيم العـمل والكون إلى عقل وجسد، ومع التفرغ اللازم من العمل اليدوي تمكنت الطبقة المسيطرة مع تنمية ثقافتها الدفاعية واستثمـار التراث الاسطوري السابق بعد تفريغه من محتـواه الموضوعي ، وتحويله إلى خدمـة الأغراض الجديدة، وإحتساب التـراث الاسطوري جزءاً لا يتـجزأ من الثقافة الجديدة المتمثلة في الدين»[2]!! وهو يطبق هذا الفكر الماركسي القاصر على قصة موسى عليه السلام وعلى القصص الديني عـموماً، وقد قدمنا أن قـصة موسى إنما هي قصـة تم تفريغ مـحتـواها المصري والخاص بـاخناتون وتم تحويله إلى خـدمة الأغراض الدينية الجديدة ووصل جزيرة العرب فدُوِّن في القرآن!!

هذه هي خلاصة فكر الدكتور المصري سيـد القمني الذي يتحلى بشجاعة نادرة وتناقض عـجيب وتقليـد مدهش للفكر الغـربي الذي لا يرى إلا تحت قدمـيه ولا يتجـاوز تصوراته الهزيلة التـي نتجت عن ظروف أوربية بحـته وأزمة وعي غـربية مدمرة.

(١) الأسطورة والتراث ص٣٤ .

(٢) نفسه ص٣١ .

الفصل الرابع

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨
يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ [الذاريات: ٧-٩]

﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ﴾

[يونس: ٦٩]

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ
يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٨
وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
مُّهِينٌ﴾ [الجاثية: ٧-٩]

المستشار محمد سعيد العشماوى
وتدمير حقائق الدين واختراع نظرية سخيفة

« كنت ذات عصر في نادى الجزيرة عندما وقفت إلى جوارى فجأة سيارة نزل منها من يُحيينى بمودة وحرارة، ورغم أنه كان أشيب الشعر والحاجبين، فقد تعرفت عليه على الفور، إذ كنا زملاء دراسة في كلية الحقوق .. نزل زميل الدراسة هذا من سيارته وهو يقول لى (لقد كبرنا يا فلان .. فاكر أيام كلية الحقوق، لما كنت أنت نوارة الدفعة(!) ببريقك وعيونك الزرقاء وشعرك الأصفر، عجبت بشدة من هذا الوصف، فأنا لم أكن قط بهذه الأوصاف ولا بأوصاف قريبة، لكن زميل الدراسة وهو شخص عاقل واع وله مكانة اجتماعية طيبة، يختلق لى أمامى وفي حياتي أوصافاً لم تكن ولا يمكن أن تكون لى، ولا بالتقريب. بطبيعة الحال لم أجادله، وإنما واصلت الحديث معه لأتأكد من سلامته العقلية(!)، ولما تأكدت (!) حييته بمودة وتركته إلى حال سبيلى، وأنا أعجب مما حدث، لقد رأيت فيه آلية الأسطورة، إذ يحتمل أن يصفنى آخر بأوصاف مغايرة، فيكون هذا الوصف وذاك مخالفاً لوصفى الحقيقي .. وبهذا تنشأ للأسطورة ثلاث صيغ تتناول كل منها شخصاً محدداً، في زمان ومكان معين، ومع ذلك تختلف في وصف شكله وبيان ملامحه»(١) .

في هذا المقطع النفيس يحكى المستشار محمد سعيد العشماوى ما حدث معه شخصياً من اختراع بعض من يعرفونه أسطورة عنه ليس له منها شيئاً إلا اسمه فقط! ويؤكد العشماوى أن ديدن صناع الأساطير أنهم يصنعون أوصافاً لأشخاص معروفين لا تمت لهم بصلة على الإطلاق لا يمكن أن تكون لهم ولا بالتقريب

---

(١) الأساطير المدنية، مقالة باسم المستشار محمد سعيد العشماوى بمجلة أكتوبر، الأحد ٢٢ يوليو ٢٠٠١ العدد ١٢٩١ صفحة ٢٢ .

فضلاً عن أنها مخالفة للحقيقة ومعارضة للأصل! من البديهى أن يذهب المرء ليتأكد من سلامة عقول هؤلاء الذين يخترعون الأساطير حول أشخاص حقيقين عاشوا في التاريخ من أمثال العشماوى كمثل نضربه هنا !!

لقد أظهر لنا العشماوى مثلاً على التوهم والتلفيق الذى يُسَيطرُ على بعض الناس فيجرهم ذلك إلى وضع الأساطير بجرأة مدهشة وبراعة ثابتة الجأش!

لكن يا ترى هل نجا المستشار العشماوى من هذه الآلية التوهمية التي يستغرب أن تحدث من أصحاب العقول السليمة ؟! فضلاً عن أمثال العشماوى نفسه !!

إن الإجابة على هذا السؤال أضعها بين يدى قارئى الكريم على طبق من ذهب كما نقول في مصر المحروسة !

شيء آخر قبل أن أغوص في الموضوع واستخرج منه لآلىء الحكمة الربانية، وغثاء الجهل العلماني لأعرضه أمامك أخى الكريم لتستقرئ التاريخ من نماذج عصرية تهيمن على منابر ثقافية كبيرة وتفتح لها أبواب الجامعات العالمية ويُرحب بها ترحيباً عجيباً وغريباً ؟!

لقد عرض العشماوى في مقالة له بعنوان («على منصة القضاء١٩» عندما يهتز اليقين) صورة إنسانية يزعم أنها له، وصفات يدعى أنه يتحلى بها، وقد وضعها على لسان أحد الأشخاص، الذي قال للعشماوى مؤكداً له « أمرك معروف وشهرتك تسبقك عن الكلام بالحق والحكم بالعدل »[١] .

فهذان شخصان، زميل دراسة قديم وضع له صفاتاً جسمانية عجب العشماوى منها !، لأنها كما قال لم تكن له ولو بالتقريب وأنها مخالفة لوصفه الحقيقي! والآخر رجل يصفه بأن أمره معروف ومشهور وذلك أنه يقول الحق ويحكم بالعدل! أما أنا فأقول بأن هذا الوصف المعنوى الأخير لا ينطبق على العشماوى في موضوع دراستنا في هذا الفصل !

---

(١) مجلة أكتوبر العدد ١٢٨٠ الأحد ٦ مايو ٢٠٠١ .

وذلك رغم وصف العشماوى لنفسه بأنه باحث متمكن ودارس قدير يكتب بسلاسة وسهولة، وفي وضوح لا تعقيد فيه وجلاء لا التواء به !![1] .

وغالباً ما يصف العشماوى نفسه بألفاظ عجيبة وصفات فريدة وأنه بحاثة رصين وعلامة سديد مبتدع للمناهج ومخترع للأدوات العلمية الموزونة، العلمية لا الإنشائية!!

فرغم أنه نقل عن فرويد وغيره الكثير، تقليداً ينافي العلم والدراسة، والفحص والكياسة إلا أنه دائماً ما يقول عن نفسه كلما سنحت له الفرصة ذلك، أن له منهجاً أكاديمياً حديثاً « الذى ابتدعناه واتبعناه منذ أول كتاباً نشر لنا عام ١٩٥٩ ويقوم هذا المنهج على عدة عناصر، تتحصل في أن تكون ثمة رؤية واضحة محددة تهيمن على الدراسة وتتكشف من خلالها، وأن تجرى الدراسة على عرض منظم مطرد متتابع ليكون مترابطاً ويكون متماسكاً (!)، وأن ينأى عن الأسلوب الإنشائى... ليتبع الأسلوب العلمي الذي يحقق ويوثق (!) ويلتزم الموضوعية والحيادية ما أمكن ... الذي لا يكون فيه تفاكك ولا تشاتت ولا تفاتت(!) هذا المنهج أشبه ما يكون بالموسيقى الكلاسيكية العالمية(!)»[2] !!!

إذن علينا أن نختبر عقل علمانى كبير يدافع عن بحوثه التنويرية الدكتور جابر عصفور الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة بمصر، وقد صنف العشماوى من قبل علماني آخر وهو محمد جابر الأنصاري بأنه من أصحاب ما يمكن أن نطلق عليه (المدرسة التاريخية العلمية!)[3] .

---

(١) مجلة أكتوبر الأصول المصرية لليهودية(ب) عهود الآباء، ٨ أكتوبر ٢٠٠٠ العدد ١٢٥٠ .

(٢) مجلة أكتوبر (الأحد ٧ أكتوبر ٢٠٠١ العدد ١٣٠٢ .

(٣) يقول الأنصاري في مقالته المعنونة «معركة الإسلاميين وخصومهم » بجريدة الحياة اللندنية ١٦ يناير ٢٠٠١ العدد ١٣٨٢١ « برزت مدرسة يمكن أن نطلق عليها (المدرسة التاريخية العلمية التي أخضعت مصادر التاريخ الإسلامي لمنهجية البحث النقدى بنزعة مستقلة عن المثاليات الدينية والاعتبارات الأيديولوجية للإسلام السياسي(!)، ومن أبرز كتابها : محمد سعيد العشماوى، وخليل عبدالكريم، وسيد محمود القمنى، الذين يعتبرهم أصحاب الاتجاهات الدينية كتاباً علمانيين»!!

لقد أنشأ المستشار محمد سعيد العشماوى أسطورة جديدة عن موسى عليه السلام تضاف إلى الأساطير العلمانية الحديثة التي لفقتها العلمانية الحاقدة للتاريخ ووقائعه ولشخوصه التاريخية، ومنها شخوص الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين.

لقد جعل العشماوى من موسى فرعوناً، ابناً لابنة فرعون على الحقيقة، وأنه حفيد الفرعون (رمسيس الثاني) على الحقيقة وأن خروج بنى إسرائيل من مصر إنما تم بناء على خطة استراتيجية تمت بين الفرعون وحفيده موسى المصرى المولد والجنس! لطرد بنى إسرائيل من مصر وتوطينهم بعيداً عنها للتخلص من مشاغباتهم المستمرة ومؤامراتهم المعهودة! وعلى ذلك فقصة موسى الدينية مزورة ومحاورها التوراتية والقرآنية دخيلة ولا حقيقة لخروج بأمر إلهى أو بمعجزات ربانية أو بهلاك لفرعون مصرى معاد لموسى عليه السلام أو غير ذلك مما هو من حقائق التاريخ المعروفة التي يؤمن العشماوى أنها يقينيات طفولية وثوابت يرفضها العلم وتنبذها الموضوعية!!

يقول « وفي حالة الطفولة لدى الأشخاص أو عند الجماعات (الأمم يكون ثمة يقين لا يتزحزح ولا يتزعزع بكل شيء، وأى رأى أو (اعتقاد فإذا جمد الوضع ووقف النمو وظل الأمر عند حال) الطفولة صار من الصعب إن لم يكن من المستحيل أن يتزعزع شيء مهما كان ظاهر الخطأ، أو يتغير رأى وإن كان واضح البطلان أو أن يتصحح اعتقاد على الرغم مما قد يبدو جلياً من انحراف تأويله أو اعتساف تطبيقه» [1].

والعشماوى بأفكاره الهدامة يريد كغيره من العلمانيين المنحرفين أن يزحزح اليقين ويدمر القديم حتى يتحرك الوضع ويستمر النمو ويتغير الرأى!

---

(١) مقالة « على منصة القضاء (١٩) عندما يهتز اليقين - الأحد ٦ مايو ٢٠٠١ العدد ١٢٨٠ ص٢٢ مجلة أكتوبر المصرية.

ماسونية العشماوي في صورة نظرية تدميرية :.

إن العشماوى يريدك أخى القارئ أن تلين له وتفتح له مجالاً للنقاش حتى ولو في نقاشه اللاعلمى التدميرى الذي يقتل كل شيء حقيقى عن التاريخ والغيب والنبوة والشريعة والرسول والصحابة!

إنه يقول لك، لا عليك إذا قلت لك «موسى كان ابناً حقيقياً لإبنة فرعون(*)، أى أنه كان حفيد الفرعون، وقد كان اسم جده رع موسى»[1] .

يكتب العشماوى ذلك عابثاً بالتاريخ، مزيفاً لحقائقه ووقائعه وأحداثه الهامة وبعد أن يفعل ذلك يتوسع في الاتهام ويُسرف في القول ويقول « ما كتب في التوراة كان تضليلاً يرمى إلى قطع موسى من أية نسبة إلى مصر حتى اسمه»[2] .

وهو يقصد أن موسى هو مصرى لا باسمه فقط ولكن بنسبه وجنسه وديانته يقول «قوام ذلك كله أن موسى مصرى قح، مصرى في نسبه، وفي ولادته، مصرى في علمه وثقافته(!)، وأن كتاب التوراة حرصوا على إخفاء ذلك(!) بالتحريف مرة، والتزييف مرات، حتى تكون اليهودية أول الشرائع السماوية، ويكون ما قبلها وخاصة ما كان في مصر وثنيات وجاهليات، ولولم يفعلوا ذلك ، لكانت اليهودية استقرت واستمرت على أنها فرع من الديانة المصرية القديمة أو تطبيق لها في بيئة

(*) اعتمد العشماوى في ذلك ولا شك على ما رواه« فلافيوس يوسفوس» المؤرخ اليهودي في القرن الأول الميلادي الذي روّج لأسطورة يهودية تدعى أن موسى كان ابناً لبنت فرعون ! (انظر قراءة سياسية للتوراة ص٣١٧) يأخذ العشماوى هذا الجزء من الأسطورة ويترك جزءاً آخر وهو أن حفيد الفرعون سيصبح خطراً على عرشه ويجعل العشماوى بدلاً من ذلك أن الفرعون وحفيده عاشا في وئام يرسمون الخطط السرية لطرد الأعداء اي ان الحفيد لم يكن في أي وقت من الأوقات خطراً على الجد، ويوسفوس هذا وغيره من المؤرخين الأيديولوجيين لا يعتمد عليهم في هذه الأمور الهامة وإلا ضاعت الحقائق وتاهت الوقائع وخرب التاريخ .

(١) الأصول المصرية لليهودية (٧) (حقيقة موسى) مقالة للعشماوى بمجلة أكتوبر ٢٩ أكتوبر ٢٠٠٠ العدد ١٢٥٣ص ٣٠ .

(٢) المرجع السابق ص٣١ .

صحراوية غير حضارية، أول من وصل إلى هذه الحقيقة سيجموند فرويد.. عالم النفس الشهير الذي ولد يهودياً ثم تحول إلى الحق (!) حتى أغضب قومه (!) وتلى فرويد عدد من العلماء يهود ومسيحيين حتى أمكن من دراستهم تقديم صورة كاملة(!) أو شبه كاملة عن حقيقة موسى»[1].!!!

وهكذا ترك العشماوى حقائق القرآن التي أوردها عن موسى عليه السلام، وولادته ونسبه، ونبوته وشريعته، وذهب يقتات على موائد يهود العلمانية المنحرفة التي تسعى لتخريب التاريخ واهتبال الفرص والظروف لتضيع حقائق ذكرتها التوراة وأعلنها الوحي الإلهي في القرآن .

ذهب العشماوى وراء فرويد اليهودي ليقول لنا أن التوراتيون قلبوا حقيقة موسى فبعد أن كان أصله مصرياً حولوه إلى عبراني «فقد زيفوا اسم موسى»[2] !

هكذا زعم العشماوى وبناء على ذلك دشن نظريته بافتراءات لا دليل على صحتها ومنها قوله « موسى لم يكن عبرانياً قط »[3] !!

هنا لابد لي أن أعيد تذكير القارئ الكريم بقول العشماوى المتقدم الذى علّق به على ما حدث له مع زميل الدفعة الحقوقية الذي وصف العشماوى بأنه كان (نوارة الدفعة) ومجموعة أخرى من الأوصاف لا تنطبق بتاتاً على المستشار المغرور باقتباساته عن آخرين! يقول « لقد رأيت فيه آية الأسطورة، إذ يحتمل أن يصفني هذا الزميل لمن يعرفني ومن لا يعرفني ومن لم يرني بالأوصاف التي ذكرها، في حين يصفني آخر بأوصاف مغايرة، فيكون هذا الوصف وذلك مخالفاً لوصفي

---

(١) المرجع السابق ص٣١ .

(٢) الأصول المصرية لليهودية(١٢) الشرعية والقانون ، مقالة بمجلة أكتوبر للعشماوى، بتاريخ ٣ ديسمبر ٢٠٠٠ . . . العدد ١٢٥٨ ص١٥ .

(٣) المقالة السابعة من الأصول المصرية لليهودية وهي حقيقة موسى ص٣١ وهي كما تقدم سطرت كغيرها من مقالات الأصول المصرية لليهودية في مجلة أكتوبر المصرية .

الحقيقي ... وبهذا تنشأ الأسطورة ثلاث صيغ ... ومع ذلك تختلف ...».

فقد وصف فرويد موسى بأنه مصرى، فرعون بالميلاد والجنس ومن أتباع إخناتون ونفى عنه أن يكون عبرانياً أو نبياً أو موحى إليه من الله ، هذه أسطورة علمانية لو تأكدنا من سلامة عقل مفبركها لوجدناه شخصاً مريضاً ليس بتحليل أفكاره المريضة فقط ولكن بشهادة تلاميذه ومعاصريه وهى شهادات مشهورة ومعروفة مسطرة في الكتب .

والعشماوى أخذ أوصاف فرويد المزورة لموسى فحذف منها وأضاف إليها فنشأت أسطورة جديدة بملامح جديدة وصيغة جديدة لم تكن ولا يمكن أن تكون لموسى ولو بالتقريب !

ومع أن أسطورة فرويد عن موسى تختلف في بعض ملامحها عن أسطورة العشماوى إلا أن العشماوى يحاول أن يقنعك بأنهما رجعا إلى الحق ! وقدما صورة كاملة أو شبه كاملة عن حقيقة موسى !

والمثير للاستغراب هو أنه فيما يقوم العشماوي بمهاجمة علماء المسلمين ومفكرى الحركة الإسلامية المعاصرة ورميهم بكل أنواع الضلال والغباء والجهل والهذيان والإنشاء والسطحية فيما يقوم هذا الماسوني البناء بذلك تجده يرص الألفاظ الجميلة والأوصاف العلمية لأمثال فرويد«وبريستد» و«فريزر»ويعتبرهم «أولو العزم من العصر الحديث» الذين أحدثوا بحسب ألفاظه المنتقاه «إنقلاباً» و«تحريراً» و«تغييراً لمكونات العقل» «بجهد عظيم» ومشكوراً طبعاً يقول، وذلك « بالعلم والثقافة فقد قدر على فحص التوراة (حتى من علماء شهود مثل سيجموند فرويد) وتحليل ما بها من نصوص، وإثبات صلاتها بالتراث البابلى والحضارة المصرية، وتأكيد تأثرها بالتراث الشعبى إي الفولكولور وهو ما سجله العالم الشهير فريزر في كتابيه

الغصن الذهبى ... والفلكلور في العهد القديم»[1] .

وفي نفس هذه المقالة العشماوية التي يكيل فيها المدح ليهود ويقوم فيها بالتسبيح لعقول تخريبية كما وصفها بعض تلامذتها يقول العشماوى كاذباً على التاريخ ومزيفاً لحقائق الوحي الإلهي أنه «خلال فترة الأسر البابلى عرف الإسرائيليون كثيراً من الفكر البابلى فأخذوا(*) منه قصة الخلق، وقصة الطوفان(ملحمة جلجميش وقصة أيوب(وهو أدومى غير إسرائيلى وغيرها»

وهذا الكلام الفارغ يقوله العلمانيون الماديون الذين يقومون بإعادة كتابة التاريخ بطريقتهم القاصرة وعقولهم الحقيرة الضعيفة بعيداً عن الوحى الذي نبذوه وذلك نتيجة للصراع مع الكنيسة في العصور الوسطى في أوربا ورد فعل غير علمى على أصول ثابتة في التاريخ ووقائع العالم، حقائق جاء بها الوحى الإلهى وأعلنها القرآن الكريم على البشرية.

إن نتائج العقل العلمانى الغربى في علوم التاريخ والإنسان والمجتمع لا يمكن الاعتماد عليها لقصور أدواتها وخلل قواعدها وأسسها .

فقد ألغى هذا العقل الوحى وعبث به ولم يعتبره شيئاً، وأرجع النبوة إلى ظروف اجتماعية وسياسية واقتصادية وجغرافية وتاريخية وبيئية فأخفى وحرَّف،ومسخ وشوَّه ، وطمس وكتم، وعزل ونفى، وجزَّء وانتقى !

إن عقلاً بهذه القدرة على تعطيل الحقيقة عن الوصول إلى العالم لا يمكن أن يكون لنا قدوة أو أن يصير لنا أستاذاً في العلم والتاريخ والفلسفة فضلاً عن أن يكون عقل رجل من أولى العزم كما وصف العشماوى بعضهم .

كما أنه لا يمكن أن تكون نتائج أبحاثه التاريخية والدينية والإنسانية والتاريخية

---

(١) (*)مقالة «حقيقة موسى » ص٣٠ .

(*) لقد اخذوا لكن لم يأخذوا ما ذكره هنا !

مرجعاً لنا في النظر إلى التاريخ والدين والإنسان والمجتمع، فمناهجه جزئية قاصرة، محدودة وشائهة ما فيها من قصور وضلال أضعاف أضعاف ما فيها من جدِّية ومعرفة .. ولذلك فهى عاجزة عن تقديم صورة متكاملة حقيقية عن حقائق الوجود والغيب والإنسان والمجتمع .

ولذلك فهى لا تساوى الأدلة التي يقدمها علماء الإسلام « لافى سلطان العلم وبراهينه وأدلته، ولا في سلطان النصر والتأييد »[1] وهى دليل نفسها وبرهان ذاتها، إنها نظريات الكاسر والمكسور، نظريات الأزمة الغربية !

حجج تهافت كالزجاج تخالها حقاً ، وكل كاسر مكسور

هذه الحجج التي هي هشة يتبناها العلمانيون العرب مسلمات ومطلقات وهى ضلالات جديدة للعقل الوثنى الجديد، فكيف يطلب الهدى عند (فكر الأزمة!) ومعلوم كما يقول ابن تيمية أن طلب الهدى عند أهل الضلال من أعظم الجهل[2] فقد حذرنا الله عز وجل من اتباع الأهواء الجاهلة ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾[الأعراف:٣] فالمهارة الحرفية لتبرير الباطل وتزيين الهش هو فعل الأولياء من دون الله عز وجل، وهم لا ينتجون إلا سفالات الأفكار، وسخافات الأقوال، وعطب النظريات يقول العشماوى «وفى حديث لى مع توفيق الحكيم قال: إن كاتباً معيناً - مشهوراً في مصر والعالم العربي يستطيع تبرير السفالة، قلت له : وهل يمكن وفقاً لأى معيار تبرير السفالة (!)؟ قال : إنها المهارة الحرفية التي يمكن أن تقلب الحق باطلاً وأن تقلب الباطل حقاً »[3] .

إن ذلك هو عين ما يقوم به العشماوى نفسه : تبرير السفالة .

وقلب الحق باطلاً والباطل حقاً كالطاغوت الذى يطغى فيغتال الحقائق وينفى

(١) النبوات لابن تيمية ص٣٨٩ . (٢) نقض المنطق لابن تيمية ص٢١ .

(٣) مقالة مجلة أكتوبر بعنوان «على منصة القضاء»(٢٣) موازين العدالة» الأحد ٣ يونيه ٢٠٠١ العدد ١٢٨٤

الأدلة، ويقهر البراهين، وينسف الموازين، ويدمر الأصول ومع ذلك يتبعه الناس المعجبون به على غير بصيرة وينساقون وراءه على غير هدى .

«وطاغوت كل قوم - يقول ابن تيمية - من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله أو يعبدونه من دون الله أو يتبعونه على غير بصيرة .. فهذه طواغيت العالم»[١] .

واليوم هناك طواغيت كثيرون، منهم طواغيت الفكر وجبابرة الطمس والإخفاء وفى مجال علم التاريخ هناك كثيرون نذكرمنهم على سبيل المثال فرويد وبريسيد وجاردنر وفريزر وفليكوفسكى وغيرهم .

وهؤلاء صاروا مراجع لمجموعة ضخمة من العلمانيين العرب أمثال القمنى والعشماوى وصليبى وأحمد عثمان وزياد منى وغيرهم .

رجل الماسون المصرى المخلص !

وهؤلاء الطواغيت الغربيون هم الذين وسوسوا للعشماوى بأفكاره الوثنية التي يرجع بها الجهل على العلم، والظلام على النور، اقرأ له إنصافه للوثن وعبدة الأوثاد والقبور والصلبان في نصه الذى نشرته له مجلة أكتوبر المصرية، يقول «فالعقيدة ، في حقيقتها، ولدى الصفوة أو المختارين أو المخلَصين (بفتح اللام أي الذين نالوا الخلاص)، غير العقيدة لدى العامة، إذ هى لدى أولئك الصفوة مجردة في علياء، وهى لدى هؤلاء العامة، مجسدة في شخوص أو مجمدة في واقعات، أو محددة في جسوم ، ولأن أكثر الناس لا يرون أنفسهم، وإنما يشاهدون الآخرين فإنهم لا يلحظون ما في الصيغة التي وصل إليها معتقد من مادية وتجسيد، لكنهم يتهمون غيرهم من أصحاب المعتقدات الأخرى بالمادية (التي يقال عنها إنها وثنية)، لأنهم يتعلقون بالمبانى أو القبور أو المشاهد أو الستائر، والعقلاء من الناس لا يرون

(١) إعلان الموقعين جـ١ ص٥٠ .

المادة التي يلتصق بها العامة من قبور أو شواهد أو صلبان، وإنما يرون أن هذه كلها وسائط إلى معانى أسمى ودلائل أرقى، فليس زائر القبور متشبعاً بالموتى، وثنى الطبع غلف القلب(!) لكنه في الحقيقة، يرنوا إلى ما وراء القبر ويسمو إلى ما بعد الموت، وليس لابس الصليب عابداً له، في الواقع ، بل يتخذ منه تذكرة إلى معانى العطاء والفداء (!)، التي يرمز إليها الاعتقاد في واقعة الصلب .. وفى هذا المعنى العظيم (!) يقول ابن عربى (لقد صار قلبى قابلاً كل صورة تواجهه، فالحب دينى وإيمانى)(*) .. ويقول الفارض في معنى عدم استهجان صورة العبادة التي تبدو لدى الكثيرين في أشكال مادية (فلاوجه للإنكار بالعصبية)»[1] .

ولذلك فعقيدة الفرعون إخناتون عند العشماوى هى عقيدة توحيدية بناء على فكرة التوحيد المجرد الذى يجعل من عابد الوثن والصليب حباً وإيماناً لوسائط إلى معانى أسمى ودلائل أرقى فيقول « التوحيد العالمى الكونى المجرد، ذلك الذى آمن به المصريون منذ عصور ما قبل التاريخ المكتوب (٣٢٠٠ق.م) ثم تم ترسيخه في عقيدة إخناتون »[2] .

وماذا فعل إخناتون ـ كما يصوره لنا العشماوى ـ «اتخذ الشمس رمزاً للإله، واتخذ من اسمها آتون بمعنى القوي اسماً للإله[3] .

(*) أورد العشماوى هذا الجزء بصورة كاملة في مكان آخر وهى : « ولقد صار قلبى قابلاً لكل صورة، فمرعى لغزلان، ودير لرهبان وبيت لأوثان وكعبة طائف والواح توراة، ومصحف قرآن، أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه فالحب دينى وإيمانى» ثم عقب قائلاً « ففي هذه المعانى كلها ينبض الفكر الصوفى المصرى» ثم قال بأن من يضاده في فكره الذى يقدمه إنما يقف واحداً مع اليهودية السياسية (الصهيونية التي ترمى مصر بالكفر والإلحاد والوثنية والضلال) . راجع (البداية والنهاية) مقالة في مجلة أكتوبر ١١ مارس ٢٠٠١ .

(١) مقالة للعشماوى بمجلة أكتوبر باسم(صراع الأمم ٢٥) الأحد ١٣ يناير٢٠٠٢ ص٢٠ العدد ١٣١٦ .

(٢) مقالة الأصول المصرية لليهودية (١٢) الشريعة والقانون، الأحد ٣ ديسمبر ٢٠٠٠ العدد ١٢٥٨ بمجلة أكتوبر المصرية .

(٣) مقالة الأصول المصرية لليهودية (٧) الأنبياء الاجتماعيون ٧ يناير ٢٠٠١ العدد ١٢٦٣ .

فالألوهية العالمية عند خواص الماسون كأمثال العشماوى تتمثل في عبادة الوثن كما في عبادة قرص الشمس (*) كما في التوحيد، تتمثل في دير الرهبان ومعبد الأوثان وكعبة الرحمن يقول: «**أما المفهوم الرائع حقاً فهو ذلك الذى يقول به المرء (إن روحى هى الإله هى الأبدية) فهو أمر يستحيل (يتحول) به الإنسان المؤمن بمعناه إلى أن يكون ربانياً أبداً فوق كل مكان وأى زمان، وذلك هو جوهر وأصل ولب الفكر المصرى الذى قدمته مصر إلى الإنسانية ويعاود تقديمه إلى العالم كله من أرض مصر، فتى مصر**»[1] ـ أى العشماوى ـ.

فآلهة مصر المتمثلة في أوثانها وأصنامها وفراعينها ورموزها السماوية والأرضية إنما هي المفهوم الرائع الذي يقدمه العشماوى (فتى مصر!) إلى العالم كما قدمته الفرعونية القديمة تماماً !

فمع أن أوزير يقول أنا الواحد أى الذي يفوق بصفاته وملكاته أي مخلوق آخر إلا أنه بحسب العقيدة المصرية تجسد للإله « كان المصريون القدماء يعتقدون أن الإله تجسد في شخص أوزير »[2] والعشماوى يخترع تاريخاً لأوزير يعدده هكذا « ولد أوزير في أول يوم من الأيام الخمسة المضافة إلى أيام العام (١٢X٣٠) لتجعلها ٣٦٥ يوماً»[3] وقد كان أوزير وزيراً أله كما هى عادة حكام مصر الأقدمين الذين يؤلهون فراعينهم ويؤلهون رموزاً سماوية كالشمس مثلاً وهي الأشياء التي يعتبرها العشماوى تمثيلاً للإله الواحد !

(*) يقول «تعاليم إخناتون لم تزل حية فعّالة في نفوس الكثيرين، لما فيها من مبدأ الألوهية العالمية..». مجلة أكتوبر (شريفة موسى) الأحد ١٢ نوفمبر ٢٠٠٠ العدد ١٢٥٥ .

(١) مقالة العشماوى بمجلة أكتوبر (الأصول المصرية لليهودية(١٩) من كتاب الموتى، الأحد ٢١ يناير ٢٠٠١ العدد ١٢٦٥ ص٢٧ .

(٢) مقالة العشماوى بمجلة أكتوبر (الأصول المصرية لليهودية(٢٠) التراث الأوزيري، ٢٨ يناير ٢٠٠١ العدد ١٢٦٦ ص٢٨ .

(٣) الأصول المصرية لليهودية (١٩) (كتاب الموتى) مجلة أكتوبر ٢١ يناير ٢٠٠١ العدد ١٢٦٥ .

«ذلك لأن رع وآمون وآتون وغيرها من أسماء كانت مجرد أسماء للإله الواحد الأحد، في حين كان أوزير هو كلمة هذا الإله التي خلق بها الكون، ويسير بها الكون»[١] !!!

فالآلهة الوثنية المصرية القديمة يعتبرها العشماوى أسماء للإله الواحد، وإخناتون عابد قرص الشمس هو صاحب التوحيد النقى، وأوزير المؤله جعله العشماوى كلمة الله، ويزداد فكر العشماوى خيالاً واضطراباً وعطباً عندما يقول إن هذه الوثنيات إنما هى تجلى للحقيقة الكبرى «وكان من اللازم تفسير هذا التوافق والتطابق بين شخصية وآلام وأوصاف كل من أوزير والمسيح على أساس كونى يتأدى في أنه لابد أن يكون من طبيعة الكلمة وصميمها أن تتحرك في الزمان، وهى الزمان ، لتتجلى على مدى التاريخ في صور بشرية وأنها حين تتجلى تنشر من نور المعرفة حقيقة أوصافها وطبيعة أعرافها، فيدرك الكثيرون ذلك، وتتطابق الأوصاف والمظاهر والمعانى بين كل تجل وغيره (!) ... بدلاً من هذا الإدراك الصائب والصادق، فقد رفضت الكنيسة المعتقد المصرى تماماً، ووصفته بالزيوغ والوثنية، فوقفت في هذا الصدد في وجهة واحدة مع اليهودية»[٢]!!!

فالتوحيد عند العشماوى هو تجليات وثنية يعتبرها تجليات كونية نورانية ذات مفهوم رائع! « عندما بدأ عصر التوحيد الأول، وفيه ظهر أوزير (كلمة الله وروحه وحكمته(!)) . فقد استطاع على التناقض ورفع التعارض، بمفاهيم دينية عظيمة، عن التجلى الإلهى في أشكال متعددة وأسماء متغيرة[*]،وعن اعتبار أن الكلمة

---

(١) مقالة الأصول المصرية لليهودية(٢٠) التراث الأوزيري، مجلة أكتوبر ٢٨ يناير ٢٠٠١ العدد ١٢٦٦ ص٢٨ .
(٢) مقالة الأصول المصرية اليهودية (٢٣) الانشقاق اليهودي، ١٨ فبراير ٢٠٠١ العدد ١٢٦٩ ص٢٥ .
(*) يقول بناء على ذلك «فقد ظن بعض العلماء، أن التوحيد الإلهى لم يظهر في مصر إلا عهد إخناتون... في حين أن الذي ثبت من الدراسات العلمية(!) والآثار الكشفية يقطع بأن التوحيد ظهر في مصر منذ زمن قديم جداً (حوالى ٦٠٠٠عام قبل الميلاد) وأنه كان توحيداً مفاده أن الله يتجلى في كل شئ» الأصول المصرية لليهودية (٢)(ب) يوسف الصديق، مجلة أكتوبر ٢٤ سبتمبر ٢٠٠٠ ص٢٦ .

ثلاثة صور هي الكلمةوالروح والحكمة، وأن الثلاثة في واحد، وهو ما وطأ لمفاهيم الثالوث والتاسوع، والأرباب . . . وهكذا »[1] .

وهكذا فالعشماوى لا يرى غضاضة في الأوثان والأرباب والثواليث والصلبان والأوتاد والأصنام يزعم أنها صور للحقيقة على أساس كونى رائع !

وعلى هذا الأساس المشوه للحقيقة يجعل العشماوي من مصر أساس الفكر الديني وأن الدين صدر من مصر وإذا كانت الحقيقة ضاله الإنسان أنى وجدها احتفى بها، أو إذا كانت الحقيقة تثبت لمصر الريادة في الدين والأخلاق، فذلك أمر لا صارف عنه ، ولا يمكن تجاوزه أو تخطيه، وإلا تقطع العلم وتبدد العقل وتزيف التاريخ»[2]!!

فمصر هى الريادة ومركز الدين والتوحيد بزعم العشماوى، وأن اليهودية والمسيحية والإسلام أخذوا من مصر واقتبسوا وغيروا وبدلوا .

عود على بدء

فقصة موسى كما وردت في القرآن ليست قصة حقيقية تاريخية في تصور العشماوى وإنما هى قصة عقائدية، والحقيقة التاريخية عند العشماوى هى أن موسى هو ابن ابنة الفرعون المصرى «رمسيس الثانى» وهو مصرى بالمولد والجنس وليس عبراني بزعمه !

لم يقف الافتراء بالعشماوى عند هذا الحد، وإنما اخترع سيناريو مختلفاً تماماً عن ما هو معروف في العالم كله عن موسى عليه السلام .

---

(١) مقالة الأصول المصرية اليهودية (٢٥) حتمية الإيمان والاستقامة، مجلة أكتوبر ٤ مارس ٢٠٠١ العدد ١٢٧١ ص٢٥ .

(٢) المرجع السابق ص٢٥ .

فقد زعم « أنه لقدرة موسى وقوته فقد عيّنه جدّه(!) الفرعون (رمسيس الثاني) أميراً (أي حاكما) لمنطقة جاسان، وذلك لعلة معينة »[1] .

ولماذا عُيِّن على منطقة جاسان ؟!

يزعم العشماوى أنه كان قائداً مصرياً ماهراً اتفق مع جده على تهجير بنى إسرائيل من مصر للتخلص من مشاغباتهم، وأنه رسم خطة محكمة لإدخال العبرانيين أرض كنعان، ولذلك فـ« الخروج - يقول العشماوى - الذى وافق عليه الفرعون ، تأمين لمصر من اتصال العبرانيين بالهكسوس»[2] وينفى العشماوى أي اضطهاد لبنى إسرائيل في مصر أيام الفرعون، ويقلب الحقائق بالزعم أنهم كانوا خطراً على مصر، ولذلك كان الحل «عملاً عسكرياً لموسى، قصد به - على ما سلف - تهجير العبرانيين ... من أرض جاسان في مصر إلى أرض كنعان (في موقع الأراضى الفلسطينية حالاً) وتبديد شمال البدو أو العبيرو (في القول المصرى) الذين كانوا يهددون أمن مصر، ويستعدون مع الهكسوس الذين طُرِدوا من مصر إلى العودة إليها »[3] . وبذلك يزعم العشماوى أن هناك خطة سرية تمت بين رمسيس الثاني وحفيده موسى للقيام بعمل عسكرى لتهجير العبرانيين وتوطينهم خارج مصر « مهمة موسى كانت في الابتداء مجرد إخراج العبرانيين وتوطينهم في أرض كنعان»[4] ، هذا أول عمل في الخطة المزعومة التي رسم ملامحها المستشار القاضى محمد سعيد العشماوى الذى تعجب من زميل دراسته عندما رسم له ملامح أسطورية لم تكن أبداً له في يوم من الأيام، أما ما يفعله العشماوى الآن من وضع نسب لموسى غير نسبه ورسالة غير رسالته وغاية في

---

(١) مقالة (حقيقة موسى » الأنفة الذكر، مجلة أكتوبر ٢٩ أكتوبر ص٣١ .

(٢) مجلة أكتوبر، الأصول المصرية اليهودية تفصيل الشريعة، مقالة بتاريخ ١٩ نوفمبر ٢٠٠٠ ص٢٥ .

(٣) مجلة أكتوبر،الأصول المصرية اليهودية (١٣) أرض المعاد، مقالة بتاريخ ١٠ ديسمبر ٢٠٠٠ العدد١٢٥٩

(٤) مجلة أكتوبر ،الأصول المصرية اليهودية ، مقالة بتاريخ ٢٦ نوفمبر العدد ١٢٥٧ ص ٢٤ .

الوجود غير غايته وجعله شخصاً آخر يختلف كلياً عن حقيقة موسى ، فهذا ما لا غبار عليه عند القاضى الذى يدقق في الوقائع ويسأل عن التفاصيل ويفحص الأدلة ويختبر البراهين !

وهو لم يأتِ على أقواله بدليل واحد صحيح وإنما أتى بدليل واحد من القرآن مقطوع عن سياقه، تماماً وفي موضوع لا يترابط بجسم القصة، العشماوي القائمة على التلفيق العلمي المرشَّد !

فجسم القصة عند العشماوى يتكون من نسب مزيف أقامه العشماوى، (هذا الرجل الذى يتربع على عرش « قمة التحريف العصرى ») بين الفرعون رمسيس الثاني وموسى عليه السلام وذلك بعد أن جعل موسى فرعوناً صغيراً وأميراً لجده على منطقة يسكنها بنى إسرائيل، وينتمى هذا الحفيد إلى ديانة مصر وليس إلى الدين الذى أوحى إلى موسى خصائصه ومقوماته، وعقائده وتشريعاته وهو دين الله كما وصفه القرآن وأعلنه الوحى الإلهى كما يتكون جسم القصة من خطة تمت بين الجد والحفيد الأمير، القائد العسكرى الماهر لجده الفرعون رمسيس الثانى « وكانت خطة تهجير العبرانيين مرسومة بن الفرعون رمسيس الثانى وحفيده وقائده موسى(!)، وتضرب عصفورين بحجر واحد (!)، فتخلص المصريين من العبرانيين(!) الذين غالباً ما كانوا قد عمدوا إلى التجسس على مصر ومساعدة الهكسوس في العودة إلى حكمها كما أنها كانت ترمى إلى إخلاء أرض كنعان من سكانها الذين تسرب إليهم الهكسوس وصاروا ـ كما كانوا ـ منهم، مع توطين العبرانيين في هذه الأرض »[1] .

ومع أن العشماوى كما سيأتى ذكره بعد قليل ادعى أن التوراة حرفت نسب موسى وقلبته من مصرى إلى عبرى وغير ذلك إلا أن العشماوى يذهب ليسلم

(١) مجلة أكتوبر ،الأصول المصرية لليهودية، مقالة بتاريخ ٢٦ نوفمبر ٢٠٠٠ ص٢٤ .

للتوارة الحالية بما ينكره الإسلام عليها ورفض نسبته إلى موسى عليه السلام الا وهو الإبادة الكاملة لسكان كنعان، فيزعم العشماوى أنه « لأسباب سياسية، وأغراض أمنية لا لأهداف دينية، وأعمال شرعية، كان هجوم موسى بجنوده من اللاويين (العبرانيين ربما) على سكان كنعان، وإبادتهم ، وحرق مدنهم،وتدمير حصونهم، ومن ثم فإن فعله هذا يتعين أن يوضح في إطاره التاريخي الصحيح(!) وأن يوصف بوصفه العسكرى الظاهر حتى لا تختلط السياسة بالدين ولا تتدخل الحروب مع الشريعة »[1]!!

وهذا النص يحكمه التناقض، وتتكون لحمته من سخافات العشماوى وجنون خياله الفاشل، فموسى عليه السلام فوق أنه لم يرسم خطة مع الفرعون لتهجير بنى إسرائيل، فإنه أيضاً لم يقم بعملية إبادة عسكرية لسكان كنعان كما زعم العشماوى بناءً علي التوراة المحرفة، التي يجعل حقائقها مزيفات، وتحريفاتها ثوابت تاريخية !

ولسبب محاولة العشماوى فصل الدين عن الدولة، والشريعة عن النظام فإنه يجد هنا فرصته الثمينة ومن نص توارتى مُحرَّف وليس حقيقياً وتاريخياً، ليقول لنا بأن ما فعله موسى من الإبادة المزعومة لكنعان لم يكن عملاً دينياً ولكن عملاً اقتضته السياسة والأمن وكان الدين لا سلطان له على الأعمال الكبرى السياسية والأمنية وما يفعله العشماوى هنا هو بسبب إيجاد المبررات العلمانية للدولة الحديثة لعزل الدين عن الحياة السياسية والاقتصادية وغيرها من الحيوات التي قطع صلتها بأصول الدين والشريعة وربطها بأصول وثنية ومعرفة ادعى أنها كونية وهى في الحقيقة ماسونية مغرضة تهدف في النهاية إلى القضاء على الدين والدولة والشريعة والنظام معاً !!

---

(١) مجلة أكتوبر ،الأصول المصرية اليهودية (١٤) أرض المنفى، ١٧ ديسمبر ٢٠٠٠ ص١٧ العدد ١٢٦٠ .

إنه يقضى على الصورة التاريخية والنبوية والإنسانية: لموسى عليه السلام - كما يقضى على كل الصور النبوية الأخرى! وذلك باختراع أسطورة عجيبة تفتقت حيلته وخياله المريض الزيف عنها فطمس ولفق، وعبث وبتر، وغالى وخرف وقال بأشياء غريبة لا مصدر لها إلا أم رأسه وزيغ العقل العلمانى الذى يسكنه الجنى الغربي !

تحت عنوان «موسى المصرى» أكد العشماوى في جرأة القاضى المدقق أن أفكاره عن الدين والنبوات وعن قصة موسى لم تكن خيالية إنشائية، إنها أفكار «بعيدة عن العواطف الجامحة(!) والتطرفات اليقينية(!) والعنصرية الحمقاء(!) والاعتقاد الأعمى»(١)

إذن لنختبر أدلته اليتيمة وبراهينه العجيبة ! ، فعن مصرية موسى وأنه ابن ابنة فرعون رمسيس الثانى على الحقيقة وأنه حفيده على الحقيقة يلتمس العشماوى دليله من التوراة التي قال هو نفسه عنها بأنها زيفت أصل موسى فيقول « والذي يؤكد أن موسى كان مصرياً في الشكل والملامح واللغة والتصرف أن ابنتى كاهن مديان قالتا لأبيهما عنه (رجل مصرى أنقذنا من أيدى الرعاة) خروج ٣:١٩ (*) ولا يمكن أن تكون الفتاتان قد وصفناه بأنه مصرى لمجرد أنه كان يرتدى زياً مصرياً. فالزى وحده لا يكفى. وفي حالة موسى فإن هروبه من مصر إلى مديان لابد أن يكون قد ذهب بزيه المصرى واضطر إلى لبس زي بدوى يتناسب مع البيئة الصحراوية ويخفى هويته عن شرطة فرعون (!) لكنه كان متهماً حكماً بأنه مصرى، من قسماته وحركاته ولغته ولهجته»(٢) .

وأنا أقول للقاريء الكريم: إن دليلى على عدم قول العشماوى الحق وعدم

---

(١) مجلة أكتوبر، الأصول المصرية اليهودية (٦) حقيقة موسى ، ٢٢ أكتوبر ٢٠٠٠ ص٣٢ العدد ١٢٥٢ .

(*) الإحالة خطأ، فهو الإصحاح الثانى من الخروج وليس الثالث .

(٢) المرجع السابق .

حكمه بالعدل (الصفات التي وصف بها العشماوى كما أشار إليها هو في إحدى مقالاته) دليلى هو تلاعبه بالنصوص التي تتناقض تماماً مع السيناريو الأسطورى الذي رسمه لموسى عليه السلام .

ويمكنك أخى القاريء ضبط العشماوى متلبساً بالتلاعب بالأقوال والاستخدام السخيف .

فموسى في أسطورة العشماوى إنما هو حفيد الفرعون وقائده المقرب والمتفق معه على طرد بنى إسرائيل من مصر فكيف يكون من هذا شأنه هارباً في الصحراء ومن شرطة جده وحليفه العريق !

إن المقطع الذى استشهد به العشماوى لا محل له من القصة الخيالية التي ذكرها، فهو مقطع هروب واختباء عن شرطة فرعون فكيف يجمع النقيضين، وتلتحم القصتان ويتوافق الحدثان؟!

أم أن العشماوى، القاضى، البارع في تلفيق القضايا الكبرى، وخداع الناس بفعلته هذه يستغفل قراءه والتاريخ في آن واحد !

كما هو شأن العلمانية دائماً، التواء وطمس، وتحريف وتزييف، وتبجح وغرور فارغ، إن الأكاديميين يبحثون عن الأدلة العلمية الرصينة، والقانونيين يحتاجون إلى براهين ساطعة كالشمس المطلة على الكون، والطلاب ليسوا مغفلين بهذه الصورة التي هى من الجهل بمكان !

والدليل الذى استدل به العشماوى على مقصوده متناقض مع سيناريو العشماوى نفسه كما أنه ليس دليلاً قرآنياً يمكن الاعتماد عليه، فضلاً عن أن الأنساب لا تؤخذ من ظنون الناس وأوهامهم، خصوصاً ظنون أمثال العشماوى الذي سرعان ما ربط بين قولة ابنة رجل مديان في التوراة وبين افتراءاته الشنيعة من أن موسى هو حفيد الفرعون رمسيس الثانى وهو مالم تنطق به هذه الابنة الكريمة أو حتى التوراة الحالية!

لكن العشماوى «فارس المتناقضات» يحتاج إلى دليل - أى دليل .. !

على تثبيت خياله المريض على مرآة الواقع .. ما أدى إلى وقوعه في هذا الخلل العلمى وهذا الاضطرار التعسفى فأين الموضوعية والنقد العلمى البرئ !؟ وأين التمحيص الفعلى للحقيقة وعناصر الموضوع؟ وأين المصادر والمراجع التاريخية والحجرية والإجراءات العلمية والدقيقة؟

لا شيء من ذلك عند القاضى المستشار ولا عند العلمانى على العموم !! أليس العشماوى هو من قال بأن الخلل الذى يحدث الصراع ويديم النزاع وينشأ الاضطراب هو « تفسير النص الديني في كل الشرائع، بعيداً عن ظروفه التاريخية وفصله عن سياقه النصى »[1] فلماذا يفصل نص ابنتى رجل مديان عن سياقه التوراتي أو القرآني ولماذا يضع له ظروفاً أخرى يدعى أنها التاريخ الحقيقي لموسى عليه السلام ؟!

أم أن الضلال لا حد له كما قال ابن تيميه ،رحمه الله « الضلال لا حد له، وإن العقول إذا فسدت، لم يبق لضلالها حد معقول، فسبحان من فرق بين نوع الإنسان؟ فجعل منه من هو أفضل العالمين، وجعل منه من هو شر من الشياطين»[2]

وضلال العشماوى تجاوز كل ضلال، فهو يجعل من الوثنية توحيداً لا يفهمه إلا الخواص، ومعرفة كونية لا يطلع عليها إلا المخلصين !

كما يجعل من موسى فرعوناً ومن فرعون موسى، أقصد يجعل فرعون على قمة الحضارة كما يجعله جداً لموسى وانعكاساً للإله على الأرض! ومعلوم « أن فرعون من أشد الناس كفراً بالله، بل لم يقص الله في القرآن قصة كافر باسمه الخاص، أعظم من قصة فرعون، ولا ذكر عن أحد من الكفار كفره وطغيانه وعلوه أعظم مما ذكر عن فرعون، وأخبر عنه وعن قومه أنهم يدخلون أشد العذاب»[3] .

إن المستشار العشماوى هو وطائفة من العلمانيين المنحرفين يقومون بأعظم عملية

(١) مجلة أكتوبر ، ٢٠ يناير ٢٠٠٢ العدد ١٣١٧ .
(٢) مجموعة فتاوى ابن تيمية جـ٢ ص٣٥٧ .
(٣) مجموعة فتاوى ابن تيمية جـ٢ ص١٢٥ .

تخريبية للدين في التاريخ انسياقاً وراء الفكر العلماني الغربي الذى عبث بالوحى وألغى ثوابته وعزل مواده ونصوصه وبتر حقائقه ودلالاته ودمر مقدساته ورجالاته.

إنهم يقومون بمحاولات تبديل الدين، **يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله «والتبديل نوعان : أحدهما أن يناقضوا خبره ، والثاني أن يناقضوا أمره فإن الله بعثه بالهدى ودين الحق وهو صادق فيما أخبر به عن ربه ـ يقصد الرسول ﷺ ـ آمر بما أمر الله به كما قال «من أطاع الرسول فقد أطاع الله» وأهل التبديل الذين يضيفون إلى دينه وشرعه ما ليس منه ، وهم أهل الشرع المبدل تارة يناقضونه في خبره فينفون ما أثبته أو يثبتون ما نفاه»[1] .**

إن العشماوى والقمنى وغيرهما لم يسألوا أنفسهم كم كان تأثير الفلسفة الوضعية والمادية عليهم وهى المنبثقة من عملية صراع تاريخية مريرة جرت في الغرب، فجزأت الحقيقة وطمست وقائع العالم وتاريخ الوجود وهدايات الوحى وسياقات النبوات والرسالات بخيالات مريضة وعنف فكرى مضاد لعنف الكنيسة الغربية القديمة وباستقطاعات تاريخية زيفت دلائلها ومسخت معالمها وبنظرة أحادية للتاريخ والإنسان والغيب والشرع .

حقاً، إن الأمر كما قال الشيخ محمد الغزالى ـ الذي لم يفهمه كثيرون للأسف![*] ـ فإن « الماديين يستطيعون أن يزعموا أى شيء»، إلا شيئاً واحداً، هو أن تفكيرهم المعطل المظلم يعتمد على أثارة من علم»[2] .

---

(١) النبوات لابن تيمية ص١١٦ .

(*) في أوروبا، يدمر شباب السلفية تاريخ وفكر هذا الرجل الفذ لوجود أخطاء اجتهادية عند الشيخ رحمه الله مع أن هؤلاء يقلبون موازين الأمور ويفضلون الحديث عن السنن الصغرى ويتركون السنن الكبرى ليخربها علمانيو اليوم، فلا وجود لفقه أولويات ولا حديث لفقه الواقع ولا وجود لمطاردة للكفر العلمانى كما فعل ابن تيمية قديماً مع الفكر اليوناني والمتفلسفة العرب وأصحاب الحيل والتصوف المنحرف وانحرافات أهل الكتاب، فقط يهتمون بتحجيب الغربية قبل تفهيمها وعزلها عن العالم وتلقينها سنناً يوجد ما هو أولى منها في التفهيم وهو غفلة عن منهج السلف الكرام.

(٢) ركائز الإيمان للغزالى ص٦٢ .

لقد شبَّه الشيخ محمد الغزالي هذه العقول السخيفة بالمداخن تنفث سوادها، هنا وهناك لكن في النهاية سوف يغلب الشعاع كل دخان [١] .

لكنه رحمه الله يحذر بأن « الغزو الثقافى أنكى من الغزو العسكرى واحتلال العقول أمضى من احتلال الأراضى »[٢] .

إنهم يخترعون النظريات، ويرسمون ملامح فصولها وشخوصها بما يتناسب مع مخططاتهم التجريبية للدين .

إن العشماوى بعد أن ينسب لموسى عليه السلام نسباً فرعونياً، وديناً وثنياً يعتمد على السحر والكهانة وعبادة الأشخاص والرموز والأوثان، وبعد أن اخترع له خطة مدهشة بارعة لإخراج بنى إسرائيل من مصر، زعم كذلك أن موسى عليه السلام رجع إلى مصر بعد أن سيطر عليهم بكهنته وبالسحر أربعين سنة كاملة وأعطاهم أرض كنعان بعد أن قام بتدمير مدنها وإبادة شعبها .

« بعد أن قضى موسى على الرعاة (العبيرو) في أرض كنعان، وأمَّن مصر من كل هجوم، ونقل العبرانيين إلى أرض كنعان بعيداً عن أرض مصر، فقد انسحب في هدوء، واختفى دون أن يلحظ أحد اختفاءه، وعاد إلى مصر، وحده أو مع كوكبة من جنده »[٣]!!

لم يأتِ القاضى المستشار على خرافاته هذه برائحة دليل، فموسى قضى، وأمَّن، ونقل، وانسحب، واختفى، وعاد، في آلية أسطورية عجيبة، لكنه قد يستخدم نصاً من هنا ونصاً من هناك لإقامة نظريته التي ليس لها مصدر إلا مداخن عقله الأسود، وتفاهات فرويد وغيره ممن تأثر بهم العشماوى «وبعد أن أتم موسى تحقيق أهدافه ترك العبرانيين إلى تابعه يوشع[*] واختفى بما تُعبِّر عنه التوراة بأنه

---

(١) علل وأدوية ص١٣٩ . (٢) المرجع السابق ص٢٠٦ .

(٣) مجلة أكتوبر المصرية مقالة العشماوى الأصول المصرية لليهودية (٩) شريعة موسى ١٢ نوفمبر ص٢٩ العدد ١٢٥٥ .

(*) زعم آخرون أن موسى قتل على يد يوشع كالقمنى وفرويد أما أحمد عثمان فيقول إنه مات في معارك !

انضم إلى قومه، وعاد إلى مصر دون أن يرى أحد موته أو رحيله»[١] .

وأنت ترى أخي القارئ، كيف أن العشماوى يقيم نظريته على تلفيق وخيال مريض، وبعض النصوص التي تُخبر عن أشياء مختلفة لتخديمها لعطب فكره وزبالة عقله فما عبرت عنه التوراة هو أن موسى انضم إلى قومه أى أنه عند موته انضم إلى قومه من الأموات، لكن العشماوى انتزع النص من سياقه وزعم بأن مقصد التوراة من القول بانضمام موسى إلى قومه المصريين بعد أن حقق أهدافه المتخيلة في الذهن العشماوى الصبياني، يقول «كان موسى قد حقق أهدافه، فأمن حدود مصر من البدو الهكسوس، وأخرج العبرانيين من أرض مصر، وتوههم (!) في صحراء سيناء حتى مات كل من خرج معه ولم يبق إلا الأجيال الجديدة التي انقطعت كل صلة لها بأرض جاسان وأصبحت تتطلع إلى الأرض التي قيل لهم إنهم وعدوا بها .. وهو ما يبرر لهم التشرد في الصحراء زمناً، والإخراج من مصر رغم أنوف آبائهم. خاصة مع الأمل أن يكونوا مع الوقت، ومع الأجيال الجديدة، قد صاروا ن المؤمنين بالله وشريعته، فيصيرون بذلك مستعمرة مصرية»[٢] .

فالخطة التي رسمها الحفيد مع الجد قد تحققت تماماً في عقل العشماوى وأرضيته الخصبة بالفكر الأسطورى والعقل الوهمى (أو بالحقيقة اللاعقل!) وهو يعتبرها دراسة علمية رصينة تؤيدها الدلائل العلمية والبراهين الكونية والحقائق التاريخية .

في حين أنها زيغ عقلي وخلل فكرى وباطل لا آخر له وشائعات علمانية وأساطير حديثة ومجموعة من الأوهام والتخليطات وخيال صبيانى وكلام موغل في الكذب فأين في التاريخ ما يؤيد وجهة نظر الدراسة في أن المصريين أرادوا إخراج العبرانيين، وتم ذلك بواسطة موسى»[٣] الذي زعم العشماوى أن جده هو الفرعون رمسيس الثاني وأنه تحرك بناء على خطة الفرعون ورضا الشعب! وضغط

---

(١) مقالة العشماوى في مجلة أكتوبر، الأصول المصرية(١٤) أرض المنفى ١٧ ديسمبر ص١٧ .

(٢) مقالة الأصول المصرية لليهودية (١٢) الشريعة والقانون ص١٤ العدد ١٢٥٨، ٣ ديسمبر ٢٠٠٠ .

(٣) مقالة العشماوى ،(الأصول المصرية لليهودية) (١٦ مزامير داود ٣١ ديسمبر ص٢٧ العدد ١٢٦٢ .

الجنود المصريين الذين - بزعم العشماوى ، طبعاً ! - كانوا تحت إمرة موسى فالعبرانيون « اضطروا إلى الخروج تحت تأثير قوة الجنود المصريين الذين كانوا تحت قيادته »[1] .

وهذا يعنى أن الخطة اشترك فيها الشعب والجنود والجد والحفيد، وكما عنى النص التوراتى الذى يقول بأن موسى انضم إلى قومه عند العشماوى بأنه انضم إلى جنده وشعبه المصرى! فقد عنى نصاً آخر توارتى أيضاً أن مكانة موسى عند قومه المصريين - بزعم العشماوى تدل على أن موسى لا يمكن أن يخون وطنه وناسه وأهله، يا سلام عليك يا عشماوى يا فتى مصر ويا من يقف للصهيونية -هو والقمنى- بالمرصاد !!

فتعقيباً على خروج ١١ :٣ (نص توراتى) يقول بأن موسى كان عظيماً جداً في أرض مصر يقول العشماوى « ومن كان هذا وضعه في مصر ولدى المصريين، لا يمكن أن يرتكب خيانة(!) ضد بلده، ولا جريمة (!) ضد مواطن له، لكن تقدير المصريين له كان على اعتبار أنه بطل قومي، وداعية ديني، ورجل سياسي، وأمير حربي، ولعل خروجه الأول من مصر إلى مديان كان عملاً للاستطلاع والاستخبار عما يفعله الهكسوس والرعاة، لإعادة غزو مصر واحتلالها واستمرار تملكها كذلك»[2] .

هكذا كلما احتل الخيال الواسع عند العشماوى مساحة كبيرة في رأسه كلما ضاق عقله وفقد رشده، فانقلب التاريخ عنده رأساً على عقب في ضبابية كثيفة تفاجئك دائماً بما لم تكن تتوقعه فموسى مصرى، وهو بطل قومي، وداعية ديني على الصورة المصرية الفرعونية القديمة التي هي تجليات وثنية وانعكاسات كونية وأصول أولية «فمصر أم الدنيا، على معنى أنها الأصول في الدين... وأنها

---

(١) المرجع السابق .

(٢) مجلة أكتوبر المصرية، مقالة العشماوى تحت عنوان : شريعة موسى، الأحد ١٢ نوفمبر ٢٠٠٠ ص٢٩ العدد ١٢٥٥ .

الفصل في الحكم على كل ما يتصل بالكونيات»[1] .

فالتجلى الإلهي ظهر في أشكال متعددة وأسماء متغيرة ووثنيات مصر لم تكن وثنيات وإنما هي هذه التجليات التي لا يفهمها إلا الخواص الماسون كالعشماوى القاضى نوارة الدفعة !

كذلك فهروب موسى من مصر لم يكن هروباً وإنما كان خطة تجسس!!

- هل تحتاج الخطة لهذا الزمن الذى قضاه موسى في مدين وتزوج فيه؟!

ألم يقل العشماوى منذ قليل « وفي حالة موسى فإن هروبه من مصر إلى مديان لابد أن يكون قد ذهب بزيه المصرى واضطره إلى لبس زيٍ بدوى يتناسب مع البيئة الصحراوية ويخفي هويته عن شرطة فرعون»[2] .

وأنت أخى القارئ ترى أن أدلة العشماوى ضعيفة ومتناقضة وملتوية ومستخلعة لأغراضه المبيتة ، التدميرية !

وقد أريتك أخى الكريم كيف أن العشماوى لعجزه عن إقامة نظريته بالأدلة العلمية والوثائق المادية ذهب يلوى عنق نصوص حالية للتوراة كنص انضمام موسى إلى قومه المنزوع من سياقه وكذلك نص أن موسى كان عظيماً في مصر الذى استخدمه العشماوى للتدليل على نجاح الخطة التي وضع الشعب أمله في المخطط لها أي موسى البطل، الداعية والقومى، ابن ابنة الفرعون رمسيس الثانى بزعم مستشار محكمة أمن الدولة، القاضى العادل، فتى مصر الوفى !

ولاختصار المسافات، ولخداع القراء يلقى العشماوى - فتى مصر - القول الزور على عواهنه فيقول كذباً وزوراً « السياق التوراتى للتسلسل النصى، يقطع بأن ذلك

---

(١) من كلام العشماوى ، مقالة الأصول المصرية اليهودية (٢٤) مصر هى الأصل والفصل، ٢٥ فبراير ٢٠٠١ العدد ١٢٧٠ ص٢٥ .

(٢) مقالة «موسى المصرى» ٢٢ أكتوبر ٢٠٠٠ ص٣٢ بمجلة أكتوبر للعشماوى .

كله كان في الأساس عملاً عسكرياً لموسى(!)(*) ، قصد به، على ما سلف - تهجير العبرانيين ... من أرض جاسان من مصر إلى أرض كنعان »[1] .

أي تسلسل أيها المستشار ؟!

يبدو أن الطيش ليس خاصاً بمرحلة معينة تكون على الأغلب مرحلة الشباب، فالعشماوى نوارة الدفعة يشطح كثيراً ويسرف ويهزى ويقول ما يعلم أنه زور وكذب فالسياق التوراتي هو على عكس خرافات العشماوى تماماً وعلى النقيض منه أبداً.

وليس هناك من عمل عسكرى لموسى قصد به إخراج العبرانيين من مصر بالاتفاق مع رمسيس الثانى، جد موسى بزعم فتى مصر المزوّر !

الداعية الساحر!

هل تفاجا اخى الكريم عندما يقول لك أحدهم إن موسى كان ضليعاً في السحر، وإنه كمصرى استطاع أن يسيطر على بنى إسرائيل في عملية إخراجهم وتوطينهم بالسحر!؟ إن هذا هو ما يقوله العشماوي !

ثم الا تأخذك الدهشة عندما يقوم أحدهم بمحاولة إثبات ذلك من القرآن يقول « وقد كان موسى ضليعاً فيما يسمى السحر، وفي ذلك يقول القرآن على لسان فرعون ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾[طه:٧١] ومن ضروب السحر ما يسمى بالتخييل أي القدرة التي يملكها شخص قوي للإيحاء إلى الآخرين بما يخيل إليهم،

(*) ومع ذلك يقول« الذي يثبت أن قصة موسى، على نحو ما كتبها كتاب التوراة، قصة قلقة (!) إن لم تكن مختلق(!) يقصد قطع صلة ونسب وعقل وروح موسى من مصر، وربطها اختلاقا واعتباطا بالعبرانيين . . . النص الوارد في سفر الأعمال (العهد الجديد) منه أن موسى نبذ أى صار منبوذاً في بيت أبيه العبراني (افتراضا) كانت تلك دلالة على أن موسى لم يكن عبرانياً قط وأنه طرد من بيت أبيه، رمزاً لجماعة العبرانيين بسبب أنه ليس منهم » مقالة (حقيقة موسى) مجلة أكتوبر ٢٩ أكتوبر ٢٠٠٠ص٣١ .

(١) مقالة العشماوى ، الأصول المصرية لليهودية (١٣) أرض الميعاد، ١٠ ديسمبر ص٢٤ العدد ١٢٥٩ .

وما يتخيلون وقوعه وتحققه، وما هو إلا إيحاء في رؤوسهم، وإلى جانب هذا الإيحاء وبعض أعمال السحر، فإن موسى استعان بمملكة الكهانة التي أنشأها ـ!) وحصرها في هارون وبنيه من اللاويين المصريين(!)(*)، واستطاع سلطان الكهانة الطاغي أن يُشكم العبرانيين وأن يسكت ثوراتهم الواحدة تلو الأخرى»[1]!!!

فالسحر للسيطرة إذا فرغت القلوب من العقيدة، هذه هي نظرية المستشار الذي كان رجلاً مهماً في محكمة أمن الدولة، يقول «إن العبرانيين لم يريدوا الخروج ولم يقبلوه وجادلوا موسى فيه قبل أن يبدأ. . . ولو أنهم اعتقدوا أن الخروج كان بناء على رغبة وأمر إله آبائهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، لما تراخوا عنه»[2]! وفي الحقيقة فإن بني إسرائيل خرجوا مع موسى عليه السلام وهم يعلمون أن الله عز وجل هو الآمر وأن موسى عليه السلام هو النبي، لكن العشماوي يقلب الحقائق ويطمس معالم التاريخ فيزعم أنهم لم يكونوا يعرفون رباً للبشرية كلها ولا عرفه آباؤهم، وأن موسى بعد أن سيطر عليهم بالسحر ومملكة الكهانة التي زعم أنه أنشأها أعطاهم تصوراً مصرياً عن الدين أدنى من التصور الأصلي حتى لاتختلط الأديان ويكون العبد كالسيد! «ومع الوقت بدأ يتضح أن موسى نقل كثيراً من عناصر اليهودية عن مصر وعن إخناتون بالذات»[3] يقول ذلك باعتبار أن موسى حفيد رمسيس الثاني ودينه دينه وعقيدته عقيدته! رجع العشماوي إلى عادته الرديئة في استخدام النصوص التي ليس فيها رائحة دليل على خزعبلاته وخرافاته، فزعم

(*) يزعم العشماوي أن «إخوته لهارون لم تكن إخوة دم بل كانت إخوة عقيدة ففي مصر كان أصحاب المعتقد الواحد يرون أنهم أخوة في الله، وهي الفكرة التي إتبعها فيثاغورس الإغريقي وسمى مجموعته «الإخوان الفيثاغوريين» ثم سارت على هذا النهج «الإخوان الماسونيين» و«إخوان الصفا» وغيرهم مقالته «حقيقة موسى» ٢٩ أكتوبر ٢٠٠٠ ص٣١.

(١) مقالة العشماوي ، الأصول المصرية لليهودية (١٢) الشريعة والقانون، بمجلة أكتوبر ٣ ديسمبر ٢٠٠٠ ص١٤ العدد ١٢٥٨.

(٢) مقالة العشماوي في مجلة أكتوبر ٢٦ نوفمبر ٢٠٠٠ العدد ١٢٥٧ ص٢٤.

(٣) مقالة البداية والنهاية مجلة أكتوبر الأحد ١١ مارس ٢٠٠١ ص٢٤.

أن ما ورد في القرآن على لسان فرعون للسحرة الذين تابوا للتو، إنما هو حقيقة قالها الفرعون باعتبار أنه جد موسى ويعرف عنه أكثر مما يعرف السحرة عن أنفسهم!

إنني متأكد أن القارىء الكريم يعرف تماماً أن العشماوي يهرف بما لا يعرف، ويشاركني الرأي أنه إما أن يكون العشماوي قد أصابه الجنون والخبال وإما أنه مريض محتال! وإلا فما شأن تهديد الفرعون المزعور للسحرة، التهديد بإطلاق الأكاذيب التي منها - بزعمه - أن موسى هو معلمهم الكبير والمدبر معهم الخطة بليل للإنقلاب عليه ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[الأعراف:١٢٣،١٢٤]. وهو قول الحاكم الذي يشعر بالخطر فيبدأ بنشر الأكاذيب والأراجيف والإشاعات والتهاويل ثم ينتهي بالقتل والتعذيب والتنكيل والتشريد، والسجن والحبس! لكن العشماوي يحجب ذلك كله، ويقوم بدور الفرعون، بل يجعل من قول الفرعون الذي قاله تهديداً وتخويفاً (وهو يعلم أنه يكذب) يجعل العشماوي من هذا القول (حقيقة تاريخية ودليلاً موضوعياً) لإضافته إلى أسطورته السخيفة وأطروحته الماكرة!

مدعياً أنه يقوم بتحليل علمي «في تفسير مهمة موسى تفسيراً جديداً»[1] ويظن العشماوي انه أتي بما لم تأت به الأوائل والمدهش أنه يزعم أنه «فتى مصر العلاّمة! ومنهجه هو منهج التلفيق والطمس، يقول «ومن ضمن ما تعلمه موسى... قواعد التأثير في العالم المادي الأسلوب الذي لا يعرف الناس أكثر قوانينه، ومن ثم سموه سحراً. وهذا العلم الذي يسمى بالسحر كان معروفاً، علمياً وعملياً لدى الكهنة المصريين ... وفي القرآن آية تفيد هذا المعنى، إذ يقول

---

(١) مقالة «شريعة موسى» ١٢ نوفمبر ٢٠٠٠ العدد ١٢٥٥.

فرعون للكهنة ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾[طه:٧١] وهو ما يعني أن موسى كان ضليعاً في السحر المصري القديم»[1]

إن ديدن العشماوي في كتاباته ضد ما أسماه الإسلام السياسي هو إتهامهم بنزع النصوص عن سياقها وإتباع قاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وأنهم يكتبون إنشاء وليس علماً!

وهنا في هذا المثال - وعندي مثله عشرات الأمثلة-يتبين العكس تماماً، فالعشماوي هو من يقوم بقلب الحقائق وعكس الأدلة ونزع النصوص على سياقها الخصوص! وفوق ذلك الكذب على الأنبياء، وذلك بعد تحويلهم إلى كهنة لديانات أخرى كما فعل علمانيون كثيرون!

إن ما جاء به موسى عليه السلام لم يكن سحراً تعلمه من مصر، ولم يكن هذا النبي الكريم ضليعاً في السحر والقرآن يؤكد أن موسى قبل قول الله «وما تلك بيمينك ياموسى» لم يكن قد عرف ماهية الآية الربانية ولا التمكن المزعوم في السحر! والعشماوي لم يأتي بدليل واحد على أن موسى تعلم السحر في مصر على كهنتها وسحرتها، والقرآن يذكر أن موسى كان يُصنَع على عين الله ومراقبته، فلا يمكن والأمر هكذا أن يجعله يؤمن بوثنية وسحر،وكهانة وكفر، بل مثل موسى عليه السلام لا يمكن أن يكون حفيداً لطاغية مصر القديمة فرعون المشئوم.

إن الذي جاء به موسى هو الحق من الله عز وجل، كان نبياً رسولاً، مقرباً من الله ومخلصا له، لا مقربا من فرعون ومخلصا له. ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾[مريم:٥١-٥٣] .

---

(١) مقالة العشماوي «موسى المصري» الأصول المصرية لليهودية (٦) ٢٢ أكتوبر . ٣٣ العدد ١٢٥٢.

إن الذي جاء به موسى لإبطال سحر السحرة كان «آية ربانية» و «معجزة إلهية»، هذه الآيات الإلهية كانت باهرة وتعجيزية إن صح التعبير لسحرة مصر فعلموا أنها من الله عز وجل وأن موسى نبياً ورسولاً، والساحر يعرف الفرق بين السحر وغيره، وكما قال ابن تيمية فإنه «ليس من جنس مقدورهم فآمنوا إيماناً جازماً»(١) ولا شك أنهم قد درسوا دعوة موسى وعلموا صدقها ولما رأوا الآيات المادية على صدقه آمنوا للتو ما جعل فرعون يستخدم أسلوب التهديد معهم.

وهم أدرى الناس بما في السحر من كذب وفجور وأن السحر يجد له مكاناً رفيعاً في الحضارات الوثنية، فالشرك والكذب والسحر والفجور يفرخون الدكتاتوريات التي لا تدع للنبوة والرسالة والدعوة طريقاً للإنسان وسبيلا لأبناء آدم.

إن الفرق بين النبي والساحر ـ كما قال ابن تيمية ـ أعظم مما بين الليل والنهار(٢) والتسوية بينهما ضلال بيّن «ولهذا لما مثلوا الرسول بالساحر وغيره قال تعالى «انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا»(٣) «فمن جعل النبي ساحراً ومجنوناً - يقول ابن تيمية - هو بمنزلة من جعل الساحر أو المجنون نبياً، وهذا من أعظم الفرية والتسوية بين الأضداد المختلفة... فإن الفارق بين النبي والساحر أو المجنون أعظم من الفرق بين العاقل والمجنون»(٤)

العشماوي رجل القانون!، يجعل من موسى فرعوناً ابن فرعون «ابن ابنة الفرعون رمسيس الثاني»! بل يساوي بين الفرعون والنبي موسى في الاعتقاد!

فثقافة موسى الدينية مصرية - بزعم العشماوي، وقد زعم ذلك في يوسف

---

(١) النبوات ص٣٢.
(٢) النبوات ص٢٧٧.
(٣) النبوات ص٢٣.
(٤) النبوات ص٢٧٧.

عليه السلام وإبراهيم عليه السلام(*)، وقد استخدمها مع السحر في إخراج بني إسرائيل من مصر! «اضطروا إلى الخروج تحت تأثيره ... ولما بدأتمرد العبرانيين عليه وتكررت ثورتهم هذه إضطر إلى اللجوء إلى ثقافته المصرية (!) فقال لهم إن الإله قد اختارهم (!) شعباً له(**) وانه وعدهم أرض كنعان ليقيموا فيها، وذلك بلا شك مزج للفكر الديني بما له من دفعة وما فيه من دفقة(!)، بالهدف السياسي والغرض القومي، مما كان له أثر عميق على اليهودية منذ البداية فأضفى عليها صبغة أيديولوجية»(1)

(*) فعن إبراهيم يقول «وهذا الختان كان معروفا في مصر أكثر من أربعة آلاف سنة قبل زيارة إبراهيم لها ... وقد عرفه إبراهيم من مصر، كما عرف تحديد الألوهية بالتجريد وعدم التمثيل ... إن الصابئة أبلغ وأصدق دليل على تأثير مصر على ابراهيم، إذ يستحيل أن يجيء إليها ويقيم فيها ثم يخرج منها دون ما أثر»!! مقالة «عهود الآباء (ب) مجلة أكتوبر ٨ أكتوبر ٢٠٠٠ ص٣١ اعدد ١٢٥٠ أما صاحب كتاب وعد التوراة «موسى مطلق إبراهيم» فيقول في كتابه هذا «إبراهيم كان شخصية مقدسة في ميثولوجيا بلاد الرافدين» ص٣٨. وعن يوسف عليه السلام يقول العشماوي «فثقافة يوسف ثقافة مصرية وعلمه علم مصري» من مقالة يوسف الصديق (ب) الأصول المصرية لليهودية (٢) في مجلة أكتوبر ٢٤ سبتمبر ٢٠٠٠ ص٢٧ العدد ١٢٤٨ وفي نفس المقالة يقول «وثمة عبارة في التوراة تفيد أنه درس في معبد أون» ص٢٦. وفي مقاله أخرى بتاريخ ١٧ سبتمبر ٢٠٠٠ ص٢٣ عن يوسف أيضاً يقول «بل إنه اعتنق العقيدة المصرية السليمة عن التوحيد بالله»!! من هنا بدأ العشماوي في هدم حقائق التاريخ يقول في نفس المقالة ص٢٢ «ولأن يوسف الصديق هو أقوى الحلقات وأهم الصلات بين المصريين والعبرانيين الذين صار منهم اليهود ، فإن الابتداء بدراسته شخص وحياة وعمل وعقيدة. أمر لا صارف عنه في شأن دراسة تتعقب الأصول المصرية في اليهودية(!) وترسم الخطوات المصرية، في الفكر الديني والاجتماعي لليهود» وفي ص٢٧ يقول «... الا يعني ذلك أن يعقوب كان يقصد في الحقيقة سيداً للقبيلة أو سيداً لآبائه دون أن يقصد الله الواحد الأحد الذي عرفه المصريون منذ قديم الزمان، وعرفه يوسف في معبد أون» وهو يعني أن إله يعقوب هو إله قبيلة!!!

(**) شفيق مقار ذهب أيضاً لهذا الافتراء فادعى أنها «كانت حيلة موفقة لإقناع شراذم موسى» قراءة سياسية للتوراة ص١٤٤.

(1) مجلة أكتوبر المصرية الأصول المصرية لليهودية (١٤) أرض المنفى للعشماوي ١٧ ديسمبر ٢٠٠٠ العدد ١٢٦٠ ص١٦.

يضيف «نوارة الدفعة» «فتـي مصر» «القاضي العدل» : أنهم أدركوا أن موسى يداعبـهم بهذه الفكرة وتلك ، ويلاعبـهم بهذا القول وذاك، حـتى يتم له نقلهم إلى أرض كنعـان المنفى، فـقاومـوه وعـارضوه وثاروا عليـه وتمردوا ضـده، ولم يؤمنوا بالإله الواحـد الأحد الذي أطلق هو عليـه ». هـ. و.ا لأنهم كانوا يعـرفون أنه الإله الذي يؤمن به المصريون(!) وأن موسى يريد أن يفرض عليهم إله المصريين (مع أنه إله الناس جميعـاً) كإنجاه منه لتمصرهم(!) ، أي أنهم رأوا فيمـا كان يفعله موسى ضرباً مما سمى بعد ذلك بالغزو الثقافي(!) الذي يمحو شخصيتهم ويُغير ثقافتهم ويفصلهم عن تراثهم القبلي(!)»[1] وبزعم العشـماوي فالإله الذي عبـده الأنبياء العبرانيون، يعقوب وإسحاق هو إله قبيلة وليس الإله العالمي الذي عبده يوسف من مصـر - بزعمه طبـعا - بعد أن تثقف بثـقافة المصـريين! لذلك يقول العشـماوي «فالصراع بين موسى والعبرانيين من ثم، كان صراعاً على التهجير إلى أرض المنفى وصراعاً على الألوهية»[2]

وهكذا فالعشماوي في «خبطات» سريعة يهدم حقائق ضخمة، وفي أعرق المجلات المصرية مجلة «أكتوبر» (والآن يكتب في روزاليوسف!) توقف هنا وبدأ هناك!

أما عن الخـصوصية التي زعم أن مـوسى المصري - في الاسطورة العشـماوية! منحها للعبرانيين وهـي قوله أن الإله قد اختارهم شعباً له فـسببها اضطراره لمنحهم إياها وعزلهم فكرياً وشعورياً ودينياً لئلا يتهدد أمن مصر «والقصـد من ذلك إيجاد حاجز نفسي وحاجز ديني يمنع العبـرانيين من الإنضمام إلى باقي القبائل والشعوب البدوية التي كانت في أرض كنعان، حتى لا يتهدد أمن مصر»[3]

(١-٢) المرجع السـابق ، نفس المقاله، يزعم العشـماوي أن تراثهم العقيدي هو اتباع «توحيد لإله القبيلة وليس التوحيـد العالمي والكوني المجرد ذلك الذي آمن به المصـريون منذ عصور ما قبل التـاريخ المكتوب (٣٢٠٠ ق.م) ثم تم ترسيخه في عقـيدة إخناتون» مجلة أكتوبر ٣ ديسمبر سنة ٢٠٠٠، الأصـول المصرية لليهودية (١٢) الشريعة والقانون.

(٣) المرجع السـابق نفس العدد ص١٧ على العكس من ذلك يزعم فرويد أيضاً أنه كان يريد بذلك إعطاءهم الثقة بأنفسـهم، انظر النبي موسى ص١٨٧ .

فموسى عند العشماوي مصري، أمير فرعوني، وحفيد الفرعون رمسيس الثاني، رسم «إستراتيجية»[1] لنفي العبرانيين عن مصر ولئلا يتهدد أمن مصر عزلهم عن الشعوب البدوية بمنحهم أفكاراً عازلة كعقيدة أنهم شعب الله المختار، كما أنه بإعطاءهم عقيدة إضطر إليها موسى(*) كاتجاه منه لتمصيرهم أمكنه تحويلهم من بداوة آبائهم يعقوب وإسحاق إلى الحضارة!

بهذا الكذب العشماوي يظن المستشار انه استطاع قلب الطاولة على الإسلام السياسي وعلى المد الإسلامي العظيم الذي يقف لماسونيته بالمرصاد ومعلوم أن الماسونية حركة خطيرة أرجعها معظم الباحثين إلى الصهيونية العالمية وامتداداتها الفكرية والسرية!

لا معجزات في الخروج ولا آيات ربانية!

يزعم العشماوي أن خروج العبرانيين من مصر بقيادة موسى!، الذي جعله مصرياً وضليعاً في السحر ومنفذاً لخطة الخروج مع جده الفرعون!، يزعم العشماوي أن الخروج حدث بلا معجزات **«حدث الخروج في سهولة ويسر، ولم تصاحبه أحداث مأساوية للمصريين. وهذا الذي يستفاد من النصوص(!) هو ما يقوله علماء التاريخ والدين المقارن(!)، إذ لا يجدون(!) في المخطوطات**

---

(١) كما عبّر عن ذلك العشماوي في مقالته «الشريعة والقانون» بمجلة اكتوبر ٣ ديسمبر ٢٠٠٠ العدد ١٢٥٨ وهي المقالة التي زعم فيها أن موسى كان ضليعاً في السحر وأن العبرانيين في التوراة فصلوه عن أصله المصري ونسبوه لهم؟

(*) يزعم العشماوي أن بني إسرائيل الذين طلبوا من موسى أن يجعل لهم إلهاً(!) وليس هو الذي ابتدأ ذلك من عنده ، الأصول المصرية لليهودية (١٠) تفصيل الشريعة، مجلة أكتوبر ١٩ نوفمبر ٢٠٠٠ العدد ١٢٥٦. وهذا الكلام خلط وتزوير للوقائع، فالله عز وجل هو الذي أرسل موسى إبتداء بعقيدة التوحيد في مواجهة العقائد المصرية الوثنية وهذا يهدم إفتراءات العشماوي من أن العقيدة التي أعطاها للعبرانيين إنما إضطر إليها وأنها عقائد مصرية يؤمن بها الفرعون الذي زعم العشماوي أنه جد موسى!

والمنقوشات والمحفورات المصرية أي دليل على وقوع أحداث بالصورة البالغة المأساة التي تصورها التوراة وهو أمر لو حدث لما أغفلته السجلات المصرية أبداً»[1]

لم يأت العشماوي على نفي معجزات الخروج بدليل صحيح مقنع، وإنما الذي أتى به بإعتباره دليل علمي وبحث موضوعي هو قوله أن ما يدعيه مستفاد من النصوص التوراتية ولم يذكر أي نص لتدعيم أكاذيبه وذلك لأن النصوص التوراتية صريحة جداً في إثبات معجزات الخروج ثم هو يعتمد على ما يقوله كثير من علماء التاريخ والدين المقارن، وأكثرهم ماديون، إذ لا يجدون دليلاً مكتوباً أو منقوشاً أو محفوراً في السجلات المصرية القديمة أو الرسوم الفرعونية المكتشفة على وقوع أحداث كهذه!، وهذا الدليل يعتبر دليلاً قوياً بالنسبة لعلماء التاريخ الغربيون الذين لايؤمنون بالدين والوحي والنبوة والشريعة فوق أنهم يحجبون الحقائق الناسفة لنظرياتهم ويعزلون الأدلة المدمرة لنتائجهم ويسترون البراهين الكاشفة لأهوائهم!

إن نفس هؤلاء العلماء أثبتوا أن كثيراً من الأسر المصرية الحاكمة آنذاك كانت تقوم بكشط التواريخ وإخفاء آثار من قبلهم ومحو أسماءهم وذكراهم وكأنهم لم يوجدوا في التاريخ قط والتاريخ المصري القديم مملوء بذلك، والعشماوي والقمني وغيرهما يعلمون ذلك جيداً لكنهم يرفضون إتخاذ ذلك دليلاً على إخفاء الفراعنة لمعالم هذا الحدث التاريخي العظيم، تكبراً وجحداً لحقائق التاريخ وإخفاء لمعالم الحجب والعزل والإخفاء والطمس!!! وذلك أنهم يعلمون أن الإيمان بمعجزات حقيقية للأنبياء يستدعي الإيمان بنبوتهم ومن ثم صحة الرسالات السماوية التي تهدم نظرياتهم العلمانية الهشة وتحرمهم من ولاء عجيب وتسليم مدهش وتقليد معجب للفكر الغربي الحديث، خصوصاً أفكار فرويد وفليكوفسكي اليهوديين

---

(١) مقالته في مجلة أكتوبر بعنوان شريعة موسى، الأصول المصرية لليهودية (٩) بتاريخ ١٢ نوفمبر ٢٠٠٠ ص٢٨ العدد ١٢٥٥.

اللذين أنكروا أيضاً معجزات الخروج بناء على كفرهم بالنبوات والرسالات وتبنيهم للمنهجية المادية الأحادية في التحليل القاصرة على حل ألغاز التاريخ وتفسيره تفسيراً علمياً حقيقياً!

إن كثيرين منهم أنكروا حدث الخروج، وكثيرين آخرين أثبتوا الحدث لكنهم أعطوه دلالات سخيفة ومعاني قاصرة هزيلة ومضحكة تبدو عليها آثار التلاعب الخائب والتحرّش المبيّت كما أنها تحمل في طياتها أسباب تصورها ووسائل تدميرها!

ولنضرب على ذلك مثالاً قريباً لا يذهب بنا بعيداً، وهو تعليق فليوكوفكي على الحدث الذي زعم أنه لايوجد مصدر تاريخي صادق يدعم هذا القصص الديني(١) فيقول «إن دراسة موضوع الكوارث وترتيبها يجعلنا ندرك أنها شكل من أشكال تغير الطقس الذي يحدث عاماً بعد عام. ولا نعجب إذا كان ذلك لم يلفت نظر ولا إنتباه المصريين كحدث عادي، بالقدر الذي لم يثر انتباههم فيه حدث سنوي متكرر، لدخول وخروج البدو من حدودهم مع قطعان ماشيتهم أو ما سمي بالخروج. وربما كان الجيش المطارد قد تعرض لكارثة ليس بسبب إنشقاق البحر وانطباقه بعد ذلك، ولكن بسبب موجهة مد عاتية(!) قد ضاعفها الإعصار(!).

إذا كانت كل الوثائق والتسجيلات المصرية القديمة تجهل أن البحر قد التهم ملكهم وجيشه وعجلاته الحربية في حين بقيت أمجاد المعجزة حية في أذهان نسل الهاربين من الطغيان الفرعوني، وكرموا أنفسهم(!) بقصة عاصفة إعجازية وبحر منشق لم يشهد بحدوثه المصريون في أي من وثائقهم التاريخية»!!(٢)

أما في كتابه «عوالم في تصادم» فقد قام فليكوفكي بدراسة أحداث التاريخ بناء على القواعد المادية القاصرة والهزيلة.

---

(١) عصور في فوضى، من الخروج إلى الملك إخناتون ص٤٧.

(٢) المرجع السابق ص٤٨-٥٠.

يشرح لنا الدكتور رفعت السيد(*) مترجم كتاب فليكوفسكي عصور في فوضى فلسفه فليكوفسكي ورؤيته للحدث «أول ما يخرج به فليكوفسكي من إعادة دراسة التاريخ على ضوء الكوارث الكونية هو أن حادثة خروج بني إسرائيل من مصر قد واكبت كارثة كونية وقعت بفعل حادث طبيعي كوني وهو ارتطام ذيل أحد المذنبات السيارة بالكرة الأرضية... يخرج بكل هذه الوقائع من دائرة الدين التي تعزوها إلى معجزات إلهية، إلى دائرة الكوارث الكونية(!) التي تعود إلى أحداث الطبيعة، فالخروج لا يمثل معجزة إلهية.»[1]

هذه هي أفكار الفكر العلماني الغربي والعربي، وهي كلها تصب في عملية تزييف حقائق التاريخ والتلاعب بأحداثه ووقائعه وإعطاءها تفسيراً هزيلاً له ارتباط عضوي بحقيقة الصراع المرير بين الكنيسة والفلسفة والعلم في القرون الأربعة الخالية.

بل هذه هي أفكار المستشار محمد سعيد العشاوي الذي يقوم بمحاولاته الهزيلة في نفى عقائد الإسلام وتحطيم مبادىء الإيمان وتغيير وقائع التاريخ النبوي على طول التاريخ.

إنه القاضي الذي تدل تلاعباته على ظلمه لا عدله، وعلى ظلمة أفكاره لا نورانية عقله وعلى طمسه للحقائق لا إظهارها وإعلانها في محكمة العدل البشرية إننا نذكره بقول الله عز وجل في الكفار المناوئين ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[النور: ٥٧].

فانتظروا إنا منتظرون!

(*) رفعت السيد، من عمالقة الفكر المادي التخريبي وأحد رموز العلمانية في مصر.

(١) مقدمة كتاب عصور في فوضى ص١٨، ١٩.

الفصل الخامس

« إن صـورة مـوسى عليه السلام، وأخـيـه هارون، عليه السلام في الـثـقـافـة الإسلامية - التي صاغها وصبغها القرآن الكريم - هى صورة حبيب الله.. الذى صنعه الله على عينه .. وقربه .. واستخلصه لنفسه وجعله كليمه .. ونجيه.. واستجاب دعاءه .. وسلّم عليه .. وجعله القوى الأمين .. وآتاه الكتاب والفرقان والسلطان .....

وصورة هذا الكتاب - التوراة - في القرآن الكريم هى صورة : الإمام .. والرحمة .. والهدى .. والنور ...»

محمد عمارة

الإسلام والآخر

من يعترف بمن ؟.. ومن ينكر من ص٢٥

افتراءات أحمد عثمان(*) وإيقاف التاريخ على رأسه

يذهب بعض الباحثين إلى نفي وجود الأنبياء في التاريخ، فالأنبياء عندهم ليسو أشخاصاً تاريخيين حقيقيين أي لم يوجدوا في العالم قط!

الباحث الدكتور أحمد عثمان يذهب مع آخرين إلى إثبات وجودهم كأشخاص تاريخيين لكن تحت أسماء أخرى وأنساب أخرى وأهداف في الحياة أخرى أيضاً!(**) بحيث يؤكدون وجود شخوص الأنبياء في التاريخ باعتبارهم كهنة مصريين أو أمراء وملوك وجدوا في التاريخ بصفتهم مصريين أو عراقيين أو سوريين وليست لهم صلة من قريب أو بعيد بالنبوة أو الرسالة الإلهية أو الوحي الرباني!

وإذا سألتني أخي القارىء عن الفارق بين من ينفي وجودهم من التاريخ وبين الذين يثبتونهم لا أنبياء ولا مرسلين وإنما يثبتونهم أعضاء في كهانة مصرية أو عراقية أو أعضاء في مملكة أو إمبراطورية يديرون دفتها، فإن إجابتي التي

(*) أحمد عثمان من مواليد القاهرة عام ١٩٣٤ وقد حصل على ليسانس حقوق من جامعة عين شمس ثم عمل صحفياً في مؤسسة اخبار اليوم حتى نهاية عام ١٩٦٤ كتب خلالها خمس مسرحيات قدمت إحداها «بيت القياس» على خشبة المسرح الحديث قبل هجرته إلى انجلترا وإقامته في العاصمة لندن مع زوجته ابنة الموسيقار الراحل مدحت عاصم منذ ما يقرب من ثلاثين عاماً التحق بمدارسات مسائية لجامعة لندن وشارك في أبحاث حرة في مكتبة المتحف البريطاني عن التاريخ المصري القديم كما درس علوم الكتاب المقدس وقام بتأليف ٤ كتب بالإنجليزية عن علاقة القصص القرآنية والكتاب المقدس في التاريخ المصري القديم نشرت له ٦ كتب بالعربية إعتمدنا على خمسة منها هنا والسادس هو قصة الحضارة الفرعونية.

(**) يقول أحمد عثمان «وبالرغم من أن بعض الباحثين الحديثين ينكرون أن يكون هؤلاء الأنبياء أشخاصاً تاريخيين حقيقيين، زاعمين أنهم مجرد شخصيات أسطورية إلا أن معاول الأثريين أخرجت لنا أخيراً العديد من الأدلة التي تؤكد تاريخية هؤلاء الأشخاص» الأصول المصرية في اليهودية والمسيحية لأحمد عثمان ص٣٣ فأثبت أحمد عثمان وجودهم بإعتبارهم الأشخاص الذين لم يكونوا أنبياء قط والذين كانوا وثنيين على طول الخط!!

استخلصتها من هذا البحث هي أن النافي والمثبت سواء!

فمن أثبتهم كهنة وملوكاً وفراعنة قال بنفيهم أنبياء ورسلاً ورجالاً موحى إليهم من الله بحكمة وشريعة وعقيدة وعلم، ومن نفى كل وجود لهم فقد أثبتهم في الأساطير وأقر وجودهم في ميثولوجيات العهود القديمة!

والهدف النهائي هو نفي النبوة وطرد الوحي وتحطيم الرسالة وإلغاء الشريعة وقتل الإيمان وإرهاب المؤمنين وزلزلة الموحدين!

أحمد عثمان ويوسف عليه السلام !!

ادعى أحمد عثمان أن يوسف عليه السلام هو الوزير (يويا) وزير الفرعون أمنحتب الثالث، وأنه لم يكن إسرائيلياً أو عبرانياً أو نبياً أو موحداً! وهو ما يؤدي إلى إنكار وجود يوسف عليه السلام في التاريخ كما ذهب إلى ذلك صاحب الكتاب المشهور «فجر التاريخ» (عالم المصريات: بريستد) كما إنه يتساوى مع إثبات وجود زائف لهم بإعتبارهم فراعنة وثنيين أو إباحيين أو أشخاصاً مقتبسين من قصص حقيقية لها أحداثها التاريخية ما يعني أن لهم وجوداً ما في «الرواية الأصل!» أو «الأصل المقتبس منه»!!

لقد أمضى الدكتور أحمد عثمان ما يزيد على الثلاثين عاماً - في الغربة في لندن - أمضاها في دراسة التاريخ المصري القديم ومحاولة ربطه أو خلق علاقة له بما جاء في القرآن وكتب يهود (أسفار العهد القديم)، ربطاً خبيثاً مغرضاً! بيد أن النتيجة المستخلصة من هذه الدراسة الطويلة الأجل والمتخصصة كانت مدهشة للغاية ومليئة بالثغرات والفجوات، ومفعمة بالتلوين، والتلفيق، والتحوير، والتبديل، وقائمة على الخيال، وفقدان السيطرة على جموح النفس، وشطط العقل، وهيجان الخيال (العلماني!)

لقد قمت بدراسة أفكار أحمد عثمان فلم أجد دليلاً علمياً واحداً يرضى به إنسان عاقل يعرف قدر نفسه وحجم الاكتشافات الأثرية وخطر صنع النظريات التي لا أساس لها ، والتي هي كثيرة كغثاء السيل وهشة كفقاعات الهواء!

إن عمل أحمد عثمان في قلب التاريخ رأساً على عقب وإعادة نسج رواياته وتضفير خيوطه بما يتناسق مع المنهج العلماني التاريخي القائم على تفسيراته اللاعقلانية وآلياته الأسطورية، **إن عمله هذا يدل على فشل المناهج العلمانية كلها في فهم التاريخ وفقه مبادئه ومعرفة شروطه وأنظمته وسننه! فمادامت المناهج أحادية وجزئية وعوراء فإن النتائج ستكون قاصرة وشائهة وعمياء!، وبالتالي سيحدث خلل في صناعة الإنسان وصناعة المجتمعات!**

إن الخطورة في الأعمال القائمة على هذه المنهجية الضعيفة إنما هو في استخلاص النتائج من شواهد غامضة، ومواد غير مكتملة، وأدلة لا صلة لها بتاتاً بموضوع ومادة البحث والأخطر هو طمئنة القارىء بأن البحث قائم على وثائق علمية وأدلة أركيولوجية ومصادر تاريخية. هذا هو الخداع الذي يتقنه كهنة العلمانية كما اتقنته قديماً كهانات الوثنيات الطامحة!

إن عمل أحمد عثمان الخطير هو إلغاء الصور الحقيقية التاريخية للأنبياء بادعاءات فارغة وكلمات ليست أكثر من دخان في الهواء وزفير أسود من الهباب! **يقول أحمد عثمان «وكان أول ما توصلت إليه من أدلة، تتعلق بيويا وزير آمنحتب الثالث ويوسف الصديق. فقد عثرت على العديد من الأدلة والقرائن التي تؤكد أن الشخص الذي نعرفه من المصادر التاريخية باسم يويا أحد وزراء آمنحتب الثالث، هو ذات الشخص الذي وردت قصته في القرآن والتوراة باسم يوسف(*). لم يكن**

(*) أما السيد أسامة عبدالحميد يحيى فقد إدعى أن يوسف عليه السلام لم يكن يويا وزير آمنحتب الثالث وإنما هو امنحتب الوزير المهندس الذي صمم هرم زوسر المدرج في سقارة كما في مجلة أخبار الأدب عدد يوم ١٩/١٠/١٩٩٧ . انظر كتاب المغالطات للدكتور عبدالمنعم عبدالحليم سيد ص١٢٥-١٢٨ .

يوسف الصديق يهودياً لأن الديانة اليهودية لم تظهر في بابل إلا بعد بضعة قرون من (عصر يوسف وموسى)، كما أنه لم يكن إسرائيلياً»[1]

فلإثبات وجود يوسف في التاريخ ذهب أحمد عثمان يبحث عن أدلة تاريخية على أساس التحليل العلماني القاصر للتاريخ بما يعني نزع أي علاقة للأنبياء بالوحي الإلهي، ونسف أي تصور ديني مبني على أسبقية عقيدة التوحيد على وجود الإنسان على الأرض!

إن الدكتور أحمد عثمان يقتطع صورة مما كشفته معاول الأثريين - كما يفعل العلمانيون الذين ذكرتهم في هذا الكتاب! محاولاً ربطها بالأنبياء ثم تدمير صورهم بها، فيثبتهم وجوداً مصرياً وثنياً، ساعياً بذلك إلى تخريب وجودهم الحقيقي، وذلك بجعلهم أشخاصاً تاريخيين مصريين ليس لهم أي صلة بالنبوة والوحي والتاريخ الحقيقي لهم، أسماؤهم مختلفة وأسماء آبائهم وأمهاتهم لذلك مختلفة وعقائدهم مختلفة ومواقعهم في التاريخ مختلفة!

فيوسف هو (الوزير يويا) الذي زوّج ابنته للفرعون آمنحتب الثالث يقول أحمد عثمان «كانت مفاجأة لي أن أجد شبه انطباق تام(!) بين ما نعرفه عن يوسف الصديق من القرآن والتوراة، وما هو موجود في المصادر المصرية القديمة عن يويا»[2] وهو كذب سيأتي كشفه بالكشف عن حقيقة وسيرة آمنحتب الثالث!

أما ماذا يريد أحمد عثمان الوصول إليه بذلك الادعاء من التطابق التام بين يوسف عليه السلام والوزير يويا، فهو الشيء الخطير حقاً!! فأولاً يقول «أن يويا كانت له ابنة هامة في التاريخ، هي طاي التي تزوجها الملك آمنحتب الثالث وجعلها ملكته،

(١) الأصول المصرية في اليهودية والمسيحية ص٣٣، ٣٤ كذلك وضع هذه الأفكار في كتابه الصادر عام ١٩٨٩ بعنوان «غريب في وادي الملوك - مومياء يوسف الصديق في المتحف المصري»!

(٢) المرجع السابق ص٣٩.

والتي أنجبت له ابنه اخناتون الشهير. ورغم أن التوراة لا تذكر صراحة أن يوسف كانت له ابنة، فهي تحتوي العديد من الدلالات التي تؤكد وجود هذه الابنة»[1]!!! هذه الابنة طاي، صارت ملكة «طاي ابنة يويا التي صارت ملكة على مصر، عندما نعلم من القصة التوراتية أن يوسف كان يلجأ إلى الملكة يحاول التأثير على زوجها لتحقيق رغبة خاصة له»[2]!!!

وعلى ذلك يكون إخناتون حفيد يوسف مباشرة باعتبار يوسف هو يويا الوزير!! أما الفرية الخطيرة - والأخطر على الإطلاق! - لأحمد عثمان فهي أنه ادعى أن موسى هو اخناتون! أي أن موسى هو حفيد يوسف مباشرة! أو بالأصح الوزير يويا! وعلى إمتداد صفحات (الفصل الرابع) من كتابه الأصول المصرية(!) لليهودية والمسيحية، وهو بعنوان (موسى النبي والملك إخناتون) حاول أحمد عثمان الوصول إلى تطابق بين موسى وإخناتون!!![*] وهو ما يعني أن (يوسف/ يويا) جد (موسى/ إخناتون) بإنجاب (طاي/ تي) (إبنة) يويا/ يوسف له وذلك بزواجها من الفرعون آمنحتب الثالث!

وهو ما يجعل عصر يوسف عليه السلام هو نفس عصر موسى عليه السلام وهذا في نفسه دليل قوي على سخافة وتهافت نظرية أحمد عثمان التي توصل إليها في إحدى ليالي شتاء لندن الباردة عام ١٩٨٤ وهو يقرأ أسفار العهد القديم لليهود كما ذكر هو[3] ذلك أن عصر يوسف عليه السلام سابق على عصر موسى النبي بقرون عديدة كما يعرف ذلك كل الناس!

---

(١) المرجع السابق ص٤١. (٢) المرجع السابق ص٤١.

(*) كذلك فقد ألف أحمد عثمان كتاباً بالانجليزية، ترجمته «موسى فرعون مصر، حل غموض شخصية اخناتون» "Moses Pharaoh of Egypt, The Mystery of Akhenaten resolved" وقال فيه بنفس الفرية، أن موسى هو إخناتون.

(٣) انظر المرجع السابق ص٣٦-٣٨.

لكن أحمد عثمان يتوصل إلى غير ذلك ببراعة يحسد عليها! يقول «وأدى التوصل إلى تحديد عصر يوسف الصديق في مصر بفترة حكم آمنحتب الثالث - الذي حكم مصر حوالي ٣٨ عاما من ١٤٠٥ قبل الميلاد إلى أن أصبح الطريق مفتوحاً أمامنا لتحديد عصر موسى عليه السلام، بل والتعرف كذلك على الشخصية التاريخية لنبي التوحيد في مصر(*). فهل كان الشخص الذي نعرفه من كتب التاريخ بإسم إخناتون، هو ذات الشخص الذي عرفناه باسم موسى من الكتب الدينية، فكلاهما عاش في نفس الزمان والمكان(!)»[1]

ومع أن أحمد عثمان اختلف في نظريته عن كثير من الباحثين العلمانيين الآخرين إلا أنه يشترك معهم في الادعاء بأن نظريته تقوم على الاعتماد على التاريخ الحديث والمعلومات الدقيقة!

يقول «... فبدأ الباحثون يُعملون الفكر(!) في محاولة لإعادة تقييم الروايات القديمة... واستطاع علم التاريخ الحديث أن يعطينا معلومات دقيقة عن أحداث العالم القديم، من المصادر المصرية والبابلية والسورية والكنعانية واليونانية»[2] وكلام أحمد عثمان هنا يحتاج إلى تدقيق شديد، فهو يحتال على قارئه بادعاء دقة نظريته وذلك بالإيحاء بأنها معتمدة على المعلومات الدقيقة والاكتشافات الأثرية.

ولو نظرنا إلى هذه الإكتشافات لوجدناها تظهر معلومات عن ملوك وفراعنة، ودول وإمبراطوريات، وهذا في حد ذاته لا غبار عليه فهي نتاج عمليات حفرية وتنقيبات أثرية لكن ذلك لا يقول أبداً بأن موسى هو إخناتون أو أن يوسف هو يويا أو أن فرعون هو جد موسى أو أن حتشبسوت أو (تي) أو (طاي) هي أم موسى(*) أو أن موسى هو إله وإنسان معاً أو أنه أخو الإله الشرير في الأسطورة المصرية،

(*) يقصد إخناتون الذي قال بأنه هو موسى وفي كتاباته الأخرى كما سيأتي يجعل أحمد عثمان هذا التوحيد إفرازاً وتطوراً تاريخياً وليس عقيدة كونية ووحياً ربانياً ورسالة إلهية للبشر.

(١) المرجع السابق ص٥٥.

(٢) تاريخ اليهود ص٤١.

• الإله سيت! فكل هذه خيالات وخرافات وأساطير الباحثين العلمانيين الذي يُخدّمون الاكتشافات لنظرياتهم ويحاولون تخريب التاريخ البشري وإضاعة الحقائق بتلفيقاتهم وإتهاماتهم المتطرفة حقاً!

يقول أحمد عثمان «فنصوص العهد القديم التوراتية مبنية على انتحال وقائع التاريخ المصري القديم، ليس هذا فحسب، بل إن عقائد التوحيد اليهودية وخلود الروح المسيحية، ظهرت في مصر القديمة. كما أن كثيراً من الشخصيات الرئيسية التي ورد ذكرها في الكتب المقدسة، لم تكن كنعانية الأصل كما ساد الاعتقاد، بل كانت في الواقع تمثل أشخاصاً مصرية معروفة من مصادر التاريخ ... قصص القرآن تأتي من ذات المصدر الذي جاءت منه الكتب الدينية السابقة»[1]!!

ففي هذا النص ينسف التاريخ الحقيقي للأنبياء بإرجاع قصصهم إلى التراث المصري القديم كما يرجع عقيدة التوحيد لنفس هذا التراث كما أنه يتهم القرآن بأنه أتى من المصدر الذي جاءت منه الكتب الدينية السابقة التي انتحلت وقائع التاريخ المصري القديم!! (كما فعل القمني وغيره)

يقول ذلك بناءً على نظريته السخيفة في يوسف وموسى عليهما السلام والتي لم يأتي بدليل واحد منطقي ومادي لجعلها أقل ترنحا وأكثر ثباتاً!!

تلويث صورة يوسف وموسى عليهما السلام

ويجعل أحمد عثمان من الملكة طاي ابنة ليوسف عليه السلام وأما لموسى يكون إنتهى

(•) بل لقد ذهب الدكتور مراد محمد الدش أستاذ مساعد الهندسة الإنشائية بجامعة عين شمس إلى القول بأنه نشأ تنافس بين موسى والملك تحتمس الثاني على الزواج من حتشبسوت ففاز بها تحتمس فقتله موسى ثم هرب إلى سيناء، ومعلوم أن هذا كذب وخبال سخيف فلا موسى هرب لهذا السبب المزعوم ولا كان تحتمس هذا هو الفرعون الذي عاش موسى في زمنه. انظر عرض الأستاذ عبدالمحسن سلامة المحرر بجريدة الأهرام لخرافات الدكتور الدش في عدد الأهرام ١٣/١١/١٩٩٧ في الصحيفة الخاصة بالتحقيقات وانظر الرد عليها في المغالطات ... ص١٣٠.

(١) الأصول المصرية في اليهودية والمسيحية ص٢٥

إلى ما انتهى إليه سيد القمني من الإفك والزور وفواحش الكلام والغمز المبطن والإيحاء البعيد، فالملكة (تي) أو (طاي) زوجة آمنحتب الثالث والتي جعلها القمني أماً لإخناتون/ موسى/ أوديب، كانت تتجلى عبادتها في تأليه الإله السيناوي الذي يقول عنه سيد القمني «لعلنا نذكر كيف كانت أهم تجليات الإله السيناوي هي التجلي الخصبي ممثلاً في قضيب الذكر/ المشروم/ البركان، وأن البركان عندما يقذف بمصهوراته مع هيئته المرتفعة كالقضيب العظيم ومقذفه القوي، وما يؤدي إليه من خصوبة عالية في الأرض أدى إلى تصوره قضيباً إلهيا عظيما»[١]

وفي عيد (حب سد) قام إخناتون - بحسب القمني! - في العام الثاني عشر من حكمه في تل العمارنة بإعلان الطقوس الآتونية الإباحية وزوج أُمه الملكة (تي) يقول القمني «وهو ما تنطق به لنا لوحة الحائط الشرقي بمقبرة يويا التي يأخذ فيها إخناتون بيد أمه تي يقودها إلى المعبد تتبعهما ابنته بكتاتن فقط وحدها. مع تدوين شارح يقول: «يقود الملكة العظمى والأم الملكية تي لترى ظلها في الشمس» وفي اللوحة يرتدي إخناتون ثوباً شفافاً يسمح برؤية تفاصيله الداخلية، أما تي فتكاد تكون عارية تماما. ومن بعدها قرر أن تستمر هذه العلاقة في زواج صريح معلن دائم وليس فقط في حفل سري بالمعبد»[٢]!! هذا هو إخناتون الذي يفتخر به المستشار محمد سعيد العشماوي يقول القمني «ومن هنا نفهم السر في ذلك العري العجيب في فنون العمارنة، ولماذا كانت نفرتيتي وتي وبناتها يظهرن عرايا الفروج أمام الناس. لقد كان إفصاحاً عن طقس لابد يلازم العبادة الجنسية التي تقدس أعضاء التناسل ولا ترى في إظهارها عيبا ولا كارثة أخلاقية، بل لونا من الإحترام الواجب واللائق للمقدس»[٣]

فهل هذه هي ابنة يوسف وأم موسى يا أحمد عثمان؟

---

(١) النبي موسى وآخر أيام تل العمارنة جـ٣ ص٨٤٥.

(٢) المرجع السابق جـ٣ ص٨٥٦،٨٥٧.

(٣) المرجع السابق جـ٣ ص٨٤٦.

فإن كـان يمكننا أن نتعامى عن قولـه بعدم وجود فارق زمني بين عـصر يوسف وعصـر موسى عليهـما السلام، فـهل يمكننا أن نتغاضى عـن هذه الفواحش التي يرتكبهـا العلمانيون العرب علنا وفي كـتب محترمـة تباع في المكتبات الـعامة في العواصم الكبـرى للدول العربية والإسلامـية ولها إحتـرامها الخاص في كـثير من الجامعات العربية التي تعتبر هذه الـسخافات هدايا.في عالم الفكر والإبداع والبحث والفحص العملي!!!

البرهان القاصر في نظرية أحمد عثمان:

إن الشيء الرئيـسي الذي جعل أحمد عـثمان يربط بين الوزير (يويا) العاهر وبين يوسف الصديق النبي «أن كلا منهما - يقـول عثمان - حصل على لقب كان نادراً في مصـر القديمة، هو «أبا لفـرعون» فـفي إحدى ليـالي شتـاء لندن الباردة عـام ١٩٨٤، إستيقظت من نومي وسط ظلام الليـل (!)، فجلسـت بجانب المدفأة أتناول فنجـاناً من الشاي فـي صمت حـتى لا أوقظ ابنتي وزوجـتي. ورحت أطالع سفـر التكوين من العهـد القديم، الذي سبق لي قـراءته عدة مرات. وبينما كـانت عيناي تتنقـلان بين الصفحـات، استوقفـتني فجأة بعض الكلمـات في قصة يوسـف، فـقد أدركت عندئذ - للمرة الأولى - أهمـية دلالتها التاريخـية ... «أنا يوسف ... وقد جعلني أبا لفرعون» الإصحـاح ٤٥ (٤-٩) ... وكان لقب الوزير في مصر القديمة دائماً هو «ابن الفرعون»[١]

فوجد أحـمد عثمان قول يوسف في العـهد القديم «أبا لفرعون» دليـلاً تاريخياً فـأسرع بربطـه بلقب يويا الوزير «لقب نادر لم يحـصل عليـه خـلال هذه الفتـرة التاريخـية سوى شخص واحـد هو يويا، الذي أصبح أحد وزراء آمنحـتب الثالث

---

(١) الأصول المصرية في اليهودية ص٣٦، ٣٧.

عند بداية القرن الرابع عشر قبل الميلاد»[١]

هل هذا هو كل ما في جعبة أحمد عثمان؟ (بقية الأدلة أخذها من فرويد وغيره!) فمن أجل لقب وَجَدَه في كتاب لم يتعبَّدنا الله به يربط بين صدّيق رسول ووزير عاهر ؟! ويزعم أن التوارة انتحلت وقائع التاريخ المصري وهو ما يعني أن الأصل هو يويا وليس النبي يوسف عليه السلام فهو إنتحال توراتي بزعمه! بل وقرآني كما تقدم من كلامه!

وأحمد عثمان لا يختلف في أدلته الدقيقة وبراهينه المتينة وخياله الخصيب عن بعض العلماء الذين زعموا أن على المريخ مدناً كبيرة!!! وأن علامات الخطوط عليه إنما هي تقسيمات تمت على يد جنس مريخي وذلك بمجرد رؤيتهم لخطوط وعلامات مريخية تشبه تقسيمات المدن الأرضية!!! هذا إذا افترضنا حسن نيته!، أما والرجل ضليع في الإفساد التاريخي كالقمني والعشماوي وزياد منى وغيرهم فلا افتراض لذلك فنظرياتهم التخريبية تمنعنا من ذلك، وقد أسسوها على مبادئ لا تمت للإسلام بصلة بل تقلب معالمه رأساً على عقب.

مطابقات عثمانية متعسفة!!

أخذ أحمد عثمان من فرويد مصرية موسى والزعم بـ «تعمد كتبة القصة التوراتية إخفاء الأصل المصري للبطل الذي كانوا يعتقدون فيه، وجعله عبرانيا»[٢] وأخذ من «مانيتون» الباحث المصري القديم الذي كان مسئولاً عن تنظيم مكتبة

---

(١) المرجع السابق ص٣٧ يقول «والسبب في حصول يويا على هذا اللقب النادر هو أنه أصبح حما للملك، عندما تزوج آمنحتب الثالث ابنته طاي، فصار بمثابة الأب للملك» ص٣٧.

(٢) الاصول المصرية . . . ص٥٦، ٥٧ ويقول «لم يكن النمساوي سيجموند فرويد الذي عاش في النصف الأول من القرن العشرين هو أول من قال بأن موسى كان مصريا. فقد ذكر مانيتون المؤرخ المصري الذي كتب تاريخ الأسرات باللغة اليونانية بناء على طلب بطليموس الثاني خلال القرن الثالث ق.م مؤكداً هذه الحقيقة بل إن مانيتون يجعل غالبية أتباع موسى كذلك من المصريين» ص٥٦، ٥٧ نفس المرجع.
والمدهش أن الفترة التي حددها مانيتون لوجود موسى (وقد اعطاه أيضاً اسماً آخر)، سابقة على الفترة التي أعطاها له أحمد عثمان نفسه بزمن طويل.

الإسكندرية في التاريخ المصري القديم، تحديد الفترة التي عاش بها موسى بذات الفترة التي عاش فيها إخناتون ووالده آمنحتب الثالث[1]

فعثمان / كالقمني والعشماوي / يلفق نظريته من أفكار الآخرين وليس بإقامة بحث علمي صحيح ومُجرَّد أو ببحوث بعيدة عن الأيديولوجيا الحاقدة والأهواء المغرضة والعنصرية البغيضة. إنها كشوفات الآخرين المصنوعة في معامل الأحقاد التاريخية ، والنزعات المادية والأجواء العلمانية!

إن د. سيد القمني الذي اقتبس من باحثين كثيرين دعائم نظريته الهشة، يرسم لنا هنا نقاط الإتفاق والإختلاف بين نظريته ونظرية أحمد عثمان مع ذكر المصدر لاقتباساته هو وعثمان يقول «هناك كشف آخر ينطلق من ذات فكرة فرويد نجده عند أحمد عثمان وهو أن موسى كان بالجنس والميلاد مصريا، لكن لا يربط بين أوديب وإخناتون(*) ، لكن بين موسى وإخناتون. ويوعز لنا عن بعد أن موسى كان هو ذات شخص إخناتون بعد سقوطه عن عرشه. وحتى يوصل ذلك للقارىء دون مؤاخذات من رجال الدين(!) المتشددين يعمد إلى التلميح لا إلى التصريح، فهو مثلاً يُسرِّب لنا أخباراً تاريخية عن النبي موسى تلتقي مع ما حدث للفرعون إخناتون»[2]!!

وبشجاعة الباحث المفتخر بنتائج عمله يقول سيد القمني وهو يقوم بدراسة منطلقات وتوجهات أحمد عثمان «الرجل الشديد الحصافة يترك لقارىء أريب الوصول إلى ما يريد أن يقول، ربما خوف التحريمات الدينية في بلادنا بهذا الشأن. ومن جانبنا كنا قد وصلنا إلى أن موسى ربما كان إخناتون نفسه قبل سنوات طويلة من الآن، منذ بدأنا جمع المادة العلمية(!) لبحثنا. وقد أعلنا عن هذا الظن في أكثر من منتدى ثقافي(!)، لكن ذلك لايعني سوى أن عثمان قد وضع يده على الظن

---

(١) المرجع السابق .
(*) كما فعل القمني.
(٢) النبي موسى وآخر . . جـ٣ ص٢٨٦ .

ذاته(!) وأقام له(!) السناريو اللازم والنظرية، وأنه سبق إلى إعلانه المنشور في كتاب(!) هنا فقط نقطة اللقاء(!)، لكن نقطة البداية للوصول إلى هذه الفكرة المركزية تختلف تماما»[1]

إذن سبق عثمان القمني في وضع النظرية في كتاب، وسبق القمني عثمان في إعلانها في المنتديات الثقافية المحترمة!

وبينما أحمد عثمان يلجأ إلى التلميح لا التصريح فإن القمني غالباً ما يلجأ إلى التصريح وقليلاً إلى التلميح.

ويلتقي الرجلان في الأخذ من مصادر غير موثوق بها وإعتمادها مراجع لهما كما يحرصان على الوصول إلى إثبات المطابقة بين موسى وإخناتون وتختلف قصتيهما لكنهما تؤديان إلى هدف واحد وهو مخاصمة الوحي وهدم الدين ونفي موسى والأنبياء وإرجاع ذلك كله إلى تطورات اجتماعية وسياسية ودينية في مناطق التاريخ القديم.

بيد أن أحمد عثمان يختلف عن القمني في طريقة الحصول على المطابقة المزعومة بين موسى وإخناتون. وقد قدمت طريقة القمني في الوصول إلى غايته فيما تقدم في الفصل الذي وضعته لنظريته الملفقة والمهلهلة.

وهنا أعرض سبيل عثمان في الحصول على مطابقة مزورة لا ترقى إلى المستوى العلمي الرصين فضلاً عن المستويات العقلية المنطقية المجرّدة! فنحن نعلم أن أم موسى وبوحي من الله ألقت طفلها في اليم حرصاً على نجاته وثقة في الله كما نعلم سبب خروج موسى من مصر وهو قتله للمصري وقد تأسف موسى على فعل ذلك وتاب إلى الله عز وجل قبل نبوته وقبل بعثه. أما أحمد عثمان فقد سعى لإيجاد التطابق بين هذا السرد التاريخي وبين رواية بعيدة كل البعد عن هذا

(١) المرجع السابق جـ٣ ص٨٢٨.

السياق الذي ورد في القرآن والتوراة، ففي قصة إخناتون يجد الباحث أنه قبل ولادة إخناتون قتل كهنة آمون أخاً له ما جعل أمه (تي) تتوجس من قتل الولد الثاني وهو إخناتون الذي كان على وشك الظهور إلى الحياة والذي يرفض - الكهنة فيما بعد جعله ولياً للعرش لسبب مخالفة أبيه آمنحتب الثالث للتقاليد السائدة في مصر، والتي يخبرنا أحمد عثمان عنها بقوله «كان الأمراء المصريون يتزوجون أخواتهم حتى لا يخرج الملك عنهم(!). ولأن آمنحتب الثالث لم يلتزم بهذه التقاليد عندما أصر على إعتبار طاي هي الملكة، فقد رفض الكهنة والحكماء اعتبار الولد الذي تنجبه له ابنا شرعياً لآمون. وبالفعل أنجبت طاي ابنها الأول تحمس والذي عثر على اسمه منقوشاً في مقبرة توت عنخ آمون - فإنه سرعان ما اختفى هذا الصبي في ظروف غامضة بعد أن عينه أبوه ولياً للعهد(*)، ولهذا كان من الطبيعي أن تصاب الملكة طاي بالقلق عندما حل موعد ولادتها الثانية»(١)

فكانت الولادة الثانية بإخناتون فحمته أمه بعزله في قصرها الجديد البعيد عن كهنة آمون «تركت القصر الملكي في منف «عند منطقة سقارة» وذهبت لتعيش في القصر الصيفي في زارو ... وخافت الملكة طاي على ابنها الثاني - الذي سمته أمنحتب مثل والده (**) أن يقتله الكهنة مثلما فعلوا بابنها الأول، فلم تسمح له طوال طفولته أن يغادر قصرها الذي وضعته فيه داخل أوار مدينة زارو في شمال سيناء ثم أرسلته ليتم تعليمه عند أخيها الأكبر «أنن» الذي كان يقيم في مدينة عين شمس، بخلاف التقاليد التي كانت تقضي بأن يتم تعليم الأمير في مدرسة منف مع أولاده النبلاء»(٢)

فالطفل هنا مهددة حياته من قبل الكهنة لأنه ليس (المولود حسب التقاليد!)

ولذلك تركت الأم القصر الملكي في منف وذهبت بعيداً عن كهنة آمون

(*) أن عينه عند صغره قبل البلوغ.

(**) إخناتون هو آمنحتب الرابع.

(١) الأصول المصرية لأحمد عثمان ص٥٨، ٥٩.

(٢) تاريخ اليهود جـ١ ص٥٦.

وتهديداتهم فحبس الطفل إخناتون داخل القصر ولم يغادره إلا إلى خاله في عين شمس[1] ليتعلم وليبتعد عن الكهنة زمناً . ثم رجع وعمره ستة عشر عاماً فاشركه أبوه في الحكم «وثارت ثائرة الكهنة المصريين ولم يتمكنوا من إخفاء مشاعرهم... وتحت ضغط أبويه ترك الملك الشاب العاصمة واختار موقعاً بمحافظة المنيا قبالة مدينة ملوي - يعرف الآن باسم تل العمارنة - وبنى فيه مدينة جديدة ليعيش بها هو وأتباعه بعد أن غيّر إسمه إلى إخناتون. ومادام آمنحتب الثالث على قيد الحياة كانت سلطة إخناتون مقتصرة على حدود تل العمارنة. ولكن عند موت أبيه - في السنة الثانية عشرة من الحكم المشترك وجد إخناتون نفسه الحاكم الأوحد لكل أرض مصر»[2] بعد سنوات طويلة استطاع كهنة آمون تدبير المؤامرة من داخل الجيش للإطاحة بإخناتون ونظامه ما أدى إلى خروجه «من مدينة العمارنة ليعيش في المنفى، بينما يوجد العديد من الأدلة التي تشير إلى أنه كان لايزال حياً بعد نهاية حكمه فهو لم يدفن في المقبرة التي أعدها لنفسه وسط الصخور المحيطة بمدينة العمارنة»[3] وهكذا فبعد رجوعه من عين شمس حيث يعيش خاله (آتن) في السادسة عشر من عمره اشترك في الحكم مع أبيه وبعد ضغط أبويه ترك العاصمة إلى أخرى عاش فيها هو وأتباعه وبعد موت أبيه ثم الضغط عليه بعد حكمه لمصر فترة طويلة فخرج إلى المنفى الأخير - بحسب عثمان - على بعد بضعة كيلومترات إلى الشمال الغربي من دير سانت كاترين وجبل موسى[4] فالبون شاسع بين القصتين، كما أن سياق الأحداث التاريخية تختلف تماما في الروايتين والأهداف التي عاشت من أجلها الشخصيتان، والبيوتات اختلفت وكذا الأمهات والخروج . فموسى خرج مره لسبب قتله للمصري وإخناتون خرج أكثر من مرة خرج من قصر منف وأمه حامل فيه ثم خرج من قصر أمه البعيد عن سطوة كهنة

---

(١) انظر الأصول المصرية ص٩١. (٢) تاريخ اليهود جـ١ ص٥٨ .

(٣) تاريخ اليهود جـ١ ص٦٠ لم يذهب عثمان هنا إلى قتله كما ذهب كيرورن!.

(٤) انظر الأصول المصرية ص٥٦.

آمون إلى منطقة عين شمس عند خاله بحسب أحمد عثمان ثم خرج بعد اشتراكه في الحكم مع أبيه سنوات طويلة إلى مدينة اتخذها مقراً له ولأتباعه ثم بعد موت أبيه واتساع سلطته على مصر كلها وهدمه لمعابد كهنة آمون انقلب عليه الجيش فخرج مرة أخرى إلى منفاه الأخير!

فأي مطابقة يزعمون، وأي تماثل بين الشخصيتين؟!!

لقد اعتمد أغلب هؤلاء العلمانيين على فكرة فرويد، الذي عجز عن إثبات التطابق المزعوم. وهي الفكرة التي ذهبت عند عجزها عن الإتيان بدليل المطابقة إلى رمي التوراة بأنها عملت على إخفاء الأصل ووضع القصة البديلة!!! ولقد نظر فرويد في عائلة موسى عليه السلام وعائلة إخناتون فوجد الأولى فقيرة والثانية ملكية غنية فما كان منه إلا أن اتهم التوراة في ذلك بتغيير الأصول وقلع الجذور!! وهو أسهل شيء يستطيعه فاقد الدليل: الاتهام الجاهل القائم على الهوى والأيديولوجيا المتربصة!

يقول أحمد عثمان شارحاً فكرة فرويد عن هذه النقطة «فبينما الطفل في جميع تلك الحالات يولد لعائلة ملكية ويهرب من القصر الملكي لتقوم عائلة فقيرة بتربيته، فإنه في حالة موسى يتم تهريبه من بيت العبرانيين الفقراء الذي ولد فيه ليتربى في القصر الملكي. وفسّر فرويد هذا الاختلاف بأنه دلالة على تعمد كتبة القصة التوراتية إخفاء الأصل المصري للبطل الذي كانوا يعتقدون فيه، وجعله عبرانيا»[1]!

إن البحث العلمي الرصين هو إثبات الأدلة الصحيحة بقياس صحيح تدل عليه القرائن القوية. أما فرويد فقد بنى كل شيء على خياله المريض وعقله الوثني الذي ورث وثنيته من الإرث الوثني الإغريقي واليوناني - بل واليهودي! - والتي اتخذته

---

(١) الأصول المصرية لأحمد عثمان ص٥٦.

أوربا بديلاً عن الإسلام في تطوير رؤية جديدة للعالم، بل رؤى متناقضة جزئية وقاصرة للكون والحياة والإنسان، لقد وضع فرويد لنفسه رؤية خاصة للتاريخ الإنساني ولتصوره للدين والغيب والأنبياء فكان تاريخ الإنسان عنده هو نتاج عقدة قديمة بدأت بعصر الأب المسيطر على كل شيء والذي هو قانون نفسه، وليفوز أبناؤه بأمهم قتلوه ثم بعد مضي الوقت تم تقديس الأب ومن هنا نشأت القداسة والدين والشرائع والأخلاق الكابتة لدوافع الإنسان الحرة!!!، وكان المرض العصابي المتمثل برجال ادعوا أنهم موحى لهم من الله، وتم اقتباس القصص لعقد أممية ومنها قصة موسى التي اقتبست - بزعمه - من أصل مصري! وكما ترى فهي فكرة مسبقة من محلل نفساني، اضطرب عقله واختل منهجه فخرج على العالم برؤية حيوانية شهوانية تحقر الدين وتطلق الشهوات والإتهامات الغير مبررة وهي رؤية كانت مرتعاً خصباً للباحثين العلمانيين العرب الذي فقدوا وسائل النقد الحقيقي وذهبوا يغترفون من روث وخراء فرويد اليهودي!

ولاكتمال الرؤية نقول إننا نحن المسلمين لا نؤمن بالأسفار المقدسة التي لليهود والنصارى ولا بالتلمود. لكننا عندما نقوم بتحليل موادها - كما فعلنا على إمتداد خمسة عشر قرناً (فنتج عن ذلك آلاف الكتب والرسائل الجيدة) - لا نُسرف في النقد ولا نلوي رواياتها أو نطمس موادها كما فعل هؤلاء الباحثون العلمانيون ولا نعدِل مع كل شيء. ولنضرب على ذلك مثلاً مهماً. فالتلمود يحكي أن موسى تصارع مع ملك الموت في الجبل. فهناك موسى وهناك ملك الموت وهنا الجبل المعين فهل يمكن أن ينتج عن ذلك أن أتباع موسى قتلوه أو أن يوشع تلميذه قتله قتلة بشعة؟! أي تحليل يؤدي إلى هذا الاتهام؟ ليس من واحدا!! ليس هناك أي دليل يدعونا إلى الذهاب هذا المذهب الطائش! لكن باحث التوراة الألماني «أرنست سيلين» استفاد من رواية التلمود هذه أن موسى مات مقتولاً ... هنا بدأ الخلل الذي أضافه فرويد لمخططه! يقول فرويد «وطبقا لأرنست سيلين كانت توجد مع ذلك

رواية تتعلق بنهاية موسى وتعارض معارضة تامة الرواية الرسمية وكانت أقرب إلى الحقيقة»[١]!

ويعتبر فرويد ذلك بحثاً تاريخياً نزيها يقول «ومن الظلام الذي تركه نص التوراة هنا أو الذي خلقه بالأحرى بوسع البحث التاريخي لعصرنا أن يميز واقعتيه(!)، الأولى اكتشفها أرنست سيلين ومؤداها أن اليهود الذين وصفتهم التوراة نفسها بأنهم كانوا عنيدين[*] لا يطيعون مشرعهم وزعيمهم، وتمردوا عليه آخر الأمر، قتلوه وطرحوا عنهم ديانة آتون التي فرضها عليهم كما فعل المصريون من قبلهم»[٢] أحمد عثمان قال بأن موسى مات في أثناء معارك[٣] ولم يقل لنا هل مات مقتولاً أم لا؟ لكنه عرض نتائج سيلين وفرويد وعقب عليها. يقول عثمان: «ويحتوي التلمود على رواية تختلف عن ذلك - يقصد عن رواية التوراة - بخصوص الطريقة التي مات بها موسى. فهي تقول إن موسى تصارع مع خصمه فوق الجبل قبل أن يموت. وهي تسمى هذا الخصم «ملاك الموت» وهذا هو الذي جعل باحث التوراة الألماني أرنست سيلين يقول «إن موسى مات مقتولاً»[٤]

ويقول أيضاً مزوداً لنا بأشياء أخرى! «ظهرت فكرة مقتل شخصية قيادية من بني اسرائيل أثناء وجود موسى في سيناء في ألمانيا في الجزء الأول من القرن العشرين. فلقد أدرك عالم الدراسات التوراتية أرنست سيلين وجود دلائل في سفر العدد تشير إلى أن فينيحاس الكاهن قتل أحد زعماء بني إسرائيل وقتل معه زوجته، لأنه تزوج من أجنبية حسب الرواية التوراتية بينما هو داخل قدس الأقداس بمعبد الخيمة، الذي بناه موسى عند جبل سيناء، في نفس الموقع الذي بني

(١) النبي موسى ورسالة التوحيد ص٩٠.

(*) هل لأن التوراة وصفتهم بذلك نقول بأنهم قتلوا موسى وليس من دليل!.

(٢) النبي موسى ورسالة التوحيد ص٨٢.

(٣) تاريخ اليهود جـ١ ص٩٤. (٤) تاريخ اليهود جـ١ ص٩٠، ٩١.

عليه دير سانت كاترين فيما بعد. واعتمد سيجموند فرويد على هذا التفسير فقال بأن بني اسرائيل قتلوا نبيهم، لأنه كان صارماً في محاولته فرض ديانه التوحيد عليهم. ولأنني اختلفت مع فرويد ، وذهبت في كتابي «بيت المسيح» الذي صدر في لندن بالانجليزية عام ١٩٩٣، إلى أن الضحية الذي قُتل كان هو يوشع بن نون الذي عينه موسى ليكون خليفته»!![1]

على عكس عثمان ذهب القمني إلى مقتل إخناتون/ فرويد/ أوديب وفيما يذهب عثمان إلى أن موسى مات أثناء معارك - مع أنه لم يقل لنا هل مات مقتولاً في أثناء هذه المعارك أم لا! - يذهب العشماوي إلى أن موسى لم يمت على يد يشوع أو فينيحاس الكاهن، وإنما انسحب في هدوء واختفى دون أن يلحظ أحد اختفاءه. وعاد إلى مصر وحده، أو مع كوكبة من جنده ... انضم إلى قومه، وعاد إلى مصر دون أن يرى أحد موته أو رحيله، رجع واستقبل موسى كبطل قومي نجح مع جده الفرعون في التخلص من بني إسرائيل بإخراجهم من مصر!!!

وهكذا يختلفون في ولادته وفي موته وفي أمه وفي دينه وفي خروجه وفي أصل قصته وفي مصدر إقتباسها المزعوم!

ثم يزعمون أن معلوماتهم دقيقة تفوق في بعض الأحيان ، ما نعرفه عن العصور الحديثة!!!

يؤكد ذلك أحمد عثمان لدعم خرافاته بأنه «منذ أن أصبح علم التاريخ الحديث يعتمد على الوسائل العلمية والتكنولوجية للتحقق من صحة الروايات القديمة. بدأت صورة جديدة تظهر أمامنا لتاريخ بني إسرائيل ... فأرض فلسطين مثلها في ذلك مثل معظم الأرض العربية، خضعت منذ نهاية القرن الماضي لمعاول رجال الآثار الذين جاءوا من كل جامعات العالم للحفر في أرضنا واستخراج بقايا

---

(١) الاصول المصرية ... لأحمد عثمان ص٩٩.

العصور القديمة. وتمكن هؤلاء من التوصل إلى معلومات دقيقة عن التاريخ القديم لمنطقتنا تفوق في بعض الأحيان، ما نعرفه عن العصور الحديثة»[1]

ونقول مرة أخرى بأننا كمسلمين: ومنهجنا سبر أغوار الأرض وكشف مجاهيل الحضارات القديمة. هو دفع التنقيبات الأثرية إلى الأمام ذلك أن دراسة التاريخ ومعالم المدنيات البائدة هام لبناء إنسانية كريمة وخلافة بشرية رشيدة، فالماضي هام لصناعة المستقبل! لكن الذي يزعجنا من كثير من الباحثين الذين اتخذوا العلمانية أيديولوجيا والمنهج المادي قاعدة ينطلقون منها لرؤية العالم وتحليل التاريخ هو أنهم يعزلون حقائق ضخمة لا تناسب منهجهم في التفكير الجاهز والأحادي والعاجز ويطمسون أدلة قوية لتفريغ التاريخ من محتواه الحقيقي ونظرية العشماوي أكبر دليل على ذلك، وقد قدمناها! وكذلك النظريات الأخرى التي تنسف معالم التاريخ بأساطير العقل الوثني الغربي وتقليده تقليداً أعمى كتقليد القرود للقرود والحمار الزاعق للحمار الناعق. ولقد حاول علماء غربيون كثيرون تأييد النظرية الداروينية عن حيوانية الإنسان ونسبته إلى أجداد من عالم القرود من فصيلة «الأورانج»!!

فماذا فعلوا ؟!

لقد استخدموا اكتشافات وآثاراً قديمة وحديثة (اعتبروها قديمة) وصنعوا منها ما سموه «إنسان بلتداون» وهو عبارة عن تركيب اصطناعي بين جمجمة إنسان وفك قرد الأورانج. فهو جمع بين مفترقات كانت نتيجتها أن قالوا «علينا أن نُقر أن هذه الجمجمة هي أقرب الجماجم الإنسانية لجماجم القرود المكتشفة حتى الآن»[2] وقال العالم الإنجليزي المعروف كرافتون اليوت سمث (١٨٧١-١٩٣٧) «إن أهم نقطة في إكتشاف «رجل بلتداون» هو إثباته للرأي القائل أن الدماغ هو الجزء الذي تطور أولاً في الإنسان عند مراحل تكامله، وأن الإنسان تجاوز مرحلة القردية بفضل تطور

---

(١) تاريخ اليهود جـ١ ص٩.

(٢) من قول «كرافتون اليوت سمث» العالم الانجليزي المعروف.

وتكامل دماغه، فبالرغم من احتفاظ هذا الانسان بخشونة فك وملامح وطبعا جسم أجداده القرود، بدرجة كبيرة، فإن دماغه وصل إلى مستوى الإنسان، وبعبارة أخرى، فإن الإنسان كان قرداً من فصيلة «الأورانج» نما دماغه بشكل كبير. وهكذا فإن أهمية جمجمة «بلتداون» هي في إثباتها لهذه الحقيقة إثباتاً لا يأتيه الشك»[١]!

فاعتبروا قردية الإنسان المزعومة وحيوانيته المتطورة المتوهمة! - عن فصيلة الأورانج القردية ، حقيقة ثابتة لا يتطرق إليها الشك!

وهكذا استطاعت الجمجمة الملفقة أن تخدع ولمدة أربعين سنة أشهر العلماء المدافعين عن نظرية التطور إلى أن قام «كنث اوكلي» و «سرولفود لي كروس كلارك» من جامعة اكسفورد قسم التشريح مع «ج. س. وينز» سنة ١٩٥٣ بإجراء تجارب أكثر دقة على العظام المكتشفة ووصلوا إلى النتيجة التالية في تشرين الثاني سنة ١٩٥٣ «إن «إنسان بلتداون» ليس إلا قضية تزوير وخداع، تمت بمهارة ومن قبل إناس محترفين. فالجمجمة تعود إلى إنسان معاصر، أما عظام الفك فيه لقرد أورانج بعمر عشر سنوات. والأسنان هي أسنان إنسان غرست بشكل اصطناعي، وركّبت على عظام الفك. فظهر كذلك أن العظام عوملت بمحلول ديكرومايت البوتاسيوم لإحداث آثار بقع للتمويه وإعطاء شكل تاريخي قديم لها»[٢]

ويقول أحد أعضاء اللجنة «لي كروس كلارك» متسائلاً بحق «لقد كانت علامات المحاولة المقصورة لإظهار العظام قديمة ومتآكلة ظاهرة وواضحة إلى درجة أن الإنسان ليحتار كيف أنها لم تلاحظ حتى الآن من قبل أحد»[٣]!!

---

(١) Stephen Jan Gould, Smith woordwards Folly, New Scientist (5 april 1979) p.44 نقلاً عن دارون أو نظرية التطور ص١٢٩، ١٤١.

(٢) انظر داروين أو نظرية التطور ص١٣٤.

(٣) Stephen Jan Gould, Smith woordwards Folly, New Scientist (5 april 1979) p.43 نقلاً عن دارون أو نظرية التطور ص١٢٩، ١٤١.

فللبَحث العلمي والتنقيب الأثري نقول نعم، أما الخداع والتحريف وصنع لأساطير وبناء رؤية للإنسان والعالم والتاريخ والغيب والدين والشريعة والجيل لأول من البشرية بناء على ذلك فهذا ما نرفضه لأنه تدمير لحقائق الوجود ومكانة لإنسان في الكون وإخفاء لمعالم الدين القيم الذي ندين لله به. إن العلمانية تقوم غلب حقائق كل شيء بهدف نزع سلطة الدين من الوجود وهذا ما يدعونا كمسلمين للوقوف لتلفيقاتها بالمرصاد وهذا هو هدف هذا الكتاب.

* * *

الفصل السادس

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ الذاريات ٧-٩)

* * *

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝١ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ [محمد: ١، ٣]

على الرغم من أن الدكتور «سوسة» قد قال بأن قصة موسى مأخوذة عن قصة الملك الأكادي - حضارة وادي الرافدين - سرجون الأول، إلا أنه ادعى أيضاً أن موسى كاهن مصري من أتباع إخناتون!!، فموسى مصري مائة بالمائة - بزعمه - باعتباره كاهنا مصرياً كما أفاد «مانيتو» المصري فكيف يجتمع النقيضان؟!

لقد نفي «سوسة» مطاردة فرعون لموسى النبي وقومه، وادعى كبديل لذلك أنه ليس هناك وجود لبني إسرائيل في مصر! وعليه فإن الذين خرجوا مع الكاهن المصري موسى كانوا مصريين وبقايا من الهكسوس «وما هؤلاء الذين خرجوا من مصر تحت قيادة موسى إلا جنود مصريين، وفلول من بقايا الهكسوس (الرعاة) الذين اندمجوا مع المصريين بعد طرد الهكسوس من مصر، كما تدل هذه الآثار التاريخية(!) ، على أن جميع هؤلاء الذين جاء بهم موسى كانوا يتكلمون اللغة المصرية، وعليه فإن هؤلاء هم الموسويون (قوم موسى) ولا دخل لهم بإسرائيل، ولا دخل لإسرائيل بهم»(١)

فالجماعة التي كانت تعيش بمصر عيشة المضطهدين المنكوبين - بحسب تعبير سوسة - والتي تقول التوراة عنهم إنهم إسرائيليون لم يكونوا إلا من جنود مصريين، ومن المؤمنين بدين (إخناتون) ومن بقايا الهكسوس وليس لهم دخل بيني اسرائيل «وهذا ما جاءت تنقله الكتابات المنقوشة في الآثار المصرية وتنفي أن يكون لبني إسرائيل كيان في مصر(*)(٢)»!

يجادل سوسة بحرقة باللغة السخافة فيقول «فمن غير المعقول عقلاً(!) أن يكون

---

(١) الملخص لكتاب العرب واليهود في التاريخ لجعفر الخليلي ص٧٢ .

(*) لم تنفي اي آثار مصرية وجوداً لبني إسرائيل في مصر، ومعنى أنها قامت بنفي ذلك أنهم كانوا موجودين فعلاً.

(٢) المرجع السابق ص٧٢، ٧٣ .

لإسرائيل وجود في مصر خصوصاً وأن ليس هناك أي دليل من الآثار ما يثبت هذ الوجود»[1]!!

غير أن سوسة نفسه اعترف بوجود أول لبني إسرائيل في مصر يبدأ بهجرة إبراهيم، لكنه سرعان ما انتهى إلى أن هذا الوجود ذاب في المجتمع المصري حتى لم يعد له كيان حقيقي أو وجود يمكن تمييزه!

لذلك ينفي خروج إسرائيلين من مصر مع موسى الذي قال عنه أنه كاهن مصري كما تقدم ، يقول القمني «ويذهب في ذلك إلى رأى فرويد، فيقول: إن رحلة الخروج التي أسهب في روايتها الكتاب المقدس، وتعتبر حجر الزاوية في البناء التاريخي لإسرائيل بكامله ليست سوى «حملة مصرية»، مؤلفة من جماعة من المصريين، وبقايا الهكسوس، يدينون بدين التوحيد الذي ورثوه عن إخناتون فرعون مصر،واضطروا تحت ضغط الوثنية واضطهادهم إياهم إلى الهروب من مصر، والتوجه إلى أرض كنعان»[2]

ويزعم سوسة أن التوراة نسبت هذه الحملة لبني إسرائيل بغية ربط هذه الجماعة بيعقوب وبإبراهيم الخليل كما نسبت موسى إلى كهنة بني لاوي بن يعقوب في حين أن الرأي الغالب لدى الباحثين في هذا العصر بزعمه، هو أن موسى كان قائداً مصرياً في بلاط إخناتون، يدين بدين التوحيد الذي دعا إليه إخناتون»[3]!!!

ويعلق القمني «ولنلحظ هنا، أن القول بمصرية موسى عليه السلام سبق إليها أعلام مثل (جيمس هنري برستد) و (سيجموند فرويد) .. الخ، هذا إضافة لما يتمتع به رأي

(١) المرجع السابق ص٧٧.

(٢) إسرائيل التوراة التاريخ التضليل.. لسيد القمني ١٠٥.

(٣) المرجع السابق ص١٠٦.

(سوسه) في جملته من وجاهة، تضعه في إعتبار أي باحث جاد!(١)(*)

باحث جاد! ألم يقل القمني نفسه - كما سيأتي بعد قليل - إنه سيعالج أفكار سوسه ليس بسبب علميتها ولكن بسبب انتشار كتابه الواسع! كما إنه قام بفضح سقطاته وأخطائه الفاحشة؟

يقول القمني عن كتاب سوسة إنه كتاب واسع الانتشار بين قراء العربية، معنون باسم (العرب واليهود في التاريخ) وفيه قام (سوسه) بمزج النظرية التي أسسها (جارستانج) بآرائه الخاصة(**)، التي توصل إليها بشأن جنس هؤلاء الخارجين من مصر، وهو ما يستحق المعالجة، فقط بسبب الانتشار الواسع للكتاب المذكور وليس لأي سبب علمي (!)» يقول القمني «ثم يقول (سوسه): إنه قد بقي بعد تحرير مصر من الهكسوس شراذم أسرى لايمكن تصنيفهم جنسيا، كما إنه لا يمكن القول أن هؤلاء الباقين هم تحديداً بني إسرائيل فقط، ويرى (سوسه) أن هؤلاء قد أخذوا بديانة التوحيد الآتونية التي تدعو إلى عبادة إله واحد باسم (آتون)، والتي دعى إليها الفرعون (آمنحتب الرابع/ إخناتون)، وقد أدى سقوط (إخناتون) وانهيار ديانته إلى اضطهاد تلك الجماعة، فحاصرهم (تثموزيس) كما قال (مانيتو) في مدينتهم (حواريس). وقد احتسب (سوسه) أن (تثموزيس) هو (تحتمس الثالث ١٥٠١-١٤٤٧ ق.م) الفاتح المصري المظفر، وهنا أول سقطاته الشديدة، وخبطه، وسوء تقديره. لأنه بمقارنة بسيطة مدققة في قوائم الملوك المصريين، كان يمكنه أن

---

(١) المرجع السابق ص١٠٧.

(*) إذا كنا نريد أن نعرف لماذا قال القمني بوجاهة باحث الجاد سوسة؟ فعلينا أن نراجع المشترك بينهما أو بالاحرى تأثير (سوسة) على القمني في نظريته اللاحقة! والقمني يرد على سوسة في بعض مارآى أنها اخطائه القليلة كرأيه باحتساب زمن الخروج بزمن الفرعون «تحتمس الثالث» شريك «حتشبسوت» في الحكم وخليفتها المباشر!

(**) إن القمني فعل مثل ذلك أيضاً، فقد مزج نظرية فرويد مع نظرية فليكوفسكي وصنع منها نظريته الهشة أيضاً!.

يعلم أن (تحتمس الثالث) سابق لإخناتون بحوالي ثمانين عاماً، وليس بعده»[1]

ثم يزعم سوسه أن تحتمس الثالث لم يستطع التغلب على المحاصرين من أتباع إخناتون فلجأ إلى مصالحتهم على أن يخرجوا من مصر!

ويلجأ (سوسة) كما لجأ العشماوي إلى النص التوراتي خروج ٢:١٩ لابنتي كاهن مديان - بحسب وصف التوراة! - (فقلن رجل مصري أنقذنا من يد الرعاة) يلجأ إلى هذا النص ليزعم أن موسى مصري مائة بالمائة، يقول سيد القمني «وهو ما سبق أن أكده (مانيتو) عن (أزرسيف)»[2]

وزعم (سوسه) أن الكاهن موسى المصري - وكذب سوسه - قد ذهب إلى هؤلاء العبيد المصريين وبقايا الهكسوس وعلمهم النظافة، وخرج بهم من مصر، يقول القمني «وإعمالاً لتلك المقدمات، ينتهي (سوسه) إلى أن الخروج كان مصرياً خالصاً، وأنه كان حملة كأي حملة مصرية معتادة على فلسطين، وكان الفارق بين تلك الحملات جميعا، وتلك الحملة بالذات، هو أن حملة (موسى) كانت منشقة على الدولة الفرعونية الأم، ولا تتمتع بالتنظيم العسكري المألوف، ولا بإسناد الدولة، كما لم تكن ضمن أهدافها مصلحة الدولة المصرية، إنما كان فراراً من اضطهاد المجتمع المصري الوثني. وعليه، فإن جماعة الخارجين كانت غريبة على أرض كنعان، مصرية، لا صلة لها ببني اسرائيل الذين اختلطوا بالهكسوس عند دخولهم مصر، وذابت بذرتهم وضاعت تماماً مع طرد الهكسوس من مصر، فقامت التوراة مع هذا الضياع بتنسيب الجماعة المختلطة الخارجة من مصر، إلى جماعة بني اسرائيل ويعقوب»[3]

---

(١) المرجع السابق ص١٧٤.

(٢) المرجع السابق ص١٧٥ يقول القمني «كذلك استند سوسه إلى آراء (سيجموند فرويد) بهذا الشأن» بنفس الصفحة.

(٣) المرجع السابق ص١٧٦

هنا يبدو القمني وكأنه معلق نزيه على نظرية خربة، في حين أن نظريته هو نفسه أكثر زيفا وأشد بؤساً وأشد خراباً، فقد زعم - كما قدمنا - أن موسى هو إخناتون، إنه الصورة المزيفة لإخناتون الذي زعم أنه هو صاحب القصة الحقيقي، في حين أن سوسه يزعم أيضاً أن موسى هو من إتباع إخناتون وهو كاهن مصري، وأن القصة التي نسبت إليه إنما هي منقولة عن قصة سرجون الملك الأكادي وليس إخناتون الأمير المصري! وفيما يزعم سوسه أن الخارجين من مصر كانوا من المصريين والهكسوس يزعم القمني أنهم مصريون وإسرائيليون وأصحاب عقائد مصرية متفاوتة، حصل بينهم صراع أدى إلى إنشقاق بعد الخروج فافترقت ثلاث مجموعات، صنعت ثلاث روايات عن إخناتون، رواية مصرية حقيقية عنه، ورواية يونانية تحت اسم أوديب، ورواية إسرائيلية تحت اسم موسى! وما أشار إليه القمني في نقده لبعض محاور نظرية سوسه من أنها أخطاء فادحة وقع فيها، أخطاء وليست خطأواحداً(*) فإن القمني نفسه وقع فيما هو أفدح من ذلك إذ أنه وبحيلة تلفيقية بين أفكار فرويد وفليكوفسكي صارت نظريته السخيفة مختمرة بين يديه ما أدى إلى أن خرَّج من مصنع أفكاره صورة شائهة تجعل من موسى إخناتوناً معدلاً، ومن أوديب نسخة مزوره كموسى تماماً! فكيف يجرؤ من هذا شأنه أن ينقد الآخرين ؟!

دعاية مزيفة لنظرية أحمد سوسة:

المستشرق الألماني رولف رايخارت. يقول عن كتاب أحمد سوسه إنه عمل ضخم «إذ أنه ليس إلا قلباً، بل تصحيحاً لقضايا تاريخية متوارثة عبر الأجيال أسيء فهمها(!) وهي لم تزل شائعة بين الناس، ومقبولة منهم بفعل التوراة...

(*) نفسه ص١٧٦، ١٧٧.

ومع ذلك لم يجرؤ أحد قط (!) - قبل الدكتور أحد سوسة - أن يكشف النقاب عن ذلك الزيف»[1]!!! وفي رسالته التي بعثها «أكرم زعيتر» لأحمد سوسه يقول له فيها إنه بترجمة كتاب هذا الأخير إلى اللغات الأجنبية لاشك أن ذلك سيحدث «انقلاباً جذرياً في بعض المفاهيم التاريخية ويبدد خيالات وقع فيها، أو تبناها عن سوء نية أو حسن نية الكثيرون من المؤرخين»[2]

وفي رسالة محمد عبدالغني حسن لسوسة يقول له فيها «إن الحقائق في هذا الكتاب العظيم دامغة، والأدلة واضحة والبراهين ناصعة»[3]!!

وفي مجلة (الأديب) البيروتية لألبير أديب في عدد يونيو ١٩٧٢ من كتاب سوسة «كتاب جليل الفائدة ظهر في منشورات وزارة الإعلام العراقية ببغداد... وحبذا لو تبنت جامعة الدول العربية هذا الكتاب (!)، وترجمته إلى عدة لغات أجنبية، وتولت توزيعه ونشره في العالم[4]!!!!

وفي الملحق الأسبوعي لجريدة (العلم) المغربية لعبد الكريم غلاب عدد ٢ آب ١٩٧٣ «إن من واجب كل دولة عربية، كبيرة أو صغيرة أن تنظر في نشر هذا الكتاب في شعبها ما استطاعت إلى ذلك سبيلا، وقد كتب الكاتبون، وبينت الصحف وقال أهل الفكر، أن نشر هذا الكتاب مهمة فكرية تثقيفية لها من الخطورة ما لإنشاء مصنع من مصانع الأسلحة في أرض العرب(!)»[5]!!!!

وفي مجلة الأديب البيروتية في يونيو ١٩٧٢ بقلم عجاج نويهض «فالكتاب (ثورة علمية) على تاريخ اليهود المزيف، وصرخة مدوية في أرض العرب أجمعين»[6]

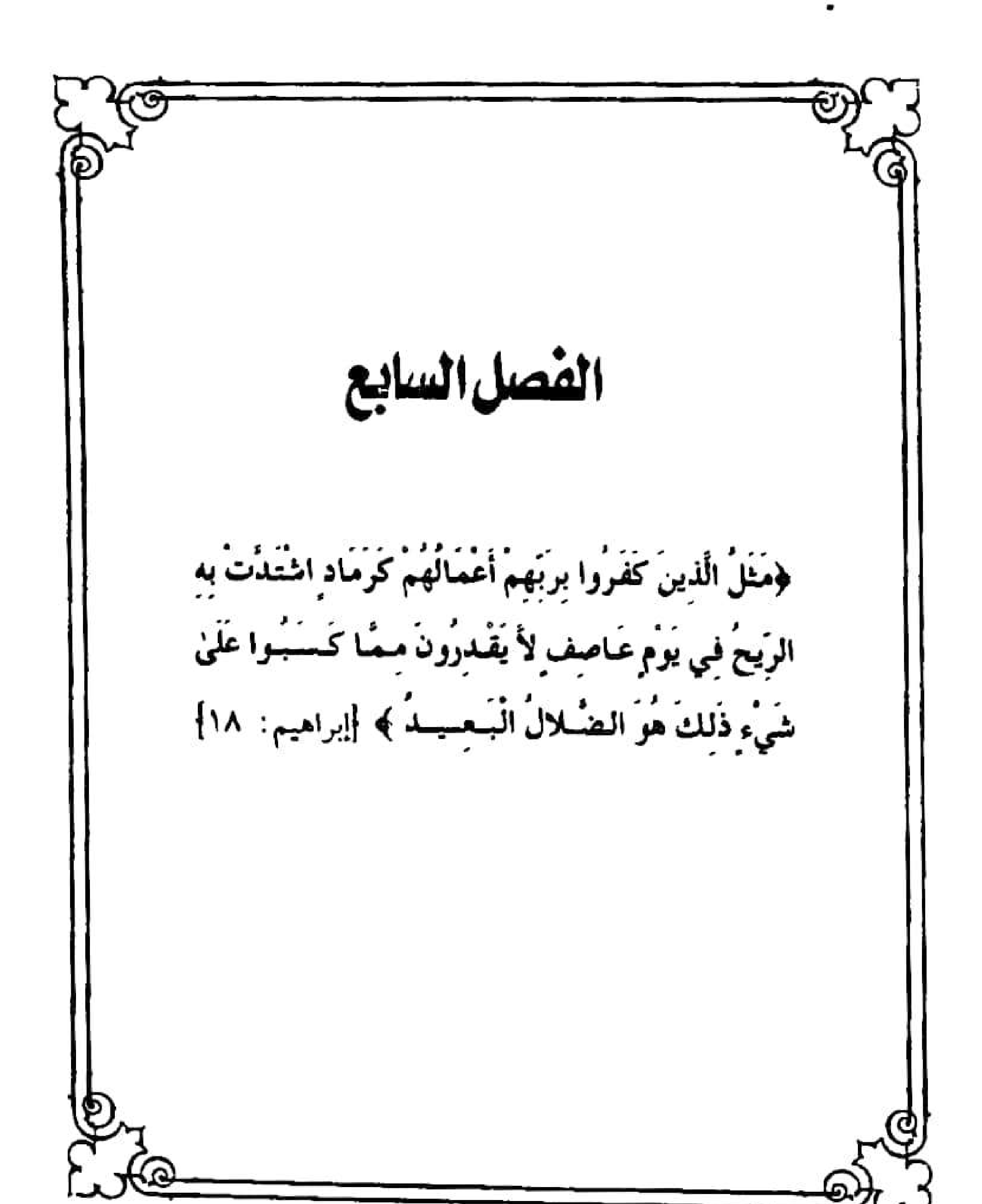
---

(١) الملخص لكتاب العرب واليهود في التاريخ ص١٥.

(٢) المرجع السابق ص١٧. (٣) المرجع السابق ص١٤.

(٤) المرجع السابق ص١٢. في نفس العدد يقول وديع فلسطين «وكتابك يادكتور سوسه كتاب معجز، وهو كتاب العمر» ويصفه بالعبقري «وقعت على عبقرية عربية من مستوى عالمي».

(٥) المرجع السابق ص١٣. (٦) المرجع السابق ص١٠.



الفصل السابع

﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم: ١٨]

الإسلام هو سبب النكسة - يقول موسى مطلق إبراهيم(*) ذلك العلماني الذي يتغنى بأمجاد الحضارة السورية القديمة، حضارة الصنم والوثن وعبادة الأموات وأرواح الأجداد(١)!

إنه يدعونا للتفكر معه في العقلية المتفوقة للسوريين الوثنيين القدماء والذين كانوا «يمتازون بها على من عداهم من شعوب الحضارات القديمة»(٢)!! إنه الشعب القديم الذي صاغ لنفسه رؤيا عن ظواهر الطبيعة والحياة والدين، صاغ لنفسه رؤياه الدينية ونظرته العملية إليهما - في وحدة ثقافية لا أروع منها ولا أسمى(!).. رؤية دينية يموت فيها الإله فداء عن الحياة، تارة في صراعه ضد آلهة الموت والجحيم والعالم الأسفل، وتارة في صراعه ضد الخنزير(!) الذي يمثل المفاسد الاجتماعية في الحياة(!) وتصارع فيها الآلهة العشيقة، كما في تموز وعشتار(**)، أو الآلهة الشقيقة، كما في بعل وعناة، لاستعادة الإله الفادي من أشداق الموت(!) لأن بعودته تعود البهجة والخصب والعافية إلى الحياة. إنها رؤية دينية جعلت من الآلهة مثلاً أعلى وقدوة إنسانية»(٣) ماذا ينتظر المرء من باحث علماني هذه هي قدراته العقلية، وحدوده النفسية، ومزاياه الإدراكية وحنينه التاريخي لإله يتصارع مع خنزير!!

---

(١) وعد التوراة، لموسى مطلق ابراهيم ص٤٠٧،٣٩٥.

(٢) (٣) السابق ص٤١٠.

(*) يقول بأننا قعدنا ننتظر حصاده فإذا بنا نكتشف أننا أضيع من الأيتام على مأدب اللئام ص٤٠٧،٣٩٥ المرجع السابق.

(**) عشتار أشهر عاهرة في التاريخ القديم، تنبذ عشاقها بعد أن تصيب وطرها منهم هي عشتار البابليين والسومريين في ملحمة جلجامش إلهة تنتقم من عشاقها بعد أن تمل منهم. انظر كتاب البغاء عبر العصور ص١٩٣.

هل يُنتظر منه أن يؤمن بموسى رسولاً ونبياً أو أن الأنبياء هم دعاة ومصلحون؟! هل يمكن أن يؤمن بذلك وهو يقلب الأمور رأساً على عقب كما فعل (القمني) الذي فعل مثل فعله ولكنه أعطى المديح للحضارة المصرية وتاريخها العتيد!؟ فيما تعطي (ثريا منقوش) على الضفة الأخرى الفضل للحضارة اليمنية الوثنية الهالكة؟!! لننظر كيف نظر «مطلق إبراهيم» إلى موسى عليه السلام!!

«إن شخصية موسى مقتبسة من تراث العراق القديم وإن صاحب هذه الشخصية هو الملك سرجون الأكادي»[1] فإذن موسى هو سرجون، وهو مقتبس في نظريته الحقيرة، وهو عند القمني على العكس من ذلك، وهو اخناتون هو أوديب اليوناني!! وهكذا فبدل أن يذكروا الحقائق ويؤكدوا الوقائع ويؤمنوا بالحقيقة التاريخية الأصلية عن موسى عليه السلام تجد كل من هؤلاء الخرّاصون ينسبون له عليه السلام وقائع أخرى وأصلاً آخر ونسباً وعالماً آخر (فالأسطورة القمنية) (نسبة إلى الدكتور سيد القمني!) قد جرت وقائعها في عصر آمنحتب الرابع الذي هو عند القمني طبعاً إخناتون/ موسى/ أوديب فإنها في (الأسطورة المطلقية) نسبة إلى (موسى مطلق ابراهيم) كانت في حضارة الأكاديين في العراق القديم وأن بطلها الأصلي هو سرجون الملك الأكادي وليس النبي موسى عليه السلام النبي الكريم الذي هو في الحقيقة نبياً ورسولاً من بني إسرائيل.

فواحد يقول إن شخصية موسى مقتبسة من مصر والآخر يقول إنها مقتبسة من العراق!!، والغرض هو تدمير الشخصية الحقيقية وقتلها معنوياً ونفي وجودها التاريخي كشخصية نبوية أرسلت إلى بني إسرائيل بالتوحيد الصافي والشريعة الإلهية والمنهاج الرباني يقول موسى مطلق إبراهيم «إن وراء حكاية موسى التوراتية حقيقة حاول الكاتب التوراتي أن يخفيها عن العيون فخانه المنطق، وكشفتها

---

(١) وعد التوراة ص١٧٩.

طريقته في الاقتباس الخائب، عن الحكاية الأصلية التي جرت وقائعها على الفرات في جنوب العراق(!)، في تاريخ سابق على التاريخ المصطنع لموسى التوراتي(*) بأكثر من ألف ومائتي عام (!)، وهي حكاية الملك سرجون الأول الأكادي الذي كانت أمه من خادمات المعبد فحبلت به سفاحاً (!) ألقت به إلى النهر في سفط من البوص مطلى بالقار، خوفاً من الفضيحة التي يقودها إلى عقوبة الموت بجرم الزنى»(١)

قدمنا أن العشماوي في أسطورته العشماوية زعم أن أم موسى هي أميرة وهي ابنة فرعون (**) وأن فرعون هو جده وأن موسى هو حفيده!، وهنا يقول «مطلق» لا!، إنها خادمة من خادمات معبد في الدولة الأكادية في جنوب العراق وأنها حبلت به سفاحاً، أما القمني فقد زعم أن إخناتون/ موسى/ أوديب(!) يعود من جهة أمه (الملكة تي) إلى المديانيين عبدة القضيب (إله الخصب) التي عاشت في مصر وتزوجت ملكها الذي قتله إخناتون ثم تزوج أمه هذه (المديانية) التي تبدو في رسومات مصر عارية الجسم ، بارزة الأعضاء الجنسية لا يسترها شيء!

حقاً، لقد أخبر الله عن هذه الأُفك إنها هَزْل قبيح، وحَلَفَ على حقيقة ذلك بالسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع في نفس الوقت الذي حلف فيه على أن قوله سبحانه هو الفصل في قضايا الحياة والتاريخ والدين والشريعة ﴿إنه لقول فصل وما هو بالهزل﴾ فهو حقا ليس بالباطل، وجدّاً ليس بالهزل، لكننا نرى اليوم «أطفال الفكر العلماني» يقلبون الآية فيجعلون نظرياتهم الحقيرة حق وجِدّ وحقائق القرآن باطل وهزل!

(*) كل نظرية تخترع تاريخا ومكانا وعصراً ودولة وحتى شخصا مختلفا!!!

(١) وعد التوراة ص٩١.

(**) لم يقل لنا العشماوي بناء على فريته هذه من هو أبوه؟!

إن الدليل العظيم على هزال أفكارهم وهشاشة نظرياتهم هو أنها مختلفة متعارضة منخرصة كاذبة تحمل في طياتها أسباب انهيارها ومبادىء سقوطها وتدميرها، وقد أقسم الله لأهل الضلال من كل صنف ونوع وبالسموات على بطلان أفكارهم ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ⑦ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ⑧ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ⑨ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ⑩ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾[الذاريات: ٧-١١].

وعلى الرغم مما بذله العشماوي والقمني في جعل موسى ابنا حقيقيا لشخص معين من بيت فرعون، فالعشماوي يقول إنه ابن ابنة فرعون، والقمني يقول بل هو ابن زوجة فرعون، وفرعون هذا غير فرعون ذاك(*)، وقد سهروا ليالي وأياما وشهورا وسنوات للتآمر على الأنبياء وقتل صورهم التاريخية كما فعلوا المستحيل لجعل الحبكة فنية وجيدة الإحكام وقوية الصناعة، لكن المختلف المفترى المتخرص الآخر (موسى مطلق) طلع عليهم ليثبت سخافة أفكارهم وهشاشة حبكتهم لكن بسخافة أخرى مناقضة لسخافاتهم ومحطمة لها فيرغم أن موسى لم يولد في مصر لابنة أمير أو زوجة ملك وإنما ولد سفاحاً من خادمة معبد(!) أكادية كاهنة من جنوب العراق أخرجته إلى العالم بطريق الزنا!

يقول «إن اقتباس الكاتب التوراتي لهذه الحكاية ونقلها من النيل إلى الفرات(!) لم يكن ملائماً لملابسات الحكاية (أية ملابسات يامطلق!!) التي عمل على إصطناعها لبطله الذي أطلق عليه(!) اسماً مشتقا من لغة كان يتكلمها في زمن لاحق لتاريخ السبي، ولم تكن موجودة في التاريخ المفترض للحكاية»[1] فالقصة بزعمه «اقتبسها من أصولها السورية في تاريخ متأخر جداً عن التاريخ الذي

(*) ففرعون القمني هو آمنحتب الثالث، وفرعون العشماوي هو رمسيس الثاني وهكذا فالفراعين تختلف وموسى يختلف وبالطبع الزمن يختلف والمكان يختلف والقرآن يقول عن هؤلاء المفترين «إنكم لفي قول مختلف، يؤفك عنه من أفك»

(١) وعد التوراة، لموسى مطلق إبراهيم ص٩٢.

اصطنعتهُ لنفسها، فأساءت إلى هذه الرموز إساءة بالغة(*) بأن صوّرتها على صورتها النفسية - الأخلاقية - المناقبية(!) فمسختها إنسانياً وأخلاقيا ومناقبيا وبالتالي حضارياً وأخرجتها من انتمائها الأصيل إلى جوهر النفسية السورية(!)»[1]!

وفي الحقيقة، فهذا الباحث الحقير يُريد أن يجرّ المجتمع السوري لصور منحرفة في التاريخ لحقت بكل الحضارات والثقافات والمدنيات الوثنية والعودة إليها يعني العودة إلى الإنحطاط والضلال. تجده يفتخر بالعقلية السورية القديمة يقول «التي كان السوريون القدماء يمتازون بها على من عداهم(!) من شعوب الحضارات القديمة. ومن هذه الظواهر الممتازة والمتميزة، ظاهرة الإله الفادي... يموت فيها الإله فداء عن الحياة(!)، تارة في صراعه مع آلهة الموت والجحيم والعالم الأسفل، وتارة في صراعه ضد الخنزير(!) الذي يمثل المفاسد الاجتماعية في الحياة. وتصارع فيها الآلهة العشيقة(!) كما في تموز وعشتار، أو الآلهة السقيقة، كما في بعل وعناة، لاستعادة الإله الفادي من أشداق الموت(!)، لأن بعودته تعود البهجة والخصب والعافية إلى الحياة»[2]

لقد جاء الإسلام لكي يحرر الوثنيين من عبادة صور الطبيعة كالشمس والقمر ودورات الخصوبة الزراعية والمرتبطة أيضاً بالشمس والقمر والتي يعود فيها الزرع إلى الحياة والخصب إلى الوجود. جاء الإسلام ليحرر الناس من الأوهام المرتبطة بهذه الآيات البينات والتي تدل على عظمة الله ورحمته بالإنسان وأنه الذي يمده بالنعم الظاهرة والباطنة. أما موسى مطلق إبراهيم وغيره ممن يشاركونه إفتراءاته ووثنيته فيريد أن يعود بنا، وبالشعب السوري قطعا، إلى عبادة هذه الظواهر

(*) أي إساءة، ألم يقل الرجل ان أم سرجون الاكادي ولدته سفاحا. والم يقل بأن هؤلاء يُنسبون إلى الحضارة السورية القديمة حضارة الضلال والوثنية، والسفاح والزنا في المعابد!

(1) المرجع السابق ص٩٣.　　(٢) وعد التوراة، لموسى مطلق إبراهيم ص٤٠.

وتقديس الأساطير التي اختُلقت حولها مثل إله الموت، الذي صارع الخنزير، الذي يعود إلى الحياة، كما تعود الحياة إلى الزروع والأراضي الميتة! فعابد الوثن والآلهة السخيفة المزورة «موسى مطلق ابراهيم» يُسخف التشريعات التي كانت أمة إسرائيل في حاجة إليها لإبعادها عن أوثان الامم واصنامهم وهي التشريعات التي تحرّم التماثيل والأصنام في وقت كان العالم يعج بها ويتعبد لها ويعتبرها صورا فنية لآلهة تجلس على عروش الحضارات من الفراعنة المتأهلين وآلهتهم العتيدة، وملوك وأفراد المدنيات المنحطة في تصوراتها عن الحياة والكون والإنسان.

يقول عن هذه التشريعات التي أنزلها الله عز وجل على رسوله موسى عليه السلام «وهناك تشريعات مغايرة كل المغايرة للثقافة الفنية المصرية التي يفترض(!) أن يكون نشأ على تذوقها - يقصد موسى - في بلاط فرعون(*) وعلى إدراك معناها السامي وتقديم قيمتها الجمالية، مثل: «لا تصنع لك تمثالا منحوتاً ولا صورة مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت الارض» (خروج ٤: ٢٠) متنكراً بذلك(!) ليس إلى ثقافته الفنية وذوقه الفني فحسب، بل إلى كل ما أبدعته الثقافة الفنية المصرية من الرسم والنحت بدءاً من أصغر صورة أو منحوتة في قصر فرعون(!) إلى تمثال أبي الهول»(١)

فما أعجب سخافة هذا المنطق الضعيف ولنضرب مثالاً على سخافته وعلى عدم قوته، فنحن اليوم كجاليات إسلامية نعيش في الغرب، وهناك اللوحات الفنية العجيبة والتماثيل الفنية المنحوتة. والتي وصلت إلى مرحلة يزعمون أنها مرحلة الشفافية والعفوية في الرسم الفني الجمالي الطبيعي والتي يبرزون فيها الأعضاء

(*) هو يؤمن بأن قصة موسى مقتبسة من قصة الملك الاكادي سرجون ، ولكي يحاول إثبات تعارض قصة موسى مع واقعه، يحاول أن يقوم بهذه المقارنة السخيفة مع اعتقاده أن قصة موسى «حكاية لا صلة لها بالتاريخ» وعد التوراة ص١٢١.

(١) وعد التوراة ص٨٣

الجنسيـة والجماع الجنسـي بكل صوره الراقيـة!!! ويفتخـرون في كل مكان بأنهم تحرروا من قيود الإبداع وحُجُب الابتكار، فتـجد آلاف اللوحات والتماثيل عارية، جنسية شائهة، وبعضها تصور العمليـة الجنسية كما هي، إدخال العضو في العضو وإبراز ذلك في الصـورة الفوتوغـرافـية والنحت الجـمـالي!، بالأفلام المتـحركـة وبالرسم. حتى لقـد قاموا بصـناعة ملايين الأعـضاء الذكرية والأنثـوية وما زالوا يصنعون! ووضعوا فيها تكنولوجيا حديثة جداً وتباع الآن في هولندا مثلا ولا مانع قانوناً من ذلك، في المجلات الجنسية المنتـشرة في الأحياء والقرى والمدن الكبرى!! فإذا رفضنا نحن المسلمين هذا النوع من الثقافة الفنية والذوق الفني والشفافية الفنية الجمالية!، نكون عند موسى مطلق إبراهيم قد فـقدنا الحصول على معناها السامي ومفاهيمها الشفافة الإنسانية العميقة!!

ما المشكلة أن يرفض موسى عليه السلام هذه الثقافة الفنية الـفرعونية، والتي كرّست عـبودية الفـراعنة وتأليه ظواهر الطـبيـعة ورمـوزها المتمـثلة في الأصنام والأوثان والأوتاد!؟ ألستم تدعوننا إلى عـدم التـقليد ورفض الـواقع السائد والثـورة على التقـاليد؟!... ألم يفعل موسـى عليه السلام هذا وبصورة إنسانيـة أصيلة وبوحي إلهي حقيـقي يهدف إلى استرجـاع حرية الإنسان من عبوديات منحـطة تتمثل في عبـودية الفرعون والإمبـراطور والوثن والوتد والعضو الـذكر وعبادة الإنثى كـآلهة للخصب وبـقية ظواهر الطـبيعة التـي عُبدت في الأزمنة التي يريد مـوسى مطلق وغيره من العلمانيين أن نسترجع صورها السامية!!، ورموزها الراقية!!

إنْ هذا إلاّ تحقـير للإنسان وغمسـه في وحل الوثنيات ومسـتنقع البهيـمية! إن الأنبيـاء يترفعـون عن هذا الواقع الرديء والمخالف للإنسـانية الحقـة. ولذلك قام العلمانيـون بتحويل صـورة موسى عليه السـلام وحـقيقتـه إلى صور وثنية إباحـية شائهة، لتمريغ البشرية كلها فـي وحل الجاهليات القديمة. وقاموا إضافة إلى ذلك

بتحويل كل الحقائق والوقائع المرتبطة به كنبي ورسول، وولادته من عائلة كريمة، شريفة، مؤمنة بالله، ومتحررة من الكفر والضلال والفساد. ولقد فعل العلمانيون ذلك حتى تتساوى المختلفات وتتماثل المفترقات ويصير نور الحياة نسخة من ظلمة الوجود، وتمسخ رسالات الخير بمزجها بأساطير الشر، وتبدأ العودة مرة أخرى إلى وثنيات طواها الزمان ووراها التراب.

كذلك قاموا بتحويل صورة أم موسى عليهما السلام إلى صورة مُنفِّرة كريهة والغرض نسف الأنساب الشريفة ليخلو لهم الجو الذي يحاولون تهيئته لنسف النبوة التي كانت تُصنع على عين الله وتخرج إلى الوجود من نكاح كريم لا من سفاح مهين!

وإذا تم تحويل صورة أم موسى إلى أم مديناتية زانية عارية تتزوج ابنها علنا وتصور رسومات معابدها هذا الزواج بجرأة متناهية (كما هو الأمر عند نظرية القمني الحقيرة) أو تم تحويل صورتها الكريمة العفيفة إلى أم اكاديه/ عراقية/ سورية في التاريخ الوثني القديم حملته سفاحاً، وهو ما يعني أن أباه انسحب من التاريخ من قبل أن يولد!!، إذا تم تحويل صورة المرأة التي ذكر الله أنه أوحى إليها إلى هذه الصور الشائهة الحقيرة فماذا ننتظر إذا تكلم هؤلاء عن صحابة رسول الله ﷺ أو أنصار عيسى عليه السلام أو أتباع موسى النبي عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام؟!

في كتاب لم أر مثله في الجودة وهو كتاب "سقوط الغلو العلماني" وفي النقد الممتاز قام به الدكتور محمد عمارة عندما رأى أن العشماوي تجاوز حدوده في تجريح الصحابة بل وتجريح الرسول نفسه والقرآن، هذا الكتاب الممتاز صدر سنة ١٩٩٥م وذلك قبل أن يظهر العشماوي بأكاذيبه الأخرى على العالم والخاصة بموسى والحقائق المرتبطة به. ولذلك قمت بإبراز أكاذيبه وأساطيره حتى يرى المسلم

الواعي أن العشماوي يتحايل عليه ويخدعه حينما يدخل بعلمانيته المخادعة معترك الاجتهاد الإسلامي ويقدم في ذلك مشروعه الفكري في أكثر من عشرة كتب .. توالى إعادة طبعها دار نشر ماركسية.. وتهتم به - كما يقول الدكتور - محمد عمارة - كل الدوائر المناوئة للصحوة الإسلامية، سياسية وفكرية[1]

إن هؤلاء الباحثين يمشون على خطى الباحثين الغربيين في تشويه الرموز الإيمانية والشخصيات الرسولية الكريمة فهناك «مشترك» على كل محاور الهدم بين هؤلاء الباحثين المتكرين من الغربيين والمقلدين فهذا كمثال «جارستانج» الباحث الغربي المشهور عضو بعثة مارستن التابعة لجامعة ليفربول للتنقيب في فلسطين، إدعى أن موسى عليه السلام قد أنجبته الفرعونة (حتشبسوت) عام ١٥٢٧ ق.م، عندما كانت أميرة، وقبل أن تتربع على عرش مصر، أي خلال حكم تحتمس الأول أو تحتمس الثاني. لقد اعتمد «جارستانج» في إقامة أكاذيبه على كشف يتيم لايدل على المقصود كما أنه لا يسعف الهدف المرصود!! ويعلق على ذلك القمني (صاحب إفتراء آخر! قدمناه بقوله «وقد ملأ جارستانج» الدنيا صخبا وضجيجا بما زعمه عن كشف أركيولوجي حاسم في الأمر جميعه، حيث عثر على جعران في مقابر أريحا الملكية، على إشارات فسرها كأدلة قاطعة، تثبت أن (موسى) قد أنجبته الفرعونة (حتشبسوت) عام ١٥٢٧ ق.م بالتحقيق ... وأن موسى قد تربى في بلاطها وبين حاشيتها بعد ذلك، ثم فر من مصر عندما نجح الانقلاب الذي قام به (تحتمس الثالث) ثم عاد ليقود الخروج أثناء حكم (تحتمس الثالث) عام ١٤٤٧ ق.م ... وكما ظهرت ضجة (جارستانج) فجأة، خفتت فجأة، وانتهى (جارستانج) إلى

---

(١) سقوط الغلو العلماني للدكتور محمد عمارة وهو الكتاب الذي ذكرنا تميزه وفرادته في العصر الحديث، وهو اصدار دار الشروق، (انظر ص١٣) منه. ولقد ألف خليل عبدالكريم كتاباً ضخماً اسمه فترة التكوين في حياة الصادق الأمين! وقام فيه بهدم النبوة عن طريق الزعم أن خديجة رضي الله عنها هي التي هيئت محمد بالدراسة الليلية للرسالة!! كما ألف القمني مجموعة من الكتب والمقالات لهدم الجيل الأول الفريد.

الصمت التام، ولم يعد أحد يتحدث عن جعرانه الأعجوبة، ويبدو أن المصرولوجيين لم يقتنعوا تماماً بتأويلاته لنقوش جعران أريحا، ربما لسقوطه في أخطاء هامة تبرر ذلك الخفوت، فالتلاشي لكشف بهذه الخطورة»[1]

يبدو أن الدكتور القمني لم يتعلم من التاريخ الذي يسوق أمثال هذه النظريات ليركمها جميعاً في مزبلته العظيمة التي يجمع فيها نفايات وخزعبلات بعض إنسانه. ذلك إنه بعد أن قرأ هذه الخرافات طلع علينا هو نفسه بزبالاته الفكرية وعصارات عقله المريض الذي أراد به هدم حقائق التاريخ والدين والوحي والشريعة.

إن الرابط السري الذي يربط بين الدكتور سيد القمني و «جارستانج» وأمثاله من الذين يبتكرون الأساطير هو عملية الإسقاط الخبيثة التي تجعل من الأنبياء شخصيات مقتبسة زناة وعاهرين وكذلك أمهاتهم وأيضاً آباءهم!! فحتشبسوت هذه راحت تُثبِّت شرعية ملكها باصطناع قصة عهد مقدس! يقول القمني نفسه «حيث اصطنعت قصة تقول: إنها ابنة مباشرة للآلة آمون بالجماع المقدس مع والدتها وهو الأمر الذي تكرر مع أكثر من فرعون، وهو ما يقول بشأنه (عبدالعزيز صالح): «وعادة ما ازداد تمسح هؤلاء بالدين وكرامات آمون) كلما أحس أحدهم بشبهه يمكن أن تمس شرعية ولايته للعرش، حيث يسارع إلى تأكيد بنوته المباشرة، له. نتيجة تقمصه روح أبيه حين الجبه، وعبرت عن هذه الاحاءات أربع روايات الفراعنة (حتشبسوت)(*) وتحتمس الثالث، وتحتمس الرابع، وآمنحتب الثالث» ويشير كل من (دريتون) و (فانديه) إلى «أن فكرة تدخل الإله تدخلا مباشراً في

---

(١) النبي موسى وآخر أيام تل العمارنه جـ١ ص١٦٨، ١٦٩.

(*) يقول عالم المصريات «هيز» عنها هي: «مجرد إمرأة لا اهمية لها، طموح، تفتقر إلى أي ضمير» ويقول عالم المصريات «بيرين» أنها «ليست سوى العوبة بين أيدي الكهنة الذين يمارسون سلطة دينية» ويقول عالما المصريات الفرنسيان «دريوتون وفانديه» «فهي تحاول أن تضفي سمة الشرعية على ما اغتصبته...» عن كتاب حتشبسوت الملكة الفرعونية تاليف سوزان راتيه ص١٢، ١٣.

أنسال الملك الجالس على العرش، كانت شائعة في الأسرة الثامنة عشر، إذ تمثل النقوش في معبد الدير البحري عن حتشبسوت، ومعبد الأقصر عن آمنحتب الثالث، مراحل الاقتران الإلهي... أي اجتماع آمون مع الملكة الوالدة، بعد أن يتخذ مظهر الملك الوالد»!![1]

إن آمنحتب الثالث الذي أنجب عن طريق الاقتران الإلهي المزعوم لآمون بأمه!! هو والد إخناتون/ موسى/ أوديب عند سيد القمني!!!

وحتى هذا الوالد الذي انجب بطريقة غير شرعية كان عاهراً كأمه تماماً بحسب نظرية القمني. يقول القمني عن والد إخناتون (آمنحتب الثالث) وزوج (تي) قبل أن يتزوجها إبنه إخناتون «ففي نوبة من نوبات إنغماسه في الملذات تزوج إحدى بناته، كما أفصح عن بعض النزعات الشاذة فهو الفرعون الوحيد الذي سمح لنفسه أن يُرسم وهو يرتدي ملابس إمرأة»[2].

ويقول «والغريب أن إخناتون كان يذكر دوما أنه ابن (تي) لكنه لم يَذْكر أبداً أنه ابن آمنحتب الثالث»[3]

إن هذا الربط الخبيث ليدل على النية المبيتة في تدمير الدين وتدنيس شخصياته التاريخية من أنبياء ورسل وشهداء وصالحين وخلصاء ومخلصين. حتى تضيع المعالم وتختلط الأوراق ويصبح النور والظلمة سواء، والشر والخير وجهان لعملة إنسانية واحدة لا حقيقة مطلقة فيها. وقد عبر عن ذلك كثيرون من دعاة نسبية الحقيقة ونسبية القيم، وأخيراً قام أحدهم وهو يقدم صورة العربي والمسلم عند الغربي والمسيحي الأوربي، قام يقدم صورة بعيدة عن الحقيقة «والحقيقة لا وجود

(١) النبي موسى وآخر أيام تل العمارنة ص١٧١ جـ١ والمراجع التي ذكرها اشار اليها في هامش نفس الصفحة.

(٢) النبي موسى . . . جـ٣ ص٧٩٠.

(٣) المرجع السابق جـ٣ ص٨٩٤.

لها إلا عند من يؤمن بهـا . . . إضافة إلى ذلك، هي دائمـاً زائفة بإعتبـار أنها من صنع البشر»(١)

إن (موسى مطلق إبراهيم) يرفض الإعتراف بحقائق القرآن، ومنها حقائق النبوة والقصص التاريخي للأنبياء والرسل، ويزعم أن القرآن قام بعملية «تعويم» مشئوم لقصص التوراة، يضيف «والذي لولاه لكانت التوراة نفسها ليست أكثر من مومياء دينية لا يهتم بها إلا الباحثون في متاحف الفكر الديني عبر التاريخ ولا يستغرب القارئ، إذا قلت له أن ما عاناه شعبنا في القرن العشرين من الهجرة اليهودية ووعد بلفور وقيام اسرائيل على أرضنا ... لم يكن كله أو بعضه لولا هذا التعويم المشئوم الذي مهد لولادة هذه الإمبراطورية اليهودية»(٢) ويقول «إن هذا التعويم للتوارة، بهذا الشكل، في الإنجيل والقرآن، كان له أثر بالغ السوء على شعبنا السوري من دون سائر الشعوب المؤمنة بالإنجيل والقرآن(!). فقد جعل من المؤمن السوري كائنا دينياً جذوره في التوراة(!)، وجعله ينفصل عن تاريخه القديم ويتنكر له(!) ويحل التاريخ التوراتي محله(!)، وهو المستهدف الأول والأخير في وجوده ووجدانه بتاريخ التوراة وشريعتها(!) وفي كل ما تدعو وتوجه إليه»(٣)

إن هذه الطريقة في التفكير تستحوذ على تفكير عدد لابأس به من العلمانيين! وهم يظنون أن القرآن والإيمان بالله ورسله وكتبه هو سبب هزيمة ١٩٦٧م ولو أمعنوا النظر قليلا لعرفوا أن أنظمتهم العلمانية الدكتاتورية التي ساعدوها وفتنها بثقافاتهم المستوردة هي سبب الهزيمة، لقد أبقوا على جهالة الشعوب ولم يُنشئوها تنشأة علمية حضارية مرتبطة بالمنهج الرباني الهادف إلى إقامة عمران بشري قائم على تسخير سنن السموات والأرض وسنن القوة وبناء مجتمع قوي في الفهم

(١) قال ذلك «عمر أوكان» في تقديمه لكتاب «عربي، هل نلت عربي؟» ص٦.

(٢) وعد التوراة ص٢٠٢، ٣٠٢، ٣٠٣ للقمني نصوص مشابهة قدمناها في كتابنا هذا.

(٣) وعد التوراة ٣٠٢ للقمني نصوص مشابهة قدمناها في كتابنا هذا.

والعلم والعقيدة والأخذ بالأسباب.

لقد أبقوا على صور دينية شائهة، إما حفاظاً على أماكنهم في مأمن من خطر العلم والإيمان الكريم والمعرفة والتنوير وإما مراعاة لمشاعر دينية لا تمت إلى الإسلام بأي صورة من الصور. كما أبقوا على صور تعليمية هشة لا تتمكن من تأهيل الإنسان إلى نيل أسباب السموات والأرض وهي صور تقليدية لا سبيل لها للتفاعل مع الكون والعالم وتغيير المجتمعات. كما أبقوا على البيروقراطية المتمكنة بشراسة من جميع الإدرارات الحكومة والتعليمية حتى طوقت حركة الإنسان وحركة التجارة الإيجابية.

كما أبقوا على قوانين وضعها الاستعمار في بلادنا وتجاوزها في بلاده، وأبعد القانون الرباني عن وضع القواعد وإرساء المعالم الرئيسية التي لا تطيق البيروقراطية العفنة ولا الجهل المتمكن من النفوس ولا التعليم المكبل لانطلاقة الانسان واطلاق عقله حراً في التعامل مع الكون بلا قيود إدارية أو تعسفية أو علمانية ديكتاتورية أو حتى دينية مخالفة للإسلام العظيم الذي فتح للعقل حدوداً عظيمة ومجيدة حققت مكاسب في القديم ويمكن أن تحقق مكاسبها الضخمة اليوم أيضا!

إن النظرة المنحرفة للدين من طرف العلمانيين العرب يجب أن تزول فهي أيضاً من عوائق النصر وإنطلاقة الحضارة الإسلامية الجديدة.

وأقرب مثال هو ما نحن بصدده في هذه الجزئية من هذا الفصل، فكثير من العلمانيين كموسى مطلق وسيد القمني وغيرهما يزعمون أن تواجد النصوص القرآنية التي تذكر إبراهيم وإسحاق ويعقوب وتذكر المؤمنين من بني إسرائيل بأنهم إخواننا سبقونا بالإيمان بالله الواحد الأحد، وتذكر التوراة وتؤكد أنها كتاب الله أنزله على موسى عليه السلام، يزعمون أن تواجد نصوص قرآنية تكرس هذا الإيمان إنما

هو سبب الأزمة التي نعانيها أما الحل فهو نفي هذه النصوص بإعلان الانفصال عنها وعن مصدرها الرباني!، بل واعتبار الاسلام تراثاً يجب تجاوزه!

ويشير القمني أن سبب هذا البلاء هو النبي محمد ﷺ نفسه وذلك أنه في «المرحلة التكتيكية» بزعم القمني في التعامل مع يهود المدينة تبنى محمد عقائد اليهود وأعاد التاريخ دورة كاملة إلى عهده وجعل الإسلام «مستبطناً» - بحسب لفظه - باليهودية يقول «كما تحول جميع أنبياء وملوك دولة إسرائيل القديمة إلى أنبياء مسلمين (!) كانوا يدعون بدعوة الإسلام... وظلت التوراة بصفتها الحاملة للهدى والنور، وظلت الآيات التي تذكر بهم كشعب مختار(!) متميز فضلهم الله على العالمين، وغير ذلك لاتجد سوى تنويعات عروبية نادرة ويتيمة(!) عن القرى العربية البائدة، وأنبياء مثل هود وصالح ، أما النسب الإسلامي والعربي، فقد ظل بدوره إسرائيلياً، بإعلان نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام(!)، أنه الحفيد النبوي الأخير لسلسة إسرائيلية(!) استعربت بعد إبراهيم باستعراب ولده إسماعيل واكتسابه الجنسية العربية بسكناه بلاد الحجاز، عبوراً على عمومه مؤكدة لإسحق(!)... هذا ناهيك عن تطابق المنمنمات الدقيقة حول الإله وقدراته وقصص الأولين بدءاً من قصة الخليقة وآدم مروراً بنوح والطوفان ... ومن ثم تنافس العربان، عتاه العقيدة العاضون بالنواجز على الإيمان مسيحية وإسلام ، في تشريف تاريخ إسرائيل وتكريمه ... والأمر بهذا الشكل مشكلة إيمانية، وأزمة فكرية طاحنة»[1]

يقول ذلك القمني في بداية كتابه إسرائيل.. التوراة.. التاريخ.. التضليل، مدعياً انه يتعامل مع التراث «لتحديد الهوية»! وهو الكتاب الذي يرد فيه على اليهودي فيلكوفسكي !!!

---

(١) إسرائيل .. التوراة ص٧-١٠.

وفي الكتاب نفسه زعم أن التوحيد ما هو إلا تطور تاريخي وثقافي وإفراز لتطورات سياسية وإقتصادية وتحولات في المجتمعات كما رفض قبول قصة موسى بمعجزاته وخصوصاً هلاك فرعون في البحر هو وجنوده كآية من آيات القدرة الإلهية كما أنه في كتبه الأخرى، ولنأخذ كتاب «الأسطورة والتراث» جعل الدين تطوراً لأساطير الخرافة واللامعقول وان القصص القرآني من إهلاك قوم نوح وعاد وثمود قصص «لامعقول» يجب أن يشطب من تاريخنا ولكن بالدرس الكافي له يكون درسه من أمضى الأسلحة في الصراع الفكري الدائر الآن (*).

أما موسى مطلق إبراهيم فقد زعم أن محمد ﷺ بتبنيه (**) لتاريخ التوراة انهزم أمام اليهود فكرياً مع أنه انتصر عليهم عسكرياً!! يقول «ومع أن النبي محمد أعطاهم كل شيء(!) فإنهم لم يعطوه شيئا ومع أنه انتصر عليهم عسكرياً وطردهم من الحجاز فإنهم انتصروا عليه ثقافياً(!) ورسخت توراتهم،بكل ما فيها من الأخبار والقصص الهشة(!) والتعليم غير الإنساني، في قرآنه(!). وستبقى تأثير مرعب في عقول وقلوب المسلمين الذين يأخذونها مأخذ الحقائق التاريخية والتعليم المناقبي المثالي، ما بقي القرآن كتاباً دينيا تأتم به مئات الملايين من أبناء البشرية في جهات الأرض الأربع»(١) لقد قرأت الكتابات الإستشراقية الحديثة عن الإسلام ومنها مثلا كتاب مكسيم رودنسون «جاذبية الإسلام» ولقد سفّه الرجل الكتابات الحاقدة (القديمة) على الإسلام، ورغم أن الرجل له توجه خاص تجاه المعرفة الإسلامية إلا أنه لم يصل أبداً إلى الحقد الذي يحمله اليوم العلمانيون العرب تجاه الإسلام.

(*) انظر مقدمة الأسطورة والتراث وهي مقدمة خطيرة جداً يهدم فيها الدين هدماً عنيفاً كما بقية الكتاب انظر ص٢٣، ٢٧، ٢٤.

(**) هذا هو زعمه أما الحقيقة فهي أن محمد لم يتبنى لا توراة ولا إنجيلا وإنما أوحى إليه من الله عز وجل بالإيمان بالكتب السماوية الصحيحة والرسل والأنبياء.

(١) وعد التوارة ص١٠٣.

إن هؤلاء العلمانيين يحاولون إثبات جدارتهم أمام الغرب بزيادة جرعة الحقد على الإسلام وبالكيد لهذا الدين والجرأة الوقحة عليه وهو دين الله بديع السموات والأرض. لقد تأثر هؤلاء الحاقدين (المرضى) بأكثر الكتابات الاستشراقية ضلالاً وسخافة، وهي الكتابات المعهودة التي زعمت اقتباس الإسلام تعاليمه من الفكر الديني اليهودي، والتي صورت الإسلام كخطر (مرعب) على الغرب، وكما تقدم من كلام موسى مطلق فإنه يتجاوز ذلك ليقول بأن الخطر المرعب من الإسلام إنما هو على البشرية كلها.

وفيما يشيد أمير إنجلترا «ريتشارد» بالحضارة الإسلامية وفضلها على الإنسانية، يقوم هؤلاء الحاقدون ليعكسوا الآية، فيزعمون أن الإسلام وحضارته خطراً على الإنسانية!! فهل هذا هو الإبداع الذي يريدونا أن نفتح له ذراعينا كطريق لانطلاق الإنسان في اكتشاف الكون وكأسلوب لفاعلية الحياة!!؟

فأي إبداع هذا الذي يقوم بالكذب والاحتيال والاستخدام المغرض لفرض أساطيره على البشر؟! إن موسى مطلق إبراهيم استخدم جملة من كلام الأستاذ سيد قطب في (التصوير الفني في القرآن) للتدليل على عدم تاريخية القصص القرآني، ومن هنا يؤكد أن قصة موسى إنما هي قصة مقتبسة عن قصة الملك الاكادي سرجون الذي حملت به أمه الكاهنة سفاحاً!

إنه ككل العلمانيين الحاقدين ينظرون إلى القصص القرآني على أنه إسرائيليات يجب أن لا نأخذها مأخذ الجد، لأنها مقتبسة عن حضارات قديمة!

ويورد كلام محمد وحيد خياطة الذي فيه «إن تحرر العقلية الإسلامية من المذاهب التاريخية في فهم القصص القرآني له فوائد كثيرة منها التحرر من الإسرائيليات» «وقد آن الوقت للعقل العربي ليتحرر من الإسرائيليات ويكشف

تاريخه بنفسه(!) بما تقدمه أعمال التنقيب الأثرية(!) وإن تعارضت المعارف الجديدة مع الكتب المقدسة»[1]

إن سيد قطب لم يذهب أبداً إلى عدم تاريخية القصص القرآني، بل على العكس من ذلك ذهب إلى أنها حقائق تاريخية عرضها القرآن لغرض ديني وهو تثبيت المؤمنين وأخذ العبرة من التاريخ والتمعن في دلالاته واستقراء وقائعه لإقامة عمران إنساني كريم مرتبط بالمنهج الإلهي الأصيل، والنص الذي حرَّف «مطلق» و«خياطة» دلالته - أقصد نص سيد قطب - هو «وقد خضعت القصة القرآنية في موضوعها ، وفي طريقة عرضها، أو إدارة حوادثها لمقتضى «الأغراض الدينية» وهو كما ترى يتكلم عن تركيز القصص القرآني في عرضه على الوقائع الهامة في التاريخ والتي يمكن للمسلم أن يستفيد منها في حياته الدنيا، وليس في كلام سيد قطب القول بعدم صحة وقائع هذا القصص تاريخيا!

لكن «مطلق» بعد أن يعرض هذا النص يقول بأنه لم يورد هذه الشهادة إلا ليخفف «وقع الصدمة على الذين يؤمنون من شعبنا ، بصحة وقدسية مرويات التوراة التاريخية، حينما وردت في القرآن، فهذه المرويات معادية كل العداء لحقنا في الأرض والحياة والحرية. . . وما علينا إلا أن نمعن النظر إليها بعين العقل الفاحص والضمير العلمي الخالص، حتى نكتشف زيفها التاريخي الفاضح الذي لا يثبت أمام نظر العقل الثاقب، ولا أمام الضمير العالمي لأبحاث التاريخ»[2]!!

أي عقل ثابت هذا الذي يثقب التاريخ بنظرياته المثقوبة المهشمة والمتناقضة في آن واحد؟ وأي أبحاث للتاريخ يقدمها هؤلاء المزورون للضمير العالمي، وكل منهم يقدم خزعبلاته ويعرضها عليه بجرأة مدهشة وبمزاعم لا أساس لها من الصحة كالقول بأنهم يعتمدون في نظرياتهم على الإكتشافات الأثرية والتنقيبات

---

(١) وعد التوارة ص٩٦. .

(٢) وعد التوارة ص٩٧. .

وإذا كانوا قد حرفوا كلام سيد قطب وغيره من العلماء والمفكرين المسلمين، فكيف بالقرآن وحقائقه وبالدلالات التاريخية لهذا القصص؟!

ومن قال إن القرآن عندما ذكر تفضيل الله لبني اسرائيل على العالمين أنه كان يقصد العالمين في كل زمان ومكان وأنهم مفضلين في حال الصحة والفساد، والاستقامة والإنحطاط!!، إن القرآن كان واضحاً في عرضه لهذا القصص التاريخي، فقد فضل الله بني إسرائيل على الأمم التي كانت تعيش على وجه الأرض وقت أن قال الله لهم ذلك، فمجموع بني إسرائيل وقتها، وقت أن كانوا مؤمنين فعلاً وموحدين حقاً، مجموعهم كان أفضل من مجموع الأمم الأخرى التي كانت تعيش في عالم الوثنيات الحقيرة والمدنيات المستبدة والعبادات الحقيرة. أما عندما إنحط بنو إسرائيل فكان خطاب القرآن معهم مختلف ﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم...﴾ والقرآن نفسه ذكّر بني إسرائيل بانحطاطهم الناتج عن تخلفهم عن عهود الله ومواثيقه التي أخذها عليهم، فكانت صورتهم في حالة الانحطاط كصور الأمم الوثنية سواء، فقد عبدوا الأوثان وتركوا التوحيد الخالص، واقترفوا الجرائم الأخلاقية مثلما كانت تفعل الحضارات الوثنية ما أدى إلى أن فقدوا التفضيل المشروط بالحفاظ على مواثيق الله وعهوده. ولن احاول هنا ان أستدل بآيات من القرآن للتدليل على ذلك، والسبب هو أن سوراً كاملة - بل أكبر سور القرآن ! - قد أفردت مساحات واسعة لعرض تاريخ الاستقامة عند بني إسرائيل وتاريخ الانحطاط ونقض المواثيق، والقارىء المسلم يقرأ هذه السور يومياً ويعرف ذلك جيداً ويكفي لقارىء القرآن أن يقرأ السور الستة

الأول من القرآن حتى يضع يده على هـذه الحقائق البديهية التي لا يماري فـيها إلا سفهاء العلمانية وتلاميذ الاستشراق الحاقد والمغرضين من المتترين بالإسلام!(*)

أما عن الزعم بتأثير العقيدة اليـهودية في العقيدة الإسـلامية فهو إدعـاء قبيح جداً، ذلك أن عقيـدة الأنبياء على مدى التاريخ البشري كله، هي عـقيدة واحدة، وهي موحى بها من الله لكل الأنبـياء والرسـل، فالقول بالتـأثير هنا إنما هو للقدح في الإسلام وترويج للشـبـه الصليبـية/ اليهوديـة في أن محمداً ﷺ اقـتبس من اليهودية ولا وحي ولا خـلافه!! في حين أننا لو ذهبنا لهذه الأسفـار اليهودية التي زعموا أن محمداً ﷺ اقتبس منها لوجدناها مناقـضة في كثير من معالمها للعقيدة الإسلامية التي علمها محـمد ﷺ للمسلمين، وقد ردَّ القرآن على تصورات يهود للألوهية وللنبوة وللتـاريخ وهو ما يعني أن العقيدة اليهودية المرسـومة صورتها في التوراة المحرفـة التي أثبت القرآن نفسه تحريفهـا للحقائق، إنما هي مخالفة لـعقيدة الإسلام في كثير من تفاصيلها!! اللهم إلا في أصل عقيدة الإله الواحد، فهناك لا شك إتفاق بين بعض نصوص الأسفار الحـالية التي تؤكد أن الإله واحد مع القرآن الكريم ومع عقيدة أنبياء بني اسرائيل لكن تصور هذا الإله في هذه الأسفار المحرَّفة التي زعم المستشرقـون وأتباعهم العلمانيون أن محمداً إقـتبس منها!، هذا التصور إنما هو تصور قـاصر وشائه ومنحرف في كـثير من تفـاصيله، وقد إمتـلأت كتب المسلمين في بيان إنحرافـه وضـلاله، والعلمانيون يعرفـون ذلك جيداً لكنهم يمارون ويخادعون. لغرض تلويث العقائد الإسلاميـة بصور الانحرافات التاريخية ليهود. حتى زعـموا أن العقـائد الإسلاميـة والأنبيـاء الحقيـقيين لبني إسـرائيل كيعـقوب

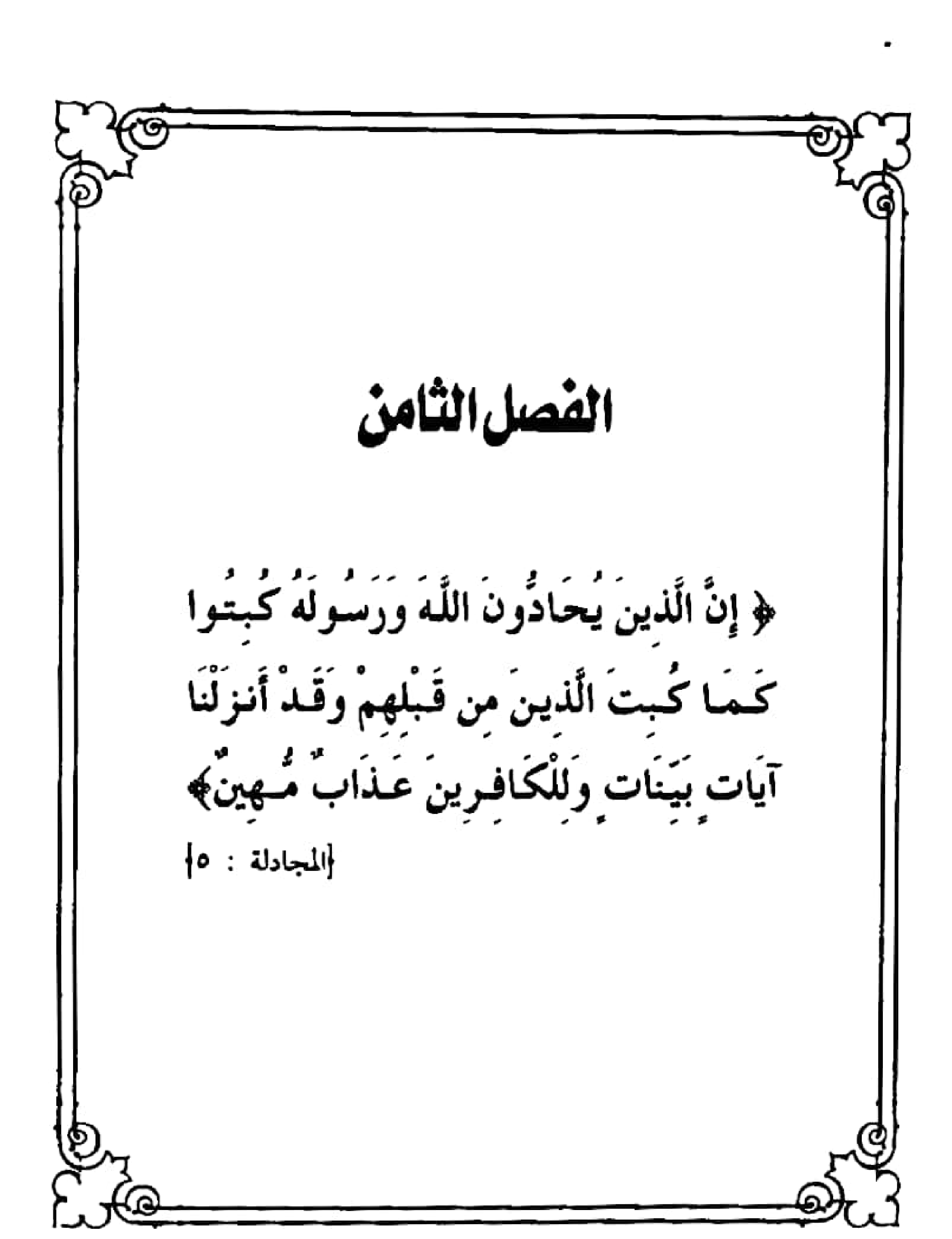
(*) يعتمد موسى مطلق إبراهيم في ذلك هو وغيره على قول «بيـوري» «لقد مارست العقيدة اليهودية تأثيرا ملحوظاً في العقـيدة الإسلامية» يعلق مطلق على ذلك «لقـد لاحظ هذا المؤرخ، وهو يناقش تحول الخزر إلى العقيدة اليـهودية الخالصة تأثير العقيدة اليـهودية في العقيدة الإسلاميـة، وهذا دليل سعة اطلاعه في هذا المجال، وإن سمى «تأثيراً» ما نسميه «تمويهاً» وعد التوراة ص ٢٠٦ .

وإسحاق إنما ذلك كله لا أصل له في العالم ولا حقيقة له في الوجود، فحقيقة الألوهية إفراز تاريخي ونتاج سياسي واقتصادي ، والأنبياء هم خيال مقتبس! وهي كلها إسرائيليات يجب التخلص منها للتحرر من الصهيونية!!! ويدخلون ذلك بخبث في الإنحرافات التاريخية لبني إسرائيل والتي فضحها القرآن! وبذلك يضربون عصفورين بحجر واحد، ويتخلصون من الدين كما فعلت الفلسفة في التاريخ الأوربي!

أما النتيجة التي يقدمونها للبشرية، فهي أفكار عقيمة، ونظريات متناقضة، وأيديولوجيات منحرفة قاصرة. وهي نفس الأفكار والنظريات التي عزلت الإنسان عن إنسانيته، ووصلت بالحيوان الداروني ، الفرويدي المتحرر جنسيا وأخلاقيا ، الحيوان الاجتماعي الدوركايمي المتجاوز للأسرة إلى أسر شائهة منحرفة جداً! وقد واجههم القرآن جميعاً قبل ظهورهم في التاريخ ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ۝١٠ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝١١ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ۝١٢ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ۝١٣ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [الذاريات:٧-١٤].

إن هذا الدين مهيمن حقاً!، وله سلطان على الأفكار والثقافات لا ينكره إلا معاند جاحد، ولما عزل الباحثون والمثقفون والفلاسفة الغربيون وتلاميذهم من العرب آذانهم وأسماعهم وعقولهم وقلوبهم عنه خرجت نظرياتهم وفلسفاتهم شائهة متناقضة متعارضة متضاربة.

لقد كنت أسمع شاباً كريماً يهتف: صمّت أذن الدنيا إن لم تسمع لنا!، والآن أفهم مدلول هذه العبارة بأبعادها المختلفة!



الفصل الثامن

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا
كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا
آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾

[المجادلة : ٥]

يزعم شفيق مقار أن موسى عليه السلام مصري .. لكن الأنبياء إبراهيم ويعقوب وإسحاق هم آباء آراميين (الجياع الآراميين!) (*) جعلتهم التوراة أنبياء عبرانيين، «فبُركوا!» فيما بعد ليصيروا أنبياء كما ليكونوا عبرانيين!، صوروا على أساس أنهم يأتيهم دعم وتأييد غيبي مما وراء الطبيعة[1]

وعن إبراهيم عليه السلام يقول «مقار - وفي الحقيقة مكّار!) مفترياً على التاريخ «التاريخ يحكي أن إبراهيم وقومه تسببوا لمصر - عندما استضافتهم وأشبعت جوعهم في متاعب خطيرة[2] وزعم أن الميثاق بين الله عز وجل وبين إبراهيم ويعقوب وإسحاق إنما هو ادعاءات «اعتبرها الكهنة الذين اخترعوها أساساً لديانة»[3] ديانة إله مكتشف بزعمه، ديانة «الله، الإله السماوي المحتجب الذي اكتشفوه في السبي وما بعده»[4] فالذين خرجوا مع موسى واحتفل بخروجهم من مصر بزعم مقار «قد أخذوا الكثير من عبادة أوزوريس وأدمجوه في أسطورة حداد - تموز - الذي عبدوه باسم بعل صفون. وفي أخذهم من تلك العبادة المصرية، وحدّدوا - على المستوى الإلهي - بين «موت» عدو بعل صفون، و «ست» عدو أوزوريس، وأخذوا الكثير من صفات أزوريس وطقوس عبادته»[5] يقول «فالبدايات (التكوين) والنمو الفكري لمفهوم الألوهية الذي طوّر تعدد الآلهة في عصر الآباء والانتقال من عبادة إلى عبادة مستعارة من ثقافات الأقوام المتحضرة(!)، وطوّر أيضاً الإله البركاني الوحشي يهده! فأوصل كل ذلك إلى مفهوم التوحيد (!) والإله السماوي المحتجب في الصياغة الأخيرة للتوراة(!)، لم تنبع في أي مرحلة من فكر أصيل (!)، أو إبداع حضاري يهودي، بل استعيرت

(*) قراءة سياسية للتوارة ص٨٠.

(١) قراءة سياسية ص٢٣٤.

(٢) المرجع السابق... ص٦٨.

(٣) نفسه... ص١٣٣.

(٤) نفسه... ص١٠٩.

(٥) نفسه.. ص١١٩.

كلها من ديانات وثقافات لم يسهم الكهنة أو قومهم في إبداعها ولُفقت منها وحُوِّرت وحُرِّفت ونُهبت مكونات ديانة توحيدية ادعى أصحابها أنها فريدة بين ديانات البشر»[١]

كل العلمانيين الذين دمروا تاريخ الأنبياء الحقيقي ينطلقون من نفس قاعدة (شفيق مقار) المادية، التي تفسر التاريخ من زاوية مادية صرفة ، وبطبيعة الأحوال فإنه بهذه الطريقة سيُصيِّر الأنبياء لا أنبياء، وسيُرجع الدين إلى ثقافات أرضية وظروف تاريخية. فإذا إنضاف إلى ذلك كذب العلماني الملازم لكفره دائماً، وإذا إنضاف إليه أيضاً الخداع واللؤم والقدرة على التلاعب بالحقائق وفبركة الأمور فبطبيعة الأحوال ستنتهي الأمور إلى ما ترى أخي القارىء وفي رايي ، فالأمر لا يختلف إذا ما قارناه بافتراء أهل الجاهليات على الرسل، فقد تصوروهم مجانين - كما ذكر القرآن الكريم ذلك عنهم ومفترين وكذابين وخيالين وسحرة وكهنة، وأصحاب أغراض خاصة، سياسية واقتصادية واجتماعية!! وأنهم يسعون للحصول على قيادة في المجتمع أو مكانة في العالم أو شهرة في التاريخ ! نفس هذه الآراء والإتهامات نسمعها اليوم من أقطاب العلمانية المنحرفين وهم يقومون بدراسة التاريخ النبوي والتاريخ البشري والتاريخ الإسلامي.

عقم المقارنات مازل مستمراً:

لقد قام شفيق مقار بعقد مقارنة بين قصة يعقوب وقصة موسى عليهما السلام وانتهى بخلاصة مفادها أن الأولى كانت بروفة للثانية في صنع البطل القومي المعروف في الأسطورة! «حكاية يعقوب في التوراة كانت شبه بروفه لحكاية موسى من أكثر من وجه، فكلاهما كان بداية لحلقة مهمة من حلقات السيناريو الذي تضمنه العهد القديم»[٢]!

---

(١) قراءه ... ص١٣٢.

(٢) نفسه ... ص٢٨٩.

فيعقوب المحب بني إسرائيل وكذلك موسى أنجب شعباً وأمة! (يالها من مقارنة!) وشعب موسى إنما هو في الحقيقة (من العشائر الآرمية والشراذم اللائذه بمصر، بعد اختلاق أصول وآباء لتلك الشراذم ووصلها - رجوعاً إلى الوراء في الزمان - بالرعاة الذين تقول التوراة أنهم هاجروا من أور الكلدانيين»[1] يقصد إبراهيم عليه السلام ثم كلاهما يعقوب وموسى بعد أن نهب ! ـ هكذا !! ـ ... خرج هارباً وكلاهما كان يعبد إلهاً ثم التقى وهو هارب بإله جديد![2]

وهو كذب كبير على يعقوب وموسى عليهما السلام، ومصدر هذا الكذب الذي أخذ عنه «مقار» هو أهل الافتراء من الأوربيين الذين يدعون الموضوعية والبحث العلمي الرصين! «إلا أن التشابه الأقوى والأهم مائل في إضفاء مؤلفي حكاية التوراة لمفهوم البطولة على كل من يعقوب وموسى .. فكما هي الحال في كل أساطير الإنسان القديم، كان من المحتم - بعد إعلاء الإله القبلي على كل من عداه من آلهة - إعطاء الشعب أبطاله القوميين»[3]

وكما أخبرتك أخي القاريء، فمادام «مقار» قد فسر الألوهية بالطريقة المادية القاصرة والمنحرفة فلا شك أنه سيفسر نبوة الأنبياء وبروزهم في التاريخ على أنهم أبطال قوميون كما الأبطال في الأساطير المعروفة!

فإذا كان الباحث أعمى، ويفتقد لأسس الفكر وآليات الفحص وكليات النظر فلا شك أنه سيخبط خبط عشواء في تفسير حقائق الوجود والحياة والتاريخ والإنسان والدين والنبوة، فيماثل بين الدين والأسطورة والبطل والنبي!!! إن شفيق مقار في كل خطوة يخطوها في كتابه «قراءة سياسية» كان يستدل بمرجع غربي، من مراجع التحريف والتزييف، وكمثال في المقارنة بين يعقوب وموسى عليهما

---

(١) قراءة ... ص٢٨٩.

(٢) قراءة ... ص٢٩٠.

(٣) قراءة ... ص٢٩١

السلام اعتمد على فرويد (*) و «أوتورانك» الذي تأثر بدوره بفرويد كما ذكر فرويد نفسه كما إعتمد على «مالينوفسكي» وكأن كهؤلاء مراجع لا تُنقض وحقائق لا تنقد! لقد اعتمد شفيق مقار بشكل شبه كلي على فرويد في إعادة بناء أسطورة مصرية جديدة عن موسى عليه السلام وفي موقفه من الأنبياء! فيزعم أنه تم تحويل موسى من نبيل مصري وكاهن إلى بطل عبري ورسول[1] كما زعم أن ولادة موسى العبرية وإلقاءه في اليم أو البحر حبكة ساذجة[2] وأنه لم يهرب لقتله المصري وإنما هرب لأسباب سياسية! (كل علماني يخترع أسباباً نقيضه!!) وقال «ان موسى قبل الهرب من مصر إلى المديانين، كاهناً من كهنة آتون رع في هليوبولس.. تعلّم ديانته على يد يثرون حميه كاهن مديان»[3] فهو قبل هروبه كان على دين المصريين وبعد هروبه تعلم ديناً وثنياً آخر! وإنه «كان هارباً في واقع الأمر من إنتقام كهنة آمون بعد موت إخناتون واندحار معبد هليوبولس أمام هجمة كهنة آمون الضارية، وكان موسى - قبل ذلك اللقاء - يعبد الإله الذي كان كاهناً من كبار كهنته «آتون»[4]

وهل يعقل أن ينتقل كاهن من كبار كهنة: آتون ، وهو الذي هرب بديانته - بحسب سرده للأسطورة! - هل يعقل أن ينتقل إلى ديانة جديدة بمستوى الحقارة التي يذكرها شفيق مقار نفسه؟!

(*) إستخدم فرويد في الصفحات ٦٧. ١٠٠، ١٠٣، ١١٨، ١٤١، ٢١٤، ٢٨٠، ٢٩١ وغيرها من الصفحات.

(١) قراءة ... ص٣١٨ يقول «طمس الكهنة، كما كان متعيناً أن يفعلوا ، مصرية موسى، وجعلوه بطلاً قومياً ونبياً لليهود الذين لم يكونوا قد وُجدوا بعد» ص٣٢٥.

(٢) قراءة ... ص٣١٥ يذهب أيضاً إلى أن الخروج وقع بطريقة سليمة تماماً وبلا مطاردة ولا معجزات كما ذهب فرويد وغيره . انظر ص٣٢٧.

(٤) قراءة ... ص٢٩٠.

فقد زعم أن موسى تعلم في مديان عبادة إله قضيبي من آلهة الخصب الصحراوية! «فيهوه . . . كان أصلاً إلهاً قضيبياً من آلهة الخصب الصحراوية عبده المديانيون الذين علموا موسى عبادته(!) أثناء إقامته في مضاربهم على حدود سيناء... «فتلك العبادة كانت في جوهرها عبادة خصب صريحة ظلت الاصلاحات التي استماتت أنبياء العهد القديم في إدخالها جاهدة باستمرار في محو ما تجسدت فيه قديما من شعائر وممارسات جنسية»[1]!!! يعتمد شفيق مقار في ذلك على كثير من الباحثين الغربيين مثل (Allegro,John) وبذلك كما ذكرنا من قبل - استطاع العلمانيون العرب من أصحاب هذه المناهج الحقيرة ، أن يُحقِّروا الأنبياء ويغمسوا صورهم في أوحال الممارسات الجنسية والعبادات القضيبية والشعائر الإباحية - وقد قام القمني، كما قدمنا ، بهذه الحيلة ، وذلك بربطه بين اخناتون/ موسى/ أوديب في شخص واحد!

إن «العهد القديم» لليهود والذي يؤمن به مسيحيو العالم كان قد وضع قصصاً محرفة عن الأنبياء[*] لا يقل عنها في التحريف الصور المشوهة الحديثة. لقد وضعت قصة الممارسة الجنسية بين لوط وابنتيه، وبين يهوذا إبن يعقوب وزوجة ابنه المتوفي وبين داود وزوجة قائد جيشه وغير ذلك من الصور التي رفضها الإسلام باعتبارها من تحريفات يهود التاريخية وبالفعل لأغراض سياسية ودينية حقيرة.

كذلك فقد أدخل على قصة موسى من قبل «العهد القديم» أمره بقتل النساء والأطفال والأجنة في بطون أمهاتها، بل كل نسمة حية، كما أدخل على قصته أن

---

(١) قراءة سياسية ص٢٦٨.

(*) كقصة ممارسة لوط الجنس مع ابنتيه الواردة في سفر التكوين ١٩/ ٣٠-٣٧ وقصة صنع هارون لعجل الذهب الذي عبده يهود في خروج ٣٢/ ١-٦ وكقصص حروب موسى التي امر فيها بقتل الأطفال والنساء كما في سفر العدد وغيرها من الإضافات على القصص الحقيقي ليعقوب وداود وشاول ونوح وغيرهم.

الله عاقبه هو وهارون عليهما السلام - كما جعلت هارون هو صانع العجل الذهبي!، وأن «يهوه» هو إلهه وإله الأنبياء.

كل ذلك جعل نقاد التوراة يعيدون بناء قصة موسى في عمليات تلفيقية لاتقل عن بناء يهود القديم لشخصية الأنبياء وقصصهم.

إن ذلك لا يعني أن كل ما قاله العهد القديم عن الأنبياء أساطير وخرافات وتعديلات وإدخالات، بل الأمر غير ذلك، فهناك نواح عديدة في هذه القصص تؤكد حقائق عن الأنبياء وعن الدين وعن التاريخ، لكن اختلطت بها صور محرفة استطاع نقاد التوراة أن يستخدموها لهدم الدين كله.

إن القرآن الكريم، قبل أن يَظْهَرَ نُقَّاد التوراة من أمثال إسبينوزا اليهودي وغيره بمئات السنين، كان قد أعلن الحقائق كلها عن الأنبياء وحقيقة دعوتهم والتحريف الذي لحق بصورهم وصور الحقائق الكلية الدينية والتاريخية.

ولاشك أن هؤلاء النقاد قد استفادوا من ذلك استفادة كبيرة.. كما استفادوا من نقد علماء المسلمين للأناجيل المعروفة والمتداولة لكنهم ولسبب الظروف الخاصة والمناهج القاصرة إنحرفوا انحرافاً خطيراً لا يساويه في الانحراف إلا انحراف آبائهم من صناع التوراة المزيفة والأناجيل المحرّفة!

يبقى شيء نذكره قبل أن نختم عرض إفتراءات شفيق مقار، وهو زعم مقتل موسى. فمع ذهاب شفيق مقار لذلك أيضاً تبعاً لفرويد إلا أنه يعلق على ذلك بما يؤكد أن كل أفكارهم عن الأنبياء إنما هي تكهنات ليست لها سند علمي حقيقي! يقول «وبطبيعة الحال، سيظل كل ذلك الإتهام من قبيل التكهنات. وهي تكهنات سيجعل من الصعب إقامة البرهان على صحتها نشاط الكهنة المحررين والرقباء الذين حرفوا واستبعدوا وأضافوا وأدمجوا وتلاعبوا تلاعباً لا سبيل إلى الوقوف على مداه»[1]!!

---

(١) قراءة سياسية ص٣٦٧.

فهنا يُعبِّر عن عجزهم عن إقامة دلائل قوية على بعض ما ذهبوا إليه - وإن كان لم يأتوا بدليل قوي واحد على نظرياتهم المتعارضة! - لكن المدهش في الأمر أنه يعزو هذا العجز إلى تلاعب الكهنة القدماء الذين دمروا الوثائق... ولا أعرف أين هي وثائق هؤلاء الباحثين في الاستدلال على نظرياتهم المتناقضة من كشوفات أثرية وحفريات أركيولوجية؟ إن ذلك كله يدل على ثغرات ضخمة في جميع هذه (النظريات الطفولية) التي لا تستطيع شق طريق لها في أجواء نقية!!!

الفصل التاسع

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام : ٩٤]

سخافة الدكتور الطبيب سعيد ثابت

في كتابه «فرعون موسى» للدكتور سعيد ثابت ما كان عليه إلا أن يفرغ أوساخ ذهنه الممتلىء بالغث من الخيالات والعطب من زبالة عقله المهلهل والمخلخل فقال بأن «ست» أو «موست (!)» الذي ورد بالآثار على أنه الابن أو الأخ الشرير للملك مصر مدّعي الألوهية إنما هو موسى عليه السلام أما «هامان» الذي ورد اسمه في القرآن العظيم فهو عند الدكتور (آمن) أو (آمون) الذي أُلّه في عصور تالية!

وزعم أن فرعون موسى هو أوزير - كل علماني ينبش في التاريخ يخترع لموسى فرعوناً مختلفا عن فرعون الآخر !! - أو عُزير..

يقول الدكتور ثابت: إن عُزير هو الاسم الذي ابتدعه فرعون لنفسه ليكون اسماً إلهياً له، بعد أن ادعى الألوهية، وبعد أن جاء موسى عليه السلام باسم (يهوه)!

وفي تعليق الدكتور عبدالصبور شاهين(*) والدكتورة إصلاح الرفاعي (في كتابهما المشترك) على هذه الخرافات يقول «ويبدو أن الدكتور فيما ذهب إليه من آراء كمن يقلب الهرم رأساً على عقب، ونحن نستشعر فيما كتب ميولاً عبرانية إسرائيلية، تريد أن تجعل بني إسرائيل أصل التاريخ وبناة مصر وأصحاب الحضارة... ولذلك فنحن نعتبر ما جاء في الكتاب المذكور نوعاً من الإختلال والخبال يرفضه التاريخ ولاسيما تاريخ النبوات الكبرى»(١)

(*) الدكتور شاهين لخبط كثيراً في كتابه أبي آدم قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة واختلطت عليه الأمور بصورة مثيرة للدهشة عندما جعل آدم أحد مراحل تاريخ الإنسان الذي زعم انه كان يتقل - أي الإنسان- من مرحلة إلى مرحلة تغيرت فيها بعض أوصافه فقد كان البشر قبل آدم وبادوا فقدّر الله فناء كل البشر من غير ولد آدم وذلك بعد عزل السلالة الجديدة(!) المنتقاة، حتى تتم إبادة جماعات الهمج البشرية، لتبدأ بعد ذلك الملحمة الإنسانية، بطليعتها المصطفاة آدم وحواء (ص١٠٥) «وآدم على هذا هو أبو الانسان وليس ابو البشر ولا علاقة بين آدم والبشر الذين بادوا قبله» (١٠٤) إن هذا ايضاً يادكتور شاهين نوعاً من الإختلال والخبال يرفضه التاريخ وتلنظه الحقيقة وينفيه القرآن. ولا يسمى اجتهاداً أقول ذلك وانا اكن لهذا الرجل الاحترام لفضله وعلمه ووقوفه على ثغرات خطيرة أفاد منها الإسلام والمسلمون كثيراً غفر الله لنا وله .

(١) قصة الدين والنبوة في مصر قبل الاسلام ص٢٠٠

ولقد ادعى الدكتور مراد الدش أستاذ مساعد الهندسة الإنشائية بجامعة عين شمس أن فرعون موسى الأول هو تحتمس الثاني «وانه نشأ تنافس بين موسى والملك تحتمس الثاني على الزواج من حتشبسوت!؟ ففاز بها تحتمس الثاني فلكزه موسى فقتله فخاف فهرب . . .!!!»(١)

وهكذا أخي القارىء، تسير الأمور إذا إختل الميزان بين يدي المتفلتين من هذا الدين العظيم القيم، الذين يقلدون الفكر الغربي الذي يعيد كتابة التاريخ بصورة جديدة تتقابل مع صور الفكر الإغريقي القديم الذي كان يصنع الأساطير عن الطبيعة وعن الإنسان بصورة ساذجة عابثة فَقَدَ عندها وقبلها المنهج الصحيح في النظر إلى كليات الأمور فكانت أساطير الوثنية السخيفة أعمدة للفكر النظري الإغريقي واليوناني ولطريقة التفكير التي تطيش بالحقائق وتكون بديلا لحقائق الحياة والعالم والتاريخ.

ادعى (جارستانج) أيضاً عضو بعثة مارستن Marsten التابعة لجامعة ليفربول للتنقيب في فلسطين أن موسى قد أنجبته الفرعونة (حتشبسوت) عام ١٢٥٧ ق.م بالتحقيق عندما كانت أميرة، وقبل أن تتربع على عرش مصر ، أي خلال حكم تحتمس الأول أو تحتمس الثاني ثم فر من مصر عندما نجح الانقلاب الذي قام به تحتمس الثالث ثم عاد ليقود الخروج أثناء حكم تحتمس الثالث عام ١٤٤٧ ق.م(*)

اعتمد جارستانج في إقامة خرافته الهزيلة على جعران عثر عليه في مقابر أريحا

---

(١) نشرت الأهرام المصرية ذلك في عددها الصادر يوم الخميس ١٣/ ١١/ ١٩٩٧ في الصحيفة الخاصة بالتحقيقات (ص٣) في مقالها بعنوان «عبور النبي موسى من بحيرة قارون» من تحقيق الأستاذ عبدالمحسن سلامة المحرر بالجريدة عرض فيه آراء الدكتور مراد محمد الدش . . . انظر كتاب المغالطات والإفتراءات الصهيونية على تاريخ وحضارة مصر الفرعونية للدكتور عبدالمنعم عبدالحليم سيد ص١٣٠.

(*) أما فليكوفسكي فيقول في كتابه عصور في فوضى ص١٦٧ أن حتشبسوت هي ملكة سبأ !! «ولإثبات أن ملكة سبأ والملكة حتشبسوت لم يكونا إلا شخصية واحدة فإنني يجب أن أثبت أن ملكة سبأ قد جاءت من مصر (!) وأن الملكة حتشبسوت قد زارت فلسطين» وهكذا يدمرون التاريخ!!!

الملكية فقام برسم نظريته الهزيلة التي كما قال سيد القمني ملأت الدنيا صخباً وضجيجاً ويقول تعليقاً على ذلك وكما ظهرت ضجة جارستانج فجأة، خفتت فجأة، وإنتهى جارستانج إلى الصمت التام ولم يعد أحد يتحدث عن جعرانة الأعجوبة![1]

المشكلة الأخطر، من ذلك كله كما ذكرنا ذلك أكثر من مرة ، أن هؤلاء جميعاً ينسبون موسى عليه السلام إلى أسر وثنية غارقة في الإباحية والجنس المقدس!

فالقمني مثلا الذي يحلو له أن يعلق على أمثال هذه النظريات، القمني هذا نسب موسى الذي هو اخناتون بزعمه إلى الملكة العارية تي التي تبدو رسوماتها في الآثار المصرية مع إخناتون نفسه - كما أشار القمني نفسه - مفعمة بالعرى والتحلل وكذلك زوجها آمنحتب الثالث الذي تزوج ابنته كما تزوجت تي إبنها إخناتون.

وهنا ينسب جارستانج موسى إلى حتشبسوت الفرعونية التي تمثل النقوش ممارستها للإقتران مع الإله المصري آمون التي ادعت حتشبسوت أنها ابنة مباشرة له بالجماع الجسدي مع والدتها!! ويقول إريك هورنونج في كتابه ديانة مصر الفرعونية[2] «وعندما دنا الإله آمون من الملكة أحمس وهي نائمة لكي ينجب منها الملكة حتشبسوت «فاض القصر بعبير إلهي» وأيقظها هذا العبير، وأوحى لها بأن الإله قد حضر(!) حتى قبل أن يدعها ترى «هيئته» الحقيقية كإله ... وقد اتخذ شكل زوجها تحتمس الأول(!)»!!!

يقول القمني «ويشير كلمن (دريتون) و (فانديه) إلى أن فكرة تدخل الإله تدخلاً مباشراً في إنسال الجالس على العرش، كانت شائعة في الأسرة الثامنة

---

(١) النبي موسى وآخر أيام تل العمارنة جـ١ ص١٦٨.

(٢) ص١٣٤.

عشر، إذ تمثل النقوش في معبد الدير البحري عن حتشبسوت، ومعبد الأقصر عن آمنحتب الثالث، مراحل الاقتران الإلهي. أي اجتماع آمون مع الملكة الوالدة، بعد أن يتخذ مظهر الملك الوالد»[1]

وهكذا يتم تلويث شرف الأنبياء في النظريات الهجينة والخرافات العصرية التي تنسج على منوال النسيج القديم للفكر الوثني الإغريقي الذي كان يتصور الأشياء على غير حقائقها الأصلية لفقدانه للأصول الصحيحة التي فقدها مع فقدانه للدين الحق.

أما الدكتور سعيد ثابت فإنه جعل موسى إلهاً شريراً هو الإله (ست) إله الشر عند المصريين القدماء!

وقد جعل كمال صليبي من موسى إلهاً أيضاً، وصليبي لا يؤمن بالله كأغلب الماديين العلمانيين الذين يحاولون بكل الطرق السخيفة سحق معالم الدين وقواعد الإيمان.

﴿... كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾[الكهف: ٥]

إن هذه الأفكار والمذاهب والنظريات والفلسفات العلمانية نتاج إختلال الموازين في الصراع الشديد الذي تم في الغرب بين الكنيسة المنحرفة والفلسفة القاصرة، ولقد قدم الإسلام - بعد العقيدة والشريعة - أثناء هذا الصراع هديتين عظيمتين الهدية الأولى هي تحرير العقل وتفعيله كونياً وجدلياً وإجتماعياً والهدية الثانية هي المنهج التجريبي الذي نقل العالم كله نقلات هائلة. لكن يبدو أن آلية الأسطورة تحكمت في طبيعة (النظرة الغربية) ومثيلاتها (العلمانية) إلى العالم ما أدى إلى المشكلات الخطرة التي يعيشها الإنسان اليوم، بعيداً عن حلول الإسلام التي أخذ بعضها وطُرح بعضها الآخر في غير مبالاة وفي غلو وشطط وضياع تغلغل في الحضارة الآيله للسقوط!

طارق عبد الباقي - مدينة لاهاي / هولندا

١٢ من ربيع الأول ١٤٢٣

٢٤ مايو ٢٠٠٢

---

(١) النبي موسى وآخر أيام تل العمارنة جـ١ ص١٧١ .

المراجـــع

١- الفلسفة، أنواعها ومشكلاتها، تأليف هنترميد ترجمة فـؤاد زكريا - الناشر مكتبة مصر ، يناير ١٩٦٩.

٢- مقدمة في علم الاستغراب للدكتور حسن حَنفي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - الطبعة الثانية ٢٠٠٠م

٣- نقد فلسفة هيجل للدكتورة فريال حسن خليفة ، دار قباء - القاهرة ١٩٩٨.

٤- نظرية المعرفة ، فؤاد زكريا - مكتبة مصر - بدون تاريخ - رقم الايداع ١٩٩١م

٥- وعود الاسلام روجية جارودي - مكتبة مدبولي ١٩٩٣.

٦- الإنسان والحضارة - فؤاد زكريا.

٧- شمس العرب تسطع على الغرب - زيغريد هونكه نقله عن الألمانية فاروق بيضون كمال دسوقي دار الجيل بيروت - الطبعة الثامنة ١٩٩٣.

٨- الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة، دار المعارف بدون تاريخ دكتور يحيى هاشم حسن ،رقم الإيداع ١٩٨٤.

٩- ملقى السبيل، لإسماعيل مظهر ، المطبعة العصرية القاهرة.

١٠- الإسلام في الفكر العربي، اللواء أحمد عبدالوهاب - مكتبة التراث الإسلامي/ ١٩٩٣.

١١- خطاب إلى العقل العربي فؤاد زكريا - مكتبة مصر.

١٢- قصف العقول - تأليف فيليب تايلور / عالم المعرفة / ابريل ٢٠٠٠م.

١٣- جريدة القاهرة المصرية ٨ مايو ٢٠٠١ العدد السادس والخمسون.

١٤- ديوان الأساطير، الكتاب الأول ، دار السامي، الطبعة الأولى ١٩٩٦.

١٥- إعلام الموقعين لابن القيم، دار الجيل / بيروت.

١٦- كيف نفهم الإسلام- محمد الغزالي ـ دار الدعوة.

١٧- الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر- محمد الغزالي -.

١٨- نقض المنطق، ابن تيمية، مكتبة السنة المحمدية/ القاهرة.

١٩- النبوات لابن تيمية.

٢٠- ركائز الإيمان ـ محمد الغزالي.

٢١- مجموعة فتاوى ابن تيمية.

٢٢- النبي موسى ورسالة التوحيد - دار الرشاد - الطبعة الأولى ١٩٩١.

٢٣- ثلاث مقالات في النظرية الجنسية لفرويد ترجمة سامي محمود علي راجعها مصطفى زيور - دار المعارف ، الطبعة الثالثة.

٢٤- هربرت ماركيوز للدكتور فؤاد زكريا ، دار مصر للطباعة - الطبعة الأولى - مايو ١٩٨٠.

٢٥- حياتي والتحليل النفسي لفرويد، ترجمة مصطفى زيور، عبدالمنعم المليجي - دار المعارف.

٢٦- دارون ونظرية التطور تأليف شمس الدين آق بلوت - ترجمه عن التركية أورخان محمد علي - سلسلة العلم والتقنية - دار بني آسيا للنشر - استانبول ١٩٨٧م.

٢٧- جاذبية الإسلام - دار التنوير للطباعة والنشر - بيروت - الطبعة الثانية ١٩٩٨.

٢٨- دفاع عن محمد ضد المتنقصين من قدره - دكتور عبدالرحمن بدوي - دار العالمية للكتب والنشر.

٢٩- مذاهب فكرية معاصرة للأستاذ محمد قطب ـ دار الشروق - الطبعة

السابعة ١٩٩٣م.

٣٠- وعد التوراة لموسى مطلق إبراهيم - منريح للطباعة والنشر - بيروت طبعة أولى ١٩٩٤.

٣١- قصة الدين والنبوة في مصر قبل الإسلام - تأليف الدكتور/ عبدالصبور شاهين - الأستاذة/ إصلاح عبدالسلام الرفاعي - الزهراء للاعلام العربي/ الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

٣٢- إسرائيل .. التوراة .. التاريخ .. التضليل سيد القمني - دار قباء القاهرة - ١٩٩٨م.

٣٣- الملخص لكتاب العرب واليهود في التاريخ لجعفر الخليلي، الجمهورية العراقية وزارة الثقافة والفنون، توزيع الدار الوطنية للتوزيع والإعلان - دار الرشيد للنشر.

٣٤- النبي موسى وآخر أيام تل العمارنة - ٤ أجزاء لسيد القمني المركز المصري لبحوث الحضارة/ مدينة بيتكو/ مصر - الطبعة الأولى ١٩٩٩.

٣٥- تاريخ اليهود لأحمد عثمان - الجزء الأول - دار الشروق.

٣٦- قراءة سياسية للتوراة - شفيق مقار - الناشر رياض الريس للكتب والنشر - لندن - قبرص.

٣٧- البغاء عبر العصور، لسلام خيّاط، نشر رياض الريس للكتب والنشر - الطبعة الأولى ١٩٩٢.

٣٨- جريدة الأهرام المصرية.

٣٩- الدين في عصر العلم، الدكتور يوسف القرضاوي - المكتب الإسلامي - الطبعة الثالثة ١٩٩٨م.

٤٠- سقوط الغلو العلماني ـ دكتور محمد عمارة، دار الشروق - الطبعة الأولى ١٩٩٥م.

٤١- التطور في حياة البشرية للأستاذ محمد قطب، دار الشروق - طبعة ١٩٩٥.
٤٢- الأسطورة والتراث ـ دكتور سيد القمني - الطبعة الثالثة ١٩٩٩ - المركز المصري لبحوث الحضارة - القاهرة.
٤٣- أساسيات العلوم الذرية الحديثة في التراث الإسلامي للمهندس أحمد عبدالوهاب - مكتبة وهبة - الطبعة الثانية ١٩٨٤م
٤٤- الإسلام والأمن الاجتماعي ـ دكتور محمد عمارة - دار الشروق - الطبعة الأولى ١٩٩٨م
٤٥- الأصول المصرية في اليهودية والمسيحية لأحمد عثمان - الطبعة الأولى ١٩٩٩م - دار الشروق.
٤٦- نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم - للإمام محمد الغزالي - دار الشروق - الطبعة الثانية ١٩٩٢م
٤٧- فضل الإسلام على الحضارة الغربية لمونتجومري وات - مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى ١٩٨٣م.
٤٨- قصة الخلق ـ دكتور سيد القمني المركز المصري لبحوث الحضارة - الطبعة الثانية ١٩٩٩م.
٤٩- قذائف الحق للشيخ محمد الغزالي - منشورات دار ذات السلاسل - الطبعة الرابعة ١٩٨٠م.
٥٠- مقارنة الأديان (اليهودية) للدكتور أحمد شلبي - مكتبة النهضة المصرية - الطبعة الثامنة ١٩٨٦م.
٥١- المغالطات والافتراءات الصهيونية على تاريخ وحضارة مصر الفرعونية وحضارة مصر الفرعونية والرد عليها ... للدكتور عبدالمنعم عبدالحليم سيد دار غريب للنشر - طبعة ٢٠٠٠م.
٥٢- نحو بعث جديد ـ الأستاذة زينب الغزالي - دار التوزيع والنشر الإسلامية.
٥٣- أبي آدم - قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة للدكتور عبدالصبور شاهين -

نشر دار أخبار اليوم قطاع الثقافة/ مصر - رقم الايداع ١٨٣٣٣/ ٢٠٠١.

٥٤- خواء الذات والأدمغة المستعمرة للدكتور مراد هوفمان تعريب عادل المعلم ونشأت جعفر، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م

٥٥- عصور في فوضى (١) من الخروج إلى الملك إخناتون تأليف إيمانويل فلايكوفسكي - ترجمة د. رفعت السيد - الطبعة العربية الأولى يناير ٢٠٠٠ - طبع «جماعة حور الثقافية»

٥٦- الأعمال (١) الإسرائيليات لسيد القمني - الناشر: المؤلف «سيد القمني» - تاريخ النشر: يناير ٢٠٠٢.

٥٧- مجلة الكتب ووجهات نظر، مجلة شهرية، العدد الثامن والثلاثون - السنة الرابعة مارس ٢٠٠٢، تصدر عن الشركة المصرية للنشر العربي والدولي.

٥٨- حتشبسوت الملكة الفرعونية، تأليف سوزان راتييه - ترجمة فاطمة عبدالله محمود - مراجعة د. محمود ماهر طه. الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة الألف كتاب الثاني ٣٠١ - طبعة ١٩٩٨.

٥٩- عربي ، هل قلت عربي ؟ أحكام الغرب حول المسلمين والعرب تأليف شانتال داغرون ومحمد قاسمي ترجمة فقيهي الصحراوي ، دار أفريقيا للشرق ١٩٩٨.

٦٠- القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم - دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة - لموريس بوكاي - طبعة جمعية الدعوة الاسلامية - طرابلس - ليبيا.

٦١-دراسة في السيرة النبوية ـ دكتور عماد الدين خليل ـ مؤسسة الرسالة ـ دار النفائس.


جديد بدف®
jadidpdf.com

فهرس الكتاب


جديد بدف®
jadidpdf.com

أقطاب العلمانية

سمير عبد العزيز

فى العالم العربى و الاسلامى

(2)

طارق منينه

إبن الشاطئ





أقطاب العلمانية

في العالم العربي والإسلامي

(الجزء الثاني)



الطبعة الأولي

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

رقم الايداع القانوني

٩٣٦٢ / ٢٠٠٣م

الترقيم الدولي : 977-253-310-3

دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع

٢ شارع منشا - محرم بك - الاسكندرية

تليفاكس : ٠٣/٣٩٠١٩١٤ - ٠٣/٣٩٠٧٩٩٨



أقطاب العلمانية

في العالم العربي والإسلامي

(الجزء الثاني)

د. سيد القمنى

المستشار. محمد سعيد العشماوى

د. أحمد عثمان

د. أحمد سوسة

موسى مطلق إبراهيم

شفيق مقار

تأليف

طارق عبدالباقي منينة

(ابن الشاطيء)

دار الدعوة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن مما يُثير الغثيان ويُشعر المرء بالقرف أن نرى رجالاً المفترض فيهم أن يقوموا بحماية معتقدات هذه الأمة المسلمة التي كرمّها الله بالإسلام، أن نراهم يقومون بخلخلة معتقداتنا وتدمير ثوابتها، ومسخ هويتها فيما هم يسيطرون على دفة إدارات الثقافة في أغلب البلاد العربية والإسلامية ويديرون المنتديات والحوارات الثقافية في عالمنا الإسلامي! من هؤلاء الدكتور جابر عصفور الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة في مصر، فهو يدافع بقوة عن إخوانه العلمانيين الذين يقومون بمحاولات خطيرة للعبث بالوحي القرآني وقلب حقائقه ومبادئه وتحطيم دلالاته ومفاهيمه وتحويل رموزه وشخوصه.

لقد دافع الدكتور جابر عصفور عن الدكتور سيد القمني والدكتور نصر حامد أبو زيد والمستشار محمد سعيد العشماوي وغيرهم ممن يقفون معه في خندق واحد بغية القضاء على هذا الدين وإرساء معالم علمانية بغيضة تقوم على أسس الفكر المادي القاصر في نظرته إلى الكون والحياة والإنسان والتاريخ.

وهو يدّعي كما يدَّعون أننا نحكم على نياتهم ولا نقرأ لهم! كما يدّعي ويدَّعون أنهم أحرص منا على ثوابت هذه الأمة وهويتها ودينها وأن غرضهم هو التنوير وإرجاع الأمة إلى عقل رشيد!! لذلك كان هدفي الأساسي والرئيسي والأول هو كشف هؤلاء العلمانيين وإبرازهم كما هم ،مع فحص أفكارهم ونقدها نقداً علمياً وموضوعياً يكشف بالأدلة والبراهين تلفيقاتهم وتلوُّنهم وخداعهم ونفاقهم وخلل أفكارهم وتقليدهم للغرب في نظرته ونظرياته، ونقلهم الأعمى للغث والحقير من الفكر الأوربي الذي لا يرقى إلى مستوى العلوم الفكرية والعقلية الإسلامية التي لاتفصل السماء عن الأرض، ولا الكون عن الإنسان، ولا الروح عن الجسد، ولا العقل عن الوجدان، ولا العالم عن الفطرة، ولا الجزء عن

الكل، ولا الإنسان عن المهمة الإستخلافية التي أعطى قوانينها وآلياتها، ومنح أدواتها ووسائلها، وحدد له غاياتها ومقاصدها.

في هذا الجزء من كتاب أقطاب العلمانية، وهو الجزء الثاني كشفت ألاعيب أكابر العلمانيين ومحاولاتهم السخيفة في قلب التاريخ وتغيير معالمه، وبينت أن هذه المحاولات إنما هي تداعيات لظروف شائهة مرت بها أوربا في قرونها الأخيرة مِمّا أدى إلى إقصاء الدين، والعبث بالوحي، وحجب الكلي، ونسف الشمولي، وتحويل الإلهي، وتزوير التاريخي، ومسخ الإنساني.

لقد قسمت الكتاب إلى بابين في تسعة فصول، يحتوى الباب الأول على فصلين هامين يعتبران تمهيداً ضرورياً، وبياناً للمصدر الذي يستقى منه أصحاب النظريات التاريخية من العلمانيين العرب أفكارهم وخيالهم الملفّق المتصنَّع، وهو باب لو قُرِء بعناية لأفيد منه أعظم الفائدة، ففى الفصل الأول أبرزت الحقيقة الإلهية الشاملة عن الإنسان والعمران الشامل والنبوة والرسالة، ثم قمت بعرض تفصيلي لأزمة الوعي الأوربى في «وحدات» و«نماذج» معينة بحيث ينكشف للقارئ مواضع الخلل في تطور هذا الوعي في كل مناحيه الفكرية والفلسفية والاجتماعية، ومن ثمّ ينكشف له خلل المصدر الذي يعتمد عليه العلماني اعتماداً كلياً في مواجهة المرجعية الإسلامية الأصيلة والشاملة.

لقد جزأت المرجعية الفلسفية الغربية الحقيقة، وعزلت الأدلة الرئيسية عن نظرتها الأحادية إلى الحياة والغيب والنبوة والتاريخ، اكتفاءً بالأدلة الثانوية الغامضة، والأجزاء المشوّهة المعزولة، والبعض الضعيف القاصر، فكانت النتيجة رؤية للعالم والتاريخ دمّرت الكليات، ورفضت الغيبيات وعبثت بالأصول والمقاصد العامة، فحقّرت الإنسان وحبست روحه داخل قمقم المادية والحسية الكثيف ابتعاداً به عن أصوله الأولى وغايته المهيّئ لها والمعان عليها والمكلف بها.

إن تخريب الإنسان وإعلان موته الأخير دليل على زيف الوعي الذى زعم أنه

قادرٌ على كل شيء، وقادر على استعادة كمال الإنسان.

في الفصل الثاني أبرزت «النموذج الأصل» لمعظم «الأساطير العلمانية» الجديدة التي أطلقتها «الذهنية المادية» وهي تسعى لتخريب التاريخ البشرى كله وقلب رواياته ووقائعه.

أما الباب الثاني[1] فقد قسّمته إلى سبعة فصول، عرضت في كل فصل «أسطورة علمانية» عن النبوة والأنبياء وشخص «النبى الرسول» موسى ﷺ كنموذج ضربه العلمانيون لنا كدلالة على زيف النبوات وأنها لا أصل لها، ولا صلة لها بالوحي الإلهي، وإنما الواقع الأرضى أو الاقتباس والسرقة ونزع الأصول من واقع تاريخى طبيعي إلى واقع مقتبس خيالي وزائف.

إن هذا الكتاب يحتاجه من استوى عوده، وانتصبت قامته، وارتفعت هامته، وتعمق علمه، وتجذرت عقيدته، وزاد يقينه، وقال يوما: صُمّت أذن الدنيا إن لم تسمع لنا! إنني كتبته لإخوان إتسعت مداركهم ووسعت عقولهم الدنيا ولم يقفوا عند السنن الصغرى فاغرين أفواههم مستغرقين فيها غائبين عن السنن الكبرى محقرين وعازلين لها فيما الآخر يُدمِّر الكبير الذي إذا هوى لحقه الصغير والقليل!

لقد كان ابن تيمية رحمه الله دليلاً سلفياً لنا لدراسة العالم كله وفحصه ونقده وإبراز سنن الحق فيه وسنن الباطل وكتابه «نقض المنطق» أكبر شاهد على ذلك.

ولقد قرأت مجموع فتاوى ابن تيمية أكثر من مرة، وقرأت معظم مؤلفاته الأخرى. فلم أجد الرجل يعتزل الحياة مكتفياً بأنه مسلم، عقيدته سليمة وسنته قويمة، بل كان «شيخ الإسلام» حقاً، نازل الفلاسفة، وصارع المتفلسفة، وخاض معركته الفاصلة مع التصوف المنحرف، ولم يلغ حقاً لأجل باطل غالب!، ونقد عقائد أهل الكتاب، كما نقد جمود المتفقهة من أهل السنة، اقرأ له في هذه النقطة

---

(١) يمكن للقارئ الكريم أن يبدأ من هذا الباب، اختصاراً واقتصاراً على فكر أقطاب العلمانية العرب، لكني أنصح القارىء المتمرس الخبير أن يقرأ الكتاب من أوله. المؤلف.

على سبيل المثال الصفحات الأولى من كتابه القيم «اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم».

لذلك أقول للإخوان الكرام تعلموا القراءة كما تتعلموا العقيدة! وادرسوا العلوم كما تدرسوا الفقه!، ولقد قطعتم شوطا طويلا عجيباً في الفهم الواسع فكنتم خير منازلين للباطل متجاوزين عن أخطاء العلماء وبعض اجتهاداتهم الضعيفة التي يؤجرون عليها إن شاء الله!، فيما وقف غيركم يصارع العلماء ويغتال فضلهم ويحجز علمهم ويمسخ علوم الخير التي قدموها للأمة يوم كان الكل مغترباً فأرجعوا للأمة ثوابت دينها التي كادت أن تتلاشى نتيجة الهجمات العلمانية بعد سقوط الخلافة واضمحلال العلم والفهم المتكامل.

إنني بكتابي هذا أُذكِّر الأمة بأن الفكر هو سلاح خطير وفعّال، ومعركتنا اليوم ليست برفع السلاح أو بإعادة السنن الصغرى دون السنن الكبرى أو بوضع السنن الصغرى عثرة في طريق إحياء السنن الكبرى من هذا الدين العظيم. وليتذكر المسلم الواعي أنه إذا تعارضت مصلحتان فإنه يتجاوز الصغرى لجلب الكبرى، وإذا كان لابد من حصول مفسدة بتدافع مفسدتين فإن ارتكاب الصغرى دفعاً للكبرى من فقه هذا الدين وأصوله التي قننها السلف الكريم.

تحية إلى الإخوان الكرام، وإلى القارىء الذي يُعلِّم أولاده القراءة من الصغر الجريدة، والمجلة الصغيرة، والكتيب الصغير؛ فإن ذلك داعية إلى دراسة العلوم وحماية العقيدة، والتعامل مع الأفكار بيقين واقتدار.

هذا الكتاب هدية للصحوة المباركة، فاقرأه بتمهل وأنت تقرأ الآيات الكريمة من سورة الذاريات في الرد على الكفار والمنافقين ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ۝٦ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ۝١٠ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾[الذاريات: ٥: ١١]

طارق عبدالباقي

لاهاي / هولندا ٦/٥/٢٠٠٢

الباب الأول

الفصل الأول

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧) قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[الأنبياء: ١٠٧-١٠٨]

« لو أردت سرد جميع الآيات التي تدعو إلى النظر في آيات الكون، لأتيت بأكثر من ثلث القرآن، بل نصفه »

[محمد عبده .. الإسلام دين العلم والمدنية]

« كان العلماء المسلمون هم الذين أدخلوا على المنهجية العلمية أسلوب « الملاحظة » للظاهرة الطبيعية في أدق تفاصيلها، وكذلك أيضاً الأسلوب التجريبي، هذان الأسلوبان كانا غريبين على منهجية المفكرين اليونانيين القدامى.

وفي الحقيقة، فإن القوة المحركة للانفجار العلمي في كل المجالات في العالم الإسلامي، من القرن التاسع إلى القرن الثامن عشر، كانت هي الحض القرآني على أن يستخدم الإنسان عقله، وأن يُقرب الطبيعة، وأن يعتنق النتائج التجريبية»

مراد هوفمان من كتابه « خواء الذات والأدمغة المستعمرة »

الإسلام والنظرة العلمانية الشائهة
أو الحضارة الكونية والحضارة الغربية

إن مما يلفت النظر عند قراءة الكلمات الأولى التي أوحى بها إلى رسول الله محمد ﷺ في أول إتصال للوحي الإلهي به، معلناً إياه رسولاً، هو أن هذه الكلمات ركّزت على الإنسان وقررت حقائق ثمينة عن طبيعته وتميزه في الخلق، والعلم، والإدراك. وبينت أن الله هو الذي منحه وسائل تناوله لسنن الأرض والسماء.

إنها الكلمات الأولى من سورة العلق ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[العلق١-٥].

فأول اتصال للوحي بالإنسان كان تقريراً للحقائق الأولى (حقائق الألوهية) (حقائق الانسانية) لتكون قاعدة ثابتة في نظرة الإنسان إلى نفسه وتعرفه على إمكاناته وقدراته، وكيف أنه مميز عن المخلوقات الأخرى في وسائل إدراكه وطبيعة عمرانه فهو خطاب لطيف رقيق في تعريف الإنسان بنفسه، وبإمكاناته، كما أنه خطاب جليل في تعريف الإنسان بربه الكريم الذي منحه مميزاته الإنسانية والبشرية ووسائل منظومته العمرانية والاجتماعية، فهو الرحمن خالق الإنسان، مانح القلم والبيان ﴿الرَّحْمَٰنُ ① عَلَّمَ الْقُرْآنَ ② خَلَقَ الْإِنسَانَ ③ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١-٤]إن مفردة «الإنسان» تتكرر في القرآن بصورة لافتة للنظر والهدف كريم! ذلك أن الله خلق الإنسان وجعله المخلوق الأسمى بين المخلوقات الأرضية، وأمدّه بوسائل تعمير الأرض(*) وقد جعله خليفة وسيّداً وسخر له ما في السموات وما في الأرض وأعطاه سلطاناً على الأشياء وحمّله أمانة ومسئولية في تناوله لحقائق

---

(١) «فذكر التعليم بالقلم يتناول علم العبارة والنطق وعبارة المعاني والعلوم» «فعلّمه العلوم بقلبه والتعبير عنها بلسانه» النبوات لابن تيمية ص٢٨٧ «يهدي الانسان الذي كان علقة ومضغة إلى أنواع العلوم بأنواع من الطرق إنعاماً عليه، وفي ذلك من بيان قدرته وحكمته ورحمته ما فيه» المرجع السابق ص٢٦٩.

(*) عمارة الأرض من قوله تعالى «... واستعمركم فيها ...» هود: ٦١.

الوجود، وميزه بنعمة العقل التي ارتبطت بها نعمة الاختيار والارادة الحرة. فهو «الانسان/ الخليفة»(*) ومن هذا شأنه لابد أن يكون فريداً في طبيعته وطبيعة مسئوليته على الأرض وغاية وجوده الانساني ليسبر أغوار الزمان ويفحص آفاق المكان ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[الاسراء:٧٠] إن بني أدم هم البشر الخليفة هم الانسان ككل. ﴿... إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[البقرة:٣٠] خليفة بشري إنساني فريد، والخليفة مع أنه يحمل تفرداً ذاتياً وشخصية(**) إلا أنه خُلق للتفاعل الاجتماعي، والترابط البشري ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ(***) شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا(****) إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:١٣].

وهو لم يخلق للعلو في الأرض والفساد فيها، ولم يُخلق بلا غاية ولا هدف(*****) ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا...؟﴾ [المؤمنون:١١٥].

﴿... إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ...﴾ [ص:٢٦] ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً...﴾ [الاعراف:٦٩] ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ...﴾[الاعراف:٧٤]. فالإنسان، ذكراً وأنثي فريد في حقيقته وطبيعته، وهو «خليفة» في الأرض، والأمم يستخلفها الله فهم

(*) وليس (الانسان/ الإله) أو (الإله/ الإنسان) أو (الإنسان/ الحيوان) أو (الإنسانية/ الإله) كما في الفلسفات الغربية وسيأتي بيان ذلك بعد قليل.

(**) زعم جمال البنا في جريدة القاهرة أن القول بعبودية الانسان لله وحده تتعارض مع تكريم القرآن للانسان!!!! «والمطلوب احلال انسان الايمان بالله محل انسان العبودية لله» وهذه لخبطة فكرية لكثير من لخبطات الأستاذ. راجع مقاله في القاهرة العدد ١٠٥ الثلاثاء ١٦ ابريل ٢٠٠٢.

(***) خلق الله الناس «من نفس واحدة ..» [النساء: ١].

(****) «ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين» [الروم: ٢٢].

(*****) «يرى الوجودي أن الحياة البشرية بلا غاية أو معنى» هنترميد في الفلسفة أنواعها ومشكلها ص٤٠٧.

خلفاء، وخلائف، ومستخلفين، والغرض هو تحقيق إنسانية كريمة قائمة على أسس وسنن لاتتعارض مع أسس الكون وسننه في إقامة عالم حي متناسق، كريم وإنساني وطيب وفريد وآمن. ولقد منح الله الإنسان كل مقومات الخلافة، وصفات خليفة، من «الاختيار» و«الإرادة» و«القدرة» و«الحرية» و«الفعل» و«الحركة» و«الحسم» و«المسئولية» و«العقل» و«القلب» و«الوجدان» و«الشعور» و«الخيال» و«الحافظة» و«الفكر» و«العلم» و«البيان» و«التفاعل الواعي» و«الحب الخلاّق» وغير ذلك من مقومات حياته الفردية والجماعية، العمرانية(*) والحضارية، فالإنسان في الإسلام مريد مختار فاعل مسئول عن أعماله، سيد في أرضه وسلطانه، له قدرات مميزة كإنسان مميز، وكلها منح تكريمية إلهية يعرفها الانسان من نفسه وفطرته، ويعرفها من دينه وشريعته، وليس في الاسلام نفي لمقومات الإنسان أو إلغاء لصفاته. فكيف يلغيها وهي منح ربانية وآيات إنسانية وشروط عمرانية منهجية! ولذلك فإن إرادة الله لاتلغي إرادة الإنسان فقد خلقه مريداً ومختاراً ومسئولاً! وكما أن وجود الله لاينفي وجود الإنسان، فكمال الله لايلغي كمال الإنسان «وهل - كمال المخلوق مستفاد إلا من كمال خالقه؟»(١) وكذلك فعل الله لايبطل فعل الانسان، وصفات الله لاتحجب صفات الإنسان وإنما تمنحها وجوداً وحضوراً ونشاطاً وفاعلية! وحكم الله لايلغي حكم الإنسان إنما يضع له مبادىء وسنن وقواعد ربانية لينطلق منها في بنيان عمرانه الاجتماعي وإجتماعه البشري وبيته

(*) وبلفظ ابن خلدون فإن «الإجتماع الإنساني هو عمران العالم ... وأن نظر في الاجتماع البشري الذي هو العمران ... وهو العمران البشري والاجتماعي الانساني ... فإذن، هذا الاجتماع ضروري للنوع الإنساني، وإلا لم يكمل وجودهم وما أراده الله من اعتمار العالم بهم واستخلافه إياهم، وهذا هو معنى العمران» مقدمة ابن خلدون ص٢٧، ٣٠، ٣٤ طبعة القاهرة ١٣٢٢ نقلا عن الإسلام والأمن الاجتماعي لمحمد عمارة ص١٢.

(١) البيان في أقسام القرآن لابن القيم ص٢٥ وهو الذي كمّل خلقك في أحسن تقويم ص٣٣

الأرضي! وهكذا فليس في الإسلام صراع بين الله والإنسان ولا بين الإلهية والإنسانية كما حدث في الفكر الفلسفي الغربي وسبَّب له أزماته الخطيره وأمراضه المزمنة وتناقضاته العجيبة فبالمقومات الإنسانية يستطيع الإنسان أن يقيم خلافة كريمة على الأرض وعمراناً بشرياً أصيلاً. يتعارف فيه الناس وتتكامل فيه المجتمعات، وتتمايز فيه القدرات، وتتفرد فيه الذوات والشخصيات بلا علو أو طغيان أو تألّه أو استغلال أو استعلاء أو استبداد من أحد على أحد ،والبشر(*) سواء، الكل سواسية لا فضل لأحد على أحد، لا لعربي على شرقي أو غربي ولا لأبيض على أسود، فالكل من آدم، **والكل أبناء جنس بشري واحد وأبناء نوع فريد خاص له خصائصه المميزة في الوجود.** وأي خلل في تفاعل هذه المقومات والقدرات يؤدي إلى تدمير خصائص الإنسان وتغيير وجهة حياته إلى حيوات رديئة ليست فيها حياة إنسانية أصيلة متكاملة وأمن اجتماعي مادي وروحي (**)

هذه هي المنهجية الإلهية وشروطها في إقامة حياة إنسانية صحيحة قائمة على عبودية الله وحده ونفي عبادة العباد للعباد!

وهي منهجية تقيم قواعد الدين القيم الأصيل، وتعيد صياغة الإنسان بعد أن مسخته الوثنيات والفلسفات القديمة (والحديثة)، وهي منهجية ترسخ مبادىء العدل الإلهي، وترد للإنسان نفسه التي افتقدها بضلاله في عالم الوثنيات

(*) وفي الآية (٧١) من سورة ص «إني خالق بشراً من طين» والبشر في اللغة هو ظهور الشيء مع حسن وجمال، وفي المعجم الكبير البشر الإنسان، للذكر والأنثى، وللواحد والمثنى والجمع.

(**) يقول الدكتور محمد عماره «ففي الاجتماع المعاصر مستجدات في مصادر الخوف والقلق الإنساني، تستدعي استنباط سبل للأمن الاجتماعي من ذات الفلسفة الاسلامية المتميزة في هذا الميدان» فالرؤية الإسلامية «جامعة لمقومات الأمن الاجتماعي للعمران البشري جميعاً، الديني منها والفكري والمادي والإنساني، العوامل مستقلة، ومتساندة، ومتفاعلة لتحقيق ضرورات العمران الآمن للإنسان» كتاب «الإسلام والأمن الاجتماعي»ص٢٥.

والفلسفات والمدنيات المستبدة(*)، إنها منهجية كريمة ترد له طبيعته الإنسانية وقيمته البشرية ومقوماته الأرضية وكرامته التي نُزعت منه وأعطيت للأوثان والآلهة المزيفة. كما أنها ترد له سلطته التي أُقيل عنها وأُعطيت للطواغيت والكهنة وأرباب الاستبداد والاستغلال السياسي والمادي والديني والفلسفي(**).

إنها منهجية تسترد الصلة الضائعة والحلقة المفقودة، فتصل المخلوق بالخالق، والأرض بالسماء، والدنيا بالآخرة، والإنسان بذاته المفتقده، وبمجتمعه الإنساني العام.

وفوق ذلك فهي منهجية فريدة تقيم علاقة حميمة بين الإنسان والكون لتحقيق الفاعلية الشاملة للإنسان في الكون والتاريخ والمجتمع. وقد منحه الله وسائل العمران، وأدوات التسخير، وصور البيان والفرقان... منحه القلم الفعال وهو آية من آيات الله عز وجل ميز به الإنسان عن الحيوان وكثير من المخلوقات العلوية والسفلية.

يقول ابن القيم «فآياته سبحانه في تعليم البيان كآياته في خلق الإنسان»[1]

فبالمعرفة والبيان والحركة الفاعلة يكتسب الإنسان الخبرة ويستكمل الدراية والدُربة فيحقق شروط خلافته على الأرض ويُتم أمانته التي حملها الله إياه لتعمير الأرض بإتقان وحكمه وبذلك يتمتع بحياة طيبة في الدنيا قبل الآخرة!

(*) كما ترد له كلمات الحق ومعانيها كما عبّرت عن ذلك الأستاذة الكبيرة زينب الغزالي بقولها إن سلطات الجاهلية سيطرت على ذرية آدم «لما ضاعت من حياتهم معاني الكلمات، وغمت عليهم جاهلية ووثنية بهتت بها كلمات الحق في وجدانهم، وضاعت من بين أيديهم معانيها، وعاشوا وقد ماتت من شفاههم الكلمات.. كلمات الحق» من كتابها نحو بعث جديد ص١٧ وهو كتاب لم أر مثله لإمرأة قبلها اللهم إلا كتابات حميدة قطب الأخيرة.

(**) ليس في الإسلام كما تعلم أخي الكريم أي صورة لأي وساطة بين الله والإنسان كالكهنوت والآلهة الدنيا أو العليا المزعومة والتي تجدها في الوثنيات والأديان المنحرفة!

(١) التّبيان في أقسام القرآن ص١٢٧

إن «القلم» أداة لتسجيل التفاعلات الحية في النفس والمجتمع والتاريخ والكون المادي والآفاق ،وقد أقسم الله به في القرآن ﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾[القلم:١].

وكما قال ابن القيم فإن «القلم» إحدى آيات الله، والأقلام نظام الأفهام» (*) و«البيان» صورة توضيح وتبيين ، وفرقان، وتوصيف ، وفصل ضد الإجمال، وتمييز بين صور الأشياء ومعانيها وأسمائها وحقائقها وصفاتها، فهو أداة للتمييز، في تناول الأشياء وعرضها على حقيقتها بعد تصورها على ما هي عليه ومنحها أسماءها الأصلية وصفاتها الأولية ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾[البقرة:٣١] ﴿عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[العلق:٥] ..

ولقد جاء الإسلام تبياناً لكل شيء ورد الأشياء إلى أصولها ولتعديل الموازين المختلة، التي مسخت صور الكائنات وحقائق الموجودات وأسماء المخلوقات وبديهيات العقول وصفات الممكنات. ففي طريقه لبناء المنهج المعرفي في تناول السنن الكونية والشرعية، وفي سيره الحثيث لتغيير معالم الجاهلية التي كانت تَمْنح الإلهية للكواكب والنجوم كالشمس والقمر والزهرة، وعطارد وغير ذلك مما لا حقيقة لألوهية فيه (فما هي إلا أسماء لا أصل لها منحوها لهذه الآيات الكونية تأليهاً لها ورهبة منها وتقديساً). في هذا السير الحثيث استعرض القرآن صور الآيات الكونية الباهرة مُرْجِعا لها أسماءها وصفاتها وصورها الحقيقية، ونزع عنها الأسماء التي مُنحت لها من جاهليات الحضارات الوثنية العريقة، والمدنيات الكبرى كالحضارة اليونانية والمصرية واليمنية والهندية وغيرها من الحضارات والمدنيات التي ألهت الأشياء وتصورتها على غير صورها الحقيقية وصفاتها

(*) قسم ابن قيم الجوزية القلم إلى أنواع من الأقلام، منها قلم الوحي، قلم طب الأبدان، قلم الحساب، قلم التعبير، قلم تواريخ العالم ووقائعه، قلم الرد على المضلين، وغير ذلك .انظر التبيان في أقسام القرآن لابن القيم ص١٢٦-١٣٣ .

الأصلية ما جعل المسلم يعتدل في تصوراته وحركته نحو العالم! تقول الأستاذة «زيغريد هونكه» إن اليونان كأساتذتهم البابليين، قد أطلقوا على أبراج النجوم أسماء آلهتهم ومنحوها أشكال حيوانات في ميثولوجيتهم «أما العرب فإنهم لم يتخيلوا «صور النجوم» بل سموا الكواكب الثابته بأسمائها، فكان لهم أسماء للنجوم أكثر مما كان لليونان.. الأمر الذي جعل لمعظم أسماء الكواكب الثابتة، فيما بعد، أسماء ذات مصدر عربي»[1]

«وقد لعبت أسبانيا الإسلامية دوراً عظيماً في الأبحاث الرياضية والفلكية، وعن طريقها تمكن العلماء الأوربيون من الاطلاع على مثل هذه العلوم الحية.

ويقول مونتجومري وات في كتابه فضل الإسلام على الحضارة الغربية ص٢٥

لقد كان للآيات القرآنية الموحي بها من الله الدافع الرئيسي في حركة المسلمين نحو الكون الخارجي[*] مع أن أول جماعة سمعت هذه الآيات كانت في بقعة صغيرة من الأرض لكنها بقعة مركزية ومهمة في الانطلاقة الأولى للدعوة وهي «مكة المكرمة» وهذه هي بعض الآيات: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾[غافر:١٣].

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ. . .﴾[لقمان:٢٠].

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا. . .﴾ [الجاثية:١٣].

---

(١) شمس العرب تسطع على الغرب ص١١٧, ١١٨.

(*) يقول روجيه جارودي: ولقد أخصبت الحضارة العربية - الإسلامية، طيلة ألف عام، الماضي وهيأت المستقبل. ونقلت أوروبا عبر أسبانيا وصقلية ثقافة تكلفت بأعبائها ألف عام...» وعود الإسلام ص٩٩
وتقول زيغريد هونكه «وكان ثمة عبقريتهم الفذة الخلاقة الاختراعية التي طورت الآلات الموروثة، وابتكرت آلات جديدة أخرى، فارسى بذلك حجر الأساس في صرح طريقتهم العلمية الصادقة في مراقبة الطبيعة من مراصدهم العديدة المختلفة فوصلوا إلى نتائج مذهلة فاقت نتائج القدامى أضف إلى ذلك مناهج بحوثهم العلمية المختلفة» شمس العرب ص١٢٦.

﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠-٢٢].

﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس:٣٦-٤٠].

ففتح الله عين الإنسان، الكائن الخطر الشأن، على رؤية آياته ودلائل قدرته، ووُجِّهَهُ للنظر في آفاق الأرض وأعماق الكون - فنزع عنه الرهبة التي ملكت على شعوب الجاهليات القديمة حياتها وسكنت نفوس أبنائها«الرهبة تجاه هذه الآيات الكونية التي ألهوها وقدّموا لها الأولاد والبنات ذبيحة وقرباناً وحرقا!! فكان في القرآن فتح كبير للإنسان، فتح في التعامل مع السنن الكونية والآيات العلوية وهو أعظم الفتوحات ... في توازن إنساني يحفظ العقل ويمسك الخيال عن الجموح والتطرف في حكمه على الأشياء ... ومن ثم يعتدل العمران الاجتماعي الإنساني وتتطور مدنيته ويسترد كرامته!

أعطى المنهج الإلهي القرآني الإنسان «القلم» في أول آيات تَتَنَزَّل على رسول الإنسانية محمد ﷺ عندما نبهه إلى أهميته وفاعليته، كما أشار عليه أنه منح الإنسان أداة عظيمة ألا وهي البيان أداة فصل ونظام فكر.

مهمة شاقة وحب غالب!

وكان على الجماعة المؤمنة الأولى من المسلمين توصيل هذه المفاهيم والحقائق المعرفية والقيمية والحضارية، بيد أن الأمر لم يكن سهلا في بيئات سيطرت عليها الوثنية دهراً طويلاً وغمستها في حمأة جاهليتها المُغَيِّرة لطبيعة الإنسان ولمكانته في الكون والتي عمت أنحاء الأرض كلها!

لم تلق الدعوة الإسلامية في إعلاناتها الأولى القبول، ولم تستقبل الرسالة الكبرى في إستهلالاتها بالزهور والطبول! وإنما وجدت أمامها خصومة عنيفة وقوى وسلطات مستغلة تهدف إلى تكبيل الإنسان وإخضاعه للعبودية البغيضة لها ولأوثانها كما تهدف في النهاية إلى استغلالها واحتقار إنسانيتها! فبدأت برصدها واضطهادها، وقاومتها مقاومة عنيدة وعنيفة في «مكة المكرمة» فلقد كانت الدعوة الإسلامية خطراً على تصوراتها وقيمها وخرافاتها اللاإنسانية، كما كانت خطراً على المزايا التي تحصل عليها جرّاء الوضع القائم كما كانت أيضاً خطراً على المواقع المميزة التي كانت قد استولت عليها في غياب من فاعلية الإنسان وحضوره الواعي)ذلك أن إقامة نظام إنساني يقوم على نزع السلطات عن المتألهين والطواغيت وإرجاعها إلى المنهجية الربانية التي أعطت السلطة (للإنسان/ الخليفة) وهي السلطة المؤسسة على قواعد التشريع الإلهي ومبادىء الدين الحق.ذلك أن إقامة هذا النظام إنما يعني تهديداً جدّياً للاستغلال المحتكر لكل مقومات الحياة وإزاحته من الوجود، الأمر الذي لا يرضى به المنحرفة من بني آدم والمتألهون من بني الإنسان والطواغيت الذين يؤسسون عروشهم على أطلال من الجماجم البشرية! . . . ولذلك استخدموا كل وسائل الترهيب، والترغيب، والتعذيب، والقتل لعرقلة مسيرة الدعوة والقضاء على مقوماتها ورجالاتها والمؤمنين بها من الرجال والنساء. وفي الوقت الذي بدأت فيه الدعوة بالتفاعل مع الواقع والإحتكاك بالناس لتعريفهم بحقائق الوجود ومسئوليتهم تجاه العمران البشري . . كانت هناك امبراطوريتي فارس والروم تقومان بإستغلال أشد للإنسانية وتحطيم لكل مقومات الحياة والكرامة التي منحها الله إياها ولم يكن هناك عقيدة صحيحة للإنسان عن الألوهية وخصائص الربوبية فالوثنية كانت مسيطرة في الشرق والغرب والشمال والجنوب، والرسالات السماوية السابقة أصابها التحريف والغلو وداخلتها الأساطير والخرافات وسطت عليها الوثنية فغيرت معالمها ومسخت حقائقها . .

رسول الله وصبغة الله:

فماذا يمكن لإنسان أن يفعل في هذه الأوضاع المختلّة والنظم المستبدة القاهرة!؟ لذلك كانت معية الله مع رسوله محمد ﷺ منذ ولادته، يؤسسه شخصية فذة تستطيع مواجهة كل هذه الأوضاع.. وكل هذه السلطات والإمبراطوريات! منذ الطفولة والعناية الإلهية تصوغ شخصية محمد ﷺ في المجتمع!، وتصنعه(*) وتصبغه بصبغة خاصة تأهيلا لحمل هذه الأمانة إلى الإنسانية كلها، ولتحمل مشاق وتكاليف هذه الرسالة الإلهية التي تحتاج أولى عزم من الرسل، وأولى قوة وأبصار. لم يأخذ الله رسوله إلى السماء ليربيه ويقويه ويصبغه بصبغة الرسل ثم يرسله إلى الأرض لمواجهة أعباء الدعوة وتكاليف الرسالة واستبداد الطواغيت!

لم يفعل الله ذلك مع أي رسول من البشر، بل كان يصنعهم في المجتمع، ويصبغهم في حركة الحياة الأرضية والنشاط الاجتماعي ويدمجهم في الواقع ويعركهم الحياة! لذلك لم تكن هذه التربية والصناعة للرسل بمعزل عن المجتمعات والبيئات والظروف المختلفة. لكن لا يعني ذلك أن الأنبياء والرسل يتأثرون بسلبيات المجتمعات أو بخرافاتهم وأساطيرهم أو بتصوراتهم عن الحياة والإنسان والكون والمجتمع!؟

(*) يقول الله لموسى عليه السلام «ثم جئت على قدر ياموسى. ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ طه: ٤١. قال الله عن موسى ايضا ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ طه: ٣٩. ذكر الله موسى عليه السلام بهذه المنة التي منها عليه وهو صغير وقال ايضا عنه ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ القصص: ١٤ وقال عن يوسف عليه السلام ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ ...﴾ يوسف: ٦ فاجتباه وهو صغير وقال عنه ايضا ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ يوسف: ٢٢ فما بالك برسول الإنسانية كلها ؟!!

وفي اصطفاء الله للرسل يقول «الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس» الحج: ٧٥. وقال عن ابراهيم ويعقوب «أولي الأيدي والأبصار» «وانهم عندنا لمن المصطفين الأخيار» ص: ٤٧.

لقد كان الله يزودهم بالخصائص الإيجابية من مجتمعاتهم، والصفات الإنسانية الحقيقية من بيئاتهم بحيث يكونون الكمالات على الأرض ويصيرون النماذج الأصيلة في الإجتماع البشري، ويكونون «قوة عظيمة» تقاوم الطغيان، وعندئذ ينزل عليهم الوحي ويجعلهم أنبياء ورسلاً ويمنحهم الشريعة والمنهاج! لذلك لم تكن العناية بالرسول محمد ﷺ بمعزل عن هذه كله، كما كان هناك إرثاً إسماعيلياً - نسبة إلى اسماعيل عليه السلام ووراثياً في الصفات الإنسانية(٭) والأخلاق الجليلة ورثها الرسول عن قبيلته وأهله. فكان الرحمة المهداة بحق.

ومن ذلك كله تشكلت شخصية الرسول محمد ، فتحددت سماتها النفسية والجسدية وتميزت قدراتها العقلية والعاطفية وبرزت معالمها الخَلقية والخُلقية كما عبّر بحق الدكتور عماد الدين خليل في كتابه دراسات في السيرة النبوية. فكان الرسول الذي ارتضاه الله للبشرية في آخر مراحل وجودها على الأرض ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧) لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٦-٢٨]

وكما أن الله لم يصغ رسوله خارج «التاريخ» وخارج الظروف الأرضية والعلاقات الاجتماعية البشرية فإنه كذلك لم يرسل معه عصا سحرية لقلب موازين العالم وتغيير مسار التاريخ! بل أمره بالدعوة، والتمهل، والتريث، والصبر، وتحمل الأذى والاضطهاد، وعدم استعجال النتائج وأعلمه الله في ذلك حِكَم عظيمة وغايات جليلة. وما عليه إلا التخطيط ودراسة الأوضاع، واستعمال السنن المتاحة، والبحث عن أجواء أفضل لحماية وأمان أتباعه حتى تتغير الأوضاع، وتتميز الصفوف، وتبرز الشخصيات القيادية! وأعلمه أن النصر لا يأتيه في الحال

(٭) يقول الله تعالى عن إسماعيل ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا (٥٤) وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾ [مريم: ٥٤-٥٥]

ولا ينزل عليه من السماء في التو! ذلك أن دعوة إلهية شاملة لهذه الأزمنة والأمكنة الأرضية حتى قيام الساعة تحتاج إلى جهاد عريض، وعمل دائب جهيد، ونفس طويل مديد، حتى تتغير النفوس، وتفهم العقول، وتتهيأ الفطر، وتتجدد الأذهان، ويتيقظ الوعي، وتتقوى الإرادات، وتتمتن الأخلاق وتنزاح العوائق وتلين العقبات، وتخف المنعطفات، وتتيقن القلوب، وتتمحص النفوس، وتصل الدعوة إلى الأقطار والأمصار، ويسمع عنها الرجال والنساء والصغار.

فهم الرسول من التاريخ الذي عُرض عليه في القرآن مغزاه وسننه ومقاصده فالتفت إلى العمل وواجبات الدعوة وصبر على الأذى، وهو في حب عجيب للدعوة، فكان الله يثبته ويريه آياته وينزل عليه السور الطوال والقصار فكان يقوم بتفعيل الدعوة، والإعلام، والتبشير بالنصر، والتثبيت، وضرب الأمثال، وكشف السنن الإلهية في التاريخ والمجتمعات وتعلن له هذه السور والآيات أن الله لابد ناصره ومعينه، وأن العاقبة للمتقين(*) وبالفعل نصره الله وانتشرت الدعوة في مشارق الأرض ومغاربها وتمت كلمة الله وتحققت وعوده وأقبلت وفوده من المشارق والمغارب تبايع على الإسلام. وتحقق علم الله في رسوله محمد ﷺ فكان خير رسول، أدى الأمانة، وجاهد في الله حق جهاده، وصبر وتحمل أعباء الدعوة، ومشاق التبليغ، فكان الرحمة المهداة، وكان صادق الوعد كجده إسماعيل عليه السلام.
لقد علمه الله سنن المجتمعات وأراه طبائع الناس وجعله خبيراً بأوضاع الجزيرة العربية وأنظمتها وأمرائها وحكامها وغير ذلك من الأمور المهمة في شخصه ﷺ حتى قال رجل غربي حديث يعمل في وكالة أبحاث الفضاء الأمريكية ناسا - وهو محام! - وهو عالم أمريكي اسمه «مايكل هارت» في كتابه (المائة: تصنيف لأعظم الشخصيات أثراً في التاريخ) «... محمد كان هو الإنسان الوحيد في التاريخ

(*) «كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله لقوي عزيز» المجادلة: ٢١

الذي بلغ درجات النجاح على المستويين الديني والدنيوي» ويقول «بسبب هذا الجمع الذي لا نظير له بين الدنيا والآخرة أرى أن محمداً من حقه أن يعتبر أعظم الشخصيات البارزة أثراً في تاريخ الإنسانية»[1] .

رسالة ضخمة وجيل متجرد:

وهكذا كان الله يؤهل محمداً لقيادة البشرية ولحمل أعباء رسالة إلهية ضخمة تحتاج لرسول فذ وحكيم ولنبي كفء قدير وشخصية قوية .. عادلة ورحيمة وكذلك اختار الله صحابته الذين تهيئت نفوسهم، وتجددت عقولهم، وتربت أخلاقهم، فبذلوا الغالي والرخيص في سبيل الله، وتركوا أموالهم وأوطانهم حماية لهذا الدين الذي استخلصهم من الناس لتوصيله رسالة إلى العالمين. وهم أيضا لم ينتظروا خارقة من السماء أو نصراً سريعاً وكانوا قد فهموا من الوحي الإلهي أنه لا مجال في هذه الدعوة للطفرات والقفزات وحرق المراحل، بل جهاد وصبر، وبذل النفس والنفيس، حتى يحدث النصر للجيل الفريد، جيل النصر المنشود!

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا . . .﴾[النور:٥٥]. ولقد تحقق الموعود وتم النصر المنشود ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[الحج:٤٠] ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ⑧ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٨-٩].

كانوا يعلمون أن لله سننا في التاريخ والاجتماع البشري ﴿الم ① أَحَسِبَ النَّاسُ

---

(١) انظر كتاب الإسلام في الفكر الغربي ص٤٠، ٤٤.

أن يُتْرَكُوا أن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[العنكبوت:١-٣] وأنه لا محاباة لأمة من الأمم أو جماعة من الجماعات! «ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم» سنة الله في تمييز الناس عرباً كانوا أم غير عرب فالكل سواسية أمام السنن الإلهية! فسنة الله هي عزل العناصر الخبيثة والشوائب الهشة عن المعادن النفيسة والفلزات الثمينة ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ ﴾[الرعد:١٧]. فظهرت صلابة الرجال وبرزت عزائم الأفذاذ ونفع الله بهم البلايين على طول التاريخ!

وهكذا فالإسلام باق إلى قيام الساعة وقد نفع الله به بلايين البشر إلى يومنا هذا!

يقول الدكتور زغلول النجار تعليقاً على هذه الآية الكريمة: «هذا المثل القرآني الرائع يشبه باطل الدنيا بالزبد الذي يطفو فوق أسطح السيول المتدفقة بالماء في الأودية الضيقة والواسعة على حد سواء، أو بما يشبهه من الزبد الذي يطفو فوق أسطح المعادن الفلزية النفيسة والنافعة حينما يتم صهرها مع بعض المواد لتنقيتها من الشوائب العالقة بها... نهايته النبذ والإلقاء... وكذلك الباطل»(١)

تحرير شامل للإنسان:

إن تحقيق هذه السنن الإلهية في التمحيص والفرز وانتخاب المعادن الثمينة الصلبة يستلزم تحقيق المواجهة بين الاستبداد بوسائله العنيفة، والحق برجاله الأفذاذ الأصلاب القادرين على حمايته ودعمه ونصره ودفع رسالته الغاليه إلى الأمام!

وبعد مراحل من الصبر والتريث والجهاد والمواجهة المسلحة ظهرت بشائر النصر بانزياح سلطان الجاهلية عن نفوس الناس، فبدأت قيمها ورموزها وكهنتها تنهار، فتحطمت الوثنيات القائمة والخرافات السائدة، وزالت آثار الحضارات البائدة

(١) مقاله له بجريدة الأهرام ١١ مارس ٢٠٠٢ .

والتي كان لها سطوة على النفوس كما كان لها إرثاً خرافياً ودينياً واجتماعياً وسياسياً عمل قرونا طوالاً على إعاقة حركة الإنسان إلى الأمام وقتل فاعليته في استخدام سنن الكون واستقراء التاريخ والواقع والكشف عن القوانين التاريخية والاجتماعية واستخلاص نتائجها لمصلحة الجنس البشري والإنساني في كل مكان وزمان بصرف النظر عن جنسه أو لونه أو عرقه أو دينه!

بيد أن الإسلام لم يحرر الإنسان ليتركه مرة أخرى فريسة للأهواء والخيال الفاسد والأساطير والخرافات الحضارية! ، وإنما كانت الآيات القرآنية تفتح وعيه على سنن وقواعد ومبادىء وتشريعات لينطلق منها إلى بناء مدنية كريمة وحضارة إنسانية عظيمة، تُعَرِّفه إمكاناته الإنسانية الفريدة! فانطلق العقل المسلم حراً طليقاً، يتعامل مع السنن الكونية والتاريخية والاجتماعية بلا رهبة أو أساطير، أو عوائق شرعية أو نفسية أو محاذير وبلا خوف من مخالفة دينية أو عقوبة إلهية!!

﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾[لقمان:٢٠].

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾[يونس:٥-٦].

﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ يقول ابن قيم الجوزيه تعليقاً على هذه الآية منذ أكثر من ٧٠٠ سنة «وهذه الإرادة لا تختص بقرن دون قرن بل لابد أن يرى الله سبحانه أهل كل قرن من الآيات ما يبين لهم أنه الله الذي لا إله إلا هو، وأن رسله صادقين»[1] .

---

(١) التبيان في أقسام القرآن ص١٨٩.

وهو يدعو الإنسان المسلم للإسهام في كشف الآيات والسنن وعَرْضَها آيات بينات على الناس، وقد بدأ القرآن بلفت نظره إلى السموات كما دعا المشركين إلى النظر إلى السموات والآيات بحس يقظ وعقل قارىء!! ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ﴾[يونس:١٠١].

﴿أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ...﴾[الأنبياء:٣٠].

لقد حددت هذه الآيات اهتمامات الإنسان، ورسمت له دستوراً علمياً يعتمد على النظر والرؤية، والاستنتاج والاستنباط، والفحص والتجربة وأنشئت له مقاصد وغايات، وشرائع وشعائر تعينه على بلوغ الهدف المنشود مع تسليم تام لله. وعبودية حقه للرب.

هذه الآيات الكريمه والتي تحمل النموذج الأسمى لتحرير الإنسان من الأوهام والخرافات، لامست روح المسلم لمساً لطيفاً منعشاً فشوقته إلى المعرفة واتخاذ سبل البحث والترقي، وملأت عليه حسه وسمعه وبصره، وأنعشت بصيرته واستولت على لُبِّه وعقله، وداعبت خياله ووجدانه، وحمَّست إرادته ونَشَّطت ذاكرته! فإذا به في قرون معدودة ينشيء منهجاً علمياً بحثياً تجريبياً متكاملاً لا سابق له في التاريخ!

يقول «جوستاف لوبون» في فصل له عن «مناهج العرب العلمية» من كتابه «حضارة العرب: «ويُعزى إلى «بيكون» على العموم أنه أول من أقام التجربة والترصد الذين هما ركن المناهج العلمية الحديثة مقام الأستاذ، ولكن يجب أن نعترف اليوم بأن ذلك كله من عمل العرب وحدهم ..وقد أبدى هذا الرأى جميع العلماء الذين درسوا مؤلفات العرب»(١) .

(١) انظر كتاب الدنيا في عصر العلم للقرضاوي ص١٧-٢٧.

ويقول بريفولت «إن ما يدين به عالمنا لعلم العرب ليس هو ما قدّموه لنا من اكتشافاتهم لنظريات مبتكرة غير ساكنة. إن العلم يدين للثقافة العربية بأكثر من هذا. إنه يدين لها بوجوده» [١].

فلم يحتاج المسلم يوما من حياته أن يُغيِّر في أصول الاسلام لكي يتقدم ويتطور ويرقى وذلك لسبب بسيط هو أن الإسلام نفسه سبب التطور والتقدم والرقي وهو رسالة الله التي لاتتبدل ولاتتغير فهي رسالة كريمة إذا تولى الإنسان بعيداً عنها فإن حياته تصير غير إنسانية أقرب للحيوان منها للإنسان، وأبعد في مقاصدها وغاياتها وقواعدها عن مقاصد الإنسان وغاياته وقواعده ومبادئه الكلية وأهدافه العليا التي ارتضاها الله له، وجعلها له ميثاقاً وعهداً وعقداً وأمانة يحملها على عاتقه جيلاً بعد جيل محاولاً إقامة مجتمع إنساني كريم على الله رحيم بالإنسان[*].

دراسة التاريخ البشري واستخلاص فقهه واستخلاص قوانينه وسننه:

لقد استعرض القرآن تاريخ (وحدات بشرية هامة) وكشف عن سننها في القيام والانهيار ووضَع العبر والدلالات، وساق الأمثال والآيات. وأخبر أنه سبحانه أرسل رسلاً لتقويم الاعوجاج ولتعديل الموازين التي اختلت بين يدي الإنسان بتخلفه عن تحقيق شروط وجوده وغاية حياته على الأرض ومسئولية إنسانيته الشريفة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[الأنبياء:٢٥] ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل:٣٦]. ﴿... ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ﴾[المؤمنون:٤٤].

---

(١) نفسه.

(*) وعن ذلك يقول مونتجومري وات: «وإننا لنجد شيئاً لا يكاد العقل يصدقه، وبالتالي فهو أمر يخلب اللبّ، حين نقرأ عن كيف تحولت الحضارات القديمة في الشرق الأوسط إلى حضارة إسلامية .. اعتنق الإسلام الكثيرون من حملة شعلات الحضارات السالفة» من كتابه فضل الإسلام على الحضارة الغربية ص١٩ ....

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾[سبأ:٣٤]. ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الأَوَّلِينَ﴾[الزخرف:٦]. لقد ضرب الله هذه الأمثال التاريخية وأبرز قصص الصراع بين الحق والباطل حتى يتهيأ المسلمون لأخذ النموذج الرباني الذي يليق بالإنسان ويتوافق مع الغاية التي أرادها الله من خلافته وحياته على الأرض ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلاً مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾[النور:٣٤]. ولقد ذكر سبحانه بعد أن ساق هذه الآية العالية القيمة في الخبرة التاريخية المطلوبة وفي ترسيخ منهج كوني، ذكر أن الله نور السموات والأرض، وهي إشارة لافته للنظر، اشارة لمصدر سعادة الإنسان في الدارين ومرجعية التنوير الحضاري والاشعاع التاريخي ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[النور:٣٥].

فالقرى والدول والحضارات الوثنية التي خلت رفضت سنن العمران الحقيقي، ورفضت دعوة المؤرخين الحقيقية ونقاد التاريخ وموازينهم الربانية وقيمهم الاجتماعية الإنسانية... رفضوا الأنبياء والمرسلين... والدعاة والمصلحين فأهلكهم الله ودمّر مدنهم وأزال حضاراتهم ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ۝٣٨ وَكُلاًّ ضَرَبْنَا لَهُ الأَمْثَالَ وَكُلاًّ تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾[الفرقان:٣٨-٣٩]. فتوارت قراهم ومدنهم عن الوجود، وغابت حضاراتهم عن الحياة والنشاط! وساخت المدنيات في أغوار الأرض وأعماق البحار. . واختفى الضجيج ووراه الثرى وأطبق عليه الصمت وترك آثاره المهيبة على أطلال وبقايا الهلاك ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾[مريم:٩٨] ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ﴾[الذاريات:٤٥]. ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[النمل:٥٢].

السنن الكبرى وكتاب الله المقروء:

لقد أبرز القرآن فاعلية السنن التاريخية في الاجتماع البشري، وبيّن أسباب هلاك المجتمعات وأسباب تدميرها وفنائها وهلاكها وانهيار مدنياتها وحضاراتها. وأخبر أنه لا معنى لإقامة بعض السنن العمرانية وإهمال السنن الأخرى فللعمران البشري سننٌ كلية هامة، وبيّن أن تجاوز بعضها يعني حدوث الخلل وقد يكون الانهيار أو الهلاك الشديد! ﴿... فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾[فاطر:٤٣]. يقول تعالى ﴿.. سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾[الأحزاب:٣٨] وما هلاك الأمم السالفة إلا باختلال موازينها الدينية والإنسانية والأخلاقية والاجتماعية.. وقد كان الأنبياء يعرضون عليها المناهج الربانية في الإصلاح والتعمير لكنها نفرت واشمئزت واستكبرت وعميت عن الحقيقة المُنجية!

﴿.. قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ﴾[الروم:٤٢] والآيات تدفع المسلم لقراءة التاريخ واستقراء سننه ودلالاته وأخذ العبرة والعظة الثمينة! يقول تعالى عن هلاك قوم شعيب ﴿وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾[الحجر:٧٨،٧٩] ويقول ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ...﴾[العنكبوت:٣٨]وبعد عرض إهلاكه لقوم لوط المسرفين قال تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر:٧٥-٧٧]

والمتوسمين هم الذين يتفرسون ويقدرون على استنباط الأمور بحسب تعبير المهندس أحمد عبدالوهاب(١)

وقد كان رسول الله ﷺ وصحابته يعرفون مواقع التدمير الذي لحق ببعض الأمم القديمة، حتى إنه ﷺ حذّر صحابته من الدخول على مساكن ثمود -

---

(١) أساسيات العلوم الذرية الحديثة ص١٥٢ وهو كتاب هام للغاية، فهو يرد أن هلاك هذه الأمم كان بالتدمير الذري والكارثة الذرية.

أصحاب الحجر - حذراً من أن يصيبهم ما أصابهم، وقد مر عليها وهو ذاهب إلى تبوك سنة تسع (هجرية) ولما إستقى الناس من آبار ثمود «أمرهم النبي ﷺ - فأحرقوا القدور..»[1].

وفي هذا إشارة أن هذا التدمير كانت له آثاره ومازالت في الأرض ومياهه إذا شربها الإنسان مؤمناً أو كافراً، فإنها تصيبه بالمرض فكان أمر الرسول باهراق المياه والإسراع بالخروج.

ولقد كانت الآيات القرآنية تفتح أعين الصحابة على سنن الهلاك وكانت إشارات الرسول بياناً واضحاً، وقد تعرفوا على علامات وقوانين ودلالات محكمة وفهموا مغزاها وأهميتها وفاعليتها في التاريخ وذلك من القراءة الواعية للقرآن الكريم، فالاستبداد والطغيان من أسباب انهيار المجتمعات وانحطاط العقول وضياع العلوم وفناء (الأقلام) وذهاب (البيان)!

والاستغلال الاقتصادي والترف المادي محطم للقيم الإنسانية ومكبِّل لروح الإنسان ومنشيء للكفر والأمراض الاجتماعية والنفسية والفكرية الخطيرة ومُدمِّر للفطرة التي فطر الله الناس عليها والتي لا تعيش في توازن وصفاء إلا في أجواء التكريم والتعليم ومناخ الاعتدال وعدم الإسراف وإعطاء كل ذي حق حقه وإلا قاومت وانتفضت أو تميّعت وخارت قواها وضاعت مروؤتها، واستمرئت الاستعباد وألفت الاستضعاف والذل والخنوع والمسخ المنظم!

والظلم الاجتماعي مدمر لوحدات المجتمع ومنشيء للكراهية والأحقاد والحرب وسفك الدماء وهو ماسخ لمعالم الفطرة ومحطم للعلاقات الإنسانية الأصيلة ومرسخ لسنن الاستغلال. والفكر المنحرف بأنواعه المختلفة يمسخ معالم الفطرة

(١) والروايات في تفسير ابن كثير في سورة الأعراف، كما هي في صحيح مسلم الجزء ١٨ ص ١١٠٠. كما اشار المهندس أحمد عبدالوهاب ص١٤٢.

الإنسانية، كما أنه معيق للعقل الحر عن الوصول إلى الحقائق الكلية والمعارف الشاملة والمعاني الكاملة فيحتفي بالجزء ويكتفي بالبعض.. وهذا ينطبق على الفكر الديني المنحرف والفكر المادي المفسد للعقل والمدمر للقيم العليا والسنن الكبرى كالوثنية وانحرافات أهل الكتاب وفكر بعض المسلمين القاصر عن بلوغ أبعاد الإسلام الشاملة والمضيع للكليات من أجل تحقيق الجزئيات! وكالمذاهب المادية الغربية التي فرحت بما عندها من العلم وذهبت تضع للعالم نظرات قاصرة جزئية لاترى من العالم إلا جزئه المادي وحتى هذا الجزء فإنها تدمره وتفسده وتجعله هو الأصل والغاية ..! وكما تعيق الخرافة الدينية الحياة عن التقدم والوصول إلى نظرة معتدلة للموجودات والأشياء كذلك فإن الخرافة العلمية المادية والتي تنكر عالم الغيب تعيق انطلاقة النشاط البشري والرؤية البعيدة الشاملة لمعاني الوجود البشري ولسنن الكون المطلقة وللتعرف على مسار التاريخ الإنساني العام بكل وحداته ومختلف طبقاته.

لقد أبرز الإسلام هذه العلامات الدالة، والدلالات الحية، فأحيا في المسلم النظرة الشاملة والفكرة الكاملة والفقه المنتج والعقيدة الصحيحة. وكشف له عن سننه في التعامل مع المجتمعات البالية وشرح له ظروفها المادية والفكرية وكشف له عن شروطها التاريخية والمادية.

نماذج تاريخية .. والعبرة:

كان الهدف الرئيسي لعرض القصص التاريخي في القرآن هو كشف السنن وسوق العبر واستقراء التاريخ وكشف القوانين الاجتماعية والنفسية والتاريخية بيد أنه لم يسرد الوقائع والأحداث كلها التي عاشتها القرون الماضية بتفاصيلها الجزئية، فهذه ليست طريقة القرآن في تناول الأحداث التاريخية، وإنما طريقة القرآن العظيم المثلى هي اختيار (وحدات هامة) في السياق التاريخي البشري تنوب عن التاريخ العام كله وتغني عن تفاصيله الدقيقة، فالقرآن ليس كتاب تاريخ بالمعنى المتعارف

عليه لهذه الكلمة أي انه ليس كتاب يسرد وقائعه التفصيلية التي تخرج عن هدفه والمقصد والمغزى من إنزاله فليس الهدف من هداية الإنسان إنزال كتاب تفصيلي يحكي له الوقائع والأحداث من يوم آدم حتى نزول الرسالة المحمدية وإنما الوسيلة الحكيمة والمثلى هي اختيار (وحدات تاريخية) لها أهميتها التاريخية والحضارية والدينية والعلمية والتي لاتخرج عن غرض الكتاب ولا تصيب المتلقي له بالملل وبالإعراض والكلل وهي ما حققها الوحي الإلهي بصوره الإعجازية المختلفة! على أنه ينبغي هنا أن لا نغفل القول بأن القرآن لم يغفل الجوانب الاقتصادية والسياسية، الاجتماعية، والدينية، البيئية والجغرافية في سرده للأحداث والوقائع والتواريخ التي ساقها، فكان أن عرض النموذج المعين ولم يغفل جوانبه المختلفة وظروفه المادية وشروطه الاجتماعية ووسائله المعيشية ونموه المادي والفكري. وهذا هو النموذج الكامل في الإلمام بنقطة تاريخية ما أو وحدة تاريخية معينة وكشف معالمها وإبراز نقاط القوة والضعف فيها ومكامن الخلل والتناقض والانحدار كما يبرز موقف العناية الإلهية من هذه المرحلة المعنية وهذه الكتلة التاريخية المحددة، فأثناء عرض القرآن العظيم لهذه النماذج والوحدات التاريخية ذكر طرائق حياة أهلها ووسائل معايشهم، ذكر الصناعات والمزروعات والبيئات والجغرافيا ونوع الحكومات والسياسات وصور العلو والاستبداد والاستغلال والاستبعاد وصور الملأ والرهط، والرؤوس والجماعات المسيطرة، وأخبر عن الملوك والكهنة والسلطات ومدى مبلغهم من العلم والفكر والقوة وصور الوثنيات والأساطير التي كانت تتحكم في البيئات والنموذج المعروض .

والقاريء للقرآن يمكنه التعرف على ذلك بالتفصيل، لكن سأعرض هنا لبعض الإشارات التي تفيد القاريء الكريم.

ففي مخاطبة رسول الله هود لقومه (عاد) بعد تذكيرهم بالتوحيد يأتي قوله

﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء: ١٢٨-١٣٠]. وكانوا يشعرون من أنفسهم القوة التي يظنون أنها تغنيهم عن الله عز وجل ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً . . .﴾[فصلت:١٥] ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾[هود:٥٩].

وعن الأسماء التي لا حقيقة لها والصفات التي لا أصل لها والتي منحوها لآلهتهم وجبابرتهم يقول لهم هود وهو يرد الحقائق إلى أصولها: ﴿. . . أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ . . .﴾ [الأعراف:٧١]. فذكر عنهم مع الشرك التجبر والتكبر والتوسع في الدنيا وشدة البطش.

وفي نقد «شعيب» عليه السلام لمعالم مجتمعه من خلال المنهج الإلهي تجده يقول لهم ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[الشعراء:١٨١-١٨٣]. وصورة أخرى لصالح تجدها في قوله لثمود غير عابئ بمدنيتهم ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾[الشعراء:١٤٦-١٤٩] ﴿. . . وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[الأعراف:٧٤] ويقول الله عز وجل عن حوار صالح مع مدينة ثمود المتغطرسة ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا . . .﴾[هود:٦١] ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾[الحجر:٨٢].

ويجمع الله عاداً وثمود في قوله ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ . . .﴾[العنكبوت:٣٨]. ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾[النجم:٥٠-٥٢].

﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (٢٧) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ (٢٨) فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾[الدخان:٢٥-٢٩] . «وكم أهلكنا من القرون هم أحسن أثاثا ورءيا» ولوط إذ ينقد معالم مجتمعه ويعلن لهم أنها مفسده للعمران البشري والبنيان الاجتماعي والفطرة الإنسانية ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ... ﴾[العنكبوت:٢٩] . ويقول ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (١٦٥) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ (١٦٦) قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾[الشعراء ١٦٥-١٦٧] .

وقد أخبر الله سبحانه وتعالى إبراهيم عليه السلام عن تدمير هذه المعالم المادية والإجتماعية المفسدة لصورة العمران البشري وطبيعته أخبره عن هلاك وشيك واقتلاع سريع: ﴿... إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾[العنكبوت:٣١] . وفوق الشرك الذي كانوا عليه، كانوا يقلبون الأوضاع الإنسانية رأساً على عقب فكان جزاؤهم قلب مدينتهم، قلب عاليها سافلها! ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ (٧٣) فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ (٧٤) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ (٧٥) وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ (٧٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[الحجر:٧٣-٧٧] .

فاعتبرت الشريعة السماوية هذه الطبيعة المنحرفة انحرافاً عنيفاً عن سنن الاجتماع البشري الصحيح وإسرافاً في التفاعل الاجتماعي وتطرفاً في بنيانه العمراني والإنساني ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾[الأعراف:٨١] . فجعل الله هذه المدينة آية على الانحراف الذي يجب أن تنأى البشرية بنفسها عن الوقوع فيه مرة أخرى، وترك آية هيمنته ظاهرة في آثارها الراسخة في أعماق الأرض وصخورها وجغرافيتها ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت:٣٥].

[وانظر الذاريات: ٣٧] .

أما فرعون وملؤه وقومه فهم علامة على الاستكبار في التاريخ والعلو البغيض في العمران والاستخفاف المحقر للإنسان ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[القصص:٤]. ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾[الزخرف:٥٤]. فالعلو البغيض لا يستمكن من العمران الاجتماعي إلا باستخفاف الناس والتآمر عليهم بجعلهم شيعا مفرقين لا يستطيعون مقاومته أو منابذته ونشر الفساد والفحشاء بينهم وإقرار الاسراف والتنوع في حياتهم! بذلك يُضل المتعالون الناس ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ﴾[طه:٧٩]. ولذلك أرسل الله من يحاول تعريف الناس بمنهج الله، أرسل موسى وهارون ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾[المؤمنون:٤٦]. فأهلكه الله فما أغنت عنه أملاكه وأوتاده وعمرانه ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾[الفجر:٦-١٠].

إنحراف يهود !

رأى بنو إسرائيل آيات الله وسننه في العمران الاجتماعي الفاسد، كما سمعوا ودرسوا المنهج الصحيح من النبي المصلح موسى عليه السلام، فاهتدوا به فترة من حياتهم ثم انحرفوا كما انحرف فرعون وملؤه، وكانت عقوبتهم شديدة، ذلك أنهم كانوا يقرءون منهج الله ويعرفون قوانينه وشرائعه. لكنهم انحرفوا وانتكسوا أيضاً وعلو في الأرض بغير الحق بل وغيروا دين الله وعبثوا بالوحي الإلهي ومسخوا القوانين التي تُصلح العالم، وكتموا، وحرفوا، وقلبوا أوضاع التاريخ، وكتبوا القصص المزيفة عن الأنبياء والرسل، وأضافوا الخرافات والأساطير على سيرهم وتواريخهم، فخالفوا بذلك شروط عقد وعهد الاستخلاف الذي كانوا يعرفونه أكثر من أي أمة مضت فضيعوا الحقائق وأخلوا بالعهد والمواثيق والموازين الإلهية ولذلك

كان القرآن شديداً في مواجهتهم وحاسماً في كشفهم وتبكيتهم وقد ذكر القرآن الكريم مخالفتهم العنيدة للشريعة الربانية ما أدى إلى تخصيص مساحات عريفة من سور كاملة في بيان انحرافهم ومخالفتهم للقوانين الكونية والاجتماعية والإلهية، فقد خصص لبيان ذلك مقاطع كبيرة من سورة البقرة وآل عمران والمائدة والأعراف وغير ذلك من السور تنبيها إلى شناعة ما قاموا به من تدمير للحقائق مما يعني أن في عرض تاريخ بني اسرائيل كشف لحقائق إنسانية واجتماعية وإلهية هامة. فهو تاريخ تقلب بين الاستقامة والانحراف، والهدى والضلالة بيد أن الهدف الأسمى من عرض هذه الحقائق وبيان مساويء هذه الانحرافات هو تعريف المسلمين بإلهية الله عز وجل وأنه لا يحابي أحداً وإنما من اهتدى وأصلح فهو عند الله عز وجل خليفة صالح، ذكراً كان أو أنثى، ومن ضل واستكبر وانحرف وجحد فهو أقرب إلى الحيوان منه إلى الخليفة الإنسان. وأدنى إلى عالم القردة والخنازير منه إلى عالم الإنسان الذي خلقه الله خلقاً خاصاً وكريماً وميزه عن كثير من مخلوقاته..

سبأ الهالكة:

أما «سبأ» وقد كانت لها حضارة مشيدة وعمران عظيم فيقول القرآن فيها: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سبأ:١٥-١٧]

وقد ذكر الله أنه مَنَّ عليهم بأمان ويسر ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾[سبأ:١٨]. أما عن النماذج الفردية في الاستغلال والطغيان فاقرأ قول الله عز وجل عن فرعون أو النمرود أو قارون، فقارون نموذجا ومثالاً على الاستغلال الاقتصادي والترف الذاتي، والبغي الفردي ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ...﴾ إلى آخر الآية من

سورة القصص: ٧٦. ﴿أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون﴾[القصص:٧٨]. وهناك آيات عامة عن القرى المحطمة والحضارات القوية الطاغية والمدنيات التي واراها التراب. وهي آيات هادفة وهامة.

﴿فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد(٤٥) أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ [الحج:٤٥,٤٦].

﴿وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين (٥٨) وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون﴾ [القصص:٥٨,٥٩].

هذه هي المنهجية الربانية في التعامل مع المخالفات الضخمة للأمم البشرية! ﴿أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات ....﴾[الروم:٩]. ﴿أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليما قديرا﴾[فاطر:٤٤]. ﴿.... كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا في الأرض ...﴾[غافر:٢١]. ﴿وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون (٣٤) وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين (٣٥) قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون (٣٦) وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا ...﴾ [سبأ: ٣٤-٣٧].

ولا شك أن إنسانية الإنسان وكرامته قد ضاعت ومسخت في هذه المناخات العمرانية المستبدة!

لقد حقق الإسلام نقلة عجيبة في حياة الإنسان كما صنع تحولات مدهشة في نظرته إلى الكون وكما قال «ديدرو الأمبرتي» فقد أضاء مشعل العلوم والفنون الجزيرة العربية قبل أن يظهر له أدنى بصيص في الأمم الأخرى، مما يؤكد لقب بكوريتها على الأرض كلّها. ظهرت بها أولاً العلوم المفيدة قبل فنون المتعة، وكان العرب هم أول من أخذ الانطلاقة نحو السماء ليتأملوا كواكبها. إنهم شعب يقيل تحت سماء صافية لاغيوم تكدرها، منشغل فقط برعي غنمه عبر سهول عارية أو فوق قمم الجبال، وقد أستطاع رغم ذلك أن يكتسب معلومات سريعة عن الكواكب، والنجوم ومما يدل على أنهم كانوا السباقين إلى عالم الفلك هو أن الأسماء التي تشير إلى هذه الأجسام الفضائية هي أسماء حيوانات معروفة بهذه المنطقة»[1] .

ويقول البارون «كارادي فو» «إن العرب ارتقوا بالحياة العقلية والدراسة العلمية إلى المقام الأسمى، في الوقت الذي كان العالم المسيحي يناضل نضال المستميت للإنعتاق من أحابيل البربرية وأغلالها، ووصل الأمر إلى ذروة ازدهارهم العلمي في القرنين التاسع والعاشر (الميلاديين). واستمر ذلك الازدهار إلى القرن الخامس عشر، ومن القرن الثاني عشر فصاعداً كانت حواضر العرب محط أنظار كل غربي يميل إلى العلم ويتذوقه»

إن الإسلام في الحقيقة هو الذي دفع العرب وغير العرب ممن كانوا يعيشون في البلاد الإسلامية وليست العربية فقط، إلى اكتساب المعلومات بسرعة مدهشة، حتى أضاءت بقوة مشاعل العلوم العقلية والعلمية والعملية التي أقبل عليها الغربيون بدءاً من القرن الثاني عشر، وذهب كثيرون إلى حواضر المسلمين كبلاد

---

(١) كتاب « عربي هل قالوا عربي؟ ص١٧٦، ١٧٧ وأشار إلى موسوعة ١٧٧٢ .

الأندلس في أسبانيا والبرتغال لينهلوا منها بلا عنصرية من الأساتذة لطالبي العلم من كل الأجناس والأديان واللغات والألوان.

يقول «فولتير» في (دراسة عن الطبائع) (١٧٥٦): «لقد عني العرب بالكيمياء والطب، فالكيمياء التي طورناها نحن اليوم لم تصلنا إلا عن طريقهم، وإننا مدينون لهم كذلك بأدوية جديدة، وهي أقل مرارة وأكثر شفاء من الأدوية المستعملة قبلها من لدن المدرسة الأبوقراطية، وأما الجبر فمن اختراعاتهم، وهذه الكلمة هي برهان كاف، لأنها تحمل إسم العربي الشهير جابر الذي كان يعلم هذا الفن في القرن VIII من تاريخنا، وأخيل، كان على مسيحي الغرب أن يتعلموا عند المسلمين»[1].

وتقول الأستاذة الكبيرة «زيجريد هونكه» إن المسلمين «أبدعوا في علوم البصريات والفيزياء والكيمياء القائمة على التجربة، وعلم حساب المثلثات، وعلم الاجتماع وفضلا عما لا يحصى عده من المكتشفات والمبتكرات الثمينة في مجال العلوم التجريبية، فإن أثمن هدية قدمها المسلمون للغرب هي منهجهم في البحث العلمي» وفي كتابها «الله ليس كذلك» قالت: «لقد قدم العرب مع نتائج بحوثهم الفنية وبطرق بحوثهم العلمية البواعث التي أشعلت الشرارة الأولى لإطلاق البحث العلمي الذي كان منذ القرن التاسع عشر مشلولاً يكاد يموت خنقاً»[2].

ومع أن «هيجل» زعم أن تجريدية - هكذا ! - الإسلام سلبية وهو ما يناقض حقيقة الإسلام الذي حرَّك العالم للأمام ودفع الإنسان للعلم وأطلق طاقاته العقلية والنفسية والاجتماعية لاستقراء السنن الكونية والاجتماعية، مع أن هيجل قال سلبية الإسلام تزييفا لمفاهيم الاسلام إلا أنه ككثير من أمثاله قال «توصل الغرب

(١) المرجع السابق، كتاب «عربي ...» ص١٧٦.

(٢) كتاب (الله ليس كذلك) - د.زيجريد هونكة ص ٨٢.

إلى العلوم والمعرفة، خصوصاً منها الفلسفة عن طريق العرب»[1] .

إن ما توصلوا إليه من العلوم التجريبية والعقلية كان بفضل أوامر الإسلام وتحريضه - إن صح التعبير - للمسلمين على دراسة الماضي والحاضر، ودراسة الأرض والسماء . . من هذه الدفعة العلمية القرآنية علمّوا وأفادوا الإنسان كله.

ويقول «جوستاف لوبون» «إن العرب هم الذين علّموا العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين». إن الإسلام هو الذي حرر عقولهم في الحقيقة لكنه لم يحررهم من الدين فكيف يحررهم ممن يحررهم؟! وكيف يفك قيودهم ممن حَطم قيودهم؟! إن الله عز وجل هو الذي حرر البشرية من أوثانها المادية والكتابية. وأعطاها قيماً جديدة وروحاً جديداً، ونظراً جديداً، وفي الحقيقة أعطى البشرية روحها التي اغتربت عنها وأعتقها من استلاب خطير وقعت فيه في ظل الطغيان المادي والروحي والفكري للحضارات القائمة على تحقير الانسان وإخضاعه للوثن والصنم وظواهر الطبيعة والمتألهين من البشر.

و يقول «بريفولت»: إن العلم يدين للثقافة العربية بأكثر من هذا: إنه مدين لها بوجوده. . .» «إن ما ندعوه بالعلم ظهر في أوروبا نتيجة لروح جديدة في البحث ولطرق جديدة في الاستقصاء، طرق التجربة والملاحظة والقياس، ولتطور الرياضيات في صورة لم يعرفها اليونان. وهذه الروح، وتلك المناهج إنما أدخلها العرب إلى العالم الأوربي»[2] .

أما روجربيكون الذي يُعتَبر رائداً من رواد العلم التجريبي في الغرب فإنه كما يقول الأستاذ «بريفولت» في كتابه «بناء الإنسانية»: لم يكن في الحقيقة إلا واحداً

---

(١) هيجل: دروس حول فلسفة التاريخ ، ١٧٩٧ (نشر سنة ١٨٣٧) نقلا عن كتاب عربي هل مكث عربي ص١٧٧ .

(٢) الدين في عصر العلم للدكتور يوسف القرضاوي ص٢٥، ٢٦.

من رُسُلُ العلم والمنهج الإسلامي إلى أوربا المسيحية وقد درس العالم العربي دراسة عميقة وهو لم يكف عن القول لمعاصريه بأن معرفة العرب وعلمهم هما الطريق الوحيد للمعرفة الحقة! [1] .

وكانت الكتب التي سطرها المسلمون ذات أثر بالغ على «بيكون» وغيره من الذين أصبحوا بعد ذلك رواداً في العلم الغربي وكان أساتذتهم كما قال غوستاف لوبون هم العرب لعدة قرون يقول «ولم يقتصر شأن العرب على ترقية العلوم بما اكتشفوه، فالعرب قد نشروها كذلك بما أقاموا من الجامعات وما ألفوا من الكتب، فكان لهم الأثر البالغ في أوربا من هذه الناحية...» [2] .

فقد حقق المسلمون المجد الدنيوي الذي يكمن في دراسة العلوم وابتكارها كما عبر عن ذلك «بيير بايل» فكان التقدم الخارق خلال قرون عديدة وكانت براعة المسلمين في العلوم هائلة حتى وضعوا أساس علم الكيمياء كما قال «رينيه ميلين» وقد أبدوا نشاطاً واجتهاداً عجيبين كما أشار إلى ذلك الدكتور «فرنتورونثال» [3] .

إن الأمر الذي أريد أن ألفت انتباه القاريء إليه هنا هو شيء بالغ الأهمية ،ذلك أن العلم التجريبي الذي أقامه المسلمون في حواضرهم واستقاه طلبة العلم الغربيون الذين أصبحوا فيما بعد رواد الحركة العلمية الغربية التي آتت ثمارها ومازالت إلى يومنا هذا، هذا العلم هو نتاج الدعوة الإلهية للإنسان في التفكر في الأنفس والآفاق وذلك بعد أن أزاحت العوائق الوثنية التي كانت تحول بين الانسان وبين حقائق الوجود وآفاق الكون.

إن الخلاصة هي أن الله هو الذي علّم الإنسان .. العربي .. ثم الغربي وهو الذي وضع قواعد المنهاج التي استخدمه العربي .. ثم الغربي!

---

(١) المرجع السابق ص٢٥,٢٦.

(٢) حضارة الغرب ص٤٢٣-٤٣٧ ، الطبعة الأولى، نقلا عن الدين ف عصر العلم ص٢١.

(٣) انظر الدين في عصر العلم ص١٧.

فلم إذن إنكار الله ونفي عبادته وتحقير وحيه وتدمير ثوابت دينه ومسخ تاريخ الحقائق القرآنية التي لم يأت إلى اليوم - ولن يأت - ما يعارضها بحق! من هنا أيضاً يتأكد أن الإنحراف الذي لحق بالفكر الغربي عن طريق «فلسفات التجزئة» «ونظريات التفرقة» إنما هو نتيجة روح قديمة، وثنية إغريقية ويونانية ورومانية، إستعيض بها عن الروح الإسلامية الأصيلة التي أحيتها النصوص القرآنية كما أحيت فاعليتها في الكون وأحيت روح العلم والتمحيص والتجريب والتجميع والترتيب والاختراع والابتكار والإبداع فيه.

وكما حرر الإسلام روح الإنسان وعقله في عالم السنن الكونية والآيات العلمية كذلك فقد حرر الإسلام الإنسان من الأساطير والكهانات والسحر والخرافات. وحمل حملة قوية على الحضارات الوثنية ورموزها وأساطيرها وتلفيقاتها الدينية والتاريخية. كما تناول انحرافات اليهود والنصارى تناولاً يُرجع للدين صفائه ولحقائقه صورها الأولى التي كانت عليها، وللأصول العقائدية نقاءها الأصلي. فأخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد فتحرر البشر من البشر وانعتقوا من مناهج طائشة ونظرات خائبة!

نقد معالم العلوم الاجتماعية والإنسانية والتاريخية الغربية:

قدمنا أن المسلمين قدموا للعالم مناهج علمية وعقلية وتجريبية راقية، أفادت منها الحضارة الغربية في ارتقاء حياتها العلمية والدنيوية، بيد أن علوماً جديدة ظهرت في الغرب، وهي علوم الإنسان والاجتماع والنفس وغير ذلك من العلوم الإنسانية والاجتماعية، وفيها خلل عظيم وقصور شديد وتضارب عجيب! ولا شك أن الغربيين أيضاً استفادوا من علوم المسلمين(*) الفكرية والعقلية ما دفعهم إلى مناوشة الكنيسة وكهنوتها المستبد، فنقدوا عقائدها وأساطيرها وأفكارها وسلطانها ومميزاتها!

(*) يقول بريفولت في كتابه بناء الانسانية «ولم يكن العلم وحده هو الذي أعاد إلى أوروبا الحياة، بل إن مؤثرات أخرى كثيرة من مؤثرات الحضارة الإسلامية بعثت باكورة أشعتها إلى الحياة الأوروبية»

بيد أن العلماء والمفكرين الغربيين ونتيجة لـغضبهم الشديد على سلطان الكنيسة وعلى حال المجتمعات التي ترزح تحت نير العبودية الكنسية والجهل المطبق ، هؤلاء العلماء لم يستطيعوا التفرقة بين الدين الحقيقي وبين تعاليم الكنيسة، بين الحقيقة والخرافة! وأثناء هذا الصراع الشديد تولدت المذاهب القاصرة في نظرتها إلى الإنسان الذي أرادت تحريره، وفي نظرتها إلى المجتمع التي أرادت إسعاده وإخراجه من عبودية الجهل الكنسي الذي كان مسيطراً على كل أنحاء أوربا، وفي نظرتها إلى الدين الذي أراد البعض تخليصه من رق الكنيسه فقتل دعائمه الأصيلة فيما هو يقوم بنزع صوره الشائهة التي صنعتها الكنيسة وروج لها الكهنة. وأراد البعض الآخر دفنه جميعا، أساطير الجهل الذي أدمجت فيه وحقائقه معاً.

فنشأت نتيجة لذلك مذاهب جزئية ضعيفة في تناول ظواهر الحياة وحقائق الدين والتاريخ وهو ما يختلف كلياً عن المناهج التي رأوا المسلمون يدرسونها في حواضرهم والتي تؤمن بالوحي فيما هي تقتل الأسطورة وتؤمن بالنبوة بينما تحطم التخرص والافتراء، وتضع ميزانا دقيقاً عدلاً شاملاً كلياً في تناول ظواهر الحياة وطبيعة الدين وسنن الكون والحياة والمجتمع .

إن ما يجب أن نعترف به هو أن بعض الفلسفات التي تعرّف عليها العرب في انفتاحهم على العالم كادت أن تحبس العقل المتحرر حديثا في قمقم السفسطة، وشلّ حركته العقلية إلى الأمام! ولقد تأثر بعض العلماء والمفكرين المسلمين بهذه الفلسفات التي كبّلت انطلاقتهم الحضارية القائمة على المنهاج الرباني الأصيل. لكن ذلك لم يكن الأصل أو الوضع السائد، وإنما كان أمراً شاذاً خصوصاً في مراحل علّو الإسلام وتمكن أهله من العلوم والمقاصد والقواعد الشاملة والعامة الهامة، وإن كان في مراحل ضمور الحضارة تمكنت العلل الفكرية والفلسفية من الأمة! أما العلماء الغربيون فقد اتخذوا الفكر الفلسفي بديلا عن الدين، وكان أمراً

شائعاً أن يقبل الأذكياء على دراسة الفلسفة ووضع النظريات المختلفة. ولقد قال «لينين» وهو أحد رواد المدرسة الفلسفية الماركسية «فطالما أن الناس لايعرفون كيف يشرعون في دراسة الحقائق، فإنهم يخترعون عادة نظريات عامة مسبقة، وعادة ما تكون هذه النظريات عقيمة»[١]!!

إن مما دعا الفلاسفة لمواجهة الكنيسة بعنف كان ظهور الإنتاج العلمي المتنامي المستقل عن الكنيسة والبعيد عن سلطانها والمناوىء بل والمعادي لها في آن واحد! مما أدى إلى غرور كثير من الفلاسفة بعقولهم الفلسفية، وظنهم أن هذه النتائج العلمية لابد أن تكون على النقيض مما يعرضه الدين! في حين أن الدين نفسه يرفض خرافات الكنيسة والفلسفة معاً!!!

وبذلك بدأ ظهور استقلال الإنسان بعقله المحدود عن كل ما له علاقة بالدين والغيب .. ثم بدأت النظريات تخرج على العالم وأحياناً كثيرة وهي متدثرة بالبحث العلمي التجريبي!!!

دارون وقراءة دقيقة:

فمقابل العقائد المسيحية المنحرفة كتأليه المسيح ووراثة الخطيئة، والصحيحة منها كعقيدة خلق الإنسان ونبوة الأنبياء، مقابل ذلك وقف الفلاسفة يجعلون الكل أساطير. ذلك قبل أن يظهر دارون (١٨٠٩-١٨٨٢م) بنظريته المتدثرة بالبحث العلمي على العالم والتي تقول بحيوانية الإنسان[*] - مقابل تأليه الإنسان (أي

---

(١) Lenin, collected work p. 144 نقلا عن مقالة أحمد القصيري في مجلة الآداب، إبريل ١٩٧٢ باسم «المنهج الجدلي في علم الإجتماع (العدد الرابع).

(*) يقول جوليان هكسلي وهو من رجال الداروينية الحديثة، في كتابه «الإنسان في العالم الحديث» في فصل بعنوان «تفرد الإنسان»، أنه (بظهور نظرية دارون بدأ الخطار يتأرجح عكسياً، واعتبر الإنسان حيواناً مرة أخرى، ولكن على ضوء العلم لا على الإحساس الساذج... فالإنسان (أي في رأي دارون) حيوان كغيره».

ويقول العالم الإنجليزي المعروف كرافتون أليوت سمث (١٨٧١-١٩٣٧) أن «الإنسان كان قرداً من فصيلة «الأورانج» نقلا عن دارون ونظرية التطور ص١٢٩.

stephen. jay gould smith woordwards folly , New Scientist (5 april 1979) p.44

المسيح!) والتي تنفي عقيدة خلق الإنسان خلقاً خاصاً بعيداً عن الانحدار من النسل الحيواني الذي أراد دارون أن يغمس الإنسان في وحله!

لقد تأثر «دارون» ولا شك في النشاط البحثي والعلمي بمنهج التجريب الذي تأثر به مَنْ قبله من الغربيين وقالوا بحقائق علمية مهمة من أمثال جاليليو وكوبرنيكوس وغيرهما.

لكن لا شك أن الفلسفة المنحرفة التي بدأ يزداد وقعها على الواقع الغربي لوّنت اتجاه دارون العلمي بلون الفكر المسبق الذي يتعارض مع الاتجاه العلمي السليم والنظرة الكلية الشاملة لحقائق الإنسان والمجتمع والغيب! فالمؤثرات على دارون كانت ضخمة، وعلى أقل تقدير كانت الفلسفة المعادية للدين قد بدأت بتأثيراتها المختلفة على الاتجاه العام السائد للعلوم المختلفة قبل دارون وأثناء حياته!

فأثناء حياته كان الهيجلين الشبان يقومون بهدم كل أساسات الدين مثل «إشتراوس» (١٨٠٨-١٨٧٤) [١] و«فيورباخ» (١٨٠٤-١٨٧٢) [٢] و«برونو باور» (١٨٠٩-١٨٨٢) [٣] و«ماكس شترنر» (١٨٠٦-١٨٥٦) [٤] وأستاذهم هيجل (١٧٧٠-١٨٣١)[٥] توفي ولم يناهز دارون الثانية والعشرين عاما! أما قبل دارون فظهر كثيرون كان لهم تأثير كبير على الاتجاه العام للعلوم فقبل دارون ظهر «فولتير» وهو ممثل فلسفة التنوير في فرنسا وهو يرفض العناية الإلهية.

---

(١) ولد اشتراوس قبل دارون بسنة وتوفي بعده بثمان سنوات وسيأتي الكلام عنه بعد صفحات وهو فيلسوف ألماني و«كيركيجارد» (١٨١٣-١٨٥٥).

(٢) فيورباخ ولد قبل دارون بخمس سنوات ومات قبله بعشر سنوات وهو فيلسوف ألماني وسيأتي الكلام عنه.

(٣) باور فيلسوف ألماني وتاريخ ميلاده وموته هو تاريخ ميلاد دارون وتاريخ موته!.

(٤) ولد شترز قبل دارون بثلاث سنوات وتوفي قبله بأكثر من ثلاثة عقودا وهو ألماني!

(٥) توفي هيجل ودارون لم يتجاوز الثانية والعشرين عاماً وهو فيلسوف ألماني وسيأتي الكلام عنه وهو وإن لم ينقد الدين على طريقة اليسار اللاحق على فلسفته إلا أنه أضاف على الأساطير أساطير وسيأتي بيان ذلك.

وظهر قبل دارون «نايجون» (١٧٣٨-١٨٨٠) وقال بأن كل الأديان مزيفة [١]

وظهر قبل دارون «هولباخ» (١٧٢٣-١٧٨٩) هاجم الدين وقال إنه ينشأ من جهل البعض وخوف البعض الآخر وخداع فريق ثالث [٢]

وظهر قبل دارون «مارشال» (١٧٥٠-١٨٠٣) ممثل الجناح الديمقراطي في المادية الفلسفية الإلحادية [٣] كما قال د. حسن حنفي وقال بأن الله والطبيعة شيء واحد على ما قال اسبيتوزا من قبل، وبدافع الخوف اخترع الإنسان الله وأعطاه صفات الطبيعة على ما سيقول فيورباخ فيما بعد في الاغتراب الديني [٤]

وظهر قبل دارون «فيكو» (١٦٦٨-١٧٤٤) الذي اعتبر الدين كله أساطير [٥]

وظهر قبل دارون «شليرماخر» (١٧٦٨-١٨٣٤) الذي اعتبر الدين والأخلاق نابعان من التراث [٦]

وظهر قبل دارون «دي شامب» (١٧١٦-١٧٧٤) راهب رأى أن الإلحاد ميزة الخاصة المستنيرة [٧]

---

(٦) وعادى الكنيسة الكاثوليكية، وهو صديق ديدرو وساعده في نشر «دائرة المعارف»

(٢) هولباخ فيلسوف مادي فرنسي.

(٣) انضم مارشال إلى حركة بابيف وأصبح شيوعيا طوباوياً وألف في ذلك كتابه «بيان المتساوين» ١٧٩٤، انظر مقدمة في علم الاستغراب ص٢٣٠.

(٤) مقدمة في علم الاستغراب ص٢٣٠

(٥) فيكو أستاذ القانون والفلسفة وأستاذ البلاغة اللاتينية في جامعة نابولي بإيطاليا وقال بأن المستقبل للإنسانية ذاتها أو الإنسان ذاته بعيداً عن الدين!.

(٦) شليرماخر ، فيلسوف ألماني، نقد العهد القديم ورواياته، توفى ودارون في الخامسة والعشرين من عمره.

(٧) دي شامب ادعى أن الله فكرة صنعها الإنسان، انظر مقدمة في علم الاستغراب ص٢٢٠ ويضع المسيحية في إطار تاريخ الأديان المقارن وينزع عنها قدسيتها ويؤسس بعد «إسبينوزا» النقد التاريخي للكتب المقدسة. يقول حسن حنفي عنه بأنه ليس ملحداً ولكنه ضد العقائد المسيحية، ضد الكهنوت الكنسي. الله لديه محرك أول، مهندس أبدي ولكن لا تأليه للأشخاص، بونا أو المسيح، طغيان الملك وامتيازات النبلاء» مقدمه في علم الاستغراب ص٢٢٧.

وظهر قبل دارون «إسبينوزا »(١٦٣٢-١٦٧٧) فيلسوف عقلي - يهودي قام بنفس المهمة!

وظهر قبل دارون «ميكافيلي» (١٤٦٩-١٥٢٧) مفكر إيطالي معروفة فلسفته!!

وظهر قبل دارون (ديكارت) فيلسوف الشك الديكارتي، .

هؤلاء ولا شك وغيرهم غيرهم كثير شكلوا مناخا اخطبوطيا ترك آثاره على طرق البحث والتحليل المتعلقة بأصل الإنسان وطبيعته ومفهوم التاريخ ومضمونه وعلوم الاجتماع وعلوم النفس والتي انحرفت في كثير من أفكارها عن الحقائق الأصلية للكون والحياة والإنسان والمجتمع، انحرفت عن حقيقة الحياة وخصائص الإنسان وقوانين الاجتماع الكلية!

وفي مجال علم الطبيعة ظهر قبل «دارون» «بوفون» (١٧٠٧-١٧٨٨)[١]

كما ظهرت محاولات العالم الفرنسي «لامارك» في تطوير نظرية في التطور قبل دارون بنحو خمسين عاماً [٢] ولاشك أن دارون كان على علم بهذه الأفكار خصوصاً وأن «جد» دارون، وهو «ارازموس دارون) (١٧٣٨-١٨٠٢) (توفي قبل ولادة دارون بسبع سنوات) كان له أفكار في مسألة التطور[٣] ولاشك أن هؤلاء الثلاثة تأثروا بالفلسفة التي عمت أنحاء أوربا ونقدت الدنيا مع نقدها للأساطير

---

(١) بوفون هو احد كتاب موسوعة المعارف الفرنسية نشر عام ١٧٤٩ تاريخه الطبيعي الشهير، قال بالتطور إلا أنه جعله إلهيا، إلا أنه نفى أن يكون خلق الإنسان بلا تطور أو انبثاق - إذا صح التعبير - من مخلوقات أخرى. وقال عن الطبيعة إنها «نظام القوانين التي أقامها الخالق من أجل بقاء الأشياء وتتابع الكائنات، أنها حية، وهي عمل أبدي» ص١١٦ تكوين العقل الحديث جـ٢ نقلا عن الإسلام والاتجاهات المعاصرة ص٢٥.

(٢) قال «لامارك» بقانون الانتخاب الطبيعي والصراع على البقاء لكنه افترض قوة موجهة هادية مستقرة في أعماق كل كائن تتحكم في تطوره وتسبب ظهور الصفة الجديدة، أو العضو الجديد عند حاجة الكائن إليه» انظر الإسلام والاتجاهات المعاصرة ص٢٥.

(٣) كان جد دارون يعتقد أن ظروف البيئة والطبيعة تطور وتغير معالم الأشكال الحيوانية.

المسيحية وعقائدها المختلفة ولاشك أنهم جميعاً استفادوا من مناهج النقد العقلي عند المسلمين أيضاً ولاشك أنهم أطلعوا على ردود المفكرين المسلمين على العقائد والأساطير المسيحية الدخيلة على عقيدة المسيح أو على أقل تقدير اطلع أساتذتهم على ذلك!!

بيد أنهم لم يقفوا حيث يقف الفكر الاسلامي النقدي من العقائد المنحرفة والأساطير الراسخة، بل راحوا يهدمون كل شيء، وينقدون الحق والباطل حتى صار هذا النقد ديدن كثير من الفلاسفة الذين ولاشك قرأ دارون لبعضهم على الأقل قبل وأثناء القيام بالبحث العلمي الذي انتهى إلى القول بحيوانية الإنسان وبأنه بعد تطوره عن الحيوان كان إنساناً بدائيا لايعرف الكلام ولا يعقل البيان![*]

حتى قال علماء الأناسة أن البشر في بداية حياتهم على الأرض - وتطورهم من الحيوان! - تواصل بعضهم مع بعض عن طريقة التلويحات والإشارات أي بوسائل غير لفظية!! [1].

وحتى لو تجاوزنا ذلك كله وبرّأنا دارون من المؤثرات البيئية والظروف الاجتماعية والإفرازات الفكرية النقدية، فإننا لايمكن أن نتجاوز قوله نفسه عن ظروف تبلور فكرته عن التطور والإنسان!

يقول «في أكتوبر عام ١٨٣٨ تصادف أن قرأت على سبيل التسلية كتاب مالثوس في السكان، وكما كانت ملاحظتي الطويلة المستمرة لعادات الحيوانات

(*) لقد وقع كثير من العلمانيين العرب في شباك هذه النظريات التطورية التي قسمت مراحل وجود الإنسان إلى مراحل ما أنزل الله بها من سلطان، وقد حاول بعض العلماء المسلمين الوصول إلى حل وسط بين نظرية دارون وعقيدة خلق الإنسان فقال بأنه قبل الانسان كان البشر وأنهم كانوا أقل رتبة من الانسان وهكذا.. وهي محاولة تلفيقية تدل على مدى تأثير النظريات الغربية في الفكر الاسلامي الذي يجب تنقيته من هذه الآثار التدميرية.

(١) انظر كتاب تصف العقول ص٣٣ تأليف فيليب تايلور وهو من هؤلاء المنحرفة!

والنباتات قد هيأت ذهني لتقدير أهمية الصراع من أجل الوجود، وهو الصراع الذي يدور في كل مكان، فقد تبادر إلى ذهني على الفور، أن من الممكن في ظل هذه الظروف، أن تحفظ التغيرات المواتية ويقضى على التغيرات غير المواتية، فتكون نتيجة ذلك تكونت نوع جديد. وهنا أصبحت لدي نظرية أستطيع أن أبدأ العمل بها»[(١)]

وواضح من كلماته السابقة أن الفكرة كانت جاهزة ، تهيأت في ذهنه قبل أن يبدأ العمل بها «وهنا أصبحت لدي نظرية أستطيع أن أبدأ العمل بها»! فتكوينه للفكرة تم قبل القيام بأي بحث!، أي أن (الفكرة الجاهزة) كانت سابقة على (البحث العلمي)! ، ثم بعد (البحث) لم يتغير شيء!! وهكذا لم يختلف تفكير داروِن الذي تأثر بكل الإرث الفلسفي السابق والمعاصر له، بعد البحث عن ما قبل البحث والقول بالإنسان/ الحيوان والمقابل للإله/ المسيح كان نتاجاً فلسفياً وردة فعل أكثر منه نتاجاً معملياً أو خلاصة علم!

لقد استفاد داروِن ولاشك من منهج الفحص التجريبي الذي استفاد منه الغرب عموماً وهو المنهج العلمي العقلي الذي أسسه المسلمون وأبدعه الربانيون! بيد أن داروِن اتخذ كغيره من الفلاسفة الفكر الأوربي القديم المتمثل في الفكر اليوناني والروماني قاعدة بديلة عن الإسلام الذي كان قد أمدهم بوسائل علمية وعقلية عظيمة!

ولو نظرت إلى بعض أقوال داروِن لوجدتها أولاً سخيفة تخالف العقل والمنطق، وتناقض المنهج التجريبي أو الاستدلالي الواضح وتقترب في أسطوريتها من الفكر اليوناني العقلي الوثني.

---

(١) اقتبس هذا النص «دامبير» نقلا عن الفلسفة أنواعها ومشكلاتها لهترميد ص١٠٩ ترجمة الدكتور العلماني فؤاد زكريا!

ففي رسالته الجوابية إلى طالب ألماني سنة ١٨٧٩م ، يقول في تناقض منطقي عجيب «نستطيع القول إن مفصل الباب مصنوع من قبل الإنسان، ولكننا لا نستطيع الإدعاء بأن المفصل المدهش الموجود في صدفة المحار هو من صنع كائن عاقل»(١) .

فكان دارون مجرد ظل للفكر الفلسفي السائد في عصره والسابق عليه وهو فكر مؤمن بالشيء إذا كان حقيراً ويرفضه إذا كان عظيماً دقيقاً مدهشاً وما أحسن قول الشيخ الكريم محمد الغزالي « إن الأعمى لا يبصر مادام مصمماً على إغلاق أجفانه »(٢) .

وينعكس الظل نفسه على أحد المدافعين عن دارون حينما تنظر إليه يقول: «إن قيل لك وأنت تتفحص طائرة حديثة مجهزة بأحدث الآلات الالكترونية ، إن هذه الطائرة تكونت من خروج الألمنيوم والحديد والبنزين من تحت الأرض من نفسها، واجتماعها مع بعضها البعض بنفسها، لما صدقت ذلك، بينما ظهرت الأحياء التي تعتبر أجسادها مكائن معقدة أكثر من تلك الطائرة، نتيجة مثل تلك العملية والفرق الوحيد هنا أن المواد المستعملة هي الكربون والنتروجين والماء» (٣) .

«وماذا تنتظر ممن يجحدون الآلهه يحسبون الأفلاك تدور وحدها في السماء أو أن الدماء تنطلق وحدها في العروق؟»(٤)

هذا هو المنهج العلمي القاصر والذي يناقض المبادىء العقلية والقواعد

---

(١) Francis Darwin (Ed.), the Autobiography of Charles Darwin and selected letters, p. 63
نقلا عن كتاب دارون ... أو نظرية دارون ص٢٠، ٣٠

(٢) نحو تفسير موضوعي ص٩٦

(٣) Nigel Caldel, The Life Game p. 172-173 نقلا عن المرجع السابق ص١١٨، ١٢٢ .

(٤) جـ٣ ص٢٢٢ نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم .

البديهي». أما ما فعله العلماء الذي صدقوا واتبعوه فهو أنهم سارعوا إلى الترحيب بنظريته والدفاع عنها. يقول أحد العلماء الذين يؤيدونه في مجمل نظريته وهو هنترميد إنه «فور ظهور هذا الكتاب(*) اقتنع عدد كبير من العلماء بأدلة دارون، ولم تمض سنوات قلائل إلا وكان فرض التطور قد حظى بقبول أغلبية الأذهان العلمية»(١).

وهلّل الفلاسفة لنتائج النظرية ودافع عنها هربرت سبنسر وتوماس هكسلي. يقول هنترميد «وكان الأخير - يقصد هكسلي - بوجه خاص مجادلاً رائعاً أسمى نفسه «كلب حراسة دارون»(!) فقد تحمل بشجاعة رائعة ومقدرة ووضوح في العرض، العبء الأكبر للهجوم الموجه من جميع الجهات على كتاب دارون وقاد مراراً وتكراراً هجمات مضادة ناجحة على خصومة المتهورين»(٢).

وهكذا كما يقول الفيلسوف هيوم - وله انحرافاته الفلسفية الخطيرة أيضاً - «يسارع الفلاسفة إلى الترحيب بأي شيء تبدو عليه سيماء الغرابة، ويخالف أول أفكار البشر وأكثرها تلقائية، ويعدونه علامة من علامات سمو علمهم الذي كشف آراء بعدت إلى هذا الحد عن وجهة النظر الشائعة، ومن جهة أخرى، فإن أي شيء يُقترح علينا ويُسبب دهشة وإعجاباً، يرضى الذهن إلى حد يجعله يستسلم لهذه الانفعالات السارة حتى لا يعود لديه مجال للاقتناع بأن لذته قد لايكون لها أي أساس. ومن هذه الاستعدادات لدى الفلاسفة ولدي تلاميذهم ينشأ ذلك التفاهم المتبادل بين الطرفين: إذ يأتي الأولون بمجموعة ضخمة من الآراء الغريبة التي لا يقدم لها تعليل، ويصدقهم الآخرون على التو» (٣).

(*) يقصد كتاب أصل الأنواع لدارون.

(٤) الفلسفة أنواعها ومشكلاتها ص١٠٩.   (١) المرجع السابق ص١٠٩.

(٢) (Hume: A Treatise of Human Nature;BookI Part II section I.) نقلاً عن نظرية المعرنة لفؤاد زكريا ص٧.

ومع أن نظرية دارون مليئـة بالثغرات الخطيـرة إلا أنهم لظروف الصراع العنيف مع الكنيسة والإيمان بضـرورة القضاء على هذا العدو، فقـد آمنوا بها على التو!، وتبعهم بعد ذلك بفترة كثير من العلمانيين العرب.

يقول هنترميد «يعترف القائل بنظرية التطور بوجود ثغرات حقيقية بالفعل، ولكنه يشير إلى أن استمرار التقدم العلمي يؤدي إلى سد هذه الثغرات بالتدريج» - قلت: إنه إيمان أعمى إذن! - وعلى أية حال (!) ، **فمن المؤكد أنها أقل إتساعاً مما كانت من قبل وهو أيضا يعترف بالجهل فيما يتعلق بأصل الحياة. ولكنه يذهب إلى أن الاعتراف النزيه بالجهل أفضل إلى حد لامتناه من التعليل الخيالي الساذج (!) - ولا نقول الخرافي - الذي يفترض كثير من القائلين بنظرية الخلق لأصول الأشياء»**[1]

ويحاول إسماعيل مظهر - وهو أحد المؤمنين بنظرية دارون - أن يبرر افتقاد نظرية دارون للأدلة ذلك لأن آثار تلك العصور القديمة ذهبت مع الريح!

يقول «وخليق بنا ألا نغفل عن أن الاضطرابات الأرضية والزلازل وطغيان الماء والأعاصير الطبيعية التي كانت تنتاب الأرض حينا بعد حين وتحول الأرض من يابس إلى بحر، ومن بحر إلى يابسه، **كانت من أبلغ تلك المؤثرات التي ذهبت ببقايا تلك العصور، فالصور التي غمرها البحر وقذف بها في طياته لايمكن معرفتها...»** [2]

وبدل أن يأتي هو بالأدلة التي تفتقدها نظرية سيده دارون ذهب يقول لنا إنه ليس في باطن الصخور أي صور محفوظة تثبت عقيدة خلق الإنسان بلا تطور![3]

---

(١) الفلسفة أنواعها ومشكلاتها ص١١٧.

(٢) ملقى السبيل «اسماعيل مظهر ص٢٨١ ويقول في موضع آخر ص٢٥٧ «لقد أثبت دارون بالدليل والمشاهدة أن الحلقات الوسطى كانت موجودة خلال زمن ما من الأزمان، وأن كيف أن بقاءها في الطبيعة متعذر (!) وأن العثور عليها أشد تعذراً»!! ولقد تراجع اسماعيل مظهر في نهاية حياته عن هذه النظرية!

(٣) انظر المرجع السابق.

وهكذا فالفكرة مسبقة، والفلسفة مبيته، والنظرية قديمة، والأدلة مفتقره، والبراهين متعذرة، ومع ذلك صارت قاعدة لنظريات في الاجتماع والسياسة والفلسفة. ووجدت لها استخدامات ملحة في ظروف الصراع المشهورة ، فظهرت داخل علوم الاجتماع والاقتصاد والسياسة والنفس، الماركسية الداروينية وعلم النفس الدارويني وعلم الاجتماع الدارويني والاشتراكية الدارونية وهكذا. . .

كما ظهرت نظريات عنصرية اعتمدت على نظرية التطور لدارون، وكذلك استخدمها أنصار المعنى المطلق للحرية.

يقول د. فؤاد زكريا - وهو علماني يرفض الوحي ويؤمن ببعض النظريات الغربية - إن الفيلسوف «روسو» بنى على نظرية التطور فكرة التحرر من الالتزامات ويقول أيضا «وجد أنصار المعنى المطلق للحرية في نظرية التطور - التي جاءت في وقتها المناسب - دعامة لآراءهم، بل إنهم حوروها وفسروها على نحو يلائم دعوتهم أشد الملائمة»(١)

وقد ظهر نتاجاً لها أيضاً الفيلسوف «فريدرش هايك» وهو الذي دافع عن مبدأ «دع الأمور تسير في مجراها Laissez Faire في كتابه «الطريق إلى العبور».

كما يوضح لنا د. حسن حنفي - وهو مثل د. فؤاد زكريا:- ماذا فعلته هذه النظرية وأدت إليه من نتائج عنصرية خطيرة، فقد حاول جوبينور النبيل الفرنسي أن ينسب كل فضل في تطور الحضارة إلى الجنس الآري كذلك فعل (هوستون تشيمبر لين) عند الألمان، وكبلنج عند الإنجليز، يقول حنفي: «وقد انتهت نظرية التطور العضوية إلى بعض النتائج في النظرة للإنسان والمجتمع كما بدا ذلك في النظرية العضوية عند جوبينو التي تقوم على تفوق الجنس الشمالي على الأجناس الجنوبية والشرقية. فالعنصر الأبيض هو الذي يحتكر الجمال والذكاء والقوة،

(١) الانسان والحضارة لفؤاد زكريا ص١١٤

وبإتصاله بباقي الشعوب انتقلت إليها صفة واحدة من الصفات الثلاثة.. وقد كانت هذه النظرية العنصرية أحد مكونات النظرية الاستعمارية للاستعمار الأوروبي، سيطرة الجنس الأبيض على الأجناس السوداء والصفراء والسمراء في افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية [١]

وهكذا فإن الأمر لم يقف عند حدود تصورات «دارون» لأصل الإنسان ولصورة مجتمعه الأول - وهي صور كاذبة - بل ظهرت نظريات وفلسفات وتحليلات تأخذ من أفكار دارون لتقيم بناءاتها المدمرة للإنسان والمحطمة لقيمه ودينه والمحرفة لمفاهيم عمرانه البشري وعلاقته بذاته وبالكون من حوله، حتى إن بعض النظريات كما قلنا أقامت بناءها العلمي على نظرية دارون ثم تصارعت وتناطحت وهشمت بعضها بعضا!!! - أخذت منها وردت ولم تنتهي إلى نظرة شاملة عن الإنسان وعن غاية وجوده وعن معرفته بنفسه، عبر عن ذلك الفيلسوف «نيتشه»[*] الذي عاصر فرويد «١٨٤٤ ـ ١٩٠٠» الذي كان قد وضع مقولته الخطرة «إن الله قد مات» قال «إن كلاً منا - بالنسبة لنفسه - أبعد ما يكون عن نفسه»[**] [٢] وهل يكون الإنسان بدون الله شيئا؟ إن هذه الفلسفات التي أثّرت على فرويد وسعت الهوة بين الإنسان وبين ذاته حتى فقدها في الاصطراع الذي عم الفكر الفلسفي الغربي وغطى مفاهيمه كلها.

---

(١) مقدمه في علم الاستغراب ص٢٨٢ . وكما فعل الفرنسي «جوبينو» فعل «هوستون تشيمبرلين» عند الالمان وكلبنج عند الإنجليز ، غير أن تأثيرها الاكبر كما هو معروف ، قد وقع على الألمان ، فكان أبرز مظاهر الانحراف في فهم القومية» الإنسان والحضارة لفؤاد زكريا ص١٠٦ ، كما تمثل ذلك في النازية الهتلرية .

(*) نيتشه هو أستاذ فقه اللغات القديمة، اليونانية واللاتينية وآدابها في جامعة باذل، في كتابه العلم المرح قال نيتشه: « إن المسيحية أذلّت الإنسان بعد أن أقامت عقائدها على تصورات منافقة حول العالم» .

(**) يقول فرويد عن «نيتشه» : ـ (نيتشه ذلك الفيلسوف الذي طالما تتفق تخميناته وأحداثه اتفاقاً عجيباً مع كشوف التحليل النفسي الشاقة) ص٨٩ من حياتي والتحليل النفسي .

(٢) F.Nietzsche : Lagenealogi la marale, Marcure de France, PARIS 1948

والنص موجود في مقدمة ثلاث مقالات في تطوير الجنسية لفرويد ص١٢ .

فرويد المؤله:

لقد عاصر «سيجموند فرويد» (١٨٥٦-١٩٣٩) داروِن (١٨٠٩-١٨٨٢م) وأعجب بنظرته إلى الإنسان!،(***) واستفاد من تصوره الشائه عن أصله!) كما استفاد من الإرث الفلسفي السابق عليه والمعاصر له(*) ولا أشك أنه استفاد من الهيجلين الشبان خصوصاً «فيورباخ» (١) واشتراوس بل واستفاد من فلسفة نيتشه(**) أيضا لقد قال فرويد متغطرساً عن نظريته : إن جل ما وجه إلى نظرية التحليل النفسي من اعتراضات «مرجعه إلى أن موضوع النظرية يجرح مشاعر إنسانية قوية. وقد لاقت نظرية داروِن عين المصير، لأنها قوضت الحاجز الذي وضع بغطرسة بين البشر والحيوان (!).. إن النظرة التحليلية النفسية ... كانت ضربة قاسية للحب الإنساني للذات» (٢)

(***) يقول فرويد « غير أن نظريات داروِن التي شاع بها في ذلك الحين اجتذبتني إليها اجتذاباً قوياً لما كانت تبشر به من تقدم فائق في فهم الكون » من كتابه حياتي والتحليل النفسي ص١٣-٢٠ وفي ص١٠٢ منه قال بأنه خطر له من عناصر فكر داروِن عن الأب القبيلة الطاغي باقي نظريته في مثل الأب وظهور الديانة والقيود الأخلاقية.

(*) تأثر فرويد أيضاً بكتاب « و. روبرتسون سميث» «ديانة السامش» كما كشف عن ذلك في كتابه حياتي والتحليل النفسي ص١٠٢ .

(١) انظر «النبي موسى ورسالة التوحيد» لفرويد ص١٤٢ وقارنه بما قدم من كلام فيورباخ .

(**) إن تأثير نيتشه على علم مؤسسي علم النفس التحليلي ورئيسهم فرويد كبير جداً، يظهر في أعمال «يونج» الذي كتب قبل وفاته بأشهر قليلة (توفي بعد فرويد بعقود سنة ١٩٦١) : « إن تقديم تقرير مفصل عن تأثير افكار نيتشه في تطوري العقلي لمهمة طموح تتخطى حدود قدرتي ... لم أستطع أن أتجنب الأثر الذي أحدثه إلهامه الأصيل في نفسي وشدني إليه بقوة ... وعلى الجملة كان نيتشه بالنسبة إليّ هو الإنسان الوحيد الذي قدم لي في ذلك العصر إجابات كافية عن بعض الأسئلة والمشكلات الملحة التي كنت أشعر بها أكثر مما أفكر فيها» انظر مقالة الدكتور غانم هنا أستاذ الفلسفة بجامعة الكويت ص٧-١٧ في مجلة عالم الفكر العدد٤ المجلد ٣٠ أبريل - يونيو ٢٠٠٢ .

(٢) انظر النص في مقدمة الدكتور سامي محمود على لكتاب فرويد « ثلاث مقالات في نظرية الجنسية ص١٢

إن غـرض «فرويد» الحـقيـقي هو تمريغ الإنسـان في «الوحل» إنه يريد أن يردم الهوة بين الإنسان والحيـوان كما فعل دارون، يقول فرويد «لكن الهـوة التي خلقها الإنسـان فـيـمـا بعـد بـين نفـسـه وبين الحـيـوانات لم توجـد بالـنسـبـة للإنسـان البدائي»(١)(***) فنظريتـه - بحسب كـلامه هو - تـقوم على «تقليل اتسـاع هوة الكبرياء (!) التي قامت في الأزمـات السابقة بين الإنسان والحيـوان(!) فإذا كانت مـا يسمى بغـرائز الحـيوانات - التي تـتيح لهـا منذ البـدايات الأولى أن تسلك في ظروفها المعيـشية الجديدة (!) كما لو كانت غرائز قـديمة قد ثبتت منذ أمد طويل - إذا كانت هـذه الحياة الغـريزية للحـيوانات تسـهم إطلاقا بأي تفـسير فـلا يمكن أن يكون هذا التفـسير سوى: أنهـا تحمل في وجودها الجديد تجـربة النوع الذي تنتمي إليه، أي أنها استـبقت في عقولها ذكريات لما عـاناه أسلافها(!) ولايمكن أن تكون الأمور في الحيوان الإنساني مختلفـة في جوهرها عن ذلك. فميراثه القديم، مع أنه مـختلف في المدى والصـفات، يشـبه غـرائز الحيـوانات»(٢) والغرائز الحـيوانية - بحسب فـرويد - هي القوانين الأقـدم لنا والتي يجب أن تحتل مكانهـا التي كانت تحتله في الأزمنة الأولـى قبل ظهور التـحريمات!(٣) وخلاصـة أفكاره عن الإنسـان والدين والحضارة والمجتمع البشري هي أن الإنســان أصله حيواني وغريزته الجنسيه هي مركزه ومـحور طاقته، ويتنازل الإنسان عن ذاته للدين والحـضارة تم قهره وتم منع غرائزه الطبيعية من الإنطلاق الطبـيعي الذي عاشه أجداده الحيوانات! ذلك أن

(١) «النبي موسى» لفرويد ص١٠٤ .

(***) يزعم فرويد وغيره من الباحثين الغربيين وعبيدهم من العرب أن النسـاء كنّ مشاعاً للرجال على غرار الحيوانات !!

(١) المرجع السـابق ص١٢٢ . (٣) المرجع السـابق ص١٣١ .

صور التحريمات وألوان التشريعات الأخلاقية(*) التي يفرضها الدين (**) أو الحضارة على الإنسان إن هي إلا صور للقهر تمنع الإنسان من الإستجابة لغرائزه الطبيعية لاسيما الجنسية!

وعملية الكبت التي يقوم بها الإنسان مراعاة للآخرين، من أجل قيم ومبادىء صنعها الإنسان نفسه - بزعم فرويد طبعا! - مغترباً عن نفسه الحقيقية في صورة دين أو مبادىء حضارية، ما هي إلا (نَبْذ غريزي)(!) وتقييد غير عقلي يجب عليه التغلب عليه وإرجاع نفسه إلى حالته الأولى يوم كانت بلا قيود أخلاقية أو دينية أو حضارية!

فالإنسان وغرائزه أولاً، ولا للتنازل أو التقابل مع الآخرين من أجل بناء الحضارة أو لإعتبارات دينية، فإن ذلك مدمر للإنسان ولخصائصه الحيوانية!! ولصفاته البيولوجيه!، إنها فلسفة قريبة من فلسفات تلاميذ هيجل اليساريين! إن المطلوب عند فرويد إعطاء الجنس أبعاده الكاملة في إطار من انعدام الكبت الديني أو الحضاري ويجب اعتبار «الزنا» شيئاً طبيعياً وليس شيئاً ممقوتاً يعاقب الإنسان عليه!

والحضارة عند فرويد «حرب ضد الجنس» فالإنسان يكبت طبيعته للتسامي الحضاري ولصالح الآخرين ولصالح التراكمات من التحريمات والنواهي الاجتماعية والتحذيرات الدينية، وكلها - عنده - أمور تعسفية صنعها الإنسان نفسه نتيجة

(*) يقول عن الأخلاق في كتاب الذات والذات السفلى أنها كوابت تكبت المنطلق الطبيعي للطاقة الجنسية، ويقول إنها تتسم بطابع القسوة حتى في صورتها العارية ولا عجب فالسيد «يونج» الذي ذكر فرويد في كتابٌ «حياتي والتحليل النفسي» عنه أنه أصبح معارضاً له قال عنه: « لقد قال لي فرويد ينبغي أن نحطم كل العقائد الدينية .. أن نجعل من الجنس عقيدة» انظر «مذاهب ثلاثة» ص١١٢ .

(**) يدعي فرويد أن التشريعات الأخلاقية الدينية لا مبرر لها وأنها لا تنبع من «دافع عقلي» يقول: إذاً ما الذي يجعل ارتكاب الفحشاء بوجه خاص مع الإبنة والأخت جريمة نكراء أكثر جرماً من أي علاقات جنسية أخرى؟» النبي موسى ص١٤٠ إن التفسير الوحيد لذلك عنده هو إرادة الأب الأول المتعنت الذي كان يبيح كل شيء لنفسه ويمنعه حتى عن أبنائه!! انظر ص١٤١ المرجع السابق، وص١٠٣-١٠٥ أيضاً.

ولذلك فالأنا الأعلى في الإنسان - بحسب فرويد - يبدو عقليا ويخدعنا بنظامه الأخلاقي(*) في حين أنه نتاج آثار عتيقة في التاريخ، وهو في أحسن الأحوال محاولات يدعم بها الإنسان أوهامه ويكرس بها تخلفه(١)

بهذه الطريقة من التفكير التي غمس فيها فرويد تحليلاته النفسية، والتي هي نتاج تحليلي لمجموعة من المرضى النفسانيين، عمم فرويد نتائجها على البشرية كلها وذلك بعد أن لطخها بأفكاره المختلة عن الدين والنبوة والإنسان والتاريخ! فخرجت نظريته خليط بين فكر فلسفي مريض، وتحليلات نفسية تقبل الحوار والمناقشة!(**) وفيها الحق والباطل!

عند ظهور نظريته هلل لها فلاسفة كثيرون، وعلماء طبيعيون فقد كانت تصب في الحملة العنيفة على تعاليم الكنيسة والدين عموماً وإرساء مفاهيم الشك والتحطيم للأخلاق والأصول الإنسانية والقيم الروحية يقول هنترميد «هناك علماء نفس كثيرون ومدارس كثيرة في علم النفس أسهموا في بث روح الشك الفعلي في إمكان قيام أي مذهب أخلاقي (!) ولكن من المؤكد أن فرويد وحركة التحليل

(*) يقول فرويد «الأنا العليا وريث عقدة أوديب ويمثل معايير الإنسان الأخلاقية»ص ٨٩ من كتابه حياتي والتحليل النفسي.

(١) «ومن هنا فإن أحكام الناس التقويمية هي على أحسن الفروض مجرد «محاولات يدعم بها الناس أوهامهم بالحجج والمناقشات» حسب تعبير فرويد نفسه» من كتاب المدينة ومتاعبها نقلاً عن الفلسفة وأنواعها ترجمة د. فؤاد ذكريا ص٣٥١ وانظر أيضاً كتاب «هربرت ماركوني» للدكتور فؤاد زكريا تحت عنوان «من ماركس إلى فرويد» ص٥٨-٨٠.

(**) كموضوع الجنس المبكر عند الأطفال!، وموضوع الأحلام التي يربطها أيضاً بمحور نظريته الفاسدة عن الكبت الأول للبشرية!، وبدل أن يقول إن للحلم أيضاً تنبؤات مستقبلية كما يظهرها الواقع فإنه يقول بأن الحلم هو تحقيق مقنع لرغبة مكبوتة! انظر كتابه حياتي والتحليل النفسي ص٦٧-٦٩، وكذلك «عقدة أوديب» الذى يزعم أنها نواة العصاب، فهى بزعمه قمة الحياة الجنسية الطفلية ونقطة الاتصال بجميع تصوراتها التالية» المرجع نفسه ص٨٥ وكذلك موقفه من التأليف الخيالي والنكتة ص٩٨.

النفسي التي كان هو مؤسسها كان لهما الدور الأكبر في هذا الصدد»[1](**)

لقد كان فرويد يكرس فلسفة تدمير الدين .. وتدمير الإنسان .. بتضخيم نزعة الفردية وإشباع غرائزها بعيداً عن المجتمع والدين والدولة. فأصبح هو وداروين مرجعاً لعلوم نفسية واجتماعية وفلسفية واقتصادية وسياسية سببت أزمات اجتماعية وعالمية لاحقة وخطيرة حتى سمعنا اليوم فلسفات «موت الإنسان»!

وأصبحت الوتيرة الإنسانية وتيرة حيوانية وإيقاعها ايقاع مادي فاقد للروح الإنسانية الاصيلة وفاقد لشروط الحياة الكريمة على الأرض.

وصارت الأمور على الوتيرة العرجاء .. ولم يبق للإنسان مقدس في حياته وماذا يبقى بعد أن رفض الإنسان العبودية والخضوع للذي خلقه ولمنهاجه الكريم؟! بل ماذا يبقى للإنسان بعد أن حيّون نفسه ولوثها بلوثة الحيوان الهائج!، نعم بعد داروين تغيرت نظرة الإنسان إلى نفسه وإلى العالم من حوله حتى قال جوليان هكسلي - وهو من علماء الداروينية الحديثة - «وبعد نظرية داروين لم يعد الإنسان يستطيع تجنب اعتبار نفسه حيواناً»(*).

ويقول إنجلز، وهو أحد أقطاب الماركسية اللعينة «ليس هناك شيء نهائي ولا مطلق ولامقدس»[2] وكما تم التلاعب بحقيقة الدين والغيب كذلك تم التلاعب بحقيقة الإنسان.

(١) الفلسفة أنواعها ومشكلاتها ص٣٤٩ .

(**) يقول فرويد من كتابة «تأويل الاحلام» لم يعد التحليل النفسي موضوعاً طبياً خالصاً فبين ظهوره في المانيا وظهوره في فرنسا يقع تاريخ تطبيقاته العديدة على فروع الأدب والجماليات أو على تاريخ الأديان وما قبل التاريخ، وعلى الأساطير والأدب الشعبي وعلى التربية، وهكذا ولا صلة لأي من هذه الأمور بالطب، إنما تتصل به عن طريق التحليل النفسي وحده » من حياتي والتحليل النفسي ص٩٥ .

(*) من كتابه الإنسان في العلم الحديث انظر كتاب التطور والثبات لمحمد قطب ص٣٨ .

(٢) Engels,Amti-Diihring Moscow . 1955,p.32

نقلاً عن مقالة بعنوان «المنهج الجدلي في علم الاجتماع لأحمد القصير مجلة الآداب إبريل ١٩٧٢ص٥٤

إن الماركسية قامت على جوهر فلسفة دارون مع تحديد اتجاها جديداً لها «فنظرية التطور - أي الداروينية - تعتبر من الأسس المهمة التي اعتمد عليها ماركس في نظريته بخاصة في القول بحتمية التطور والإنتقال من طور إلى طور نتيجة لتغير الظروف الاقتصادية والقول بأن الجديد أفضل من القديم وسوف يحل محله . . ومن الطريف أن ماركس قد صدَّر الترجمة الإنجليزية لكتابه (رأس المال) بعبارة إهداء إلى دارون مما يكشف عن مدى إعجابه وتقديره له وقد كتب ماركس بخط يده على النسخة التي أرسلها إليه «من المعجب المخلص»(!) ولقد ظل ماركس متحمساً لكتاب أصل الأنواع ولنظرية التطور لدرجة أنه كتب إلى «إنجلز» يقول «على الرغم من أن هذا الكتاب يعالج نظرية التطور بإسلوب إنجليزي فج فإنه يحتوى على أسس التاريخ الطبيعي لنظريتنا»[1] وكما ترى فإن ظروف الصراع مع الكنيسة مازالت تلقى بظلالها على الأفكار الجديدة التي يلد بعضها بعضا ويقدم بعضها لبعض طقوس العبادة الوثنية التي تُظهر كيف يتخذ بعضهم بعضاً أولياء من دون الله!

قبل أن يُطل ماركس بأفكاره على العالم ، كان أستاذه «هيجل» قد أرسى دعائم مذهبه الذي سيقوم البعض بتقديسه والبعض الآخر بنقده وإيقافه على رجل عرجاء بعد أن كان مقلوباً على رأسه!

هيجل مقلوباً على رأسه !

لقد كان «هيجل»، أكبر مفكر ألماني على الإطلاق[*]، ولقد تبين لي من

---

(١) من مقالة «صراع الحضارات صناعة يهودية» في أسبوعيات جريدة الأهرام الجمعة ٥ ابريل ٢٠٠٢ عدد ٤٢١٢٣، للأستاذ الدكتور كمال شرقاوى غزالى أستاذ ورئيس قسم العلوم البيولوجية والجيولوجية جامعة الإسكندرية / مصر .

(*) هيجل (١٧٧٠-١٨٣١) ولد في شتوتجارت وبدأ مهنته كأستاذ في جامعة فيينا، في عام ١٨٠١ حتى انتصار نابليون فيها في ١٨٠٦ ثم اصبح أستاذاً في هيدلبرج ثم في برلين ١٨١٨ ـ ١٨٣١ . انظر مقدمة في علم الاستغراب ص٢٤٥ .

تحص أزمة الصراع الفكري بينه وبين تلاميذه أنه كـان سلبياً تجاه «الإنسان» إيجابياً تجاه «الملكية الحاكمـة» التي وضعها مكان «الألوهية» ومنحها خصـائصها وحصّنها ضد النقد!! والعـجيب أن هيجل هو من إتهم الاسلام بالسلبـية فلنرى من السلبي حقـا؟! لقد أراد هيـجل أن يعكس الاسطورة المسيـحية عـن (الإله/ الإنسان) أو (الله/ المسيح) وهي عقـيدة تُشخّص الإله في المسيح، أراد هيـجل أن يعكسها على الدولة البروسية وملكها فردريك الثالث!

لقد جـعل هيجل من «الملك فـردريك الثالث» ألوهية مـتحقـقه على الأرض، وبحسـب تعبير الدكتورة - الماركسيـة - فريال حسن خليفة - فقد جعل هيجل من دولة الملكية البروسية «الفكرة الإلهية كما توجد على الأرض»[١] وبحسـب ماركس فإن «مـا يشغل هيجل هو تصوره الملك الإنـسـان الإله، وهو عند هيجل التجسـد الحقيقي للفكرة المطلقة»[٢]

فعند هـيجل أصبح «شـخص الملك وجود مـتميـز عن الآخرين مـن حيث إنه وجود الفكرة المطلقة وقـد أصبحت إنساناً»[٣] وقد علقت الدكتـورة فريال خليفة على فكر هـيجل في هذه الناحـية بقـولها «إن مـا سـعى إليه هـيجل، هو الملك الإله»[٤]

ففي الدولة البروسية التي فلسف هيجل إعـتلائها المطلق على الإنـسان والمجتمع كانت السـلطة حقاً للملك بالولادة!، وبحسب قول هيجل نفسه «هذا الفرد قُدِّر له أن يرقى إلى عـزة الملكيـة على نحـو طبيـعي مـباشـر، أعني من خـلال ميـلاده الطبيعي»[٥] .

---

(١) نقد فلسفة هيجل ص٢٤٨ .   (٢) نقلاً عن المرجع السابق ص٢٥٢ Karl Marx, chpr,p.24

(٣) انظر هيجل في نقد فلسفة هيجل ص٢٧٣ .

(٤) المرجع السابق ص٢٧٥ .

(٥) . Hegel,pr,s280, p.184 نقلاً عن فلسفة هيجل ص٢٧٣ .

وهذه الفكرة استبدادية تنزع حقوق الأفراد وإنسانيتهم وهو ما حدث في الحضارات الوثنية التي قدست الإمبراطور والفرعون والملك والكاهن!

لقد كانت هذه الفلسفة الهيجلية رد فعل على الثورة الفرنسية التي دعمها هيجل نفسه في بداية عهدها ثم انقض عليها بعد ذلك لأن العوام استولوا على السلطة!!! فما كان منه إلا أن عزل العوام والشعوب عن تقرير مصائرهم بأنفسهم وأعطى كل مقدرات الأمة للملك الذي أعطاه صفات الإله، وإنعكاساً لفكرة الإله/المسيح الأسطورية التي رفضها الإسلام رفضاً حاسماً لأنها لا واقع لها كما أنها باطل لا أساس له والقائم على الباطل باطل!

لكن هيجل الذي أثبت عدم عقلانية العقلي بإطلاق كما كتب ماركس(١) لم يُرِد أن يتجاوز التراث المسيحي الاسطوري ولا التراث اليوناني والاغريقي الوثني في حين ذهب يتهم الإسلام بأنه سلبي تجاه الواقع!!

فلم يصبر هيجل على حصول الأفراد على بعض حقوقهم بأنفسهم في الدولة الفرنسية حتى ذهب إلى اعتبار الشكل السياسي للملكية الوراثية هي الحق اللامتناهي واعتبر الملك إلهاً يمشي على الأرض، لاينازع في رأى، اعتبره فوق كل مسئولية أو مساءلة كما قال هو نفسه **«أما جلالة الملك بوصفه الذاتية النهائية للقرار، هو فوق كل مسئولية أو مساءلة Answerability بالنسبة لأفعال أو قراءات الحكومة»**(٢)

وكما اعتبر ماركس وانجلز بعد ذلك فلسفتهم وتحقيقها المطلق على الأرض قمة التطور وكذلك كما اعتبر صموئيل هنتجتون بأن الليبرالية الحديثة بمبادئها وكلياتها قمة التطور ونهاية التاريخ، فقد جعل هيجل أيضاً من فلسفته «قمة التطور

---

(١) انظر نص ماركس في نقد فلسفة هيجل ص٢٧٣ نقد دمَّر السيادة بالميلاد كما قال ماركس أيضاً .
(٢) نقلاً عن نقد فلسفة هيجل ص٢٥١ . Hegel,pr,280, p.184

ونهايته»[١] وكذلك فعل ماركس !!! ولقد نقضت الفلسفات اللاحقة المسلمات المطلقة للفلسفات السابقة التي ادعت الحقيقة المطلقة وقمة التطور !!، فأين الإطلاقية المزعومة؟!

لقد اعتلى هيجل كرسي التدريس في جامعة برلين في النظام النقيض لدولة نابليون، دولة الشعب، مكرّساً ومفلسفاً لوجود دولة الملكية المطلقة فإنتقل من وصفه لنابليون بأنه (روح العالم الذي جاء على صهوة جواد) إلى نقيضه الروح المطلق (الملك/ الإله) الذي ولد ملكاً بالوراثة، بالميلاد الطبيعي! انتقل من الشعب إلى الدولة، ومن حق الفرد إلى حقوق الملك البروسي! لقد أعلن هيجل فشل ثورة «روح العالم» لينصر «الفكرة المطلقة المتشخصة على الأرض»!، وهي تناقضات عجيبة تدل على قصر نظره وعطب فكره، وتبدل مزاجه وظروف فلسفاته المتناقضة الخاضعة للتقلبات الاجتماعية والفكرية المتسارعة! يقول (جون لويس) عن هذه الظروف «عندما أصبح هيجل أستاذاً للفلسفة في برلين، قوبلت نظرياته بالترحيب من قبل الدولة البروسية، وجهاز الدولة (وكأن الترحيب أجبره على القول: إن التاريخ هو قصة حياة الله كما يكتبها هو، وكان الله في بروسيا في القرن التاسع عشر قد حقق نفسه لحما ودما. وكان هذا تتويجا مزريا لبنيان الميتافيزيقا الهيجلية الشامخ، وربما أمكن القول إن حدود عصره، والضغط الناتج عن تأييد الطبقة الحاكمة حمل هيجل على التتويج السابق لأوانه للفكرة المطلقة. المهم أن نعترف أن هيجل قدم أسوأ نماذج فلسفته كما صاغها في سنواته الأخيرة»[٢] .

لقد قال ماركس بأن نقائص العصر تجمعت في فلسفة هيجل ويقول في رأس

---

(١) انظر نقد فلسفة هيجل ص١٩٣، مع انه برر الدولة الاستعمارية والاستبداد الوراثي كما قال بوزانكويت. انظر مقدمةفي علم الاستغراب ص٢٦٦ .

(٢) جون لويس: مدخل إلى الفلسفة، ترجمةأنور عبدالملك، دار الحقيقة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٨ ص١٤٣، ١٤٤ نقلاً عن فلسفة هيجل ص٢٥٢ .

المال إننا أمسكنا بهيجل الذي كان يمشي على رأسه ثم عدلناه .. أوقفناه على قدميه!!! وقام تلاميذه ينقدون فكره الذي حول الفكرة المسيحية البولسية -نسبة إلى بولس- (المسيح/ الإله) إلى (الملك/ الإله) أو السيادة المتشخصة في المملكة الوراثية لدولة بروسيا. قاموا ينقدونه بفلسفات قاصرة جزئية شائهه زادت الطين بله وأدت إلى ظهور المذاهب المادية المشهورة كالماركسية والوجودية وغيرهما. وماركس نفسه يُعبِّر عن «اللخبطة!» التي لازمت الفكر الفلسفي لتلاميذ هيجل مع تأثر ماركس كثيراً بهم خصوصاً بفيورباخ، يقول ماركس عنهم «إن أيا من هؤلاء النقاد المحدثون لم يقم حتى بمحاولة نقد جامع للنظام الهيجلي وبالرغم من أن كل واحد منهم يُقسم الإيمان المغلظة على أنه تجاوز هيجل نفسه، فإن مناظرتهم ضد هيجل وضد بعضهم بعضاً، يقتصر على ما يلي: إن كلا منهم يعزل جانبا من النظام الهيجلي ويحوله ضد النظام بكامله، وضد الجوانب المعزولة من قبل الآخرين على حد سواء»[1].

وفي الحقيقة هذه الجزئية في النقد وعدم وجود معايير كلية في الفكر الفلسفي لتلاميذ هيجل أدى بهم إلى نقد الدين مع نقد الفلسفة والمسيحية وجعل حقائق الدين أساطير كما هي أساطير الفلسفة والمسيحية وفي هذا المناخ الغير صحي تم القضاء على تحقيق منهاج عقلي كلي وتفسير صحيح للدين وللإنسان وللتاريخ وتم النظر إلى الدين على أنه أساطير ووعى زائف وخرافات آمال متخلفة كما هي المسيحية المنحرفة سواء!

إن الدين بحسب «الفيلسوف إشتراوش» وهو تلميذ لهيجل قام بنقد فلسفته كما

---

(١) انظر مرجع ماركس في نقد هيجل ص٥٦ وهو مرجع طويل .

الآخرين - «نتاج جماعي غير واعي من خلق البشر[١]» نتاج للتطور الروحي فالوعي الذاتي الإنساني - بحسب زعم تلميذ آخر لهيجل وهو (باور) - يخلق الواقع الروحي الذي يتناسب مع مستوى تطور هذا الوعي ، وما أن ينتهي التناسب بينهما تصبح مهمة الوعي هي هدمه وتجاوزه إلى مستوى أعلى»[٢] ويقول أيضا «لقد أضاع الوعي الذاتي ذاته في موضوع خيالي[*] منفصلاً عنه وحرم نفسه من كل قيمة»[٣] هذا الوعي - عند فيورباخ - تلميذ هيجل وفيلسوف معروف! - اغترب لَمّا أعطى كماله لغيره! زعم أن الاعتقادات الدينية إنما هي إسقاط فبدلاً من أن يعطي الكمال لذاته أعطى الكمال لغيره! وهكذا فالفكرة المنحرفة - التي صنعها بولس وهي فكرة المسيح/ الإله وسلمت الكنيسة بها انتقلت إلى الملك/ الإله أو المملكة/ الإله عند هيجل ثم انتقلت إلى الوعي الكلي للذات عند باور فانتقلت عند «شترنر» إلى الإنسان/ الفرد الأوحد[**] ! وانتقلت عند فنورباخ إلى الإنسانية/ الإله أو الإله/ الإنسان أي أنسنة الإله أو تأليه الإنسان !! أو تأليه الجوهر الإنساني الذي يزعم لنفسه الكمال المطلق!

إنها فكرة الوعي الكلي للذات التي قال بها باور والتي يزعم أن وجودها يتوقف على تدمير هذا الوعي الذي يحرم الإنسان من صفاته ويقذف به إلى العالم السماوي[٤]!

وكما قالت الدكتورة الماركسية فريال حسن خليفة فهؤلاء جميعا «كان هدفهم نقد الدين وتحجيم الايدلوجية الدينية(!) وإبراز عدم معقوليتها على أرض الواقع(!). واشتراوس عندما يدمر فكرة المسيح التاريخي، ويقول بفكرة الإنسانية،

(١-٢-٣) انظر نقد فلسفة هيجل ص٣٧-٤٤

(*) لو قال ذلك في الأساطير المسيحية الدخيلة على المسيحية لصدق ولكنه تجاوز ذلك إلى الدين !

(**) نعنده كما سيأتي بعد قليل فإن الأنا / الإنسان هو الكل في الكل !!!

(٤) المرجع السابق ص٥١ .

فـفي هذا تراجع للحـقـيـقـة الدينية وانحـصـار لها في مـقـابل تقدم الحـقـيـقـة (الإنسانية)»[1]

في هذا الجو الفاسـد لابد أن يتشكل الالتواء العقلي ، ويعلو الجموح النفسي، ويمسخ الإنسان نفسه، وينقد ذاته، فيزداد الوضع التباساً وتعقيداً فلا غرو أن يظهر مثل «إشتراوس» في هذا المناخ الغير صحي الذي ضاعت فيه معالم كل شيء، وفقد الدين جوهره عند الكهنة والفلاسفة، لقد قلب اشتراوش الطاولة على أستاذه وعلى الفلاسفة المسيحيين من قبله، فأنكر وجود المسيح في التاريخ، ولماذا؟ ليهدم المسيحية والدولة البروسية!!! فهل يعقل هذا؟! إنها مصيبة دولة أستاذه ونموذجه المثالي في التاريخ «ورفض فكرة المسيح التاريخي - عند إشتراوش - والأخذ بفكرة الإنسانية هو هدم للمسيحية هدم أساس النظام السائد في بروسيا واستبداله بدولة الإنسانية»[2] يقول اشتراوس «يجب أن تبدل فكرة المسيح التاريخي بفكرة الإنسانية ويستطيع الإنسان أن يجد الخلاص بالمشاركة في الحياة الإنسانية الإلهية للنوع»[3] فبدلاً من الإنسان/ الإله في المسيح أو الملك/ الإله في فلسفة هيجل يصير الوضع مقلوباً فتصبح الإنسانية هي المطلوبة بحيث تكون الوحدة الحقيقية كلها في الإنسان فيصير هو الدولة/ الإنسان وليس كفرد بذاته بل الإنسانية ككل[4]

وكما قال ماركس عن نتائج نظرية هيجل بأنها «أكذوبة» كذلك فإن إشتراوس قال بأنها «خداع»[5]

وماذا يجني الكذب والخداع غير الضياع والهلاك وفقدان الإنسانية لمعالم وجودها وصورة تكريمها وحقيقة تاريخها وماذا أنتج إشتراوش وماركس وهيجل

---

(١) المرجع السابق ص٣٦ .

(٢) نقد فلسفة هيجل ص٤٠ .

(٣) Jhon, Edward Toews, Hegelianism, cambridge universty press, london New york, 1980, p.265 نقلاً عن نقد فلسفة هيجل ص٣٩-٤٠ .

(٤) انظر ص٣٧ نقد فلسفة هيجل .

(٥) انظر المرجع السابق ص٣٧ .

وغيرهم غير التلفيق والتفسير المشوه للإنسان والدين وللمسيح وللنبوة والتاريخ؟!

لقد كانت عقدة اشتراوش خطيرة، ولم يستطع أحد شفاءه من الأذى الذي ألحقته به فلسفة أستاذه، وما تقدم عليه مما أفرزته العقلية الغربية ما أنتج أزمة الوعي الأوربي، ولذلك قام بتدنيس كل شيء وتحريف كل شيء وإنكار حقائق كل شيء ما أدى إلى القول بأن الإلحاد هو الإنسانية متصالحة مع ذاتها خلال نفي الدين[1] وعبادة الإنسان لذاته وتأليهه لنفسه.

ولما لم يجد اشتراوس في الوعي الجمعي الأوربي إلا هذه التحريفات الدينية المسيحية ، لما لم يجد إلا إرثا فلسفيا منحرفاً - لما لم يجد إلا فلسفة أستاذه والتي تجعل من ملك الدولة (مسيحياً/ إلهاً) يجب الامتثال له وعدم الإعتراض عليه لأي سبب من الأسباب، لما لم يبق أمامه إلا هذا الفكر المنحرف بطرفيه الديني والفلسفي ذهب يؤسس لعلم الأساطير المقارنه وبيان نشأتها وتكوينها في الوعي الجماعي التاريخي «وعلى الضد من هيجل اعتبر إشتراوش الإنجيل بمثابة روايات وأحاديث تشكل جوهر الدين المسيحي، وقام بنقد النصوص الإنجيلية وانتهى إلى اعتبارها أساطير تترجم وتعبر عن أعماق الرغبات الإنسانية أو رغبات البشر. . لقد دمر اشتراوس العقيدة المسيحية خلال كتابه «حياة المسيح»[2]

وكما قدمت فإن مشكلة هؤلاء الفلاسفة أنهم فقدوا الموازين الحقيقية في الحكم على الأشياء، فأصابوا مرة وأخطأوا مرات، ولقد أعلن القرآن أن قصة (الإله-المسيح) الذي وُضعت له تعاليم وأقوال تناسب موضوع تأليهه على لسان بولس وفي إنجيل يوحنا، أن هذا (المسيح/ الإله) ليس له وجود فعلي في التاريخ فهو خيال المنحرفين، لكن القول بإن المسيح النبي لم يكن له وجود في التاريخ

---

(١) انظر المرجع السابق ص١٨٥

(٢) نقد فلسفة هيجل ص٣٩ .

فهذا هو الشطط والانحراف المقابل لانحراف سابق وبغيض!

إن الأساطير التي حيكت حول المسيح عليه السلام باعتباره إلها ليست قصصاً تاريخياً، ولا يعني ذلك أن نلغى وجود المسيح التاريخي ونلغي أحداث ووقائع تمت في عصره وفي فترة حياته على الأرض وأن نلغي نبوته ورسالته وشخصه الكريم الحقيقي! إن هذا ميزان دقيق يحتاج إلى عقل متوازن لا ينكر الأشياء بمجرد تلفيق أساطير وخرافات حولها ولو أن الأمر كذلك لأنكرنا أنفسنا ووجودنا وحواسنا كما فعل أيضا بعض الفلاسفة الغربيون!(*)

أما تأسيس علم يُرجع كل قصص الأنبياء التاريخي إلى أساطير الشعوب القديمة، بل ينكر وجودهم في التاريخ - وسيأتي ذكر ذلك بالتفصيل - فهذا هو الضلال المبين ، والهوى الجامح الذي ليس له أي سند علمي أو أداة علمية تساعده على ذلك، وإنما هي تلفيقات وتلوينات وغرور علمي قاصر وطائش يظن أن بإمكانه حجب نور الشمس بالغربال المثقوب.

لقد قلنا إن الظروف الداخلية في المجتمع الغربي هي التي أفرزت هذه المناهج المختلة المهزوزة، والتي قد تنفع في تناول أساطير الوثنيات والمدنيات الغابرة في التاريخ لكنها لاشك ستفشل حين تتعرض لحقائق الدين وقصص القرآن كما فشل الجاهليون القدماء حين رموا القرآن بأنه أساطير الأولين فيما كان هؤلاء الجاهليون يتعبدون للوثن والوتد وظواهر الطبيعة! إن محاولة تخديم علوم الآثار وغيرها للمصالح الأيديولوجية الخاصة الكامنة وراء الادعاءات العلمية هي محاولات مفضوحة بتسليط ضوء النهار على صورها الخفافيشية القابعة في الظلام.

لقد قال «بروتو باور» ـ تلميذ آخر لهيجل ـ بمثل ما قال «اشتراوس» بعدم وجود حقيقي للمسيح عليه السلام في التاريخ!

(*) حتى إن بعضهم أنكر وجود العالم الذى نعيش فيه .

فهل يمكن أن نجعل هؤلاء أساتذة لنا في صناعة المناهج العلمية (المختلة؟!)

في رسالته التي أرسلها إلى ماركس كانت كلماته الحائرة المعبرة عن تيهه وضلاله يقول: **الكارثة أو النازلة أكبر من تلك التي صاحبت دخول المسيحية إلى العالم، ما شاهده العصر هو المعركة الأخيرة مع عدو البشرية الأخير.. والخطيئة التي يقترفها الإنسان ضد نفسه، والتي هي أكثر صعوبة هي أن الإنسان لا يستطيع تجنب المعتقدات الدينية بل يراها في العين الإنسانية، ويغلق عينيه ويغوص فيها قبل عمله الخاص، والشيء الوحيد الذي يمنع التحرر الكامل هو الخوف، من أن يفقد الإنسان ذاته، قبل أن يكتسب ذاته مرة أخرى**[1] فهو في هدمه لحقائق الوجود أثناء هدمه لخرافات الكنيسة وأباطيلها أحس بأنه يفقد أشياء أصلية، أحس أنه يفقد ذاته ومقوماتها وفطرتها السليمة، ويفقد معها حقائق الحياة والكون والوحي والخليفة!

إن كلماته السابقة توحي بأنه كان يشعر بخور ما هو مُقْدِم عليه، بل تشعرك كلماته أنه فقد التمييز في عملية الهدم ضد الكنيسة بين خرافاتها والحقائق الكونية والإنسانية .. وفيها تظهر نفسه المضطربة وكأنها مُقْدِمَة على موت حتمي أو هلاك أبدي وهي تعكس فطرته الممزقة وقلقه الباطني .. التي تكاد تفقد كل شيء وهي تقوم بهدم كل شيء!

لقد دَمَّر ذاته بينما كان يحاول إنقاذها!، ومَسخ وعيه فيما هو يحاول إعادته إلى مجراه الطبيعي!، وعبد ذاته بينما كان يحاول تخليصها من عبوديات شائنة فغمسها في وحل (الاستقلال المتأله) إلى الأبد، وأضاعها فيما كان يحاول الحصول عليها فمثله مثل دارون الذي فقد رؤية العالم على حقيقته وهو يحاول رسم صورة قبيحة له!، فقدْ فقدَ إحساسه بالجمال وأصبح أشبه بإنسان مصاب بعمى الألوان كما عبَّر هو عن ذلك في قوله «في مذكراتي التي سجلتها أثناء سياحتي وتجوالي

---

(١) D.Mclellan, the young Hegelians and Karl Marx op.cit., p.p.44.65.

نقلاً عن نقد فلسفة هيجل ص٤٥ .

في «كالا باكوس» كنت قد كتبت ما يلي عندما شاهدت المناظر الخلابة والمدهشة لغابات البرازيل: «إن من المستحيل التعبير عن مشاعر الذهول والتبجيل، والأحاسيس العلوية التي تملأ ذهن الإنسان التعبير الكافي» واذكر أنني كنت أؤمن آنذاك أن هناك أشياء أخرى إضافة إلى الوجود المادي لجسد الإنسان. أما الآن فقد أصبحت أجمل المناظر وأروعها لا تؤثر فيّ ولا تحرك في نفسي مثل هذه المشاعر أو مثل هذه القناعة. فأنا الآن أشبه شخصا مصاباً بعمى الألوان»[1].

لقد فقدوا رؤية الأشياء على ما هي عليه، كما فقدوا رؤية الجمال في الكون والتوازن في السنن، والعدل في إقامة السموات والأرض.

وهذا تلميذ آخر لهيجل «ماكس شترنز»[*] فقدَ رؤية نفسه على حقيقتها كما فقدها المتألهون من بني البشر، ففيما كان يقوم بنقد هيجل وتصوراته عن (الدولة الإله) أو (الملك الإله) كان يقوم بوضع نفسه بديلاً للدولة أو الملك! فأسس فلسفة «الفرد الأوحد» الذي ليس له قانون خارج ذاته وأعلن نفسه متحرراً من أي تضامن مع الإنسانية!.

فقد رأى - كما رأى مجموعة من تلاميذ هيجل وناقديه! - في فلسفة هيجل استلاب الإنسان وإغترابه فأعلن كردة فعل بأن ذاته من خلقه هو وأن عدو الذات الوحيد هو (دولة الملك الإله) وكل دولة!

وفي كتابه المسمى «الأوحد وخاصيته» يقول بأنه لا يقبل إلا بذاته قيمة وغاية وقانوناً «وفكرة الأوحد في مضمونها هي إعلان التمرد على الدولة والدين

---

(١) Francis Darwin(Ed.) (the Autobiography of charles Darwin and selected letters , p.65 نقلاً عن دارون .. ونظرية التطور ص١٥١، ١٥٤ .

(*) شترز (١٨٠٦ - ١٨٥٦) فيلسوف ألماني واسمه الحقيقي ليوهان كاسبر ثميث .

والمجتمع والفلسفة الهيجلية، فالجميع أشكال مختلفة لضياع الذاتية(*) وذوبانها في الكل العام»(١) تقول الدكتورة الماركسية فريال حسن خليفة! ويقول «شترنز» إن المجتمع والحقوق الإنسانية للإنسان لاتعني شيئاً بالنسبة لي . . . فالأنا هي الذات بدون نوع، بدون قوانين، بدون واجب، بدون حقوق»(٢) «إن ذاتي هي القاضي الوحيد الذي يقول ما هي حقوقي، والقانون الوحيد بالنسبة لي»(٣)

لقد تعلّم «شترنز» على يد هيجل الفلسفة في جامعة برلين، وهو فيلسوف صنع فلسفته في ظل ظروف هيجل/ الدولة البروسية المناقضة لظروف هيجل/ الثورة الفرنسية!!، فصار أول مؤسس للفوضوية.

ولم يكن الأمر أن «شترز» اكتشف الفرد من ثنايا المذهب كما زعم د. حسن حنفي(٤)، فإن الإنطواء على الذات وتأليه الفرد العام ليس اكتشافاً للفرد! وإنما تكريس لوثنية الفرد بتأليهه بمختلف صور التأليه كتأليهه ملك أو فرعون أو إمبراطور أو ملكية أو دولة أو فرد. والحاصل هنا أن فلسفة «شترنز» بل والفلسفة الغربية نتاج مجتمعاتها. إن فؤاد زكريا يُعلق بنفسه على فلسفة مشابهة وهي فلسفة «سارتر» (الفلسفة الوجودية) بقوله «ولو أمعنا النظر في مقولات سارتر الفكرية لوجدنا أنها لا تعني الشيء الكثير بالنسبة إلى إنسان العالم الثالث فالقلق

(*) إن تلاميذ هيجل «رأوا في الدين المسيحي اغتراب الإنسان عن ذاته. وأنكرت المسيحية كل ما هو طبيعي وحسي فصارت مناقضة للإنسان وللإنسانية وللحرية السياسية، Julius carlebach, karl marx , and Radical Critingve of judaism, routledge & kegan poul, london 1978P.144نقلاً عن نقد فلسفة هيجل ص٣٧

(١) نقد فلسفة هيجل ص٧٣ .

(٢) D.Mclellan, the young Hegelians and karl marx op.cit.,p.127 نقلاً عن نقد فلسفة هيجل ص٥٣ .

(٣) المرجع السابق ص١٢٨ نقلاً عن نقد فلسفة هيجل ص٥٤ .

(٤) مقدمة في علم الاستغراب ص٢٥٤ .

والاغتراب و «الجحيم هو الآخر»، كلها مفاهيم تعني الكثير لدي الإنسان الأوربي في مرحلة معينة من تاريخه، ولكنها ليست مقولات إنسانية عامة كما أراد لها سارتر أن تكون»[1] .

ومع أن هناك فارق زمني وتاريخي كبير بين «شترنر» (١٨٠٦-١٨٥٦م) وسارتر إلا أن الاضطراب مازال مستمراً والضياع مازال معلماً بارزاً مستمراً. إن ظروف تاريخ الوعي الأوربي كان تجزئة الإنسان وفقدان الوصول إلى فلسفة كاملة صحيحة عنه في ظل غياب الدين الحقيقي.

يقول فؤاد زكريا ـ مع ذلك ـ إن أهم شيء في الوجودية هو ارتكازها على الإنسان!!؟ «وبخاصة، في تلك الجوانب التي كانت تهملها الفلسفات التقليدية. فقد كانت الفلسفات السابقة تتعامل مع الإنسان بوصفه «عقلا» فحسب. وحتى حينما كانت تتحدث عن العواطف، والانفعالات، والقيم، كانت تعالجها بطريقة عقلية خالصة كانت تجرد الإنسان من وجوده الحي، الملموس، لكي تستبقي منه هيكلاً عقلياً خلا من كل بض ، ومن هنا فقد جاءت الوجودية لكي تضيف بعداً جديداً(!) تجاهلته الفلسفات التي سبقتها هو البعد النابض بالحياة في الإنسان»[2]! إن الدكتور فؤاد زكريا نفسه تبني فلسفة أوجست كونت التي نتجت عن هذه الظروف الكئيبة والتي قسمت التاريخ البشري إلى مراحل ثلاثة، جعل الدين مرحلة غابرة منها وقد تجاوزته الإنسانية!!![3] ولم يجعلها د. فؤاد زكريا نتاج ظروف المجتمعات الغربية والفكر الفلسفي المنحرف والذي كان نتيجة الصراع المرير بين الكنيسة ومعارضيها، وعلى الطرف الآخر نتيجة اصطدام الفلسفات والنظريات المتناقضة!، والتي ظهرت في ظل أوضاع غير صحيحة وحروب

---

(١) خطاب إلى العقل العربي لفؤاد زكريا ص١٨٦ .

(٢) المرجع السابق ص١٧٩ .

(٣) قدمنا ذلك من كلامه، وكلام فؤاد زكريا في الكتاب الأول، في الفصل الأول منه.

وأزمات ونظم حكم تسلطية أو ديمقراطية هشة!

إن الزيغ الثقافي الذي يسيطر على العلمانيين العرب وهم يقومون بنقل الفلسفات الهشة لإزاحة الإسلام من عالم المسلمين ملأ قلوبهم حقداً وأعمى أبصارهم فلم ير كل منهم في فلسفته التي نقلها إلى عالم المسلمين أنها نتاج ظروف غير صحية وغير إنسانية وغير علمية وإنما زعم كل منهم في فلسفته المبتورة أنها حقائق نهائية والفلسفات الأخرى نتاج ظروف أوربية بحته!!!

يظهر تلميذ آخر على الساحة بفلسفته التي أثرت تأثيراً كبيراً على كل الفلسفات والنظريات التي جاءت بعده وسببت صراعات خطيرة ودمرت ملايين البشر في الحروب الداخلية والعالمية، إنه «فيورباخ(*) الذى قام بنقد فلسفة أستاذه هيجل فأعلن أن هدفه استرداد الإنسان من غربته في الدين والفلسفة! ... فابتكر نظريته في عالم ابتكار النظريات القاصرة في الغرب! فدار فيورباخ في حلقة الوثنية المفرّخة التي خرجت من اليونان واصطبغت بالمسيحية في مرحلة تحريفها هُجّنَتْ بفلسفات كفلسفة هيجل الذي استنسخ منها فلسفته: فلسفة (الملك/ الإله) ما أدى إلى استنساخ فيورباخ نظرية تأليه الإنسان عموماً وبزعمه انه ينبغي على الإنسان أن يسترد كماله الذي أعطاه لله في لحظة غياب!(**) وفي الحقيقة ففي عالم التحريف والوثنيات القديمة والحديثة يحصل غياب الإنسان والزعم بأن استرداد حقوق الإنسان بتأليهه أو بتأليه الملك المعين أو بتأليه الدولة أو الإنسانية أو الفرد الذاتي أو ما إلى ذلك من فلسفات التأليه الغربية التي إتكأت على الإنسان بزعم أنها تريد استرداد كرامته هو زعم سخيف، فالإنسان لايكون إنساناً بإنكاره لخالقه ولمُكرمه ولمُعلمه ولرازقه ولمنهجه وشريعته! إن هذه الفلسفات اللاعقلانية هي التي شوهت

(*) فيورباخ (١٨٠٤ - ١٨٧٢) فيلسوف مادى. عمل في جامعة ارلاجن، أهم كتبه «جوهرة المسيحية» و«نقد فلسفة هيجل».

(**) مع أن المشكلة عنده كانت بينه وبين الكنيسة وعقيدة تأليه المسيح، فكيف يتنقل من ذلك إلى الكفر بالله عز وجل الذي منحه إنسانيته التي سلبتها مسيحيته التي نقدها هو نفسه !!

حقيقة الإنسان واستلبت عقله ونفسه، وهذا ماركس يقول نفسه عن هيجل بأنه أثبت «عدم عقلانية العقلي باطلاق»(١) وقال عن فلسفته أو عن بعض أفكارها بأنها «أكذوبة»(٢) وقال تلاميذ هيجل عن أفكاره بأنها «خداع»(٣) وكذلك يقول بعضهم في فلسفات الآخرين في حلقة مفرغة من اللاعقلانية الإنسانية والأفكار الجزئية الشائهة والاتهامات المتداولة المتوارثة «إن الشعور بالذات يصل إلى أن تكون أنت إلهاً!»(٤) هكذا يتفلسف فيورباخ فهل هذه عقلانية وتنوير وتحرر و(فلسفة أو حكمة) أو حقوق إنسانية أصلية؟ هل هذه هي مهمة الفلسفة وحقيقة فاعليتها في عالم الإنسان؟!!

إن تبرير هيجل الأستاذ الفيلسوف للوضع السائد بنظرية (الملك/الإله) أدى إلى بروز فلسفة فيورباخ التي رفعت الإنسان ليرى نفسه إلهاً متشخصاً!! وفي النص التالي تجد عوامل رد الفعل الداخلي الذي سيطر على هؤلاء الفلاسفة يقول - وهنا تشعر بوقع أزمة! - فيورباخ إن «الحرية السياسية!» وتحققها في الواقع يجعل من الحتم أن يحل لدى البشرية «العقل محل الإنجيل، والسياسة محل الدين، والعامل محل العابد.. والإنسان محل المسيح»(٥)

وفي إسلامنا ليس هناك تعارض بين العقل والنقل أو الدين كما أن السياسة العادلة من الدين فكيف تحل محله كذلك؟ والإسلام حرك الإنسان وأطلقه فاعلاً في الكون ونتج عن ذلك حضارة عاملة عابدة فمن يحل مكان ماذا؟ وليس هناك

---

(١) نقلاً عن نقد فلسفة هيجل ص٢٧٣ Karl Marx, chp R . p.33

(٢) المرجع السابق لماركس ص٣١ نقلاً عن نقد فلسفة هيجل ص٢٦٣ .

(٣) إشتراوس عن وحدة الفلسفة والدين عند هيجل بأنها «خداع» كما في كتابه «حياة المسيح» .

(٤) Ludwig Feuerbach, Introduction to the Essence of christianity, Translated with an Intoroduction byZawar Hanafi, anchor Books, New York, 1972 P.P. 102-108

(٥) Ludwig Feuerbach, The necessity of a reform of philosophy, op. cit., P. 148. نقلاً عن نقد فلسفة هيجل ص١٢٥ .

في الإسلام مسيحاً مؤلهاً أو ملكاً أرضياً مؤلهاً فكيف يتعارض الإنسان مع شيء ليس موجوداً عندنا؟!

إن الألوهية الحقيقية لاتتعارض مع غاية الوجود الإنساني كما قدمنا، فمتى حدث في ديننا تعارض؟! إن التعارض لم يكن أبداً في مبادىء الإسلام مع الواقع إنما التعارض تم في النصوص المسيحية والنصوض الفلسفية والواقع الثابت، إذن فلسفة فيورباخ نتاج ظروف أوروبية معينة وليست حقائق كونية مهيمنة على الدين والإنسان والحياة! ، إنها رد فعل معين على أفكار منحرفة متمثلة في الفلسفة والمسيحية المنحرفة، **فكيف نجعل منها منهاجاً لتحليل كل شيء، ونظاماً معرفياً لنقد الدين والتاريخ والإنسان!!**

ومعروف كما قالت الدكتورة الماركسية فريال حسن خليفة أن فلسفة فيورباخ تدعى أن «فلسفة المستقبل هي تحقق الإلحاد الواعي للبشرية»[1]. فكيف يكون هذا الوعي وعياً إنسانياً يحل الماهية البشرية مكان الماهية الإلهية؟!!

إن فلسفة فيورباخ «وعي زائف» أفرزته ظروف مادية وفكرية منحرفة وليست حقيقة إنسانية أصيلة يمكن للإنسان أن يبني عليها حياة طيبة كريمة! إن الذي أدى لبروز هذه النزعات هو عملية تأليه الإنسان ذاتها!، والتي تمثلت في مرحلة من مراحل الوعي الأوربي - وإلى الآن عند الكنيسة! - في تأليه المسيح. ومن هنا كان رد الفعل العنيف الذي يريد نزع هذه الخرافة من عقل الإنسان ولكن وياللخسارة تم تدشين خرافات أخرى، يقول فيورباخ مظهراً طبيعة عمله الفلسفي! «وقد ارتبط في الدين المسيحي اسم الإنسان باسم الله في اسم واحد(!)، الإنسان الإله(!)، مع احتفاظها بهذه الحقيقة(*) ، حولت الصفة في الجوهر، والمحمول في الموضوع، والفلسفة الجديدة هي الفكرة متحققة هي حقيقة المسيحية(**)، إنها

(١) نقد فلسفة هيجل ص١٢٥ .

(*) يقصد فلسفته أي حقيقة«الإنسان الإله» ! بزعمه.

(**) يقصد تأليه الإنسان !

بالتأكيد تحتوي داخل ذاتها جوهر المسيحية(*)، **ولكنها تهجر اسم المسيحية»**(١)

ثم قال بأن فلسفته - في نفس النص - هي **«الحقيقة الصادقة بدون تناقض هي الحقيقة الجديدة»!**

فأين في خرافات فيورباخ ما زعمه حسن حنفي من أن فيورباخ من خلال نقده للدين اكتشف الإنسان والطبيعة؟(٢)

على العكس من ذلك لقد دمر فيورباخ الإنسان عندما منحه استقلالاً مدمراً لخصائصه وطبيعته ذاتها، مما أدى إلى إنتهائه إلى المادية كما قال حسن حنفي نفسه **«ودافع عنها مما أثر في جميع معاصريه من الهيجليين الشبان حتى اعتبر إنجلز أنهم كانوا جميعا فيورباخيين أي ماديين»**(٣) عبدوا ذواتهم المتعالية!

لقد تأثر إنجلز وهو صديق ماركس ومن أقطاب المادية الجدلية بفيورباخ، كما تأثر ماركس به في الأساس النظري ونقد الدين الذي قال عنه ماركس **«ونقد الدين هو مقدمة لكل نقد(**)، إن نقد الدين يحطم أوهام الإنسان، ومتى تحطمت أصبح الإنسان قادراً على التفكير والعمل وتطوير واقعه كإنسان فقد أوهامه وكسب عقله. وحينما يتلاشى هذا الوهم، تكون مهمة التاريخ، أن يؤسس حقيقة هذا**

(*) يقصد إذا كان المقصد من المسيحية في جوهرها تأليه الإنسان فإن فلسفته لا تختلف عن هذا المحتوى لكنه ينقله من المسيح إلى الإنسان! ونفى المسيحية هو نفي للإسم مع الاحتفاظ بجوهر تأليه الإنسان!!

(١) Ludwig Feuerbach, preliminary theses on the reform of philosophy, op. cit., 172 نقلاً عن نقد فلسفة هيجل ص١٢٧ .

(٢) انظر (مقدمة في علم الاستغراب) لحسن حنفي ص٢٥٩, لقد اعتبر حنفي نفسه فيورباخاً وتأثر تأثيراً عظيماً بفلسفة فيورباخ وقد قدمنا ذلك في «الفصل الأخير من كتابنا الأول» .

(١) مقدمة في علم الاستغراب ص٢٥٩ .

(**) واضح من هذا النص عداوة ماركس للدين وليس للمسيحية والكهنوت بها فقط كما أن تأثير «فيورباخ» و«باور» و«اشتراوش» و«هيجل» واضح كذلك عليه !

العالم، ومهمة الفلسفة أن تخدم التاريخ وأن تزيل القناع عن الاغتراب الذاتي الإنساني في شكله الدنيوي، والذي أصبح غير مقنع في شكله المقدس، لذلك فإن نقد السماء يجب أن يتحول إلى نقد الأرض، ونقد الدين إلى نقد القانون، ونقد اللاهوت إلى نقد السياسة»[١] .

فإذا كان الفكر الأسطوري المسيحي غير مقنع، ويصنع اغتراباً للإنسان في العالم وإذا كان يجب تحطيم هذه الأغلال ليقدر الإنسان على التفكير وتأسيس حقيقة هذا العالم.. فإن ذلك كله ليس موجوداً عندنا في الإسلام العظيم ولا في المسيحية الحقة! - الذي جعل للإنسان كرامة وغاية عظيمة لوجوده، ومنحه العلم وقوة الإدراك والقوة المفكرة للانطلاق لاكتشاف هذا العالم وتسخير سننه وتأكيد ذاته وتحقق إنسانيته ورغباته الحقيقية في الحياة.

هذا هو القانون الإلهي ونظرته إلى الإنسان، فأين ظروف الصراع الذي أنتج وأفرز هذه الأفكار المتصارعة ؟ أين هذه الظروف من الدين الإسلامي! هذا هو التاريخ الحقيقي الذي يجب على الفكر أن يطرحه على الوجود، وهذه هي الفلسفة - أو الحكمة الحقيقية - ومهمتها. لكن قَلْب ماركس لمعادلة هيجل على رأسها جعل ماركس مقلوباً أيضا، حتى إنه لم ير إلا الأوضاع المقلوبة بعيداً عن مرايا الوجود وانعكاسات الحقيقة وطبيعة الأشياء!

فإذا كانت فلسفة هيجل ـ بحسب تعبير ماركس ـ تحمل نقائض العصر، فإن فلسفة ماركس هي أيضاً كذلك، وهي خليط من جدلية هيجل مع قلب أساساتها وفلسفة فيورباخ والشبان الهيجليين فهي نتاج متطور لأفكار تُحجِّم الإنسان وتمسخ فطرته وتجعله عبداً للمادة ورقيقا لظروفها وإفرازاتها المختلفة ولأحداثها المتغيرة...

(١) Karl Marx, contribution to the critique of Hegel's philosophy of right: introduction, selected writings by robert c.tucker, w.w.company, New York 1988,P.P. 53-54 . نقلاً عن نقد فلسفة هيجل ص٢٣

ومع ذلك يؤلهونه!!! إنهم جميعهم قالوا ما قاله ماركس أنهم سيجلبون إلى ضوء الشمس حبات اللؤلؤ الخالص(١) ولكنهم في الحقيقة جلبوا طبقات السحاب الداكنة المظلمة على حبات اللؤلؤ الخالصة! ما سبب أزمة القيم وأزمة تفسخ باهظة التكاليف. لقد حجبوا ضوء الشمس عن الإنسان الغربي(*) فلم ير غاية وجود الإنسان في الكون وإنه على الرغم من سيادته على الأرض وخلافته فيها إلا أنه يحمل أمانة إلهية يجب عليه تحقيقها للحصول على السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة. ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٣٩) أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾ [النور:٣٩،٤٠].

إن الفيلسوف كيركيجارد - أول الوجوديين - وهو من الذين نقدوا هيجل نقداً عنيفاً (**) أكد هذه الحقيقة القرآنية، وهي مع انطباقها عليه إلا أنه عبر عن روح الفكر الغربي والواقع الخارجي وقت أن بدأ يسطر فلسفته ويضعها في خارج عقله! يقول «وعصرنا هذا الذي نعيش فيه هو في بؤس لأنه بلا وجدان»(٢) «لكل عصر رذيلته التي تميزه، ورذيلة عصرنا ليست هي اللذة أو الفجور أو الشهوة، بل

---

(١) لقد ادعى ماركس أنه يستطيع ذلك بإسقاط الستار عن كل المقدسات ونقد الدين Karl Marx, letter to gis father, selecterd writings, David Mcllan p. 8 انظر النص كاملاً في نقد فلسفة هيجل ص١٥١ .

(*) أرى من عقيدة الإسلام أن الإنسانية كلها هي اللؤلؤ الخالص - العربي والغربي وكل إنسان - فهي تحمل مسئولية خلافتها على الأرض لكن هؤلاء الفلاسفة ومن سبقهم من الكهنة حجبوا فعلاً ضوء الشمس عن هذه اللآلىء المكرمة إلهياً - فصار ظلاماً داكناً !

(**) اكد كير كيجارد كما اكد تلاميذ هيجل أن هيجل جرّد الإنسان من وجوده الحقيقي .

(٢) Kierkegaard the journale, op.cit.,p. 77 نقلاً عن نقد فلسفة هيجل ص٨٧ .

احتقار لا أخلاقي شامل للإنسان الفرد»(١) ويقول الحائز على جائزة نوبل للسلام «ألبرت شفيتزر» في تشخيصه للعصر الصناعي الحديث - وهناك فارق زمني بينه وبين كيركيجارد! - «أن الناس أصبحوا فاقدين للحرية بعد أن كانوا أحراراً . . فأحوال وجودهم إذن ليست أحوال طبيعية . . . إذن فوجودنا الفردي تنحط قيمته من جميع نواحيه، وأصبح من الصعب على الإنسان، أكثر من أي وقت مضى، في أن يصبح شخصية»(٢) والسبب عنده أن الإنسان أصبح عبداً للآله الصناعية!

بيد أنني أزعم أن السبب الرئيسي أن الإنسان أصبح عبداً لفلسفات عظيمه سببت له أزماته الروحية والمادية على السواء، وجعلته عبداً للأشياء ولم تجعله سيد الأشياء كما أراد الله له على الأرض! إنه انفصل عن كثير من أصوله الحيوية وقيمه الإنسانية ومنهجه الرباني ففقد نفسه وانفصل عن ذاته واستعبد للأشياء والمواد والظروف والتقلبات الأرضية. يقول الفيلسوف «كارل ياسبرز»: «فالإنسان إذ ينفصل عن أصوله، ويحرم من التاريخ الواعي ومن كل اتصال في وجوده الشخصي، لا يمكن أن يظل إنساناً . . . ونحن لانشك في أن الإنسان يستطيع أن يعيش في هذا النظام الآلي، بفضل آلاف العلاقات التي يعتمد هو ذاته عليها، والتي يساهم في بنائها: ولكن يظل في هذه العلاقات حداً لا كيان له. إذ يمكن أن يستبدل به غيره - فكان وجوده وعدمه سواء ...»(٣) .

إن هؤلاء الفلاسفة يشتكون من ضياع الإنسان . . وذاتيته . . وعندما يقدمون الحلول فإنهم يقدمون لك العجب العجاب . . وقد ضربنا لك الأمثال! وهم يدورون حول أفكارهم المدمرة للإنسان كالنملة التي انتُزِع قرنها وكالروح التي فقدت

---

(١) المرجع السابق . (٢) الإنسان والحضارة ص١٣٣-١٣٤ .

(٣) Karl Jaspers: la situation spirituelle denotreepoque (trad. fran paris 1951 p.p.52-53. نقلاً عن الإنسان والحضارة ص ١٣١ .

مكانهـا في الكون وتاهت عن غاية وجـودها! بيـد أن الخيط الفلسـفي الذي قلب موازين كل شيء في الغرب والذي وصل إلى إنكار وجود شخصيات وأنبياء ورسل في التاريخ، امتد وسيطر على العلوم التاريخية والاجتماعية والنقدية.

قد يكون التصـدي لهذا التحريف الكوني أقل إلحاحـاً إذا ما تعلق الأمر بالفكر الفلسفـي الغربي المنغلق على نفـسه، لكنه يكون أكـثر إلحـاحاً إذا ما تعلق الأمـر بأمرين عظيمين في الوجود وهو تأثير هذه الأساطير الفلسفية الجديدة على الإنسان عموما وعلى المسلم خصوصا، والثاني هو محاولة تفسير التاريخ الإنساني تفسيراً مادياً ومنه تاريخ الصراع الذي تم في التاريخ بين الأنبيـاء والمستبدين من أقوامهم. ومن هذه المحاولة يتم الوصول إلى تاريخ الرسول ﷺ ومحاولة تـفسيره تفسيراً مادياً ينفي الوحي ويلغي النبوة ويهدم أعمدة هذا الدين العظيم.

لقـد تم إنكار وجود المسـيح في التـاريخ واعـتُبـر أسطورة مخـتـرعة، حـتى إن البعض ذهب إلى إنكار وجود محمد ﷺ فـي التاريخ وهذا شيء مضحك حقا. لكن أدهى المحاولات التـي قام بها كـثير من الفـلاسفة والعلمـاء الماديين هو إنكار وجود الأنبياء والرسل في التاريخ وتحويل موسى من نبي رسول إلى كاهن مصري تأثر بالمفاهيم المصرية عن الوجود والحياة والإنسان!

إن كـثـيراً من العلمـانيين العرب من مـثل المسـتـشار مـحمد سـعيـد العشـماوي والدكتور سيد القـمني وغيرهما كثير سيأتي بالتـفصيل بدءاً من الفصل الثالث، - إن شاء الله- هؤلاء ذهبوا يقلدون هذه المذاهب في إنكار الحقائق والبديهيات، وهو مـا دعاني إلى كـتابة هذا الـكتاب وهذا الفـصل بالذات(*)، يُعد بيان جـذور هذه الأكـاذيب من الأهميـة بمكان ونحن إذ نرجع إلى مـراحل الصـراع - التي أبرزتُ بعض وحداته! - الكثيب بين الكنيسـة والفلسفة، والفلسـفات بعـضها ضد بعض،

(*) أقصد الفصل الأول.

وإن هذه الأقوال كانت رد فعل منحرف تجاه إنحرافات أخرى مقابلة في الوجود التاريخي لأزمنة هذا الصراع الذي انتهى لتأسيس مذاهب ومناهج نقدية فاسدة، ما فيها من شر وضلال أضعاف ما فيها من علم وخير. فكيف يمكن الوصول إلى الحقائق الكلية والمنهجية الشاملة بهذه النظرة الشائهة للتاريخ ولتطبيقاتها الخبيثة في إنكار وجود الرسل أو تحويل وجودهم من وجود نبوي رسولي إلى كهنوت وثني وعقد نفسية وآمال قبلية واهتبال فرص للظهور والبروز!

إن الخلاصة التي يمكن أن أخرج بها من هذا الفصل هي أن القول بأن الدين ما هو إلا أساطير وخرافات إنما هو إنحراف خطير يظهر كل حين في تاريخ البشرية نتيجة لظروف فكرية وسياسية واجتماعية مدمرة وغالبا ما يكون رد فعل - كما حدث في أزمة الوعي الأوربي - متطرف على أوضاع غير إنسانية مكبلة للإنسان، محطمة لإمكاناته وقدراته الإنسانية، كما أنها تكون نتيجة لإنحراف فكر الإنسان وتراجع قدراته العقلية وتضخم نظرته الجريئة الشائهة للأمور فيحكم على «الكلي» و «العام» بعوَر «الجزئي» و «الخاص»، ولا شك أن الفساد الأخلاقي والتحرر الجنسي والاعتزاز بالفردية كل ذلك يؤدي إلى خلل في الحكم، وتهور في الفكر، واضطراب في التصور، وجفاف في الوعي، وقصور في النظر، وخفة في العقل، وزيغان في البصيرة ويأس من الإحاطة الكاملة، والتسرع الطائش بالحسم القاصر الهزيل! وعقم النظريات، وهشاشة النقد، وعبث الإفتراضات!

الفصل الثاني

«وسط كل الأديان ، الإسلام هو الدين الوحيد الذي يمهد للإنسان طريقاً متكاملاً للعيش ، يسمح له وللمجتمع أن يعيشا معا في رخاء، وفي توازن فريد، الباقون كلهم إما يسحقون فردية الإنسان أو يحدّون من مسئولياته الإجتماعية»

مراد هوفمان. من كتابه «خواء الذات والأدمغة المستعمرة ص١٠٥.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ۝٣ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [الحج: ٣، ٤].

نظريات الطمس ومحاولات تغيير التاريخ البشري (*)

قدمت في الفصل الأول الظروف التاريخية الخطيرة التي أنتجت الأفكار في الغرب، وشكلت الوعي الأوربي الفلسفي المأزوم والمقابل للفكر الكنسي، وبينت أن الاتجاهين كانا قاصرين وعلى طرفي نقيض، وأنهما معاً يقفان متعارضين مع «المنهج الرباني» في الاعتقاد وقواعد التصور والفكر والنظر إلى غاية وجود الإنسان على الأرض.

وقلت إن التأثير الفكري والعقلي الإسلامي الذي عاش فعلاً في جزء من أوربا وهو الأندلس لمدة ثمانية قرون كان هو الذي فتح مجالاً للإنسان الغربي للتفكر والتعلم والتجريب والملاحظة. الشيء الذي عمل على بث الروح في الجسد الأوربي الميت ، فانتعش ونفض عنه أساطير الكنيسة وجهل العالم.. بيد أن المنهج الرباني الذي أثر على الإنسان الغربي وردّ له روحه لم يؤخذ من حواضر المسلمين كاملاً، وذلك لأسباب معروفة، فرواسب العداء بين الكنيسة والإسلام، كانت متمكنة من رواد الفكر والتجريب الغربي في آن واحد ففيما كان يقوم الإسلام بإنقاذ العقل الغربي ومدّه بعلوم العقل والملاحظة والتجريب كانت رواسب الكنيسة وعصبيتها البغيضة متمكنة من هذه العقول الناقدة والمتحررة ما أدى إلى

(*) يؤكد مونتجومرى وات أنه برغم أن العلماء والفلاسفة الأوربيون استفادوا مناهج فكرية وعقلية من المسلمين إلا أنهم رفضوا الإسلام وشوّهوه، ذلك أن تواجد الإسلام على حدود العالم المسيحي أدى بهم إلى تغيير صورة الإسلام وعدم قول الحقيقة عنه، وبدلاً من إحلال الفكر الإسلامي الذى أوصل القواعد التجريبية للغرب مكان الكنيسة وخرافاتها تم إحلال فلسفة أرسطو وغيرها مكانه « فإن إحلال أرسطو مكان الصدارة في الفلسفة والعلوم ينبغى النظر إليه باعتباره مظهراً لرغبة الأوربين في تأكيد اختلافهم عن المسلمين ولم يكن هذا النشاط السلبى تماماً المتمثل في التنكر للإسلام أمراً سهلاً، بل كان في الواقع أمراً مستحيلاً خاصة بعد كل ما تعلمه الأوربيون من علوم العرب وفلسفتهم مالم يكن قد صاحب هذا التنكر نشاط إيجابي(!) ... متمثلاً في العودة إلى ماضى أوربا الكلاسيكى أي إلى حضارتى الإغريق والرومان» فضل الإسلام على حضارة الغرب ص١٠٨ .

وقوعها في قصور شديد وخلل جسيم وتعصب شديد، وكراهية عنيفة منعت من نفاذ النور كاملاً وحضور العقل، وبينما كانت العملية النقدية لعقائد الكنيسة وأساطيرها قائمة على قدم وساق كانت العقلية الغربية تدمر معها كل ما يتعلق بالدين والوحي والغيب والسماء معتقدة أن الكل سواء ولا فرق بين الدين عموما وأساطير الكنيسة وتعاليم الكهنوت اليهودي الأسطوري.

فكانت بحق (الكارثة الكبرى) في تاريخ الإنسان الغربي الذي وضع مناهج جديدة على هذا الأساس الأعمى، والذي كان قد بدأ ببصيص من نور العقل الاسلامي الذي كان رابضاً بمشاعله في حواضر أوربية كبلاد الأندلس وصقلية يفتح أذهان الإنسان أيا كان لونه أو جنسه أو عرقه أو دينه لرؤية العالم بعيداً عن الكهنوت الذي كان قد حجب الكتب الدينية والعلمية عن الإنسان، وبعيداً عن الأساطير التي تحجب العقل وتشل الفكر لذلك فإن العقلية النقدية الشائهة في الغرب كانت على الرغم مما تحمله من بذور الخير ماتزال تحمل إرثاً عدائياً للإسلام فجمعت الإسلام والكنيسة في سلة واحدة.. فلم تتحرر فعلياً كما كانت تبغي ولكنهاخرجت من أساطير الكنيسة لأساطير الفلسفة التي كانت ترنح من نخب خمر النصر على مقدساتها ومسلماتها! ولما أفاق الإنسان الغربي من غيبوبة النصر وجد نفسه قد وضع مناهج تدمر الدين وتمسخ صورته وتخرجه من طبيعته، وتحقر الإنسان بصورة مختلفة عن ما فعلته الكنيسة المنقوضة وقد أدى ذلك فيما بعد إلى تفكك الإنسان وتجزئته ثم تلاشيه فإعلان موته!!

سأحاول أن أربط بين الفلسفة والكنيسة في طبيعة النظرة التي لم تتغير كثيراً قبل أن أدخل على الأساطير التي وضعها فرويد عن موسى عليه السلام والتي تمكنت من العقلية العلمانية المتطرفة التي تسيطر في بلادنا على منابر إعلامية وثقافية خطرة ومؤسسات علمية وأكاديمية عريقة!

وفي ذلك الربط فائدة كبيرة للقاريء حتى يتعرف على خلفية الصراع الشديد

القائم اليوم في العالم الإسلامي بين المفكرين والعلماء المسلمين وبين هؤلاء العلمانيين الذين تأثروا تأثيراً كبيراً بأساطير الفكر الفلسفي الغريب المحمّل برواسب الكنيسة الغربية الحاقدة وبقصور النظرة تجاه الدين والغيب والوحي والنبوة.

لقد بدأت الصورة الشائهة عن الإسلام تتكون في العقلية الغربية وتصنع تأثيراتها الخطيرة حين بدأت أغنية «رولاند» في القرن الحادي عشر ومطلع القرن الثاني عشر ترسم معالم للإسلام والمسلمين ورسول الإسلام غريبة جداً فالمسلمون وثنيون يتحدون في فيالق من النوبة وعبيد صقالبه والأرمن والزنوج، في عبادة الثالوث: محمد وترفاغات وأبولوب[1]!!

«وهكذا - يؤكد مكسيم رودنسون - فالمؤلفون اللاتين الذين شرعوا بين (١١٠٠ ، ١١٤٠) في تلبية هذه الحاجة عند الجمهور الكبير ركزوا جهودهم على حياة محمد بدون أن يبالوا كثيراً بالصواب أو الدقة، مفسحين المجال حراً كما قال زود سوذرن . . . إلى «جهل الخيال الظافر». في نظرهم كان محمد ساحراً دمّر الكنيسة في افريقيا وفي الشرق بالسحر والخداع وبإباحته الاختلاط الجنسي[*](!) العام»[2] فتم اختلاق أساطير عن محمد ﷺ في الغرب المسيحي مازالت بقاياها تحتل مكاناً في الفكر الغربي والروايات الشفهية المتناقلة على الألسنة والمتمكنة من الوجدان الغربي!

مع أن الباعث على اختلاق هذه الأكاذيب كان هو الحقد على الاسلام وليس

---

(١) انظر جاذبية الإسلام للمستشرق مكسيم رودنسون ص١٨ .

(*) يقول متوجومرى وات في كتابه فضل الإسلام على الحضارة الغربية ص١٠٣ «بل ذهبوا إلى أن القرآن يبيح الشذوذ الجنسي» ويقول قبل ذلك «والواقع أن الصورة الأوربية للإسلام هى أبعد ما تكون عن الحقيقة ص١٠٢ .

(٢) جاذبية الإسلام لمكسيم رودنسون ص٢٠ .

رؤية هادئة متوازنة وهو ما يُعبّر عنه «غيبر دو نوجان (المتوفي نحو ١١٢٤-١١٣٠) بقوله «يمكن بلا تردد أن نقول شراً عن الذي تتخطى طبيعته الشريرة كل ما يمكن قوله من شر»[١]!!

وبحسب الخبرة العلمية العميقة بالفكر الغربي والاستشراق والحقد القديم يقول الدكتور عبدالرحمن بدوي «وكانت هذه الدعاية قائمة على أساطير وأكاذيب جديدة لكتاب لم يعدموا الجهل بالأحداث التاريخية كما لم يحرموا موهبة تلفيق الأكاذيب. وكانت ثمرة هذه الدعاية هي ما اصطلح على تسميته منذ ثلاثة قرون في أوروبا باسم «أسطورة محمد»[٢]

ويلخص لنا «أليساندرا داكونا» صورة أربعة قرون كاملة من صنع الأكاذيب والأساطير عن رسول الله محمدﷺ بقوله «إن محمداً نفسه يقدم لنا مرة على أنه وثن ومرة أخرى على أنه مسيحي يُدعى أوكين، أو بلاجيوس أو نيقولا. وهو ساحر، وأمي وعالم في بولونيا: وقد جاء من القسطنطينية أو من أنطاكية أو من أزمير، أو من مناطق وثنية أخرى أو مناطق مسيحية، وهو مرة عربي، ومرة أسباني، ومرة أخرى روماني من عائلة كولونا، ومرة يختلط اسمه باسم معلمه(!)، ومرة يكون هو الراهب، أو المطران الذي كان على وشك أن يصبح بابا عند آخر الكتّاب الذين ذكرناهم (يعقوب الأكويني) ... وقد ناقشنا هذا الثالوث نيقولا، وسيرجيوس، محمد، وقد يأتون أحياناً أربعة ... ومن أسطورة لأخرى تتغير الأسماء والأحداث: ويظهر الفن الشعبي والتقاليد الشفوية بقوة في الروايات مما يعكس الاضطراب في العقليات»[٣] الاضطراب في العقليات - وبحسب

(١) المرجع السابق ص٢١ .
(٢) دفاع عن محمد ضد منتقديه .
(٣) اليساندرا داكونا «أسطورة محمد في الغرب ص٢٦٢-٢٦٣ في «الجريدة التاريخية للأدب الإيطالي» مج١٣(١٨٨٩) نقلاً عن المرجع السابق ص١٦ .

الدكتور بدوي - المغرقة في الحماقة والغباء[١] وقد وصل الحد بهذه العقليات المنحرفة أن زعمت أن الرسول ﷺ أباح للمسلمين كل أنواع الفساد الأخلاقي والتحلل الجنسي. وزادها الراهب جيوبرت رئيس دير نوجينت (١٠٥٢-١١٢٤م) الذي زعم أن الرسول هو راهب في كنيسة الإسكندرية وأنه «جاء ببقرة ووضع بين قرنيها كتاباً صغيراً وأخفى هذه البقرة عن أتباعه، وفي أحد الأيام أخرج هذه البقرة أمام العامة وجعلهم يقرأون الكتاب الصغير الذي كان بين قرنيها»[٢] كما كتب مطران غرناطة بيير باسكايو (١٢٢٨-١٣٠٠م) فزعم أن محمد روض ثوراً أمده به بحيرا الراهب - بزعمه! - وكان الوحيد الذي إستطاع ترويض هذا الثور! «وألف القرآن بمساعدة الراهب حيث كان مكتوباً على قرن الثور(!)»[٣]!!!

يقول الدكتور بدوي تعليقاً على خبل المطران «وروايته تكشف عن خيال مضطرب مع أنه كان يعيش بين المسلمين وفي قلب مملكة غرناطة التي ظلت إسلامية حتى نهاية حكم المسلمين في أسبانيا عام(١٤٩٢) إنه لم يستفد إذاً من حياته في بلد إسلامي ومعايشته لأيام المسلمين ووجود كل ألوان الكتب في متناول يده»[٤]

سيرى القارىء الكريم صوراً لهذا المطران في عالمنا العربي والإسلامي تتمثل في كثير من العلمانيين والمنحرفين والذين قدمنا نماذج لبعضهم في كتابنا هذا وذلك بعد عرض أسطورة فرويد عن موسى عليه السلام. فليس الأمر هو أن يعيش المرء في العالم الإسلامي أم لا يعيش فيه، فالخفافيش تعيش تحت الشمس وتحت ظل قبة السماء لكنها تكتفي بالليل البهيم وترضى العيش في حلكة الظلام.

وقد زعم «بوديي» في التاريخ العام للأتراك عن النبي مايلي «فإنه لجأ كنبي مزور إلى الأكاذيب والجوانب الأسطورية ليغذي بها أحاسيس شعب خشن وجاهل مثل العرب ... وبينما هو يتلهى (!) ببعض القصص التي تحكي ما جاء به من

(١-٢) المرجع السابق ص٦ . (٣) المرجع السابق ص١٠ .

(٤) المرجع السابق ص١١ .

جديد، إذا بحمامة مروضة لهذا الغرض تطير من مكان قريب وتستقر على كتفه لتنقر حبات كان قد وضعها تحت أذنه ، وهكذا أوهم العرب بأنها تملي عليه إرادة الله وقوانينه»[١] .

وحكاية هذه الحمامة والأذن في الأسطورة الكنسية ترددت كثيراً في الكتابات القديمة والحاقدة ورغم سخافاتها فإنها كانت مقبولة عند الغربيين المضحوك عليهم! وقد رددها «هوجو دو جروت» آيبا (وهو باللاتينية ادوجروتيوس) وهو الكاتب الشهير للرسالة المسماة (قانون الحرب والسلام)، أمستردام (١٦٣٠) زعم «أن محمداً روض حمامة لتطير إلى أذنه» وقد كان هذا الهوجو كما قال دكتور بدوي «كاذباً كبيراً ورجلاً مجرداً من أي ضمير علمي»[٢] مع أنه كان من أعظم العقليات في أوربا وقد مدحه «ليبني» في كتابه «المذهب الذي لا يقارن» وكذلك «بيير بايل» في كتابه «القاموس التاريخي والنقدي» وكيف يكون هذا الكذاب عقلاً كبيراً وقد زعم في دين العلم والقراءة وفي الرسول الذي كان يجعل مقابل اطلاق الأسرى أن يعلموا المسلمين الكتابة، زعم هوجو أن محمداً حرّم على الشعب قراءة القرآن يقول وهذا التحريم ليس عادلاً كما أنه يصيب بالشك المبرر في أنه يخفي نظاماً تعسفياً يمكن أن تكشفه القراءة في كتبه» (ص٢٨٩)

ويعلق الدكتور بدوي على ذلك بقوله «بأي هلوسه يلوم جروت على الإسلام ما هو لوم على المسيحية (الكاثوليكية، وهو أن قراءة القرآن محرمة على المسلمين (ألا يعلم أن قراءة القرآن وحتى حفظه عن ظهر قلب مفروضة على كل مسلم ومسلمة[*][٣] وعن الزعم بأنه أعظم الناس في أوربا - يقول بدوي - فهو أعظم

---

(١) عربي، هل قلت ص١٣٦ . (٢-٣) دفاع عن محمد ص٢٣ .

(*) كنت في زيارة لوالدة عبدالله وزينب (مسلمين هولنديين) يوم ١٥/ ٢/٤/ ٢٠٠٢، فأخبرتني هذه المرأة التي خاضت معارك فكرية مع رجال من الكنيسة الكاثوليكية وقامت بنقد خرافاتهم، أخبرتني أن الكتاب المقدس كان ممنوعاً قراءته عليها وعلى رواد الكنيسة، فحتى ذلك الحين أى منذ نصف قرن ـ عمرها اليوم ٨٢ عاماً ـ كان الإنجيل الحالي ممنوع قراءته كما انه لم يكن متوفراً لدى الشعوب !

من وصل إلى الغباء المطلق أو الخيانة العلمية المطلقة، ولذلك يجب أن تقلب الأحكام التقرظية الصادرة في حقه إلى النقيض[1] وهكذا كان الابتكار الخرافي الخالص - يقول مكسيم رودنسون - الذي كان له لهدف واحد وخز إهتمام يختلط بنسب متغيره، بالتشويهات الايديولوجية التي تضرب الحقد مع العدو إلى الحد الأقصى[2]

ويحكي لنا الدكتور عبدالرحمن بدوي(*) لوناً من الوان التشويه الذي زيف شخصية رسول الله محمد ﷺ «تأخذ الأسطورة منحنى آخر عند الراهب جيوبرت رئيس دير نوجينت (١٠٥٢-١١٢٤م) فظهرت أسطورة جديدة تقول بأن بطريرك الاسكندرية حين مات أراد راهب أن يخلفه في وظيفته لكنه طرد من الكنيسة، فوسوس له الشيطان بأن يعلن بأنه المسيح، ولقد قام هذا الراهب واسمه (ماثوموس) وهي التسمية التي صار يكتب بها اسم محمد(**) بالزواج من أرملة غنية إسمها خديجة وأشاع أنه نبي بين حشد من الناس. ولقد جاء (ماثوموس) ببقرة ووضع بين قرنيها كتاباً صغيراً (!) وأخفى هذه البقرة عن أتباعه (!)، وفي أحد الأيام أخرج هذه البقرة أمام العامة وجعلهم يقرأون الكتاب الصغير الذي كان بين قرنيها، وقد وجدوا في هذا الكتاب جملاً تحلل لهم لكل أنواع الفساد الأخلاقي، وتبيح لهم أكل كل اللحوم المحرم أكلها على الناس. ويتضح جليا - والكلام مازال للدكتور بدوي - أن هذه الأسطورة المضللة قد بني واضعها قصتها على أمرين، أحدهما: قصة الراهب (بحيري) التي وردت في كتب السيرة، واسم (سورة

---

(١) دفاع عن محمد ص٢٣ .

(٢) جاذبية الإسلام ص٢١ .

(*) الدكتور بدوى في حالة سيئة جداً في مستشفى بالقاهرة، على حسب ما قرأت في جريدة الحياة، في شهر يناير ٢٠٠٢، أسأل الله ان يشفيه فإن توفاه إليه أن يغفر له، ويضمه مع المخلصين، آمين .

(**) بنفس هذه الطريقة من التحريف المتعهد يقوم العشماوي وسيد القمني وزياد منى وكمال الصليبي وغيرهم مما سيأتي ذكرهم بتغيير معالم الأسماء وخلطها خلطاً فاحشاً كما سيأتي ذكره !

البقـرة) السـورة الثـانية الواردة في القرآن، ومن خـلال هذين الأمرين نـسج خـيال كُتاب أوربا في العصور الوسطى هذه الأسطورة المفروضة في الحماقة والغباء»[١]

فأنت هنا ترى أن الكنيسـة تزور الحقائق وتختـرع الأساطير وتثير الأحـقاد تجاه الإسلام، وهذا هـو الشيء الذي ورثته الفلسـفة وإن تغـيرت صورته فـي القرون وتغيـرت أساطيـره في الرؤى الجديدة وعند أصـحاب العلوم الذين كـان للإسلام الفضل عليهم في مـنحهم عقلا وفكراً، فهـذا «فرنـسيـس بيكون» (١٥٦١-١٦٢٦) الذي تعلَّم علوم المسلمين العقلية والتجريبيـة وتعرّف على الإسلام عن قرب، وهو داعية المذهب التجريبي الشهيـر، يحكي في أحد مقالاته والمسمى «الخدعة» يحكي مثلا أن محـمداً قال للعرب ذات يوم أنه يـستطيع أن ينادي الجبـل ليأتي إليه. وقد كان بعيداً ، ولكن بعـد أن ناداه محمد لم يأت ولم يتحرك وهنا قـال محمد لهم «إذا كان الجبل لم يأت إلى محمد فإن محمد سيذهب إلى الجبل»(!) يعلق الدكتور عبـدالرحمن بدوي على هذا التـزوير بقوله «وإنني أتساءل كـيف يمكن لرجل يدعى أنه يقيم أسس المنهج التجريبي وقواعده أن يعتقد في حقيقة تلك الفرية المختلقة ! وللأسف فإن بعض السفهاء يرددون تلك الاسطورة حتى يومنا هذا»[٢]

فالعقلية الأسطورية الغربية لم تتغير ، وإن أخذت شكلها الجديد في الفلـسفة والعلوم الإنسانية والاجتماعية والنفسية![*]

وحتى العقلية التـجريبية الغربية التي منّ الإسلام عليـها بمنهاج تجريبي عظيم، كان المسلمون قـد صاغوا قواعـده في قوانين دقيقة، مـدهشة وعجيـبة، حتى هذه

---

(١) دفاع محمد محمد للدكتور بدوى ص٦ .
(٢) دفاع عن محمد ﷺ ص٢٢ .

(*) وهيجل قال عن المسلمين «إنهم يتحـمسـون للمجرَّد، لفكرة مجردة تظل سلبيـة تجاه كل ما هو موجود» من كتابه دروس حـول فلسـفة التاريخ(١٨٣٧) ولو كان الأمـر كما زعم ما أنتج المسلمـون الحضارة التي كانت أسـاس كل إيجاب في العالم، وما السلب الذي دخل على عـالم الإنسـان إلا من ضـلال هيجل وأمثاله ، راجع الفصل الأول أخى الكريم .

العقلية كما قد رأيت أخي القاريء في مثال «بيكون» لم تتحرر كاملاً من العقلية الكنسية التي ظنَّت أنها انتصرت عليها وتحررت من قيودها العقلية والفكرية والبيئية!!

كذلك فإن «سيجموند فرويد» الطبيب اليهودي النمساوي، والذي ولا شك - كما قدمنا - كان متأثراً بالفكر الفلسفي وبهذا الإرث المروث عن العقل الكنسي، إن «فرويد» لا يختلف كثيراً وهو الذي توفى سنة ١٩٣٨م (من القرن العشرين) عن رواد صناع الأساطير المزورة عن الرسول محمد ﷺ، والذين كانوا في الأساس مسيحيين - ويهودا - متعصبين!، وهو الذي يدعى موضوعية العلم وبعده عن الانسياق وراء التلفيق الفكرى والتاريخى[١] رواد القرن الحادي عشر والثاني عشر الميلادي اقرأ نصه المشوّه للحقائق الذي يقول فيه «... الديانة المحمدية ظهرت مقلدة لليهودية. وهناك من الأسباب ما يدعونا إلى الاعتقاد بأن النبي محمد كان يزمع في الأصل اعتناق الديانة اليهودية، هو وكل شعبه (!)، وأثمرت لدى العرب العودة إلى الإيمان بالأب الواحد البدائي الكبير تقدما غير عادي في الثقة بالنفس، ثقة أدت بهم إلى إحراز نجاحات دنيوية عظيمة»[٢][*].

إن فرويد كما ترى يكرس ذهنية الأساطير الغربية عن الرسول محمد ﷺ وبدل أن كان محمد ﷺ في الأساطير والرؤى الغربية والصليبية القديمة وثناً أو ساحراً أو كاهناً مسيحياً مرتداً، أو مطراناً مطروداً وكان يسعى ليصبح بابا، أو أنه متأثر بالمسيحية!، بدل أن يكون محمداً شيئاً من ذلك يقوم فرويد في العالم الجديد بنسج أسطورة جديدة

---

(١) انظر قراءة سياسية للتوراة ص١٠٣ .

(٢) النبي موسى ورسالة التوحيد لسجموند فرويد ص١١٤-١١٥ .

(*) أما «بالذاك» فقد قال ـ فيما يصنع أسطورة سخيفة عن الرسول محمد ﷺ «محمد هو شخصية اتحد فيه سحر الصابئة العتيقة(!)، وشعر الديانة اليهودية الشرقى ... صحيح أن محمد اقتبس من اليهود فكرة الحكم المطلق(!)، ومن الديانات الدعائية ... لقد كان قدره مرسوماً من خلال ولادته نفسها، لقد كان أبوه ملحداً(!)، وكانت أمه يهودية(!)!!!!! بالذاك: غالمبارا «١٨١٤» نقلاً عن عربي، هل قلت عربي ص١٣٢ .

تزعم أن الرسول كان يزمع هو وكل شعبه اعتناق اليهودية.. ويقولون بأن فرويد كان طبياً وليس مريضاً!!

لقد أثمرت الأساطير المسيحية واليهودية القديمة عن الرسول أساطير حديثة رجالها أطباء وعلماء في مختلف المجالات ينسبون للرسول أشياء يعجب لها المرء، يعجب كيف أن الخيال الغربي مضطرب إلى هذا الحد إذا ما تعلق الأمر بالله أو الرسل أو النبوة أو الوحي أو الغيب، ثم يزداد العجب أكثر عندما أقرا لبعضهم يزعم أن العقلية الغربية عقلية واقعية والعقلية الشرقية عقلية خيالية ضبابية!

وهذا «فرويد» يخبرك عن خياله ويطلعك على خباله، عندما يضع للبشرية أسطورة الأب الذي قضى عليه ابنه كراهية له بسبب منافسته على أمه[1] أو أسطورة الأبناء الذي كانوا يرغبون في أمهم جنسياً وكان الأب الأول مستبداً عنيفاً فقتلوه ليحصلوا عليها .. ثم ندموا ثم عبدوا روحه ثم عبدوا آلهه شتى.. ثم عبدوا الإله الواحد كرمز للأب المقتول، وهو الذي يزعم فرويد أننا نحن المسلمون نعبده!

أليس هذا خيالاً ساقطاً، خيالاً غربياً وليس شرقياً![*]

---

(١) يقول فرويد «إن الكراهية التي تنشأ في نفس الولد نحو أبيه بسبب منافسته على أمه، لا تستطيع أن تستولى على نفسه دون أن تتعرض للمنع والحجر، فإن عليها أن تصارع الحب والإعجاب اللذين نشآ قبل ذلك في نفسه تجاه الشخص ذاته» من كتابه المحرم والطوطم ص١٣٩ ، هذه الكراهية التي يلوث بها فرويد الجنس البشرى كله، وهذا الميل المزعوم نحو الأم رغبة في الحصول عليها جنسياً هو خيال فرويد المريض المسرغ في عالم الجنس المتطرف، إنه يجعل هذه النفسية حقيقة للطفل الإنساني كله ويجعل من ذلك قصة قتل الأبناء الآباء لأجل الحصول على هذه الأم المزعومة ويزعم أن نشأة الدين والأخلاق نتجت عن هذه العقيدة وظروفها وتطوراتها التاريخية !!!

(*) ومع ذلك يقول إيمانويل كانط في ملاحظات حول الجمال والسمو ١٧٦٦ « أن مخيلة العربي تصور له الأشياء انطلاقاً من أضواء مُشَوَّهة » انظر كتاب عربي ص٨٧ .

ولا أعـرف أين إدعاءات الموضـوعيـة والملاحظة العلميـة الرصـينة، والعمليـة التجريبية الـبحثية في هذا العالم الخيالي المزور الذي صنعـه فرويد للبشرية وللدين وللأنبياء، وهو العالم الذي تصوره فرويد عن التاريخ البشري على الأرض.

ويقولون إن فرويد كان متخصصاً في معـالجة الأمراض العصبية والنفسية، وهو الذي له ثلاثون كتاباً في الدراسات النفسية!

لقد رأى فـرويد ظواهر إنسانية عـامة كما رأى ظواهر مرضيـة منحرفة عند مـرضاه فاختلط عليه الأمر فجعل ما هو مرض وعـارض وخاص بفئة معينة لها ظروف خاصة، جعل ذلك عـاماً وكلياً وبشريا مطلقـاً فكانت أغلب نتائج أبحاثه وتفسيراتها منـحرفة حقا! ثم وضع لذلك كله رؤية خاصة أحادية وتفسيـراً معيناً جزئياً ومشوهاً على خليط من أفكار دارون وغيره من الذين انحـرفت رؤيتهم في نظرتها إلى الإنسان والحيـاة وفقه الكون، هذه الرؤية الفرويدية أضـرّت بحقائق الانسان، وحقـوق الطفل، وحقائق الدين والتاريخ!، وهي في النهاية تؤدي إلى إختفاء دور الخليـفة ومرجعية الخلافة![*] بيد أن المشكلة التي نواجـهها فـي مجتـمعاتـنا الإسلاميـة اليوم، ليـست هي انحرافـات فرويد اليهودي فقط، ولكن المشكلة الخطيرة التي نواجهها أيضاً هي انحرافات كثير من المثقفين العلمـانيين العرب الذين أقـاموا أنفـسهم رسـلاً لأفكار فرويد وغـيره وأساطيـرهم عن الإنسانية والأنبياء والغيب والشرائع السماوية.

كذلك فإنني في هذا الفصل سوف أعـرض لموقف فرويد من النبي موسى عليه السلام ومن ثم موقف (رسله من العلمانـيين العرب) من النبي موسى وكذلك من

(*) يقول الدكـتور مراد هوفمـان الـسفير الألماني الذي أسلم منـذ زمن « اتخذ الكثيرون الفـرويدية عذراً في التنصل من مـسـئولياتهم ، أليـست تصرفاتهم صـادرة عن اللاوعي؟ التحرر من (إمـلاءات الأنا العليا) أصبح على قائمـة الرغبات، باختصـار تغذى الفرويدية، ليـس فقط المادية والجنس ومـبدأ اللذة فوق كل شيء بل وتنفث الـسمـوم في صرح التقاليـد والأخلاق ... وفي الواقع أصبحـت الفرويدية ـ ماأرادت إزاحتـه ـ شكلاً جديداً لـدين سحرى زائـف، للعلاقة الجنـسيـة فـيه مكانـة بارزة، أصبح فـرويد وزملاؤه مـستبدين بمثل الاستبداد الـسابق للكهنوت المـسيحي» من كتابه خواء اللذات والأدمغة المـتعمرة ص٥٣ .

الدين والتوحيد والأنبياء والغيب والشريعة، ليتعرف القاريء على مصادر الثقافة العلمانية التي تقف بالمرصاد - وفي مواقعها العتيدة! - للثقافة الإسلامية الأصيلة وللمنهج الرباني الذي هو مصدر هذه الثقافة ومنبعها الصّافي.

إن مصدر العلمانية العربية هو خرافات وأساطير وخيال العقل الغربي الشائة الذي كونته ظروف صراع مرير ضد الكنيسة الغربية. هذا هو ما أردت تقديمه بين يدي أساطير فرويد وفليكوفسكي والعشماوي والقمني وغيرهم ليضع القاريء يده على ظروفها وآليتها وأهدافها وغاياتها وأيديولوجياتها الكامنة خلفها والمستترة وراء مزاعمها العلمية والموضوعية!

فرويد الطاغوت الذي يعبده باحثون عرب:

«سيجموند فرويد» اليهودي المولد، عالم التحليل النفسي الغربي الطبيب النمساوي هو صاحب فلسفة تكمن خلف أبحاثه السيكلوجية وخلف نظرته عن الإنسان وعن الدين وعن الحياة الاجتماعية البشرية قدمناها في الفصل الأول. وفي **هذا الفصل نريد إظهار موقفه من موسى عليه السلام ومن مفهوم الدين.**

إن «فرويد» يقلب التاريخ النبوي العام - بل والتاريخ البشري كله! - ويزعم أن عقيدة التوراة التي تقول بأن موسى نبي عبراني ورسول من عند الله كذب وتزوير وقلب للحقائق التاريخية!.. هكذا جملة واحدة!! وبفلسفته في التحليل النفسي يصل فرويد إلى أن الإنسان موسى ... لم يكن يهوديا بل مصريا»[1] إنها «النتيجة المستخلصة» أو التي مؤداها أن موسى كان عظيما من عظماء المصريين»[2]

فاليهود في زعمه هم الذين اخترعوا موسى العبراني لمصلحة إتجاهاتهم ما أدى إلى إخفاء حقيقته المصرية بوصفه مصري من أتباع إخناتون؟، يقول «وليس بوسع أي مؤرخ أن ينظر إلى القصة التي ترويها التوراة عن موسى والخروج بأكثر من أنها

---

(١) النبي موسى ورسالة التوحيد ص٣٦ . (٢) المرجع السابق ص٣٥ .

أسطورة دينية قلبت إحدى الروايات البعيدة لمصلحة إتجاهاتها»[1]

كما أنه يزعم أيضاً أن التوراة «نسجت أساطير الآباء إبراهام وإسحاق ويعقوب»[2] بيد أنه لا يكتفي بهذا الهراء بل يزعم أنه سيعيد بناء التاريخ البشري في روايته الكبرى وفي نموذج منها هو رواية تاريخ موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ، يريد إعادة بناء الرواية[3] من جديد!

فيقول بأن موسى الحقيقي مصري الأصل ولم يكن قط من بني اسرائيل! «هذا هو ما نقرر تاريخياً، وعند هذه النقطة يبدأ العمل في الرأي الذي نراه، وربما كان هناك رجل من خلصاء إخناتون يُدعى تحوتمس Thothmes كما كان يدعى الكثيرون في ذلك الوقت ولايهم الاسم ولكن الجزء الثاني من اسمه لابد كان «موسى Mose» وكان يشغل منصباً كبيراً(*) وكان من المؤمنين المقتنعين بديانة آتون، ولكنه كان على نقيض الملك المتأمل، كان ذا قوة وعاطفة متدفقة، وكان موت إخناتون والقضاء على ديانته يعني بالنسبة لهذا الرجل نهاية كل آماله ولم يكن يستطيع أن يبقى في مصر إلا منفيا أو أن يرجع عن دينه ويُنكره. وإذا كان حاكماً لإقليم من أقاليم الحدود فمن المرجح(!) أنه اتصل بقبيلة سامية معينة كانت قد هاجرت منذ بضعة أجيال، وتحول في يأسه وفي وحدته إلى أولئك الأغراب(!) وبحث فيهم عن تعويض لما كان قد فقده(**)، واختارهم ليكونوا شعبه، وحاول أن يحقق من خلالهم مُثُله، وبعد أن غادر مصر

---

(١) النبي موسى ورسالة التوحيد ص٥٦ . (٢) المرجع السابق ص٦٧ .

(٣) المرجع السابق ص٥٦ .

(*) يزعم فرويد أن موسى كان على الأرجح من كبار كهنة هيليوبولس أى «عين شمس» مركز عبادة «آتون» انظر قراءة سياسية ص٣٢٨، وبتعبير أحمد عثمان «كما جادل كتاب فرويد الأخير موسى والتوحيد المنشور عام ١٩٣٩ أن موسى كان أحد المسئولين عن بلاد الفرعون إخناتون وكان يسمى تحتمس ، كان نصيراً للديانة «الآتونية» الأصول المصرية لليهودية لأحمد عثمان ص٨٧ .

(**) بالله عليك أخي القارئ هل هذا تحليل نفسي أو علمي أو حتى تحليل إنسان عاقل ؟!!!

معهم(*) يصحبه أتباعه الملاصقون، باركهم بختانهم ومنحهم الشرائع وبشرهم بديانة آتون التي قد نبذها المصريون تواً(!) وربما كانت الشرائع التي أخذ بها موسى يَهُودَه كانت أقسى من الشرائع التي استنها سيده ومعلمه إخناتون، وربما كان قد ألغى كذلك الارتباط بإله الشمس في أون، الذي كانت ديانته إخناتون ماتزال من المؤمنين به ويجب أن نحدد زمن الخروج من مصر بأنه جرى خلال الفترة التي وقعت بين حكم إخناتون وحكم من وِلِيَ العرش بعده سنة ١٣٥٠م. وتغُمضَ بصفة خاصة الفترات الزمنية التالية حتى إمتلاك أرض كنعان... ومؤداها أن اليهود الذين وصفتهم التوراة نفسها بأنهم كانوا عنيدين لا يطيعون مشرّعهم وزعيمهم، وتمردوا عليه آخر الأمر وقتلوه وطرحوا عنهم ديانة آتون التي فرضها عليهم... وأنهم هناك في بقعة خصيبة اسمها قادش وتحت تأثير قبائل مدين العربية، اعتنقوا ديانة جديدة هي عبادة إله البراكين يهوة. وبعد ذلك مباشرة كانوا مستعدين أن يفتحوا أرض كنعان.(١)

وهكذا وضع موسى في «عهد اخناتون» وجعله أحد أتباعه وتلاميذه وقواده الأقوياء ثم زعم أنه كان يعتقد ديانة اخناتون، ديانة إله الشمس! ، ولما هزم اخناتون.. إضطر موسى المصري - بزعمه طبعا! - أن يبحث عن شعب يحمل الفكرة الأتونية المصرية التي رفضها المصريون توا، فوجد شعب اليهود الذين وافقوا على أفكاره الآتونية وعلى الخروج معه من مصر لتحقيق أحلامه وأحلامهم التي صنعها هو بنفسه لهم.. لكنهم ما لبثوا أن قتلوه وتخلصوا منه.. بعد الخروج بفترة.. تخلصاً من العقيدة الآتونية .. ولسبب نفسي غائر في النفس البشرية لابد أن يحقق تجربته المكررة وعودته العنيفة بقتل الأب البارز الطاغي المستنير وهو في هذه الحالة «موسى» ، فيتحقق تصريف الكبت المكتوم في الصدور ويتم «عودة

(*) يقول فرويد « يمكننا أن نفترض (!) أن ذلك الخروج وقع بطريقة سليمة تماماً وبلا مطاردة» انظر قراءة سياسية للتوراة ص٣٢٧ .

(١) النبي موسى ص٨١-٨٢ .

المكبوت»! يزعم فرويد بناء على أفكار دارون عن الشعوب البدائية المزعومة التي زعم أنها كانت لا تعرف اللغة ولا الدين ولا الأخلاق ولا شيء من هذا القبيل، وبناء على أفكار «أتكنسون» في مفهوم النظام الأبوي القديم الذي أدى - بزعمه - إلى تمرد الأبناء الذين اتحدوا ضد الأب وتكاثروا عليه وأكلوا جميعا جسمه يقول بناء على هذه المقدمات المزيفة «وقلت متابعاً نظرية روبرتسون سميث في الطوطم أن هذه العشيرة التي كان يحكمها الأب سابقاً، أعقبتها عشيرة أخوية طوطمية. ونبذ الأخوة المتصورون النساء اللاتي من أجلهن قتلوا الأب(!)، ووافقوا على أن يتزوجوا من خارج عشيرتهم، وهكذا تبددت سلطة الأب(!)، ودخل التنظيم الأسري عن طريق النظام الأموي. وظل هناك إحساسات لدى الأبناء، يعارض كل منهما الآخر تجاه الأب... وبدلا من الأب أعلن عن قيام طوطم من حيوان معين، حل محل جدهم والروح الحامية لهم... وكانت العشيرة تجتمع مرة كل عام تحتفل بطوطمها ... وكان تكراراً مقدساً لاغتيال الأب الذي بدأ به التنظيم الاجتماعي والقوانين الأخلاقية والدين(*)»(1)!!!

يقول «وبعد أن قام الترابط بين عشيرة الأخ والقبيلة الأموية والزواج من غير الأقارب والطوطمية، بدأ هناك تطور يمكن أن يوصف أنه دعوة بطيئة للمكبوت... إنني أعني هنا أنه شيء ماض، قد اختفى وأمكن التغلب عليه في حياة الشعب، وهو ما أجرأ على أن أعامله كمساو للمادة المكبوتة في الحياة العقلية للفرد... وينبغي أن نخلص من ذلك إلى أن المتخلف العقلي من تلك العصور البدائية صار ميراثاً لا يحتاج مع كل جيل جديد لمعاودة تحصيله بل لإيقاظه(**)..

(*) يقول «إن قتل الأب هو نواة الطوطمية ونقطة البداية في نشأة الديانة» حياتي والتحليل النفسي ص١٠٢ ويقول « أنه قام في نفس الإبن صراع بين التمرد على أبيه وبين محبته له ... بغية التكفير عن فعلة اغتيال الأب من ناحية ، وتدعيم المنافع التي تمر عنها من ناحية أخرى » ص١٠٣ نفس المرجع .

(1) النبي موسى ص١٥٠ .

(**) إذا كان الأمر كذلك فلماذا لم تتكرر التجربة ويقتل المسلمون نبيهم وكذلك الاتباع أنبيائهم !

ولا أستطيع أن أعطي إحصاء يسيراً للمراحل التي تسير فيها عملية العودة(!). لقد صار الأب مرة أخرى زعيم الأسرة، ولكنه لم يعد صاحب السلطان المطلق . . . ويبدو أن فكرة الكائن الأعلى ظهرت مبكرة، وكانت في أول الأمر فكرة ضبابية وخالية من أي ارتباط باهتمامات للبشر اليومية . . . نظمت الآلهة . . . ثم اتخذت للبشرية في تردد الخطوة الثانية لعبادة إله واحد، وأخيراً تقرر التنازل عن كل سلطة لإله واحد فقط، وعدم قبول أي إله آخر إلى جواره وحينئذ فقط أعيد مجد الأب البدائي. وكان من الممكن أن تتكرر العواطف التي تدور حوله»(*)(١)!!

وخلاصة هذا الكلام هو أن البشرية بدأت تعود إلى الحالة الأولى في تمجيد «الأب البدائي» الذي زعم أننا نحن المسلمين نعبده! كما تقدم من كلامه!، وفي هذا المناخ زعم أنه لابد أن يعود المكبوت للظهور ولابد أن تتكرر العواطف التي تدور حوله وهو ما يعني تكرار التجربة المبكرة - المزعومة!(*) - ويقتل الشعب الرجل البارز فيه(*) وفي حالة بني اسرائيل كان موسى هو المقتول(**)! و«كل ذكرى تعود من الماضي المنسي تعود بقوة هائلة، وتُحدث أثراً قوياً لايضاهيه أثر آخر على جماهير البشر»(٢)

ويزعم أن إمبراطورية إخناتون هي السبب الخارجي لظهور فكرة التوحيد «فإننا نرى

(*) إذا كان الأمر كذلك فلماذا لم تتكرر التجربة ويقتل المسلمون نبيهم وكذلك الأتباع أنبيائهم !

(١) النبي موسى ص١٥١-١٥٢ .

(**) يقول فرويد « قتل الأب الذي ساد في العصور البدائية، نُقل إلى اليهود كمصير مقدر وهو أن يكرروه على شخص موسى (!)، وهو بمثابة بديل للرب ولكنه بديل عظيم وكانت هذه حالة من الحالات التي يكون فيها فعل وليس تذكر، وهو شيء كثيراً ما يحدث عند العصابيين (!) خلال جلسات التحليل النفسي ص١١١ وقد استجاب اليهود لمذهب موسى - الذى لابد أنه أثار ذاكرتهم (!) - وأنكروا ما ارتكبوا فلم يتقدموا أكثر منه اعترافهم بالأب الكبير ... وهكذا صار مقتل موسى الذي ارتكب شعبه... همزة وصل هامة بين العقل المنسى للعصور البدائية ومعاودة ظهوره، في بالتالى في شكل الديانات التوحيدية » النبي موسى ورسالة التوحيد ص١١١ . يقول « إن الديانات المحمدية كانت تكراراً على نطاق ضيق للديانة اليهودية ص١١٤ .

(٢) المرجع السابق ص١٠٦ .

إن هذه الفكرة التي انتزعت من تربتها ونقلت إلى شعب آخر - قد تملكت هذا الشعب بعد فترة كمون طويلة... أضفت عليه افتخار أنه الشعب المختار، وهي دين الأب البدائي»[1]

وبعد أن قتلوا زعيمهم، كان لابد أن يحدث الكبت مرة أخرى، والنسيان للحادثة مرة أخرى واخفاءها مرة أخرى وذلك لأسباب نفسيه تشبه أسباب التجربة المبكرة للبشرية الأولى بزعمه، أسباب وجيهه «الكبت ذكرى المصير الذي وقع لزعيمهم ومُشرعهم . . . واحتاجت الفكرة الوقت لتكتمل وتُكتب في الأسفار»[2] وهو ما يعني أن ما كتب في التوراة عن نبوة موسى هو تحريف وتغطية على حقيقته!!! فالنظرية كما ترى عبارة عن أفكار مضطربة، ونظرات مشوّهة عن الجيل الكريم الأول من البشرية الأولى ولمفهوم الدين والنبوة ولطبيعة وشخصية موسى ودعوته الكريمة، أفكار ليست لها أساس علمي أو حقيقة تاريخية، أو اكتشافات أثرية حقيقية! إنه يستخدم نظريته في «الكبت» و «عودة المكبوت» - وهي النظرية الكاذبة المزيفة للحقائق كلها - ليطبقها أولاً على الجيل الكريم الأول من البشرية ثم على الجيل الكريم الأول الذي آمن بموسى عليه السلام نبياً ورسولاً، وهو نفسه يزعم أنهم بجعلهم موسى نبياً ورسولاً أخفوا الحقائق لدوافع سرية .. إذاً هو لا يتكلم عن محرّفة يهود الذين ادخلوا بعض الأكاذيب على شخصية موسى وعلى جهاده وإنما يتكلم عن موسى نفسه فيجعل صورته التي اتفقت عليها الشرائع السماوية يجعلها كاذبة لأن المؤمنين بموسى «استعظموا أن يتخيلوا أن الإنسان موسى يمكن أن يكون شيئاً آخر سوى أنه عبراني»[3] لماذا استعظموا ذلك يجيب الآن «الشعب اليهودي كان في حاجة إلى أن يجعل منه يهوديا»[4]!!

لكن فرويد ليس غبياً في طرح نظريته!، فهو يعرف أن القارىء عنده أسئلة

---

(١) المرجع السابق ص١٠٧ (٢) المرجع السابق ص٨٨-٨٩-٩٠ .

(٣) المرجع السابق ص٢٨ . (٤) المرجع السابق ص٣٦ .

كثيرة تشير إلى ثغرات خطيرة وقفزات عجيبة وخيالات مدهشة في نظريته، كذلك فإنه يحاول التفلت من ذلك بالقول بأن دراسة علم الاجتماع البشري والتاريخ القديم صعب على الإنسان العادي ومع ذلك يعترف أن في نظريته فعلا ثغرات يقول «وينبغي أن أعترف أن هذه النظرة التاريخية (!) تترك الكثير من الفجوات وتحتاج في كثير من النقاط إلى تثبيت أكثر (!) ومع ذلك فإن من يُعلن أن هذه النظرة التاريخية(!) التي تُعيد بناء التاريخ البدائي نظرية خيالية يسيء تقدير غناها(!) وقوة الدليل التي اسهمت في إقامته»[1]!

ثم يقول عن نظريته أنها ليست فنية «ولا أوافق أنا نفسي عليها من كل قلبي»[2] لكنه يعترف أن الفكرة كانت «تلح علي كالشبح لا يهمد»[3] وهو يعترف أن نظريته خيالية من إيحاء منهجه التحليلي القاصر. «نعترف بأننا لا نملك حتى الآن أي دليل على وجود آثار متخلفة في الذاكرة لميراثنا البائد (!) أقوى من هذه البقايا في الذاكرة (أي ذاكرة فرويد!!) التي يستند عليها التحليل النفسي... وإذا كانت الأوضاع على غير ذلك، فإننا سنكون عندئذ غير قادرين على التقدم خطوة أخرى في طريقنا، سواء في مجال التحليل النفسي أو في مجال علم النفس الجماعي»[4] ثم يعترف بعدم توفر المعلومات[5] ويعترف أنه بعد كتابة نظريته في موسى صار بحثه هذا كخلق غريب عليه[6]!! وكلما إنتقل خطوة في البناء النظري لنظرته عن موسى يخترع موقفاً ليس له في التاريخ واقع حقيقي، انظر إليه مثلا وهو يتكلم عن مازعمه من قتل اتباع موسى لموسى يقول «ومن السهل(!) تخيلّ(!) أن إحدى تلك التمردات إنتهت إلى خاتمة أخرى خلاف ما يورده النص» [7] ولشعوره بفراغات كثيرة في نظريته وفقدان الأدلة المادية على ما تزعمه تجده يقول «والذكريات غير الكاملة(!) والمضيية للماضي،

---

(١) النبي موسى ص١٠٥ .

(٢ - ٣) المرجع السابق ص١٢٤ .

(٤) المرجع السابق ص١٢٢ .

(٥) المرجع السابق ص١٠٣ .

(٦) المرجع السابق ص١٢٥ .

(٧) المرجع السابق ص٧٠ .

والتي نسميها تراثاً، هي دافع عظيم للفنان، لأنه يكون حراً في ملء الفراغات في الذكريات طبقا لما تمليه عليه مخيلته وأن يشكل طبقا لما يقصد من هدف صورة الزمن الذي آل على نفسه إحياؤه»[١]!!

ويقول بما لايدع مجالا للشك أن نظريته تحمل بذور تدميرها الذاتي وحقارتها الذاتية «وعند هذه النقطة أتوقع أن أسمع عتاباً بأني قد بنيت نظريتي - التي تضع موسى المصري في عهد إخناتون واستمددت من الوضع السياسي للبلد الذي كان فيه في ذلك الوقت قراره بحماية الشعب اليهودي[*] وسلّمت أن ديانة آتون هي الديانة التي أعطاها لشعبه، أو أنها الديانة التي أثقلهم بها[**](!) والتي كانت قد أبطلت من مصر نفسها تواً. وعند هذه النقطة أتوقع أن أسمع عتاباً بأني قد بنيت هذا الصرح من التخمينات بيقين عظيم، لا توجد أسس كافية في المادة نفسها تبرهن عليه وأظن أن هذا العتاب لن يكون له ما يبرره. فلقد سبق لي في المقدمة أن أكدت عنصر الشك»[٢]

كان أمام فرويد لغز نتج عن ضبابية قصته الخيالية وليس عن الواقع المادي الموجود على الأرض، أو عن ملاحظة أو تجريب أو ستقراء لوقائع واضحه! واللغز هو كيف يمكن لمصري أن يسوق شعباً من الأغراب ويعطيهم عقيدة؟![٣] للإجابة على ذلك يبدأ فرويد بالتخمين لا بالملاحظة التاريخية أو استقراء المادة المتوفرة أو باستقراء حادثة حقيقية ما، فليس عنده ثم مادة تعينه، إذاً فليلجأ إلى التخمين يقول «فليس من المصدق أن إنساناً عظيماً مثل موسى المصري (!) كان من الممكن أن يقترب من شعب غريب عليه بدون أن تكون له بطانة. فلابد أنه قد استجلب معه

---

(١) النبي موسى ص٩٢ .

(*) في موضع آخر يقول شيئاً آخر، يقول « بأنه فعل ذلك لتحقيق أحلامه هو!.

(**) إن فرويد يؤمن بأن التحرر من الدين يحقق رغبات البشر لأن الدين بأخلاقه الثقيلة على النفس يمنع الإنسان من تصريف رغباته الحيوانية !!

(٢) النبي موسى ص٥٤ .   (٣) المرجع السابق ص٣٧ .

حاشيته من اتباعه المقربن وكتبته وخدمه وهؤلاء كانوا اللاويين الأصليين»[١] وهكذا يضع المشكلة ثم يحاول حلها وليس ثم واقعة؟!! ولقد قام هو نفسه بالهجوم على كثير من علماء الطب الغربيين الذين عارضوا نظريته وسفهوها وقالوا بأنها ليست جدية وأنها غير عقلية وغير ناضجة هاجمهم وقال إنهم كانوا على جهل تام بالموضوع «وإنه لعجيب ،حقاً، أن معظم الناس يسلكون مسلكاً غير أمين إذا اضطروا إلى تكوين حكم خاص على موضوع جديد»[٢] وهل كل تخمينات فرويد هنا إلا أفكار لا أساس لها من الصحة ولا من البحث التاريخي والعلمي، لقد بناها على خلاصة فلسفات ونظريات غير صالحة للتعامل (نظريات التخمين!!) مع الإنسان وتاريخه كما شكلها بفلسفته الخاصة، الخيالية في تفسير الدين والمجتمع البشري تفسيراً مريضاً، عصابياً بالدرجة الأولى، وهو لم يطلق العنان لفكره لمدارسة الوقائع الحقيقية وإنما كما قال هو نفسه عن مؤلفاته اللاحقة «أطلقت العنان للميل إلى التفلسف الذي كبحته زمناً طويلاً»[٣] وهو هنا مراوغ فمؤلفه موسى والتوحيد يظهر عليه أيضا أسلوب التفلسف كما تظهر عليه حيلة التدخل في تحريف بعض النصوص لجعلها تتمشى مع غرضه وهدفه المرصود الذي سخر له خياله المريض! وهو نفسه قال إنه قبل كتابته لهذا الكتاب كان قد تأثر بكتاب «و. روبرتسون سميث» ـ لديانة الساميين ـ وفيه بعض من أجزاء نظرية فرويد اللاحقة عليه وكذلك دارون وقد اعترف بأنه اعتمد على أفكارهما في بناء نظريته عن موسى والدين والبشرية الأولى!، كما أنه ولا شك قد قرأ كما قال هو أيضا «نيتشه» - وقد كان معاصراً لفترة معقولة من حياته - إلا أنه تحايل على قارئه فزعم أنه تجنبه زمنا طويلا!![٤]

---

(١) النبي موسى ص٦١ سيأتي من كلام محمد سعيد العشماوى عند هذه النقطة زعمه أن موسى وكهنه اللاويين سيطروا على العبريين بالسحر !!، وهكذا يقومون بالتحليل العلمي الرصين القائم على قدم وساق !!!

(٢) حياتي والتحليل النفسي ص٧٧ . (٣) المرجع السابق ص٨٧ .

(٤) مع أنه قال بأن تخمينات نيتشه تتفق اتفاقاً عجيباً مع كشوف التحليل العلمي الشاقة!!! انظر ص٨٩ من كتابه حياتي .

ولو بقي فرويد في مجال تخصصه في مجال علاج مرض الأعصاب والعصاب والهستيريا وغير ذلك فلربما طواه التاريخ أو لربما أخذ من بحوثه الجيد وطرح منها القاصر[1].

لكنه ذهب يخلط الفلسفة التي يحاول التبرؤ من تأثيراتها على بحوثه النفسية مع هذه البحوث نفسها ليخرج على العالم بأحقاده الغائرة وتشويهات نفسه القاصرة التي تزيف التاريخ، وتحيون الإنسانية، وتخرب الدين، ويقزم النبوة وتفسد التوحيد، وتشوه الإنسان، وتغير معالم عالمه الأرضي فتنقله من عالم قائم على منهجية قيمية صحيحة تستمد مقوماتها وخصائصها من المنهج الرباني إلى فوضى القيم، وهمجية الحياة، وضياع الحدود، وإباحية الجنس، وانفتاحه المسعور! هذه هي جريمة فرويد حين أطلق العنان بلا قواعد لفلسفته الإباحية والتخريبية. إنه يقول إن تشويه النص لا يختلف عن الجريمة[2] في حين أنه هو نفسه قام بهذه الجريمة على أتم وجه، ما أنتج لاحقا جرائم بشرية في حق الله وحق الانسان وحق الأنبياء وحق القيم الإنسانية الفريدة!

هذا هو فرويد اليهودي الذي عبده العلمانيون العرب الذين زعموا الإبداع وادعوا الموضوعية.

أما الجريمة التي فعلها مجموعة من أقطاب العلمانية في العالم العربي والإسلامي، فهي أنهم إتبعوا فرويد حذو القذة بالقذة والشعرة بالشعرة.. ولم يخالفوه في قبائحه إلا ليتبعوا قبائح نظراءه ومساويء عقولهم الشائهة! وتكملة هذا الفصل ستكون إن شاء الله بعرض هذه النماذج الممسوخة من كبار مثقفينا!

---

(١) يقول: «تجنبت في حذر(!) أى انغماس - في صميم الفلسفة» ص٨٩ من كتابه حياتي وفي الحقيقة فإن كلمة: في حذر، فاضحة، تكشف أنه نعّل الفلسفة في نظريته لكنه لم يظهر مصطلحاتها المعروفة !!

(٢) حياتي والتحليل النفسي ص٦٦ .



الباب الثانى

العلمانيون العرب
يخترعون الأساطير

الفصل الثالث

«لقد إفتتحت قضية نصر (أبو زيد) الملحمة»

سيد القمني: رب الزمان ص١٤٨

«أمانتنا العلمية ... الرصيد الوحيد الذي نملك ونتيه به إعتزازاً»

سيد القمني: الأعمال (١) الإسرائيليات

قال تعالى ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١)
وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودًا (١٣)
وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلاَّ
إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا (١٦) سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا (١٧) إِنَّهُ
فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ
قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ
وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) إِنْ
هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥) سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾

[المدثر: ١١-١٦]

الدكتور سيد القمني
وعلمانية تقلب الحقائق ببشاعة وحقد أعمى

ككل العلمانيين الذي يفرضون أفكارهم ونظرياتهم على العالم يؤكد الدكتور سيد القمني أنه يقوم بالبحث المدقق[1] كما أنه يدعو القاريء إلى مشاركته «مُتعة البحث والإستقصاء، ومتعة الفرح بالكشف العلمي»[2]! «هو خلاصة جهد استمر عشر سنوات أو يزيد»[3] قال ذلك في مقدمة مشروعه الممتد على ١١٦٢ صفحة في أربعة أجزاء[*]، والذي غيّر فيه حقيقة موسى عليه السلام، وحقيقة النبوة، وحقيقة الدين، وغيَّر المفاهيم القرآنية والمعالم التاريخية التي أكدتها النصوص القرآنية، وقال وهو يقوم بعمله الغير علمي والسيء القصد إنه يهدف إلى «إعادة قراءة لوضع الأمور في تصحيح نصابها تمهيداً لطرح رؤيتنا في علاقة الموسوية بالأتونية وموسى بإخناتون(!)»[4]

إنه يخدع قراءه دائما بجرعة التهدئة المُركَّزة «أول شروط العلم هو الأمانة فيما نعلم»[5] هكذا يقول!

فالكشف العلمي والرؤية الأمينة وإعادة الأمور إلى نصابها تتمثل عند الدكتور القمني في نظريته - أو بالأحرى فِريته! - عن موسى عليه السلام أعظم تمثيل! يقول متحمساً لعرض خياله الخصيب المليء بالأوهام **«لقد كان قائد الخروج من مصر هو الفرعون (إخناتون) بذاته وكان هو من عرفت اليونان قصته باسم (أوديب) وهو ذاته ما دونت التوراة في قصتها الكبرى اسمه (موسى) وهذا ما سنحاول أن نقيم عليه الأدلة**

---

(١) انظر مثلاً كتابه إسرائيل ـ التاريخ ص١٠٣ .

(٢) النبي موسى وآخر أيام تل العمارنه وهو أربعة أجزاء، جـ١ ص٢٠ .

(٣) المرجع السابق جـ١ ص٩ .

(*) وهو كتاب النبي موسى وآخر أيام تل العمارنه .

(٤) المرجع السابق جـ٣ ص٧٢٤ .

(٥) إسرائيل . . . التاريخ . . . ص٢١٩ .

من الآن وحتى نهاية هذا البحث»[1] البحث الممتد على مساحة ١١٦٢ صفحة كما قدمت!

ويبدو أنه من صناع الأساطير لتدمير حقائق التاريخ، فمهمته كما عبّر عن ذلك بنفسه هي «تضفير النسيج بين إخناتون وأوديب وموسى»[2]! ومفاجأة التضفير القمنية هي بحسب لفظة «أوديب هو إخناتون هو موسى النبي، شخص واحد في ثلاث روايات مختلفة، شخص مصري معلوم الشأن هو إخناتون، وشخص يوناني هو أوديب في تراجيديا اليونان، وشخص إسرائيلي هو موسى في رواية عبرانية مقدسة»[3]

إن الأصل - عند الدكتور القمني - الذي اقتبس منه محرروا التوارة - بزعمه! - هو إخناتون المصري ابن آمنحتب الثالث[*] والملكة المديانية (تي) وعلى ذلك فموسى إنما هو إخناتون معدّل، أُعطِيَ سَمات عبرانية وملامح إسرائيلية بعد أن تم إخفاء الأصل ونجاح العملية الإقتباسية القسرية!!! وهو إخناتون قبل إعطاءه في الرواية التوراتية اسم موسى وصفة نبي ورسول وجنسية إسرائيلية!!

يقول القمني «إن موسى كان ولي عهد مصر فعلاً بحسبانه إخناتون»[4] فالطفل الذي ولد في مصر «إخناتون» والذي قتل أباه وزنى بأمه ثم تزوجها - بحسب ما سيأتي عرضه من كلام القمني - إنما هو موسى فعلاً بحسبانه إخناتون!!

---

(١) النبي موسى آخر أيام تل العمارنه جـ٣ ص٨٢٨ .

(٢) المرجع السابق جـ٣ ص٩١٣ .

(٣) المرجع السابق جـ٣ ص٨٢٨ .

(*) أما إخناتون فهو عند القمنى آمنحتب الرابع يقول « أن آمنحتب الرابع / إخناتون كان ابن إله مرتين، الأولى لأن والده آمنحتب الثالث قد نصب نفسه إلهاً وعبده الناس باعتباره الابن المباشر للإله آمون .. وعندما عاد إخناتون إلى مصر حانقاً على أبيه ... أعلن نفسه ابناً مباشراً للإله الجديد آمون » جـ٣ ص٨٤٤ نفس المرجع .

(٤) المرجع السابق جـ٣ ص٨٦٢ .

وهو ابن فرعون وليس ابن لأب عبراني وأم عبرانية «كان هذا الطفل - يقول القمني - هو ابن فرعون بالميلاد والجنس»[1] العشماوي ـ كما سيأتي ـ لم يقل مثل القمني بأن موسى هو ابن الفرعون وإنما زعم أن الفرعون هو جده فهو ابن ابنته أي حفيده!! والمدهش أن القمني جعل والد إخناتون/ موسى/ أوديب هو الفرعون آمنحتب الثالث في الأصل المصري المزعوم!

أما العشماوي فإن الفرعون المزعوم أنه جد موسى وابن ابنته هو رمسيس الثاني وليس آمنحتب الثالث فالزمان مختلف والفرعون مختلف وحتى موسى فمختلف أيضاً وفضلا عن ما تقدم فهو عند القمني إخناتون نفسه أما عند العشماوي فهو غيره وليس هو وإنما نقل عنه كما سيأتي ذكره بعد قليل وكذلك فأوديب عند العشماوي لم يكن هو إخناتون ولا موسى!

ويعتبر العشماوي من يقوم بالربط بين إخناتون وأوديب إنما يلوي الحقائق ويحرف التاريخ مع أن العشماوي فعل أكثر من ذلك واشنع وأكثر تعسفاً إذ جعل -كما سيأتي- من فرعون جداً لموسى ومن ابنته أمّاً حقيقية له، ومن ديانته مصرية صميمة، ومن خروجه من مصر خدعة لإخراج بني اسرائيل منها باتفاقه مع جده الفرعون بزعم المستشار الذكي!!

وعلى كل فنحن نذكر قول العشماوي هنا يرد به على سيد القمني ومن شاركه القول في الربط بين إخناتون وأوديب! يقول «إن هذا الاتجاه التعسفي بدأ من بعض الباحثين الأيدلوجيين الذين أرادوا(!) أن يقضوا على إخناتون وتوحيده الصافي(!) وشاعريته المرهفة فزعموا أنه أوديب الإغريقي، وظلوا يدللون على ذلك بأسماء طيبه وأبي الهول[*] التي كان الإغريق قد استعاروها من مصر، كما استعارت كثير

(١) المرجع السابق جـ٣ ص٨٦٢ .

(*) هذه طريقة أخرى في الاستدلال تختلف عن طريقة القمني .

من البلاد لفظ الإسكندرية حالا (حاليا) وأطلقته على مدن بها»[1]

وسأل العشماوي «فهل يجيز هذا لباحث أن يلوي الحقائق ويحرف التاريخ ليزعم أن الحضارة المصرية أو حضارة الدولة الحديثة على الأقل كانت في بلاد الإغريق[*]»[2] ومع ذلك فقد حرّف العشماوي التاريخ والحقائق وقال «... ومع الوقت بدأ يتضح أن موسى نقل كثيراً من عناصر اليهودية عن مصر، وعن إخناتون بالذات»[3] وسيأتي في الفصل القادم أنه زعم أن موسى هو حفيد فرعون على الحقيقة باعتباره ابن ابنته على الحقيقة!! لنرجع إلى موسى عند القمني، الذي زعم أن أمه (الأصل) هي (الملكة تي) التي تحولت فيما بعد في التراث الإسرائيلي إلى يوكابد وهي في الحقيقة إمرأة ميتانية يقول «إذا كان إخناتون/ موسى/ أوديب، يعود بجنسه من جهة الأب إلى مصر، فإنه من جهة الأم يعود إلى شرقي سيناء حيث المديانين والعمالقة والكنعانين (العموريين) والسكيت (الأرامين) وضمنهم الإسرائيلين»[4] إن قراءة التاريخ وقراءة النصوص المقدسة، وقراءة بعض الاكتشافات الغامضة واليتيمة أو الجزئية تختلف من باحث علماني إلى آخر، وفي فصلنا هذا سترى أخي القاريء أن لكل باحث علماني إدعاءات عريضة ونظريات عجيبة عن التاريخ والقصص التاريخي للأنبياء وغير ذلك .

ومع تناقضات هذه القراءات وتعارض نظرياتها تعارضاً شديداً إلا أن أصحابها يدّعون أنهم يقدمون الفروض الصحيحة والتاريخ الصحيح! والعجيب أن أحدهم

(١-٢) مجلة أكتوبر المصرية ٢٠٠٠ العدد ١٢٥٠، ١٨ أكتوبر ص٣٠ .

(*) إنْ لي الحقائق غالباً ما تكون لإقامة هذه النزعات العنصرية والتي تبنى كلاً من العشماوى والقمنى واحدة منها . .

(٣) مجلة أكتوبر الأحد ١١ مارس ٢٠٠١ العدد ١٢٧٢ ص٢٤ الأصول المصرية لليهودية(٢٦) (البداية والنهاية) .

(٤) المرجع السابق جـ٣ ص٨٦٩ سيأتى من النصوص التالية بوضوح تحديد القمنى للأم بأنها مديانية وليست إسرائيلية!

إذا تناول نظرية الآخر وإفتراءاته لم يتركه حتى يطرحه أرضاً ويهشم رأسه!

وكمثال نُبرزه عند هذه النقطة وستأتي الأمثلة الكثيرة ، نعرض قول القمني في حكمه على بعض قراءات «إيمانويل فليكوفسكي» اليـهودي للتوراة والتاريخ، يقول «يمكن لباحث مغرض أن يقـرأه قراءة أخرى بأغراض بعينها، وفق أيديولوجـيا خاصة، فينطق بأمـور أبعد ما تكون عن الصـدق والموضوعية العلـمية وهو ما سنجـد له نموذجاً مثالياً في البـاب الثالث من هذا الكتاب»[١] الذي سماه «التضليل»[*] ويسمى بعض فروضاته «الفضائح»[٢]

ويقول عنه «أي مهتم بالتاريخ الديني لمصر القديمة، سيعرف كم كان (فليكوفسكي) ملفقاً؟ وكم كان بارعا» [٣]

وقال عنه أيضا «بأنه أبرع رجل علم، تمكن من اسـتخدام أدوات البـحث العلمي لإجراء أروع بل وأمتع عملية تزييف وتلفيق وتزوير في تاريخ العلم والعالم»[٤]

وقال «للكاتـب مقاصد غير أمينة، وانه قـد عمد إلى الإسقاط والحذف لأن المحذوف كان ممكناً أن يتعارض مع فروض الكاتب وما يريد الوصول إليـه، باختصار هي انتقائية وعدم أمانة واضحة»[٥]

لكن المدهش في الأمر أن سيد القمني على الرغم من أنه نقد القومية الصهيونية التي كان فليكوفسكي يسعى لتدشينها بالدعم التاريخي!، إلا أنه تأثر بفليكوفسكي تأثراً عجيـباً في أجزاء خطيرة من نظـريته المهزوزة، فقـد ألف فليكوفسكي كـتاباً سـماه «أوديب وإخنـاتون» فقـال بأن أوديب هو إخناتون فـأخـذها القـمني خبـرة

(١-٢) كتاب القمنى : إسرائيل ... التوراة ...ص٢١٢ .

(*) أي سمى الباب الثالث الذى ينقد فيه تضليل فليكوفسكى بالتضليل .

(٣) المرجع السـابق ص٢٥٣ . (٤) المرجع السـابق ص٢٠٤ .

(٥) المرجع السـابق ص٢٢٠ .

تاريخية لإعادة بناء التاريخ النبوي بالطريقة العلمانية العوراء التي لا ترى من العالم إلا ماديته فقال القمني (بإضافته المدهشة) إن إخناتون هو أوديب هو موسى شخص واحد في روايات ثلاثة والأصل هو إخناتون، أما موسى وأوديب فاقتباسات عن الأصل! وقد صنع لذلك عنوانا سماه «الثلاثة في واحد»[1] ومع أن القمني إستفاد إستفادة كبيرة جداً من خرافات سيجموند فرويد الذي زعم أن موسى مصري الولادة والجنس وانه كان أميراً وأنه خرج بأتباعه الذين يتكونون من المصريين والهكسوس والإسرائيليين من مصر مطرودون وليسوا مطاردين[*] إلا أنه خالفه في جزئية إخناتون ففرويد قال إن موسى المصري كان كاهناً من رجال إخناتون فقال القمني: إن موسى هو إخناتون نفسه وليس كاهنا عند إخناتون!

وهكذا استفاد القمني من فليكوفسكي فكرة (أوديب هو إخناتون) ومن فرويد مصرية موسى بالولادة والجنس لكنه نحيّ فكرة فرويد التي تقول بأن موسى عليه السلام من أتباع إخناتون وقال انه إخناتون نفسه وليس من اتباعه ثم جمع خلاصات فليكوفسكي وفرويد بعد أن عزل بعض العناصر المتعارضة مع خياله الخاص وبعد إدخال إضافات عجيبة كإضافة أن إخناتون هو (موسى قبل اقتباس التوراة وتعديلها للنسخة الأصلية) فكانت خلاصته وفرديته ونظريته هي: إخناتون هو أوديب هو موسى ، ثلاثة في واحد!. ومع أن فليكوفسكي وفرويد يهوديان وينتميان للفكر العلماني الأحادي النظرة إلا أن فليكوفسكي هاجم فرويد لكون فرويد قد زعم أن موسى لم يكن من بني اسرائيل بزعم أنه كان مصرياً من أتباع الفرعون إخناتون!

يقول أحمد عثمان ـ وسيأتي عرض أكاذيبه ـ «وكان إيمانويل فليكوفسكى أحد علماء النفس اليهود، الذي هاجر من روسيا إلى الولايات المتحدة هو الذي بدأ في

---

(١) النبي موسى وآخر أيام العمارنه جـ٣ ص٨٢٥ .

(*) يقول « رفض فرويد لقصة مطاردة المصريين للخارجين» جـ١ ص١٧٩ المرجع السابق .

سبعينيات القرن العشرين بمعارضة فرويد والهجوم على إخناتون، وكرّس فيلكوفسكي حياته في محاولة لإثبات خطأ ما ذهب إليه فرويد بخصوص الملك المصرى عن طريق إثبات سبق موسى لعصر إخناتون»[١] .

يقول القمني في ذلك «ولا ينسى فليكوفسكي أن يحط من قدر فرويد لتجرؤه(!) على شخص موسى وعلى شعب الله المختار وتبجيله إخناتون تبجيلا عظيماً، ليقول بالنص عن كتاب فرويد: هذا الكتاب ليس سوى إنقاص لقدر موسى والحط من شأنه، فقد حط فرويد من شأن موسى عندما أنكر أصالته وحرمه إياها، كما هاجم شعب اليهود عندما حرمهم زعيماً يقود جنسهم، إذ جعل موسى مصرياً... على حين يمجد مرتداً مصرياً(*) معتبراً إياه مؤسساً لدين عظيم الشأن. هذا بينما يرى فليكوفسكي وهو يقلب التاريخ رأساً على عقب(!) في بقية أعماله(!) أن موسى كان سابقاً على إخناتون بزمن طويل أما إخناتون نفسه فليس بمستحق لكل ما لاقاه من احترام، عندما ارتكب جريمته وهو يعلم ماذا يفعل»[٢]

وقد قدمنا في الهامش مدى توافق أفكار فليكوفسكي والقمني عن إخناتون وأفعاله!! والفرق أن فليكوفسكي يجعل اخناتون متقدما على موسى في الزمان أما

(١) مقال لأحمد عثمان بعنوان «إخناتون نبى مصر المزيّف» في مجلة الكتب ووجهات نظر، مارس ٢٠٠٢ العدد الثامن والثلاثون، السنة الرابعة ص٣٩ .

(*) قلت : أن القمنى قد حط أكثر من فرويد من موسى عليه السلام ونبوته بجعله إخناتوناً معدلًا، مع علمه أن إخناتون تزوج أمه! وهو لا يبجل إخناتون كما بجلّه فرويد يقول عن إخناتون «إخناتون... ارتكب ما هو أبشع من القتل بإفناء ابيه نفسه بمحو اسمه من الآثار في قتل أبدى، ناهيك عن تعصبه الأعمى الذى ملك عليه عقله وقلبه ضد كل أديان مصر (!) وكهنتها، وانتهى بإغلاق جميع المعابد ومصادرة أموالها، وهو أمر لا شك - وإن لم يدونه لنا التاريخ أو فقدنا مدوناته - لم يتم بهدوء ودون عنف قد صحب تلك الحملة المخيفة على مأثور مصر التليد(!) الذي عاشت عليه طوال تاريخها » من النبي موسى وآخر أيام تل العمارنه جـ٣ ص٩٢٦ .

(٢) النبي موسى وآخر أيام تل العمارنه جـ٣ ص٨٢٣-٨٢٤ .

القمني فيجعلهما شخصاً واحداً (موسى بحسبانه إخناتون) فالزمن واحد!

وفي تعليق القمني على عبقرية فـرويد الفذة!، يمدح فليكوفسكي ، فيقول عن فرويد «ومع ذلك أبداً - رغم عبقريته الفذة - لم يربط بين الشخصيتين: أوديب، إخناتون. وهو الدرس الذي وعاه (!) فليكوفـسكي بقدرة عالية الجودة (!)»[1]

ولا أعرف كيف تكون القـدرة عالية الجودة تلك التي تقلب الـتاريخ رأساً على عقب .. وبلا أمانة!

فخيال فليكوفـسكي جمع إخـناتون وأوديب في شخص واحد، وخيال الباحث أحمـد عثمـان .. وسيأتـي التفصـيل - جمع بين موسى وإخـناتون في شخص واحد[*]، فجاء القـمني واستفاد من فليكوفـسكي وأحمد عثمـان فجعل إخناتون وأوديب أو موسى وإخناتون شخصياً واحد ثلاثياً :إخناتون/ أوديب/ موسى. إن ذلك - بتعـبير القمني - «صـار شيئا مـؤكداً»[2] مع انه ليس هناك من دليل على ذلك واحد يتيم عليه!

خيال سيد القمني وواقعة خروج مزيفة!

يخترع سيد القمني واقعة للخروج من مصـر مخالفة للأحداث الحقيقية لم يأت عليـها بأي سند تاريخـي أو أثري أو مادي ملمـوس أو مكتوب فـيقـول «حدث خلاف عقائدي عند جبل الله حوريب بسـيناء بين عبدة الأدون أو السـيد أو الله ممثلاً في ثور الخصب[**] وبين عـبدته بإعـتباره الأدون أو الـسيد الأعـلى فوق جميع

---

(١) المرجع الـسابق جـ٣ ص٨٢٥ .

(*) يقول القـمنى « هناك كشف آخر ينطلق من ذات فـكرة فرويد نجده عند أحـمد عثـمان وهو أن موسى بالجنـس والميلاد مصـرياً، لكنه لا يربط بين أوديب وإخناتون، لكن بين موسى وإخناتون، ويومز لنا عن بعد أن موسى كان هو ذات شخص إخناتون بعد سقوطه عن عرشه» جـ٣ ص٨٢٥ .

(٢) المرجع الـسابق جـ٣ ص٨٣٠ .

(**) يقول « كـانت أهم تجليات الإله الـسيـناوى هي التـجلى الخصبى ممثلاً في قضيب الذكـر / المشروم / البركان» جـ٣ ص٨٤٥ .

الأرباب وهو الانشقاق .. الذي أدى إلى معارك دموية بين فصائل الخارجين (!) انتهت إلى انقسامهم فرقا(!) منهم من اتجه نحو بلاد الحجاز ومنهم من اتجه نحو بلاد اليونان، ومنهم الذين إنتصروا في الصراع وفرضوا عقيدتهم وهم من استمروا نحو فلسطين، ومع أولئك الذين اتجهوا نحو اليونان، انتقلت قصة الفرعون المارق الذي تزوج أمه وسقط عن عرشه، لكن باسم أوديب، بينما نقل المتصرون ذات القصة إلى فلسطين لكن بطلها حمل اسماً آخر هو موسى»!!![1]

هذا هو الأساس الذي بنى عليه سيد القمني نظريته وأكاذيبه، وعلى امتداد (١١٦٢) صفحة، حاولت أن أجد أي سند مادي أو أثري على هذا الكذب فلم أجد إلا خيال القمني الخصيب الذي مليء صفحات الكتاب التي تجاوزت الألف صفحة! وكما ترى فهو من هذا المنطلق يبدأ بالزعم أن نفس قصة الفرعون المارق «إخناتون» الذي تزوج أمه وقتل أباه نقلها المتصرون «ذات القصة!» لكن بطلها حمل اسماً آخر هو موسى الوهمي! ويقول بأن ذلك حدث بعد مقتل اخناتون عند جبل الرب حور المقدس «إبان فتنة العجل الذهبي، وأنه بموته هناك انتهى إخناتون وانتهت ديانته الآتونية وبدأت قصة موسى الوهمي(!) التوراتي كمرحلة جديدة هي التي شكلت فيما بعد الديانة اليهودية»[2]

فهذا تصريح بأن قصة موسى وهمية وليس لها وجود حقيقي بصورتها التي في التوراة والقرآن وإنما هي اقتباس عن أصل مصري لإخناتون معلوم الشأن، أي أن موسى يمكن اعتباره (إخناتون) إذا نظرنا إلى مصدر الاقتباس أي أن موسى العبراني النبي الرسول ليس له وجود فى التاريخ بزعم القمني وتلفيقاته واضطرابات عقله الهائجه علمانياً!

كذلك فالذين خرجوا مع موسى لم يكونوا (بني إسرائيل) خُلّص وإنما كانوا خليطاً من المجرمين! يقول «لقد خرج موسى التوراتي/ أوديب اليوناني/ إخناتون

---

(١) المرجع السابق جـ٣ ص٨٣٠ .

(٢) المرجع السابق جـ٣ ص٩٣٩ .

المصـري(!) برجاله من مـصريين واسـرائيليين وأصحـاب الهجـمة الهكـسوسـية الثـانيـة(!) المهـزومين من مـخـرج المجـرمين العـبـيـد (!) الفـارين مطرودين لا مطاردين»[1]

فمع زعمه أن (مـوسى التوراتي وهمي) ومع زعمه أنه خرج مع فِـرق مختلفة عقـائدياً وعرقـياً مطروداً لا مطارداً كـما ورد في القرآن إلا أنه عندمـا يتكلم عن موسى النبي يتكلم بصورة الذي يعرف موسى فعـلاً ولكن بإضافة أكاذيب مدهشة قلّد فيها فرويد وغيره يقول «ولا نظننا نجانـب الصواب في افتراض أن موسى أبداً لم يصل إلى جبل (نبو) شرقي الأردن مباشـرة مقابل أريحا ليموت هناك إنما مات تحديداً (!) فوق جبل يقع شمالي جبل كاترين مباشرة وأن ذلك كان السبب في أن ذلك الجبل قـد حمل من يومها اسـم جبل موسى وأن قاتله كـان يشوع(*) تلميذه المخلص تحديداً (!) وعند تلك اللحظة المفـصلية تتغير أمـور كثيرة كانت سـبباً في كثـير من الالتباسات التي أدت إلى كثـير من الألغاز التي استغـرقت عمرنا ونحن نحاول فك طلاسمها»!![2]

وفي الحقيقة فإن ما استغرق عمره هو السعي في تلفيق النظريات بربط ما لا صلة بينه إطلاقا فهـو وأصحاب النظريات الخرافيـة الضعيفة يحاولون وضع أصل مـشترك لقـصص لا رابط بينها، وحكايات لا مـشتـرك بينها. وإن كـان بعض نقاد الكـتاب المقدس قد نجحوا في الوصول إلى أصل مشتـرك بين بعض الخرافات الدينية - كتأليه المسيح والفداء والخلاص والقيامة من بين الأموات - وبين أساطير الحضارات القديمة.

لقد فتح ذلك شهيتهم الملـوثة بالجراثيم المادية والقاتلة للروح الإنسانية بهدم كل

---

(١) المرجع السـابق جـ٣ ص١٠٦٦ .

(*) كيف يقتـل نبى رسـولاً يا دكتور ام ان تلفـيقاتك اعمتك عـن رؤية الحقائق ام أنك تعرف كـيف تغفر الأكاذيب فيما تهدم النبوة وتقصف بالأنبياء ؟؟

(٢) المرجع السـابق جـ٣ ص٩٢٢ وانظرص٩٣٠-٩٣١ .

ما يتعلق بالإيمان والدين والغيب والوحي فظهرت سخافاتهم المادية وأحقادهم الأسطورية واختلافاتهم المنهجية العميقة القاصرة، وعوراتهم الفكرية السافرة وتلفيقاتهم الخائبة الخائنة، ونظرياتهم القبيحة الهازلة!، وإلا فقل لي بالله عليك كيف يمكن الربط بين فرعون خائن، زنى أبوه بابنته، وزنت أمه به، واستبدل ديناً وثنياً بدين وثني آخر، أتباعه من الوثنيين الجدد، حكم مصر فترة من الزمان ثم طُرد منها مع جماعته المختلة العقل والعقيدة، وأصابه العمى في آخر عمره بعد أن قتل أباه! كيف يمكن الربط بين هذا العابد لقرص الشمس، والذي تمثله الرسوم المصرية عارياً مع أمه التي هي أيضاً عارية إلا من ثوب شفاف يكشف مفاتنها، مع موسى النبي العابد لله، الذي أرسله الله لتحقير الأوثان والآلهة البشرية الزائفة لفرعون وأمثاله، والذي خرج من مصر مطارداً هو وبني إسرائيل الذين أُمر بإخراجهم من مصر. أي مشترك بين القصتين وأي نسخ قامت به التوارة؟ أم أن الأمر إنما هو في استخدام كل أساليب المكر والخداع لتلويث شرف الأنبياء والنبوة وهدم الدين ونبذ الوحي والإستغراق في متاع الدنيا الهش.. وإلا فليقل لنا هؤلاء العلمانيون هل يستوي موسى الذي جاء معلناً الحرب على الفراعنة ورموزهم مع اخناتون الفرعون المرسوم عارياً الذي يحتفل بزواجه بأمه - كما وصفه القمني نفسه! - بعد قتله أبيه الفرعون المضاجع لابنته وسيأتي ذلك عن كلام القمني نفسه!؟

لقد زعم السيد القمني أن نبوءة قتل طفل نبيل لأبيه الفرعون واستيلائه على السلطة وتزوجه لأمه إنما هي قصة إخناتون/ موسى التي استبعدتها التوراة كاملاً وحملها القرآن بعد أن كانت منتشرة شفاهيا في الجزيرة العربية بعد إنتقالها إليها!

يقول أن «محرري التوراة قد استبعدوا قصة النبوءة بكاملها (!)، لأنها كانت تعني إبراز وإيضاح مصرية موسى بالميلاد والجنس»[1] وهو قول ليس عليه دليل واحد اللهم إلا العجز الذي ينتهي إليه هؤلاء الباحثون الذين يحاولون بكل طريق

(١) النبي موسى..... جـ٣ ص٨٦٠.

إيجاد أصول مشتركـة بين ما أسموه الملاحم. وعندما تفلت الأدلة المطلوبة من بين أيديهم يذهبـون يطلقون الكلام علـى هواهنه بلاجامح، وينطلقـون مسـرفين في الكذب والبهتان **وبدل من الاعتراف بالفشل في إيجـاد رابط بين قصة النبي وقصة الخائن تجرهم أحقادهم العلمانية إلى الإتهامـات السهلة والصفحات المكتوبة المليئة بعطب النظريات، وعفن الأفكار، وغثاء الاستنتاجات.**

فعندما لايجد القمني رائحة (مُشْـرَكٍ ما) بين القصص التى يحاول المقارنة بينها يذهب إلى الإتهام والشتـائم والشنآن والهوى البغيض معرضاً عـن الموضوعية التي يتشـدق بها وعن العلم الذي يأبى هذه الأسـاليب الإلتفـافية التي تـنضح بالخداع وتمتليء بالكذب والضلال البعيد.

ولذلك تجد أخي القاريء كـثرة هذه الاختلافات التي تظهـر بين أصحاب هذه النظريات العلمانية الخطرة التي تدمر كل شيء وتحطم المقدس والنبوة وتتهم التوراة والقرآن بما هما بريئان منه ومن سخافات الماديين أجمعين.

القمني يقدح في القرآن الكريم:

فبعد أن دمـر سيد القمني الحقائق التـاريخية عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وتاريخه ونبوته وتوحيده الخالص ونسبه الطاهر، وأمـه وأباه ذهب يقدح في القرآن الكريم باعتباره دَوَّنَ ما أغفلتـه التوراة وأخفته مما كان مـتوارثاً شفاهياً - بزعمـه! - ومنتشراً على الألسنة من نبوءة القاتل لأبيه والمتزوج لأمه!!!

يقول «**مايبـدو هو أن محرري التوراة قـد استبعـدوا قصة النبوءة بكاملهـا لأنها كانت تعني إبراز شخصية موسى بالميلاد والنبوة، لأن النبوءة تستبعد الطفل الملكي لخطره على أبيه(!) وقتله وإستيلائه على عرشه حسبما قالت، لكن هذه النبوءة لن يكون لها أي مـعنى مع أسرة حـقيرة(!) غـريبة مـستبـعدة في مـصر، لكن الأصل**

الحقيقي للقصة كان يحوي لاشك قصة النبوءة التي ظهرت في النسخة اليونانية (أوديب) كما ظل أصلاً فيما تواتر شفاهة وميراثاً غير مكتوب حتى وجد طريقه للتدوين بالقرآن الكريم بعد ذلك بأزمان، ليبرز قصة النبوة ويؤكدها»(!)

ياله من كذاب ومفتر، فالقرآن لم يؤكد أي نبوءة من هذا النوع، فليس في القرآن إشارة إلى شخصية مصري بالجنس والولادة والبنوة سيقتل أبيه ويتزوج أمه وذلك بعد رجوعه من منفاه وتدشين المؤامرة(*) إن مقصد د. سيد القمني هو أن القرآن دوّن الأسطورة المكتوبة بزعمه في التوراة والتي زعم أنها نفت عناصر القصة الأصلية لصاحبها اخناتون ونسبت القصة لموسى مع تعديل وتحوير، كما أنه دوّن بقيتها الشفهية التي أخفتها التوراة بزعمه لأنها كانت ستكشف الأصل المصري لأعظم أنبيائها. وهو إتهام خطير ليس عليه دليل. فالأسرة المُتَبْعِدة لطفل الأسطورة ثرية وفرعونية وتمتلك عرش مصر كما في القصة المصرية أما قصة موسى فالأسرة فقيرة عبرانية مؤمنة بالله وحده لاتملك حتى حريتها! لكن القمني يقول لك لا تنظر إلى عدم المطابقة هنا لأن الإخفاء كان كلي وتام (من أخبره بهذا!!) مع أنه لا يملك أي دليل على افتراءه هذا.

والزعم بأن القرآن دوّن ما كان يتناقل على الألسنة من الأسطورة البشعة وجعلها قرآنا يتلى كذب وإفتراء عظيم.

فالقرآن عرض قصة الصراع بين موسى عليه السلام رسول الله إلى بني إسرائيل وبين فرعون وقومه ولم يدون روايات أسطورية مكتوبة أو شفهية مقتبسة عن أي أصل

(*) التوراة كالقرآن تثبت نبوة مختلفة تماماً، الا وهي ان طفلاً عبرانياً او من بني إسرائيل سيتسبب في هلاك فرعون وفي التوراة الحالية أمر ملك مصر ان يقتل كل مولود ذكر من بني إسرائيل في الاصحاح الأول من سفر الخروج، اما القرآن فيقول ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝٧ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾[القصص: ٧-٨]

أسطوري. وكذلك قصة موسى عليه السلام بوصفه نبياً ورسولاً في التوراة فهي لم تخف مقاطع من قصة إخناتون التي زعم القمني أنها اقتبست منها الكثير ونسبته لشخصية عبرية هي موسى عليه السلام.

يسير الدكتور القمني على هذه الوتيرة العرجاء في الاستدلال في فقده الخائب لخيط المطابقة المزورة، فهو يرى أن التوراة أصرت على التأكيد على تمتع موسى ببصره حتى نهاية حياته ما يؤكد بزعمه على أنها أيضاً أخفت المقطع من قصة إخناتون / أوديب وهو العمى الذي أصابهما في نهاية حياتهما!!

يقول «قامت التوراة تصر على نفيه، لنفي أي إشارات يمكن أن يكشف الأصل المصري لأعظم أنبيائها»(١)

فالتوراة عند القمني فيما يخص موسى إما أن تصوغ الأصل بقدر من الاختلاف وإما أن تخفي مقاطع معينة خشية إنكشاف الاقتباس وإما أن تقوم بعكس ما ورد فيها ففيما اخناتون عمى في آخر حياته فإن موسى كان قوي البصر شديد النظر!!

بهذه الاستنتاجات السخيفة يحاول القمني أن يُدَشّن نظرية المطابقة وعن موسى/ اخناتون/ أوديب. ومعلوم أن لا التاريخ ولا الرويات الحقيقية تسعفه، ولا العقل والمنطق يؤكد ذلك ويبرهنه ، ولا الموضوعية تذهب إليه وتُمنهجه، وإلا لصارت كل القصص المولودة على الأرض مقتبسة مع تحويرات وإخفاءات ونفي لمقاطع وفي هذه الحالة تصير الشخوص واحدة ويصير الفرعون نبياً والإنسان حيواناً والملك إلهاً والمرأة رجلاً والقرد وثنا والعفة عُهراً وسيد القمني نبياً والعشماوي مصلحاً وهادياً!!!

وكما زعم أن التوراة استبدلت اسم إخناتون بموسى، زعم أيضاً أن أوديب أصبح بديلاً عن إخناتون **«حملت القصة أسماء يونانية وأصبح بطلها هو أوديب**

---

(١) المرجع السابق جـ٣ ص٩٠٤-٩٠٥ .

بديلاً للاسم المصري إخناتون»[1]

والقرآن وقع في الفخ فدوّن ماهو رائج ومنتشر ومكتوب بلا أدنى نظر أو علم مستقل. **هذا هو زعم القمني وكل الباحثين العلمانيين الذين يدرسون التاريخ النبوي والبشري!، وهو ما يعني أن القرآن إفراز بيئوي تاريخي اجتماعي سياسي اقتصادي وهكذا!!!** والتوراة باحتوائها على قصة موسى وإثباتها لنبوته وتأكيدها لرسالته ولولادته لأم وأب من بني إسرائيل إنما هي تؤكد بنفسها أن لا دين ولا وحي في الحقيقة إنما هي كتابات محررين ملتوين من كهنة بني إسرائيل الذين سرقوا قصة إخناتون ونسبوها لموسى مع تلفيقات وحذف ونفي واقتباس! **يقول «أما التوراة فقد صاغت قصتها بقدر من الاختلاف (!) لكن مع الاحتفاظ بالعنصر التأسيسي وهي فكرة استبعاد بطل الملحمة ونشأته في بلاد غير بلاده، ومرباه في قصر ملكي ثم عودته إلى أهله بعد ذلك كما عاد كل من أوديب وإخناتون»[2]**

وعندما لا يجد القمني توافقا يقول بأن التوراة ومن ثم القرآن إما أنها غيّرت سياق القصة الأصلية لمصلحة إتجاهها وإما أن تعطيها ترميزاً يبقي على الأصل لكنه يتبدل نوعيا (وهذه الأخيرة رمى القرآن بها !).

«لتتم عناصر الأسطورة يعود موسى إلى أهله الوضعاء ليخرج بهم من مصر في أكبر حدث ديني في المنطقة قيد التدوين»[3] وذلك بدلاً من أهله النبلاء الذين كانوا يحكمون مصر، وبدلاً من أن يقتل أباه ويتزوج أمه ويغلق معابد أبيه ثم يحدث الانقلاب عليه فيخرج من مصر مطروداً منبوذاً!

إن القمني مازال يُؤكد على أن القرآن احتفظ بعناصر الأسطورة التوراتية - بزعمه الخائب! - وفيما يخص نبوءة قتل إخناتون لأبيه وتزوجه من أمه فيزعم القمني أن القرآن عن طريق الرواية الشفهية الغير مكتوبة دوّن قصة النبوءة مع

(١-٢) المرجع السابق جـ٣ ص٨٣٤ .

(٣) المرجع السابق جـ٣ ص٨٥٨ .

يقول «قصة النبوءة وصلت جزيرة العرب لتدون في القرآن (!) رغم أنها استبعدت من التدوين في التوراة»[1]!! وهو ما يعني أن القرآن دون العناصر الأسطورية المكتوبة في التوراة لقصة موسى التوراتية كما أنه دون العناصر الأسطورية الأخرى التي كانت تتناقل على الألسنة (شفاهيا) مع بعض التعديل المناسب!

يقول «إن الأمر فقط يمكن أن يكون متسقاً(!) إذا احتسبنا ذلك ترميزاً للقصة الأصلية ظل محافظا على وجوده في القصة المعدّلة المزورة والمحرفة، ترميزاً واضحاً إلى أن موسى كان ولي عهد مصر فعلا بحسبانه إخناتون ... هذا الطفل هو ابن فرعون بالميلاد والجنس»[2]

فقصة موسى في القرآن بعناصرها كلها هي مزورة مُحَرَّفة مُعدَّلة بزعم الدكتور سيد القمني الذي لم يأت إلى الآن بدليل واحد على إثبات أكاذيبه وأضاليله![*]

لقد زعم العشماوي مثله أن موسى هو ابن بنت الفرعون وهو فرعون آخر غير فرعون سيد القمني أما القمني فإنه يجعل موسى/إخناتون ابن الفرعون وليس ابن إبنته!، وإتفق القمني والعشماوي على أنه كان أميراً مصرياً لكن القمني زعم أنه

---

(١) المرجع السابق جـ٣ ص٨٦٠ . (٢) المرجع السابق جـ٣ ص٨٦٢ .

(*) كذلك زعم القمنى أن القرآن هو خلاصة تطورات عقلية وتاريخية واقتصادية في عالم الإنسان خصوصاً في تطورات التاريخ والفكر اليهودى فالشيطان والملائكة والتوحيد وغير ذلك إنما هو نتيجة لتطورات وارتقاءات عقلية وصلت إليها مراحل العقل التطورية وكمثال، فالشيطان أو إبليس بزعم القمنى، في العقائد القديمة كان إلهاً للبشر يحول مع التطور العقلى إلى ملاك عاص أو جنى وذلك « إنما يعود إلى نزوع العقل البشرى خلال القرون نحو التوحيد، ونعتقد أنه كان لليهود دور لا يعقل في ذلك، إبان الأسر البابلى » كيف :«تحويل اليهود الألهة القديمة إلى ملائكة» انظر الأسطورة والتراث للقمنى وص٧٣-٩١ ،مقدمة هذا الكتاب «الأسطورة والتراث» ترمى عقائد الإسلام بأن لها صلة بعقائد الحضارات القديمة والتطورات التي طرأت عليها !!! ص٥٠-٥٧ .

قتل أباه الفرعون وتزوج أمه أما العشماوي فقال بأنه لم يقتل أباه ولم يقتله أتباعه فيما بعد - كما زعم القمني - ولكن اشترك مع جده الفرعون في الاحتيال على بني اسرائيل وإخراجهم من مصر. والعشماوي يجعل موسى بعد إخناتون بخلاف القمني الذي يقول: هو هو!!... موسى بحسبانه إخناتون!!! وطبعا على القاريء أن يقارن بنفسه هذه النظريات الخربة ويُمرِّن عقله على السخرية من هؤلاء الكذابين الذين يتناقضون في الروايات التي اخترعوها هم، ولم يأت أحدٌ منهم بأي دليل صغير يساند عقولهم الخيالية الضعيفة!

فيجعلون أساطيرهم هي الأصل مع تناقضها الشديد والقصة الأصلية لموسى هي الاقتباس المزور!! (ولم يخرج أحدهم بخياله ليقول بأن قصة موسى هي الأصل!!!) حتى يقول القمني متجرءاً «الأمر لم يكن مجرد أسطورة إنما كان تسجيلا بالأسلوب الأسطوري لأحداث وقعت بالفعل»[1]!

وهو ما يعني أن القرآن والتوراة سجلا بالأسلوب الأسطوري أحداثاً وقعت بالفعل مع تحويل البطل اسماً ونسباً وجنساً إلى صورة أخرى مغايرة للنسب والحسب والولادة الحقيقية للأصل المصري إخناتون الذي تزوج أمه وقتل أباه!

كما يعني أيضاً أن القرآن والتوراة غيَّرا ديانة البطل الأصلي!، وشريعته إلى بطل آخر وديانة أخرى وشريعة مغايرة!!

فالوجود التاريخي الحقيقي إنما هو للأصل الذي عاش في الواقع التاريخي أما موسى أو أوديب فهما شخوص لم توجد في الحياة إلا بقدر ما اقتُبِس لها من الوجود الحقيقي للأصل الإخناتوني!!

هذه هي مقاربة سيد القمني وكشفه الذي يدعو القاريء إلى الاستمتاع به!

ومع أنه لم يأت بدليل يتيم على مقاربته الخائبة ومطابقته المزورة إلا أنه يقول بكل

---

(١) المرجع السابق جـ٣ ص٨٥٨ .

ثقة وأدب! «فإن الاستعانة بعمليات القياس والنقد والمقارنة بين النصوص (أية مقارنة يادكتور!!) المتعددة إزاء الحدث الواحد والتحليل ومحاكمة الوثائق على سياقها الداخلي والسياق التاريخي، يمكن الوصول بالمسألة إلى الوجه الأقرب إلى صدق ما حدث فعلاً»!!(١)

صدقك الدكتور وهو كذوب!، لكنه لم يقم بشيء من ذلك كدليل على تحليله العلمي والروح التحليلية الرصينة. إن ما فعله هو لخبطة بين وقائع أو أحداث لا رابط حقيقي بينها وهو يتعسف في الوصول إلى مقارنة ومقاربة حقيقية ودليل عمى إخناتون/ أوديب - دليل المطابقة - والمفقود عند موسى يدلك على التمحل والابتكار الماكر والتحايل السافر!

لقد أخذ الرجل من فرويد ومن فليكوفسكي وكثيرين آخرين ذكر مراجعهم في كل كتبه أخذ منهم افتراءاتهم وليس من وقائع أو قياس أو تنقيبات فالقياس ليس على نصوص حقيقية وإنما اقتباس من النظريات المتعارضة واختراع أسطورة خاصة لها متعة ذاتية عند كاتبها وهو في حالتنا هنا السيد القمني الذي يحاول أن يظهر في الأمة أنه يخوض معركتها ضد القومية الصهيونية فيما يروج خططها التدميرية لتاريخ الأمة ومقدساتها والوحي الذي أنزل على الأنبياء والمرسلين.

إنه يقرأ قراءاتهم وقد يُعدِّل نظرياتهم ليبدو موضوعياً، صاحب روح علمية رصينة كما في قوله «وبناء على قراءته لما حدث، يرى سيجموند فرويد أن ما جرى لموسى بالفعل (!) في حقل أحداث التاريخ يسير على قوانين الأسطورة النمطية لكن محرري التوراة هم من قلب الأوضاع (!) وعكسوها تماما، ليجعلوا من هذا المصري(!) الذي أسس لهم في التاريخ عقيدة وقومية / إسرائيلياً بالميلاد والعنصر استبعاداً لتلك السبة التاريخية العظمى/ فقاموا بعكس حقائق الواقع

---

(١) إسرائيل ... التوراة ... التاريخ ... التضليل ص٨٩ .

الفعلي ليؤكدوا إسرائيليته وليستبعدوا تماماً مصريته(!) وهكذا كان موسى من أصل ملكي وأبوه ملك وأبوه من أقارب أمه الأدنين وهو بذلك يطابق قصة اخناتون مطابقة كاملة(!). من حيث التطابق مع العناصر الملحمية... بل ونزعم أن قصته بهذا الفهم تطابق جميع العناصر الملحمية التأسيسية(١)!!!

وقد قدمنا أنه ليس هناك أي تطابق فموسى من أسرة متواضعة من بني إسرائيل الذين كانوا يعيشون في مصر في ظل حكومة فرعونية مستبدة، أما إخناتون فكان أميراً ثم أصبح فرعونا وحاكماً عاماً للبلاد فيما بعد، بعد قتله لأبيه الفرعون فأي تطابق هنا؟!(*)

وفي قصة اخناتون زنا ودعاره وإباحية أم وأب وابن وثقافة مديانية شاذة أما في قصة موسى فعفة ورحمة أم، أوحى الله إليها لمكانته عنده وقد اصطفى ابنها رسولاً، فأين هذا من ذاك؟! وأين الزنا والدعارة من العفة والطهارة؟!! وفي قصة اخناتون عمى مشاوم وفي قصة موسى نضارة وجه نبي وقوة بصر وبصيرة فهل تستوي الظلمات الحالكة مع الأنوار الزاهية؟

مالكم كيف تحكمون أيها العلمانيون .. لماذا ديدنكم الكذب والافتراء والخداع أبهذا تحاربون العدو، وتنورون الشعوب وتبدعون وتتقدمون! تَـبّاً لكم ولعقولكم الصبيانيه التي تسوقها شبهات قاصرة لفرويد وفليوكوفسكي ودارون وماركس

---

(١) النبي موسى وآخر ايام ....جـ٣ ص٨٥٨،٨٥٩ .

(*) إن المطابقة الصحيحة لا تكون بين أم فرعون غني وأم نبي فقير خصوصاً إذا كانت الأم الفرعونية تزوجت ابنها المترف والأم الفقيرة، قدمت ابنها لله في ثقة تامة وعبودية مدهشة، بيد أن المرء يمكنه ان يطابق - وهي غير مطابقاتهم!! - بين امهات ثلاثة من أولى العزم من الرسل وهي أم عيسى وأم موسى وأم محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فقد كنّ فقيرات عفيفات طاهرات، يقول محمد الغزالي « إن من الغرائب المثيرة أن يكون ثلاثة من أولى العزم قد كفلتهم نساء ضعيفات، وأن يرعى كبار الأنبياء في طفولتهم نساء مجردات من القوى المادية، معتمدات على رب السماء» نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم إنها مطابقة في الخلق والعفة والفقر تظهر لك بينات الأنبياء وطهارة الأمهات، جـ١ ص٣٤-٣٥ .

وهيجل ونيتشه وأهل الضلال والإلحاد والشرك! إن القمني يقارن بين موسى وإخناتون وأوديب ثم يخرج علينا بأن الثلاثة واحدا! وقد فعل النصارى ذلك مع الله والروح القدس والمسيح، الثلاثة واحد! والقمني يجعل الأم الزانية هي الأم الطاهرة أو بالأحرى الطاهرة تحوير للعاهرة! فهل يعقل هذا؟! كيف يتطابقان؟! القمني يقول لا تطابق هنا ولكن التوراة أخفت القصة الأصلية للأم الزانية فحورتها لتصبح أما طاهرة! فعنده «الملكة (تي) أم إخناتون زوجة آمنحتب الثالث» هي أم موسى قبل التعديل! يقول «وهكذا فإن يوكابد زوجة فرعون، وهما أبوي موسى، بينهما قرابة واضحة يفصح عنها المحرر التوراتي فيقول: وأخذ عمران يوكابد عمته زوجة له فولدت له هارون وموسى (خروج ١٦/ ١٠) ويلفت نظرنا هذا الاسم يوكابد أو (يوكابت)، الذي يلتقي بشدة (!) مع اسم بنت الملك الميتاني (جيلوخيبا) أو (يلوخيبات) أو (يلوكيبا) التي اقترضناها هي ذات الملكة (تي) أم إخناتون زوجة آمنحتب الثالث، وتتسق عناصر أطروحتنا وتتماسك (!) عندما نجد إسم (يوكابد) يلتقي أيضا بتطابق واضح مع اسم أم أوديب في الملحمة اليونانية (يوكاستا)!!... مما يعني أن محرري قصتي موسى وأوديب قد حافظوا(!) بعض المحافظة على الأسماء الأصلية لأبطال القصة»(١)

ليس السيد القمني هو الذي يلعب لعبة تلفيق الاسماء وجعلها تؤدي إلى أغراضه الأسطورية!، لقد فعل ذلك كل الباحثين العلمانيين وبصورة مضحكة وسخيفة وليست من العلم في شئ. فعل ذلك العشماوي وكمال صليبي وزياد مني وأحمد عثمان وفرويد وغيرهم ومع ذلك فنظرياتهم متعارضه، كل منهم يخرج على التاريخ بآباء لموسى غير الأب الأصلي ولأمهات - معظمهن زانيات! - غير الأم الأصلية، وحتى لأكثر من موسى يختلف عن النبي موسى عليه السلام!

إن القمني يخدعنا بمقارنات ساذجة لا تنطلي على طفل من أطفال المسلمين

---

(١) المرجع السابق جـ٣ ص٨٦٢-٨٦٣ .

فكيف بالصالحين من الرجال والعفيفات الحكيمات من المسلمات وغير المسلمات!!
وليخبرنا القمني أين هو الاسم (تي) من (يوكابد) - مع أن القرآن لم يذكر هذا الاسم لكن لنمضي معه إلى نهاية الطريق! - أو حتى اسم (جيلوخيبا) و(يلوخيبات) أو(يلوكيا) وأين يوكابد من (يوكاستا) العاهرة!

حقاً إن الأمر كما قال الشيخ محمد الغزالي رحمه الله إن هؤلاء يقومون بالهجوم الثقافي الحقير الذي يتسلل خفية إلى السرائر والعقول وهو مليئ بالدس والختل لتدمير العقائد وإهالة التراب على معالم الإسلام كلها[1]

إن القمني لا يستطيع أن يحصل على أي تطابق بين ملك زان ونبي شريف أو أم كريمة وأم خبيثة أو أب مؤمن وفرعون جاحد، وأين هي المطابقة إذن بين آمنحتب الثالث وبين والد موسى عليه السلام أو اسم أم موسى التي لم يخبرنا القرآن عنه وبين أسماء عاهرات في التاريخ المصري واليوناني القديمين!
هذا كله في كفة، وما استنتجه سيد القمني من اسم موسى في كفة أخرى!

فأنت أخي القارىء تعلم أن القصة المصرية عن الملك الذي قتل أباه واستحوذ على أمه!! ، لا تنطبق على موسى عليه السلام كما أنه ليس هناك أي اقتباس توراتي عن قصة ذلك الذي قتل أباه وتزوج أمه! لكن الدكتور سيد القمني يستنتج قصة هذا الملك الزاني والخائن والقاتل من إسم موسى عليه السلام ليثبت التطابق المدهش!!!
يقول «والغني عن البيان (!) هنا أن اسم موسى يتركب من شقين أو ملصقين هما (مو = ماء + سا = ابن) = موسى = ابن الماء ، وهو اللقب الذي أطلقته الأميرة الفرعونية على موسى(!) عندما عثرت عليه وصفا لحاله حسب الأسطورة التوراتية، وابن الماء هو لقب فرس النهر الذي قتل أباه وتزوج أمه(!) وبعد سنوات طويلة من التطور الارتقائي الطويل[*] (!) كتب المحرر التوراتي مُعبِّراً عن انشغال

---

(١) انظر قذائف الحق للغزالي ص٩ .
(*) تبدو رائحة المذهب الدارويني والمذهب الفرويدي والماركسي ترف فوق كلماته !!!

بال يقف وراء ما كتب (!) «وعورة أمك لاتكشف (لاويين ١٨/ ٧) وبقى فرس النهر في ذاكرة المصريين رمزاً للفسق الأعظم وعدواً»[١]

فيوكابد هي تحوير للملكة التي تزوجت ابنها وهي (تي) ! واسم موسى يدل على تاريخ سيء، تاريخ قتل الأب والاستحواذ على الأم!، لكن نتيجة للتطور الارتقائي في الدين والأخلاق والمجتمع استطاع محرر التوراة - بزعم القمني - أن يُغير الحقائق عن موسى وأمه!!! أما والد إخناتون ووالد أوديب فيقول عنهما «لقد حلت اللعنة على بيت لايوست اليوناني (والد أوديب) لأنه أول من أدخل اللواط إلى طيبة بحالة العشق التي مارسها بصحبة الصبي خريسبوس، وقد تم تصوير آمنحتب الثالث في اللوحات المصرية في ملابس نسائية، وكانت الحالة الوحيدة الأولى والأخيرة في تاريخ مصر الذي يظهر فيه الفرعون بملابس نسائية»[٢] والد اخناتون/ موسى بملابس نسائية!!! ومحاولة من سيد القمني توسيخ - آسف لاستعمال هذا اللفظ! - صورة بيت موسى عليه السلام يقول: «وإذا كان (لايوس) هو النسخة اليونانية لآمنحتب الثالث المصري فإنه بحذف التصريف الأسمى تصبح لايوس هو (لايو) البيت الذي أنجب أوديب، لكن المبهر حقا (!) حسب التوراة أن بيت السبط (لاوي) كان هو البيت الذي أنجب موسى؟!»!!![٣] لاحظ تلاعبه بالأسماء وخلطه للبيوت!! ومحاولة من د. سيد القمني تضفير نسيج المطابقة المزعومة أو تنفيذ مخطط مخرِّب الأديان، اليهودي فرويد صاحب القول بأن التوراة قلبت حقائق الواقع الفعلي فجعلت من الفرعون نبيا ورسولاً، محاولة من سيد القمني إيجاد التطابق بين قصة إخناتون وقصة موسى فإن لم يجد

---

(١) المرجع السابق جـ٣ ص٨٧١ .

(٢) المرجع السابق جـ٣ ص٨٦٣ فهل هذا هو التطابق يا فيلولكي اليهودي ويا تلميذه أيها الدكتور المصري؟!!

(٣) المرجع السابق جـ٣ ص٨٦٤ .

فبتخريب الحقائق وتشويه النبوة في وحل المقارنات المفتعلة، محاولة منه لتحقيق ذلك ذهب إلى التاريخ اليهودي ليجد منه صورة عن زنى إخناتون بأمه فلم يجد، فقام بالتلاعب التالي «لكن الإعتراض البدهي هنا هو المعلوم أن موسى في التوراة قد تزوج من صفورة بنت كاهن مديان (يثرون/ رعوئيل) أو رع إيل - رع إله) وليس أمه يوكاب. ومن جهة أخرى نعلم أن التوراة لم يكن لديها ملامة في زواج المحارم (بمنطق اليوم) فالبطريك إبراهيم تزوج شقيقته سارة(!) وعمران تزوج عمته (أو خالته) يوكابد، وكان بالإمكان التجاوز إلى بقية المحارم لكن التطور اللاحق منع من تسجيل الزيجة الأهم والصارخة(*) فقد عمد المحرر بعد تطور العلاقات الاجتماعية(**) إلى إخفاء هذه الحقيقة المروعة، لكن لتختلط الأحداث بين يديه وتلتبس فتفلت الحقيقة من بين السطور ، في حكاية فضيحة. والحكاية في حديث التوراة عن زواج موسى من صفورة بنت (يثرون) في سيناء، وكيف انه لم يكن مختونا بعد. ومعلوم أن موسى قد هرب إلى مديان يافعا بعد قتله المصري ظلما، وهو الترميز التوراتي لقتله أباه بمحو اسمه(!) كما يرمز الهرب إلى مديان قصة إستبعاد اخناتون طفلا إلى هناك»[1] فهو يجعل حقائق التوراة والقرآن وهي هروب موسى بعد قتله المصري إلى مديان أنها ترمز إلى قتله أباه بمحو اسمه وأنه استبعد طفلا إلى مديان وليس هروب مزعوم في الكبر!

والقمني دائما ما يفتعل هذه التفسيرات إذا لم يجد المطابقة المرصودة بين

(*) ويسميها في وضع آخر «المضاجعة المحرمة» و«فضيحة في القصر» جـ٣ ص٧٩٩-٨٠٤ ويقول ص٨٠٠ « كانت العلاقة الجنسية بين الأم والابن امراً بغيضاً في مصر والعالم القديم والمجتمع البدائي والحديث على السواء ... وهى الحالة التي تشبه حالة إخناتون وأمه (تي) من وجهة نظر فليوفسكي [أقلت سياتي تبنى القمنى لهذه النظرة ايضاً!] فقد كان يعرف أنها أمه وتعرف أنه ولدها وأن العلاقة كانت علنية، فجعل أمه شريكته على العرش والفراش والحب منها بكتاتن، وربما بدأت العلاقة سرية ثم انقشعت تلك السرية بسرعة »

(**) هذا هو التفسير المادى للتاريخ !!!

(١) المرجع السابق جـ٣ ص٨٦٤-٨٦٥ .

القصتين! وهو يجعل من نص توراتي موجود في الأسفار الحالية ليهود سنداً لنظريته لتشكيلها كما يريد فيدعي أن زوجة موسى هي أمه!

والنص في سفر الخروج هكذا «وحدث في الطريق إلى المنزل أن الرب التقاه وطلب أن يقتله، فأخذت صفورة (زوجة موسى المديانية / تعليق القمني) صوانه وقطعت غرلة ابنها ومست رجليه، فقالت: إنك عريس دم لي فإنفك عنه، حينئذ قالت: عريس دم لي من أجل الختان» خروج/ ٤/ ٢٤-٢٦(*)

يعلق د. سيد القمني على هذا النص بقوله: «ونعود للنص الخطير عن ختان صفورة لموسى بالصوان، نجد النص يقول إن موسى يفع وكبر وتجاوز السن الشرعية للختان ولم يختتن ، فأخذت زوجته صفورة بنت رعوئيل/ يثرون/ سكينا مصنوعاً من الصوان وقطعت به قلفه أو غزله أي غلفة قضيب موسى. لكن المبهم أن موسى هنا يوصف بأنه ابن صفورة التي هي زوجته(**) وقبل علمنا هذا كان ذلك النص مدعاة لتخريجات وتحريفات ومحاولات تاويلية فاشلة غير مقنعة ، لتفسير كيف كانت صفورة زوجته وأمه في نفس الوقت، خاصة أن هذه الأم بعد أن ختنته كبيراً أعلنته عريسا لها؟!! لان لابد لكي يستقيم الأمر هنا ألا تكون صفورة هي الزوجة والأم لكنها يوكابد أمه التي تزوجها أبوه عمران في مصر. لكن لإخفاء ما حدث وستره كان لابد من هذا التمويه، فقد علمنا أن إخناتون قد تزوج أولاً من نفرتيتي التي افترضنا مع جاردنر أنها الجميلة تادوخيبا (الميتانية)، وأنها ذات صلة قرابة بأمه (تي) التي افترضناها الأميرة (الميتانية) جيلوخيبا التي سبقت تادوخيبا في الوصول إلى مصر وافترضنا أنهما ربما كانتا شقيقتين، مما يعني

(*) لصياغة سيد القمنى لافتراءاته ووضعها في نظرية مكتملة يذهب لنصوص التوراة الحالية أو الأسفار اليهودية الحالية فيأخذ منها ما شاء أو يحاول استخدامها كما أعلاه للقدح في موسى عليه السلام ونفى حقيقته وهدم سيرته ومن ثم هدم الدين تماماً .

(**) يقول فرويد « الله كان غاضباً على موسى لإهمالة الختان وأن زوجته المدينية أنقذت حياته بإجراء عملية ختان سريعة» موسى والتوحيد ص٦٧ .

أن إخناتون قد تزوج مرتين بزوجته نفرتيتي/ تادوخيبا/ والثانية بالملكة تي/ جيلوخيبا/ يوكابد(*)/ يوكاستا/ التي هي صفورة أمه»[1]

وهكذا يجعل الدكتور سيد القمني من اخناتون/ موسى/ أوديب شخصاً واحداً ومن أمه الملكة تي/ يوكابد/ يوكاستا أم واحدة ثم يزعم أنها هي صفورة زوجة موسى التي زعم أن قولها «إنك عريس دم لي» أنها جعلته زوجها! فبرواية توراتية من الكتاب المقدس الحالي يلفق سيد القمني أسطورته عن زواج إخناتون/ موسى/ أوديب من أمه ويبني عليها أن إسطورة هذا الزواج المرتبط بقتل الولد لإبيه دونت في القرآن بعد وصولها لجزيرة العرب!

مع أن نص التوراة يؤكد أن صفورة هي بنت رجل مديان «فأعطى موسى صفورة ابنته فولدت له ابنا فدعا إسمه جرشوم. لأنه قال كنتُ نزيلا في أرض غريبة» خروج ٢ :(٢، ٢٢).

وقد يكون هذا الابن - ابن موسى - هو الذي ختنته أمه، وقد يكون في النص فراغات أو ثغرات خصوصاً ونحن المسلمين نؤمن أن في الأسفار (المدعوة مقدسة) الحالية لليهود والتي يؤمن بها مسيحيو العالم ثغرات وفراغات وانحرافات وطمس للحقائق وتغيير وتبديل وتحوير ، لكن لا يعني ذلك أن الحقائق التي وردت فيها هي إفرازات اسطورية ومواد خرافية واقتباسات كهنوتية هذا ما يقوله العلمانيون الماديون في تحليلهم للتاريخ وقلبهم للحقائق وتزييفهم للوقائع. إن المثير للدهشة حقا ، هو أن سيد القمني بعد أن انتهى من استخدام «صفورة» في بناء نظريته ذهب لاستخدام نص توراتي آخر يثبت زواج موسى من إمرأة أخرى «كوشية» ويخلص من ذهب أن ذلك الغضب لا يمكن أن يكون لأن موسى تزوج مرة أخرى

(*) يوكابد اسم ام موسى في التوراة!! اى هي (تى) أم إخناتون / موسى وقد تزوجها بزعم القمنى !!

(١) المرجع السابق جـ٣ ص٨٦٦ .

أو من كوشية وإنما لأنه فعل جريمة خطيرة وهي زواجه بصفورة أمه!! أو بالأحرى زناه! فأين صفورة المديانية من الكوشية؟ وقد جعلها سيد القمني أيضا واحداً!!، يقول «ونبقب في المقدس التوراتي بعيون الباحث والتحري علّنا نجد ما يفيد بزواج موسى من زوجتين تعادلان نفرتيتي ثم (تي) في قصة إخناتون، نجد التوراة تلتوي وتشير بسرعة (!) إلى أن موسى قد اتخذ زوجة ثانية وأن تلك الزوجة الثانية هي صفورة المديانية، أما الأولى فيتركنا المقدس التوراتي بشأنها دون إفادة (!) واضحة. وفي قصة التوراة التي نقصدها (!) نعلم أن هارون شقيق موسى ومريم شقيقته بعد مساندة طويلة لموسى يغضبان عليه غضباً شديداً(*) ويُعلنان على الناس هذا الغضب مع تحريضهم وإثارتهم ضد موسى لسبب يتلخص في كلمات شاردة سريعة مغطاة لاتتكرر مرة أخرى بالتوراة إلا هذه المرة الوحيدة تقول تلك الكلمات الشاردة: وتكلمت مريم وهارون على موسى بسبب المرأة الكوشية التي اتخذها لأنه قد إتخذ إمرأة كوشية) عدد ١٢/ ١. أبداً لا يكرر الكتاب المقدس تلك الإشارة، ولا يفصح لنا عن هذه المرأة الكوشية(**) ومتى تزوجها موسى ولماذا أغضبت مريم وهارون؟ وليس مقبولا أن يكون كل هذا النزاع والغضب فقط لأنها كوشية/ سوداء/ زنجية (!) (ماذا تريد أن تقول يادكتور سيد؟!) ولا ريب أن لذلك الغضب الهائل مبرر آخر (!) أغمض المحرر التوراتي عينه عنه (!) أما تمثال (تي) أم إخناتون الذي عثر عليه في سيناء قرب الجبل المقدس كاترين

(*) لو كان الأمر كما سيذكر فلماذا ضربها الله بالبرص كما في الكتاب المقدس(عدد١٢: ١٠) ورداً على اعتراضهما على زواجه من الكوشية يقول عدد ١٢: ٣ وأما الرجل موسى فكان حليماً جداً، ورداً آخر في عدد ١٢: ٧-٨ : أما عبدي موسى فليس هكذا بل هو أمين في كل بيتي .... فلماذا لا يخشيان أن تكلما على عبدى موسى . ونحن لا نقبل لا روايات القمنى ولا روايات الأسفار اليهودية ولكنا نرى هنا تزييف المعلومات من دكتور في التاريخ !! .

(**) لذلك يحاول القمنى ان ينتهزها فرصة غالية ليقول بانها امه !! بدل أن يقول ان هذه الرواية تخالف طبيعة العلاقة التي كانت بين الأنبياء موسى وهارون فنقوق انهما اخوين فهما أيضاً نبيين وليست هذه هى سيرة الأنبياء، بدل ان يقول ذلك ذهب يخترع الأساطير .

فكان يفصح بوضوح عن وجهها السيناوي الأسود»!!!![1]

إذن الكوشية ذات الوجه الأسود/ سوداء/ زنجية بحسب لخبطة القمني، هي أمه التي هي (تي) التي هي أم إخناتون التي هي (صفورة) المديانية (ثلاثة في واحد!!!) يقول «إذن يبدو أن إخناتون عندما عاد إلى مصر وكي يتزوج أمه (تي)(!) كان لابد أن يقوم بطقس الختان حيث لم يكن قد اختتن في مديان(!)، وهو ما جاء في النص التوراتي المذكور«فأخذت صفورة صوانه وقطعت غرلة ابنها! أما أن يرى الصليبي (يقصد كمال الصليبي) بعينه الثاقبة أن في التوراة صورتين لموسى واحدة باعتباره نبيا وواحدة باعتباره إلها، فهو ما يؤكد نظريتنا لان إخناتون كان نبي آتون وفي الوقت نفسه ابنه الإلهي ، لقد كان إلها ونبياً في الوقت ذاته»[2]

أما حفلة الزواج فيحكيها الدكتور سيد القمني عن «جارستانج» فيزعم أن (تي) قامت بدور الأم الإلهية والكاهنة العظمى «هذه المرة كانت أمه تي - وهو ما تنطق به لنا لوحة الحائط الشرقي بمقبرة يويا التي يأخذ فيها إخناتون بيد أمه (تي) يقودها إلى المعبد تتبعهما ابنته بكتاتن فقط وحدها مع تدوين شارح يقول «يقود الملكة العظمى والأم الملكية (تي) لترى ظلها في الشمس» وفي اللوحة يرتدي إخناتون ثوباً شفافاً يسمح برؤية تفاصيله الداخلية، أما (تي) فتكاد تكون عارية تماما. ومن بعدها قرر أن تستمر هذه العلاقة في زواج صريح معلن دائم وليس فقط في حفل سري بالمعبد ... لقد أراد اخناتون كشف كل الأستار والتصريح بطقوس عقيدته فقرر أن يكون إلها ابن إله على الأرض قبل رحيله إلى عالم الآلهة بعد الموت بالزواج من الأم الإلهية»[3]

ويذكر القمني قول «فليكوفسكي»:«أما «تي» فتكاد تكون عارية واخناتون يمسك بيدها كما لو كانا عاشقين» ويذكر قول أوديب عن أمه يوكاستا «أمي

(١) جـ٣ ص٨٦٧ المرجع السابق .
(٢) المرجع السابق ج٣ ص٨٥٧ .
(٣) المرجع السابق جـ٣ ص٨٥٦-٨٥٧ .

التي هي زوجتي»[١]

وبما تقدم فقد حاول القمني أيضا أن يقول بأن موسى تزوج أمه التي زعم أنها صفورة التي هي زوجته!!!، هي تي العارية هي الكوشية السيناوية!!!

فهل هذه حقيقة المرأة الكريمة أم موسى التي أوحى الله إليها ووعدها وعداً حقاً؟! ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[القصص:٧] ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[القصص:١٠] ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[القصص:١٣] ويقول الله تعالى أيضا في سورة [طه: ٣٧-٣٩] ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ هل هذه المرأة الكريمة هي (تي) التي يقول القمني عنها «نفرتيتي و «تي» وبناتهما يظهران عرايا الفروج أمام الناس. لقد كان إفصاحاً عن طقس يلازم العبادة الجنسية...»[٢]

وهل موسى هو إخناتون نفسه الذي تزوج أمه وزنى أبوه بابنته؟

يقول القمني «وقبل زمن إخناتون بجيل واحد تزوج والده آمنحتب الثالث إحدى بناته عرض، وقد حذا إخناتون حذوه، وربما كان تأثر عادات الميتانيين في العلاقات الزوجية، هوالمسئول عن هذه النزعات التحررية... كذلك نزعة العرى في رسوم نفرتيتي وبناتها، والتي تكشف دوما عن الفرْج، كما لو كان مقصوداً عن عمد، ربما تقديساً للفرْج رمز الخصب[*]، وعادة ما اشتملت عقائد عبادة الفرج على طقوس جنسية غير مألوفة، كزواج الابن من أمه أو الأب من ابنته فيما يُعرف

(١) المرجع السابق جـ٣ ص٧٩٩ .　　(٢) المرجع السابق جـ٣ ص٨٤٦ .

(*) لاحظ أن القمنى جعل من الخارجين من مصر طائفة هم «عبدة الأدون أو السيد أو الله ممثلاً في نور الخصيب» !!! والنص جـ٣ ص٨٣٠ .

بالطقس السري، ويطلق على العقائد التي تمارس ذلك عموماً «الديانات السرية»(١) .

وهكذا وجد القمني مقابل شخوص قصة موسى عليه السلام شخوص في القصة المصرية عن إخناتون حتى إنه جعل الأسماء هنا هي الأسماء هناك في احتيال تطابقي هش لا يصمد أمام التحليل البسيط.

بيد أن القمني عجز عن إيجاد شخصية مقابلة لشخصية هارون أو مريم أخته (كما في رواية التوراة) في قصة إخناتون المصرية فجاء بما يضحك منه الدهر يقول «سنجد في الملحمة التوراتية (!) شخوصاً غاية في الأهمية مثل هارون ومريم شقيقا موسى دون تواجد واضح لشخصيات مقابلة في الأصل المصري(!) أو في الملحمة الأوربية فمن كانا في تلك الملاحم ولو بالاستنتاج؟ (!) ثم الأهم من كل هذا تبقى ثغرات واضحة في نظريتنا لا تحتاج جهداً لكشفها وتتمثل في السؤال: كيف كان الفرعون إخناتون هو ذات شخص موسى بينما المفترض أن موسى ثائر ضد الفرعون ودخل معه صراعاً جدلياً استخدمت فيه أدوات لإدارة الصراع ومرت البلاد والعباد ناهيك عن كون أوديب قد مات أعمى وهو ما لم يحدث لموسى بل على العكس تماما كانت التوراة تؤكد طوال الوقت أن موسى عاش ثاقب البصر صحيح العينين... وعملياً من المستحيل على باحث أن يجد جميع العناصر والتفاصيل الصغيرة(*) بدقائقها ومنمناتها متطابقة تمام التطابق بين أصل واقعي في حقل أحداث حدثت في مصر، ونسخة مروية من تلك الأحداث في كتاب موصوف بأنه مقدس عمد محرروه إلى أكثر من استبعاد وأكثر من تزوير لإستبعاد فكرة واستبقاء أخرى تتفق مع رؤيتهم القدسية»(٢) ولا يظنن القاريء أن د. سيد

---

(١) المرجع السابق جـ٣ ص٨٠٦ .

(*) ألم يقل في نفس المقالة بأن اشخاصاً غاية في الأهمية كهارون ومريم مفقودون في القصص المصرية واليونانية فلماذا الآن يقول (التفاصيل الصغيرة؟!) فهل هذه تفاصيل صغيرة .

(٢) المرجع السابق جـ٣ ص٨٨٤ .

القمني يدافع هنا عن الاسلام وعن قصة موسى في الإسلام، فالرجل يرفض حقيقة قصة موسى باعتباره نبياً من بني اسرائيل وأنه أرسل إلى فرعون بعد هروبه من مصر وبعد أن عاش فترة في مدين وتزوج ابنة رجل مدين، فالقمني يرفض أن تكون قصة موسى كما هي في القرآن برفض اعتباره نبياً، تربى في بيت فرعون وهو غريب عنه، طفلا من بين إسرائيل وليس ابنا لفرعون لا بالولادة ولا بالجنس والعرق، ولا يؤمن بحقيقة المواجهة التي تمت بين موسى عليه السلام وفرعون الملعون ولا بطلب موسى من فرعون أن يترك بني إسرائيل يخرجون من مصر بسلام ولا أن فرعون بعد خروج بني اسرائيل قد طارد موسى وقومه فإنشق البحر فغرق فرعون، لا يؤمن د. سيد القمني بشيء من ذلك ، لأنه يعتقد أن قصة موسى، كما هي في القرآن انتقلت للتدون عن طريق الرواية الإسرائيلية، مع بعض التحوير، وأن قصة موسى التوراتية إنما هي نسخة محوّرة عن أصل القصة المصري لاخناتون الذي حدثت له أحداث في مصر، نسبت بعد ذلك لموسى بزعمه وقد أُضيف عليها نبوة موسى كما أضيف عليها أنه أرسل من الله لبني إسرائيل، لا يؤمن القمني بشيء من ذلك ولا أن موسى كان طفل بني اسرائيل تربى في بيت فرعون لم يؤمن بقصة هروبه بعد قتله للمصري إلى مديان ولا برجوعه لإخراج بني إسرائيل من مصر بأمر من الوحي الإلهي وغير ذلك من الأمور التي يرفضها هو والعشماوي وأحمد عثمان وغيرهم كثير من العلمانيين العرب الذين ذهبوا يقلدون خزعبلات فرويد اليهودي وإيمانويل فليكوفسكي اليهودي وجاردنر (آلن هنري) وجيمس هنري برستد وغيرهم من الذين يزورون الروايات ويشوهون الحقائق والتواريخ والنبوات.

وقد قدمنا كيف كان يتلاعب بقصة موسى وكيف زعم أن محرري التوراة هم الذين صنعوها ونسخوها بطريقتهم الخاصة عن قصة إخناتون! وبدل أن يقبل القصة القرآنية بهدوء ذهب يتمحل ويعطي الأدوار لشخوصه حسب دورهم في

نظريته المفعمة بالضلال والشبق المدمر يقوم بذلك فيما هو يحاول أن يجد لكل شخصية صدى في الأسطورة إخناتون نظيرها في التوراة والقرآن.

إنه مازال يبحث عن دور لهارون عليه السلام فقد سبب له إشكال في نظم ونسج خيوط نظريته الهشة يقول «فربما كان هارون رفيقا لأوزرسيف وربما كان هو الوسيط العبري بين إخناتون وبين أسرى مدينة حواريس سواء كان حقيقة أم اختراعاً اخترعته التوراة كمترجم، وهو الوسيط الذي لم يأتنا ذكره في الأصل المصري لأن الأصل المصري قد عنى بالأسرة المالكية وحدها، خاصة أن ظهور هارون كوسيط يبدأ دوره بعد خروج إخناتون منفيا من مدينته(*) ومن ثم لم نجد أي ذكر في المدونات المصرية له فهو أمر طبيعي لأنه لم يكن قد ظهر بعد (!). وبالتالي لم يظهر أيضا في ملحمة أوديب لأنها قد استمدت وقائعها من مصر مباشرة(!) وليس عبر التوراة، لذلك كان طبيعيا أن يظهر في التوراة وحدها، ولتأكيد إسرائيلية موسى ونفي أصله المصري(!) ابتدع لهما أصل واحد(!) فهو شقيق موسى وكليهما إسرائيليان من بني عمران »[1]

وهذا قدح في الوحي، وقدح في القرآن الذي جعله القمني نتاج تطور ارتقائي وإفراز تاريخي وتكوين وتراكمات ثقافية لقرون طويلة!، ويعتبر قصة موسى التي - بحسب كلامه - دُوِّنَت في القرآن نتاج تحويرات ايديولوجية لكهنة التحريف اليهودي الذين نسخوا قصتهم عن موسى عن أصل مصري لا يمت لبني إسرائيل بصلة!!، فإذا كان فليكوفسكي - بحسب قول القمني - قد (زوّر علينا وعلى العالمين)[2] فإن القمني فعل نفس الفعل - وهو يحاول، على طريقته الماركسية في

(*) منذ قليل كان يبحث عن دور ولم يكن متأكداً من وجوده التاريخي والآن بعد سطر واحد يتكلم كأنه متأكد من دوره بعد خروج إخناتون !!! ياللعجب !!! .

(١) المرجع السابق جـ٣ ص٨٨٧ .

(٢) إسرائيل ... التوراة ... التاريخ ... التضليل ص٢٢١ .

التفسير، أن يجعل من آيات موسى عليه السلام موروثاً مصرياً وحيلة معروفة!!

يقول عن قول الله عز وجل لموسى عليه السلام ﴿ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ ﴾[طه: ٢١، ٢٢] «أما وضع الملك يده في فتحة ملابسه في صدره وإخراجها ليريها للناظرين، مع ما جاء في التوراة والقرآن أنها تظهر في تلك الحال بيضاء مضيئة، فنعتقد ذلك يرتبط بما سبق وفعله حتشبسوت(!) لتأكيد شرعية ملوكيتها المشكوك فيها وأرسلت لهذا السبب خصيصاً بعثتها إلى بونت لاحضار المادة المضيئة التي أسمتها النصوص مادة السام... ويبدوا أنها كانت العادة التأكيدية لشرعية الملك في أعياد سد فكان الملك يخفي يده في جيب صديريته ويغمس يده في مادة السام المخفية في ملابسه ليخرجها مضيئة للناظرين، وهو بالضبط ما فعله إخناتون أمام (آي) وجماهير شعبه كآيات لملكه، وذكرته بعد ذلك التوراة كمعجزات قام بها النبي موسى أمام الفرعون. أما بقية المعجزات كضرب مصر بالبعوض والضفادع والجراد والذباب والقمل فهي أمور إعتيادية في أرض مصر التي تضج بالحياة(!)، وهي في ذات الوقت أمور غريبة على محرر توراتي يعيش في صحراوات جافة ضنينة بالحياة وشحيحة. ويبدو أن الأمر لم يحسم لصالح الدلائل السحرية للشرعية»[(١)]

وهكذا يجعل القمني من الآيات الكبرى - كما سماها الله في القرآن - حيل تصنع في الخفاء عن طريق مادة السام التي تخفي في الملابس وعند إخراج اليد منها تخرج مضيئة للناظرين!

لقد ساوى حيل السحرة بآيات الله، ونفي عن آيات الله أن تكون آيات حقا، وحسب اعتقاده فذلك يرتبط بما فعلته حتشبسوت بالمادة المضيئة المخفية في الملابس!

---

(١) النبي موسى وآخر أيام تل العمارنه جـ٣ ص٩٠٨-٩١٢ .

وأنا هنا أذكر ما قاله عبدالله النديم في أساتذة القمني القدامى الذين صنعهم الاستعمار الفرنسي ثم رعاهم الاستعمار الإنجليزي والذين أشاعوا في عالمنا العربي والإسلامي المادية والشك، والعلمانية، والإلحاد يقول النديم: إنهم إعداء الله وأنبياؤه ، الأجراء الذين أنشأوا لهم جريدة جعلوها خزانة لترجمة كلام من لم يدينوا بدين، ممن ينسبون معجزات الأنبياء إلى الظواهر الطبيعية والتراكيب الكيماوية، ويرجعون بالمكونات إلى المادة والطبيعة، منكرين وجود الإله الحق، وقد ستروا هذا الأباطيل تحت اسم فصول علمية، وما هي إلا معاول يهدمون بها عموم الأديان»[١]

وما هي إلا تكهنات خائبة وافتراضات خاطئة وتأملات منحازة وأيديولوجيات مبيِّتة مُتربِّصة تحاول صنع ما أسماه «أدونيس» العلماني: «انقلاب معرفي ونظري»[٢] في عالم الإسلام والمسلمين وهذا الانقلاب المعرفي يقوم كما قال ابن القيم قديما على «زبالة الأذهان ونحالة الأفكار وعفارة الآراء ووساوس الصدور»[٣] فهل نترك اليقينيات ونرمي وراء ظهورنا العقليات ونرفض الحقائق التاريخية الأصيلة لهذه الزبالات، ونتبع «مناهج العمى»[٤] بحسب وصف سيد قطب.

مناهج العمي التي تسبب عمى البصيرة، وعَمى الطباع - يقول محمد الغزالي- «ذلك أن الطباع إذا فسدت فسد تصورها للأشياء، وفسدت أحكامها عليها. كالمرآة التي غاض ماؤها، وانطفأ نورها، وتساقطت القطع من سطحها وأطرافها، لايمكن أن تثبت صورة صحيحة لما يواجهها»[٥] وكيف يفهم هؤلاء القضايا الكلية الكبرى «والصغار لا يستطيعون فهم القضايا الكبرى، كما تعجز المراصد البدائية عن التقاط

---

(١) من مقالة للدكتور محمد عمارة تحت عنوان «هذا إسلامنا» بجريدة القاهرة المصرية الثلاثاء ٨ مايو ٢٠٠١ص.

(٢) ديوان الأساطير، دار الساقي ص٨ .

(٣) إعلام الموقعين جـ١ ص٦٨ .

(٤) ظلال القرآن جـ٤ص٢٠٧٥ .

(٥) كيف نفهم الإسلام للغزالي ص١٣٨ .

صور الكواكب البعيدة»[1] فبعد ما يقومون بالرصد البدائي بعيون فاقدة لنور البصر والبصيرة يخرجون على العالم بالنظريات الخائبة المشوشة والخلافات الصاخبة المخلخلة والاستنتاجات المحيرة المظلمة التي سرعان ما يجري تبديلها وتغيرها كالثوب الوسخ البالي أو تعديلها بمجرد ظهور ضلالات جديدة فيكرهون كما قال ابن تيمية رحمه الله فطرهم وعقولهم على التناقض والفساد والانحراف[2] على العكس من هؤلاء الأنبياء الذين بُعثوا بتكميل الفطرة وتقريرها لا تبديلها وتغيرها أو إكراهها ومسخ طبيعتها. فإن «من خالف الأنبياء فإنه كما أنه مكذب لما جاؤوا به من النبوة والسمع، فهو مخالف للحس والعقل، فقد فسدت عليه الأدلة العقلية والنقلية»[3]

«يُفسدون الحس والعقل كما أفسدوا الأدلة السمعية والحس والعقل، بهما تعرف الأدلة، والطرق ثلاثة: الحس، والعقل، والخبر، فخالفوا الأنبياء أفسدوا هذا وهذا وهذا»[4]

والله تعالى يقول ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ۝١٠ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ [الذاريات:١٠،١١] فالتخرص والإنغماس في الغفلة والسهو عن الواقع آفات - كما يقول الغزالي - لا تنتج حقيقة أبداً[5] والخراصون لا يؤيدون النظريات العقلية المناقضة للقرآن والواقع والتاريخ «إلا بمقدار ما تُعطي الشبهات حق الحياة، والخطأ حق الإنطلاق والفوضى حق التدمير فإذا أتاحت لهم الحرية ما يبتغون سدوا على خصومهم أفواه الطرق ودفعوا بالمجتمع كله صوب ما يعتنقون»[6]

وما الوقيعة في الأنبياء إلا إفساداً للحياة وتدميراً لحقائق الوجود، فحق الأنبياء تابع لحق الله، وإنما عظمت الوقيعة في أعراضهم لما يتضمن ذلك من الكفر

---

(١) الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر ص١٤٨-١٤٩ .

(٢) انظر نقض المنطق ص٥١ . (٣-٤) النبوات لابن تيمية ص٤٤٩-٤٤٨ .

(٥) ركائز الإيمان ص٣٣ . (٦) ركائز الإيمان لمحمد الغزالي ص٣٥ .

والوقيعة في دين الله وكتابه ورسالته[١] «فإنه أصل لكل فساد في الأرض إذ هو إفساد للنبوة التي هي عماد صلاح الدين والدنيا والآخرة[٢]

إن سيد القمني من أقطاب المدرسة العلمانية التي تعمد إلى النيل من العقائد والشرائع السماوية والمقدسات الدينية بحجة حرية البحث والإجتهاد... تهتك المقدسات وتجرحها - كما يقول الأستاذ فهمي هويدي - تهدم في هدوء وبغير ألم وتتحدى ركائز عقيدة الأمة[٣]

وكتابات القمني - كما يقول هويدي - «من نوع الكتابات الشيطانية العربية»[٤] «أخطر من رواية سليمان رشدي، تباع في مكتباتنا وعلى أرصفة مختلف العواصم العربية»[٥]

القمني وإيمانويل سيمون فليكوفسكي:

قام د. سيد القمني بنقد فكر «فليكوفسكي» الهادف إلى تأسيس خطير للقومية الإسرائيلية «في كتابه الذي إكتسب شهرة عالمية في الأوساط العلمية كافة، والموسوم بعنوان (عصور في فوضى)، والذي إنتهى من كتابته في شهر فبراير من عام ١٩٥٢م»[٦]

ففليكوفسكي - في نظر القمني - «هو صاحب أهم وأخطر وأثرى تنظير تاريخي لما يسميه هو (القومية الإسرائيلية)»[٧]

---

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول ص٣٢٨ .

(٢) المرجع السابق ص٣٣٩ .

(٣-٤-٥) من مقالة «التعدد لا التعدى» للأستاذ الكريم فهمى الهويدى بجريدة الأهرام ٢٣ مارس ١٩٨٩م القاهرة، والمدهش ان القمنى وضع هذه المقالة كاملة في مقدمة كتابه التافه «الحزب الهاشمى» انظر الحزب الهاشمى ص٧ .

(٦-٧) إسرائيل .. التوراة.. التاريخ.. التضليل للقمنى ص١٥٥ .

ويقول القمني بأنه عندما طالعت (عصور الفوضى) اكتشفت أن الأمر جد خطير، وأخطر بكثير من كتابات أسطورية قديمة كانت تلائم بنية التفكير في عصرها»[1]

فما أرعج القمني هو «قدرة المؤلف على البحث الدؤوب الذي لا يكل، وإمتلاكه جلداً على التقصي لايبارى ، وسعياً لا يفتر - من أول كلمة خطها إلى الختام - وراء القرائن والبراهين التي تدعم فروضه وأطروحاته لتحويلها إلى بناء راسخ القواعد»[2] فقد سجل فليكوفسكي - يقول القمني - «أعظم نقطة في رصيد القوميات العنصرية، بقراءة موثقة وتنظير قلّ أن يوجد مثيلا له لتاريخ إسرائيل المقدس»[3] ويعترف القمني أن فليكوفسكي كاد أن يحكم السيطرة على عقله تماماً! «وهنا أجدني مضطراً لتقديم اعتراف متواضع، مضمونه أني ما كدت انتهي من قراءتي لكتاب عصور في فوضى حتى كان (فليكوفسكي) قد أنشب كل إمكاناته وبراعته في دماغي، حتى وصلت إلى لحظة كادت تكون هي التسليم له بكل ما ذهب إليه[*] ومن ثم كان لابد أن أعيد النظر فيما سبق أن وصلت إليه في أعمالي المنشورة لي على الأقل ، وأن أعلن في أقرب مناسبة تراجعي الكامل عن كل ما وصلت إليه في أبحاثي من باب أمانة واجبة علمياً (!)، كما كان ينبغي إذا أردت الاستمرار أن أبدأ من نقطة الصفر مرة أخرى، وأعيد النظر في كل ما وصلت إليه حتى الآن في قراءتي للتراث ... ولولا محاولة أخيرة في قراءة رابعة لعصور في فوضى، تسعى للإطمئنان اليائس قبل أن أنفض يدي من شئون البحث، قصدت منها مراجعة أخيرة لمكمن سقطاتي البحثية قياساً على نتائج

---

(١) المرجع السابق ص١٥٦ لقد قام الدكتور عبدالمنعم عبدالحليم سيد بنقد فليكوفسكي والقمنى في آن واحد في كتابه المغالطات والافتراءات الصهيونية وهو كتاب مفيد .

(٢) المرجع السابق ص١٥٦ .

(٣) المرجع السابق ص١٥٧ .

(٤) المرجع السابق ص٢٠٧ .

(*) سيأتي أن القمنى اقتبس جزءاً من نظريته من فليكوفسكي وقدمنا ذلك أيضاً !

(فليكوفسكي) لأضعها بين يدي باحث صديق أطمئن لإخلاصه ليأخذ الخطوة المناسبة أقول: لولا تلك القراءة ما كان ممكنا أن أكتب هذه الصفحات، فسرعان ما بدت تتالي إكتشافات لمكامن الشرك والفخاخ، وبدأ التلفيق يظهر ثم تزييف الدلالات آخذاً بعضه برقاب بعض، تلك الشراك التي تمت صياغتها وتربيتها بحرفية عالية الجودة وبإتقان غاية في الكفاءة»[1] اكتشف القمني أن فليكوفسكي طوّع مادته التاريخية لخدمة أغراض أبعد ما تكون من العلمية[2] إضافة إلى ذلك يحلف القمني بالأيمان الثلاثة أن فليكوفسكي يتلقى دعم مؤسسات أكاديمية عالمية[3]

ومع ذلك فقد وقع د. سيد القمني في شراك فليكوفسكي المتقنة الكفاءة ففي حين قام القمني بنقد كتاب فليكوفسكي عصور في فوضى(*) لأنه يؤسس للقومية العنصرية الإسرائيلية نجد القمني من ناحية أخرى يغرف من طروحات فليكوفسكي المدشنة في كتاب آخر لفليكوفسكي هو «أوديب وإخناتون» الذي وصفه القمني نفسه بأنه عمل غير مسبوق! لقد استفاد القمني من هذا الكتاب استفاده قصوى، بل لقد خصص له حوالي ٤٠ صفحة من الجزء الثالث من كتابه (النبي موسى وآخر أيام تل العمارنة) من الصفحة ٧٨٤ إلى الصفحة ٨٢٤، كسند قوي له في بناء أطروحته الخربة. فيقول القمني في أول صفحة (٧٨٤): «في عام ١٩٦٠م انتهى إيمانويل فليكوفسكي من تدبيج عمله غير المسبوق «أوديب وإخناتون» الذي أوجز المسألة كلها في فقرة تقول: «لم يكن إخناتون موحداً أولاً، ولم يطلق عليه من خلفوه من فراعنة لقب المجرم من جراء محاولاته في ميدان الإصلاح الديني،

(١) المرجع السابق ص٢٢٨-٢٢٩ . (٢) المرجع السابق ص١٥٨ .

(٣) المرجع السابق ص١٦٠ .

(*) أدلى فليكوفسكى بدلوه أيضاً في لخبطة التاريخ، وبدلاً من أن يكون عصر إخناتون سابقاً لخروج بنى إسرائيل من مصر، جعل الخروج سابقاً على إخناتون وسمى كتابه «عصور في فوضى» من الخروج إلى الملك إخناتون»! والمضحك أن فيلكوفسكى قال بأن حتشبوت المصرية هي ملكة سبأ اليمنية!! فانطبق عليه وعلى عصره العلمانى اسم كتابه أى : عصور في فوضى !!

ولكن من جراء خطيئة أخرى تسردها صفحات هذا الكتاب»[١][٢]

إن القمني ذهب كما ذهب فليكوفسكي إلى أن خطيئة إخناتون كانت جرما خاصاً وهو زواجه بأمه! كما ذهب إلى أن إخناتون لم يكن موحداً وانا لا أعتراض على ذهاب القمني لما ذهب إليه فليكوفسكي في هذه المسائل كما لا أعترض على عملية الربط بين إخناتون/ أوديب التي استفادها القمني من فليكوفسكي، فهذا تاريخ بشري يأخذ منه ويُرد، ولم يكن اليونان بأعظم أخلاقاً من المصريين الأقدمين ولا المصريين في التاريخ القديم كانوا بأبعد عن الوثنية من اليونانيين لكن القمني يستغل المشاعر الإسلامية للإيحاء بأن فليكوفسكي يسعى في أبحاثه لإقامة تنظير تاريخي للقومية الإسرائيلية.

ولو نظرنا بدقة إلى ما ينقده القمني أثناء نقده لأفكار ومسلمات فليكوفسكي لوجدنا القمني ينقد أشياء كثيرة ثابته في التوراة والإسلام، ويكفي كدليل على ذلك ما هدمه القمني من الحقائق التاريخية التي يشترك في الإيمان بها المسلمون واليهود من نبوة موسى عليه السلام وإنه من بني إسرائيل وأن خروجه كان ببني إسرائيل مطارداً من فرعون وجنوده الذي أهلكه الله وجيشه في معجزة انشقاق البحر ونجاة جسده كاملاً كجثة هامدة تحتل الآن مكاناً في قاعة المومياءات الملكية في المتحف المصري بالقاهرة ويستطيع الزوار أن يروه(*)

---

(١) فليكوفسكى : أوديب وإخناتون ، ترجمة فاروق فريد، وزارة الثقافة بالمشاركة مع دار الكتاب العربي، القاهرة، د.ت، ص٦ نقلاً عن النبي موسى للقمنى جـ٣ ص٧٨٤ .

(٢) النبى موسى وآخر أيام تل . . . جـ٣ ص٧٨٤ .

(*) يقول الدكتور بوكاى « في يونيو ١٩٧٥ سمحت لى السلطات المصرية العليا بدراسة أجزاء جسم فرعون التي كانت منطاه حتى ذلك الوقت . . . الشاهد المادى الوحيد الباقي حتى يومنا هذا . . . الشاهد على موت فرعون الخروج وعلى النجاة التى أرادها الله لجسده. . . إنها شهادة مادية في جسد محنط على من عرف موسى وعارض طلباته وطارده في هروبه ومات في أثناء هذه المطاردة، وأنقذ الله جثته من الهلاك التام ليصبح آية للناس كما هو مكتوب في القرآن » القرآن الكريم والتوراة والإنجيل ص٢٧١ .

لقد قام علماء المسلمين قديماً وحديثاً بنقد خرافات وافتراءات أسفار اليهود المعروفة لكنهم لم ينقدوا الحقائق التي مع الخصم ذلك أن الحقائق التي عنده هي حقائق نبوية ولا يمكن أن تتناقض مع ما أوحى إلى رسول الله محمد ﷺ. فلم يقوموا مثلا برمي موسى بإدعاء النبوة أو برمي كتبة الأسفار اليهودية بأنهم أخفوا أصلاً مصرياً لقصة موسى عليه السلام أو أنهم اقتبسوا قصة موسى من أصل مصري أو عراقي أو يوناني.

أما القمني الذي يؤمن بالماركسية والمذاهب الحديثة في تحليل النصوص المقدسة فقد نقد حقائق وأباطيل فليكوفسكي في نفس الوقت الذي استفاد منه نصف نظريته الجديدة وهي أن إخناتون هو أوديب وأضاف عليها أن إخناتون هو أوديب هو موسى، شخص واحد بروايات ثلاثة!

فكانت إفتراءاته أخطر بكثير من افتراءات فليكوفسكي، فقد قام بنقد حقائق آمن بها فليكوفسكي أو سلّم بها في نفس الوقت الذي أضاف إلى ما استفاده من فليكوفسكي «إخناتون هو أوديب» أباطيل رفضها فليكوفسكي نفسه ألا وهي أن موسى هو إخناتون وأنه ابن آمنحتب الثالث وزوجته ني اللذين كانا إباحيين في ديانتهما! وقد قدمنا من كلام فليكوفسكي الذي أورده القمني نفسه رفضه لفكرة أن موسى هو إخناتون بل ورد فليكوفسكي ونقده اللاذع لزعم فرويد بأن موسى مصري الجنس والميلاد ولتجرؤه على شخص موسى عليه السلام! في حين أن القمني زاد في جرأته الهمجية أكثر من جرأة فرويد فزعم أن إخناتون هو موسى هو أوديب ثم ذهب يسرد علينا تاريخاً فاضحاً لإخناتون وأمه وأبيه ، يستحي المرء من قراءته.

فإن كان القمني قد قال عن فليكوفسكي أنك «لا تلمس بطول كتابه نزوعاً إيمانيا حقيقياً، ولا يبدو الرجل كحبر من الأحبار، ولا حتى ذا ميول دينية ، بل إنك تلمس رغبة الرجل ألا يبدو رجل دين تقليدي، بل يكاد يفصح أحياناً

بإلحاده»(!) فـإن كتـابات القـمني نفـسهـا إنما هي أعظم افـتـراءاً من افتـراءات فليكوفسكي، كما أنها أصرح منهـا في الكفر والإلحاد - وإن كان القمني أثناء قتله للجسد الإسلامي يصلي على النبي!! - وأغرق منه فـي الخيال والكذب والبهتان. فعلى الأقل وقف الرجل ضـد سيجموند فـرويد لتحقيـر الأخير لموسى عليه السلام أما القمني فهو يمرغ صورته في الوحل ولا ينسى أيضا أن يصلي عليه!

زيادة على ذلك افترى القـمني - كمـا قدمنا - على القـرآن بزعمـه أنه دون أساطير مكتوبة وشفوية ومقتبسة!، كما زعم أن هذه الأساطير - وقد جعل القمني من الحقائق التاريخية أساطير - وصلت جزيرة العرب لتدون في القرآن، فهي ليست وحياً فوقياً ولكنها تطورات وتنقلات لأساطير قديمة!! وقد رمى القمني القرآن بأنه دوّن بين دفتيه مفاضلة باطلة بين شعب مصر القديم وتاريخه العريق وفراعينه وبين جماعة إسرائيل وأنبيائها و المفاضلة بين ملوك إسرائيل وجماعتها وبين ملوك كنعان وشعبـها الفلسطيني يقول «وهي المفاضلـة التي يمكن أن تؤرق الضمـير الوطني أو تجرح الحس العقائـدي في حال لزوم الاختيار ما بين فرعـون وموسى، أو المصريين والإسرائيلين، وكذلك ما بين جالوت وداود، أو الفلسطينيين والإسرائيليين»!![1]

ولا أعرف عن أي ضمير وطني يتكلم القمني؟

فكلنا يعلم أن الضمير الوطني اليوم هو ضد إسرائيل المفسدين وفرعون الماضي الظالم ، فالمسـلم مع الحق أينما كان، فـيوم أن كان فـرعون يسـتخف قومـه كان الإسلام في صف الإيمان وأهله واليوم يستخف الـيهود بالعالم كله ونفس الإسلام الذي وقف ضد فرعون في الماضي يقف اليوم ضد يهود التحريف والإفساد.

فنحن المسلمين مع موسى النبي وقومه ضد فرعـون وملئه المفسـدين كما أننا مع داود عليه السلام ضد جـالوت المتعالي واليوم نـحن مع إخواننا الفلسطينين ضد اليـهود

---

(١) إسرائيل ... التوراة ... ص١٥٢ .

الكافرين والمفسدين والمحاربين لدين الله ولإنسانية الإنسان. في نفس الوقت الذي نسالم فيه ونعامل بالحسنى أي يهودي أو مسيحي مسالم غير معتد ولا محتل غاشم. هذه مسلمات في ديننا وفي ضميرنا الوطني وعقيدتنا الإسلامية.

لكن القمني يرفض التاريخ الموسوي كله، بل يرفض نبوته ورسالته فهو بزعمه كان اخناتون الوثني الإباحي غير أن التوراة غيَّرت القصة الحقيقية بعد تحويلها من أصلها المصري لتأخذ شكلها العبري المزيف.

هكذا يفكر القمني وقد قدمنا كل الأدلة التي تظهر هذا الموقف المفسد للحقائق والمضيع للأصول بحجة الحفاظ على الضمير الوطني الذي يجب أن يحارب الصهيونية ومسلماتها!

لقد اتهم الرجل الاسلام بأنه خضع للأيديولوجياالصهيونية ومنظومتها الفكرية بعد إلباسها لباساً قرآنياً إسلامياً!
يقول «في التجربة المستمرة للتعامل مع طروحات الأيديولوجيا الصهيونية، المؤسسة على أعمدة تاريخية ودينية قدسية، كنت على يقين دوماً بمدى تهافت كثير من أعمالنا الفكرية وترنحها إزاء تلك الطروحات، رغم كم الشعارات والجمل الساخنة، والإطالة المفرطة حيث كانت تلك الأعمال تلقى بنا في النهاية على حجر الفكر الصهيوني وقبضة منظومته الفكرية بعد الإقرار لها بكل تأسيساتها التاريخية والقدسية، برداء إسلامي يعيد إنتاج عناصر الأيديولوجيا الصهيونية، وهو ناتج ضروري، ولزوم حتمي عن التسليم الايماني بقدسية التاريخ الإسرائيلي، كمادة أولى وأساس في النص المقدس، وكمادة أولى في قانون الإيمان (بالله وملائكته ورسله وكتبه)، وكان الواضح أن أولئك الرسل جميعا من بني إسرائيل نسباً وشرفاً وعقيدة. وإن تم سحب المصداقية عن مقدسهم المتداول بين الأيدي الآن بعد وصمه بالتحريف، بعد إكتشاف (!) يهود يثرب والنبي محمد ﷺ اختلاف

توجهاتهم على البعد الإستراتيجي، ومن ثم تغير التكتيك المرحلي زمن الدعوة بالنسخ القدسي، ليتم الكشف عن الإسلام كبعد تاريخي قديم وأن الإسلام كان مستبطناً باليهودية التاريخية، ومن ثم تمت إعادة التاريخ دورة كاملة إلى عهد النبي محمد ﷺ كما تحول(!) جميع أنبياء وملوك دولة إسرائيل القديمة إلى أنبياء مسلمين كانوا يدعون بدعوة الإسلام ... وظلت الآيات التي تذكر بهم كشعب مختار متميز فضلهم الله على العالمين، وغير ذلك لانجد سوى تنويعات عروبية نادرة ويتيمة(!) عن القرى العربية البائدة، وأنبياء مثل هود وصالح، أما النسب الإسلامي والعربي، فقد ظل بدوره إسرائيلياً، بإعلان نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام، انه الحفيد النبوي الأخير لسلسة اسرائيلية استعربت بعد إبراهيم باستعراب ولده إسماعيل... هذا ناهيك عن تطابق المنمنمات (!) الدقيقة حول الإله وقد رآه وقصص الأولين الأولى بدءاً من قصة الخلق وآدم مروراً بنوح والطوفان[1]

إن الدكتور سيد القمني يرى أن ذهابنا مع موسى النبي ضد فرعون مصر ومع داود النبي ضد جالوت الفلسطيني يجرح الضمير الوطني، كما يرى أن القصص الديني القرآني المرتبط بتاريخ موسى ونبوته بني إسرائيل إنما وصل إلى جزيرة العرب عن طريق الروايات التوراتية المزورة كما عن طريق الروايات الشفهية المتداولة. ولذلك خرج على العالم بنظريته الطائشة عن موسى عليه السلام بل وعن جميع الأنبياء وعن داود ويعقوب وإسحاق وإبراهيم، وهو أكثر جرأة من غيره في جرح المقدس ونسف الدين ويتمتع بعقل أقل ما يقوم به هو الاستخفاف والتعالي وتاليه الذات انظر إليه وهو يمسك بقلمه المهزوز المستخف وهو يقول عن مملكة سليمان وداود «مهما دققت النظر وأعييت الذهن، فلن تجد أية إشارة لا لمملكة وضيعة، ولا حتى في حفائر الدويلة الحالية، ولا أثر معماري واحد بقي يتيماً

(١) إسرائيل ... التوراة ... ص ٧-٨ .

كشهادة واحدة على تلك المنشآت التي صدّعت بها أسفار المقدس رؤوسنا(!)، بينما نجد ما يقف بلا ضجيج، بدل الشاهد ألف، في آثار فراعين مصر الذين سفههم ذلك المقدس(!) وأظهرهم في المراتب الدنيا من الإنسانية، فالمملكة التي تبجج المقدس(!) بعظمتها لا شيء عنها البته، لا في أثر على ظهر الأرض، ولا في باطن الأرض(!)(*) ولا حتى على الورق!! اللهم إلا ورق المقدس وحده، وهو في موازين التاريخ والبحث العلمي، مالم تخترع له وحدة قياس بعد»(١)

ويقول متأكداً مما على ظهر الأرض وباطنها «ومن المناسب أن نوضح من جانبنا أنه لم يكتشف نص واحد حتى الآن، لا في مصر، ولا في نصوص الرافدين، يشير من بعيد أو قريب، إلى ملك باسم سليمان أو داود أو شاؤول، وهو أمر غريب بالقياس إلى ما إدعته التوراة عن شهرة المملكة السليمانة!!»(٢)

إن الدكتور أحمد سوسة(**) لم ينف وجود هذه المملكة تماماً ولم يتبجح كثيراً في إنكارها كما فعل القمني، لكنه كان يضع الأساس الإلحادي لأمثال القمني الذي يتميز بالجرأة، اقرأ النص التالي - الذي أورده القمني نفسه - لأحمد سوسه وقارنه بكلام القمني الذي ذكرته لك آنفا «والحقيقة أن مملكة سليمان التي تبجح بعظمتها، كانت أشبه بمحمية مصرية مرابطة على حدود مصر، قائمة على حراب أسيادها الفراعنة»(٣)

---

(١) إسرائيل . . . التوراة . . . ص٥٣ .

(*) هذا هو التطرف العلماني الذي يهدم الموضوعية التي يدعيها بحقده الأعمى ويغفل أن البحث العلمي الحقيقي لا يدعى معرفة كل شيء حتى ما في باطن الأرض بهذه الصورة الساذجة الملطخة بالهوى، لقد اغلق القمنى كل الأبواب في وجه الحقيقة في حين ان J.smilh قال بخلاف ما قاله القمنى هنا قال «وليس بعيداً إن تكشف أعمال التنقيبات الجارية الآن ـ فيما تكشف ـ عن بعض آلآثار التي تعن على مزيد من الإيضاح» انظر مرجعه في اليهودية لأحمد شلبي ص٦٥ .

(٢) قصة الخلق للقمنى ص١٤٤ .

(**) هو أحد العلمانين الذين يخترعون النظريات عن التاريخ القديم، ويلغون الوحي والدين، وقد وضعت نظريته في كتابى هذا ليرى القارئ حجم الدجل وخصوبة خيال العلمانى !

(٣) آثار القمنى إلى أن نص احمد سوسة هذا موجود في كتابه العرب واليهود في التاريخ، دار العربي للإعلان والطباعة والنشر ط٢ ، دمشق ص٢٦٩ انظر قصة الخلق للقمنى ص١٤٣-١٤٤ .

فما فعله القمني هو أن زاد على كلمتي «تبجح بعظمتها» كلمة (المقدس)!! في نصه الذي بدا تأثير كلمات سوسه عليه واضحاً جداً. لكن القمني زاد أن هذه المملكة لا وجود لها على ظهر الأرض ولا باطنها ولا حتى على الورق إلا ورق المقدس وحده في حين أن سوسه نقل المملكة من عظمتها إلى أنها أشبه بمحمية مصرية مرابطة على حدود مصر!

إن سيد القمني يجعل من العقائد والقصص القرآني خرافات ولا معقول، وأقاصيص اللاموضوعي الذي يَخدِمُ له مناهج المدارس الغربية التي تجعل الدين أساطير أرضية.

وفي كتابه الأسطورة والتراث وهو أجرأ كتبه على الإطلاق، ذكر جملة الباحثين الغربيين الذين إستفاد كثيراً من مناهجهم «وربما أشهر الباحثين هو (K.o.Muller) الذي إحتسب الأسطورة أحاديث مصورة لأحداث تاريخية حقيقية واقعية، تابعه في ذلك مع بعض الاختلافات الجزئية كل من (جاكسون Jachson) و (أولد نبرج Olden berg) وهم إلى حد كبير يتبعون المنهج البوهيمي القديم، الذي اعتبر الأسطورة قصة أبطال حقيقيين... أما أكثر المدارس أثراً فهي مدرسة (إ.ب تايلور (E.B.Taylar) أحد أعلام مؤسس المدرسة الأنثروبولوجية، التي هاجمت المدرسة اللغوية، وذهبت إلى منهج يجمع الأساطير المشابهة في مجموعات للحصول على علم حقيقي للأساطير، مع مقارنة تلك المجموعات بعضها ببعض لتتبع فعاليات عملية التخيل).. ومن أهم أتباع المذهب الأنثوبولوجي (هربرت سبنسر)...»[1] وبعد أن ذكر القمني مدارس علم النفس والمدارس المتعددة من (يوهيمر) حتى (مالينوفسكي) إلى ليفي شتروس) قال «وعليه فإننا نقرر من البداية أننا سنعمد إلى المنهج الذي يؤدي إلى نتائج تبدو صحيحة، دون الرجوع للمدرسة، بمعنى أننا على إستعداد للسير قسماً من الطريق مع أي من

---

(١) الأسطورة والتراث ص٣٢ .

هذه المدارس ، لكننا لسنا على إستعـداد للسير مع أي منها الطريق كله»[1] فكانت النتيجة هي جعل الدين أسطورة نشأ مع نشوء عـلاقات اجتماعية تسلطية ، يقول «وظهر الديـن مع التطور الطبقي وتقسيم العـمل والكون إلى عقل وجـسد، ومع التفرغ اللازم من العمل اليدوي تمكنت الطبقة المسيطرة مع تنمـية ثقافتها الدفاعية واستثمـار التراث الاسطوري السابق بعد تفريغه من محـتواه الموضوعي ، وتحويله إلى خدمـة الأغراض الجديدة، وإحـتساب التـراث الاسطوري جزءاً لا يتـجزأ من الثقافة الجديدة المتمثلة في الدين»[2]!! وهو يطبق هذا الفكر الماركسي القاصر على قصة موسى عليه السلام وعلى القصص الديني عـموماً، وقد قدمنا أن قـصة موسى إنما هي قصـة تم تفريغ مـحتـواها المصري والخاص بـاخناتون وتم تحويله إلى خـدمة الأغراض الدينية الجديدة ووصل جزيرة العرب فدُوِّن في القرآن!!

هذه هي خلاصة فكر الدكتور المصري سيـد القمني الذي يتحلى بشجاعة نادرة وتناقض عـجيب وتقليـد مدهش للفكر الغـربي الذي لا يرى إلا تحت قدمـيه ولا يتجـاوز تصوراته الهزيلة التـي نتجت عن ظروف أوربية بحـته وأزمة وعي غـربية مدمرة.

---

(١) الأسطورة والتراث ص٣٤ .   (٢) نفسه ص٣١ .

الفصل الرابع

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُـؤْفَـكُ عَـنْـهُ مَـنْ أُفِـكَ﴾ [الـذاريـات: ٧-٩]

﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْـتَـرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُـونَ﴾

[يونس: ٦٩]

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [الجاثية: ٧-٩]

المستشار محمد سعيد العشماوى
وتدمير حقائق الدين واختراع نظرية سخيفة

« كنت ذات عصر في نادى الجزيرة عندما وقفت إلى جوارى فجأة سيارة نزل منها من يُحيينى بمودة وحرارة، ورغم أنه كان أشيب الشعر والحاجبين، فقد تعرفت عليه على الفور، إذ كنا زملاء دراسة في كلية الحقوق .. نزل زميل الدراسة هذا من سيارته وهو يقول لى (لقد كبرنا يا فلان .. فاكر أيام كلية الحقوق، لما كنت أنت نوارة الدفعة(!) ببريقك وعيونك الزرقاء وشعرك الأصفر، عجبت بشدة من هذا الوصف، فأنا لم أكن قط بهذه الأوصاف ولا بأوصاف قريبة، لكن زميل الدراسة وهو شخص عاقل واع وله مكانة اجتماعية طيبة، يختلق لى أمامى وفي حياتي أوصافاً لم تكن ولا يمكن أن تكون لى، ولا بالتقريب. بطبيعة الحال لم أجادله، وإنما واصلت الحديث معه لأتأكد من سلامته العقلية(!)، ولما تأكدت (!) حييته بمودة وتركته إلى حال سبيلى، وأنا أعجب مما حدث، لقد رأيت فيه آلية الأسطورة، إذ يحتمل أن يصفنى آخر بأوصاف مغايرة، فيكون هذا الوصف وذاك مخالفاً لوصفى الحقيقي .. وبهذا تنشأ للأسطورة ثلاث صيغ تتناول كل منها شخصاً محدداً، في زمان ومكان معين، ومع ذلك تختلف في وصف شكله وبيان ملامحه»[1] .

في هذا المقطع النفيس يحكى المستشار محمد سعيد العشماوى ما حدث معه شخصياً من اختراع بعض من يعرفونه أسطورة عنه ليس له منها شيئاً إلا اسمه فقط! ويؤكد العشماوى أن ديدن صناع الأساطير أنهم يصنعون أوصافاً لأشخاص معروفين لا تمت لهم بصلة على الإطلاق لا يمكن أن تكون لهم ولا بالتقريب

---

(١) الأساطير المدنية، مقالة باسم المستشار محمد سعيد العشماوى بمجلة أكتوبر، الأحد ٢٢ يوليو ٢٠٠١ العدد ١٢٩١ صفحة ٢٢ .

فضلاً عن أنها مخالفة للحقيقة ومعارضة للأصل! من البديهى أن يذهب المرء ليتأكد من سلامة عقول هؤلاء الذين يخترعون الأساطير حول أشخاص حقيقين عاشوا في التاريخ من أمثال العشماوى كمثل نضربه هنا !!

لقد أظهر لنا العشماوى مثلاً على التوهم والتلفيق الذى يُسَيطرُ على بعض الناس فيجرهم ذلك إلى وضع الأساطير بجرأة مدهشة وبراعة ثابتة الجاش!

لكن يا ترى هل نجا المستشار العشماوى من هذه الآلية التوهمية التي يستغرب أن تحدث من أصحاب العقول السليمة ؟! فضلاً عن أمثال العشماوى نفسه !!

إن الإجابة على هذا السؤال أضعها بين يدى قارئى الكريم على طبق من ذهب كما نقول في مصر المحروسة !

شيء آخر قبل أن أغوص في الموضوع واستخرج منه لآلئ الحكمة الربانية، وغثاء الجهل العلماني لأعرضه أمامك أخى الكريم لتستقرئ التاريخ من نماذج عصرية تهيمن على منابر ثقافية كبيرة وتفتح لها أبواب الجامعات العالمية ويُرحب بها ترحيباً عجيباً وغريباً ؟!

لقد عرض العشماوى في مقالة له بعنوان («على منصة القضاء«١٩» عندما يهتز اليقين) صورة إنسانية يزعم أنها له، وصفات يدعى أنه يتحلى بها، وقد وضعها على لسان أحد الأشخاص، الذي قال للعشماوى مؤكداً له « أمرك معروف وشهرتك تسبقك عن الكلام بالحق والحكم بالعدل »[١] .

فهذان شخصان، زميل دراسة قديم وضع له صفاتاً جسمانية عجب العشماوى منها !، لأنها كما قال لم تكن له ولو بالتقريب وأنها مخالفة لوصفه الحقيقي! والآخر رجل يصفه بأن أمره معروف ومشهور وذلك أنه يقول الحق ويحكم بالعدل! أما أنا فأقول بأن هذا الوصف المعنوى الأخير لا ينطبق على العشماوى في موضوع دراستنا في هذا الفصل !

---

(١) مجلة أكتوبر العدد ١٢٨٠ الأحد ٦ مايو ٢٠٠١ .

وذلك رغم وصف العشماوى لنفسه بأنه باحث متمكن ودارس قدير يكتب بسلاسة وسهولة، وفي وضوح لا تعقيد فيه وجلاء لا التواء به !![1] .

وغالباً ما يصف العشماوى نفسه بألفاظ عجيبة وصفات فريدة وأنه بحاثة رصين وعلامة سديد مبتدع للمناهج ومخترع للأدوات العلمية الموزونة، العلمية لا الإنشائية!!

فرغم أنه نقل عن فرويد وغيره الكثير، تقليداً ينافي العلم والدراسة، والفحص والكياسة إلا أنه دائماً ما يقول عن نفسه كلما سنحت له الفرصة ذلك، أن له منهجاً أكاديمياً حديثاً « الذى ابتدعناه واتبعناه منذ أول كتاباً نشر لنا عام ١٩٥٩ ويقوم هذا المنهج على عدة عناصر، تتحصل في أن تكون ثمة رؤية واضحة محددة تهيمن على الدراسة وتتكشف من خلالها، وأن تجرى الدراسة على عرض منظم مطرد متتابع ليكون مترابطاً ويكون متماسكاً (!)، وأن ينأى عن الأسلوب الإنشائى... ليتبع الأسلوب العلمي الذي يحقق ويوثق (!) ويلتزم الموضوعية والحيادية ما أمكن ... الذي لا يكون فيه تفاكك ولا تشاتت ولا تفاتت(!) هذا المنهج أشبه ما يكون بالموسيقى الكلاسيكية العالمية(!)»[2] !!!

إذن علينا أن نختبر عقل علمانى كبير يدافع عن بحوثه التنويرية الدكتور جابر عصفور الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة بمصر، وقد صنف العشماوى من قبل علماني آخر وهو محمد جابر الأنصاري بأنه من أصحاب ما يمكن أن نطلق عليه (المدرسة التاريخية العلمية!)[3] .

---

(١) مجلة أكتوبر الأصول المصرية لليهودية(ب) عهود الآباء، ٨ أكتوبر ٢٠٠٠ العدد ١٢٥٠ .

(٢) مجلة أكتوبر (الأحد ٧ أكتوبر ٢٠٠١ العدد ١٣٠٢ .

(٣) يقول الأنصاري في مقالته المعنونة «معركة الإسلاميين وخصومهم » بجريدة الحياة اللندنية ١٦ يناير ٢٠٠١ العدد ١٣٨٢١ « برزت مدرسة يمكن أن نطلق عليها (المدرسة التاريخية العلمية التي أخضعت مصادر التاريخ الإسلامي لمنهجية البحث النقدى بنزعة مستقلة عن المثاليات الدينية والاعتبارات الأيديولوجية للإسلام السياسي(!)، ومن أبرز كتابها : محمد سعيد العشماوى، وخليل عبدالكريم، وسيد محمود القمنى، الذين يعتبرهم أصحاب الاتجاهات الدينية كتاباً علمانيين»!!

لقد أنشأ المستشار محمد سعيد العشماوى أسطورة جديدة عن موسى عليه السلام تضاف إلى الأساطير العلمانية الحديثة التي لفقتها العلمانية الحاقدة للتاريخ ووقائعه ولشخوصه التاريخية، ومنها شخوص الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين.

لقد جعل العشماوى من موسى فرعوناً، ابناً لابنة فرعون على الحقيقة، وأنه حفيد الفرعون (رمسيس الثاني) على الحقيقة وأن خروج بنى إسرائيل من مصر إنما تم بناء على خطة استراتيجية تمت بين الفرعون وحفيده موسى المصرى المولد والجنس! لطرد بنى إسرائيل من مصر وتوطينهم بعيداً عنها للتخلص من مشاغباتهم المستمرة ومؤامراتهم المعهودة! وعلى ذلك فقصة موسى الدينية مزورة ومحاورها التوراتية والقرآنية دخيلة ولا حقيقة لخروج بأمر إلهى أو بمعجزات ربانية أو بهلاك لفرعون مصرى معاد لموسى ﷺ أو غير ذلك مما هو من حقائق التاريخ المعروفة التي يؤمن العشماوى أنها يقينيات طفولية وثوابت يرفضها العلم وتنبذها الموضوعية!!

يقول «وفي حالة الطفولة لدى الأشخاص أو عند الجماعات (الأمم يكون ثمة يقين لا يتزحزح ولا يتزعزع بكل شيء، وأى رأى أو (اعتقاد فإذا جمد الوضع ووقف النمو وظل الأمر عند حال) الطفولة صار من الصعب إن لم يكن من المستحيل أن يتزعزع شيء مهما كان ظاهر الخطأ، أو يتغير رأى وإن كان واضح البطلان أو أن يتصحح اعتقاد على الرغم مما قد يبدو جلياً من انحراف تأويله أو اعتساف تطبيقه» [(١)] .

والعشماوى بأفكاره الهدامة يريد كغيره من العلمانيين المنحرفين أن يزحزح اليقين ويدمر القديم حتى يتحرك الوضع ويستمر النمو ويتغير الرأى !

---

(١) مقالة «على منصة القضاء (١٩) عندما يهتز اليقين - الأحد ٦ مايو ٢٠٠١ العدد ١٢٨٠ ص٢٢ مجلة أكتوبر المصرية .

ماسونية العشماوى في صورة نظرية تدميرية :.

إن العشماوى يريدك أخى القارئ أن تلين له وتفتح له مجالاً للنقاش حتى ولو في نقاشه اللاعلمى التدميرى الذي يقتل كل شيء حقيقى عن التاريخ والغيب والنبوة والشريعة والرسول والصحابة!

إنه يقول لك، لا عليك إذا قلت لك **«موسى كان ابناً حقيقياً لإبنة فرعون[*]، أي أنه كان حفيد الفرعون، وقد كان اسم جده رع موسى»[1]** .

يكتب العشماوى ذلك عابثاً بالتاريخ، مزيفاً لحقائقه ووقائعه وأحداثه الهامة وبعد أن يفعل ذلك يتوسع في الاتهام ويُسرف في القول ويقول « ما كتب في التوراة كان تضليلاً **يرمى إلى قطع موسى من أية نسبة إلى مصر حتى اسمه»[2]** .

وهو يقصد أن موسى هو مصرى لا باسمه فقط ولكن بنسبه وجنسه وديانته **يقول «قوام ذلك كله أن موسى مصرى قح، مصرى في نسبه، وفي ولادته، مصرى في علمه وثقافته(!)، وأن كتاب التوراة حرصوا على إخفاء ذلك(!) بالتحريف مرة، والتزييف مرات، حتى تكون اليهودية أول الشرائع السماوية، ويكون ما قبلها وخاصة ما كان في مصر وثنيات وجاهليات، ولولم يفعلوا ذلك ، لكانت اليهودية استقرت واستمرت على أنها فرع من الديانة المصرية القديمة أو تطبيق لها في بيئة**

(*) اعتمد العشماوى في ذلك ولا شك على ما رواه« فلافيوس يوسفوس» المؤرخ اليهودي في القرن الأول الميلادي الذي روّج لأسطورة يهودية تدعى أن موسى كان ابناً لبنت فرعون ! (انظر قراءة سياسية للتوراة،ص٣١٧) يأخذ العشماوى هذا الجزء من الأسطورة ويترك جزءاً آخر وهو أن حفيد الفرعون سيصبح خطراً على عرشه ويجعل العشماوى بدلاً من ذلك أن الفرعون وحفيده عاشا في وئام يرسمون الخطط السرية لطرد الأعداء، اي ان الحفيد لم يكن في أي وقت من الأوقات خطراً على الجد، ويوسفوس هذا وغيره من المؤرخين الأيديولوجيين لا يعتمد عليهم في هذه الأمور الهامة وإلا ضاعت الحقائق وتاهت الوقائع وخرب التاريخ .

(١) الأصول المصرية لليهودية (٧) (حقيقة موسى) مقالة للعشماوى بمجلة أكتوبر ٢٩ أكتوبر ٢٠٠٠ العدد ١٢٥٣ص٣٠ .

(٢) المرجع السابق ص٣١ .

صحراوية غير حضارية، أول من وصل إلى هذه الحقيقة سيجموند فرويد.. عالم النفس الشهير الذي ولد يهودياً ثم تحول إلى الحق (!) حتى أغضب قومه (!) وتلى فرويد عدد من العلماء يهود ومسيحيين حتى أمكن من دراستهم تقديم صورة كاملة(!) أو شبه كاملة عن حقيقة موسى »[١] .!!!

وهكذا ترك العشماوى حقائق القرآن التي أوردها عن موسى عليه السلام، وولادته ونسبه، ونبوته وشريعته، وذهب يقتات على موائد يهود العلمانية المنحرفة التي تسعى لتخريب التاريخ واهتبال الفرص والظروف لتضيع حقائق ذكرتها التوراة وأعلنها الوحي الإلهي في القرآن .

ذهب العشماوى وراء فرويد اليهودي ليقول لنا أن التوراتيون قلبوا حقيقة موسى فبعد أن كان أصله مصرياً حولوه إلى عبراني «فقد زيفوا اسم موسى»[٢] !

هكذا زعم العشماوى وبناء على ذلك دشن نظريته بافتراءات لا دليل على صحتها ومنها قوله « موسى لم يكن عبرانياً قط »[٣] !!

هنا لابد لى أن أعيد تذكير القارئ الكريم بقول العشماوى المتقدم الذى علّق به على ما حدث له مع زميل الدفعة الحقوقية الذي وصف العشماوى بأنه كان (نوارة الدفعة) ومجموعة أخرى من الأوصاف لا تنطبق بتاتاً على المستشار المغرور باقتباساته عن آخرين! يقول « لقد رأيت فيه آية الأسطورة، إذ يحتمل أن يصفنى هذا الزميل لمن يعرفني ومن لا يعرفني ومن لم يرنى بالأوصاف التي ذكرها، في حين يصفني آخر بأوصاف مغايرة، فيكون هذا الوصف وذلك مخالفاً لوصفى

---

(١) المرجع السابق ص٣١ .

(٢) الأصول المصرية لليهودية(١٢) الشرعية والقانون ، مقالة بمجلة أكتوبر للعشماوى، بتاريخ ٣ ديسمبر ٢٠٠٠ . . . العدد ١٢٥٨ ص١٥ .

(٣) المقالة السابعة من الأصول المصرية لليهودية وهي حقيقة موسى ص٣١ وهي كما تقدم سطرت كغيرها من مقالات الأصول المصرية لليهودية في مجلة أكتوبر المصرية .

الحقيقي ... وبهذا تنشأ الأسطورة ثلاث صيغ ... ومع ذلك تختلف ...».

فقد وصف فرويد موسى بأنه مصرى، فرعون بالميلاد والجنس ومن أتباع إخناتون ونفى عنه أن يكون عبرانياً أو نبياً أو موحى إليه من الله ، هذه أسطورة علمانية لو تأكدنا من سلامة عقل مفبركها لوجدناه شخصاً مريضاً ليس بتحليل أفكاره المريضة فقط ولكن بشهادة تلاميذه ومعاصريه وهى شهادات مشهورة ومعروفة مسطرة في الكتب .

والعشماوى أخذ أوصاف فرويد المزورة لموسى فحذف منها وأضاف إليها فنشأت أسطورة جديدة بملامح جديدة وصيغة جديدة لم تكن ولا يمكن أن تكون لموسى ولو بالتقريب !

ومع أن أسطورة فرويد عن موسى تختلف في بعض ملامحها عن أسطورة العشماوى إلا أن العشماوى يحاول أن يقنعك بأنهما رجعا إلى الحق ! وقدما صورة كاملة أو شبه كاملة عن حقيقة موسى !

والمثير للاستغراب هو أنه فيما يقوم العشماوي بمهاجمة علماء المسلمين ومفكرى الحركة الإسلامية المعاصرة ورميهم بكل أنواع الضلال والغباء والجهل والهذيان والإنشاء والسطحية فيما يقوم هذا الماسوني البناء بذلك تجده يرص الألفاظ الجميلة والأوصاف العلمية لأمثال فرويد«وبريستد» و«فريزر»ويعتبرهم «أولو العزم من العصر الحديث» الذين أحدثوا بحسب ألفاظه المنتقاه «إنقلاباً» و«تحريراً» و«تغييراً لمكونات العقل» «بجهد عظيم» ومشكوراً طبعاً يقول، وذلك « بالعلم والثقافة فقد قدر على فحص التوراة (حتى من علماء شهود مثل سيجموند فرويد) وتحليل ما بها من نصوص، وإثبات صلاتها بالتراث البابلى والحضارة المصرية، وتأكيد تأثرها بالتراث الشعبى إي الفولكولور وهو ما سجله العالم الشهير فريزر في كتابيه

الغصن الذهبي ... والفلكلور في العهد القديم»[1] .

وفي نفس هذه المقالة العشماوية التي يكيل فيها المدح ليهود ويقوم فيها بالتسبيح لعقول تخريبية كما وصفها بعض تلامذتها يقول العشماوى كاذباً على التاريخ ومزيفاً لحقائق الوحي الإلهي أنه **«خلال فترة الأسر البابلى عرف الإسرائيليون كثيراً من الفكر البابلى فأخذوا[*] منه قصة الخلق، وقصة الطوفان(ملحمة جلجميش وقصة أيوب(وهو أدومى غير إسرائيلى وغيرها»**

وهذا الكلام الفارغ يقوله العلمانيون الماديون الذين يقومون بإعادة كتابة التاريخ بطريقتهم القاصرة وعقولهم الحقيرة الضعيفة بعيداً عن الوحى الذي نبذوه وذلك نتيجة للصراع مع الكنيسة في العصور الوسطى في أوربا ورد فعل غير علمى على أصول ثابتة في التاريخ ووقائع العالم، حقائق جاء بها الوحى الإلهى وأعلنها القرآن الكريم على البشرية.

إن نتائج العقل العلمانى الغربى في علوم التاريخ والإنسان والمجتمع لا يمكن الاعتماد عليها لقصور أدواتها وخلل قواعدها وأسسها .

فقد ألغى هذا العقل الوحى وعبث به ولم يعتبره شيئاً، وأرجع النبوة إلى ظروف اجتماعية وسياسية واقتصادية وجغرافية وتاريخية وبيئية فأخفى وحرَّف،ومسخ وشوّه ، وطمس وكتم، وعزل ونفى، وجزّء وانتقى !

إن عقلاً بهذه القدرة على تعطيل الحقيقة عن الوصول إلى العالم لا يمكن أن يكون لنا قدوة أو أن يصير لنا أستاذاً في العلم والتاريخ والفلسفة فضلاً عن أن يكون عقل رجل من أولى العزم كما وصف العشماوى بعضهم .

كما أنه لا يمكن أن تكون نتائج أبحاثه التاريخية والدينية والإنسانية والتاريخية

---

(١) (*)مقالة «حقيقة موسى» ص٣٠ .

(*) لقد أخذوا لكن لم يأخذوا ما ذكره هنا !

مرجعاً لنا في النظر إلى التاريخ والدين والإنسان والمجتمع، فمناهجه جزئية قاصرة، محدودة وشائهة ما فيها من قصور وضلال أضعاف أضعاف ما فيها من جدِّية ومعرفة .. ولذلك فهى عاجزة عن تقديم صورة متكاملة حقيقية عن حقائق الوجود والغيب والإنسان والمجتمع .

ولذلك فهى لا تساوى الأدلة التي يقدمها علماء الإسلام « لافى سلطان العلم وبراهينه وأدلته، ولا في سلطان النصر والتأييد »[1] وهى دليل نفسها وبرهان ذاتها، إنها نظريات الكاسر والمكسور، نظريات الأزمة الغربية !

حجج تهافت كالزجاج تخالها حقاً ، وكل كاسر مكسور

هذه الحجج التي هي هشة يتبناها العلمانيون العرب مسلمات ومطلقات وهى ضلالات جديدة للعقل الوثنى الجديد، فكيف يطلب الهدى عند (فكر الأزمة!) ومعلوم كما يقول ابن تيمية أن طلب الهدى عند أهل الضلال من أعظم الجهل[2] فقد حذرنا الله عز وجل من اتباع الأهواء الجاهلة ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾[الأعراف:٣] فالمهارة الحرفية لتبرير الباطل وتزيين الهش هو فعل الأولياء من دون الله عز وجل، وهم لا ينتجون إلا سفالات الأفكار، وسخافات الأقوال، وعطب النظريات يقول العشماوى «وفى حديث لى مع توفيق الحكيم قال: إن كاتباً معيناً ـ مشهوراً في مصر والعالم العربي يستطيع تبرير السفالة، قلت له : وهل يمكن وفقاً لأى معيار تبرير السفالة (!)؟ قال : إنها المهارة الحرفية التي يمكن أن تقلب الحق باطلاً وأن تقلب الباطل حقاً »[3] .

إن ذلك هو عين ما يقوم به العشماوى نفسه : تبرير السفالة .

وقلب الحق باطلاً والباطل حقاً كالطاغوت الذى يطغى فيغتال الحقائق وينفى

---

(١) النبوات لابن تيمية ص٣٨٩ .   (٢) نقض المنطق لابن تيمية ص٢١ .

(٣) مقالة مجلة أكتوبر بعنوان «على منصة القضاء»(٢٣) موازين العدالة» الأحد ٣ يونيه ٢٠٠١ العدد ١٢٨٤

الأدلة، ويقهر البراهين، وينسف الموازين، ويدمر الأصول ومع ذلك يتبعه الناس المعجبون به على غير بصيرة وينساقون وراءه على غير هدى .

«وطاغوت كل قوم - يقول ابن تيمية - من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله أو يعبدونه من دون الله أو يتبعونه على غير بصيرة .. فهذه طواغيت العالم»[1] .

واليوم هناك طواغيت كثيرون، منهم طواغيت الفكر وجبابرة الطمس والإخفاء وفى مجال علم التاريخ هناك كثيرون نذكرمنهم على سبيل المثال فرويد وبريسيد وجاردنر وفريزر وفليكوفسكى وغيرهم .

وهؤلاء صاروا مراجع لمجموعة ضخمة من العلمانيين العرب أمثال القمنى والعشماوى وصليبى وأحمد عثمان وزياد منى وغيرهم .

رجل الماسون المصرى المخلص !

وهؤلاء الطواغيت الغربيون هم الذين وسوسوا للعشماوى بأفكاره الوثنية التي يرجع بها الجهل على العلم، والظلام على النور، اقرأ له إنصافه للوثن وعبدة الأوتاد والقبور والصلبان في نصه الذى نشرته له مجلة أكتوبر المصرية، يقول **«فالعقيدة ، في حقيقتها، ولدى الصفوة أو المختارين أو المخلَصين (بفتح اللام أي الذين نالوا الخلاص)، غير العقيدة لدى العامة، إذ هى لدى أولئك الصفوة مجردة في علياء، وهى لدى هؤلاء العامة، مجسدة في شخوص أو مجمدة في واقعات، أو محددة في جسوم ، ولأن أكثر الناس لا يرون أنفسهم، وإنما يشاهدون الآخرين فإنهم لا يلحظون ما في الصيغة التي وصل إليها معتقد من مادية وتجسيد، لكنهم يتهمون غيرهم من أصحاب المعتقدات الأخرى بالمادية (التي يقال عنها إنها وثنية)، لأنهم يتعلقون بالمبانى أو القبور أو المشاهد أو الستائر، والعقلاء من الناس لا يرون**

(١) إعلان الموقعين جـ١ ص٥٠ .

المادة التي يلتصق بها العامة من قبور أو شواهد أو صلبان، وإنما يرون أن هذه كلها وسائط إلى معانى أسمى ودلائل أرقى، فليس زائر القبور متشبعاً بالموتى، وثنى الطبع غلف القلب(!) لكنه في الحقيقة، يرنوا إلى ما وراء القبر ويسمو إلى ما بعد الموت، وليس لابس الصليب عابداً له، في الواقع ، بل يتخذ منه تذكرة إلى معانى العطاء والفداء (!)، التي يرمز إليها الاعتقاد في واقعة الصلب .. وفى هذا المعنى العظيم (!) يقول ابن عربى (لقد صار قلبى قابلاً كل صورة تواجهه، فالحب دينى وإيمانى)(*) .. ويقول الفارض في معنى عدم استهجان صورة العبادة التي تبدو لدى الكثيرين في أشكال مادية (فلاوجه للإنكار بالعصبية)»[1] .

ولذلك فعقيدة الفرعون إخناتون عند العشماوى هى عقيدة توحيدية بناء على فكرة التوحيد المجرد الذى يجعل من عابد الوثن والصليب حباً وإيماناً لوسائط إلى معانى أسمى ودلائل أرقى فيقول « التوحيد العالمى الكونى المجرد، ذلك الذى آمن به المصريون منذ عصور ما قبل التاريخ المكتوب (٣٢٠٠ق.م) ثم تم ترسيخه في عقيدة إخناتون »[2] .

وماذا فعل إخناتون ـ كما يصوره لنا العشماوى ـ «اتخذ الشمس رمزاً للإله، واتخذ من اسمها آتون بمعنى القوي اسماً للإله[3] .

(*) أورد العشماوى هذا الجزء بصورة كاملة في مكان آخر وهى : « ولقد صار قلبى قابلاً لكل صورة، فمرعى لغزلان، ودير لرهبان وبيت لأوثان وكعبة طائف والواح توراة، ومصحف قرآن، أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه فالحب دينى وإيمانى» ثم عقب قائلاً « ففي هذه المعانى كلها ينبض الفكر الصوفى المصرى» ثم قال بأن من يضاده في فكره الذى يقدمه إنما يقف واحداً مع اليهودية السياسية (الصهيونية التي ترمى مصر بالكفر والإلحاد والوثنية والضلال) . راجع (البداية والنهاية) مقالة في مجلة أكتوبر ١١ مارس ٢٠٠١ .

(١) مقالة للعشماوى بمجلة أكتوبر باسم(صراع الأمم ٢٥) الأحد ١٣ يناير٢٠٠٢ ص٢٠ العدد ١٣١٦ .

(٢) مقالة الأصول المصرية لليهودية (١٢) الشريعة والقانون، الأحد ٣ ديسمبر ٢٠٠٠ العدد ١٢٥٨ بمجلة أكتوبر المصرية .

(٣) مقالة الأصول المصرية لليهودية (٧) الأنبياء الاجتماعيون ٧ يناير ٢٠٠١ العدد ١٢٦٣ .

فالألوهية العالمية عند خواص الماسون كأمثال العشماوى تتمثل في عبادة الوثن كما في عبادة قرص الشمس (*) كما في التوحيد، تتمثل في دير الرهبان ومعبد الأوثان وكعبة الرحمن يقول: «أما المفهوم الرائع حقاً فهو ذلك الذى يقول به المرء (إن روحى هى الإله هى الأبدية) فهو أمر يستحيل (يتحول) به الإنسان المؤمن بمعناه إلى أن يكون ربانياً أبداً فوق كل مكان وأى زمان، وذلك هو جوهر وأصل ولب الفكر المصرى الذى قدمته مصر إلى الإنسانية ويعاود تقديمه إلى العالم كله من أرض مصر، فتى مصر»[1] - أى العشماوى -.

فآلهة مصر المتمثلة في أوثانها وأصنامها وفراعينها ورموزها السماوية والأرضية إنما هي المفهوم الرائع الذي يقدمه العشماوى (فتى مصر!) إلى العالم كما قدمته الفرعونية القديمة تماماً!

فمع أن أوزير يقول أنا الواحد أى الذي يفوق بصفاته وملكاته أي مخلوق آخر إلا أنه بحسب العقيدة المصرية تجسد للإله «كان المصريون القدماء يعتقدون أن الإله تجسد في شخص أوزير»[2] والعشماوى يخترع تاريخاً لأوزير يعدده هكذا «ولد أوزير في أول يوم من الأيام الخمسة المضافة إلى أيام العام (١٢X٣٠) لتجعلها ٣٦٥ يوماً»[3] وقد كان أوزير وزيراً أله كما هى عادة حكام مصر الأقدمين الذين يؤلهون فراعينهم ويؤلهون رموزاً سماوية كالشمس مثلاً وهي الأشياء التي يعتبرها العشماوى تمثيلاً للإله الواحد!

(*) يقول «تعاليم إخناتون لم تزل حية فعّالة في نفوس الكثيرين، لما فيها من مبدأ الألوهية العالمية..». مجلة أكتوبر (شريفة موسى) الأحد ١٢ نوفمبر ٢٠٠٠ العدد ١٢٥٥.

(١) مقالة العشماوى بمجلة أكتوبر (الأصول المصرية لليهودية(١٩) من كتاب الموتى، الأحد ٢١ يناير ٢٠٠١) العدد ١٢٦٥ ص٢٧.

(٢) مقالة العشماوى بمجلة أكتوبر (الأصول المصرية لليهودية(٢٠) التراث الأوزيري، ٢٨ يناير ٢٠٠١) العدد ١٢٦٦ ص٢٨.

(٣) الأصول المصرية لليهودية (١٩) (كتاب الموتى) مجلة أكتوبر ٢١ يناير ٢٠٠١ العدد ١٢٦٥.

«ذلك لأن رع وآمون وآتون وغيرها من أسماء كانت مجرد أسماء للإله الواحد الأحد، في حين كان أوزير هو كلمة هذا الإله التي خلق بها الكون، ويسير بها الكون»[1] !!!

فالآلهة الوثنية المصرية القديمة يعتبرها العشماوى أسماء للإله الواحد، وإخناتون عابد قرص الشمس هو صاحب التوحيد النقى، وأوزير المؤله جعله العشماوى كلمة الله، ويزداد فكر العشماوى خيالاً واضطراباً وعطباً عندما يقول إن هذه الوثنيات إنما هى تجلى للحقيقة الكبرى «وكان من اللازم تفسير هذا التوافق والتطابق بين شخصية وآلام وأوصاف كل من أوزير والمسيح على أساس كونى يتأدى في أنه لابد أن يكون من طبيعة الكلمة وصميمها أن تتحرك في الزمان، وهى الزمان ، لتتجلى على مدى التاريخ في صور بشرية وأنها حين تتجلى تنشر من نور المعرفة حقيقة أوصافها وطبيعة أعرافها، فيدرك الكثيرون ذلك، وتتطابق الأوصاف والمظاهر والمعانى بين كل تجل وغيره (!) ... بدلاً من هذا الإدراك الصائب والصادق، فقد رفضت الكنيسة المعتقد المصرى تماماً، ووصفته بالزيوغ والوثنية، فوقفت في هذا الصدد في وجهة واحدة مع اليهودية»[2]!!!

فالتوحيد عند العشماوى هو تجليات وثنية يعتبرها تجليات كونية نورانية ذات مفهوم رائع! « عندما بدأ عصر التوحيد الأول، وفيه ظهر أوزير (كلمة الله وروحه وحكمته(!)) . فقد استطاع على التناقض ورفع التعارض، بمفاهيم دينية عظيمة، عن التجلى الإلهى في أشكال متعددة وأسماء متغيرة(*)، وعن اعتبار أن الكلمة

---

(١) مقالة الأصول المصرية لليهودية(٢٠) التراث الأوزيري، مجلة أكتوبر ٢٨ يناير ٢٠٠١ العدد ١٢٦٦ ص٢٨ .

(٢) مقالة الأصول المصرية اليهودية (٢٣) الانشقاق اليهودي، ١٨ فبراير ٢٠٠١ العدد ١٢٦٩ ص٢٥ .

(*) يقول بناء على ذلك «فقد ظن بعض العلماء، أن التوحيد الإلهى لم يظهر في مصر إلا عهد إخناتون... في حين أن الذي ثبت من الدراسات العلمية(!) والآثار الكشفية يقطع بأن التوحيد ظهر في مصر منذ زمن قديم جداً (حوالى ٦٠٠٠عام قبل الميلاد) وأنه كان توحيداً مفاده أن الله يتجلى في كل شئ» الأصول المصرية لليهودية (٢)(ب) يوسف الصديق، مجلة أكتوبر ٢٤ سبتمبر ٢٠٠٠ ص٢٦ .

ثلاثة صور هي الكلمة والروح والحكمة، وأن الثلاثة في واحد، وهو ما وطأ لمفاهيم الثالوث والتاسوع، والأرباب . . . وهكذا »[1] .

وهكذا فالعشماوى لا يرى غضاضة في الأوثان والأرباب والثواليث والصلبان والأوتاد والأصنام يزعم أنها صور للحقيقة على أساس كونى رائع !

وعلى هذا الأساس المشوه للحقيقة يجعل العشماوي من مصر أساس الفكر الديني وأن الدين صدر من مصر وإذا كانت الحقيقة ضاله الإنسان أنى وجدها احتفى بها، أو إذا كانت الحقيقة تثبت لمصر الريادة في الدين والأخلاق، فذلك أمر لا صارف عنه ، ولا يمكن تجاوزه أو تخطيه، وإلا تقطع العلم وتبدد العقل وتزيف التاريخ»[2]!!

فمصر هى الريادة ومركز الدين والتوحيد بزعم العشماوى، وأن اليهودية والمسيحية والإسلام أخذوا من مصر واقتبسوا وغيروا وبدلوا .

عود على بدء

فقصة موسى كما وردت في القرآن ليست قصة حقيقية تاريخية في تصور العشماوى وإنما هى قصة عقائدية، والحقيقة التاريخية عند العشماوى هى أن موسى هو ابن ابنة الفرعون المصرى «رمسيس الثانى» وهو مصرى بالمولد والجنس وليس عبراني بزعمه !

لم يقف الافتراء بالعشماوى عند هذا الحد، وإنما اخترع سيناريو مختلفاً تماماً عن ما هو معروف في العالم كله عن موسى عليه السلام .

---

(١) مقالة الأصول المصرية اليهودية (٢٥) حتمية الإيمان والاستقامة، مجلة أكتوبر ٤ مارس ٢٠٠١ العدد ١٢٧١ ص٢٥ .

(٢) المرجع السابق ص٢٥ .

فقد زعم « أنه لقدرة موسى وقوته فقد عيَّنه جدُّه(!) الفرعون (رمسيس الثاني) أميراً (أي حاكما) لمنطقة جاسان، وذلك لعلة معينة »[١] .

ولماذا عُيِّن على منطقة جاسان ؟!

يزعم العشماوى أنه كان قائداً مصرياً ماهراً اتفق مع جده على تهجير بنى إسرائيل من مصر للتخلص من مشاغباتهم، وأنه رسم خطة محكمة لإدخال العبرانيين أرض كنعان، ولذلك فـ« **الخروج ـ يقول العشماوى ـ الذى وافق عليه الفرعون ، تأمين لمصر من اتصال العبرانيين بالهكسوس**»[٢] وينفى العشماوى أي اضطهاد لبنى إسرائيل في مصر أيام الفرعون، ويقلب الحقائق بالزعم أنهم كانوا خطراً على مصر، ولذلك كان الحل «**عملاً عسكرياً لموسى، قصد به ـ على ما سلف ـ تهجير العبرانيين ... من أرض جاسان في مصر إلى أرض كنعان (في موقع الأراضى الفلسطينية حالاً) وتبديد شمال البدو أو العبيرو (في القول المصرى) الذين كانوا يهددون أمن مصر، ويستعدون مع الهكسوس الذين طُرِدوا من مصر إلى العودة إليها**»[٣] . وبذلك يزعم العشماوى أن هناك خطة سرية تمت بين رمسيس الثاني وحفيده موسى للقيام بعمل عسكرى لتهجير العبرانيين وتوطينهم خارج مصر « **مهمة موسى كانت في الابتداء مجرد إخراج العبرانيين وتوطينهم في أرض كنعان**»[٤] ، هذا أول عمل في الخطة المزعومة التي رسم ملامحها المستشار القاضي محمد سعيد العشماوى الذى تعجب من زميل دراسته عندما رسم له ملامح أسطورية لم تكن أبداً له في يوم من الأيام، أما ما يفعله العشماوى الآن من وضع نسب لموسى غير نسبه ورسالة غير رسالته وغاية في

---

(١) مقالة (حقيقة موسى » الأنفة الذكر، مجلة اكتوبر ٢٩ اكتوبر ص٣١ .

(٢) مجلة اكتوبر، الأصول المصرية اليهودية تفصيل الشريعة، مقالة بتاريخ ١٩ نوفمبر ٢٠٠٠ ص٢٥ .

(٣) مجلة اكتوبر،الأصول المصرية اليهودية (١٣) أرض المعاد، مقالة بتاريخ ١٠ ديسمبر ٢٠٠٠ العدد١٢٥٩

(٤) مجلة اكتوبر ،الأصول المصرية اليهودية ، مقالة بتاريخ ٢٦ نوفمبر العدد ١٢٥٧ ص ٢٤ .

الوجود غير غايته وجعله شخصاً آخر يختلف كلياً عن حقيقة موسى ، فهذا ما لا غبار عليه عند القاضى الذى يدقق في الوقائع ويسأل عن التفاصيل ويفحص الأدلة ويختبر البراهين !

وهو لم يأتِ على أقواله بدليل واحد صحيح وإنما أتى بدليل واحد من القرآن مقطوع عن سياقه، تماماً وفي موضوع لا يترابط بجسم القصة، العشماوي القائمة على التلفيق العلمي المرشَّد !

فجسم القصة عند العشماوى يتكون من نسب مزيف أقامه العشماوى، (هذا الرجل الذى يتربع على عرش « قمة التحريف العصرى ») بين الفرعون رمسيس الثاني وموسى عليه السلام وذلك بعد أن جعل موسى فرعوناً صغيراً وأميراً لجده على منطقة يسكنها بنى إسرائيل، وينتمى هذا الحفيد إلى ديانة مصر وليس إلى الدين الذى أوحى إلى موسى خصائصه ومقوماته، وعقائده وتشريعاته وهو دين الله كما وصفه القرآن وأعلنه الوحى الإلهى كما يتكون جسم القصة من خطة تمت بين الجد والحفيد الأمير، القائد العسكرى الماهر لجده الفرعون رمسيس الثانى « وكانت خطة تهجير العبرانيين مرسومة بن الفرعون رمسيس الثانى وحفيده وقائده موسى(!)، وتضرب عصفورين بحجر واحد (!)، فتخلص المصريين من العبرانيين(!) الذين غالباً ما كانوا قد عمدوا إلى التجسس على مصر ومساعدة الهكسوس في العودة إلى حكمها كما أنها كانت ترمى إلى إخلاء أرض كنعان من سكانها الذين تسرب إليهم الهكسوس وصاروا ـ كما كانوا ـ منهم، مع توطين العبرانيين في هذه الأرض »[1] .

ومع أن العشماوى كما سيأتى ذكره بعد قليل ادعى أن التوراة حرفت نسب موسى وقلبته من مصرى إلى عبرى وغير ذلك إلا أن العشماوى يذهب ليسلم

---

(١) مجلة أكتوبر ،الأصول المصرية لليهودية، مقالة بتاريخ ٢٦ نوفمبر ٢٠٠٠ ص٢٤ .

للتوراة الحالية بما ينكره الإسلام عليها ورفض نسبته إلى موسى عليه السلام الا وهو الإبادة الكاملة لسكان كنعان، فيزعم العشماوى أنه « لأسباب سياسية، وأغراض أمنية لا لأهداف دينية، وأعمال شرعية، كان هجوم موسى بجنوده من اللاويين (العبرانيين ربما) على سكان كنعان، وإبادتهم ، وحرق مدنهم،وتدمير حصونهم، ومن ثم فإن فعله هذا يتعين أن يوضح في إطاره التاريخي الصحيح(!) وأن يوصف بوصفه العسكري الظاهر حتى لا تختلط السياسة بالدين ولا تتدخل الحروب مع الشريعة »[1]!!

وهذا النص يحكمه التناقض، وتتكون لحمته من سخافات العشماوى وجنون خياله الفاشل، فموسى عليه السلام فوق أنه لم يرسم خطة مع الفرعون لتهجير بنى إسرائيل، فإنه أيضاً لم يقم بعملية إبادة عسكرية لسكان كنعان كما زعم العشماوى بناءً علي التوراة المحرفة، التي يجعل حقائقها مزيفات، وتحريفاتها ثوابت تاريخية !

ولسبب محاولة العشماوى فصل الدين عن الدولة، والشريعة عن النظام فإنه يجد هنا فرصته الثمينة ومن نص توارتى مُحرَّف وليس حقيقياً وتاريخياً، ليقول لنا بأن ما فعله موسى من الإبادة المزعومة لكنعان لم يكن عملاً دينياً ولكن عملاً اقتضته السياسة والأمن وكان الدين لا سلطان له على الأعمال الكبرى السياسية والأمنية وما يفعله العشماوى هنا هو بسبب إيجاد المبررات العلمانية للدولة الحديثة لعزل الدين عن الحياة السياسية والاقتصادية وغيرها من الحيوات التي قطع صلتها بأصول الدين والشريعة وربطها بأصول وثنية ومعرفة ادعى أنها كونية وهى في الحقيقة ماسونية مغرضة تهدف في النهاية إلى القضاء على الدين والدولة والشريعة والنظام معاً !!

(١) مجلة اكتوبر ،الأصول المصرية اليهودية (١٤) أرض المنفى، ١٧ ديسمبر ٢٠٠٠ ص١٧ العدد ١٢٦٠ .

إنه يقضى على الصورة التاريخية والنبوية والإنسانية: لموسى عليه السلام - كما يقضى على كل الصور النبوية الأخرى! وذلك باختراع أسطورة عجيبة تفتقت حيله وخياله المريض الزيف عنها فطمس ولفق، وعبث وبتر، وغالى وخرف وقال بأشياء غريبة لا مصدر لها إلا أم رأسه وزيغ العقل العلمانى الذى يسكنه الجنى الغربي !

تحت عنوان «موسى المصرى» أكد العشماوى في جرأة القاضى المدقق أن أفكاره عن الدين والنبوات وعن قصة موسى لم تكن خيالية إنشائية، إنها أفكار «بعيدة عن العواطف الجامحة(!) والتطرفات اليقينية(!) والعنصرية الحمقاء(!) والاعتقاد الأعمى»[١]

إذن لنختبر أدلته اليتيمة وبراهينه العجيبة ! ، فعن مصرية موسى وأنه ابن ابنة فرعون رمسيس الثانى على الحقيقة وأنه حفيده على الحقيقة يلتمس العشماوى دليله من التوراة التي قال هو نفسه عنها بأنها زيفت أصل موسى فيقول « **والذي يؤكد أن موسى كان مصرياً في الشكل والملامح واللغة والتصرف أن ابنتى كاهن مديان قالتا لأبيهما عنه (رجل مصرى أنقذنا من أيدى الرعاة) خروج ٣:١٩** (*) **ولا يمكن أن تكون الفتاتان قد وصفتاه بأنه مصرى لمجرد أنه كان يرتدى زياً مصرياً. فالزى وحده لا يكفى. وفي حالة موسى فإن هروبه من مصر إلى مديان لابد أن يكون قد ذهب بزيه المصرى واضطر إلى لبس زي بدوى يتناسب مع البيئة الصحراوية ويخفى هويته عن شرطة فرعون (!) لكنه كان متهماً حكماً بأنه مصرى، من قسماته وحركاته ولغته ولهجته»**[٢] .

وأنا أقول للقارىء الكريم: إن دليلى على عدم قول العشماوى الحق وعدم

---

(١) مجلة أكتوبر، الأصول المصرية اليهودية (٦) حقيقة موسى ، ٢٢ أكتوبر ٢٠٠٠ ص٣٢ العدد ١٢٥٢ .

(*) الإحالة خطأ، فهو الإصحاح الثانى من الخروج وليس الثالث .

(٢) المرجع السابق .

حكمه بالعدل (الصفات التي وصف بها العشماوى كما أشار إليها هو في إحدى مقالاته) دليلى هو تلاعبه بالنصوص التي تتناقض تماماً مع السيناريو الأسطورى الذي رسمه لموسى عليه السلام .

ويمكنك أخى القاريء ضبط العشماوى متلبساً بالتلاعب بالأقوال والاستخدام السخيف .

فموسى في أسطورة العشماوى إنما هو حفيد الفرعون وقائده المقرب والمتفق معه على طرد بنى إسرائيل من مصر فكيف يكون من هذا شأنه هارباً في الصحراء ومن شرطة جده وحليفه العريق !

إن المقطع الذى استشهد به العشماوى لا محل له من القصة الخيالية التي ذكرها، فهو مقطع هروب واختباء عن شرطة فرعون فكيف يجمع النقيضين، وتلتحم القصتان ويتوافق الحدثان؟!

أم أن العشماوى، القاضى، البارع في تلفيق القضايا الكبرى، وخداع الناس بفعلته هذه يستغفل قراءه والتاريخ في آن واحد !

كما هو شأن العلمانية دائماً، التواء وطمس، وتحريف وتزييف، وتبجح وغرور فارغ، إن الأكاديميين يبحثون عن الأدلة العلمية الرصينة، والقانونيين يحتاجون إلى براهين ساطعة كالشمس المطلة على الكون، والطلاب ليسوا مغفلين بهذه الصورة التي هى من الجهل بمكان !

والدليل الذى استدل به العشماوى على مقصوده متناقض مع سيناريو العشماوى نفسه كما أنه ليس دليلاً قرآنياً يمكن الاعتماد عليه، فضلاً عن أن الأنساب لا تؤخذ من ظنون الناس وأوهامهم، خصوصاً ظنون أمثال العشماوى الذي سرعان ما ربط بين قولة ابنة رجل مديان في التوراة وبين افتراءاته الشنيعة من أن موسى هو حفيد الفرعون رمسيس الثانى وهو مالم تنطق به هذه الابنة الكريمة أو حتى التوراة الحالية!

لكن العشماوى «فارس المتناقضات» يحتاج إلى دليل ـ أى دليل . . ! ـ على تثبيت خياله المريض على مرآة الواقع . . ما أدى إلى وقوعه في هذا الخلل العلمى وهذا الاضطرار التعسفى فأين الموضوعية والنقد العلمى البرئ !؟ وأين التمحيص الفعلى للحقيقة وعناصر الموضوع؟ وأين المصادر والمراجع التاريخية والحجرية والإجراءات العلمية والدقيقة؟

لا شيء من ذلك عند القاضى المستشار ولا عند العلمانى على العموم !! أليس العشماوى هو من قال بأن الخلل الذى يحدث الصراع ويديم النزاع وينشأ الاضطراب هو « تفسير النص الديني في كل الشرائع، بعيداً عن ظروفه التاريخية وفصله عن سياقه النصى »[(١)] فلماذا يفصل نص ابنتى رجل مديان عن سياقه التوراتي أو القرآني ولماذا يضع له ظروفاً أخرى يدعى أنها التاريخ الحقيقي لموسى عليه السلام ؟!

أم أن الضلال لا حد له كما قال ابن تيميه ،رحمه الله « الضلال لا حد له، وإن العقول إذا فسدت، لم يبق لضلالها حد معقول، فسبحان من فرق بين نوع الإنسان؟ فجعل منه من هو أفضل العالمين، وجعل منه من هو شر من الشياطين»[(٢)]

وضلال العشماوى تجاوز كل ضلال، فهو يجعل من الوثنية توحيداً لا يفهمه إلا الخواص، ومعرفة كونية لا يطلع عليها إلا المخلصين !

كما يجعل من موسى فرعوناً ومن فرعون موسى، أقصد يجعل فرعون على قمة الحضارة كما يجعله جداً لموسى وانعكاساً للإله على الأرض! ومعلوم « أن فرعون من أشد الناس كفراً بالله، بل لم يقص الله في القرآن قصة كافر باسمه الخاص، أعظم من قصة فرعون، ولا ذكر عن أحد من الكفار كفره وطغيانه وعلوه أعظم مما ذكر عن فرعون، وأخبر عنه وعن قومه أنهم يدخلون أشد العذاب»[(٣)] .

إن المستشار العشماوى هو وطائفة من العلمانيين المنحرفين يقومون بأعظم عملية

(١) مجلة أكتوبر ، ٢٠ يناير ٢٠٠٢ العدد ١٣١٧ .
(٢) مجموعة فتاوى ابن تيمية جـ٢ ص٣٥٧ .
(٣) مجموعة فتاوى ابن تيمية جـ٢ ص١٢٥ .

تخريبية للدين في التاريخ انسياقاً وراء الفكر العلمانى الغربي الذى عبث بالوحى وألغى ثوابته وعزل مواده ونصوصه وبتر حقائقه ودلالاته ودمر مقدساته ورجالاته.

إنهم يقومون بمحاولات تبديل الدين، **يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله «والتبديل نوعان: أحدهما أن يناقضوا خبره، والثاني أن يناقضوا أمره فإن الله بعثه بالهدى ودين الحق وهو صادق فيما أخبر به عن ربه ـ يقصد الرسول ﷺ ـ آمر بما أمر الله به كما قال «من أطاع الرسول فقد أطاع الله» وأهل التبديل الذين يضيفون إلى دينه وشرعه ما ليس منه، وهم أهل الشرع المبدل تارة يناقضونه في خبره فينفون ما أثبته أو يثبتون ما نفاه»**(١).

إن العشماوى والقمنى وغيرهما لم يسألوا أنفسهم كم كان تأثير الفلسفة الوضعية والمادية عليهم وهى المنبثقة من عملية صراع تاريخية مريرة جرت في الغرب، فجزأت الحقيقة وطمست وقائع العالم وتاريخ الوجود وهدايات الوحى وسياقات النبوات والرسالات بخيالات مريضة وعنف فكرى مضاد لعنف الكنيسة الغربية القديمة وباستقطاعات تاريخية زيفت دلائلها ومسخت معالمها وبنظرة أحادية للتاريخ والإنسان والغيب والشرع.

حقاً، إن الأمر كما قال الشيخ محمد الغزالى ـ الذي لم يفهمه كثيرون للأسف!(*) ـ فإن «الماديين يستطيعون أن يزعموا أى شيء، إلا شيئاً واحداً، هو أن تفكيرهم المعطل المظلم يعتمد على أثارة من علم»(٢).

---

(١) النبوات لابن تيمية ص١١٦.

(*) في أوروبا، يدمر شباب السلفية تاريخ وفكر هذا الرجل الفذ لوجود أخطاء اجتهادية عند الشيخ رحمه الله مع أن هؤلاء يقلبون موازين الأمور ويفضلون الحديث عن السنن الصغرى ويتركون السنن الكبرى ليخربها علمانيوا اليوم، فلا وجود لفقه أولويات ولا حديث لفقه الواقع ولا وجود لمطاردة للكفر العلمانى كما فعل ابن تيمية قديماً مع الفكر اليوناني والمتفلسفة العرب وأصحاب الحيل والتصوف المنحرف وانحرافات أهل الكتاب، فقط يهتمون بتحجيب الغربية قبل تفهيمها وعزلها عن العالم وتلقينها سنناً يوجد ما هو أولى منها في التفهيم وهو غفلة عن منهج السلف الكرام.

(٢) ركائز الإيمان للغزالى ص٦٢.

لقد شبَّه الشيخ محمد الغزالي هذه العقول السخيفة بالمداخن تنفث سوادها، هنا وهناك لكن في النهاية سوف يغلب الشعاع كل دخان [1] .

لكنه رحمه الله يحذر بأن « الغزو الثقافى أنكى من الغزو العسكرى واحتلال العقول أمضى من احتلال الأراضى »[2] .

إنهم يخترعون النظريات، ويرسمون ملامح فصولها وشخوصها بما يتناسب مع مخططاتهم التجريبية للدين .

إن العشماوى بعد أن ينسب لموسى عليه السلام نسباً فرعونياً، وديناً وثنياً يعتمد على السحر والكهانة وعبادة الأشخاص والرموز والأوثان، وبعد أن اخترع له خطة مدهشة بارعة لإخراج بنى إسرائيل من مصر، زعم كذلك أن موسى عليه السلام رجع إلى مصر بعد أن سيطر عليهم بكهنته وبالسحر أربعين سنة كاملة وأعطاهم أرض كنعان بعد أن قام بتدمير مدنها وإبادة شعبها .

« بعد أن قضى موسى على الرعاة (العبيرو) في أرض كنعان، وأمَّن مصر من كل هجوم، ونقل العبرانيين إلى أرض كنعان بعيداً عن أرض مصر، فقد انسحب في هدوء، واختفى دون أن يلحظ أحد اختفاءه، وعاد إلى مصر، وحده أو مع كوكبة من جنده »[3]!!

لم يأتِ القاضى المستشار على خرافاته هذه برائحة دليل، فموسى قضى، وأمَّن، ونقل، وانسحب، واختفى، وعاد، في آلية أسطورية عجيبة، لكنه قد يستخدم نصاً من هنا ونصاً من هناك لإقامة نظريته التي ليس لها مصدر إلا مداخن عقله الأسود، وتفاهات فرويد وغيره ممن تأثر بهم العشماوى «وبعد أن أتم موسى تحقيق أهدافه ترك العبرانيين إلى تابعه يوشع(*) واختفى بما تُعبِّر عنه التوراة بأنه

---

(١) علل وأدوية ص١٣٩ . (٢) المرجع السابق ص٢٠٦ .

(٣) مجلة أكتوبر المصرية مقالة العشماوى الأصول المصرية لليهودية (٩) شريعة موسى ١٢ نوفمبر ص٢٩ العدد ١٢٥٥ .

(*) زعم آخرون أن موسى قتل على يد يوشع كالقمنى وفرويد أما أحمد عثمان فيقول إنه مات في معارك !

انضم إلى قومه، وعاد إلى مصر دون أن يرى أحد موته أو رحيله »[١] .

وأنت ترى أخي القاريء كيف أن العشماوى يقيم نظريته على تلفيق وخيال مريض، وبعض النصوص التي تُخبر عن أشياء مختلفة لتخديمها لعطب فكره وزبالة عقله فما عبرت عنه التوراة هو أن موسى انضم إلى قومه أي أنه عند موته انضم إلى قومه من الأموات، لكن العشماوى انتزع النص من سياقه وزعم بأن مقصد التوراة من القول بانضمام موسى إلى قومه المصريين بعد أن حقق أهدافه المتخيلة في الذهن العشماوى الصبياني، يقول «كان موسى قد حقق أهدافه، فأمن حدود مصر من البدو الهكسوس، وأخرج العبرانيين من أرض مصر، وتوههم (!) في صحراء سيناء حتى مات كل من خرج معه ولم يبق إلا الأجيال الجديدة التي انقطعت كل صلة لها بأرض جاسان وأصبحت تتطلع إلى الأرض التي قيل لهم إنهم وعدوا بها .. وهو ما يبرر لهم التشرد في الصحراء زمناً، والإخراج من مصر رغم أنوف آبائهم. خاصة مع الأمل أن يكونوا مع الوقت، ومع الأجيال الجديدة، قد صاروا ن المؤمنين بالله وشريعته، فيصيرون بذلك مستعمرة مصرية»[٢] .

فالخطة التي رسمها الحفيد مع الجد قد تحققت تماماً في عقل العشماوى وأرضيته الخصبة بالفكر الأسطورى والعقل الوهمى (أو بالحقيقة اللاعقل!) وهو يعتبرها دراسة علمية رصينة تؤيدها الدلائل العلمية والبراهين الكونية والحقائق التاريخية .

في حين أنها زيغ عقلي وخلل فكرى وباطل لا آخر له وشائعات علمانية وأساطير حديثة ومجموعة من الأوهام والتخليطات وخيال صبيانى وكلام موغل في الكذب فأين في التاريخ ما يؤيد وجهة نظر الدراسة في أن المصريين أرادوا إخراج العبرانيين، وتم ذلك بواسطة موسى»[٣] الذي زعم العشماوى أن جده هو الفرعون رمسيس الثاني وأنه تحرك بناء على خطة الفرعون ورضا الشعب! وضغط

---

(١) مقالة العشماوى في مجلة أكتوبر، الأصول المصرية(١٤) أرض المنفى ١٧ ديسمبر ص١٧ .

(٢) مقالة الأصول المصرية لليهودية (١٢) الشريعة والقانون ص١٤ العدد ١٢٥٨، ٣ ديسمبر ٢٠٠٠ .

(٣) مقالة العشماوى ،(الأصول المصرية لليهودية) (١٦ مزامير داود ٣١ ديسمبر ص٢٧ العدد ١٢٦٢ .

الجنود المصريين الذين - بزعم العشماوى ، طبعاً ! - كانوا تحت إمرة موسى فالعبرانيون « اضطروا إلى الخروج تحت تأثير قوة الجنود المصريين الذين كانوا تحت قيادته »[1] .

وهذا يعنى أن الخطة اشترك فيها الشعب والجنود والجد والحفيد، وكما عنى النص التوراتى الذى يقول بأن موسى انضم إلى قومه عند العشماوى بأنه انضم إلى جنده وشعبه المصرى! فقد عنى نصاً آخر توارتى أيضاً أن مكانة موسى عند قومه المصريين - بزعم العشماوى تدل على أن موسى لا يمكن أن يخون وطنه وناسه وأهله، يا سلام عليك يا عشماوى يا فتى مصر ويا من يقف للصهيونية -هو والقمنى- بالمرصاد !!

فتعقيباً على خروج ١١ :٣ (نص توراتى) يقول بأن موسى كان عظيماً جداً في أرض مصر يقول العشماوى « ومن كان هذا وضعه في مصر ولدى المصريين، لا يمكن أن يرتكب خيانة(!) ضد بلده، ولا جريمة (!) ضد مواطن له، لكن تقدير المصريين له كان على اعتبار أنه بطل قومي، وداعية ديني، ورجل سياسي، وأمير حربي، ولعل خروجه الأول من مصر إلى مديان كان عملاً للاستطلاع والاستخبار عما يفعله الهكسوس والرعاة، لإعادة غزو مصر واحتلالها واستمرار تملكها كذلك»[2] .

هكذا كلما احتل الخيال الواسع عند العشماوى مساحة كبيرة في رأسه كلما ضاق عقله وفقد رشده، فانقلب التاريخ عنده رأساً على عقب في ضبابية كثيفة تفاجئك دائماً بما لم تكن تتوقعه فموسى مصرى، وهو بطل قومي، وداعية ديني على الصورة المصرية الفرعونية القديمة التي هي تجليات وثنية وانعكاسات كونية وأصول أولية «فمصر أم الدنيا، على معنى أنها الأصول في الدين... وأنها

---

(١) المرجع السابق .

(٢) مجلة أكتوبر المصرية، مقالة العشماوى تحت عنوان : شريعة موسى، الأحد ١٢ نوفمبر ٢٠٠٠ ص٢٩ العدد ١٢٥٥ .

الفصل في الحكم على كل ما يتصل بالكونيات»[1] .

فالتجلى الإلهي ظهر في أشكال متعددة وأسماء متغيرة ووثنيات مصر لم تكن وثنيات وإنما هي هذه التجليات التي لا يفهمها إلا الخواص الماسون كالعشماوى القاضى نوارة الدفعة !

كذلك فهروب موسى من مصر لم يكن هروباً وإنما كان خطة تجسس!!

- هل تحتاج الخطة لهذا الزمن الذى قضاه موسى في مدين وتزوج فيه؟!

ألم يقل العشماوى منذ قليل « وفي حالة موسى فإن هروبه من مصر إلى مديان لابد أن يكون قد ذهب بزيه المصرى واضطره إلى لبس زيٍ بدوى يتناسب مع البيئة الصحراوية ويخفي هويته عن شرطة فرعون »[2] .

وأنت أخى القارئ ترى أن أدلة العشماوى ضعيفة ومتناقضة وملتوية ومستخلعة لأغراضه المبيتة ، التدميرية !

وقد أريتك أخى الكريم كيف أن العشماوى لعجزه عن إقامة نظريته بالأدلة العلمية والوثائق المادية ذهب يلوى عنق نصوص حالية للتوراة كنص انضمام موسى إلى قومه المنزوع من سياقه وكذلك نص أن موسى كان عظيماً في مصر الذى استخدمه العشماوى للتدليل على نجاح الخطة التي وضع الشعب أمله في المخطط لها أي موسى البطل، الداعية والقومى، ابن ابنة الفرعون رمسيس الثانى بزعم مستشار محكمة أمن الدولة، القاضى العادل، فتى مصر الوفى !

ولاختصار المسافات، ولخداع القراء يلقى العشماوى - فتى مصر - القول الزور على عواهنه فيقول كذباً وزوراً « السياق التوراتى للتسلسل النصى، يقطع بأن ذلك

---

(١) من كلام العشماوى ، مقالة الأصول المصرية اليهودية (٢٤) مصر هى الأصل والفصل، ٢٥ فبراير ٢٠٠١ العدد ١٢٧٠ ص٢٥ .

(٢) مقالة «موسى المصرى» ٢٢ أكتوبر ٢٠٠٠ ص٣٢ بمجلة أكتوبر للعشماوى .

كله كان في الأساس عملاً عسكرياً لموسى(!)(*) ، قصد به، على ما سلف - تهجير العبرانيين ... من أرض جاسان من مصر إلى أرض كنعان »[1] .

أي تسلسل أيها المستشار ؟!

يبدو أن الطيش ليس خاصاً بمرحلة معينة تكون على الأغلب مرحلة الشباب، فالعشماوى نوارة الدفعة يشطح كثيراً ويسرف ويهزى ويقول ما يعلم أنه زور وكذب فالسياق التوراتي هو على عكس خرافات العشماوى تماماً وعلى النقيض منه أبداً.

وليس هناك من عمل عسكرى لموسى قصد به إخراج العبرانيين من مصر بالاتفاق مع رمسيس الثانى، جد موسى بزعم فتى مصر المزَوّر !

الداعية الساحر!

هل تفاجا اخى الكريم عندما يقول لك أحدهم إن موسى كان ضليعاً في السحر، وإنه كمصرى استطاع أن يسيطر على بنى إسرائيل في عملية إخراجهم وتوطينهم بالسحر!؟ إن هذا هو ما يقوله العشماوي !

ثم الا تأخذك الدهشة عندما يقوم أحدهم بمحاولة إثبات ذلك من القرآن يقول « وقد كان موسى ضليعاً فيما يسمى السحر، وفي ذلك يقول القرآن على لسان فرعون ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾[طه:٧١] ومن ضروب السحر ما يسمى بالتخييل أي القدرة التي يملكها شخص قوي للإيحاء إلى الآخرين بما يخيل إليهم،

(*) ومع ذلك يقول« الذي يثبت أن قصة موسى، على نحو ما كتبها كتاب التوراة، قصة قلقة (!) إن لم تكن مختلق(!) بقصد قطع صلة ونسب وعقل وروح موسى من مصر، وربطها اختلاقاً واعتباطاً بالعبرانيين . . . النص الوارد في سفر الأعمال (العهد الجديد) منه أن موسى نبذ أى صار منبوذاً في بيت أبيه العبراني (افتراضاً) كانت تلك دلالة على أن موسى لم يكن عبرانياً قط وأنه طرد من بيت أبيه، رمزاً لجماعة العبرانيين بسبب أنه ليس منهم » مقالة (حقيقة موسى) مجلة أكتوبر ٢٩ أكتوبر ٢٠٠٠ص٣١ .

(١) مقالة العشماوى ، الأصول المصرية لليهودية (١٣) أرض الميعاد، ١٠ ديسمبر ص٢٤ العدد ١٢٥٩ .

وما يتخيلون وقوعه وتحققه، وما هو إلا إيحاء في رؤوسهم، وإلى جانب هذا الإيحاء وبعض أعمال السحر، فإن موسى استعان بمملكة الكهانة التي أنشأها ـ!) وحصرها في هارون وبنيه من اللاويين المصريين(!)(*)، واستطاع سلطان الكهانة الطاغي أن يُشكم العبرانيين وأن يسكت ثوراتهم الواحدة تلو الأخرى»[1]!!!

فالسحر للسيطرة إذا فرغت القلوب من العقيدة، هذه هي نظرية المستشار الذي كان رجلاً مهماً في محكمة أمن الدولة، يقول «إن العبرانيين لم يريدوا الخروج ولم يقبلوه وجادلوا موسى فيه قبل أن يبدأ... ولو أنهم اعتقدوا أن الخروج كان بناء على رغبة وأمر إله آبائهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، لما تراخوا عنه»[2]! وفي الحقيقة فإن بني إسرائيل خرجوا مع موسى عليه السلام وهم يعلمون أن الله عز وجل هو الآمر وأن موسى عليه السلام هو النبي، لكن العشماوي يقلب الحقائق ويطمس معالم التاريخ فيزعم أنهم لم يكونوا يعرفون رباً للبشرية كلها ولا عرفه آباؤهم، وأن موسى بعد أن سيطر عليهم بالسحر ومملكة الكهانة التي زعم أنه أنشأها أعطاهم تصوراً مصرياً عن الدين أدنى من التصور الأصلي حتى لاتختلط الأديان ويكون العبد كالسيد! «ومع الوقت بدأ يتضح أن موسى نقل كثيراً من عناصر اليهودية عن مصر وعن إخناتون بالذات»[3] يقول ذلك باعتبار أن موسى حفيد رمسيس الثاني ودينه دينه وعقيدته عقيدته! رجع العشماوي إلى عادته الرديئة في استخدام النصوص التي ليس فيها رائحة دليل على خزعبلاته وخرافاته، فزعم

(*) يزعم العشماوي أن «إخوته لهارون لم تكن إخوة دم بل كانت إخوة عقيدة ففي مصر كان أصحاب المعتقد الواحد يرون أنهم أخوة في الله، وهي الفكرة التي إقتبسها فيثاغورس الإغريقي وسمى مجموعته «الإخوان الفيثاغوريين» ثم سارت على هذا النهج «الإخوان الماسونيين» و«إخوان الصفا» وغيرهم مقالته «حقيقة موسى» ٢٩ أكتوبر ٢٠٠٠ ص٣١.

(١) مقالة العشماوي ، الأصول المصرية لليهودية (١٢) الشريعة والقانون، بمجلة أكتوبر ٣ ديسمبر ٢٠٠٠ ص١٤ العدد ١٢٥٨.

(٢) مقالة العشماوي في مجلة أكتوبر ٢٦ نوفمبر ٢٠٠٠ العدد ١٢٥٧ ص٢٤.

(٣) مقالة البداية والنهاية مجلة أكتوبر الأحد ١١ مارس ٢٠٠١ ص٢٤.

أن ما ورد في القرآن علـى لسان فرعون للسحـرة الذين تابوا للتو، إنما هو حقـيقة قالهـا الفرعـون باعتبـار أنه جد موسـى ويعرف عنه أكثـر مما يعرف السـحرة عن أنفسهم!

إنني متـأكد أن القاريء الكريم يعرف تمامـاً أن العشماوي يهـرف بما لا يعرف، ويشاركـني الرأي أنه إما أن يكون العـشمـاوي قد أصابـه الجنون والخبـال وإما أنه مريض محـتال! وإلا فما شأن تهـديد الفرعون المزعور للسحـرة، التهديد بإطلاق الأكاذيب التي منهـا ـ بزعمه ـ أن موسى هو مـعلمهم الكبير والمدبر مـعهم الخطة بليل للإنقـلاب عليه ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[الأعراف:١٢٣،١٢٤]. وهو قول الحاكم الذي يشعر بـالخطر فيبدأ بنشر الأكاذيب والأراجـيف والإشاعات والتهـاويل ثم ينتهي بالقتل والتـعذيب والتنكيل والتشـريد، والسجن والحـبس! لكن العشـماوي يحجب ذلك كـله، ويقوم بدور الفرعـون، بل يجعل من قول الفرعـون الذي قاله تهديداً وتخـويفاً (وهو يعلم أنه يكذب) يجعل العشماوي من هذا القول (حقيقة تاريخية ودليلاً موضوعياً) لإضافته إلى أسطورته السخيفة وأطروحته الماكرة!

مدعياً أنه يقوم بتحليل علمي «في تفسير مهمة موسى تفسيراً جديداً»(١) ويظن العـشمـاوي انه أتي بما لم تأت بـه الأوائل والمدهش أنه يزعم أنه «فـتى مـصـر» العـلاّمـة! ومنهـجـه هو منهج التلـفيـق والطمس، يقـول «ومن ضـمن مـا تعلمـه مـوسى... قواعـد التأثير في العـالم المادي الأسلوب الذي لا يعـرف الناس أكثـر قوانيـنه، ومن ثم سمـونه سحراً. وهـذا العلم الذي يسمى بالسـحر كـان معـروفاً، علميـاً وعمليـاً لدى الكهنة المصريين ... وفي القـرآن آية تفيد هذا المـعنى، إذ يقول

---

(١) مقالة «شريعة موسى» ١٢ نوفمبر ٢٠٠٠ العدد ١٢٥٥.

فرعون للكهنة ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾[طه:٧١] وهو ما يعني أن موسى كان ضليعاً في السحر المصري القديم»[1]

إن ديدن العشماوي في كتاباته ضد ما أسماه الإسلام السياسي هو إتهامهم بنزع النصوص عن سياقها وإتباع قاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وأنهم يكتبون إنشاء وليس علماً!

وهنا في هذا المثال - وعندي مثله عشرات الأمثلة- يتبين العكس تماماً، فالعشماوي هو من يقوم بقلب الحقائق وعكس الأدلة ونزع النصوص على سياقها الخصوص! وفوق ذلك الكذب على الأنبياء، وذلك بعد تحويلهم إلى كهنة لديانات أخرى كما فعل علمانيون كثيرون!

إن ما جاء به موسى عليه السلام لم يكن سحراً تعلمه من مصر، ولم يكن هذا النبي الكريم ضليعاً في السحر والقرآن يؤكد أن موسى قبل قول الله «وما تلك بيمينك ياموسى» لم يكن قد عرف ماهية الآية الربانية ولا التمكن المزعوم في السحر! والعشماوي لم يأتي بدليل واحد على أن موسى تعلم السحر في مصر على كهنتها وسحرتها، والقرآن يذكر أن موسى كان يُصنَع على عين الله ومراقبته، فلا يمكن والأمر هكذا أن يجعله يؤمن بوثنية وسحر،وكهانة وكفر، بل مثل موسى عليه السلام لا يمكن أن يكون حفيداً لطاغية مصر القديمة فرعون المشئوم.

إن الذي جاء به موسى هو الحق من الله عز وجل، كان نبياً رسولاً، مقرباً من الله ومخلصاً له، لا مقرباً من فرعون ومخلصاً له. ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾[مريم:٥١-٥٣] .

(١) مقالة العشماوي «موسى المصري» الأصول المصرية لليهودية (٦) ٢٢ أكتوبر . ٣٣ العدد ١٢٥٢.

إن الذي جاء به موسى لإبطال سحر السحرة كان «آية ربانية» و «معجزة إلهية»، هذه الآيات الإلهية كانت باهرة وتعجيزية إن صح التعبير لسحرة مصر فعلموا أنها من الله عز وجل وأن موسى نبياً ورسولاً، والساحر يعرف الفرق بين السحر وغيره، وكما قال ابن تيمية فإنه «ليس من جنس مقدورهم فآمنوا إيماناً جازماً»[١] ولا شك أنهم قد درسوا دعوة موسى وعلموا صدقها ولما رأوا الآيات المادية على صدقه آمنوا للتو ما جعل فرعون يستخدم أسلوب التهديد معهم.

وهم أدرى الناس بما في السحر من كذب وفجور وأن السحر يجد له مكاناً رفيعاً في الحضارات الوثنية، فالشرك والكذب والسحر والفجور يفرخون الدكتاتوريات التي لا تدع للنبوة والرسالة والدعوة طريقاً للإنسان وسبيلا لأبناء آدم.

إن الفرق بين النبي والساحر ـ كما قال ابن تيمية ـ أعظم مما بين الليل والنهار[٢] والتسوية بينهما ضلال بيّن «ولهذا لما مثلوا الرسول بالساحر وغيره قال تعالى «انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا»[٣] «فمن جعل النبي ساحراً ومجنوناً - يقول ابن تيمية - هو بمنزلة من جعل الساحر أو المجنون نبياً، وهذا من أعظم الفرية والتسوية بين الأضداد المختلفة... فإن الفارق بين النبي والساحر أو المجنون أعظم من الفرق بين العاقل والمجنون»[٤]

العشماوي رجل القانون!، يجعل من موسى فرعوناً ابن فرعون «ابن ابنة الفرعون رمسيس الثاني»! بل يساوي بين الفرعون والنبي موسى في الاعتقاد!

فثقافة موسى الدينية مصرية - بزعم العشماوي، وقد زعم ذلك في يوسف

(١) النبوات ص٣٢.
(٢) النبوات ص٢٧٧.
(٣) النبوات ص٢٣.
(٤) النبوات ص٢٧٧.

عليه السلام وإبراهيم عليه السلام(*)، وقد استخدمها مع السحر في إخراج بني إسرائيل من مصر! «اضطروا إلى الخروج تحت تأثيره ... ولما بدأتمرد العبرانيين عليه وتكررت ثورتهم هذه إضطر إلى اللجوء إلى ثقافته المصرية (!) فقال لهم إن الإله قد اختارهم (!) شعباً له(**) وانه وعدهم أرض كنعان ليقيموا فيها، وذلك بلا شك مزج للفكر الديني بما له من دفعة وما فيه من دفقة(!)، بالهدف السياسي والغرض القومي، مما كان له أثر عميق على اليهودية منذ البداية فأضفى عليها صبغة أيديولوجية»(١)

(*) فعن إبراهيم يقول «وهذا الختان كان معروفا في مصر أكثر من أربعة آلاف سنة قبل زيارة إبراهيم لها ... وقد عرفه إبراهيم من مصر، كما عرف تحديد الألوهية بالتجريد وعدم التمثيل ... إن الصابئة أبلغ وأصدق دليل على تأثير مصر على ابراهيم، إذ يستحيل أن يجيء إليها ويقيم فيها ثم يخرج منها دون ما أثر»!! مقالة «عهود الآباء (ب) مجلة أكتوبر ٨ أكتوبر ٢٠٠٠ ص٣١ اعدد ١٢٥٠ أما صاحب كتاب وعد التوراة «موسى مطلق إبراهيم» فيقول في كتابه هذا «إبراهيم كان شخصية مقدسة في ميثولوجيا بلاد الرافدين» ص٣٨. وعن يوسف عليه السلام يقول العشماوي «فثقافة يوسف ثقافة مصرية وعلمه علم مصري» من مقالة يوسف الصديق (ب) الأصول المصرية لليهودية (٢) في مجلة أكتوبر ٢٤ سبتمبر ٢٠٠٠ ص٢٧ العدد ١٢٤٨ وفي نفس المقالة يقول «وثمة عبارة في التوراة تفيد أنه درس في معبد أون» ص٢٦. وفي مقاله اخرى بتاريخ ١٧ سبتمبر ٢٠٠٠ ص٢٣ عن يوسف أيضاً يقول «بل إنه اعتنق العقيدة المصرية السليمة عن التوحيد بالله»!! من هنا بدا العشماوي في هدم حقائق التاريخ يقول في نفس المقالة ص٢٢ «ولأن يوسف الصديق هو أقوى الحلقات وأهم الصلات بين المصريين والعبرانيين الذين صار منهم اليهود ، فإن الابتداء بدراسته شخص وحياة وعمل وعقيدة. أمر لا صارف عنه في شأن دراسة تتعقب الأصول المصرية في اليهودية(!) وتترسم الخطوات المصرية، في الفكر الديني والاجتماعي لليهود» وفي ص٢٧ يقول «... الا يعني ذلك أن يعقوب كان يقصد في الحقيقة سيداً للقبيلة أو سيداً لآبائه دون أن يقصد الله الواحد الأحد الذي عرفه المصريون منذ قديم الزمان، وعرفه يوسف في معبد أون» وهو يعني أن إله يعقوب هو إله قبيلة!!!

(**) شفيق مقار ذهب أيضاً لهذا الافتراء فادعى أنها «كانت حيلة موفقة لإقناع شراذم موسى» قراءة سياسية للتوراة ص١٤٤.

(١) مجلة أكتوبر المصرية الأصول المصرية لليهودية (١٤) أرض المنفى للعشماوي ١٧ ديسمبر ٢٠٠٠ العدد ١٢٦٠ ص١٦.

يضيف «نوارة الدفعة» «فتي مصر» «القاضي العدل» : أنهم أدركوا أن موسى يداعبهم بهذه الفكرة وتلك ، ويلاعبهم بهذا القول وذاك، حتى يتم له نقلهم إلى أرض كنعان المنفى، فقاوموه وعارضوه وثاروا عليه وتمردوا ضده، ولم يؤمنوا بالإله الواحد الأحد الذي أطلق هو عليه ». هـ. و.ا لأنهم كانوا يعرفون أنه الإله الذي يؤمن به المصريون(!) وأن موسى يريد أن يفرض عليهم إله المصريين (مع أنه إله الناس جميعاً) كإنجاه منه لتمصرهم(!) ، أي أنهم رأوا فيما كان يفعله موسى ضرباً مما سمى بعد ذلك بالغزو الثقافي(!) الذي يمحو شخصيتهم ويُغير ثقافتهم ويفصلهم عن تراثهم القبلي(!)»[1] وبزعم العشماوي فالإله الذي عبده الأنبياء العبرانيون، يعقوب وإسحاق هو إله قبيلة وليس الإله العالمي الذي عبده يوسف من مصر - بزعمه طبعا - بعد أن تثقف بثقافة المصريين! لذلك يقول العشماوي «فالصراع بين موسى والعبرانيين من ثم، كان صراعاً على التهجير إلى أرض المنفى وصراعاً على الألوهية»[2]

وهكذا فالعشماوي في «خبطات» سريعة يهدم حقائق ضخمة، وفي أعرق المجلات المصرية مجلة «أكتوبر» (والآن يكتب في روزاليوسف!) توقف هنا وبدأ هناك!

أما عن الخصوصية التي زعم أن موسى المصري - في الاسطورة العشماوية! منحها للعبرانيين وهي قوله أن الإله قد اختارهم شعباً له فسببها اضطراره لمنحهم إياها وعزلهم فكرياً وشعورياً ودينياً لئلا يتهدد أمن مصر «والقصد من ذلك إيجاد حاجز نفسي وحاجز ديني يمنع العبرانيين من الإنضمام إلى باقي القبائل والشعوب البدوية التي كانت في أرض كنعان، حتى لا يتهدد أمن مصر»[3]

(١-٢) المرجع السابق ، نفس المقاله، يزعم العشماوي أن تراثهم العقيدي هو اتباع «توحيد لإله القبيلة وليس التوحيد العالمي والكوني المجرد ذلك الذي آمن به المصريون منذ عصور ما قبل التاريخ المكتوب (٣٢٠٠ ق.م) ثم تم ترسيخه في عقيدة إخناتون» مجلة أكتوبر ٣ ديسمبر سنة ٢٠٠٠، الأصول المصرية لليهودية (١٢) الشريعة والقانون.

(٣) المرجع السابق نفس العدد ص١٧ على العكس من ذلك يزعم فرويد أيضاً أنه كان يريد بذلك إعطاءهم الثقة بأنفسهم، انظر النبي موسى ص١٨٧ .

فموسى عند العشماوي مصري، أمير فرعوني، وحفيد الفرعون رمسيس الثاني، رسم «إستراتيجية»[1] لنفي العبرانيين عن مصر ولئلا يتهدد أمن مصر عزلهم عن الشعوب البدوية بمنحهم أفكاراً عازلة كعقيدة أنهم شعب الله المختار، كما أنه بإعطاءهم عقيدة إضطر إليها موسى[*] كاتجاه منه لتمصيرهم أمكنه تحويلهم من بداوة آبائهم يعقوب وإسحاق إلى الحضارة!

بهذا الكذب العشماوي يظن المستشار انه استطاع قلب الطاولة على الإسلام السياسي وعلى المد الإسلامي العظيم الذي يقف لماسونيته بالمرصاد ومعلوم أن الماسونية حركة خطيرة أرجعها معظم الباحثين إلى الصهيونية العالمية وامتداداتها الفكرية والسرية!

لا معجزات في الخروج ولا آيات ربانية!

يزعم العشماوي أن خروج العبرانيين من مصر بقيادة موسى!، الذي جعله مصرياً وضليعاً في السحر ومنفذاً لخطة الخروج مع جده الفرعون!، يزعم العشماوي أن الخروج حدث بلا معجزات **«حدث الخروج في سهولة ويسر، ولم تصاحبه أحداث مأساوية للمصريين. وهذا الذي يستفاد من النصوص(!) هو ما يقوله علماء التاريخ والدين المقارن(!) ، إذ لا يجدون(!) في المخطوطات**

---

(١) كما عبّر عن ذلك العشماوي في مقالته «الشريعة والقانون» بمجلة أكتوبر ٣ ديسمبر ٢٠٠٠ العدد ١٢٥٨ وهي المقالة التي زعم فيها أن موسى كان ضليعاً في السحر وأن العبرانيين في التوراة فصلوه عن أصله المصري ونسبوه لهم؟

(*) يزعم العشماوي أن بني إسرائيل الذين طلبوا من موسى أن يجعل لهم إلهاً(!) وليس هو الذي ابتدأ ذلك من عنده ، الأصول المصرية لليهودية (١٠) تفصيل الشريعة، مجلة أكتوبر ١٩ نوفمبر ٢٠٠٠ العدد ١٢٥٦. وهذا الكلام خلط وتزوير للوقائع، فالله عز وجل هو الذي أرسل موسى إبتداء بعقيدة التوحيد في مواجهة العقائد المصرية الوثنية وهنا يهدم إفتراءات العشماوي من أن العقيدة التي أعطاها للعبرانيين إنما إضطر إليها وأنها عقائد مصرية يؤمن بها الفرعون الذي زعم العشماوي أنه جد موسى!

والمنقوشات والمحفورات المصرية أي دليل على وقوع أحداث بالصورة البالغة المأساة التي تصورها التوراة وهو أمر لو حدث لما أغفلته السجلات المصرية أبداً»[1]

لم يأت العشماوي على نفي معجزات الخروج بدليل صحيح مقنع، وإنما الذي أتى به بإعتباره دليل علمي وبحث موضوعي هو قوله أن ما يدعيه مستفاد من النصوص التوراتية ولم يذكر أي نص لتدعيم أكاذيبه وذلك لأن النصوص التوراتية صريحة جداً في إثبات معجزات الخروج ثم هو يعتمد على ما يقوله كثير من علماء التاريخ والدين المقارن، وأكثرهم ماديون، إذ لا يجدون دليلاً مكتوباً أو منقوشاً أو محفوراً في السجلات المصرية القديمة أو الرسوم الفرعونية المكتشفة على وقوع أحداث كهذه!، وهذا الدليل يعتبر دليلاً قوياً بالنسبة لعلماء التاريخ الغربيون الذين لايؤمنون بالدين والوحي والنبوة والشريعة فوق أنهم يحجبون الحقائق الناسفة لنظرياتهم ويعزلون الأدلة المدمرة لنتائجهم ويسترون البراهين الكاشفة لأهوائهم!

إن نفس هؤلاء العلماء أثبتوا أن كثيراً من الأسر المصرية الحاكمة آنذاك كانت تقوم بكشط التواريخ وإخفاء آثار من قبلهم ومحو أسماءهم وذكراهم وكأنهم لم يوجدوا في التاريخ قط والتاريخ المصري القديم مملوء بذلك، والعشماوي والقمني وغيرهما يعلمون ذلك جيداً لكنهم يرفضون إتخاذ ذلك دليلاً على إخفاء الفراعنة لمعالم هذا الحدث التاريخي العظيم، تكبراً وجحداً لحقائق التاريخ وإخفاء لمعالم الحجب والعزل والإخفاء والطمس!!! وذلك أنهم يعلمون أن الإيمان بمعجزات حقيقية للأنبياء يستدعي الإيمان بنبوتهم ومن ثم صحة الرسالات السماوية التي تهدم نظرياتهم العلمانية الهشة وتحرمهم من ولاء عجيب وتسليم مدهش وتقليد معجب للفكر الغربي الحديث، خصوصاً أفكار فرويد وفليكوفسكي اليهوديين

---

(١) مقالته في مجلة أكتوبر بعنوان شريعة موسى، الأصول المصرية لليهودية (٩) بتاريخ ١٢ نوفمبر ٢٠٠٠ ص٢٨ العدد ١٢٥٥.

اللذين أنكرا أيضاً معجزات الخروج بناء على كفرهم بالنبوات والرسالات وتبنيهم للمنهجية المادية الأحادية في التحليل القاصرة على حل ألغاز التاريخ وتفسيره تفسيراً علمياً حقيقياً!

إن كثيرين منهم أنكروا حدث الخروج، وكثيرين آخرين أثبتوا الحدث لكنهم أعطوه دلالات سخيفة ومعاني قاصرة هزيلة ومضحكة تبدو عليها آثار التلاعب الخائب والتحرّش المبيّت كما أنها تحمل في طياتها أسباب قصورها ووسائل تدميرها!

ولنضرب على ذلك مثالاً قريباً لا يذهب بنا بعيداً، وهو تعليق فليوكوفكي على الحدث الذي زعم أنه لايوجد مصدر تاريخي صادق يدعم هذا القصص الديني[1] فيقول «إن دراسة موضوع الكوارث وترتيبها يجعلنا ندرك أنها شكل من أشكال تغير الطقس الذي يحدث عاماً بعد عام. ولا نعجب إذا كان ذلك لم يلفت نظر ولا إنتباه المصريين كحدث عادي، بالقدر الذي لم يثر انتباههم فيه حدث سنوي متكرر، لدخول وخروج البدو من حدودهم مع قطعان ماشيتهم أو ما سمي بالخروج. وربما كان الجيش المطارد قد تعرض لكارثة ليس بسبب إنشقاق البحر وانطباقه بعد ذلك، ولكن بسبب موجهة مد عاتية(!) قد ضاعفها الإعصار(!). إذا كانت كل الوثائق والتسجيلات المصرية القديمة تجهل أن البحر قد التهم ملكهم وجيشه وعجلاته الحربية في حين بقيت أمجاد المعجزة حية في أذهان نسل الهاربين من الطغيان الفرعوني، وكرموا أنفسهم(!) بقصة عاصفة إعجازية وبحر منشق لم يشهد بحدوثه المصريون في أي من وثائقهم التاريخية»!![2]

أما في كتابه «عوالم في تصادم» فقد قام فليكوفكي بدراسة أحداث التاريخ بناء على القواعد المادية القاصرة والهزيلة.

---

(١) عصور في فوضى، من الخروج إلى الملك إخناتون ص٤٧.

(٢) المرجع السابق ص٤٨-٥٠.

يشرح لنا الدكتور رفعت السيد[*] مترجم كتاب فليكوفسكي عصور في فوضى فلسفه فليكوفسكي ورؤيته للحدث «أول ما يخرج به فليكوفسكي من إعادة دراسة التاريخ على ضوء الكوارث الكونية هو أن حادثة خروج بني إسرائيل من مصر قد واكبت كارثة كونية وقعت بفعل حادث طبيعي كوني وهو ارتطام ذيل أحد المذنبات السيارة بالكرة الأرضية... يخرج بكل هذه الوقائع من دائرة الدين التي تعزوها إلى معجزات إلهية، إلى دائرة الكوارث الكونية(!) التي تعود إلى أحداث الطبيعة، فالخروج لا يمثل معجزة إلهية.»[١]

هذه هي أفكار الفكر العلماني الغربي والعربي، وهي كلها تصب في عملية تزييف حقائق التاريخ والتلاعب بأحداثه ووقائعه وإعطاءها تفسيراً هزيلاً له ارتباط عضوي بحقيقة الصراع المرير بين الكنيسة والفلسفة والعلم في القرون الأربعة الخالية.

بل هذه هي أفكار المستشار محمد سعيد العشاوي الذي يقوم بمحاولاته الهزيلة في نفى عقائد الإسلام وتحطيم مبادىء الإيمان وتغيير وقائع التاريخ النبوي على طول التاريخ.

إنه القاضي الذي تدل تلاعباته على ظلمه لا عدله، وعلى ظلمة أفكاره لا نورانية عقله وعلى طمسه للحقائق لا إظهارها وإعلانها في محكمة العدل البشرية إننا نذكره بقول الله عز وجل في الكفار المناوئين ﴿لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[النور: ٥٧].

فانتظروا إنا منتظرون!

(*) رفعت السيد ، من عمالقة الفكر المادي التخريبي وأحد رموز العلمانية في مصر.

(١) مقدمة كتاب عصور في فوضى ص١٨، ١٩.

الفصل الخامس

« إن صورة موسى عليه السلام، وأخيه هارون، عليه السلام في الثقافة الإسلامية - التي صاغها وصبغها القرآن الكريم - هي صورة حبيب الله.. الذي صنعه الله على عينه .. وقربه .. واستخلصه لنفسه وجعله كليمه .. ونجيه..واستجاب دعاءه .. وسلّم عليه .. وجعله القوى الأمين .. وآتاه الكتاب والفرقان والسلطان ..... وصورة هذا الكتاب - التوراة - في القرآن الكريم هى صورة : الإمام .. والرحمة .. والهدى .. والنور ...»

محمد عمارة

الإسلام والآخر

من يعترف بمن ؟.. ومن ينكر من ص٢٥

افتراءات أحمد عثمان(*) وإيقاف التاريخ على رأسه

يذهب بعض الباحثين إلى نفي وجود الأنبياء في التاريخ، فالأنبياء عندهم ليسو أشخاصاً تاريخيين حقيقيين أي لم يوجدوا في العالم قط!

الباحث الدكتور أحمد عثمان يذهب مع آخرين إلى إثبات وجودهم كأشخاص تاريخيين لكن تحت أسماء أخرى وأنساب أخرى وأهداف في الحياة أخرى أيضاً!(**) بحيث يؤكدون وجود شخوص الأنبياء في التاريخ باعتبارهم كهنة مصريين أو أمراء وملوك وجدوا في التاريخ بصفتهم مصريين أو عراقيين أو سوريين وليست لهم صلة من قريب أو بعيد بالنبوة أو الرسالة الإلهية أو الوحي الرباني!

وإذا سألتني أخي القارىء عن الفارق بين من ينفي وجودهم من التاريخ وبين الذين يثبتونهم لا أنبياء ولا مرسلين وإنما يثبتونهم أعضاء في كهانة مصرية أو عراقية أو أعضاء في مملكة أو إمبراطورية يديرون دفتها، فإن إجابتي التي

(*) أحمد عثمان من مواليد القاهرة عام ١٩٣٤ وقد حصل على ليسانس حقوق من جامعة عين شمس ثم عمل صحفياً في مؤسسة اخبار اليوم حتى نهاية عام ١٩٦٤ كتب خلالها خمس مسرحيات قدمت إحداها «بيت القياس» على خشبة المسرح الحديث قبل هجرته إلى انجلترا وإقامته في العاصمة لندن مع زوجته ابنة الموسيقار الراحل مدحت عاصم منذ ما يقرب من ثلاثين عاما التحق بمدارسات مسائية لجامعة لندن وشارك في أبحاث حرة في مكتبة المتحف البريطاني عن التاريخ المصري القديم كما درس علوم الكتاب المقدس وقام بتأليف ٤ كتب بالإنجليزية عن علاقة القصص القرآنية والكتاب المقدس في التاريخ المصري القديم نشرت له ٦ كتب بالعربية إعتمدنا على خمسة منها هنا والسادس هو قصة الحضارة الفرعونية.

(**) يقول أحمد عثمان «وبالرغم من أن بعض الباحثين الحديثين ينكرون أن يكون هؤلاء الأنبياء أشخاصاً تاريخيين حقيقيين، زاعمين أنهم مجرد شخصيات أسطورية إلا أن معاول الأثريين أخرجت لنا أخيراً العديد من الأدلة التي تؤكد تاريخية هؤلاء الأشخاص» الأصول المصرية في اليهودية والمسيحية لأحمد عثمان ص٣٣ فأثبت أحمد عثمان وجودهم بإعتبارهم الأشخاص الذين لم يكونوا أنبياء قط والذين كانوا وثنيين على طول الخط!!

استخلصتها من هذا البحث هي أن النافي والمثبت سواء!

فمن أثبتهم كهنة وملوكاً وفراعنة قال بنفيهم أنبياء ورسلاً ورجالاً موحى إليهم من الله بحكمة وشريعة وعقيدة وعلم، ومن نفى كل وجود لهم فقد أثبتهم في الأساطير وأقر وجودهم في ميثولوجيات العهود القديمة!

والهدف النهائي هو نفي النبوة وطرد الوحي وتحطيم الرسالة وإلغاء الشريعة وقتل الإيمان وإرهاب المؤمنين وزلزلة الموحدين!

أحمد عثمان ويوسف عليه السلام !!

ادعى أحمد عثمان أن يوسف عليه السلام هو الوزير (يويا) وزير الفرعون أمنحتب الثالث، وأنه لم يكن إسرائيلياً أو عبرانياً أو نبياً أو موحداً! وهو ما يؤدي إلى إنكار وجود يوسف عليه السلام في التاريخ كما ذهب إلى ذلك صاحب الكتاب المشهور «فجر التاريخ» (عالم المصريات: بريستد) كما إنه يتساوى مع إثبات وجود زائف لهم بإعتبارهم فراعنة وثنيين أو إباحيين أو أشخاصاً مقتبسين من قصص حقيقية لها أحداثها التاريخية ما يعني أن لهم وجوداً ما في «الرواية الأصل!» أو «الأصل المقتبس منه»!!

لقد أمضى الدكتور أحمد عثمان ما يزيد على الثلاثين عاماً - في الغربة في لندن - أمضاها في دراسة التاريخ المصري القديم ومحاولة ربطه أو خلق علاقة له بما جاء في القرآن وكتب يهود (أسفار العهد القديم)، ربطاً خبيثاً مغرضاً! بيد أن النتيجة المستخلصة من هذه الدراسة الطويلة الأجل والمتخصصة كانت مدهشة للغاية ومليئة بالثغرات والفجوات، ومفعمة بالتلوين، والتلفيق، والتحوير، والتبديل، وقائمة على الخيال، وفقدان السيطرة على جموح النفس، وشطط العقل، وهيجان الخيال (العلماني!)

لقد قمت بدراسة أفكار أحمد عثمان فلم أجد دليلاً علمياً واحداً يرضى به إنسان عاقل يعرف قدر نفسه وحجم الاكتشافات الأثرية وخطر صنع النظريات التي لا أساس لها ، والتي هي كثيرة كغثاء السيل وهشة كفقاعات الهواء!

إن عمل أحمد عثمان في قلب التاريخ رأساً على عقب وإعادة نسج رواياته وتضفير خيوطه بما يتناسق مع المنهج العلماني التاريخي القائم على تفسيراته اللاعقلانية وآلياته الأسطورية، **إن عمله هذا يدل على فشل المناهج العلمانية كلها في فهم التاريخ وفقه مبادئه ومعرفة شروطه وأنظمته وسننه! فمادامت المناهج أحادية وجزئية وعوراء فإن النتائج ستكون قاصرة وشائهة وعمياء!، وبالتالي** سيحدث خلل في صناعة الإنسان وصناعة المجتمعات!

إن الخطورة في الأعمال القائمة على هذه المنهجية الضعيفة إنما هو في استخلاص النتائج من شواهد غامضة، ومواد غير مكتملة، وأدلة لا صلة لها بتاتاً بموضوع ومادة البحث والأخطر هو طمئنة القارئ بأن البحث قائم على وثائق علمية وأدلة أركيولوجية ومصادر تاريخية. هذا هو الخداع الذي يتقنه كهنة العلمانية كما اتقنته قديماً كهانات الوثنيات الطامحة!

إن عمل أحمد عثمان الخطير هو إلغاء الصور الحقيقية التاريخية للأنبياء بادعاءات فارغة وكلمات ليست أكثر من دخان في الهواء وزفير أسود من الهباب! **يقول أحمد عثمان «وكان أول ما توصلت إليه من أدلة، تتعلق بيويا وزير آمنحتب الثالث ويوسف الصديق. فقد عثرت على العديد من الأدلة والقرائن التي تؤكد أن الشخص الذي نعرفه من المصادر التاريخية باسم يويا أحد وزراء آمنحتب الثالث، هو ذات الشخص الذي وردت قصته في القرآن والتوراة باسم يوسف(*). لم يكن**

(*) أما السيد أسامة عبدالحميد يحيى فقد إدعى أن يوسف عليه السلام لم يكن يويا وزير آمنحتب الثالث وإنما هو امنحتب الوزير المهندس الذي صمم هرم زوسر المدرج في سقارة كما في مجلة أخبار الأدب عدد يوم ١٩/ ١٠/ ١٩٩٧ . انظر كتاب المغالطات للدكتور عبدالمنعم عبدالحليم سيد ص١٢٥-١٢٨ .

يوسف الصديق يهودياً لأن الديانة اليهودية لم تظهر في بابل إلا بعد بضعة قرون من (عصر يوسف وموسى)، كما أنه لم يكن إسرائيلياً»[1]

فلإثبات وجود يوسف في التاريخ ذهب أحمد عثمان يبحث عن أدلة تاريخية على أساس التحليل العلماني القاصر للتاريخ بما يعني نزع أي علاقة للأنبياء بالوحي الإلهي، ونسف أي تصور ديني مبني على أسبقية عقيدة التوحيد على وجود الإنسان على الأرض!

إن الدكتور أحمد عثمان يقتطع صورة مما كشفته معاول الأثريين - كما يفعل العلمانيون الذين ذكرتهم في هذا الكتاب! محاولاً ربطها بالأنبياء ثم تدمير صورهم بها، فيثبتهم وجوداً مصرياً وثنياً، ساعياً بذلك إلى تخريب وجودهم الحقيقي، وذلك بجعلهم أشخاصاً تاريخيين مصريين ليس لهم أي صلة بالنبوة والوحي والتاريخ الحقيقي لهم، أسماؤهم مختلفة وأسماء آبائهم وأمهاتهم لذلك مختلفة وعقائدهم مختلفة ومواقعهم في التاريخ مختلفة!

فيوسف هو (الوزير يويا) الذي زوّج ابنته للفرعون آمنحتب الثالث يقول أحمد عثمان «كانت مفاجأة لي أن أجد شبه انطباق تام(!) بين ما نعرفه عن يوسف الصديق من القرآن والتوراة، وما هو موجود في المصادر المصرية القديمة عن يويا»[2] وهو كذب سيأتي كشفه بالكشف عن حقيقة وسيرة آمنحتب الثالث!

أما ماذا يريد أحمد عثمان الوصول إليه بذلك الادعاء من التطابق التام بين يوسف عليه السلام والوزير يويا، فهو الشيء الخطير حقاً!! فأولاً يقول «أن يويا كانت له ابنة هامة في التاريخ، هي طاي التي تزوجها الملك آمنحتب الثالث وجعلها ملكته،

---

(١) الأصول المصرية في اليهودية والمسيحية ص٣٣، ٣٤ كذلك وضع هذه الأفكار في كتابه الصادر عام ١٩٨٩ بعنوان «غريب في وادي الملوك - مومياء يوسف الصديق في المتحف المصري»!

(٢) المرجع السابق ص٣٩.

والتي أنجبت له ابنه اخناتون الشهير. ورغم أن التوراة لا تذكر صراحة أن يوسف كانت له ابنة، فهي تحتوي العديد من الدلالات التي تؤكد وجود هذه الابنة»[1]!!! هذه الابنة طاي، صارت ملكة «طاي ابنة يويا التي صارت ملكة على مصر، عندما نعلم من القصة التوراتية أن يوسف كان يلجأ إلى الملكة يحاول التأثير على زوجها لتحقيق رغبة خاصة له»[2]!!!

وعلى ذلك يكون إخناتون حفيد يوسف مباشرة باعتبار يوسف هو يويا الوزير!! أما الفرية الخطيرة - والأخطر على الإطلاق! - لأحمد عثمان فهي أنه ادعى أن موسى هو اخناتون! أي أن موسى هو حفيد يوسف مباشرة! أو بالأصح الوزير يويا! وعلى إمتداد صفحات (الفصل الرابع) من كتابه الأصول المصرية(!) لليهودية والمسيحية، وهو بعنوان (موسى النبي والملك إخناتون) حاول أحمد عثمان الوصول إلى تطابق بين موسى وإخناتون!!![*] وهو ما يعني أن (يوسف/يويا) جد (موسى/إخناتون) بإنجاب (طاي/تي) (إبنة) يويا/يوسف له وذلك بزواجها من الفرعون آمنحتب الثالث!

وهو ما يجعل عصر يوسف عليه السلام هو نفس عصر موسى عليه السلام وهذا في نفسه دليل قوي على سخافة وتهافت نظرية أحمد عثمان التي توصل إليها في إحدى ليالي شتاء لندن الباردة عام ١٩٨٤ وهو يقرأ أسفار العهد القديم لليهود كما ذكر هو[3] ذلك أن عصر يوسف عليه السلام سابق على عصر موسى النبي بقرون عديدة كما يعرف ذلك كل الناس!

---

(١) المرجع السابق ص٤١. (٢) المرجع السابق ص٤١.

(*) كذلك فقد ألف أحمد عثمان كتاباً بالانجليزية، ترجمته «موسى فرعون مصر، حل غموض شخصية اخناتون» "Moses Pharaoh of Egypt, The Mystery of Akhenaten resolved" وقال فيه بنفس الفرية، أن موسى هو إخناتون.

(٣) انظر المرجع السابق ص٣٦-٣٨.

لكن أحمد عثمان يتوصل إلى غير ذلك ببراعة يحسد عليها! يقول «وأدى التوصل إلى تحديد عصر يوسف الصديق في مصر بفترة حكم آمنحتب الثالث - الذي حكم مصر حوالي ٣٨ عاما من ١٤٠٥ قبل الميلاد إلى أن أصبح الطريق مفتوحاً أمامنا لتحديد عصر موسى عليه السلام، بل والتعرف كذلك على الشخصية التاريخية لنبي التوحيد في مصر(*). فهل كان الشخص الذي نعرفه من كتب التاريخ بإسم إخناتون، هو ذات الشخص الذي عرفناه باسم موسى من الكتب الدينية، فكلاهما عاش في نفس الزمان والمكان(!)»[1]

ومع أن أحمد عثمان اختلف في نظريته عن كثير من الباحثين العلمانيين الآخرين إلا أنه يشترك معهم في الادعاء بأن نظريته تقوم على الاعتماد على التاريخ الحديث والمعلومات الدقيقة!

يقول «... فبدأ الباحثون يُعملون الفكر(!) في محاولة لإعادة تقييم الروايات القديمة... واستطاع علم التاريخ الحديث أن يعطينا معلومات دقيقة عن أحداث العالم القديم، من المصادر المصرية والبابلية والسورية والكنعانية واليونانية»[2] وكلام أحمد عثمان هنا يحتاج إلى تدقيق شديد، فهو يحتال على قارئه بادعاء دقة نظريته وذلك بالإيحاء بأنها معتمدة على المعلومات الدقيقة والاكتشافات الأثرية. **ولو نظرنا إلى هذه الإكتشافات لوجدناها تظهر معلومات عن ملوك وفراعنة، ودول وإمبراطوريات، وهذا في حد ذاته لا غبار عليه فهي نتاج عمليات حفرية وتنقيبات أثرية لكن ذلك لا يقول أبداً بأن موسى هو إخناتون أو أن يوسف هو يويا أو أن فرعون هو جد موسى أو أن حنشبسوت أو (تي) أو (طاي) هي أم موسى(*) أو أن موسى هو إله وإنسان معاً أو أنه أخو الإله الشرير في الأسطورة المصرية،**

(*) يقصد إخناتون الذي قال بأنه هو موسى وفي كتاباته الأخرى كما سيأتي يجعل أحمد عثمان هذا التوحيد إفرازاً وتطوراً تاريخياً وليس عقيدة كونية ووحياً ربانياً ورسالة إلهية للبشر.

(١) المرجع السابق ص٥٥.　　(٢) تاريخ اليهود ص٤١.

• الإله سيت! فكل هذه خيالات وخرافات وأساطير الباحثين العلمانيين الذي يُخدّمون الاكتشافات لنظرياتهم ويحاولون تخريب التاريخ البشري وإضاعة الحقائق بتلفيقاتهم وإتهاماتهم المتطرفة حقاً!

يقول أحمد عثمان «فنصوص العهد القديم التوراتية مبنية على انتحال وقائع التاريخ المصري القديم، ليس هذا فحسب، بل إن عقائد التوحيد اليهودية وخلود الروح المسيحية، ظهرت في مصر القديمة. كما أن كثيراً من الشخصيات الرئيسية التي ورد ذكرها في الكتب المقدسة، لم تكن كنعانية الأصل كما ساد الاعتقاد، بل كانت في الواقع تمثل أشخاصاً مصرية معروفة من مصادر التاريخ ... قصص القرآن تأتي من ذات المصدر الذي جاءت منه الكتب الدينية السابقة»[(١)]!!

ففي هذا النص ينسف التاريخ الحقيقي للأنبياء بإرجاع قصصهم إلى التراث المصري القديم كما يرجع عقيدة التوحيد لنفس هذا التراث كما أنه يتهم القرآن بأنه أتى من المصدر الذي جاءت منه الكتب الدينية السابقة التي انتحلت وقائع التاريخ المصري القديم!! (كما فعل القمني وغيره)

يقول ذلك بناءً على نظريته السخيفة في يوسف وموسى عليهما السلام والتي لم يأتي بدليل واحد منطقي ومادي لجعلها أقل ترنحاً وأكثر ثباتاً!!

تلويث صورة يوسف وموسى عليهما السلام

ويجعل أحمد عثمان من الملكة طاي ابنة ليوسف عليه السلام وأما لموسى يكون إنتهى

(•) بل لقد ذهب الدكتور مراد محمد الدش أستاذ مساعد الهندسة الإنشائية بجامعة عين شمس إلى القول بأنه نشأ تنافس بين موسى والملك تحتمس الثاني على الزواج من حتشبسوت ففاز بها تحتمس فقتله موسى ثم هرب إلى سيناء، ومعلوم أن هذا كذب وخبال سخيف فلا موسى هرب لهذا السبب المزعوم ولا كان تحتمس هذا هو الفرعون الذي عاش موسى في زمنه. انظر عرض الأستاذ عبدالمحسن سلامة المحرر بجريدة الأهرام لخرافات الدكتور الدش في عدد الأهرام ١٣/١١/١٩٩٧ في الصحيفة الخاصة بالتحقيقات وانظر الرد عليها في المغالطات ... ص١٣٠.

(١) الأصول المصرية في اليهودية والمسيحية ص٢٥

إلى ما انتهى إليه سيد القمني من الإفك والزور وفواحش الكلام والغمز المبطن والإيحاء البعيد، فالملكة (تي) أو (طاي) زوجة آمنحتب الثالث والتي جعلها القمني أماً لإخناتون/ موسى/ أوديب، كانت تتجلى عبادتها في تأليه الإله السيناوي الذي يقول عنه سيد القمني «لعلنا نذكر كيف كانت أهم تجليات الإله السيناوي هي التجلي الخصبي ممثلاً في قضيب الذكر/ المشروم/ البركان، وأن البركان عندما يقذف بمصهوراته مع هيئته المرتفعة كالقضيب العظيم ومقذفه القوي، وما يؤدي إليه من خصوبة عالية في الأرض أدى إلى تصوره قضيباً إلهيا عظيما»(١)

وفي عيد (حب سد) قام إخناتون - بحسب القمني! - في العام الثاني عشر من حكمه في تل العمارنة بإعلان الطقوس الآتونية الإباحية وزوج أُمه الملكة (تي) يقول القمني «وهو ما تنطق به لنا لوحة الحائط الشرقي بمقبرة يويا التي يأخذ فيها إخناتون بيد أمه تي يقودها إلى المعبد تتبعهما ابنته بكتاتن فقط وحدها. مع تدوين شارح يقول: «يقود الملكة العظمى والأم الملكية تي لترى ظلها في الشمس» وفي اللوحة يرتدي إخناتون ثوباً شفافاً يسمح برؤية تفاصيله الداخلية، أما تي فتكاد تكون عارية تماما. ومن بعدها قرر أن تستمر هذه العلاقة في زواج صريح معلن دائم وليس فقط في حفل سري بالمعبد»(٢)!! هذا هو إخناتون الذي يفتخر به **المستشار محمد سعيد العشماوي** يقول القمني «ومن هنا نفهم السر في ذلك العري العجيب في فنون العمارنة، ولماذا كانت نفرتيتي وتي وبناتها يظهرن عرايا الفروج أمام الناس. لقد كان إفصاحاً عن طقس لابد يلازم العبادة الجنسية التي تقدس أعضاء التناسل ولا ترى في إظهارها عيبا ولا كارثة أخلاقية، بل لونا من الإحترام الواجب واللائق للمقدس»(٣)

فهل هذه هي ابنة يوسف وأم موسى يا أحمد عثمان؟

---

(١) النبي موسى وآخر أيام تل العمارنة جـ٣ ص٨٤٥.

(٢) المرجع السابق جـ٣ ص٨٥٦، ٨٥٧.

(٣) المرجع السابق جـ٣ ص٨٤٦.

فإن كـان يمكننا أن نتعامى عن قولـه بعدم وجود فارق زمني بين عـصر يوسف وعصـر موسى عليهـما السلام، فـهل يمكننا أن نتغاضى عـن هذه الفواحش التي يرتكبهـا العلمانيون العرب علنا وفي كـتب محترمـة تباع في المكتبات الـعامة في العواصـم الكبـرى للدول العربية والإسلامـية ولها إحتـرامها الخاص في كـثير من الجامعات العربية التي تعتبر هذه الـسخافات هدايا.في عالم الفكر والإبداع والبحث والفحص العملي!!!

البرهان القاصر في نظرية أحمد عثمان:

إن الشيء الرئيـسي الذي جعل أحمد عـثمان يربط بين الوزير (يويا) العاهر وبين يوسف الصديق النبي «أن كلا منهما - يقـول عثمان - حصل على لقب كان نادراً في مصـر القديمة، هو «أبا لفـرعون» فـفي إحدى ليـالي شتـاء لندن الباردة عـام ١٩٨٤، إستيقظت من نومي وسط ظلام الليـل (!)، فجلسـت بجانب المدفأة أتناول فنجـاناً من الشاي فـي صمت حـتى لا أوقظ ابنتي وزوجـتي. ورحت أطالع سفـر التكوين من العهـد القديم، الذي سبق لي قـراءته عدة مرات. وبينما كـانت عيناي تنتقـلان بين الصفحـات، استوقفـتني فجأة بعض الكلمـات في قصة يوسف، فـقد أدركت عندئذ - للمرة الأولى - أهمـية دلالتها التاريخـية ... «أنا يوسف ... وقد جعلني أبا لفرعون» الإصحـاح ٤٥ (٤-٩) ... وكان لقب الوزير في مصر القديمة دائماً هو «ابن الفرعون»»[1]

فوجد أحـمد عثمان قول يوسف في العـهد القديم «أبا لفرعون» دليـلاً تاريخياً فـأسرع بربطـه بلقب يويا الوزير «لقب نادر لم يحـصل عليـه خـلال هذه الفتـرة التاريخـية سوى شخص واحـد هو يويا، الذي أصبح أحد وزراء آمنحـتب الثالث

---

(١) الأصول المصرية في اليهودية ص٣٦، ٣٧.

عند بداية القرن الرابع عشر قبل الميلاد»[١]

هل هذا هو كل ما في جعبة أحمد عثمان؟ (بقية الأدلة أخذها من فرويد وغيره!) فمن أجل لقب وَجَدَه في كتاب لم يتعبَّدنا الله به يربط بين صدّيق رسول ووزير عاهر ؟! ويزعم أن التوارة انتحلت وقائع التاريخ المصري وهو ما يعني أن الأصل هو يويا وليس النبي يوسف عليه السلام فهو إنتحال توراتي بزعمه! بل وقرآني كما تقدم من كلامه!

وأحمد عثمان لا يختلف في أدلته الدقيقة وبراهينه المتينة وخياله الخصيب عن بعض العلماء الذين زعموا أن على المريخ مدناً كبيرة!!! وأن علامات الخطوط عليه إنما هي تقسيمات تمت على يد جنس مريخي وذلك بمجرد رؤيتهم لخطوط وعلامات مريخية تشبه تقسيمات المدن الأرضية!!! هذا إذا افترضنا حسن نيته!، أما والرجل ضليع في الإفساد التاريخي كالقمني والعشماوي وزياد منى وغيرهم فلا افتراض لذلك فنظرياتهم التخريبية تمنعنا من ذلك، وقد أسسوها على مبادىء لا تمت للإسلام بصلة بل تقلب معالمه رأساً على عقب.

مطابقات عثمانية متعسفة!!

أخذ أحمد عثمان من فرويد مصرية موسى والزعم بـ «تعمد كتبة القصة التوراتية إخفاء الأصل المصري للبطل الذي كانوا يعتقدون فيه، وجعله عبرانيا»[٢] وأخذ من «مانيتون» الباحث المصري القديم الذي كان مسئولاً عن تنظيم مكتبة

---

(١) المرجع السابق ص٣٧ يقول «والسبب في حصول يويا على هذا اللقب النادر هو أنه أصبح حما للملك، عندما تزوج آمنحتب الثالث ابنته طاي، فصار بمثابة الأب للملك» ص٣٧.

(٢) الاصول المصرية . . . ص٥٦، ٥٧ ويقول «لم يكن النساوي سيجموند فرويد الذي عاش في النصف الأول من القرن العشرين هو أول من قال بأن موسى كان مصريا. فقد ذكر مانيتون المؤرخ المصري الذي كتب تاريخ الأسرات باللغة اليونانية بناء على طلب بطليموس الثاني خلال القرن الثالث ق.م مؤكداً هذه الحقيقة بل إن مانيتون يجعل غالبية أتباع موسى كذلك من المصريين» ص٥٦، ٥٧ نفس المرجع. والمدهش أن الفترة التي حددها مانيتون لوجود موسى (وقد اعطاه أيضاً اسماً آخر)، سابقة على الفترة التي أعطاها له أحمد عثمان نفسه بزمن طويل.

الإسكندرية في التاريخ المصري القديم، تحديد الفترة التي عاش بها موسى بذات الفترة التي عاش فيها إخناتون ووالده آمنحتب الثالث[١]

فعثمان / كالقمني والعشماوي / يلفق نظريته من أفكار الآخرين وليس بإقامة بحث علمي صحيح ومُجرَّد أو ببحوث بعيدة عن الأيديولوجيا الحاقدة والأهواء المغرضة والعنصرية البغيضة. إنها كشوفات الآخرين المصنوعة في معامل الأحقاد التاريخية ، والنزعات المادية والأجواء العلمانية!

إن د. سيد القمني الذي اقتبس من باحثين كثيرين دعائم نظريته الهشة، يرسم لنا هنا نقاط الإتفاق والإختلاف بين نظريته ونظرية أحمد عثمان مع ذكر المصدر لاقتباساته هو وعثمان يقول «هناك كشف آخر ينطلق من ذات فكرة فرويد نجده عند أحمد عثمان وهو أن موسى كان بالجنس والميلاد مصريا، لكن لا يربط بين أوديب وإخناتون[*] ، لكن بين موسى وإخناتون. ويوعز لنا عن بعد أن موسى كان هو ذات شخص إخناتون بعد سقوطه عن عرشه. وحتى يوصل ذلك للقاريء دون مؤاخذات من رجال الدين(!) المتشددين يعمد إلى التلميح لا إلى التصريح، فهو مثلاً يُسرِّب لنا أخباراً تاريخية عن النبي موسى تلتقي مع ما حدث للفرعون إخناتون»[٢]!!

وبشجاعة الباحث المفتخر بنتائج عمله يقول سيد القمني وهو يقوم بدراسة منطلقات وتوجهات أحمد عثمان «الرجل الشديد الحصافة يترك لقارىء أريب الوصول إلى ما يريد أن يقول، ربما خوف التحريمات الدينية في بلادنا بهذا الشأن. ومن جانبنا كنا قد وصلنا إلى أن موسى ربما كان إخناتون نفسه قبل سنوات طويلة من الآن، منذ بدأنا جمع المادة العلمية(!) لبحثنا. وقد أعلنا عن هذا الظن في أكثر من منتدى ثقافي(!)، لكن ذلك لايعني سوى أن عثمان قد وضع يده على الظن

---

(١) المرجع السابق . (*) كما فعل القمني.

(٢) النبي موسى وآخر .. . جـ٣ ص٢٨٦.

ذاته(!) وأقام له(!) السناريو اللازم والنظرية، وأنه سبق إلى إعلانه المنشور في كتاب(!) هنا فقط نقطة اللقاء(!)، لكن نقطة البداية للوصول إلى هذه الفكرة المركزية تختلف تماما»[1]

إذن سبق عثمان القمني في وضع النظرية في كتاب، وسبق القمني عثمان في إعلانها في المنتديات الثقافية المحترمة!

وبينما أحمد عثمان يلجأ إلى التلميح لا التصريح فإن القمني غالباً ما يلجأ إلى التصريح وقليلاً إلى التلميح.

ويلتقي الرجلان في الأخذ من مصادر غير موثوق بها وإعتمادها مراجع لهما كما يحرصان على الوصول إلى إثبات المطابقة بين موسى وإخناتون وتختلف قصتيهما لكنهما تؤديان إلى هدف واحد وهو مخاصمة الوحي وهدم الدين ونفي موسى والأنبياء وإرجاع ذلك كله إلى تطورات اجتماعية وسياسية ودينية في مناطق التاريخ القديم.

بيد أن أحمد عثمان يختلف عن القمني في طريقة الحصول على المطابقة المزعومة بين موسى وإخناتون. وقد قدمت طريقة القمني في الوصول إلى غايته فيما تقدم في الفصل الذي وضعته لنظريته الملفقة والمهلهلة.

وهنا أعرض سبيل عثمان في الحصول على مطابقة مزورة لا ترقى إلى المستوى العلمي الرصين فضلاً عن المستويات العقلية المنطقية المجرّدة! فنحن نعلم أن أم موسى وبوحي من الله ألقت طفلها في اليم حرصاً على نجاته وثقة في الله كما نعلم سبب خروج موسى من مصر وهو قتله للمصري وقد تأسف موسى على فعل ذلك وتاب إلى الله عز وجل قبل نبوته وقبل بعثه. أما أحمد عثمان فقد سعى لإيجاد التطابق بين هذا السرد التاريخي وبين رواية بعيدة كل البعد عن هذا

(١) المرجع السابق جـ٣ ص٨٢٨.

السياق الذي ورد في القرآن والتوراة، ففي قصة إخناتون يجد الباحث أنه قبل ولادة إخناتون قتل كهنة آمون أخاً له ما جعل أمه (تي) تتوجس من قتل الولد الثاني وهو إخناتون الذي كان على وشك الظهور إلى الحياة والذي يرفض - الكهنة فيما بعد جعله ولياً للعرش لسبب مخالفة أبيه آمنحتب الثالث للتقاليد السائدة في مصر، والتي يخبرنا أحمد عثمان عنها بقوله «كان الأمراء المصريون يتزوجون أخواتهم حتى لا يخرج الملك عنهم(!). ولأن آمنحتب الثالث لم يلتزم بهذه التقاليد عندما أصر على إعتبار طاي هي الملكة، فقد رفض الكهنة والحكماء اعتبار الولد الذي تنجبه له ابنا شرعياً لآمون. وبالفعل أنجبت طاي ابنها الأول تحتمس والذي عثر على اسمه منقوشاً في مقبرة توت عنخ آمون - فإنه سرعان ما اختفى هذا الصبي في ظروف غامضة بعد أن عينه أبوه ولياً للعهد(•)، ولهذا كان من الطبيعي أن تصاب الملكة طاي بالقلق عندما حل موعد ولادتها الثانية»(١)

فكانت الولادة الثانية بإخناتون فحمته أمه بعزله في قصرها الجديد البعيد عن كهنة آمون «تركت القصر الملكي في منف «عند منطقة سقارة» وذهبت لتعيش في القصر الصيفي في زارو ... وخافت الملكة طاي على ابنها الثاني - الذي سمته أمنحتب مثل والده (••) أن يقتله الكهنة مثلما فعلوا بابنها الأول، فلم تسمح له طوال طفولته أن يغادر قصرها الذي وضعته فيه داخل أوار مدينة زارو في شمال سيناء ثم أرسلته ليتم تعليمه عند أخيها الأكبر «أنن» الذي كان يقيم في مدينة عين شمس، بخلاف التقاليد التي كانت تقضي بأن يتم تعليم الأمير في مدرسة منف مع أولاده النبلاء»(٢)

فالطفل هنا مهددة حياته من قبل الكهنة لأنه ليس (المولود حسب التقاليد!)

ولذلك تركت الأم القصر الملكي في منف وذهبت بعيداً عن كهنة آمون

(•) أن عينه عند صغره قبل البلوغ.

(••) إخناتون هو آمنحتب الرابع.

(١) الأصول المصرية لأحمد عثمان ص٥٨، ٥٩.

(٢) تاريخ اليهود جـ١ ص٥٦.

وتهديداتهم فحبس الطفل إخناتون داخل القصر ولم يغادره إلاّ إلى خاله في عين شمس[١] ليتعلم وليبتعد عن الكهنة زمناً . ثم رجع وعمره ستة عشر عاماً فأشركه أبوه في الحكم «وثارت ثائرة الكهنة المصريين ولم يتمكنوا من إخفاء مشاعرهم... وتحت ضغط أبويه ترك الملك الشاب العاصمة واختار موقعاً بمحافظة المنيا قبالة مدينة ملوي - يعرف الآن باسم تل العمارنة - وبنى فيه مدينة جديدة ليعيش بها هو وأتباعه بعد أن غيّر إسمه إلى إخناتون. ومادام آمنحتب الثالث على قيد الحياة كانت سلطة إخناتون مقتصرة على حدود تل العمارنة. ولكن عند موت أبيه - في السنة الثانية عشرة من الحكم المشترك وجد إخناتون نفسه الحاكم الأوحد لكل أرض مصر»[٢] بعد سنوات طويلة استطاع كهنة آمون تدبير المؤامرة من داخل الجيش للإطاحة بإخناتون ونظامه ما أدى إلى خروجه «من مدينة العمارنة ليعيش في المنفى، بينما يوجد العديد من الأدلة التي تشير إلى أنه كان لايزال حياً بعد نهاية حكمه فهو لم يدفن في المقبرة التي أعدها لنفسه وسط الصخور المحيطة بمدينة العمارنة»[٣] وهكذا فبعد رجوعه من عين شمس حيث يعيش خاله (آنن) في السادسة عشر من عمره اشترك في الحكم مع أبيه وبعد ضغط أبويه ترك العاصمة إلى أخرى عاش فيها هو وأتباعه وبعد موت أبيه ثم الضغط عليه بعد حكمه لمصر فترة طويلة فخرج إلى المنفى الأخير - بحسب عثمان - على بعد بضعة كيلومترات إلى الشمال الغربي من دير سانت كاترين وجبل موسى[٤] فالبون شاسع بين القصتين، كما أن سياق الأحداث التاريخية تختلف تماما في الروايتين والأهداف التي عاشت من أجلها الشخصيتان، والبيوتات اختلفت وكذا الأمهات والخروج . فموسى خرج مره لسبب قتله للمصري وإخناتون خرج أكثر من مرة خرج من قصر منف وأمه حامل فيه ثم خرج من قصر أمه البعيد عن سطوة كهنة

---

(١) انظر الأصول المصرية ص٩١. (٢) تاريخ اليهود جـ١ ص٥٨ .

(٣) تاريخ اليهود جـ١ ص٦٠ لم يذهب عثمان هنا إلى قتله كما ذهب كيررون!.

(٤) انظر الأصول المصرية ص٥٦.

آمون إلى منطقة عين شمس عند خاله بحسب أحمد عثمان ثم خرج بعد اشتراكه في الحكم مع أبيه سنوات طويلة إلى مدينة اتخذها مقراً له ولأتباعه ثم بعد موت أبيه وإتساع سلطته على مصر كلها وهدمه لمعابد كهنة آمون انقلب عليه الجيش فخرج مرة أخرى إلى منفاه الأخير!

فأي مطابقة يزعمون، وأي تماثل بين الشخصيتين؟!!

لقد اعتمد أغلب هؤلاء العلمانيين على فكرة فرويد، الذي عجز عن إثبات التطابق المزعوم. وهي الفكرة التي ذهبت عند عجزها عن الإتيان بدليل المطابقة إلى رمى التوراة بأنها عملت على إخفاء الأصل ووضع القصة البديلة!!! ولقد نظر فرويد في عائلة موسى عليه السلام وعائلة إخناتون فوجد الأولى فقيرة والثانية ملكية غنية فما كان منه إلا أن اتهم التوراة في ذلك بتغيير الأصول وقلع الجذور!! وهو أسهل شيء يستطيعه فاقد الدليل: الاتهام الجاهل القائم على الهوى والأيديولوجيا المتربصة!

يقول أحمد عثمان شارحاً فكرة فرويد عن هذه النقطة «فبينما الطفل في جميع تلك الحالات يولد لعائلة ملكية ويهرب من القصر الملكي لتقوم عائلة فقيرة بتربيته، فإنه في حالة موسى يتم تهريبه من بيت العبرانيين الفقراء الذي ولد فيه ليتربى في القصر الملكي. وفسّر فرويد هذا الاختلاف بأنه دلالة على تعمد كتبة القصة التوراتية إخفاء الأصل المصري للبطل الذي كانوا يعتقدون فيه، وجعله عبرانيا»[1]!

إن البحث العلمي الرصين هو إثبات الأدلة الصحيحة بقياس صحيح تدل عليه القرائن القوية. أما فرويد فقد بنى كل شيء على خياله المريض وعقله الوثني الذي ورث وثنيته من الإرث الوثني الإغريقي واليوناني - بل واليهودى! - والتي اتخذته

(١) الاصول المصرية لأحمد عثمان ص٥٦.

أوربا بديلاً عن الإسلام في تطوير رؤية جديدة للعالم، بل رؤى متناقضة جزئية وقاصرة للكون والحياة والإنسان، لقد وضع فرويد لنفسه رؤية خاصة للتاريخ الإنساني ولتصوره للدين والغيب والأنبياء فكان تاريخ الإنسان عنده هو نتاج عقدة قديمة بدأت بعصر الأب المسيطر على كل شيء والذي هو قانون نفسه، وليفوز أبناؤه بأمهم قتلوه ثم بعد مضي الوقت تم تقديس الأب ومن هنا نشأت القداسة والدين والشرائع والأخلاق الكابتة لدوافع الإنسان الحرة!!!، وكان المرض العصابي المتمثل برجال ادعوا أنهم موحى لهم من الله، وتم اقتباس القصص لعقد أممية ومنها قصة موسى التي اقتبست - بزعمه - من أصل مصري! وكما ترى فهي فكرة مسبقة من محلل نفساني، اضطرب عقله واختل منهجه فخرج على العالم برؤية حيوانية شهوانية تحقر الدين وتطلق الشهوات والإتهامات الغير مبررة وهي رؤية كانت مرتعاً خصباً للباحثين العلمانيين العرب الذي ؤ ـدوا وسائل النقد الحقيقي وذهبوا يغترفون من روث وخراء فرويد اليهودي!

ولاكتمال الرؤية نقول إننا نحن المسلمين لا نؤمن بالأسفار المقدسة التي لليهود والنصارى ولا بالتلمود. لكننا عندما نقوم بتحليل موادها - كما فعلنا على إمتد د خمسة عشر قرناً (فنتج عن ذلك آلاف الكتب والرسائل الجيدة) - لا نُسرف في النقد ولا نلوي رواياتها أو نطمس موادها كما فعل هؤلاء الباحثون العلمانيون و.. نعْدِل مع كل شيء. ولنضرب على ذلك مثلاً مهماً. فالتلمود يحكي أن موسى تصارع مع ملك الموت في الجبل. فهناك موسى وهناك ملك الموت وهنا الجبل المعين فهل يمكن أن ينتج عن ذلك أن أتباع موسى قتلوه أو أن يوشع تلميذه قتله قتلة بشعة؟! أي تحليل يؤدي إلى هذا الاتهام؟ ليس من واحد!! ليس هناك أي دليل يدعونا إلى الذهاب هذا المذهب الطائش! لكن باحث التوراة الألماني «أرنست سيلين» استفاد من رواية التلمود هذه أن موسى مات مقتولاً ... هنا بدأ الخلل الذي أضافه فرويد لمخططه! يقول فرويد «وطبقا لأرنست سيلين كانت توجد مع ذلك

رواية تتعلق بنهاية موسى وتعارض معارضة تامة الرواية الرسمية وكانت أقرب إلى الحقيقة»[١]!

ويعتبر فرويد ذلك بحثاً تاريخياً نزيها يقول «ومن الظلام الذي تركه نص التوراة هنا أو الذي خلقه بالأحرى بوسع البحث التاريخي لعصرنا أن يميز واقعتيه(!) . الأولى اكتشفها أرنست سيلين ومؤداها أن اليهود الذين وصفتهم التوراة نفسها بأنهم كانوا عنيدين[*] لا يطيعون مشرعهم وزعيمهم ، وتمردوا عليه آخر الأمر، قتلوه وطرحوا عنهم ديانة آتون التي فرضها عليهم كما فعل المصريون من قبلهم»[٢] أحمد عثمان قال بأن موسى مات في أثناء معارك[٣] ولم يقل لنا هل مات مقتولاً أم لا؟ لكنه عرض نتائج سيلين وفرويد وعقب عليها. يقول عثمان: «ويحتوي التلمود على رواية تختلف عن ذلك - يقصد عن رواية التوراة - بخصوص الطريقة التي مات بها موسى. فهي تقول إن موسى تصارع مع خصمه فوق الجبل قبل أن يموت. وهي تسمى هذا الخصم «ملاك الموت» وهذا هو الذي جعل باحث التوراة الألماني أرنست سيلين يقول «إن موسى مات مقتولاً»[٤]

ويقول أيضاً مزوداً لنا بأشياء أخرى! «ظهرت فكرة مقتل شخصية قيادية من بني اسرائيل أثناء وجود موسى في سيناء في ألمانيا في الجزء الأول من القرن العشرين. فلقد أدرك عالم الدراسات التوراتية أرنست سيلين وجود دلائل في سفر العدد تشير إلى أن فينيحاس الكاهن قتل أحد زعماء بني إسرائيل وقتل معه زوجته، لأنه تزوج من أجنبية حسب الرواية التوراتية بينما هو داخل قدس الأقداس بمعبد الخيمة، الذي بناه موسى عند جبل سيناء ، في نفس الموقع الذي بني

(١) النبي موسى ورسالة التوحيد ص٩٠.

(*) هل لأن التوراة وصفتهم بذلك نقول بأنهم قتلوا موسى وليس من دليل!.

(٢) النبي موسى ورسالة التوحيد ص٨٢.

(٣) تاريخ اليهود جـ١ ص٩٤.

(٤) تاريخ اليهود جـ١ ص٩٠، ٩١.

عليه دير سانت كاترين فيما بعد. واعتمد سيجموند فرويد على هذا التفسير فقال بأن بني اسرائيل قتلوا نبيهم، لأنه كان صارماً في محاولته فرض ديانه التوحيد عليهم. ولأنني اختلفت مع فرويد ، وذهبت في كتابي «بيت المسيح» الذي صدر في لندن بالانجليزية عام ١٩٩٣، إلى أن الضحية الذي قُتل كان هو يوشع بن نون الذي عينه موسى ليكون خليفته»!![1]

على عكس عثمان ذهب القمني إلى مقتل إخناتون/ فرويد/ أوديب وفيما يذهب عثمان إلى أن موسى مات أثناء معارك - مع أنه لم يقل لنا هل مات مقتولاً في أثناء هذه المعارك أم لا! - يذهب العشماوي إلى أن موسى لم يمت على يد يشوع أو فينيحاس الكاهن، وإنما انسحب في هدوء واختفى دون أن يلحظ أحد اختفاءه. وعاد إلى مصر وحده، أو مع كوكبة من جنده ... انضم إلى قومه، وعاد إلى مصر دون أن يرى أحد موته أو رحيله، رجع واستقبل موسى كبطل قومي نجح مع جده الفرعون في التخلص من بني إسرائيل بإخراجهم من مصر!!!

وهكذا يختلفون في ولادته وفي موته وفي أمه وفي دينه وفي خروجه وفي أصل قصته وفي مصدر إقتباسها المزعوم!

ثم يزعمون أن معلوماتهم دقيقة تفوق في بعض الأحيان ، ما نعرفه عن العصور الحديثة!!!

يؤكد ذلك أحمد عثمان لدعم خرافاته بأنه «منذ أن أصبح علم التاريخ الحديث يعتمد على الوسائل العلمية والتكنولوجية للتحقق من صحة الروايات القديمة. بدأت صورة جديدة تظهر أمامنا لتاريخ بني إسرائيل ... فأرض فلسطين مثلها في ذلك مثل معظم الأرض العربية، خضعت منذ نهاية القرن الماضي لمعاول رجال الآثار الذين جاءوا من كل جامعات العالم للحفر في أرضنا واستخراج بقايا

(١) الاصول المصرية ... لأحمد عثمان ص٩٩.

العصور القديمة. وتمكن هؤلاء من التوصل إلى معلومات دقيقة عن التاريخ القديم لمنطقتنا تفوق في بعض الأحيان، ما نعرفه عن العصور الحديثة»[١]

ونقول مرة أخرى بأننا كمسلمين: ومنهجنا سبر أغوار الأرض وكشف مجاهيل الحضارات القديمة. هو دفع التنقيبات الأثرية إلى الأمام ذلك أن دراسة التاريخ ومعالم المدنيات البائدة هام لبناء إنسانية كريمة وخلافة بشرية رشيدة، فالماضي هام لصناعة المستقبل! لكن الذي يزعجنا من كثير من الباحثين الذين اتخذوا العلمانية أيديولوجيا والمنهج المادي قاعدة ينطلقون منها لرؤية العالم وتحليل التاريخ هو أنهم يعزلون حقائق ضخمة لا تناسب منهجهم في التفكير الجاهز والأحادي والعاجز ويطمسون أدلة قوية لتفريغ التاريخ من محتواه الحقيقي ونظرية العشماوي أكبر دليل على ذلك، وقد قدمناها! وكذلك النظريات الأخرى التي تنسف معالم التاريخ بأساطير العقل الوثني الغربي وتقليده تقليداً أعمى كتقليد القرود للقرود والحمّار الزاعق للحمار الناعق. ولقد حاول علماء غربيون كثيرون تأييد النظرية الداروينية عن حيوانية الإنسان ونسبته إلى أجداد من عالم القرود من فصيلة «الأورانج»!!

فماذا فعلوا ؟!

لقد استخدموا اكتشافات وآثاراً قديمة وحديثة (اعتبروها قديمة) وصنعوا منها ما سموه «إنسان بلتداون» وهو عبارة عن تركيب اصطناعي بين جمجمة إنسان وفك قرد الأورانج. فهو جمع بين مفترقات كانت نتيجتها أن قالوا «علينا أن نُقر أن هذه الجمجمة هي أقرب الجماجم الإنسانية لجماجم القرود المكتشفة حتى الآن»[٢] وقال العالم الإنجليزي المعروف كرافتون اليوت سمث (١٨٧١-١٩٣٧) «إن أهم نقطة في إكتشاف «رجل بلتداون» هو إثباته للرأي القائل أن الدماغ هو الجزء الذي تطور أولاً في الإنسان عند مراحل تكامله، وأن الإنسان تجاوز مرحلة القردية بفضل تطور

---

(١) تاريخ اليهود جـ١ ص٩

(٢) من قول «كرافتون اليوت سمث» العالم الانجليزي المعروف.

وتكامل دماغه، فبالرغم من احتفاظ هذا الانسـان بخشونة فك وملامح وطبعا جسم أجداده القرود، بدرجة كبيرة، فإن دماغه وصل إلى مستوى الإنسان، وبعبارة أخرى، فإن الإنسان كان قرداً من فصيلة «الأورانج» نما دماغه بشكل كبير. وهكذا فإن أهمية جمجمة «بلتداون» هي في إثباتها لهذه الحقيقة إثباتاً لا يأتيه الشك»(١)!

فاعتبروا قردية الإنسان المزعومة وحيوانيته المتطورة المتوهمة! - عن فصيلة الأورانج القردية ، حقيقة ثابتة لا يتطرق إليها الشك!

وهكذا استطاعت الجمجمة الملفقة أن تخدع ولمدة أربعين سنة أشهر العلماء المدافعين عن نظرية التطور إلى أن قام «كنث اوكلي» و «سرولفود لي كروس كلارك» من جامعة اكسفورد قسم التشريح مع «ج. س. وينز» سنة ١٩٥٣ بإجراء تجارب اكثر دقة على العظام المكتشفة ووصلوا إلى النتيجة التالية في تشرين الثاني سنة ١٩٥٣ «إن «إنسان بلتداون» ليس إلا قضية تزوير وخداع، تمت بمهارة ومن قبل إناس محترفين. فالجمجمة تعود إلى إنسان معاصر، أما عظام الفك فيه لقرد أورانج بعمر عشر سنوات. والأسنان هي أسنان إنسان غرست بشكل اصطناعي، وركّبت على عظام الفك. فظهر كذلك أن العظام عوملت بمحلول ديكرومايت البوتاسيوم لإحداث آثار بقع للتمويه وإعطاء شكل تاريخي قديم لها»(٢)

ويقول أحد أعضاء اللجنة «لي كروس كلارك» متساءلاً بحق «لقد كانت علامات المحاولة المقصورة لإظهار العظام قديمة ومتآكلة ظاهرة وواضحة إلى درجة أن الإنسان ليحتار كيف أنها لم تلاحظ حتى الآن من قبل أحد»(٣)!!

---

(١) Stephen Jan Gould, Smith woordwards Folly, New Scientist (5 april 1979) p.44 نقلاً عن دارون أو نظرية التطور ص١٢٩، ١٤١.

(٢) انظر دارون أو نظرية التطور ص١٣٤.

(٣) Stephen Jan Gould, Smith woordwards Folly, New Scientist (5 april 1979) p.43 نقلاً عن دارون أو نظرية التطور ص١٢٩، ١٤١.

فللبحث العلمي والتنقيب الأثري نقول نعم، أما الخداع والتحريف وصنع الأساطير وبناء رؤية للإنسان والعالم والتاريخ والغيب والدين والشريعة والجيل الأول من البشرية بناء على ذلك فهذا ما نرفضه لأنه تدمير لحقائق الوجود ومكانة الإنسان في الكون وإخفاء لمعالم الدين القيم الذي ندين لله به. إن العلمانية تقوم بقلب حقائق كل شيء بهدف نزع سلطة الدين من الوجود وهذا ما يدعونا كمسلمين للوقوف لتلفيقاتها بالمرصاد وهذا هو هدف هذا الكتاب.

* * *

الفصل السادس

﴿والسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ الذاريات ٧-٩)

* * *

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝١ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ [محمد: ١، ٣]

على الرغم من أن الدكتور «سوسة» قد قال بأن قصة موسى مأخوذة عن قصة الملك الأكادي - حضارة وادي الرافدين - سرجون الأول، إلا أنه ادعى أيضاً أن موسى كاهن مصري من أتباع إخناتون!!، فموسى مصري مائة بالمائة ـ بزعمه ـ باعتباره كاهنا مصرياً كما أفاد «مانيتو» المصري فكيف يجتمع النقيضان؟!

لقد نفي «سوسة» مطاردة فرعون لموسى النبي وقومه، وادعى كبديل لذلك أنه ليس هناك وجود لبني إسرائيل في مصر! وعليه فإن الذين خرجوا مع الكاهن المصري موسى كانوا مصريين وبقايا من الهكسوس «وما هؤلاء الذين خرجوا من مصر تحت قيادة موسى إلا جنود مصريين، وفلول من بقايا الهكسوس (الرعاة) الذين اندمجوا مع المصريين بعد طرد الهكسوس من مصر، كما تدل هذه الآثار التاريخية(!) ، على أن جميع هؤلاء الذين جاء بهم موسى كانوا يتكلمون اللغة المصرية، وعليه فإن هؤلاء هم الموسويون (قوم موسى) ولا دخل لهم بإسرائيل، ولا دخل لإسرائيل بهم»(١)

فالجماعة التي كانت تعيش بمصر عيشة المضطهدين المنكوبين - بحسب تعبير سوسة - والتي تقول التوراة عنهم إنهم إسرائيليون لم يكونوا إلا من جنود مصريين، ومن المؤمنين بدين (إخناتون) ومن بقايا الهكسوس وليس لهم دخل بيني اسرائيل «وهذا ما جاءت تنقله الكتابات المنقوشة في الآثار المصرية وتنفي أن يكون لبني إسرائيل كيان في مصر(*)(٢)»!

يجادل سوسة بحرقة باللغة السخافة فيقول «فمن غير المعقول عقلاً(!) أن يكون

---

(١) الملخص لكتاب العرب واليهود في التاريخ لجعفر الخليلي ص٧٢ .

(*) لم تنفي اي آثار مصرية وجوداً لبني إسرائيل في مصر، ومعنى أنها قامت بنفي ذلك أنهم كانوا موجودين فعلاً.

(٢) المرجع السابق ص٧٢، ٧٣ .

لإسرائيل وجود في مصر خصوصاً وان ليس هناك أي دليل من الآثار ما يثبت هذ الوجود»[1]!!

غير أن سوسة نفسه اعترف بوجود أول لبني إسرائيل في مصر يبدأ بهجرة إبراهيم، لكنه سرعان ما انتهى إلى أن هذا الوجود ذاب في المجتمع المصري حتى لم يعد له كيان حقيقي أو وجود يمكن تمييزه!

لذلك ينفي خروج إسرائيلين من مصر مع موسى الذي قال عنه أنه كاهن مصري كما تقدم ، يقول القمني «ويذهب في ذلك إلى رأى فرويد، فيقول: إن رحلة الخروج التي أسهب في روايتها الكتاب المقدس، وتعتبر حجر الزاوية في البناء التاريخي لإسرائيل بكامله ليست سوى «حملة مصرية، مؤلفة من جماعة من المصريين، وبقايا الهكسوس، يدينون بدين التوحيد الذي ورثوه عن إخناتون فرعون مصر،واضطروا تحت ضغط الوثنية واضطهادهم إياهم إلى الهروب من مصر، والتوجه إلى أرض كنعان»[2]

ويزعم سوسة أن التوراة نسبت هذه الحملة لبني إسرائيل بغية ربط هذه الجماعة بيعقوب وبإبراهيم الخليل كما نسبت موسى إلى كهنة بني لاوي بن يعقوب في حين أن الرأي الغالب لدى الباحثين في هذا العصر بزعمه، هو أن موسى كان قائداً مصرياً في بلاط إخناتون، يدين بدين التوحيد الذي دعا إليه إخناتون»[3]!!!

ويعلق القمني «ولنلحظ هنا، أن القول بمصرية موسى عليه السلام سبق إليها أعلام مثل (جيمس هنري برستد) و (سيجموند فرويد) .. الخ، هذا إضافة لما يتمتع به رأي

---

(١) المرجع السابق ص٧٧.

(٢) إسرائيل التوراة التاريخ التضليل . . لسيد القمني ١٠٥ .

(٣) المرجع السابق ص١٠٦ .

(سوسه) في جملته من وجاهة، تضعه في إعتبار أي باحث جاد!(١)(*)

باحث جاد! ألم يقل القمني نفسه - كما سيأتي بعد قليل - إنه سيعالج أفكار سوسه ليس بسبب علميتها ولكن بسبب إنتشار كتابه الواسع! كما إنه قام بفضح سقطاته وأخطائه الفاحشة؟

يقول القمني عن كتاب سوسة إنه كتاب واسع الانتشار بين قراء العربية، معنون باسم (العرب واليهود في التاريخ) وفيه قام (سوسه) بمزج النظرية التي أسسها (جارستانج) بآرائه الخاصة(**)، التي توصل إليها بشأن جنس هؤلاء الخارجين من مصر، وهو ما يستحق المعالجة، فقط بسبب الانتشار الواسع للكتاب المذكور وليس لأي سبب علمي (!)» يقول القمني «ثم يقول (سوسه): إنه قد بقي بعد تحرير مصر من الهكسوس شراذم أسرى لايمكن تصنيفهم جنسيا، كما إنه لا يمكن القول أن هؤلاء الباقين هم تحديداً بني إسرائيل فقط،ويرى (سوسه) أن هؤلاء قد أخذوا بديانة التوحيد الآتونية التي تدعو إلى عبادة إله واحد باسم (آتون)، والتي دعى إليها الفرعون (آمنحتب الرابع/ إخناتون)، وقد أدى سقوط (إخناتون) وانهيار ديانته إلى اضطهاد تلك الجماعة، فحاصرهم (تثموزيس) كما قال (مانيتو) في مدينتهم (حواريس). وقد احتسب (سوسه) أن (تثموزيس) هو (تحتمس الثالث ١٥٠١-١٤٤٧ ق.م) الفاتح المصري المظفر، وهنا أول سقطاته الشديدة، وخبطه، وسوء تقديره. لأنه بمقارنة بسيطة مدققة في قوائم الملوك المصريين، كان يمكنه أن

---

(١) المرجع السابق ص١٠٧.

(*) إذا كنا نريد أن نعرف لماذا قال القمني بوجاهة باحث الجاد سوسة؟ فعلينا أن نراجع المشترك بينهما أو بالأحرى تأثير (سوسة) على القمني في نظريته اللاحقة! والقمني يرد على سوسة في بعض مارآى أنها اخطائه القليلة كرأيه باحتساب زمن الخروج بزمن الفرعون «تحتمس الثالث» شريك «حتشبسوت» في الحكم وخليفتها المباشر!

(**) إن القمني فعل مثل ذلك أيضاً، فقد مزج نظرية فرويد مع نظرية فليكوفكي وصنع منها نظريته الهشة أيضاً!.

يعلم أن (تحتمس الثالث) سابق لإخناتون بحوالي ثمانين عاماً، وليس بعده»[١]

ثم يزعم سوسه أن تحتمس الثالث لم يستطع التغلب على المحاصرين من أتباع إخناتون فلجأ إلى مصالحتهم على أن يخرجوا من مصر!

ويلجأ (سوسة) كما لجأ العشماوي إلى النص التوراتي خروج ٢:١٩ لابنتي كاهن مديان - بحسب وصف التوراة! - (فقلن رجل مصري أنقذنا من يد الرعاة) يلجأ إلى هذا النص ليزعم أن موسى مصري مصري مائة بالمائة، يقول سيد القمني «وهو ما سبق أن أكده (مانيتو) عن (أزرسيف)»[٢]

وزعم (سوسه) أن الكاهن موسى المصري - وكذب سوسه - قد ذهب إلى هؤلاء العبيد المصريين وبقايا الهكسوس وعلمهم النظافة، وخرج بهم من مصر، يقول القمني «وإعمالاً لتلك المقدمات، ينتهي (سوسه) إلى أن الخروج كان مصرياً خالصاً، وأنه كان حملة كأي حملة مصرية معتادة على فلسطين، وكان الفارق بين تلك الحملات جميعا، وتلك الحملة بالذات، هو أن حملة (موسى) كانت منشقة على الدولة الفرعونية الأم، ولا تتمتع بالتنظيم العسكري المألوف، ولا بإسناد الدولة، كما لم تكن ضمن أهدافها مصلحة الدولة المصرية، إنما كان فراراً من اضطهاد المجتمع المصري الوثني. وعليه، فإن جماعة الخارجين كانت غريبة على أرض كنعان، مصرية، لا صلة لها ببني اسرائيل الذين اختلطوا بالهكسوس عند دخولهم مصر، وذابت بذرتهم وضاعت تماماً مع طرد الهكسوس من مصر، فقامت التوراة مع هذا الضياع بتنسيب الجماعة المختلطة الخارجة من مصر، إلى جماعة بني اسرائيل ويعقوب»[٣]

---

(١) المرجع السابق ص١٧٤.

(٢) المرجع السابق ص١٧٥ يقول القمني «كذلك استند سوسه إلى آراء (سيجموند فرويد) بهذا الشأن» بنفس الصفحة.

(٣) المرجع السابق ص١٧٦

هنا يبدو القمني وكأنه معلق نزيه على نظرية خربة، في حين أن نظريته هو نفسه أكثر زيفا وأشد بؤساً وأشد خراباً، فقد زعم ـ كما قدمنا ـ أن موسى هو إخناتون، إنه الصورة المزيفة لإخناتون الذي زعم أنه هو صاحب القصة الحقيقي، في حين أن سوسه يزعم أيضاً أن موسى هو من إتباع إخناتون وهو كاهن مصري، وأن القصة التي نسبت إليه إنما هي منقولة عن قصة سرجون الملك الأكادي وليس إخناتون الأمير المصري! وفيما يزعم سوسه أن الخارجين من مصر كانوا من المصريين والهكسوس يزعم القمني أنهم مصريون وإسرائيليون وأصحاب عقائد مصرية متفاوتة، حصل بينهم صراع أدى إلى إنشقاق بعد الخروج فافترقت ثلاث مجموعات، صنعت ثلاث روايات عن إخناتون، رواية مصرية حقيقية عنه، ورواية يونانية تحت اسم أوديب، ورواية إسرائيلية تحت اسم موسى! وما أشار إليه القمني في نقده لبعض محاور نظرية سوسه من أنها أخطاء فادحة وقع فيها، أخطاء وليست خطأواحداً(*) فإن القمني نفسه وقع فيما هو أفدح من ذلك إذ أنه وبحيلة تلفيقية بين أفكار فرويد وفليكوفسكي صارت نظريته السخيفة مختمرة بين يديه ما أدى إلى أن خرَّج من مصنع أفكاره صورة شائهة تجعل من موسى إخناتوناً معدلاً، ومن أوديب نسخة مزوره كموسى تماماً! فكيف يجرؤ من هذا شأنه أن ينقد الآخرين ؟!

دعاية مزيفة لنظرية أحمد سوسة:

المستشرق الألماني رولف رايخارت. يقول عن كتاب أحمد سوسه إنه عمل ضخم «إذ أنه ليس إلا قلباً، بل تصحيحاً لقضايا تاريخية متوارثة عبر الأجيال أسيء فهمها(!) وهي لم تزل شائعة بين الناس، ومقبولة منهم بفعل التوراة...

(*) نفسه ص١٧٦، ١٧٧ .

ومع ذلك لم يجرؤ أحد قط (!) - قبل الدكتور أحد سوسة - أن يكشف النقاب عن ذلك الزيف»[1]!!! وفي رسالته التي بعثها «أكرم زعيتر» لأحمد سوسه يقول له فيها إنه بترجمة كتاب هذا الأخير إلى اللغات الأجنبية لاشك أن ذلك سيحدث «انقلاباً جذرياً في بعض المفاهيم التاريخية ويبدد خيالات وقع فيها، أو تبناها عن سوء نية أو حسن نية الكثيرون من المؤرخين»[2]

وفي رسالة محمد عبدالغني حسن لسوسة يقول له فيها «إن الحقائق في هذا الكتاب العظيم دامغة، والأدلة واضحة والبراهين ناصعة»[3]!!

وفي مجلة (الأديب) البيروتية لألبير أديب في عدد يونيو ١٩٧٢ من كتاب سوسة «كتاب جليل الفائدة ظهر في منشورات وزارة الإعلام العراقية ببغداد ... وحبذا لو تبنت جامعة الدول العربية هذا الكتاب (!)، وترجمته إلى عدة لغات أجنبية ، وتولت توزيعه ونشره في العالم[4]!!!!

وفي الملحق الأسبوعي لجريدة (العلم) المغربية لعبد الكريم غلاب عدد ٢ آب ١٩٧٣ «إن من واجب كل دولة عربية، كبيرة أو صغيرة أن تنظر في نشر هذا الكتاب في شعبها ما استطاعت إلى ذلك سبيلا، وقد كتب الكاتبون، وبينت الصحف وقال أهل الفكر، أن نشر هذا الكتاب مهمة فكرية تثقيفية لها من الخطورة ما لإنشاء مصنع من مصانع الأسلحة في أرض العرب(!)»[5]!!!!

وفي مجلة الأديب البيروتية في يونيو ١٩٧٢ بقلم عجاج نويهض «فالكتاب (ثورة علمية) على تاريخ اليهود المزيف، وصرخة مدوية في أرض العرب أجمعين»[6]

---

(١) الملخص لكتاب العرب واليهود في التاريخ ص١٥.

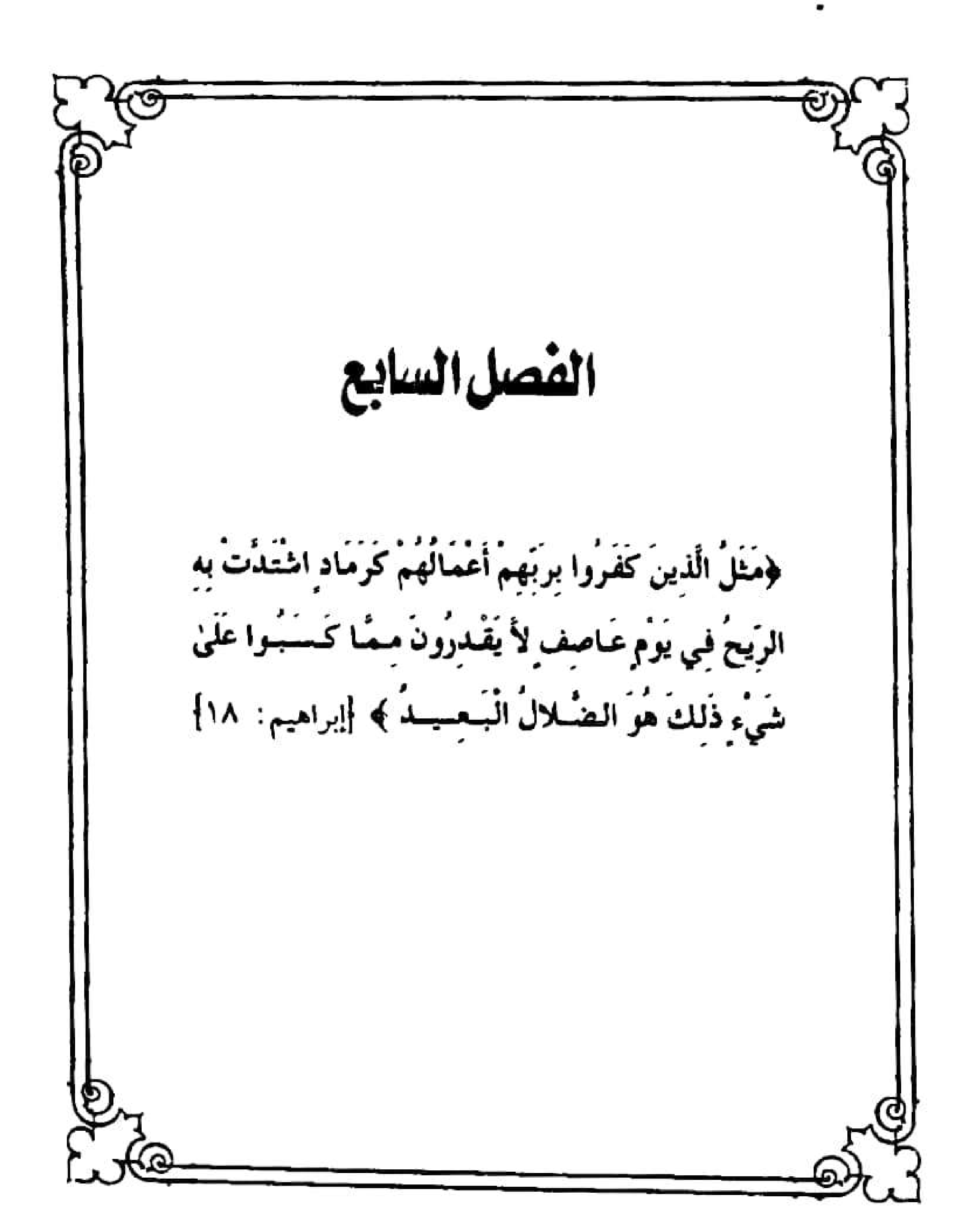
(٢) المرجع السابق ص١٧.

(٣) المرجع السابق ص١٤.

(٤) المرجع السابق ص١٢. في نفس العدد يقول وديع فلسطين «وكتابك يادكتور سوسه كتاب معجز، وهو كتاب العمر» ويصفه بالعبقري «وقعت على عبقرية عربية من مستوى عالمي».

(٥) المرجع السابق ص١٣.

(٦) المرجع السابق ص١٠.



الفصل السابع

﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم: ١٨]

الإسلام هو سبب النكسة - يقول موسى مطلق إبراهيم(*) ذلك العلماني الذي يتغنى بأمجاد الحضارة السورية القديمة، حضارة الصنم والوثن وعبادة الأموات وأرواح الأجداد(١)!

إنه يدعونا للتفكر معه في العقلية المتفوقة للسوريين الوثنيين القدماء والذين كانوا «يمتازون بها على من عداهم من شعوب الحضارات القديمة»(٢)!! إنه الشعب القديم الذي صاغ لنفسه رؤيا عن ظواهر الطبيعة والحياة والدين، صاغ لنفسه رؤياه الدينية ونظرته العملية إليهما - في وحدة ثقافية لا أروع منها ولا أسمى(!).. رؤية دينية يموت فيها الإله فداء عن الحياة، تارة في صراعه ضد آلهة الموت والجحيم والعالم الأسفل، وتارة في صراعه ضد الخنزير(!) الذي يمثل المفاسد الاجتماعية في الحياة(!) وتصارع فيها الآلهة العشيقة، كما في تموز وعشتار(**)، أو الآلهة الشقيقة، كما في بعل وعناة، لاستعادة الإله الفادي من أشداق الموت(!) لأن بعودته تعود البهجة والخصب والعافية إلى الحياة. إنها رؤية دينية جعلت من الآلهة مثلاً أعلى وقدوة إنسانية»(٣) ماذا ينتظر المرء من باحث علماني هذه هي قدراته العقلية، وحدوده النفسية، ومزاياه الإدراكية وحنينه التاريخي لإله يتصارع مع خنزير!!

---

(١) وعد التوراة، لموسى مطلق ابراهيم ص٣٩٥،٤٠٧.

(٢) (٣) السابق ص٤١٠.

(*) يقول بأننا قعدنا ننتظر حصاده فإذا بنا نكتشف أننا اضيع من الأيتام على مأدب اللئام ص٣٩٥،٤٠٧ المرجع السابق.

(**) عشتار أشهر عاهرة في التاريخ القديم، تنبذ عشاقها بعد أن تصيب وطرها منهم هي عشتار البابليين والسومريين في ملحمة جلجامش إلهة تنتقم من عشاقها بعد أن تمل منهم. انظر كتاب البغاء عبر العصور ص١٩٣.

هل يُنتظر منه أن يؤمن بموسى رسولاً ونبياً أو أن الأنبياء هم دعاة ومصلحون؟! هل يمكن أن يؤمن بذلك وهو يقلب الأمور رأساً على عقب كما فعل (القمني) الذي فعل مثل فعله ولكنه أعطى المديح للحضارة المصرية وتاريخها العتيد!؟ فيما تعطي (ثريا منقوش) على الضفة الأخرى الفضل للحضارة اليمنية الوثنية الهالكة؟!! لننظر كيف نظر «مطلق إبراهيم» إلى موسى عليه السلام!!

«إن شخصية موسى مقتبسة من تراث العراق القديم وإن صاحب هذه الشخصية هو الملك سرجون الأكادي»[1] فإذن موسى هو سرجون، وهو مقتبس في نظريته الحقيرة، وهو عند القمني على العكس من ذلك، وهو اخناتون هو أوديب اليوناني!! وهكذا فبدل أن يذكروا الحقائق ويؤكدوا الوقائع ويؤمنوا بالحقيقة التاريخية الأصلية عن موسى عليه السلام تجد كل من هؤلاء الخرّاصون ينسبون له عليه السلام وقائع أخرى وأصلاً آخر ونسباً وعالماً آخر (فالأسطورة القمنية) (نسبة إلى الدكتور سيد القمني!) قد جرت وقائعها في عصر آمنحتب الرابع الذي هو عند القمني طبعاً إخناتون/ موسى/ أوديب فإنها في (الأسطورة المطلقية) نسبة إلى (موسى مطلق ابراهيم) كانت في حضارة الأكاديين في العراق القديم وأن بطلها الأصلي هو سرجون الملك الاكادي وليس النبي موسى عليه السلام النبي الكريم الذي هو في الحقيقة نبياً ورسولاً من بني إسرائيل.

فواحد يقول إن شخصية موسى مقتبسة من مصر والآخر يقول إنها مقتبسة من العراق!!، والغرض هو تدمير الشخصية الحقيقية وقتلها معنوياً ونفي وجودها التاريخي كشخصية نبوية أرسلت إلى بني إسرائيل بالتوحيد الصافي والشريعة الإلهية والمنهاج الرباني يقول موسى مطلق إبراهيم «إن وراء حكاية موسى التوراتية حقيقة حاول الكاتب التوراتي أن يخفيها عن العيون فخانه المنطق، وكشفتها

---

(١) وعد التوراة ص١٧٩.

طريقته في الاقتباس الخائب، عن الحكاية الأصلية التي جرت وقائعها على الفرات في جنوب العراق(!)، في تاريخ سابق على التاريخ المصطنع لموسى التوراتي(*) بأكثر من ألف ومائتي عام (!)، وهي حكاية الملك سرجون الأول الأكادي الذي كانت أمه من خادمات المعبد فحبلت به سفاحاً (!) ألقت به إلى النهر في سفط من البوص مطلى بالقار، خوفاً من الفضيحة التي يقودها إلى عقوبة الموت بجرم الزنى»[1]

قدمنا أن العشماوي في أسطورته العشماوية زعم أن أم موسى هي أميرة وهي ابنة فرعون (**) وأن فرعون هو جده وأن موسى هو حفيده!، وهنا يقول «مطلق» لا!، إنها خادمة من خادمات معبد في الدولة الأكادية في جنوب العراق وأنها حبلت به سفاحاً، أما القمني فقد زعم أن إخناتون/ موسى/ أوديب(!) يعود من جهة أمه (الملكة تي) إلى المديانيين عبدة القضيب (إله الخصب) التي عاشت في مصر وتزوجت ملكها الذي قتله إخناتون ثم تزوج أمه هذه (المديانية) التي تبدو في رسومات مصر عارية الجسم ، بارزة الأعضاء الجنسية لا يسترها شيء!

حقا، لقد أخبر الله عن هذه الأُفك إنها هَزْل قبيح، وحَلفَ على حقيقة ذلك بالسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع في نفس الوقت الذي حلف فيه على أن قوله سبحانه هو الفصل في قضايا الحياة والتاريخ والدين والشريعة ﴿إنه لقول فصل وما هو بالهزل﴾ فهو حقا ليس بالباطل، وجدّاً ليس بالهزل، لكننا نرى اليوم «أطفال الفكر العلماني» يقلبون الآية فيجعلون نظرياتهم الحقيرة حق وجدّ وحقائق القرآن باطل وهزل!

(*) كل نظرية تخترع تاريخا ومكانا وعصراً ودولة وحتى شخصا مختلفا!!

(1) وعد التوراة ص٩١.

(**) لم يقل لنا العشماوي بناء على فريته هذه من هو أبوه؟!

إن الدليل العظيم على هزال أفكارهم وهشاشة نظرياتهم هو أنها مختلفة متعارضة منخرصة كاذبة تحمل في طياتها أسباب انهيارها ومبادئ سقوطها وتدميرها، وقد أقسم الله لأهل الضلال من كل صنف ونوع وبالسموات على بطلان أفكارهم ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ۝ (٧) إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ۝ (٨) يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝ (٩) قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ۝ (١٠) الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾[الذاريات: ٧-١١].

وعلى الرغم مما بذله العشماوي والقمني في جعل موسى ابنا حقيقيا لشخص معين من بيت فرعون، فالعشماوي يقول إنه ابن ابنة فرعون، والقمني يقول بل هو ابن زوجة فرعون، وفرعون هذا غير فرعون ذاك(*)، وقد سهروا ليالي وأياما وشهورا وسنوات للتآمر على الأنبياء وقتل صورهم التاريخية كما فعلوا المستحيل لجعل الحبكة فنية وجيدة الإحكام وقوية الصناعة، لكن المختلف المفترى المتخرص الآخر (موسى مطلق) طلع عليهم ليثبت سخافة أفكارهم وهشاشة حبكتهم لكن بسخافة أخرى مناقضة لسخافاتهم ومحطمة لها فيرغم أن موسى لم يولد في مصر لابنة أمير أو زوجة ملك وإنما ولد سفاحاً من خادمة معبد(!) أكادية كاهنة من جنوب العراق أخرجته إلى العالم بطريق الزنا!

يقول «إن اقتباس الكاتب التوراتي لهذه الحكاية ونقلها من النيل إلى الفرات(!) لم يكن ملائماً لملابسات الحكاية (أية ملابسات يامطلق!!) التي عمل على إصطناعها لبطله الذي أطلق عليه(!) اسماً مشتقا من لغة كان يتكلمها في زمن لاحق لتاريخ السبي، ولم تكن موجودة في التاريخ المفترض للحكاية»(١) فالقصة بزعمه «اقتبسها من أصولها السورية في تاريخ متأخر جداً عن التاريخ الذي

(*) ففرعون القمني هو آمنحتب الثالث، وفرعون العشماوي هو رمسيس الثاني وهكذا فالفراعين تختلف وموسى يختلف وبالطبع الزمن يختلف والمكان يختلف والقرآن يقول عن هؤلاء المفترين «إنكم لفي قول مختلف، يؤفك عنه من أفك»

(١) وعد التوراة، لموسى مطلق إبراهيم ص٩٢.

اصطنعته لنفسها، فأساءت إلى هذه الرموز إساءة بالغة(*) بأن صوّرتها على صورتها النفسية - الأخلاقية - المناقبية(!) فمسختها إنسانياً وأخلاقيا ومناقبيا وبالتالي حضارياً وأخرجتها من انتمائها الأصيل إلى جوهر النفسية السورية(!)»[1]!

وفي الحقيقة، فهذا الباحث الحقير يُريد أن يجُرّ المجتمع السوري لصور منحرفة في التاريخ لحقت بكل الحضارات والثقافات والمدنيات الوثنية والعودة إليها يعني العودة إلى الإنحطاط والضلال. تجده يفتخر بالعقلية السورية القديمة يقول «التي كان السوريون القدماء يمتازون بها على من عداهم(!) من شعوب الحضارات القديمة. ومن هذه الظواهر الممتازة والمتميزة، ظاهرة الإله الفادي... يموت فيها الإله فداء عن الحياة(!) ، تارة في صراعه مع آلهة الموت والجحيم والعالم الأسفل، وتارة في صراعه ضد الخنزير(!) الذي يمثل المفاسد الاجتماعية في الحياة. وتصارع فيها الآلهة العشيقة(!) كما في تموز وعشتار، أو الآلهة السقيقة، كما في بعل وعناة، لاستعادة الإله الفادي من أشداق الموت(!)، لأن بعودته تعود البهجة والخصب والعافية إلى الحياة»[2]

لقد جاء الإسلام لكي يحرر الوثنيين من عبادة صور الطبيعة كالشمس والقمر ودورات الخصوبة الزراعية والمرتبطة أيضاً بالشمس والقمر والتي يعود فيها الزرع إلى الحياة والخصب إلى الوجود. جاء الإسلام ليحرر الناس من الأوهام المرتبطة بهذه الآيات البينات والتي تدل على عظمة الله ورحمته بالإنسان وأنه الذي يمده بالنعم الظاهرة والباطنة. أما موسى مطلق إبراهيم وغيره ممن يشاركونه إفتراءاته ووثنيته فيريد أن يعود بنا، وبالشعب السوري قطعا، إلى عبادة هذه الظواهر

(*) أي إساءة ، ألم يقل الرجل ان أم سرجون الاكادي ولدته سفاحا. والم يقل بأن هؤلاء يُنسبون إلى الحضارة السورية القديمة حضارة الضلال والوثنية، والسفاح والزنا في المعابد!

(١) المرجع السابق ص٩٣. (٢) وعد التوراة ، لموسى مطلق إبراهيم ص٤٠.

وتقديس الأساطير التي اختُلقت حولها مثل إله الموت، الذي صارع الخنزير، الذي يعود إلى الحياة، كما تعود الحياة إلى الزروع والأراضي الميتة! فعابد الوثن والآلهة السخيفة المزورة «موسى مطلق ابراهيم» يُسخف التشريعات التي كانت أمة إسرائيل في حاجة إليها لإبعادها عن أوثان الأمم وأصنامهم وهي التشريعات التي تحرّم التماثيل والأصنام في وقت كان العالم يعج بها ويتعبد لها ويعتبرها صوراً فنية لآلهة تجلس على عروش الحضارات من الفراعنة المتألهين وآلهتهم العتيدة، وملوك وأفراد المدنيات المنحطة في تصوراتها عن الحياة والكون والإنسان.

يقول عن هذه التشريعات التي أنزلها الله عز وجل على رسوله موسى عليه السلام «وهناك تشريعات مغايرة كل المغايرة للثقافة الفنية المصرية التي يفترض(!) أن يكون نشأ على تذوقها - يقصد موسى - في بلاط فرعون(*) وعلى إدراك معناها السامي وتقديم قيمتها الجمالية، مثل: «لا تصنع لك تمثالا منحوتاً ولا صورة مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت الارض» (خروج ٤:٢٠) متنكراً بذلك(!) ليس إلى ثقافته الفنية وذوقه الفني فحسب، بل إلى كل ما أبدعته الثقافة الفنية المصرية من الرسم والنحت بدءاً من أصغر صورة أو منحوتة في قصر فرعون(!) إلى تمثال أبي الهول»[1]

فما أعجب سخافة هذا المنطق الضعيف ولنضرب مثالاً على سخافته وعلى عدم قوته، فنحن اليوم كجاليات إسلامية نعيش في الغرب، وهناك اللوحات الفنية العجيبة والتماثيل الفنية المنحوتة. والتي وصلت إلى مرحلة يزعمون أنها مرحلة الشفافية والعفوية في الرسم الفني الجمالي الطبيعي والتي يبرزون فيها الأعضاء

(*) هو يزعم بأن قصة موسى مقتبسة من قصة الملك الاكادي سرجون، ولكي يحاول إثبات تعارض قصة موسى مع واقعه، يحاول أن يقوم بهذه المقارنة السخيفة مع اعتقاده أن قصة موسى «حكاية لا صلة لها بالتاريخ» وعد التوراة ص١٢١.

(١) وعد التوراة ص٨٣

الجنسيـة والجماع الجنسـي بكل صوره الراقيـة!!! ويفتخـرون في كل مكان بأنهم تحرروا من قيود الإبداع وحُجُب الابتكار، فتـجد آلاف اللوحات والتماثيل عارية، جنسية شائهة، وبعضها تصور العمليـة الجنسية كما هي، إدخال العضو في العضو وإبراز ذلك في الصـورة الفوتوغـرافـية والنحت الجـمـالي!، بالأفلام المتـحركـة وبالرسم. حتى لقـد قاموا بصـناعة ملايين الأعـضاء الذكرية والأنثـوية وما زالوا يصنعون! ووضعوا فيها تكنولوجيا حديثة جداً وتباع الآن في هولندا مثلا ولا مانع قانوناً من ذلك، في المجلات الجنسية المنتشرة في الأحياء والقرى والمدن الكبرى!! فإذا رفضنا نحن المسلمين هذا النوع من الثقافة الفنية والذوق الفني والشفافية الفنية الجمالية!، نكون عند موسى مطلق إبراهيم قد فـقدنا الحصول على معناها السامي ومفاهيمها الشفافة الإنسانية العميقة!!

ما المشكلة أن يرفض موسى عليه السلام هذه الثقافة الفنية الـفرعونية، والتي كرّست عـبودية الفـراعنة وتأليه ظواهر الطـبيـعة ورمـوزها المتمـثلة في الأصنام والأوثان والأوتاد!؟ ألسـتم تدعوننا إلى عـدم التـقليد ورفض الـواقع السائد والثـورة على التقـاليد؟!... ألم يفعل موسـى عليه السلام هذا وبصورة إنسانيـة أصيلة وبوحي إلهي حقيـقي يهدف إلى استرجـاع حرية الإنسـان من عبوديات منحـطة تتمثل في عبـودية الفرعون والإمبـراطور والوثن والوتد والعضو الـذكر وعبادة الإنثى كـآلهة للخصب وبـقية ظواهر الطبـيعة التـي عُبدت في الأزمنة التي يريد مـوسى مطلق وغيره من العلمانيين أن نسترجع صورها السامية!!، ورموزها الراقية!!

إنْ هذا إلاّ تحقـير للإنسان وغمسـه في وحل الوثنيات ومسـتنقع البهيـمية! إن الأنبيـاء يترفعـون عن هذا الواقع الرديء والمخالف للإنسـانية الحقـة. ولذلك قام العلمانيـون بتحويل صـورة موسى عليه السـلام وحـقيقـته إلى صور وثنية إباحـية شائهة، لتمريغ البشرية كلها فـي وحل الجاهليات القديمة. وقاموا إضافة إلى ذلك

بتحويل كل الحقائق والوقائع المرتبطة به كنبي ورسول، وولادته من عائلة كريمة، شريفة، مؤمنة بالله، ومتحررة من الكفر والضلال والفساد. ولقد فعل العلمانيون ذلك حتى تتشاوى المختلفات وتتماثل المفترقات ويصير نور الحياة نسخة من ظلمة الوجود، وتمسخ رسالات الخير بمزجها بأساطير الشر، وتبدأ العودة مرة أخرى إلى وثنيات طواها الزمان ووراها التراب.

كذلك قاموا بتحويل صورة أم موسى عليها السلام إلى صورة مُنفِّرة كريهة والغرض نسف الأنساب الشريفة ليخلو لهم الجو الذي يحاولون تهيئته لنسف النبوة التي كانت تُصنع على عين الله وتخرج إلى الوجود من نكاح كريم لا من سفاح مهين!

وإذا تم تحويل صورة أم موسى إلى أم مدينانية زانية عارية تتزوج ابنها علنا وتصور رسومات معابدها هذا الزواج بجرأة متناهية (كما هو الأمر عند نظرية القمني الحقيرة) أو تم تحويل صورتها الكريمة العفيفة إلى أم اكاديه/ عراقية/ سورية في التاريخ الوثني القديم حملته سفاحاً، وهو ما يعني أن أباه انسحب من التاريخ من قبل أن يولد!!، إذا تم تحويل صورة المرأة التي ذكر الله أنه أوحى إليها إلى هذه الصور الشائهة الحقيرة فماذا ننتظر إذا تكلم هؤلاء عن صحابة رسول الله ﷺ أو أنصار عيسى عليه السلام أو أتباع موسى النبي عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام؟!

في كتاب لم أر مثله في الجودة وهو كتاب «سقوط الغلو العلماني» وفي النقد الممتاز قام به الدكتور محمد عمارة عندما رأى أن العشماوي تجاوز حدوده في تجريح الصحابة بل وتجريح الرسول نفسه والقرآن، هذا الكتاب الممتاز صدر سنة ١٩٩٥م وذلك قبل أن يظهر العشماوي بأكاذيبه الأخرى على العالم والخاصة بموسى والحقائق المرتبطة به. ولذلك قمت بإبراز أكاذيبه وأساطيره حتى يرى المسلم

الواعي أن العشماوي يتحايل عليه ويخدعه حينما يدخل بعلمانيته المخادعة معترك الاجتهاد الإسلامي ويقدم في ذلك مشروعه الفكري في أكثر من عشرة كتب .. توالى إعادة طبعها دار نشر ماركسية.. وتهتم به - كما يقول الدكتور - محمد عمارة - كل الدوائر المناوئة للصحوة الإسلامية، سياسية وفكرية[1]

إن هؤلاء الباحثين يمشون على خطى الباحثين الغربيين في تشويه الرموز الإيمانية والشخصيات الرسولية الكريمة فهناك «مشترك» على كل محاور الهدم بين هؤلاء الباحثين المتكرين من الغربيين والمقلدين فهذا كمثال «جارستانج» الباحث الغربي المشهور عضو بعثة مارستن التابعة لجامعة ليفربول للتنقيب في فلسطين، إدعى أن موسى عليه السلام قد أنجبته الفرعونة (حتشبسوت) عام ١٥٢٧ ق.م، عندما كانت أميرة، وقبل أن تتربع على عرش مصر، أي خلال حكم تحتمس الأول أو تحتمس الثاني. لقد اعتمد «جارستانج» في إقامة أكاذيبه على كشف يتيم لايدل على المقصود كما أنه لا يسعف الهدف المرصود!! ويعلق على ذلك القمني (صاحب إفتراء آخر! قدمناه بقوله «وقد ملأ جارستانج» الدنيا صخبا وضجيجا بما زعمه عن كشف أركيولوجي حاسم في الأمر جميعه، حيث عثر على جعران في مقابر أريحا الملكية، على إشارات فسرها كأدلة قاطعة ، تثبت أن (موسى) قد أنجبته الفرعونة (حتشبسوت) عام ١٥٢٧ ق.م بالتحقيق ... وأن موسى قد تربى في بلاطها وبين حاشيتها بعد ذلك، ثم فر من مصر عندما نجح الانقلاب الذي قام به (تحتمس الثالث) ثم عاد ليقود الخروج أثناء حكم (تحتمس الثالث) عام ١٤٤٧ ق.م ... وكما ظهرت ضجة (جارستانج) فجأة، خفتت فجأة، وانتهى (جارستانج) إلى

(١) سقوط الغلو العلماني للدكتور محمد عمارة وهو الكتاب الذي ذكرنا تميزه وفرادته في العصر الحديث، وهو اصدار دار الشروق، (انظر ص١٣) منه. ولقد ألف خليل عبدالكريم كتاباً ضخماً اسمه فترة التكوين في حياة الصادق الأمين! وقام فيه بهدم النبوة عن طريق الزعم أن خديجة رضي الله عنها هي التي هيئت محمد بالدراسة الليلية للرسالة!! كما ألف القمني مجموعة من الكتب والمقالات لهدم الجيل الأول الفريد.

الصمت التام، ولم يعد أحد يتحدث عن جمعرانه الأعجوبة، ويبدو أن المصرولوجيين لم يقتنعوا تماماً بتاويلاته لنقوش جعران أريحا، ربما لسقوطه في أخطاء هامة تبرر ذلك الخفوت، فالتلاشي لكشف بهذه الخطورة»[1]

يبدو أن الدكتور القمني لم يتعلم من التاريخ الذي يسوق أمثال هذه النظريات ليركمها جميعاً في مزبلته العظيمة التي يجمع فيها نفايات وخزعبلات بعض إنسانه. ذلك إنه بعد أن قرأ هذه الخرافات طلع علينا هو نفسه بزبالاته الفكرية وعصارات عقله المريض الذي أراد به هدم حقائق التاريخ والدين والوحي والشريعة.

إن الرابط السري الذي يربط بين الدكتور سيد القمني و «جارستانج» وأمثاله من الذين يبتكرون الأساطير هو عملية الإسقاط الخبيثة التي تجعل من الأنبياء شخصيات مقتبسة زناة وعاهرين وكذلك أمهاتهم وايضاً آبائهم!! فحتشبسوت هذه راحت تُثبت شرعية ملكها باصطناع قصة عهد مقدس! يقول القمني نفسه «حيث اصطنعت قصة تقول: إنها ابنة مباشرة للآلة آمون بالجماع المقدس مع والدتها وهو الأمر الذي تكرر مع أكثر من فرعون، وهو ما يقول بشأنه (عبدالعزيز صالح): «وعادة ما ازداد تمسح هؤلاء بالدين وكرامات آمون) كلما أحس احدهم بشبهه يمكن أن تمس شرعية ولايته للعرش، حيث يسارع إلى تأكيد بنوته المباشرة، له. نتيجة تقمصه روح أبيه حين الحبه، وعبرت عن هذه الاعاءات أربع روايات الفراعنة (حتشبسوت)(*) وتحتمس الثالث، وتحتمس الرابع، وآمنحتب الثالث» ويشير كل من (دريتون) و (فانديه) إلى «أن فكرة تدخل الإله تدخلا مباشراً في

---

(١) النبي موسى وآخر أيام تل العمارنه جـ١ ص١٦٨، ١٦٩.

(*) يقول عالم المصريات «هيز» عنها هي: «مجرد إمراة لا اهمية لها، طموح، تفتقر إلى أي ضمير» ويقول عالم المصريات «بيرين» أنها «ليست سوى ألعوبة بين أيدي الكهنة الذين يمارسون سلطة دينية» ويقول عالما المصريات الفرنسيان «دريوتون وفانديه» «فهي تحاول أن تضفي سمة الشرعية على ما اغتصبته...» عن كتاب حتشبسوت الملكة الفرعونية تأليف سوزان راتيه ص١٢، ١٣.

أنسال الملك الجالس على العرش، كانت شائعة في الأسرة الثامنة عشر، إذ تمثل النقوش في معبد الدير البحري عن حتشبسوت، ومعبد الأقصر عن آمنحتب الثالث، مراحل الاقتران الإلهي... أي اجتماع آمون مع الملكة الوالدة، بعد أن يتخذ مظهر الملك الوالد»!![1]

إن آمنحتب الثالث الذي أنجب عن طريق الاقتران الإلهي المزعوم لآمون بأمه!! هو والد إخناتون/ موسى/ أوديب عند سيد القمني!!!

وحتى هذا الوالد الذي انجب بطريقة غير شرعية كان عاهراً كأمه تماماً بحسب نظرية القمني. يقول القمني عن والد إخناتون (آمنحتب الثالث) وزوج (تي) قبل أن يتزوجها إبنه إخناتون «ففي نوبة من نوبات إنغماسه في الملذات تزوج إحدى بناته، كما أفصح عن بعض النزعات الشاذة فهو الفرعون الوحيد الذي سمح لنفسه أن يُرسم وهو يرتدي ملابس إمرأة»[2].

ويقول «والغريب أن إخناتون كان يذكر دوما أنه ابن (تي) لكنه لم يَذْكر أبداً أنه ابن آمنحتب الثالث»[3]

إن هذا الربط الخبيث ليدل على النية المبيتة في تدمير الدين وتدنيس شخصياته التاريخية من أنبياء ورسل وشهداء وصالحين وخلصاء ومخلصين. حتى تضيع المعالم وتختلط الأوراق ويصبح النور والظلمة سواء، والشر والخير وجهان لعملة إنسانية واحدة لا حقيقة مطلقة فيها. وقد عبر عن ذلك كثيرون من دعاة نسبية الحقيقة ونسبية القيم، وأخيراً قام أحدهم وهو يقدم صورة العربي والمسلم عند الغربي والمسيحي الأوربي، قام يقدم صورة 'بعيدة عن الحقيقة «والحقيقة لا وجود

---

(١) النبي موسى وآخر أيام تل العمارنة ص١٧١ جـ١ والمراجع التي ذكرها أشار إليها في هامش نفس الصفحة.

(٢) النبي موسى . . . جـ٣ ص٧٩٠. (٣) المرجع السابق جـ٣ ص٨٩٤.

لها إلا عند من يؤمن بهـا . . . إضافة إلى ذلك، هي دائمـاً زائفة بإعتبـار أنها من صنع البشر»[1]

إن (موسى مطلق إبراهيم) يرفض الإعتراف بحقائق القرآن، ومنها حقائق النبوة والقصص التاريخي للأنبياء والرسل، ويزعم أن القرآن قام بعملية «تعويم» مشئوم لقصص التوراة، يضيف «والذي لولاه لكانت التوراة نفسها ليست أكثر من مومياء دينية لا يهتم بهـا إلا الباحثون في متـاحف الفكر الديني عبر التاريخ ولا يستغرب القاريء إذا قلت له أن ما عاناه شعبنا في القرن العشرين من الهجرة اليهودية ووعد بلفور وقيام اسـرائيل على أرضنا ... لم يكن كله أو بعضـه لولا هذا التعويم المشئوم الذي مهد لولادة هذه الإمبـراطورية اليهودية»[2] ويقول «إن هذا التعويم للتوارة، بهذا الشكل، في الإنجيـل والقرآن، كان له أثر بـالغ السـوء على شعـبنا السـوري من دون سائر الشعوب المؤمنة بالإنجيل والقرآن(!). فقد جعل من المؤمن السـوري كائنا دينياً جذوره في التوراة(!)، وجعله ينفصل عن تاريخه القديم ويتنكر له(!) ويحل التاريخ التـوراتي محله(!)، وهو المسـتهدف الأول والأخـير في وجـوده ووجدانه بتاريخ التوراة وشريعتها(!) وفي كل ما تدعو وتوجه إليه»[3]

إن هذه الطريقة في التفكير تستـحوذ على تفكير عدد لابأس به من العلمانيين! وهم يظنون أن القـرآن والإيمان بالله ورسله وكـتبـه هو سـبب هزيمة ١٩٦٧م ولو امعنوا النظر قليلا لعـرفوا أن أنظمتهم العلمانيـة الدكتاتورية التي ساعدوها وقـتها بثقافاتهم المستوردة هي سبب الهزيمة، لقـد أبقوا على جهالة الشعوب ولم يُنشئوها تنشأة علمية حـضارية مرتبطة بالمنهج الرباني الهادف إلى إقامة عـمران بشري قائم على تسـخير سنن السـمـوات والأرض وسنن القوة وبناء مـجتمع قـوي في الفهم

(١) قال ذلك «عمر أوكان» في تقديمه لكتاب «عربي، هل قلت عربي؟» ص٦.

(٢) وعد التوراة ص٢٠٢، ٢٠٣ للقمني نصوص مشابهة قدمناها في كتابنا هذا.

(٣) وعد التوراة ٢٠٢ للقمني نصوص مشابهة قدمناها في كتابنا هذا.

والعلم والعقيدة والأخذ بالأسباب.

لقد أبقوا على صور دينية شائهة، إما حفاظاً على أماكنهم في مأمن من خطر العلم والإيمان الكريم والمعرفة والتنوير وإما مراعاة لمشاعر دينية لا تمت إلى الإسلام بأي صورة من الصور. كما أبقوا على صور تعليمية هشة لا تتمكن من تأهيل الإنسان إلى نيل أسباب السموات والأرض وهي صور تقليدية لا سبيل لها للتفاعل مع الكون والعالم وتغيير المجتمعات. كما أبقوا على البيروقراطية المتمكنة بشراسة من جميع الإدرارات الحكومة والتعليمية حتى طوقت حركة الإنسان وحركة التجارة الإيجابية.

كما أبقوا على قوانين وضعها الاستعمار في بلادنا وتجاوزها في بلاده، وأبعد القانون الرباني عن وضع القواعد وإرساء المعالم الرئيسية التي لا تطيق البيروقراطية العفنة ولا الجهل المتمكن من النفوس ولا التعليم المكبل لانطلاقة الانسان واطلاق عقله حراً في التعامل مع الكون بلا قيود إدارية أو تعسفية أو علمانية ديكتاتورية أو حتى دينية مخالفة للإسلام العظيم الذي فتح للعقل حدوداً عظيمة ومجيدة حققت مكاسب في القديم ويمكن أن تحقق مكاسبها الضخمة اليوم أيضا!

إن النظرة المنحرفة للدين من طرف العلمانيين العرب يجب أن تزول فهي أيضاً من عوائق النصر وإنطلاقة الحضارة الإسلامية الجديدة.

وأقرب مثال هو ما نحن بصدده في هذه الجزئية من هذا الفصل، فكثير من العلمانيين كموسى مطلق وسيد القمني وغيرهما يزعمون أن تواجد النصوص القرآنية التي تذكر إبراهيم وإسحاق ويعقوب وتذكر المؤمنين من بني إسرائيل بأنهم إخواننا سبقونا بالإيمان بالله الواحد الأحد، وتذكر التوراة وتؤكد أنها كتاب الله أنزله على موسى عليه السلام، يزعمون أن تواجد نصوص قرآنية تكرس هذا الإيمان إنما

هو سبب الأزمة التي نعانيها أما الحل فهو نفي هذه النصوص بإعلان الانفصال عنها وعن مصدرها الرباني!، بل واعتبار الاسلام تراثاً يجب تجاوزه!

ويشير القمني أن سبب هذا البلاء هو النبي محمد ﷺ نفسه وذلك أنه في «المرحلة التكتيكية» بزعم القمني في التعامل مع يهود المدينة تبنى محمد عقائد اليهود وأعاد التاريخ دورة كاملة إلى عهده وجعل الإسلام «مستبطناً» - بحسب لفظه - باليهودية يقول «كما تحول جميع أنبياء وملوك دولة إسرائيل القديمة إلى أنبياء مسلمين (!) كانوا يدعون بدعوة الإسلام. . . وظلت التوراة بصفتها الحاملة للهدى والنور، وظلت الآيات التي تذكر بهم كشعب مختار(!) متميز فضلهم الله على العالمين، وغير ذلك لاتجد سوى تنويعات عروبية نادرة ويتيمة(!) عن القرى العربية البائدة، وأنبياء مثل هود وصالح ، أما النسب الإسلامي والعربي، فقد ظل بدوره إسرائيلياً، بإعلان نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام(!)، أنه الحفيد النبوي الأخير لسلسة إسرائيلية(!) استعربت بعد إبراهيم باستعراب ولده إسماعيل واكتسابه الجنسية العربية بسكناه بلاد الحجاز، عبوراً على عمومه مؤكدة لإسحق(!). . . هذا ناهيك عن تطابق المنمنمات الدقيقة حول الإله وقدراته وقصص الأولين بدءاً من قصة الخليقة وآدم مروراً بنوح والطوفان . . . ومن ثم تنافس العربان، عتاه العقيدة العاضون بالنواجز على الإيمان مسيحية وإسلام ، في تشريف تاريخ إسرائيل وتكريمه . . . والأمر بهذا الشكل مشكلة إيمانية، وأزمة فكرية طاحنة»(١)

يقول ذلك القمني في بداية كتابه إسرائيل. . التوراة. . التاريخ. . التضليل، مدعياً انه يتعامل مع التراث «التحديد الهوية»! وهو الكتاب الذي يرد فيه على اليهودي فيلكوفسكي !!!

---

(١) إسرائيل . . التوراة ص٧-١٠.

وفي الكتاب نفسه زعم أن التوحيد ما هو إلا تطور تاريخي وثقافي وإفراز لتطورات سياسية وإقتصادية وتحولات في المجتمعات كما رفض قبول قصة موسى بمعجزاته وخصوصاً هلاك فرعون في البحر هو وجنوده كآية من آيات القدرة الإلهية كما أنه في كتبه الأخرى، ولنأخذ كتاب «الأسطورة والتراث» جعل الدين تطوراً لأساطير الخرافة واللامعقول وان القصص القرآني من إهلاك قوم نوح وعاد وثمود قصص «لامعقول» يجب أن يشطب من تاريخنا ولكن بالدرس الكافي له يكون درسه من أمضى الأسلحة في الصراع الفكري الدائر الآن (*).

أما موسى مطلق إبراهيم فقد زعم أن محمد ﷺ بتبنيه (**) لتاريخ التوراة انهزم أمام اليهود فكرياً مع أنه انتصر عليهم عسكرياً!! يقول «ومع أن النبي محمد أعطاهم كل شيء(!) فإنهم لم يعطوه شيئا ومع أنه انتصر عليهم عسكرياً وطردهم من الحجاز فإنهم انتصروا عليه ثقافياً(!) ورسخت توراتهم، بكل ما فيها من الأخبار والقصص الهشة(!) والتعليم غير الإنساني، في قرآنه(!). وستبقى تأثير مرعب في عقول وقلوب المسلمين الذين يأخذونها مأخذ الحقائق التاريخية والتعليم المناقبي المثالي، ما بقي القرآن كتاباً دينياً تأتم به مئات الملايين من أبناء البشرية في جهات الأرض الأربع»(١) لقد قرأت الكتابات الإستشراقية الحديثة عن الإسلام ومنها مثلا كتاب مكسيم رودنسون «جاذبية الإسلام» ولقد سفّه الرجل الكتابات الحاقدة (القديمة) على الإسلام، ورغم أن الرجل له توجه خاص تجاه المعرفة الإسلامية إلا أنه لم يصل أبداً إلى الحقد الذي يحمله اليوم العلمانيون العرب تجاه الإسلام.

(*) انظر مقدمة الأسطورة والتراث وهي مقدمة خطيرة جداً يهدم فيها الدين هدماً عنيفاً كما بقية الكتاب انظر ص٢٣، ٢٧، ٢٤.

(**) هذا هو زعمه أما الحقيقة فهي أن محمد لم يتبنى لا توراة ولا إنجيلا وإنما أوحى إليه من الله عز وجل بالإيمان بالكتب السماوية الصحيحة والرسل والأنبياء.

(١) وعد التوارة ص١٠٣.

إن هؤلاء العلمانيين يحاولون إثبات جدارتهم أمام الغرب بزيادة جرعة الحقد على الإسلام وبالكيد لهذا الدين والجرأة الوقحة عليه وهو دين الله بديع السموات والأرض. لقد تأثر هؤلاء الحاقدين (المرضى) بأكثر الكتابات الاستشراقية ضلالاً وسخافة، وهي الكتابات المعهودة التي زعمت اقتباس الإسلام تعاليمه من الفكر الديني اليهودي، والتي صورت الإسلام كخطر (مرعب) على الغرب، وكما تقدم من كلام موسى مطلق فإنه يتجاوز ذلك ليقول بأن الخطر المرعب من الإسلام إنما هو على البشرية كلها.

وفيما يشيد أمير إنجلترا «ريتشارد» بالحضارة الإسلامية وفضلها على الإنسانية، يقوم هؤلاء الحاقدون ليعكسوا الآية، فيزعمون أن الإسلام وحضارته خطراً على الإنسانية!! فهل هذا هو الإبداع الذي يريدونا أن نفتح له ذراعينا كطريق لانطلاق الإنسان في اكتشاف الكون وكأسلوب لفاعلية الحياة!!؟

فأي إبداع هذا الذي يقوم بالكذب والاحتيال والاستخدام المغرض لفرض أساطيره على البشر؟! إن موسى مطلق إبراهيم استخدم جملة من كلام الأستاذ سيد قطب في (التصوير الفني في القرآن) للتدليل على عدم تاريخية القصص القرآني، ومن هنا يؤكد أن قصة موسى إنما هي قصة مقتبسة عن قصة الملك الاكادي سرجون الذي حملت به أمه الكاهنة سفاحاً!

إنه ككل العلمانيين الحاقدين ينظرون إلى القصص القرآني على أنه إسرائيليات يجب أن لا نأخذها مأخذ الجد، لأنها مقتبسة عن حضارات قديمة!

ويورد كلام محمد وحيد خياطة الذي فيه «إن تحرر العقلية الإسلامية من المذاهب التاريخية في فهم القصص القرآني له فوائد كثيرة منها التحرر من الإسرائيليات» «وقد آن الوقت للعقل العربي ليتحرر من الإسرائيليات ويكشف

تاريخه بنفسه(!) بما تقدمه أعمال التنقيب الأثرية(!) وإن تعارضت المعارف الجديدة مع الكتب المقدسة»[1]

إن سيد قطب لم يذهب أبداً إلى عدم تاريخية القصص القرآني، بل على العكس من ذلك ذهب إلى أنها حقائق تاريخية عرضها القرآن لغرض ديني وهو تثبيت المؤمنين وأخذ العبرة من التاريخ والتمعن في دلالاته واستقراء وقائعه لإقامة عمران إنساني كريم مرتبط بالمنهج الإلهي الأصيل، والنص الذي حرَّف «مطلق» و«خياطة» دلالته - أقصد نص سيد قطب - هو «وقد خضعت القصة القرآنية في موضوعها ، وفي طريقة عرضها، أو إدارة حوادثها لمقتضى «الأغراض الدينية» وهو كما ترى يتكلم عن تركيز القصص القرآني في عرضه على الوقائع الهامة في التاريخ والتي يمكن للمسلم أن يستفيد منها في حياته الدنيا، وليس في كلام سيد قطب القول بعدم صحة وقائع هذا القصص تاريخيا!

لكن «مطلق» بعد أن يعرض هذا النص يقول بأنه لم يورد هذه الشهادة إلا ليخفف «وقع الصدمة على الذين يؤمنون من شعبنا ، بصحة وقدسية مرويات التوراة التاريخية، حينما وردت في القرآن، فهذه المرويات معادية كل العداء لحقنا في الأرض والحياة والحرية. . . وما علينا إلا أن نمعن النظر إليها بعين العقل الفاحص والضمير العلمي الخالص، حتى نكتشف زيفها التاريخي الفاضح الذي لا يثبت أمام نظر العقل الثاقب، ولا أمام الضمير العالمي لأبحاث التاريخ»[2]!!

أي عقل ثابت هذا الذي يثقب التاريخ بنظرياته المثقوبة المهشمة والمتناقضة في آن واحد؟ وأي أبحاث للتاريخ يقدمها هؤلاء المزورون للضمير العالمي، وكل منهم يقدم خزعبلاته ويعرضها عليه بجرأة مدهشة وبمزاعم لا أساس لها من الصحة كالقول بأنهم يعتمدون في نظرياتهم على الإكتشافات الأثرية والتنقيبات

---

(١) وعد التوارة ص٩٦. . (٢) وعد التوارة ص٩٧. .

وإذا كانوا قد حرفوا كلام سيد قطب وغيره من العلماء والمفكرين المسلمين، فكيف بالقرآن وحقائقه وبالدلالات التاريخية لهذا القصص؟!

ومن قال إن القرآن عندما ذكر تفضيل الله لبني اسرائيل على العالمين أنه كان يقصد العالمين في كل زمان ومكان وأنهم مفضلين في حال الصحة والفساد، والاستقامة والإنحطاط!!، إن القرآن كان واضحاً في عرضه لهذا القصص التاريخي، فقد فضل الله بني إسرائيل على الأمم التي كانت تعيش على وجه الأرض وقت أن قال الله لهم ذلك، فمجموع بني إسرائيل وقتها، وقت أن كانوا مؤمنين فعلاً وموحدين حقاً، مجموعهم كان أفضل من مجموع الأمم الأخرى التي كانت تعيش في عالم الوثنيات الحقيرة والمدنيات المستبدة والعبادات الحقيرة. أما عندما إنحط بنو إسرائيل فكان خطاب القرآن معهم مختلف ﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم...﴾ والقرآن نفسه ذكّر بني إسرائيل بانحطاطهم الناتج عن تخلفهم عن عهود الله ومواثيقه التي أخذها عليهم، فكانت صورتهم في حالة الانحطاط كصور الأمم الوثنية سواء، فقد عبدوا الأوثان وتركوا التوحيد الخالص، واقترفوا الجرائم الأخلاقية مثلما كانت تفعل الحضارات الوثنية ما أدى إلى أن فقدوا التفضيل المشروط بالحفاظ على مواثيق الله وعهوده. ولن احاول هنا ان أستدل بآيات من القرآن للتدليل على ذلك، والسبب هو أن سوراً كاملة - بل أكبر سور القرآن! - قد أفردت مساحات واسعة لعرض تاريخ الاستقامة عند بني إسرائيل وتاريخ الانحطاط ونقض المواثيق، والقارىء المسلم يقرأ هذه السور يومياً ويعرف ذلك جيداً ويكفي لقارىء القرآن أن يقرأ السور الستة

الأول من القرآن حتى يضع يده على هذه الحقائق البديهية التي لا يماري فيها إلا سفهاء العلمانية وتلاميذ الاستشراق الحاقد والمغرضين من المتترين بالإسلام!(*)

أما عن الزعم بتأثير العقيدة اليهودية في العقيدة الإسلامية فهو إدعاء قبيح جداً، ذلك أن عقيدة الأنبياء على مدى التاريخ البشري كله، هي عقيدة واحدة، وهي موحى بها من الله لكل الأنبياء والرسل، فالقول بالتأثير هنا إنما هو للقدح في الإسلام وترويج للشبه الصليبية/ اليهودية في أن محمداً ﷺ اقتبس من اليهودية ولا وحي ولا خلافه!! في حين أننا لو ذهبنا لهذه الأسفار اليهودية التي زعموا أن محمداً ﷺ اقتبس منها لوجدناها مناقضة في كثير من معالمها للعقيدة الإسلامية التي علمها محمد ﷺ للمسلمين، وقد ردّ القرآن على تصورات يهود للألوهية وللنبوة وللتاريخ وهو ما يعني أن العقيدة اليهودية المرسومة صورتها في التوراة المحرفة التي أثبت القرآن نفسه تحريفها للحقائق، إنما هي مخالفة لعقيدة الإسلام في كثير من تفاصيلها!! اللهم إلا في أصل عقيدة الإله الواحد، فهناك لا شك إتفاق بين بعض نصوص الأسفار الحالية التي تؤكد أن الإله واحد مع القرآن الكريم ومع عقيدة أنبياء بني اسرائيل لكن تصور هذا الإله في هذه الأسفار المحرّفة التي زعم المستشرقون وأتباعهم العلمانيون أن محمداً إقتبس منها!، هذا التصور إنما هو تصور قاصر وشائه ومنحرف في كثير من تفاصيله، وقد إمتلأت كتب المسلمين في بيان إنحرافه وضلاله، والعلمانيون يعرفون ذلك جيداً لكنهم يمارون ويخادعون. لغرض تلويث العقائد الإسلامية بصور الانحرافات التاريخية ليهود. حتى زعموا أن العقائد الإسلامية والأنبياء الحقيقيين لبني إسرائيل كيعقوب

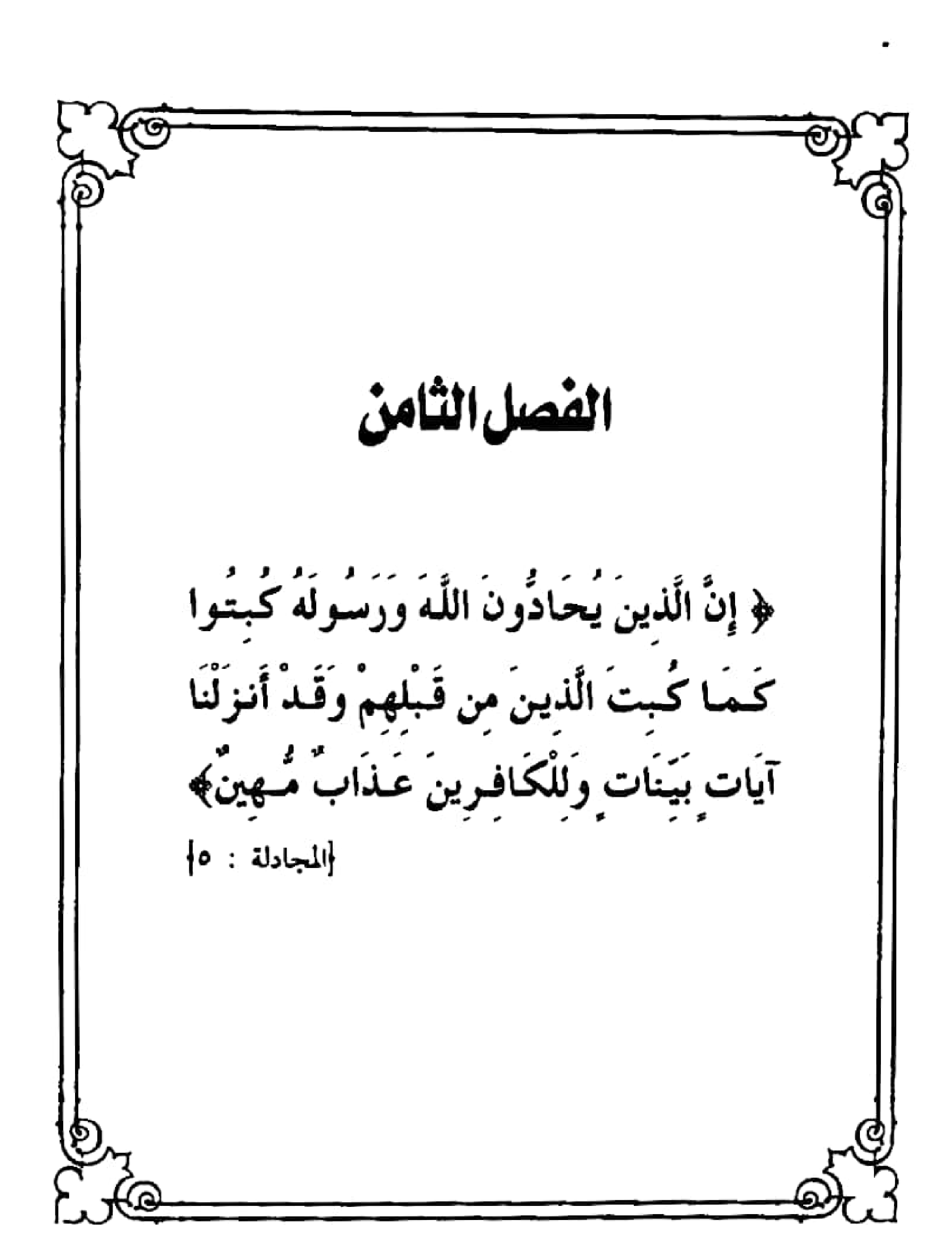
(*) يعتمد موسى مطلق إبراهيم في ذلك هو وغيره على قول «ابيوري» «لقد مارست العقيدة اليهودية تأثيراً ملحوظاً في العقيدة الإسلامية» يعلق مطلق على ذلك «لقد لاحظ هذا المؤرخ، وهو يناقش تحول الحزر إلى العقيدة اليهودية الخالصة تأثير العقيدة اليهودية في العقيدة الإسلامية، وهذا دليل سعة اطلاعه في هذا المجال، وإن سمى «تأثيراً» ما نسميه «تمويهاً» وعد التوراة ص ٣٠٦ .

وإسحاق إنما ذلك كله لا أصل له في العالم ولا حقيقة له في الوجود، فحقيقة الألوهية إفراز تاريخي ونتاج سياسي واقتصادي ، والأنبياء هم خيال مقتبس! وهي كلها إسرائيليات يجب التخلص منها للتحرر من الصهيونية!!! ويدخلون ذلك بخبث في الإنحرافات التاريخية لبني إسرائيل والتي فضحها القرآن! وبذلك يضربون عصفورين بحجر واحد، ويتخلصون من الدين كما فعلت الفلسفة في التاريخ الأوربي!

أما النتيجة التي يقدمونها للبشرية، فهي أفكار عقيمة، ونظريات متناقضة، وأيديولوجيات منحرفة قاصرة. وهي نفس الأفكار والنظريات التي عزلت الإنسان عن إنسانيته، ووصلت بالحيوان الدارويني ، الفرويدي المتحرر جنسيا وأخلاقيا ، الحيوان الاجتماعي الدوركايمي المتجاوز للأسرة إلى أسر شائهة منحرفة جداً! وقد واجههم القرآن جميعاً قبل ظهورهم في التاريخ ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ۝١٠ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝١١ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ۝١٢ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ۝١٣ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [الذاريات:٧-١٤].

إن هذا الدين مهيمن حقاً!، وله سلطان على الأفكار والثقافات لا ينكره إلا معاند جاحد، ولما عزل الباحثون والمثقفون والفلاسفة الغربيون وتلاميذهم من العرب آذانهم وأسماعهم وعقولهم وقلوبهم عنه خرجت نظرياتهم وفلسفاتهم شائهة متناقضة متعارضة متضاربة.

لقد كنت أسمع شاباً كريماً يهتف: صُمّت أذن الدنيا إن لم تسمع لنا!، والآن أفهم مدلول هذه العبارة بأبعادها المختلفة!



الفصل الثامن

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا
كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا
آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾
[المجادلة : ٥]

يزعم شفيق مقار أن موسى عليه السلام مصري .. لكن الأنبياء إبراهيم ويعقوب وإسحاق هم آباء آراميين (الجياع الأراميين!) (*) جعلتهم التوراة أنبياء عبرانيين، «فُبركوا!» فيما بعد ليصيروا أنبياء كما ليكونوا عبرانيين!، صوروا على أساس أنهم يأتيهم دعم وتأييد غيبي مما وراء الطبيعة[1]

وعن إبراهيم عليه السلام يقول «مقار - وفي الحقيقة مكّار!) مفترياً على التاريخ «التاريخ يحكي أن إبراهيم وقومه تسببوا لمصر - عندما استضافتهم وأشبعت جوعهم في متاعب خطيرة[2] وزعم أن الميثاق بين الله عز وجل وبين إبراهيم ويعقوب وإسحاق إنما هو ادعاءات «اعتبرها الكهنة الذين اخترعوها أساساً لديانة»[3] ديانة إله مكتشف بزعمه، ديانة «الله» الإله السماوي المحتجب الذي اكتشفوه في السبي وما بعده»[4] فالذين خرجوا مع موسى واحتفل بخروجهم من مصر بزعم مقار «قد أخذوا الكثير من عبادة أوزوريس وأدمجوه في أسطورة حداد - تموز - الذي عبدوه باسم بعل صفون. وفي أخذهم من تلك العبادة المصرية، وحدّدوا - على المستوى الإلهي - بين «موت» عدو بعل صفون، و «ست» عدو أوزوريس، وأخذوا الكثير من صفات أزوريس وطقوس عبادته»[5] يقول «فالبدايات (التكوين) والنمو الفكري لمفهوم الألوهية الذي طوّر تعدد الآلهة في عصر الآباء والانتقال من عبادة إلى عبادة مستعارة من ثقافات الأقوام المتحضرة(!)، وطوّر أيضاً الإله البركاني الوحشي يهده! فأوصل كل ذلك إلى مفهوم التوحيد (!) والإله السماوي المحتجب في الصياغة الأخيرة للتوراة(!)، لم تنبع في أي مرحلة من فكر أصيل (!)، أو إبداع حضاري يهودي، بل استعيرت

(*) قراءة سياسية للتوارة ص٨٠.

(١) قراءة سياسية ص٢٣٤.

(٢) المرجع السابق... ص٦٨.

(٣) نفسه... ص١٣٣.

(٤) نفسه ... ص١٠٩.

(٥) نفسه.. ص١١٩ .

كلها من ديانات وثقافات لم يسهم الكهنة أو قومهم في إبداعها ولُفقت منها وحُوِّرت وحُرِّفت ونُهبت مكونات ديانة توحيدية ادعى أصحابها أنها فريدة بين ديانات البشر»[١]

كل العلمانيين الذين دمروا تاريخ الأنبياء الحقيقي ينطلقون من نفس قاعدة (شفيق مقار) المادية، التي تفسر التاريخ من زاوية مادية صرفة ، وبطبيعة الأحوال فإنه بهذه الطريقة سيُصيِّر الأنبياء لا أنبياء، وسيُرجع الدين إلى ثقافات أرضية وظروف تاريخية. فإذا إنضاف إلى ذلك كذب العلماني الملازم لكفره دائماً، وإذا إنضاف إليه أيضاً الخداع واللؤم والقدرة على التلاعب بالحقائق وفبركة الأمور فبطبيعة الأحوال ستنتهي الأمور إلى ما ترى أخي القارىء وفي رأيي ، فالأمر لا يختلف إذا ما قارناه بافتراء أهل الجاهليات على الرسل، فقد تصوروهم مجانين - كما ذكر القرآن الكريم ذلك عنهم ومفترين وكذابين وخيالين وسحرة وكهنة، وأصحاب أغراض خاصة، سياسية واقتصادية واجتماعية!! وأنهم يسعون للحصول على قيادة في المجتمع أو مكانة في العالم أو شهرة في التاريخ ! نفس هذه الآراء والإتهامات نسمعها اليوم من أقطاب العلمانية المنحرفين وهم يقومون بدراسة التاريخ النبوي والتاريخ البشري والتاريخ الإسلامي.

عقم المقارنات مازل مستمراً:

لقد قام شفيق مقار بعقد مقارنة بين قصة يعقوب وقصة موسى عليهما السلام وانتهى بخلاصة مفادها أن الأولى كانت بروفة للثانية في صنع البطل القومي المعروف في الأسطورة! «حكاية يعقوب في التوراة كانت شبه بروفه لحكاية موسى من أكثر من وجه، فكلاهما كان بداية لحلقة مهمة من حلقات السيناريو الذي تضمنه العهد القديم»[٢]!

(١) قراءه ... ص١٣٢.

(٢) نفسه ... ص٢٨٩.

فيعقوب أنجب بني إسرائيل وكذلك موسى أنجب شعباً وأمة! (يالها من مقارنة!) وشعب موسى إنما هو في الحقيقة (من العشائر الأرمية والشراذم اللائذه بمصر، بعد اختلاق أصول وآباء لتلك الشراذم ووصلها - رجوعاً إلى الوراء في الزمان - بالرعاة الذين تقول التوراة أنهم هاجروا من أور الكلدانيين»[1] يقصد إبراهيم عليه السلام

ثم كلاهما يعقوب وموسى بعد أن نهب ! ـ هكذا !! ـ ... خرج هارباً وكلاهما كان يعبد إلهاً ثم التقى وهو هارب بإله جديد![2]

وهو كذب كبير على يعقوب وموسى عليهما السلام، ومصدر هذا الكذب الذي أخذ عنه «مقار» هو أهل الافتراء من الأوربيين الذين يدعون الموضوعية والبحث العلمي الرصين! **«إلا أن التشابه الأقوى والأهم مائل في إضفاء مؤلفي حكاية التوراة لمفهوم البطولة على كل من يعقوب وموسى .. فكما هي الحال في كل أساطير الإنسان القديم، كان من المحتم - بعد إعلاء الإله القبلي على كل من عداه من آلهة - إعطاء الشعب أبطاله القوميين»**[3]

وكما أخبرتك أخي القاريء، فمادام «مقار» قد فسر الألوهية بالطريقة المادية القاصرة والمنحرفة فلا شك أنه سيفسر نبوة الأنبياء وبروزهم في التاريخ على أنهم أبطال قوميون كما الأبطال في الأساطير المعروفة!

فإذا كان الباحث أعمى، ويفتقد لأسس الفكر وآليات الفحص وكليات النظر فلا شك أنه سيخبط خبط عشواء في تفسير حقائق الوجود والحياة والتاريخ والإنسان والدين والنبوة، فيماثل بين الدين والأسطورة والبطل والنبي!!! إن شفيق مقار في كل خطوة يخطوها في كتابه «قراءة سياسية» كان يستدل بمرجع غربي، من مراجع التحريف والتزييف، وكمثال في المقارنة بين يعقوب وموسى عليهما

---

(١) قراءة ... ص٢٨٩.

(٢) قراءة ... ص٢٩٠.

(٣) قراءة ... ص٢٩١.

السلام اعتمد على فرويد (*) و «أوتورانك» الذي تأثر بدوره بفرويد كما ذكر فرويد نفسه كما إعتمد على «مالينوفسكي» وكأن كهؤلاء مراجع لا تُنقض وحقائق لا تنقد! لقد اعتمد شفيق مقار بشكل شبه كلي على فرويد في إعادة بناء أسطورة مصرية جديدة عن موسى عليه السلام وفي موقفه من الأنبياء! فيزعم أنه تم تحويل موسى من نبيل مصري وكاهن إلى بطل عبري ورسول[1] كما زعم أن ولادة موسى العبرية وإلقاءه في اليم أو البحر حبكة ساذجة[2] وأنه لم يهرب لقتله المصري وإنما هرب لأسباب سياسية! (كل علماني يخترع أسباباً نقيضه!!) وقال «ان موسى قبل الهرب من مصر إلى المديانيين، كاهناً من كهنة آتون رع في هليوبولس.. تعلّم ديانته على يد يثرون حميه كاهن مديان»[3] فهو قبل هروبه كان على دين المصريين وبعد هروبه تعلم ديناً وثنياً آخر! وإنه «كان هارباً في واقع الأمر من إنتقام كهنة آمون بعد موت إخناتون واندحار معبد هليوبولس أمام هجمة كهنة آمون الضارية، وكان موسى - قبل ذلك اللقاء - يعبد الإله الذي كان كاهناً من كبار كهنته «آتون»[4]

وهل يعقل أن ينتقل كاهن من كبار كهنة: آتون ، وهو الذي هرب بديانته - بحسب سرده للأسطورة! - هل يعقل أن ينتقل إلى ديانة جديدة بمستوى الحقارة التي يذكرها شفيق مقار نفسه؟!

(*) إستخدم فرويد في الصفحات ٦٧، ١٠٠، ١٠٣، ١١٨، ١٤١، ٢١٤، ٢٨٠، ٢٩١ وغيرها من الصفحات.

(١) قراءة ... ص٣١٨ يقول «طمس الكهنة، كما كان متعيناً أن يفعلوا ، مصرية موسى، وجعلوه بطلاً قومياً ونبياً لليهود الذين لم يكونوا قد وُجدوا بعد» ص٣٢٥.

(٢) قراءة ... ص٣١٥ يذهب أيضاً إلى أن الخروج وقع بطريقة سليمة تماماً وبلا مطاردة ولا معجزات كما ذهب فرويد وغيره . انظر ص٣٢٧.

(٤) قراءة ... ص٢٩٠.

فقد زعم أن موسى تعلم في مديان عبادة إله قضيبي من آلهة الخصب الصحراوية! «فيهوه ... كان أصلاً إلهاً قضيبياً من آلهة الخصب الصحراوية عبده المديانيون الذين علموا موسى عبادته(!) أثناء إقامته في مضاربهم على حدود سيناء... «فتلك العبادة كانت في جوهرها عبادة خصب صريحة ظلت الاصلاحات التي استماتت أنبياء العهد القديم في إدخالها جاهدة باستمرار في محو ما تجسدت فيه قديما من شعائر وممارسات جنسية»[1]!!! يعتمد شفيق مقار في ذلك على كثير من الباحثين الغربيين مثل (Allegro,John) وبذلك كما ذكرنا من قبل - استطاع العلمانيون العرب من أصحاب هذه المناهج الحقيرة ، أن يُحقّروا الأنبياء ويغمسوا صورهم في أوحال الممارسات الجنسية والعبادات القضيبية والشعائر الإباحية - وقد قام القمني، كما قدمنا ، بهذه الحيلة، وذلك بربطه بين اخناتون/ موسى/ أوديب في شخص واحد!

إن «العهد القديم» لليهود والذي يؤمن به مسيحيو العالم كان قد وضع قصصاً محرفة عن الأنبياء[*] لا يقل عنها في التحريف الصور المشوهة الحديثة. لقد وضعت قصة الممارسة الجنسية بين لوط وابنتيه، وبين يهوذا إبن يعقوب وزوجة ابنه المتوفي وبين داود وزوجة قائد جيشه وغير ذلك من الصور التي رفضها الإسلام باعتبارها من تحريفات يهود التاريخية وبالفعل لأغراض سياسية ودينية حقيرة.

كذلك فقد أدخل على قصة موسى من قبل «العهد القديم» أمره بقتل النساء والأطفال والأجنة في بطون أمهاتها، بل كل نسمة حية، كما أدخل على قصته أن

---

(١) قراءة سياسية ص٢٦٨.

(*) كقصة ممارسة لوط الجنس مع ابنتيه الواردة في سفر التكوين ١٩/ ٣٠-٣٧ وقصة صنع هارون لعجل الذهب الذي عبده يهود في خروج ٣٢/ ١-٦ وكقصص حروب موسى التي امر فيها بقتل الأطفال والنساء كما في سفر العدد وغيرها من الإضافات على القصص الحقيقي ليعقوب وداود وشاول ونوح وغيرهم.

الله عاقبه هو وهارون عليهما السلام - كما جعلت هارون هو صانع العجل الذهبي!، وأن «يهوه» هو إلهه وإله الأنبياء.

كل ذلك جعل نقاد التوراة يعيدون بناء قصة موسى في عمليات تلفيقية لاتقل عن بناء يهود القديم لشخصية الأنبياء وقصصهم.

إن ذلك لا يعني أن كل ما قاله العهد القديم عن الأنبياء أساطير وخرافات وتعديلات وإدخالات، بل الأمر غير ذلك، فهناك نواح عديدة في هذه القصص تؤكد حقائق عن الأنبياء وعن الدين وعن التاريخ، لكن اختلطت بها صور محرفة استطاع نقاد التوراة أن يستخدموها لهدم الدين كله.

إن القرآن الكريم، قبل أن يَظْهَرَ نُقَّاد التوراة من أمثال إسبيتوزا اليهودي وغيره بمئات السنين، كان قد أعلن الحقائق كلها عن الأنبياء وحقيقة دعوتهم والتحريف الذي لحق بصورهم وصور الحقائق الكلية الدينية والتاريخية.

ولاشك أن هؤلاء النقاد قد استفادوا من ذلك استفادة كبيرة.. كما استفادوا من نقد علماء المسلمين للأناجيل المعروفة والمتداولة لكنهم ولسبب الظروف الخاصة والمناهج القاصرة إنحرفوا انحرافاً خطيراً لا يساويه في الانحراف إلا انحراف آبائهم من صناع التوراة المزيفة والأناجيل المحرّفة!

يبقى شيء نذكره قبل أن نختم عرض إفتراءات شفيق مقار، وهو زعم مقتل موسى. فمع ذهاب شفيق مقار لذلك أيضاً تبعاً لفرويد إلا أنه يعلق على ذلك بما يؤكد أن كل أفكارهم عن الأنبياء إنما هي تكهنات ليست لها سند علمي حقيقي! يقول «وبطبيعة الحال، سيظل كل ذلك الإتهام من قبيل التكهنات. وهي تكهنات سيجعل من الصعب إقامة البرهان على صحتها نشاط الكهنة المحررين والرقباء الذين حرفوا واستبعدوا وأضافوا وأدمجوا وتلاعبوا تلاعباً لا سبيل إلى الوقوف على مداه»[1]!!

(١) قراءة سياسية ص٣٦٧.

فهنا يُعبِّر عن عجزهم عن إقامة دلائل قوية على بعض ما ذهبوا إليه - وإن كان لم يأتوا بدليل قوي واحد على نظرياتهم المتعارضة! - لكن المدهش في الأمر أنه يعزو هذا العجز إلى تلاعب الكهنة القدماء الذين دمروا الوثائق... ولا أعرف أين هي وثائق هؤلاء الباحثين في الاستدلال على نظرياتهم المتناقضة من كشوفات أثرية وحفريات أركيولوجية؟ إن ذلك كله يدل على ثغرات ضخمة في جميع هذه (النظريات الطفولية) التي لا تستطيع شق طريق لها في أجواء نقية!!!

الفصل التاسع

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾[الأنعام : ٩٤]

سخافة الدكتور الطبيب سعيد ثابت

في كتابه «فرعون موسى» للدكتور سعيد ثابت ما كان عليه إلا أن يضع أوساخ ذهنه الممتلىء بالغث من الخيالات والعطب من زبالة عقله المهلهل والمخلخل فقال بأن «ست» أو «موست (!)» الذي ورد بالآثار على أنه الابن أو الأخ الشرير لملك مصر مدّعي الألوهية إنما هو موسى ﷺ أما «هامان» الذي ورد اسمه في القرآن العظيم فهو عند الدكتور (آمن) أو (آمون) الذي أُلّه في عصور تالية!

وزعم أن فرعون موسى هو أوزير - كل علماني ينبش في التاريخ يخترع لموسى فرعوناً مختلفا عن فرعون الآخر !! - أو عُزير..

يقول الدكتور ثابت: إن عُزير هو الاسم الذي ابتدعه فرعون لنفسه ليكون اسماً إلهياً له، بعد أن ادعى الألوهية، وبعد أن جاء موسى ﷺ باسم (يهوه)!

وفي تعليق الدكتور عبدالصبور شاهين(*) والدكتورة إصلاح الرفاعي (في كتابهما المشترك) على هذه الخرافات يقول «ويبدو أن الدكتور فيما ذهب إليه من آراء كمن يقلب الهرم رأساً على عقب، ونحن نستشعر فيما كتب ميولاً عبرانية إسرائيلية، تريد أن تجعل بني إسرائيل أصل التاريخ وبناة مصر وأصحاب الحضارة... ولذلك فنحن نعتبر ما جاء في الكتاب المذكور نوعاً من الإختلال والخبال يرفضه التاريخ ولاسيما تاريخ النبوات الكبرى»[1]

(*) الدكتور شاهين لخبط كثيراً في كتابه أبي آدم قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة واختلطت عليه الأمور بصورة مثيرة للدهشة عندما جعل آدم أحد مراحل تاريخ الإنسان الذي زعم أنه كان يتقل - أي الإنسان- من مرحلة إلى مرحلة تغيرت فيها بعض أوصافه فقد كان البشر قبل آدم وبادوا فقدّر الله فناء كل البشر من غير ولد آدم وذلك بعد عزل السلالة الجديدة(!) المنتقاة، حتى تم إبادة جماعات الهمج البشرية، لتبدأ بعد ذلك الملحمة الإنسانية، بطليعتها المصطفاة آدم وحواء (ص١٠٥) «وآدم على هذا هو أبو الانسان وليس أبو البشر ولا علاقة بين آدم والبشر الذين بادوا قبله» (١٠٤) إن هذا أيضاً يادكتور شاهين نوعاً من الإختلال والخبال يرفضه التاريخ وتلفظه الحقيقة وينفيه القرآن. ولا يسمى اجتهاداً أقول ذلك وأنا أكن لهذا الرجل الاحترام لفضله وعلمه ووقوفه على ثغرات خطيرة أناد منها الإسلام والمسلمون كثيراً غفر الله لنا وله.

(١) قصة الدين والنبوة في مصر قبل الاسلام ص٢٠٠

ولقد ادعى الدكتور مراد الدش أستاذ مساعد الهندسة الإنشائية بجامعة عين شمس أن فرعون موسى الأول هو تحتمس الثاني «وانه نشأ تنافس بين موسى والملك تحتمس الثاني على الزواج من حتشبسوت!؟ ففاز بها تحتمس الثاني فلكزه موسى فقتله فخاف فهرب . . . !!!»[1]

وهكذا أخي القاريء، تسير الأمور إذا إختل الميزان بين يدي المتفلتين من هذا الدين العظيم القيم، الذين يقلدون الفكر الغربي الذي يعيد كتابة التاريخ بصورة جديدة تتقابل مع صور الفكر الإغريقي القديم الذي كان يصنع الأساطير عن الطبيعة وعن الإنسان بصورة ساذجة عابثة فَقَدَ عندها وقبلها المنهج الصحيح في النظر إلى كليات الأمور فكانت أساطير الوثنية السخيفة أعمدة للفكر النظري الإغريقي واليوناني ولطريقة التفكير التي تطيش بالحقائق وتكون بديلا لحقائق الحياة والعالم والتاريخ .

ادعى (جارستانج) أيضاً عضو بعثة مارستن Marsten التابعة لجامعة ليفربول للتنقيب في فلسطين أن موسى قد أنجبته الفرعونة (حتشبسوت) عام ١٢٥٧ ق.م بالتحقيق عندما كانت أميرة، وقبل أن تتربع على عرش مصر ، أي خلال حكم تحتمس الأول أو تحتمس الثاني ثم فر من مصر عندما نجح الانقلاب الذي قام به تحتمس الثالث ثم عاد ليقود الخروج أثناء حكم تحتمس الثالث عام ١٤٤٧ ق.م[*]

اعتمد جارستانج في إقامة خرافته الهزيلة على جعران عثر عليه في مقابر أريحا

---

(١) نشرت الأهرام المصرية ذلك في عددها الصادر يوم الخميس ١٣/١١/١٩٩٧ في الصحيفة الخاصة بالتحقيقات (ص٣) في مقالها بعنوان «عبور النبي موسى من بحيرة قارون» من تحقيق الأستاذ عبدالمحسن سلامة المحرر بالجريدة عرض فيه آراء الدكتور مراد محمد الدش . . . انظر كتاب المغالطات والإفتراءات الصهيونية على تاريخ وحضارة مصر الفرعونية للدكتور عبدالمنعم عبدالحليم سيد ص١٣٠ .

(*) أما فليكوفسكي فيقول في كتابه عصور في فوضى ص١٦٧ أن حتشبسوت هي ملكة سبأ !! «ولإثبات أن ملكة سبأ والملكة حتشبسوت لم يكونا إلا شخصية واحدة فإنني يجب أن أثبت أن ملكة سبأ قد جاءت من مصر (!) وأن الملكة حتشبسوت قد زارت فلسطين» وهكذا يدمرون التاريخ!!!

الملكية فقام برسم نظريته الهزيلة التي كما قال سيد القمني ملأت الدنيا صخباً وضجيجاً ويقول تعليقاً على ذلك وكما ظهرت ضجة جارستانج فجأة، خفتت فجأة، وإنتهى جارستانج إلى الصمت التام ولم يعد أحد يتحدث عن جعرانة الأعجوبة![1]

المشكلة الأخطر، من ذلك كله كما ذكرنا ذلك أكثر من مرة ، أن هؤلاء جميعاً ينسبون موسى عليه السلام إلى أسر وثنية غارقة في الإباحية والجنس المقدس!

فالقمني مثلا الذي يحلو له أن يعلق على أمثال هذه النظريات، القمني هذا نسب موسى الذي هو اخناتون بزعمه إلى الملكة العارية تي التي تبدو رسوماتها في الآثار المصرية مع إخناتون نفسه - كما أشار القمني نفسه - مفعمة بالعرى والتحلل وكذلك زوجها آمنحتب الثالث الذي تزوج ابنته كما تزوجت تي إبنها إخناتون.

وهنا ينسب جارستانج موسى إلى حتشبسوت الفرعونية التي تمثل النقوش ممارستها للإقتران مع الإله المصري آمون التي ادعت حتشبسوت أنها ابنة مباشرة له بالجماع الجسدي مع والدتها!! ويقول إريك هورنونج في كتابه ديانة مصر الفرعونية[2] **«وعندما دنا الإله آمون من الملكة أحمس وهي نائمة لكي ينجب منها الملكة حتشبسوت «فاض القصر بعبير إلهي» وأيقظها هذا العبير، وأوحى لها بأن الإله قد حضر(!) حتى قبل أن يدعها ترى «هيئته» الحقيقية كإله ... وقد اتخذ شكل زوجها تحتمس الأول(!)»!!!**

يقول القمني «ويشير كلمن (دريتون) و (فانديه) إلى أن فكرة تدخل الإله تدخلاً مباشراً في إنسال الجالس على العرش، كانت شائعة في الأسرة الثامنة

(١) النبي موسى وآخر أيام تل العمارنة جـ١ ص١٦٨.

(٢) ص١٣٤.

عشر، إذ تمثل النقوش في معبد الدير البحري عن حتشبسوت، ومعبد الأقصر عن آمنحتب الثالث، مراحل الاقتران الإلهي. أي اجتماع آمون مع الملكة الوالدة، بعد أن يتخذ مظهر الملك الوالد»[1]

وهكذا يتم تلويث شرف الأنبياء في النظريات الهجينة والخرافات العصرية التي تنسج على منوال النسيج القديم للفكر الوثني الإغريقي الذي كان يتصور الأشياء على غير حقائقها الأصلية لفقدانه للأصول الصحيحة التي فقدها مع فقدانه للدين الحق.

أما الدكتور سعيد ثابت فإنه جعل موسى إلهاً شريراً هو الإله (ست) إله الشر عند المصريين القدماء!

وقد جعل كمال صليبي من موسى إلهاً أيضاً، وصليبي لا يؤمن بالله كأغلب الماديين العلمانيين الذين يحاولون بكل الطرق السخيفة سحق معالم الدين وقواعد الإيمان.

﴿. . . كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا ﴾[الكهف: ٥]

إن هذه الأفكار والمذاهب والنظريات والفلسفات العلمانية نتاج إختلال الموازين في الصراع الشديد الذي تم في الغرب بين الكنيسة المنحرفة والفلسفة القاصرة، ولقد قدم الإسلام - بعد العقيدة والشريعة - أثناء هذا الصراع هديتين عظيمتين الهدية الأولى هي تحرير العقل وتفعيله كونياً وجدلياً وإجتماعياً والهدية الثانية هي المنهج التجريبي الذي نقل العالم كله نقلات هائلة. لكن يبدو أن آلية الأسطورة تحكمت في طبيعة (النظرة الغربية) ومثيلاتها (العلمانية) إلى العالم ما أدى إلى المشكلات الخطرة التي يعيشها الإنسان اليوم، بعيداً عن حلول الإسلام التي أخذ بعضها وطُرح بعضها الآخر في غير مبالاة وفي علو وشطط وضياع تغلغل في الحضارة الآيلة للسقوط!

طارق عبد الباقي - منينةلاهاي / هولندا

١٢ من ربيع الاول ١٤٢٣

٢٤ مايو ٢٠٠٢

---

(١) النبي موسى وآخر أيام تل العمارنة جـ١ ص١٧١ .

المراجـــع

١- الفلسفة، أنواعها ومشكلاتها، تأليف هنترميد ترجمة فؤاد زكريا - الناشر مكتبة مصر ، يناير ١٩٦٩ .

٢- مقدمة في علم الاستغراب للدكتور حسن حَنفي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - الطبعة الثانية ٢٠٠٠م

٣- نقد فلسفة هيجل للدكتورة فريال حسن خليفة ، دار قباء - القاهرة ١٩٩٨ .

٤- نظرية المعرفة ، فؤاد زكريا - مكتبة مصر - بدون تاريخ - رقم الايداع ١٩٩١م

٥- وعود الاسلام روجية جارودي - مكتبة مدبولي ١٩٩٣ .

٦- الإنسان والحضارة - فؤاد زكريا .

٧- شمس العرب تسطع على الغرب - زيغريد هونكه نقله عن الألمانية فاروق بيضون كمال دسوقي دار الجيل بيروت - الطبعة الثامنة ١٩٩٣ .

٨- الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة، دار المعارف بدون تاريخ دكتور يحيى هاشم حسن ،رقم الإيداع ١٩٨٤ .

٩- ملقى السبيل، لإسماعيل مظهر ، المطبعة العصرية القاهرة.

١٠- الإسلام في الفكر العربي، اللواء أحمد عبدالوهاب - مكتبة التراث الإسلامي/ ١٩٩٣ .

١١- خطاب إلى العقل العربي فؤاد زكريا - مكتبة مصر .

١٢- قصف العقول - تأليف فيليب تايلور / عالم المعرفة / ابريل ٢٠٠٠م.

١٣- جريدة القاهرة المصرية ٨ مايو ٢٠٠١ العدد السادس والخمسون.

١٤- ديوان الأساطير، الكتاب الأول ، دار السامي، الطبعة الأولى ١٩٩٦ .

١٥- إعلام الوقعين لابن القيم، دار الجيل / بيروت.

١٦- كيف نفهم الإسلام- محمد الغزالي - دار الدعوة.

١٧- الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر- محمد الغزالي -.

١٨- نقض المنطق، ابن تيمية، مكتبة السنة المحمدية/ القاهرة.

١٩- النبوات لابن تيمية.

٢٠- ركائز الإيمان - محمد الغزالي.

٢١- مجموعة فتاوى ابن تيمية.

٢٢- النبي موسى ورسالة التوحيد - دار الرشاد - الطبعة الأولى ١٩٩١.

٢٣- ثلاث مقالات في النظرية الجنسية لفرويد ترجمة سامي محمود علي راجعها مصطفى زيور - دار المعارف، الطبعة الثالثة.

٢٤- هربرت ماركيوز للدكتور فؤاد زكريا، دار مصر للطباعة - الطبعة الأولى - مايو ١٩٨٠.

٢٥- حياتي والتحليل النفسي لفرويد، ترجمة مصطفى زيور، عبدالمنعم المليجي - دار المعارف.

٢٦- داروين ونظرية التطور تأليف شمس الدين آق بلوت - ترجمه عن التركية أورخان محمد علي - سلسلة العلم والتقنية - دار يني آسيا للنشر - استانبول ١٩٨٧م.

٢٧- جاذبية الإسلام - دار التنوير للطباعة والنشر - بيروت - الطبعة الثانية ١٩٩٨.

٢٨- دفاع عن محمد ضد المنتقصين من قدره - دكتور عبدالرحمن بدوي - دار العالمية للكتب والنشر.

٢٩- مذاهب فكرية معاصرة للأستاذ محمد قطب - دار الشروق - الطبعة

السابعة ١٩٩٣م.

٣٠- وعد التوراة لموسى مطلق إبراهيم - منريح للطباعة والنشر - بيروت طبعة أولى ١٩٩٤.

٣١- قصة الدين والنبوة في مصر قبل الإسلام - تأليف الدكتور/ عبدالصبور شاهين - الأستاذة/ إصلاح عبدالسلام الزفاي - الزهراء للاعلام العربي/ الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

٣٢- إسرائيل .. التوراة .. التاريخ .. التضليل سيد القمني - دار قباء القاهرة - ١٩٩٨م.

٣٣- الملخص لكتاب العرب واليهود في التاريخ لجعفر الخليلي، الجمهورية العراقية وزارة الثقافة والفنون، توزيع الدار الوطنية للتوزيع والإعلان - دار الرشيد للنشر.

٣٤- النبي موسى وآخر أيام تل العمارنة - ٤ أجزاء لسيد القمني المركز المصري لبحوث الحضارة/ مدينة بيتكو/ مصر - الطبعة الأولى ١٩٩٩.

٣٥- تاريخ اليهود لأحمد عثمان - الجزء الأول - دار الشروق.

٣٦- قراءة سياسية للتوراة - شفيق مقار - الناشر رياض الريس للكتب والنشر - لندن - قبرص.

٣٧- البغاء عبر العصور، لسلام خيّاط، نشر رياض الريس للكتب والنشر - الطبعة الأولى ١٩٩٢.

٣٨- جريدة الأهرام المصرية.

٣٩- الدين في عصر العلم، الدكتور يوسف القرضاوي - المكتب الإسلامي - الطبعة الثالثة ١٩٩٨م.

٤٠- سقوط الغلو العلماني ـ دكتور محمد عمارة، دار الشروق - الطبعة الأولى ١٩٩٥م.

٤١- التطور في حياة البشرية للأستاذ محمد قطب، دار الشروق - طبعة ١٩٩٥.

٤٢- الأسطورة والتراث ـ دكتور سيد القمني - الطبعة الثالثة ١٩٩٩ - المركز المصري لبحوث الحضارة - القاهرة.

٤٣- أساسيات العلوم الذرية الحديثة في التراث الإسلامي للمهندس أحمد عبدالوهاب - مكتبة وهبة - الطبعة الثانية ١٩٨٤م

٤٤- الإسلام والأمن الاجتماعي ـ دكتور محمد عمارة - دار الشروق - الطبعة الأولى ١٩٩٨م

٤٥- الأصول المصرية في اليهودية والمسيحية لأحمد عثمان - الطبعة الأولى ١٩٩٩م - دار الشروق.

٤٦- نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم - للإمام محمد الغزالي - دار الشروق - الطبعة الثانية ١٩٩٢م

٤٧- فضل الإسلام على الحضارة الغربية لمونتجومري وات - مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى ١٩٨٣م.

٤٨- قصة الخلق ـ دكتور سيد القمني المركز المصري لبحوث الحضارة - الطبعة الثانية ١٩٩٩م.

٤٩- قذائف الحق للشيخ محمد الغزالي - منشورات دار ذات السلاسل - الطبعة الرابعة ١٩٨٠م.

٥٠- مقارنة الأديان (اليهودية) للدكتور أحمد شلبي - مكتبة النهضة المصرية - الطبعة الثامنة ١٩٨٦م.

٥١- المغالطات والافتراءات الصهيونية على تاريخ وحضارة مصر الفرعونية وحضارة مصر الفرعونية والرد عليها ... للدكتور عبدالمنعم عبدالحليم سيد دار غريب للنشر - طبعة ٢٠٠٠م.

٥٢- نحو بعث جديد ـ الأستاذة زينب الغزالي - دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٥٣- أبي آدم - قصة الخليفة بين الأسطورة والحقيقة للدكتور عبدالصبور شاهين -

نشر دار أخبار اليوم قطاع الثقافة/ مصر - رقم الايداع ١٨٣٣٣/ ٢٢٠١/١.

٥٤- خواء الذات والأدمغة المستعمرة للدكتور مراد هوفمان تعريب عادل المعلم ونشأت جعفر، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م

٥٥- عصور في فوضى (١) من الخروج إلى الملك إخناتون تأليف إيمانويل فلايكوفسكي - ترجمة د. رفعت السيد - الطبعة العربية الأولى يناير ٢٠٠٠ - طبع «جماعة حور الثقافية»

٥٦- الأعمال (١) الإسرائيليات لسيد القمني - الناشر: المؤلف «سيد القمني» - تاريخ النشر: يناير ٢٠٠٢.

٥٧- مجلة الكتب ووجهات نظر، مجلة شهرية، العدد الثامن والثلاثون - السنة الرابعة مارس ٢٠٠٢، تصدر عن الشركة المصرية للنشر العربي والدولي.

٥٨- حتشبسوت الملكة الفرعونية، تأليف سوزان راتييه - ترجمة فاطمة عبدالله محمود - مراجعة د. محمود ماهر طه. الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة الألف كتاب الثاني ٣٠١ - طبعة ١٩٩٨.

٥٩- عربي ، هل قلت عربي ؟ أحكام الغرب حول المسلمين والعرب تأليف شانتال داغرون ومحمد قاسمي ترجمة فقيهي الصحراوي ، دار أفريقيا للشرق ١٩٩٨.

٦٠- القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم - دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة - لموريس بوكاي - طبعة جمعية الدعوة الاسلامية - طرابلس - ليبيا.

٦١-دراسة في السيرة النبوية ـ دكتور عماد الدين خليل ـ مؤسسة الرسالة ـ دار النفائس.


جديد بدف
jadidpdf.com

فهرس الكتاب


جديد بدف
jadidpdf.com